

نزهة الفضلاء

تقليد

سير أعلام النبلاء

للإمام الذهبي

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
٧٤٨ هـ

المجلد الثاني

محمد حسن عقييل موسى

الناشر

دار الأندلس

للنشر والتوزيع - جدة

الجزء الثامن

٣٥٨ - عبدُ الله بن لهيعة (د، ت، ق)^(١)

[١] ابن عُقبة القاضي، الإمام، العلامة، محدثُ ديار مصر مع الليث، أبو عبد الرحمن الحَضْرَمِيُّ.

وُلِدَ سنة خمس أو ست وتسعين.

وكان من بحور العلم على لِين في حديثه.

قال رَوْحُ بْنُ صَلاح: لَقِيَ ابْنَ لهيعة اثنين وسبعين تابعياً.

ولما مات ابن لهيعة قال الليث: ما خَلَفَ مثله.

[٢] لا ريب أن ابن لهيعة كان عالِمَ الديار المصرية، هو والليث معاً، كما كان الإمام مالكُ في ذلك العصر عالِمَ المدينة، والأوزاعيُّ عالِمَ الشَّام، ومَعْمَرُ عالِمُ اليَمَن، وشعبةُ والثوري عالِما العراق، وإبراهيم بن طَهْمَان عالِمُ خراسان، ولكنَّ ابن لهيعة تهاون بالإنْتِقان، وروى مناكيرَ، فانحطَّ عن رُتبة الاحتجاج به عندهم.

[٣] وبعض الحفاظ يروي حديثه، ويذكره في الشواهد، والاعتبارات، والزُّهد والملاحم^(٢)، لافي الأصول^(٣).

[٤] وبعضهم يُبالغُ في وهنه، ولا ينبغي إهداره، وتُتَجَنَّب تلك المناكير، فإنه عدلٌ في نفسه.

(١) انظر السير: ١١/٨ - ٣١.

(٢) الشواهد: أحاديث رويت بمعناها من طريق آخر عن صحابي آخر، يقال: روى الحديث الفلاني، وله شاهد من رواية فلان. والاعتبارات: أن يعمد الباحث إلى حديث، فيعني به، ويبحث عن طرقه، فينظر: هل رواه راوٍ آخر بلفظه أو معناه، والملاحم: الأحاديث التي رويت في المغازي.

(٣) قال الحافظ ابن كثير في «الباعث الحثيث» ٦٣، ٦٤: ويغتفر في باب «الشواهد والمتابعات من الرواية عن الضعيف القريب الضعف مالا يغتفر في الأصول كما يقع في «الصحيحين» وغيرهما مثل ذلك. ولهذا يقول الدارقطني في بعض الضعفاء: يصلح للاعتبار، أو لا يصلح أن يعتبر به.

أعرض أصحاب الصَّحَاب عن رواياته، وأخرج له أبو داود، والترمذي،
والقزويني وما رواه عنه ابن وهب والمقرئ، والقدماء، فهو أجود^(١).
قال أبو داود عن أحمد: ما كان محدث مصر إلا ابن لهيعة.

البخاري عن يحيى بن بكير: احترق منزل ابن لهيعة وكتبه في سنة سبعين.
قلت: الظاهر أنه لم يحترق إلا بعض أصوله.

[١] قال قتيبة، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الأسود: عن عروة عن عائشة عن النبي
ﷺ قال: «اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَا تَجْعَلُوهَا عَلَيْكُمْ قُبُورًا، كَمَا
اتَّخَذَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فِي بُيُوتِهِمْ قُبُورًا، وَإِنَّ الْبَيْتَ لَيَتْلَى فِيهِ الْقُرْآنُ فَيَتَرَاءَى
لَأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تَتَرَاءَى النُّجُومُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ».

هذا حديث نظيف الإسناد، حسن المتن، فيه النهي عن الدفن في البيوت، وله
شاهد من طريق آخر، وقد نهى عليه السلام أن يُبنى على القبور، ولو اندفن الناس
في بيوتهم، لصارت المقبرة والبيوت شيئاً واحداً، والصلاة في المقبرة، فمنهي عنها
نهي كراهية، أو نهى تحريم، وقد قال عليه السلام «أَفْضَلُ صَلَاةِ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا
الْمَكْتُوبَةَ». فَنَاسَبَ ذَلِكَ أَلَّا تُتَّخَذَ الْمَسَاكِنُ قُبُورًا.

وأما دفنه في بيت عائشة صلوات الله عليه وسلامه فمختص به، كما خص بسط
قطيفة تحته في لحده، وكما خص بأن صلُّوا عليه فرادى بلا إمام، فكان هو إمامهم
حيّاً وميتاً في الدنيا والآخرة، وكما خص بتأخير دفنه يومين، ويكره تأخير أمته، لأنه
هو أَمِنَ عليه التَّغْيِيرُ بخلافنا، ثم إنهم أخرُّوه حتى صلُّوا كلُّهم عليه داخل بيته، فطال
لذلك الأمر، ولأنهم تردّدوا شطر اليوم الأول في موته حتى قدم أبو بكر الصديق من
السُّنَحِ فهذا كان سبب التأخير.

[٢] عن يحيى بن معين قال: يُكْتَبُ عن ابن لهيعة ما كان قبل احتراق كتبه.

(١) وقال عبد الغني بن سعيد الأزدي: إذا روى العبادلة عن ابن لهيعة، فهو صحيح: عبد الله بن المبارك، وعبد الله
بن وهب، وعبد الله بن يزيد المقرئ.

قلتُ: عاش ثمانياً وسبعين سنة.

توفي سنة أربع وسبعين ومئة.

وكان من أوعية العلم، ومن رؤساء أهل مصر، ومُحتشميهم، أطلق المنصورُ ابنَ عمار الواعظَ أراضِي له.

٣٥٩ - سعيد بن عبدالعزيز (م، ٤) (١)

[١] ابن أبي يحيى الإمام القدوة، مفتي دمشق، أبو محمد التنوخيّ الدمشقيّ، وُلد سنة تسعين، في حياة سهل بن سعد، وأنس بن مالك، رضي الله عنهما، وقرأ القرآن على ابن عامر.

[٢] وقال عبد الله بن زيد: كنا نجلس إلى مكحول ومعنا سعيد بن عبدالعزيز، فكان يَسقي الماء في مجلس مكحول.

[٣] وقال أبو مُسهر: حدثني سعيد، قال: كنت أجلس بالغدوات إلى ابن أبي مالك، وأجالس بعد الظهر إسماعيل بن عبيد الله وبعد العصر مكحولاً. قال أبو حاتم الرازي: كان أبو مُسهر يقدّم سعيداً على الأوزاعيّ.

وقال أبو عبد الله الحاكم: سعيد بن عبدالعزيز لأهل الشام، كمالك، لأهل المدينة في التقدم والفقه والأمانة.

[٤] وقال أبو زُرعة: حَدَّثني أبو النَّضر إسحاق بن إبراهيم، قال: كنتُ أسمع وَقَعَ دموعِ سَعِيد بن عبدالعزيز على الحَصِير في الصَّلَاة.

[٥] أبو عبد الرحمن الأسدي، قال: قلت لسعيد بن عبدالعزيز: ما هذا البكاء الذي يَعرَضُ لك في الصلاة؟ فقال: يا ابن أخي، وما سؤالك عن ذلك؟ قلت: لعلَّ الله أن ينفعني به، فقال: ما قمتُ إلى صلاة إلا مثَّلتُ لي جهنم.

[٦] قال محمد بن المبارك الصوري: كان سعيدٌ إذا فاتته صلاة الجماعة بكى.

[٧] عن الوليد بن مسلم قال: كان سعيد بن عبدالعزيز يُحيى الليل، فإذا طلع

(١) انظر السير: ٣٨-٣٢/٨.

الفجر، جدد وضوءه وخرج إلى المسجد.

وقال يحيى الوحاظي: سألت سعيد بن عبدالعزيز عن حديث فامتنع علي، وكان عسراً، وكذا قال أبو مُسْهِر عنه.

قلت: شاخ وضاق خلقه، واشتغل بالله عن الرواية.

[١] قال أبو مُسْهِر: سمعته يقول: «لا أدري» لما لا أدري نصف العلم. وسمعته يقول: ما كنت قدرياً قط وسمعت رجلاً يقول لسعيد: أطل الله بقاءك، فقال: بل عجل الله بي إلى رحمته.

[٢] يزيد بن عبد الصمد، سمعت أبا مُسْهِر، سمعت سعيد بن عبدالعزيز يقول: لا خير في الحياة إلا لأحد رجلين: صموتٍ واعٍ، وناطقٍ عارف.

[٣] وقال عتبة بن علقمة البيروني: حدثني سعيد بن عبدالعزيز قال: من أحسن فليخرج الثواب، ومن أساء فلا يستنكر الجزاء، ومن أخذ عِزاً بغير حق أورثه الله ذلاً بحق، ومن جمع مالاً بظلم أورثه الله فقراً بغير ظلم.

[٤] سئل سعيد بن عبدالعزيز عن الكفاف من الرزق ما هو؟ قال: شبع يومٍ وجوع يومٍ.

مات سنة سبع وستين ومئة.

٣٦٠ - زُفَرُ بْنُ الْهُذَيْلِ^(١)

[٥] العنبري، الفقيه المجتهد الرباني، العلامة أبو الهذيل.

قلت: وُلد سنة عشر ومئة.

قال أبو نعيم الملائني: كان ثقةً مأموناً، وقع إلى البصرة في ميراثٍ له من أخته، فتشبت به أهل البصرة، فلم يتركوه يخرج من عندهم.

[٦] قال زُفَر: من قعد قبل وقته، ذل.

(١) انظر السير: ٤١ - ٣٨/٨.

[١] قال عبدالرحمن بن مهدي: حدثنا عبدالواحد بن زياد، قال: لقيت زفر رحمه الله، فقلتُ له: صِرْتُمْ حديثاً في الناس وضُحِكَة. قال: وما ذاك؟ قلت: تقولون: «ادْرُؤُوا الحُدُودَ بالشُّبُهَاتِ»، ثم جِئْتُمْ إلى أعظم الحدود، فقلتُم: تُقام بالشُّبُهَاتِ. قال: وما هو؟ قلتُ: قال رسولُ الله ﷺ «لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ» فقلتُم: يُقْتَلُ به - يعني بالذُّمِّي - قال: فَإِنِّي أَشْهَدُكَ السَّاعَةَ أَنِّي قد رَجَعْتُ عنه. قلتُ: هكذا يكون العالمُ وقافاً مع النص.

[٢] قال ابن سعد: مات زفر سنة ثمان وخمسين ومئة، ولم يكن في الحديث بشيء. قلتُ: قد حكَمَ له إمامُ الصنعة (١) بأنه ثقة مأمون.

٣٦١ صالح المري (٢)

[٣] الزاهد الخاشع، واعظ أهل البصرة، أبو بشر بن بشير القاص.

[٤] وقال عفان: كان شديد الخوف من الله، كأنه ثكلى إذا قَصَّ.

وقال ابن عدي: قاص، حسن الصوت، عامة أحاديثه منكورة، أتى من قلة معرفته بالأسانيد، وعندي أنه لا يتعمد.

وقيل: لما سمعه سفيان الثوري قال: ما هذا قاص، هذا نذير.

[٥] قال ابن الأعرابي: كان الغالب على صالح كثرة الذكر، والقراءة بالتحزين، ويقال: هو أول من قرأ بالبصرة بالتحزين.

[٦] ويقال: مات جماعة سمعوا قراءته.

توفي سنة اثنتين وسبعين ومئة.

[٧] قال الأصمعي: شهدت صالحاً المري، عزى رجلاً، فقال: لئن كانت مصيبتك بابنك لم تُحدث لك موعظة في نفسك، فهي هيئة في جنب مصيبتك بنفسك فأياها فأبلك.

(١) هو الإمام يحيى بن معين.

(٢) انظر السير: ٤٦/٨ - ٤٨.

٣٦٢ - مالك الإمام (ع)^(١)

[١] هو شيخ الإسلام، حجة الأمة، إمام دار الهجرة، أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الحميري ثم الأصبحي المدني.

مولد مالك على الأصح في سنة ثلاث وتسعين عام موت أنس خادم رسول الله ﷺ، ونشأ في صونٍ ورفاهية وتكمل.

وآخر أصحابه موتاً راوي «الموطأ» أبو خذافة أحمد بن إسماعيل السهمي، عاش بعد مالك ثمانين عاماً.

[٢] وطلب مالك العلم، وهو ابن بضع عشرة سنة، وتأهل للفتيا، وجلس للإفادة، وله إحدى وعشرون سنة، وحدث عنه جماعة وهو حي شاب طري، وقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور وما بعد ذلك، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد، وإلى أن مات.

[٣] عن أبي هريرة، يبلغ به النبي ﷺ قال: «لَيُضْرَبَنَّ النَّاسُ أَكْبَادَ الْإِبْلِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، فَلَا يَجِدُونَ عَالِمًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ».

وذكر أبو المغيرة المخزومي أن معناه: ما دام المسلمون يطلبون العلم لا يجدون أعلم من عالم بالمدينة. فيكون على هذا: سعيد بن المسيب، ثم بعده من هو من شيوخ مالك، ثم مالك، ثم من قام بعده بعلمه، وكان أعلم أصحابه.

قلت: كان عالم المدينة في زمانه بعد رسول الله ﷺ، وصاحبيه، زيد بن ثابت، وعائشة، ثم ابن عمر، ثم سعيد بن المسيب، ثم الزهري، ثم عبيد الله بن عمر، ثم مالك.

وعن ابن عيينة قال: مالك عالم أهل الحجاز، وهو حجة زمانه.

وقال الشافعي - وصدق وتر - إذا ذكر العلماء فمالك النجم.

ولم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يُشبه مالكاً في العلم، والفقه، والجلالة

(١) انظر السير: ٤٨/٨ - ١٣٥.

والحفظ، فقد كان بها بعد الصحابة مثل سعيد بن المسيّب، والفقهاء السبعة^(١)، والقاسم، وسالم، وعكرمة، ونافع، وطبقتهم، ثم زيد بن أسلم، وابن شهاب، وأبي الزناد، ويحيى بن سعيد، وصفوان بن سليم، وربيع بن أبي عبد الرحمن، وطبقتهم، فلما تفانوا، اشتهر ذكر مالك بها، وابن أبي ذئب، وعبد العزيز بن الماجشون، وسليمان بن بلال، وفلح بن سليمان، والدراوردي، وأقرانهم، فكان مالك هو المقدم فيهم على الإطلاق، والذي تُضربُ إليه آباطُ الإبل من الآفاق رحمه الله تعالى.

[١١] أبو مُصعب: سمعتُ مالكا يقول: دخلتُ على أبي جعفر أمير المؤمنين، وقد نَزَلَ على مثال له - يعني فرشه - وإذا على بساطه دابتان ما تروثان ولا تبولان، وجاء صبيٌّ يخرج ثم يرجع، فقال لي: أتدري من هذا؟ قلتُ: لا. قال: هذا ابني، وإنما يَفْرُغُ من هَيْتِكَ، ثم ساءلني عن أشياء منها حلالٌ ومنها حرامٌ، ثم قال لي: أنت - والله - أعقلُ الناسِ، وأعلمُ الناسِ. قلتُ: لا والله يا أمير المؤمنين. قال: بلى ولكنك تكتم. ثم قال: والله لئن بقيتُ لأكتبنَّ قولك كما تكتبُ المصاحفُ، ولأبعثنَّ به إلى الآفاق، فلا حملنَّهم عليه.

[٢] قال خَلَف: ودخلت عليه، فقال: ما ترى؟ (٢) فإذا رؤيا بَعَثَها بعضُ إخوانه، يقول: رأيتُ النبي ﷺ في المنام، في مسجد قد اجتمع الناسُ عليه، فقال لهم: إني قد خبأتُ تحت منبري طيباً أو علماً، وأمرتُ مالكا أن يُفَرِّقه على الناسِ، فانصرف الناس وهم يقولون: إذا ينفذُ مالك ما أمره به رسول الله ﷺ، ثم بكى، ففتمتُ عنه.

[٣] عمر بن المَجْبَر الرُعَيْنِي، قال: قدم المهدي المدينة، فبعث إلى مالك، فأتاه، فقال لهارون وموسى: اسمعا منه، فبعث إليه، فلم يُجِبهما، فأعلمنا المهدي،

(١) الفقهاء السبعة نظم أسماءهم بعضهم بهذين البيتين:

إذا قيل من في الفقه سبعة أبهر روايتهم ليست عن العلم خارجة
فقل هم عبيد الله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجة
(٢) نص الحلية: فقال لي: انظر ما ترى تحت مصلاي أو حصيري، فنظرت، فإذا أنا بكتاب، فقال: أقرأه...

فكلمه، فقال: يا أمير المؤمنين، العلمُ يؤتى أهله، فقال: صدق مالك، صيرا إليه، فلمَّا صارَا إليه، قال له مؤدبهما: اقرأ علينا. فقال: إنَّ أهل المدينة يقرؤون على العالم، كما يقرأ الصبيان على المعلم، فإذا أخطؤوا، أفتاهم. فرجعوا إلى المهدي، فبعث إلى مالك، فكلمه، فقال: سمعتُ ابن شهاب يقول: جمعنا هذا العلم في الروضة من رجال، وهم يا أمير المؤمنين: سعيد بن المسيَّب، وأبو سَلَمَة، وعروة، والقاسم، وسالم، وخارجة بنُ زيد، وسليمان بنُ يسار، ونافع، وعبد الرحمن بنُ هُرْمَز، ومن بعدهم: أبو الزناد، وربيعه، ويحيى بنُ سعيد، وابنُ شهاب، كلُّ هؤلاء يُقرأ عليهم ولا يقرؤون، فقال: في هؤلاء قدوةٌ، صيروا إليه، فاقروا عليه، ففعلوا.

[١] السَّراجُ: حدثنا قتيبة: كنا إذا دخلنا على مالك، خرج إلينا مُزَيَّنًا مكحلًا مطيبًا. قد لبس من أحسن ثيابه، وتصدَّر الحلقة، ودعا بالمراوح، فأعطى لكلِّ منا مروحة. [٢] ابن وهب: سمعتُ مالكا يقول: اعلم أنه فساد عظيم أن يتكلم الإنسان بكل ما يسمع.

[٣] إسماعيل بن أبي أويس، قال: سألتُ خالي مالكا عن مسألة، فقال لي: قرَّ ثم توضأ، ثم جلس على السرير - ثم قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. وكان لا يُفتي حتى يقولها.

[٤] عن مالك، قال: دخلت على المنصور، وكان يدخل عليه الهاشميون، فيقبلون يده ورجله - عصمني الله من ذلك -.

[٥] عن مالك، قال: لا يؤخذ العلمُ عن أربعة: سَفِيه يعلن السُّفَه، وإن كان أروى النَّاس، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه، ومن يكذب في حديث النَّاس، وإن كنتُ لا أتهمه في الحديث، وصالح عابد فاضلٍ إذا كان لا يحفظ ما يُحدث به.

صفة الإمام مالك

[١] عن عيسى بن عمر قال: ما رأيت قطُّ بياضاً ولا حمرةً أحسنَ من وجهِ مالك، ولا أشدَّ بياضٍ ثوبٍ من مالك.

ونقل غير واحد أنه كان طوالاً، جسيماً، عظيمَ الهامة، أشقر، أبيض الرأس واللحية، عظيم اللحية، أصلع، وكان لا يُحفي شاربه^(١)، ويراه مثله.

كان يوفر سبلته^(٢)، ويحتج بقتل عمر شاربه.

وقال ابن وهب: رأيت مالكا خضب بحناء مرة.

وقد كان مالك إماماً في نقد الرجال، حافظاً، مجوداً، متقناً.

[٢] عن مالك، قال: قدِم علينا الزهري، فأتيناه ومعنا ربيعة، فحدثنا بيّف وأربعين حديثاً، ثم أتينا من الغد، فقال: انظروا كتاباً حتى أحدثكم منه، أرايتم ما حدثكم به أمس، أيش في أيديكم منه؟ فقال ربيعة: ها هنا من يرد عليك ما حدثت به أمس. قال: ومن هو؟ قال: ابن أبي عامر. قال: هات، فسرد له أربعين حديثاً منها، فقال الزهري: ما كنت أرى أنه بقي من يحفظ هذا غيري.

[٣] وعن مالك قال: جنة العالم: «لا أدري» فإذا أغفلها أصيبت مقاتله.

[٤] عن مالك، سمع عبد الله بن يزيد بن هرمز يقول: ينبغي للعالم أن يورث جلساءه قول: «لا أدري»، حتى يكون ذلك أصلاً يفرعون إليه.

[٥] قال ابن عبد البر: صح عن أبي الدرداء أن: «لا أدري»، نصف العلم.

[٦] قال محمد بن رُمح: رأيت النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إن مالكا والليث يختلفان، فبأيهما آخذ؟ قال: مالك، مالك.

[٧] محمد بن عمر، سمعت مالكا يقول: لما حج المنصور، دعاني فدخلت عليه، فحادثته، وسألني فأجبته، فقال: عزمْتُ أن أمر بكتبك هذه - يعني الموطأ - فتسخ نسخاً، ثم أبعث إلى كلِّ مصرٍ من أمصار المسلمين بنسخة، وأمرهم أن يعملوا بما

(١) أي لا يبلغ في قصه.

(٢) السبلة: ما على الشفة العليا من الشعر، يجمع الشاربين وما بينهما.

فيها، ويدَّعوا ما سوى ذلك من العلم المُحدَّث، فإني رأيتُ أصلَ العلم روايةَ أهلِ المدينة وعلمَهم. قلتُ: يا أميرَ المؤمنين، لا تفعل، فإنَّ النَّاسَ قد سِيقَتْ إليهم أقاويلٌ وسمعوا أحاديثَ، وروَّوا رواياتٍ، وأخذ كلُّ قومٍ بما سِيقَ إليهم، وعملوا به، ودانوا به، من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم، وإنَّ رَدَّهم عما اعتقدوه شديدٌ، فدع النَّاسَ وما هُم عليه، وما اختار أهلُ كلِّ بلدٍ لأنفسهم. فقال: لعمرى، لو طاوعتني لأمرتُ بذلك.

المحنة

[١]

ابنُ سَعْدٍ: حدثنا الواقديُّ قال: لما دُعِيَ مالِكُ، وشوَّورَ، وسَمِعَ منه، وقُبِلَ قَوْلُهُ، حُسَدٌ، وبَغَوْهُ بكلِّ شَيْءٍ، فلما وَلِيَ جَعْفَرُ بنَ سُلَيْمَانَ المدينة، سَعَوْا بِهِ إِلَيْهِ، وَكَثَرُوا عَلَيْهِ عِنْدَهُ، وَقَالُوا: لَا يَرَى أَيْمَانَ بَيْعَتِكُمْ هَذِهِ بِشَيْءٍ، وَهُوَ يَأْخُذُ بِحَدِيثِ رِوَاةٍ عَنْ ثَابِتِ بْنِ الْأَحْنَفِ فِي طَلَاقِ الْمُكْرَهَةِ: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ عِنْدَهُ، قَالَ: فَغَضِبَ جَعْفَرُ، فَدَعَا بِمَالِكٍ، فَاحْتَجَّ عَلَيْهِ بِمَا رُفِعَ إِلَيْهِ عَنْهُ، فَأَمَرَ بِتَجْرِيدِهِ، وَضَرْبِهِ بِالسَّيَاطِ، وَجُبِدَتْ يَدُهُ حَتَّى انْخَلَعَتْ مِنْ كَتِفِهِ، وَارْتَكَبَ مِنْهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ، فَوَاللَّهِ مَا زَالَ مَالِكٌ بَعْدَ فِي رِفْعَةٍ وَعُلُوٍّ.

[٢] قلتُ: هَذَا ثَمَرَةُ الْمِحْنَةِ الْمَحْمُودَةِ، أَنَّهَا تَرْفَعُ الْعَبْدَ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِكُلِّ حَالٍ فَهِيَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِينَا، وَيَعْفُو اللَّهُ عَنْ كَثِيرٍ: «وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ»، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ قِضَاءِ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ لَهُ» وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [مُحَمَّدٌ ٣١]، وَأَنْزَلَ تَعَالَى فِي وَقْعَةِ أُحُدٍ قَوْلَهُ: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّنِي هَذَا، قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آلِ عِمْرَانَ ١٦٥]. وَقَالَ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشُّورَى ٣٠]. فَالْمُؤْمِنُ إِذَا امْتَحِنَ صَبَرَ وَاتَّعَظَ، وَاسْتَغْفَرَ وَلَمْ يَتَشَاغَلَ بِذَمِّ مَنْ انْتَقَمَ مِنْهُ، فَاللَّهُ حَكَمٌ مُقْسِطٌ، ثُمَّ يَحْمَدُ اللَّهُ عَلَى سَلَامَةِ دِينِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ عَقُوبَةَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ وَخَيْرٌ لَهُ.

ولمالك رحمه الله رسالة في القدر، كتبها إلى ابن وهب وإسنادها صحيح .
وله مؤلف: في النجوم ومنازل القمر، ورسالة في الأقضية، ورسالة إلى الليث
في اجماع أهل المدينة، معروفة .

فأما ما نقل عنه كبار أصحابه من المسائل، والفتاوى، والفوائد، فشيء كثير،
ومن كنوز ذلك: «المدونة»، و«الواضحة»، وأشياء .
[١] قال مالكي: قد ندر الاجتهاد اليوم، وتعذر، فمالك أفضل من يُقلد، فرجح
تقليده .

[٢] وقال شيخ: إن الإمام لمن التزم بتقليده، كالنبي مع أمته، لا تحل مخالفته .
[٣] قلت: قوله لا تحل مخالفته: مجرد دعوى، واجتهاد بلا معرفة، بل له مخالفة
إمامه إلى إمام آخر، حُجَّتُه في تلك المسألة أقوى، لا بل عليه اتباع الدليل فيما
تبرهن له، لا كمن تمذهب لإمام، فإذا لاح له ما يوافق هواه، عمل به من أي
مذهب كان، ومن تتبع رخص المذاهب، وزلات المجتهدين، فقد رق دينه، كما
قال الأوزاعي أو غيره: من أخذ بقول المكين في المتعة، والكوفيين في النبیذ،
والمدنيين في الغناء، والشاميين في عصمة الخلفاء، فقد جمع الشر . وكذا من أخذ
في البيوع الربوية بمن يتحيل عليها، وفي الطلاق ونكاح التحليل بمن توسع فيه،
وشبه ذلك، فقد تعرض للانحلال، فنسأل الله العافية والتوفيق .

[٤] ولكن: شأن الطالب أن يدرس أولاً مصنفاً في الفقه، فإذا حفظه، بحثه، وطالع
الشروح، فإن كان ذكياً، فقيه النفس، ورأى حُجَجَ الأئمة، فليراقب الله، وليحتط
لدينه، فإن خير الدين الورع، ومن ترك الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه،
والمعصوم من عصمه الله .

[٥] فالمقلدون صحابة رسول الله ﷺ، بشرط ثبوت الإسناد إليهم، ثم أئمة التابعين
كعَلْقَمَة، ومَسْرُوق، وعبيدة السلماني، وسعيد بن المسيب، وأبي الشعثاء، وسعيد
بن جبیر، وعبيد الله بن عبد الله، وعروة، والقاسم، والشَّعْبِي، والحسن، وابن
سيرين، وإبراهيم النخعي .

ثم كالزهرِّي، وأبي الزُّناد، وأيوب السَّخْتِيَّاني، وربيعه، وطبقتهم.
ثم كأبي حنيفة، ومالك، والأوزاعي، وابن جُرَيج، ومَعمر، وابن أبي عَروبة،
وسُفيان الثَّوري، والحمَّاديين، وشُعبة، والليث، وابن المَاجشُون، وابن أبي ذُئب.
ثم كابن المبارك، ومُسلم الزُّنجي، والقاضي أبي يوسف، والهَقل بن زياد،
ووكيع، والوليد بن مُسلم، وطبقتهم.
ثم كالشافعي، وأبي عُبيد، وأحمد، وإسحاق، وأبي ثور، والبُويطي، وأبي بكر
ابن أبي شيبه.

ثم كالمزني، وأبي بكر الأثرم، والبخاري، وداود بن علي، ومحمد بن نصر
المروزي، وإبراهيم الحربي، وإسماعيل القاضي.
ثم كمحمد بن جرير الطبري، وأبي بكر بن خزيمة، وأبي عباس بن سُرَيج،
وأبي بكر بن المُندر، وأبي جَفر الطَّحاوي، وأبي بكر الخَلَّال.
[١] ثم من بعد هذا النمط تناقَص الاجتهاد، ووَضِعَتِ المختصرات، وأخلد الفقهاء
إلى التقليد، من غير نظرٍ في الأَعلم، بل بحسَبِ الاتفاق، والتَّشهي، والتعظيم،
والعادة، والبلد. فلو أراد الطالبُ اليوم أن يَتَمَذَّهَبَ في المغرب لأبي حنيفة، لَعَسِرَ
عليه، كما لو أرادَ أن يَتَمَذَّهَبَ لابن حنبلٍ بِيُخَارَى، وَسَمَرَقَنْد، لَصُعِبَ عليه، فلا
يجبُئ منه حنبليٌّ، ولا من المغربي حنفيٌّ، ولا من الهندي مالكيٌّ، وبكل حال:
فإلى فقهِ مالِك المنتهى. فعامةُ آرائه مسدَّدة، ولو لم يكن له إلا حِسْمُ مادة الحِيل،
ومراعاة المقاصد، لكفاه. ومذهبه قد ملأ المغرب، والأندلس، وكثيراً من بلاد
مصر، وبعض الشام، واليمن، والسودان، وبالبصرة، وبغداد والكوفة، وبعض
خراسان، وكذلك اشتهر مذهبُ الأوزاعي مدة، وتلاشى أصحابه، وتَفَانُوا. وكذلك
مذهب سُفيان وغيره مِمَّن سَمِينا، ولم يبق اليوم إلا هذه المذاهب الأربعة. وقُلٌّ من
ينهض بمعرفتها كما ينبغي، فضلاً عن أن يكون مجتهداً.
[٢] وانقطع أنبأُ أبي ثور بعد الثلاثِ مئة، وأصحابُ داود إلا القليل، وبقي مذهبُ
ابن جرير إلى ما بعد الأربع مئة.

[١] وللزيدية مذهبٌ في الفروع بالحجاز وباليمن، لكنه معدودٌ في أقوال أهل البدع، كالإمامية، ولا بأس بمذهب داود، وفيه أقوالٌ حسنة، ومتابعةٌ للنصوص، مع أن جماعةً من العلماء لا يعتدُّون بخلافه، وله شذوذٌ في مسائلٍ شانت مذهبَه. ولكن هذا الإمام الذي هو النجمُ الهادي قد أنصف، وقال قولاً فضلاً، حيث يقول: كل أحد يؤخذ من قوله، ويترك، إلا صاحب هذا القبر ﷺ.

[٢] ولا ريب أن كل من أنس من نفسه فقهاً، وسعةً علمٍ، وحسن قصدٍ فلا يسعه الالتزام بمذهبٍ واحد في كل أقواله، لأنه قد تبرهن له مذهبُ الغير في مسائل، ولا ح له الدليل، وقامت عليه الحجة، فلا يُقلدُ فيها إمامَه، بل يعملُ بما تبرهن، ويقلدُ الإمام الآخر بالبرهان، لا بالتشهي والغرض، لكنه لا يُفتي العامة إلا بمذهب إمامه، أولي صمتٍ فيما خفي عليه دليله.

وذكر أحمد بن حنبل مالكا، فقدَّمه على الأوزاعي، والثوري، والليث، وحماد والحكم، في العلم. وقال: هو إمامٌ في الحديث، وفي الفقه.

وقال أسد بن الفرات: إذا أردت الله والدار الآخرة فعليك بمالك.

وقد ذكره أبو عمرو الداني في «طبقات القراء». وأنه تلا على نافع ابن أبي نعيم.

[٣] المُفضَّل الجَنَدِي، سَمِعْتُ أبا مُصْعَب، سَمِعْتُ مالكا، يقول: ما أُفتيتُ حتى شَهِدَ لي سَبْعُونَ أَنِّي أَهْلٌ لذلك.

[٤] ثم قال أبو مُصْعَب: كان مالك لا يُحدِّث إلا وهو على طَهارةٍ إجلالاً للحديث.

[٥] قِيلَ لمالك: ما تقولُ في طلب العلم؟ قال: حسنٌ جميل، لكن انظرِ الذي يَلْزَمُكَ من حين تُصبحُ إلى أن تُمسي، فالزمه.

[٦] عن ابن وهب: سئل مالك عن الدَّاعي يقول: يا سيدي. فقال: يُعجبني دعاء الانبياء: ربنا، ربنا.

[٧] نُعَيْمُ بن حَمَّاد، سَمِعْتُ ابن المبارك يقول: ما رأيتُ أحداً ارتفعَ مثل مالك، ليس له كثيرُ صلاة ولا صِيام، إلا أن تكونَ له سريرةٌ.

[١] قلت: ما كان عليه من العلم ونشره أفضل من نوافل الصوم والصلاة لمن أراد به الله.

[٢] عبدالله بن عبد الحكم، سمعت مالكا يقول: شاورني هارون الرشيد في ثلاثة: في أن يعلّق الموطأ في الكعبة، ويحمل الناس على ما فيه، وفي أن ينقض منبر رسول الله ﷺ ويجعله من ذهب وفضة وجوهر، وفي أن يقدم نافعاً إماماً في مسجد النبي ﷺ. فقلت: أما تعليق «الموطأ» فإن الصحابة اختلفوا في الفروع، وتفرقوا، وكل عند نفسه مصيب. وأما نقض المنبر، فلا أرى أن يحرم الناس أثر رسول الله ﷺ. وأما تقدمتلك نافعاً فإنه إمام في القراءة، لا يؤمن أن تبدر منه بادرة في المحراب، فتحفظ عليه. فقال: وفقك الله يا أبا عبدالله.

هذا إسناد حسن، لكن لعل الراوي وهم في قوله: هارون، لأن نافعاً قبل خلافة هارون مات.

من قول مالك في السنة

[٣] مطرف بن عبدالله، سمعت مالكا يقول: سن رسول الله ﷺ، وولاه الأمر بعده سنناً، الأخذ بها اتباع لكتاب الله، واستكمال بطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها، فهو مهتد، ومن استنصر بها، فهو منصور، ومن تركها، اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصله جهنم وساءت مصيراً.

[٤] قال مالك: أكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجذله؟!

[٥] أبو ثور: سمعت الشافعي يقول: كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال: إني على بينة من ديني، وأما أنت، فشاك، اذهب إلى شاك مثلك فخاصمه.

[٦] جعفر بن عبدالله قال: كنا عند مالك، فجاءه رجل، فقال: يا أبا عبدالله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه ٥]. كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء

ما وَجَدَ من مَسْأَلَتِهِ، فنظر إلى الأرض، وجعل يَنْكُتُ بعود في يده، حتى علاه الرخصاء^(١)، ثم رفع رأسه، ورمى بالعود، وقال: كيفُ منه غيرُ معقول، والاستواء منه غيرُ مجهول، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤال عنه بدعةٌ، وأظنك صاحبُ بدعةٍ، وأمرَ به فأُخرجَ.

[١] قال مالك: لا يُسْتَتَاب من سَبَّ النبي ﷺ، من الكفار والمسلمين.

[٢] قال ابنُ القاسم: سألتُ مالكاَ عَمَّنْ حَدَّثَ بالحديث: الذين قالوا: «إنَّ الله خلق آدمَ على صُورَتِهِ». والحديث الذي جاء: «إنَّ الله يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ» (وأنَّهُ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يُخْرِجَ مَنْ أَرَادَ). فَأَنْكَرَ مالِكُ ذلكَ إنكاراً شديداً، ونهى أن يُحَدَّثَ بها أحد، فقليل له: إن ناساً من أهل العلم يتحدَّثون به، فقال: مَنْ هو؟ قيل: ابن عجلان عن أبي الزناد، قال: لم يكن ابنُ عجلان يَعْرِفُ هذه الأشياءَ، ولم يكن عالماً.

[٣] قلتُ: أَنْكَرَ الإمامُ ذلكَ، لأنَّه لم يَثْبُتْ عنده، ولا اتَّصلَ به، فهو مَعْذُورٌ، كما أن صاحِبِي «الصَّحِيحَيْنِ» مَعْذُورانِ في إخراج ذلك - أعني الحديث الأول والثاني - لثبوت سندهما، وأما الحديث الثالث، فلا أعرفه بهذا اللفظ، فقولنا في ذلك وبابه: الإقرار، والإمرار، وتفويض معناه إلى قائله الصادق المَعصوم.

[٤] قال ابنُ القاسم: سألتُ مالكاَ عن علي وعثمان. فقال: ما أدركتُ أحداً ممن اقتدي به إلا وهو يرى الكُفَّ عَنْهُما، قال ابن القاسم: يُريدُ التفضيل بينهما فقلتُ: فأبو بكر وعمر؟ فقال: ليس فيهما إشكالٌ، إنهما أفضلُ من غيرهما.

[٥] وعن مالك قال: الجِدالُ في الدِّينِ يُنشِئُ المِرَاءَ، ويذهبُ بنور العلم من القلب ويقسِّي، ويورث الضُّغن.

[٦] ابن وهب: سمعتُ مالكاَ يقولُ حَقُّ علي من طلب العلم أن يكون له وَقَارٌ وسَكِينَةٌ وخَشْيَةٌ، والعلم حَسَنٌ لمن رُزِقَ خَيْرُهُ، وهو قَسَمٌ مِنَ الله تعالى، فلا تمكن

(١) الرخصاء: العرق إثر الحمى، أو عرق يغسل الجلد كثرة.

النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنْ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يُوفَّقَ لِلْخَيْرِ، وَإِنْ مِنْ شِقْوَةِ الْمَرْءِ أَنْ لَا يَزَالَ يُخْطِئُ، وَذُلٌّ وَإِهَانَةٌ لِلْعِلْمِ أَنْ يَتَكَلَّمَ الرَّجُلُ بِالْعِلْمِ عِنْدَ مَنْ لَا يَطِيعُهُ.

[١] القعنبِيُّ: سمعت مالكا يقول: كان الرجل يختلف إلى الرجل ثلاثين سنة يتعلم منه.

[٢] قال مَخْلَدُ بْنُ خِدَاشٍ: سألت مالكا عن الشُّطرنج. فقال: أحقُّ هو؟ فقلت: لا. قال: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس ٣٢].

[٣] عن مالك قال: إنَّ الرجلَ إذا ذهب يمدح نفسه، ذهب بهأوه.

[٤] قال ابن وهب: قيل لأخت مالك: ما كان شغل مالك في بيته؟ قالت: المصحف، التلاوة.

[٥] قال أبو مصعب: كانوا يَزْدَحِمُونَ على باب مالك حتى يقتتلوا من الرِّحَامِ. وكُنَّا إذا كُنَّا عنده لَا يَلْتَفِتُ ذَا إِلَى ذَا، قَاتِلُونَ بِرُؤُسِهِمْ هَكَذَا. وكانت السُّلَاطِينُ تَهَابُهُ، وكان يقول: لا، ونعم. ولا يُقَالُ له: من أين قلتَ ذَا؟

[٦] قيل لمالك: إنك تدخل على السلطان، وهم يَظْلَمُونَ، ويجورون، فقال: يرحمك الله، فأين المكلَّم بالحق.

[٧] ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: قال لي محمد: أيهما أعلمُ صاحبنا أم صاحبكم؟ يعني أبا حنيفة ومالكا: قلتُ: على الإنصاف؟ قال: نعم. قلتُ: أنشدك الله، من أعلمُ بالقرآن؟ قال: صاحبكم. قلتُ: من أعلمُ بالسنة؟ قال: صاحبكم. قلتُ: فمن أعلمُ بأقاويل الصحابة والمتقدمين؟ قال: صاحبكم. قلتُ: فلم يبق إلا القياس، والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء، فمن لم يعرف الأصول، على أي شيء يقيس؟

[٨] قلتُ: وعلى الإنصاف، لو قال قائل: بل هما سواء في علم الكتاب، والأول، أعلم بالقياس، والثاني: أعلم بالسنة، وعنده علم جَمٍّ من أقوال كثير من الصحابة، كما أن الأول أعلم بأقاويل عليٍّ، وابن مسعود وطائفة ممن كان بالكوفة من أصحاب رسول الله ﷺ. فرضي الله عن الإمامين، فقد صرنا في وقتٍ لا يقدرُ الشخصُ على

النطق بالإنصاف، نسأل الله السلامة.

كان خاتِمُ مالك، الذي مات وهو في يده، فَصُّهُ أسودُ حجري، ونقشُهُ: حسبي الله ونعم الوكيل. وكان يلبسُهُ في يساره، وربما لبسه في يمينه.

[١] وقال ابن وهب: ما نقلنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه.

[٢] وعن مالك قال: ما جالستُ سفيهاً قط.

قال أبو العباس السراج: سمعتُ البخاريَّ يقول: أصحُّ الأسانيد: مالك، عن نافع، عن ابن عمر.

قال الحافظ ابن عبد البر في «التمهيد» هذا كُتِبَتْهُ مِن حَفْظِي، وغاب عني أصلي: إن عبد الله العمري العابد كتب إلى مالك يحضُّه على الانفراد والعمل. فكتب إليه مالك: إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فُربُّ رجلٍ فُتِحَ له في الصلاة، ولم يُفْتَحَ له في الصَّوم، وآخرُ فُتِحَ له في الصَّدقة ولم يُفْتَحَ له في الصَّوم، وآخرُ فُتِحَ له في الجهاد، فنشُرُ العلم من أفضل أعمال البر، وقد رُضِيتُ بما فُتِحَ لي فيه، وما أظُنُّ ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبرٍّ.

وفاة مالك

قال القعني: سمعتهم يقولون: عُمُرُ مالك تسعٌ وثمانون سنة، مات سنة تسعٍ وسبعين ومئة.

[٤] قال إسماعيل بن أبي أويس: مَرَضَ مالك، فسألتُ بعض أهلنا عما قال عند الموت، قالوا: تَشَهَّد، ثم قال: ﴿اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم ٤] وتُوفِّي. [٥] ونقل القاضي عياض أن أسدَ بن موسى قال: رأيتُ مالكا بعد موته، وعليه طويلة، وثيابُ خضر وهو على ناقة، يطيرُ بين السماء والأرض. فقلت: يا أبا عبد الله، أليس قد مُتُّ؟ قال: بلى. فقلت: فالإم صِرْتُ؟ فقال: قَدِمْتُ على ربي وكلمني كفاحاً^(١) وقال: سلني أعطك، وتمنَّ علي أرضك.

(١) أي: مواجهة وبدون واسطة.

قلت: ودُفِنَ بالبقيع اتفاقاً، وقبره مشهورٌ يُزار، رحمه الله.

[١] ويقال: إنه في الليلة التي ماتَ فيها، رأى رجلٌ من الأنصار قائلاً يُنشد:

لَقَدْ أَصْبَحَ الْإِسْلَامَ زُغْزَعُ رُكْنُهُ غَدَاةَ ثَوَى الْهَادِي لَدَى مَلْحِدِ الْقَبْرِ
إِمَامَ الْهُدَى مَا زَالَ لِلْعِلْمِ صَائِناً عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ فِي آخِرِ الدَّهْرِ
قال: فانتبهتُ، فإذا الصارخةُ على مالك.

[٢] وقال ابنُ أبي أويس: بيع ما في منزل خالي مالك من بُسْط، ومنصّاتٍ، ومخاد، وغير ذلك، بما يُنِيف على خمس مئة دينار.

[٣] وقال محمد بنُ عيسى بن خَلَف: خَلَفَ مالك خمس مئة زوج من النعال، ولقد اشتهى يوماً كِسَاءَ قوصياً، فما مات إلا وعنده منها سبعة، بُعثت إليه.

[٤] قال أبو عمرو: ترك من الناص^(١) ألفي دينار وست مئة دينار، وسبعة وعشرين ديناراً، ومن الدراهم ألف درهم.

[٥] قلت: قد كان هذا الإمام من الكبراء السُعداء، والسادة العلماء، ذا حِشمة وتَجَمُّلٍ، وعَبِيد، ودارٍ فاخرة، ونعمة ظاهرة، ورفعة في الدنيا والآخرة. كان يقبل الهدية، ويأكل طيباً ويعملُ صالحاً.

٣٦٣ - اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ (ع) (٢)

[٦] ابن عبد الرحمن، الإمام الحافظ شيخُ الإسلام، وعالمُ الديار المصرية، أبو الحارث الفهمي مولى خالد بن ثابت بن ظاعن.

مولده: بقرْقَشَنَدَة - قرية من أسفل أعمال مصر - في سنة أربع وتسعين.

[٧] كان الليث رحمه الله فقيهاً مصر، ومحدثها، ومُحْتَشِمَهَا، ورئيسها، ومن يَفْتَخِرُ بوجوده الإقليم، بحيث إن متولي مصر وقاضيهَا وناظرها، من تحت أوامره، ويرجعون إلى رأيه، ومشورته، ولقد أراد المنصور على أن ينوب له على الإقليم، فاستعفى من ذلك.

(١) الناص: النقد من الدنانير والدراهم. (٢) انظر السير: ١٣٦/٨ - ١٦٣.

[١] قال الحسن بن يوسف بن مُلَيْح : سمعتُ أبا الحسن الخادم ، قال : كنتُ غلاماً لزبيدة ، وأُتي بالليث بن سعد تستفتيه فكنتُ واقفاً على رأس سِتِّي زُبَيْدة ، خَلَفَ السَّتارة ، فسأله الرشيدُ ، فقال له : حَلَفْتُ إن لي جَنَّتَيْنِ ، فاستحلفه الليثُ ثلاثاً : إِنَّكَ تخافُ اللهَ ؟ فحلفَ له ، فقال : قال الله : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴾ [الرحمن ٤٦] . قال : فأقطعهُ قطائع كثيرة بمصر .

قلت : إن صح هذا ، فهذا كان قبل خلافة هارون .

وقال ابنُ بُكير : كان الليثُ فقيهَ البدن ، عربيَّ اللسان ، يُحسِنُ القرآنَ والنحو ، ويحفظُ الحديثَ ، حسنَ المذاكرة ، فما زال يذكرُ خِصَلاً جميلة ، ويُعقِدُ بيده ، حتى عقد عشرة : لم أر مثله .

هارون بن سعيد : سمعت ابن وهب يقول : كُلُّ ما كانَ في كتب مالِك : وأخبرني من أَرْضِي من أهل العلم ، فهو الليثُ بنُ سعد .

[٢] عثمانُ بنُ صالح ، قال : كان أهلُ مصرٍ يَتَقَصُّونَ عُثْمانَ ، حتى نشأَ فيهم الليثُ فحدَّثَهم بفضائله ، فكفُّوا . وكان أهلُ حمصٍ يَتَقَصُّونَ علياً حتى نشأَ فيهم إسماعيلُ بنُ عيَّاش ، فحدَّثَهم بفضائل عليٍّ ، فكفُّوا عن ذلك .

[٣] قال قتيبة : كان الليثُ يَسْتَعْلِفُ عشرين ألفَ دينارٍ في كل سنة ، وقال : ما وجبتُ عليَّ زكاةَ قَطْ . وأعطى الليثُ ابنَ لهيعة ألفَ دينار ، وأعطى مالكا ألفَ دينار وأعطى منصورَ بنَ عمار الواعظُ ألفَ دينار وجاريةً تُسَوِي ثلاثة مئة دينار .

[٤] وجاءت امرأةٌ إلى الليث ، فقالت : يا أبا الحارث ، إن ابناً لي عليلٌ ، واشتهى عسلاً ، فقال : يا غلامُ ، اعطها مِرطاً من عسل ، والمِرطُ : عشرون ومئة رطل .

[٥] عبدالله بنُ صالح ، قال : صحبتُ الليثَ عشرين سنةً ، لا يتغدَّى ولا يتعشَّى إلا مَعَ الناسِ . وكان لا يأكلُ إلا بلحمٍ إلا أن يَمْرُضَ .

[٦] كان الليثُ له كُلُّ يومٍ أربعةُ مجالسٍ يجلسُ فيها : أما أوَّلُها ، فيجلسُ لِنائبةِ السلطانِ في نوائبه وحوائجه ، وكان الليثُ يَغشاه السلطانُ ، فإذا أنكرَ مِنَ القاضي

أمراً، أو من السلطان، كتب إلى أمير المؤمنين، فيأتيه العزل، ويجلس لأصحاب الحديث، وكان يقول: نَجَحُوا أصحاب الحوانيت، فإن قلوبهم معلقة بأسواقهم، ويجلس للمسائل، يغشاه الناس، فيسألونه، ويجلس لحوائج الناس، لا يسأله أحد فيرده، كبرت حاجته أو صغرت. وكان يُطعمُ الناس في الشتاء الهرائس بِعَسَل النحل وسمن البقر، وفي الصيف سويق اللوز في السكر.

[١] قيل لليث: أمتع الله بك، إنا نسمع منك الحديث ليس في كتبتك، فقال: أو كل ما في صدري في كتبي؟ لو كتبت ما في صدري، ما وسعه هذا المركب. أحمد بن عبد الرحمن بن وهب: سمعت الشافعي يقول: الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به.

مات الليث سنة خمس وسبعين ومئة.

[٢] قال خالد بن عبد السلام الصّرفي: شهدت جنازة الليث بن سعد مع والدي، فما رأيت جنازة قط أعظم منها، رأيت الناس كلهم عليهم الحزن، وهم يُعزي بعضهم بعضاً، ويكون، فقلت: يا أبت، كأن كل واحد من الناس صاحب هذه الجنازة، فقال: يا بني، لا ترى مثله أبداً.

٣٦٤ - مَيْسِرَةُ التَّرَاس (١)

[٣] قيل: هو ميسرة بن عبّد ربه الفارسي، ثم البصري، الأكل. ضعّفوه وقد اتهم (٢).

[٤] قال الأصمعي: قال لي الرشيد: كم أكثر ما أكل ميسرة؟ قلت: مئة رغيف ونصف مكوك ملح، فأمر الرشيد فطرح للفيل مئة رغيف، ففضل منها رغيفاً.

(١) انظر السير: ١٦٤/٨ - ١٦٥.

(٢) في «الميزان» قال ابن حبان: كان ممن يروي الموضوعات عن الإثبات، ويضع الحديث، وهو صاحب حديث فضائل القرآن الطويل. وقال أبو داود: أقر بوضع الحديث، وقال الدارقطني: متروك، وقال أبو حاتم: كان يفتعل الحديث، روى في فضل قزوين والثغور، وقال أبو زرعة: وضع في فضل قزوين أربعين حديثاً، وكان يقول: إني أحسب في ذلك، وقال البخاري: ميسرة بن عبد ربه يرمى بالكذب.

[١] وقيل: إن بعض المُجَان قالوا له: هل لك في كبش مَشوي؟ قال: ما أكره ذلك، ونزل عن حماره فأخذوا الحمارَ، وأتوه - وقد جاع - بالشَّواء، فأقبل يأكل، ويقول: أهذا لحم فيل؟! بل لحم شَيْطان، حتى فرغه، ثم طلب حماره، فتضاحكوا، وقالوا: هو والله في جوفك. وجمعوا له ثمنه.

[٢] وقيل: نذرت امرأة أن تُشبعه، فرفق بها، وأكل ما يكفي سبعين رجلاً.

٣٦٥ رِيَّاح^(١)

[٣] ابنُ عمرو القَيْسي العابدُ، أبو المهاصر، بصريٌّ زاهد، متألّه، كبيرُ القدر.
[٤] قال أبو بكر بنُ أبي الدنيا: حدثنا عليُّ بن أبي مريم قال: قال رِيَّاح القَيْسي: لي نَيْفٌ وأربعون ذنباً، قد استغفرتُ لكل ذنب مئة ألف مرة.
[٥] قال أبو مَعمر المُقَعَّد: نظرت رابعةً إلى رِيَّاح يَضُمُّ صبيّاً من أهله ويُقَبِّلُهُ. فقالت: أَتَحِبُّه؟ قال: نعم. قالت: ما كنتُ أَحْسِبُ أن في قلبك موضعاً فارغاً لمحبة غيره، تبارك اسمه. فغشي عليه، ثم أَفاقَ، وقال: رحمةٌ منه تعالى ألّقاها في قلوب العباد للأطفال.

٣٦٦ - محمد بن النُّضَر^(٢)

[٦] أبو عبد الرحمن، الحارثيُّ، الكوفيُّ، عابدُ أهل زمانه بالكوفة.
[٧] وقال عبدُ الله بنُ محمد الكرمانِي: دخلتُ على محمد بن النُّضَر، فقلت: كأنك تكرهُ مجالسةَ الناس. قال: أجل! كيف أستوحشُ، وهو يقول: أنا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي.
[٨] عن محمد بن النُّضَر قال: أوَّلُ العِلْمِ الاستماعُ، والإنصاتُ، ثم حِفْظُهُ، ثم العملُ به، ثم بَثُّهُ.

(١) انظر السير: ١٧٤/٨ - ١٧٥.

(٢) انظر السير: ١٧٥/٨ - ١٧٦.

- [١] قال ابن المبارك: كان محمد بن النضر إذا ذكر الموت، اضطربت مفاصله.
- [٢] وعن أبي الأحوص، قال: آلى محمد بن النضر على نفسه أن لا ينام إلا ما غلبته عينه.

٣٦٧ - سليمان الخواص^(١)

[٣] من العابدين الكبار بالشام.

[٤] قال محمد بن يوسف الفريابي: كنت في مجلس فيه الأوزاعي وسعيد بن عبدالعزيز، وسليمان الخواص، فذكر الأوزاعي الزهاد، فقال: ما نريد أن نريد مثل هؤلاء، فقال سعيد: ما رأيت أزهّد من سليمان الخواص، وما شعر أنه في المجلس، ففنع سليمان رأسه، وقام، فأقبل الأوزاعي على سعيد، وقال: ويحك لا تعقل ما يخرج من رأسك! تؤذي جلسنا تزكّيه في وجهه.

[٥] ويقال: إن سعيد بن عبدالعزيز زار الخواص ليلة في بيته ببيروت، فرآه في الظلمة، فقال: ظلمة القبر أشدّ، فأعطاه دراهم، فردّها، وقال: أكره أن أعود نفسي مثل دراهمك، فمن لي بمثلها إذا احتجت، فبلغ ذلك الأوزاعي فقال: دعوه فلو كان في السلف لكان علامة.

٣٦٨ - سلم بن ميمون^(٢)

[٦] الخواص، هو أصغر من سليمان الخواص.

[٧] قال إسماعيل بن مسلمة القعني: رأيت كأن القيامة قد قامت، وكأن منادياً يُنادي: ألا ليقيم السابقون. فقام سفيان الثوري، ثم نادى: ألا ليقيم السابقون. فقام سلم الخواص، ثم قام إبراهيم بن أدهم.

[٨] وقال أحمد بن ثعلبة: سمعتُ سلماً الخواص قال: قلت لنفسي: يا نفس، اقربي القرآن كأنك سمعته من الله حين تكلم به، فجاءت الحلوة.

بقي سلم إلى ما بعد سنة ثلاث عشرة ومئتين.

(١) انظر السير: ١٧٨/٨ - ١٧٩. (٢) انظر السير: ١٧٩/٨ - ١٨٠.

[١] ابنُ عبدالله، العلامة الحافظ، القاضي، أبو عبدالله النخعي، أخذ الأعلام على لين ما في حديثه. توقّف بعض الأئمة عن الاحتجاج بمفاريده. وقال النسائي: ليس به بأس.

وقال الجوزجاني: سيء الحفظ مضطرب الحديث مائل.

قلت: فيه تشيعٌ خفيف على قاعدة أهل بلده.

وكان من كبار الفقهاء، وبينه وبين الإمام أبي حنيفة وقائع.

[٢] قال أبو نعيم: سمعتُ شريكاً يقول: قدّم عثمانُ يومُ قدّم، وهو أفضلُ القوم.

[٣] قال ابنُ عُيينة: قيل لشريك: ما تقول فيمن يُفضّل علياً على أبي بكر؟ قال: إذا يفتضحُ يقول أخطأ المسلمون.

[٤] منصور بن أبي مزاحم: سمعتُ شريكاً يقول: تركُ الجواب في موضعه إداًبة القلب.

[٥] سليمان بن أبي شيخ: قال شريك لبعض إخوانه: أكرهتُ على القضاء، قال: فأكرهتُ على أخذ الرزق؟

[٦] ثم قال سليمان: حكى لي عبدالله بنُ صالح بن مُسلم، قال: كان شريكٌ على قضاء الكوفة، فخرج يتلقّى الخيزران، فبلغ شاهي (٢)، وأبطأت الخيزران، فأقام ينتظرها ثلاثاً، ويس خبزُه، فجعل يبلُّه بالماء ويأكله، فقال العلاء بنُ المنهال الغنوي:

فإن كانَ الَّذي قد قُلْتَ حقاً بأن قد أكرهُوكَ على القضاء
فما لكَ موضعاً في كُلِّ يومٍ تَلْقَى مَنْ يَحُجُّ مِنَ النِّسَاءِ؟
مُقيماً في قُرى شاهي ثلاثاً بلا زاد سوى كِسْرِ وماء
[٧] حمدان بن الأصبهاني، قال: كنتُ عند شريك، فأتاه بعضُ ولد المهدي،

(١) انظر السير: ٢٠٠/٨ - ٢١٦.

(٢) موضع قرب القادسية.

فاستند، فسأله عن حديث، فلم يلتفت إليه، وأقبل علينا، ثم أعاد، فعاد بمثل ذلك. فقال: كأنك تستخف بأولاد الخليفة. قال: لا، ولكن العلم أزين عند أهله من أن تضييعوه، قال: فجثا على ركبتيه، ثم سأله، فقال شريك: هكذا يطلب العلم.

قال شريك، عن أشعث، عن محمد بن سيرين، قال: أدركت بالكوفة أربعة آلاف شاب يطلبون العلم.

[١] قال حفص بن غياث، من طريق علي بن خشرم، عنه: سمعت شريكاً يقول: قبض النبي ﷺ، واستخار المسلمون أبا بكر، فلو علموا أن فيهم أحداً أفضل منه كانوا قد غشونا، ثم استخلف أبو بكر عمر، فقام بما قام به من الحق والعدل، فلما حضرته الوفاة، جعل الأمر شورى بين ستة، فاجتمعوا على عثمان. فلو علموا أن فيهم أفضل منه كانوا قد غشونا.

[٢] قال علي بن خشرم: فأخبرني بعض أصحابنا من أهل الحديث، أنه عرض هذا على عبدالله بن إدريس، فقال ابن إدريس: أنت سمعت هذا من حفص؟ قلت: نعم: قال: الحمد لله الذي أنطق بهذا لسانه، فوالله إنه لشيوعي، وإن شريكاً لشيوعي.

[٣] قلت: هذا التشيع الذي لا محذور فيه إن شاء الله إلا من قبيل الكلام فيمن حارب علياً رضي الله عنه من الصحابة، فإنه قبيح يؤدب فاعله. ولا نذكر أحداً من الصحابة إلا بخير، ونترضى عنهم، ونقول: هم طائفة من المؤمنين بغت على الإمام علي، وذلك بنص قول المصطفى صلوات الله عليه لعمار: «تقتلك الفئة الباغية». فنسأل الله أن يرضي عن الجميع، وألا يجعلنا ممن في قلبه غل للمؤمنين. ولا نرتاب أن علياً أفضل ممن حاربه، وأنه أولى بالحق رضي الله عنه.

مات سنة سبع وسبعين ومئة.

عاش اثنتين وثمانين سنة.

[٤] قال يعقوب بن شيبه: دعا المنصور شريكاً، فقال: إني أريد أن أوليك القضاء،

فقال: أعفني يا أمير المؤمنين. قال: لست أعفيك. قال: فأنصرف يومئذ هذا، وأعود، فيرى أمير المؤمنين رأيه. قال: تريد أن تتغيب؟ ولئن فعلت لأقدمن على خمسين من قومك بما تكره، فولاه القضاء فبقي إلى أيام المهدي، فأقره المهدي، ثم عزله، قال: وكان شريك ثقة مأموناً، كثير الحديث، أنكر عليه الغلط والخطأ. [١] قال عيسى بن يونس: من يُفْلِت من الخطأ؟ ربما رأيتُ شريكاً يُخطئ، ويصحف حتى أستحي.

٣٧٠ - أبو عَوَانَة (ع)^(١)

[٢] هو الإمام الحافظ الثَّبت، محدِّث البصرة، الوضَّاح بن عبد الله، مولى يزيد بن عطاء الشُّكري، الواسطي، البرَّاز.

كان الوضَّاح من سبي جُرْجَان. مولده: سنة نيف وتسعين.

[٣] قال الحافظ ابن عدي: كان مولاه يزيد قد خيره بين الحرية، وكتابة الحديث، فاختار كتابة الحديث. وفُوض إليه مولاه التجارة، فجاءه سائل، فقال: أعطني درهمين، فإني أنفعك، فأعطاه، فدار السائل على رؤساء البصرة، وقال: بكرؤا على يزيد بن عطاء، فإنه قد أعتق أبا عَوَانَة. قال: فاجتمعوا إلى يزيد، وهنؤوه، فأنف من أن ينكر ذلك، فأعتقه حقيقة.

[٤] وروى أبو عمر الضُّرير، عن أبي عَوَانَة، قال: دخلتُ على هَمَّام بن يحيى وهو مريض، أعوده، فقال لي: يا أبا عَوَانَة، ادعُ الله أن لا يُميتني حتى يبلغ ولدي الصُّغار. فقلت: إن الأجل قد فرغ منه، فقال لي: أنت بعد في ضلالك.

[٥] قلت: بشس المقال هذا، بل كلُّ شيء بقدر سابق، ولكن وإن كان الأجل قد فرغ منه، فإنَّ الدُّعاء بطول البقاء قد صح. دعا الرسول ﷺ لخادمه أنسٍ بطول العمر، والله يمحوما يشاء ويثبت. فقد يكون طولُ العمر في علم الله مشروطاً بدعاء مجاب، كما أنَّ طيرانَ العمر قد يكون بأسباب جعلها من جور وعسف، ولا يردُّ

(١) انظر السير: ٢١٧/٨ - ٢٢٢.

القضاء إلا الدعاء». والكتاب الأول، فلا يتغير.
مات في سنة ست وسبعين ومئة بالبصرة.

٣٧١ جعفر بن سليمان^(١)

[١] ابن علي بن حبر الأمة عبد الله بن عباس، الأمير، سيد بني هاشم أبو القاسم العباسي، ابن عم المنصور.

وكان من نبلاء الملوك جوداً وسدلاً، وشجاعة وعلماً، وجلالة، وسودداً، ولي المدينة، ثم مكة معها، ثم عزل، فولي البصرة للرشد.

مات عن ثمانين ولداً لصلبه، منهم ثلاثة وأربعون ذكراً.

وله مآثر كثيرة ووقف على المنقطعين.

قال الأصمعي: ما رأيت أكرم أخلاقاً، ولا أشرف أفعالاً منه.

ولي المدينة سنة ست وأربعين ومئة بعد عبد الله بن الربيع الحارثي.

[٢] وقال الأصمعي: ركب جعفر بن سليمان في زية عجيب من التجميل، وكان بالبصرة فقيه صالح غلب على عقله، فخرج إلى طريق جعفر، فقال له: يا جعفر انظر أي رجل تكون إذا خرجت من قبرك، وحملت على الصراط، وهذا الجمع والزبي لا يساوي غداً حبة، ولا يغنون عنك من الله شيئاً، إنك تموت وحدك، وتدخل قبرك وحدك، وتقف بين يدي الله وحدك، وتحاسب وحدك، فانظر لنفسك، فقد نصحتك.

[٣] وقال حماد بن زيد: غسلت جعفر بن سليمان، ووزرت عليه قميصه حين البسته الكفن، ثم جاء عمه عبد الصمد بتسعة أثواب ليكفنه فيها، فما كفن إلا في ثلاثة أثواب عملاً بالسنة.

وقد امتدحه جماعة، وأخذوا جوائزه.

توفي سنة أربع وسبعين ومئة.

(١) انظر السير: ٢٣٩/٨ - ٢٤١.

٣٧٢ - رابعة العدوية^(١)

- [١] البصرية، الزاهدة، العابدة، الخاشعة، أم عمرو، رابعة بنت إسماعيل.
- [٢] قال خالد بن خدّاش: سَمِعْتُ رابعةً صالِحاً المُرِّيَّ يَذْكُرُ الدُّنْيَا فِي قِصَصِهِ، فَنَادَتْهُ: يَا صَالِحُ، مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ.
- [٣] بِشْرُ بْنُ صَالِحِ الْعَتَكِيِّ، قَالَ: اسْتَأْذَنَ نَاسٌ عَلَيَّ رَابِعَةً وَمَعَهُمْ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، فَتَذَاكَرُوا عِنْدَهَا سَاعَةً، وَذَكَرُوا شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا، فَلَمَّا قَامُوا قَالَتْ لَخَادِمَتِهَا: إِذَا جَاءَ هَذَا الشَّيْخُ وَأَصْحَابُهُ، فَلَا تَأْذَنِي لَهُمْ، فَإِنِّي رَأَيْتُهُمْ يُحِبُّونَ الدُّنْيَا.
- [٤] عُبَيْسُ بْنُ مَمْيُونِ الْعَطَّارِ، حَدَّثَنِي عَبْدَةُ بْنُ أَبِي شَوَّالٍ، وَكَانَتْ تَخْدُمُ رَابِعَةَ الْعَدْوِيَّةَ، قَالَتْ: كَانَتْ رَابِعَةً تُصَلِّيُ اللَّيْلَ كُلَّهُ، فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، هَجَعَتْ هَجْعَةً حَتَّى يُسْفَرَ الْفَجْرُ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهَا تَقُولُ: يَا نَفْسُ كَمْ تَنَامِينَ، وَإِلَى كَمْ تَقُومِينَ، يُوشِكُ أَنْ تَنَامِيَ نَوْمَةً لَا تَقُومِينَ مِنْهَا إِلَّا لَيَوْمِ النُّشُورِ.
- [٥] قَالَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ: دَخَلْتُ مَعَ الثَّوْرِيِّ عَلَى رَابِعَةٍ، فَقَالَ سُفْيَانُ: وَاحْزَنَاهُ، فَقَالَتْ: لَا تَكْذِبْ، قُلْ: وَاقِلَّةَ حُزْنَاهُ.

[٦] قَالَ أَبُو سَعِيدِ بْنِ الْأَعْرَابِيِّ: أَمَّا رَابِعَةٌ، فَقَدْ حَمَلَ النَّاسُ عَنْهَا حِكْمَةً كَثِيرَةً، وَحَكِيَ عَنْهَا سُفْيَانُ وَشُعْبَةُ وَغَيْرُهُمَا مَا يَدُلُّ عَلَى بُطْلَانِ مَا قِيلَ عَنْهَا، وَقَدْ تَمَثَّلَتْ بِهِذَا:

وَلَقَدْ جَعَلْتِكِ فِي الْفَوَادِ مُحَدَّثِي وَأَبْحَثُ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي
فَنَسَبَهَا بَعْضُهُمْ إِلَى الْحُلُولِ بِنِصْفِ الْبَيْتِ، وَإِلَى الْإِبَاحَةِ بِتَمَامِهِ.
قُلْتُ: فَهَذَا غُلُوءٌ وَجَهْلٌ، وَلَعَلَّ مَنْ نَسَبَهَا إِلَى ذَلِكَ مُبَاحِيٌّ لِحُلُولِي لِيَحْتَجَّ بِهَا عَلَى كُفْرِهِ كَاحْتِجَاجِهِمْ بِخَبَرٍ: «كُنْتُ سَمِعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ».

توفيت سنة ثمانين ومائة.

(١) انظر السيرة: ٢٤١/٨ - ٢٤٣.

٣٧٣ - أما رابعة الشامية^(١)

[١] العابدة فأخرى مشهورة، أصغر من العدوية، وقد تدخل حكايات هذه في حكايات هذه، والثانية هي القائلة ما روى أحمد بن أبي الحواري عن عباس بن الوليد أنها قالت: أستغفر الله من قلة صدقي في قولي: أستغفر الله.

٣٧٤ - عبدالرحمن بن معاوية بن هشام^(٢)

[٢] ابن عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أمير الأندلس وسلطانها، أبو المطرف الأموي، المرواني، المشهور بالداخل، لأنه حين انقرضت خلافة بني أمية من الدنيا، وقتل مروان الحمار، وقامت دولة بني العباس، هرب هذا، فوجأ ودخل إلى الأندلس فتملكها.

[٣] وذلك أنه فر من مصر في آخر سنة اثنتين وثلاثين إلى أرض بركة، فبقي بها خمس سنين، ثم دخل المغرب، فنقذ موله بدرأ يتجسس له، فقال للمضريّة: لو وجدتكم رجلاً من بيت الخلافة، أكنتم تباعونه؟ قالوا: كيف لنا بذلك؟

فقال: هذا عبد الرحمن بن معاوية، فأتوه فباعوه، فتملك الأندلس ثلاثاً وثلاثين سنة، وبقي الملك في عقبه إلى سنة أربع مئة. ولم يتلقّب بالخلافة، لا هو ولا أكثر ذريته، إنما كان يُقال: الأمير فلان.

وأول من تلقّب بأمر المؤمنين منهم: الناصر لدين الله، في حدود العشرين وثلاث مئة، عندما بلغه ضعف خلفاء العصر، فقال: أنا أولى بإمرة المؤمنين.

دخل عبدالرحمن بن معاوية الأندلس في سنة ثمان وثلاثين ومولده بأرض تدمر سنة ثلاث عشرة ومئة، في خلافة جده.

[٤] قال ابن حيّان: وحين افتتح المسلمون قرطبة شاطروا أهلها كنيسة العظمى، كما فعل أبو عبيدة وخالد بأعاجم دمشق، فابتنوا فيه مسجداً، وبقي الشطر بأيدي

(١) انظر السير: ٢٤٣/٨ - ٢٤٤.

(٢) انظر السير: ٢٤٤/٨ - ٢٥٣.

الروم إلى أن كثرت عِمارة قُرطبة، وتداولتها بُعوث العرب، فضاق المسجد وعُلِق منه سقائفٌ، وصار الناس ينالون مشقة لِقصر السقائف إلى أن أذخر الله فيه الأجر لصحيفة الدّاخل، وابتاع الشّطر الثّاني من النصارى بمئة ألف دينار، وقبضوها على ملأ من الناس، ورضوا بعد تمّنع، وعمل هذا الجامع الذي هو فخر الأرض، وشرفها من مال الأحماس، وكمل على مراده، وكان تأسيسه في سنة سبعين ومئة، فتّمت أسواره في عام. وبلغ الإنفاق فيه إلى ثمانين ألف دينار.

[١] وأما الإسلام فكان عزيزاً منيعاً بالأندلس في دولة الدّاخل، فانظر إلى هذا الأمان الذي كتب عنه للنصارى:

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابُ أمانٍ ورحمة، وحقن دماء وعصمة، عقده الأميرُ الأكرمُ الملكُ المعظمُ عبدُ الرحمن بن معاوية، ذو الشرف الصميم، والخير العميم، للبطارقة والرهبان، ومن تبعهم من سائر البلدان، أهل قشتالة وأعمالها، ما داموا على الطاعة في أداء ما تحمّلوه، فأشهد على نفسه أن عهده لا يُنسخ ما أقاموا على تأدية عشرة آلاف أوقية من الذهب، وعشرة آلاف رطل من الفضة، وعشرة آلاف رأسٍ من خيار الخيل، ومثلها من البغال، مع ذلك ألف درع وألف بيضة، ومن الرّماح الدّرदार مثلها في كل عام، ومتى ثبت عليهم النكثُ بأسير يأسرونه، أو مسلمٍ يغدرُونه، انتكث ما عوّهوا عليه، كتب لهم هذا الأمانُ بأيديهم إلى خمس سنين، أولها صفر عام اثنين وأربعين ومئة.

وقال أبو المظفر الأبيوردي في أخبار بني أمية: كان الناس يقولون: ملك الأرض ابنا بربريتين - يعني عبد الرحمن والمنصور.

وكان المنصور يقول عن عبد الرحمن بن معاوية: ذاك صقر قريش، دخل المغرب وقد قُتل قومه، فلم يزل يضرب العدنانية بالقحطانية حتى ملك. وقال سعيد بن عثمان اللغوي المتوفى سنة أربع مئة: كانت بقرطبة جنة اتخذها عبد الرحمن بن معاوية، كان فيها نخلة أدركتها.

وغزا عدة غزوات .

من ذلك : غزوة قشتالة ، جاز إليها من نهر طُليطلة ، وفُرت الرومُ أمامه ، وتعلّقت بالحبال ، فلم يزل حتى وصل مدينة برنيقة ، من مملكة قشتالة ، فنزل عليها ، وأمر برفع الخيام ، وشرع في البناء ، وأخذ الناسُ يبنون ، فسلموا إليه بالأمان عند إياسهم من النجدة ، وخرجوا بشبابهم فقط ، وما يزودهم ، ثم كتب لأهل قشتالة ذلك الأمان الذي تقدّم ، وهو بخط الوزير بشر بن سعيد الغافقي .

[١] ولما صفا الأمر لعبد الرحمن بعد مقتل عثمان بن حمزة ، من ولد عمر بن الخطاب ، وذلك بعد سبعة أعوامٍ من تمنّعه بطليطلة ، عظم سلطانه ، وامتدّت أيامه وعاش ستين سنة ، ثم توفي سنة اثنتين وسبعين ومئة ، وأيست بنو العبّاس من مملكة الأندلس لبعْد الشُّقة .

٣٧٥ - هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (١)

[٢] الأمير أبو الوليد المرواني ، بُويِعَ بالملك بالأندلس عند موت والده ، سنة اثنتين وسبعين ، وعمّره إذ ذاك ثلاثون سنة ، فإنه وُلِدَ بالأندلس ، وكان دِيناً ورِعاً يشهدُ الجنائز ، ويعودُ المرضى ، ويعدّلُ في الرعية ، ويكثر الصدقات ، ويتعاهدُ المساكين ، وأمه أم ولد ، اسمها حوراء .

ولما احتضِرَ ، عهدَ بالأمر إلى ولده الحكم .

ومات في سنة ثمانين ومئة ، وله سبع وثلاثون سنة ، رحمه الله .

٣٧٦ - الحكم بن هشام (٢)

[٣] ابن الداخل عبد الرحمن بن معاوية ، ويلقب بالمرتضى .

بُويِعَ بالملك ، عند موت أبيه في صفر سنة ثمانين ومئة .

(١) انظر السير : ٢٥٣/٨ .

(٢) انظر السير : ٢٥٣/٨ - ٢٦٠ .

وكان من جَبَابرة الملوك، وفُسَّاقهم، ومُتَمَرِّديهم، وكان فارساً شجاعاً، فاتكاً، ذا دهاء وحزمٍ وعُتُوٍّ وظُلم، تملَّك سبعةً وعشرين سنة.

وكان في أول أمره على سيرة حميدة، تلافيها أباه، ثم تَغَيَّر، وتجاهر بالمعاصي. قال أبو محمد بن حزم: كان من المجاهرين بالمعاصي، سَفْكَاً للدماء، كان يأخذ أولاد الناس المِلاح، فيخصيهم ويُمسِكهم لِنَفْسِهِ.

[١] قال الِيسع بنُ حزم: همت الرومُ بما لم ينالوا من طلب الثُّغور، فنكثوا العهد، فتجهَّزَ الحكم إليهم حتى جاز جبل السَّارة - شِمالي طُلَيْطَلَة - ففَرَّت الرومُ أمامه حتى تَجَمَّعوا بِسَمُورَة، فلما التقى الجَمعان، نزل النصرُ، وانهزم الكفر، وتحصَّنوا منه بمدينة سَمُورَة، وهي كبيرة جداً، فحصرها المسلمون بالمجانيق، حتى افتتحوها عنوةً، وملكوا أكثر شوارعها، واشتغل الجندُ بالغنائم، وانضمت الروم إلى جهة من البلد، وخرجوا على حِمِيَّة فقتلوا خلقاً في خروجهم، فكانت غزوته من أعظم المغازي لولا ما طرأ فيها من تضييع الحزم، ورامت الروم السلم، فأبى عليهم الحكم، ثم خرج من بلادهم خوفاً من الثُّلوج، فلما كان العام الآتي استعدَّ أعظم استعداد، وقصد سَمُورَة، فقتل وسبى كُلَّ ما مرَّ به، ثم نازلها شهرين، ثم دخلوها بعد جهد، وبذلوا فيها السيف إلى المساء، ثم انحاز المسلمون فباتوا على أسوارها، ثم صبَّحوها من الغد لا يُبقون على محتلم.

قال الرازي في «مغازي الأندلس»: الذي أُحصي ممن قُتل في سَمُورَة ثلاث مئة ألف نفس، فلما بلغ الخبر ملك رومية، كتب إلى الحكم يرغب في الأمان، فوضع الحكم على الروم ما كان جدُّه وَضَعَ عليهم، وزاد عليهم أن يجلبوا من تراب مدينة رومية نفسها ما يُصنع به أكوام بشرقي قرطبة صغاراً لهم، وإِعلاءً لمنار الإسلام، فهما كومان من التُّراب الأحمر في بسيط مدرتها السوداء.

[٢] قُلْتُ: وكثرت العلماء بالأندلس في دولته، حتى قيل: إنه كان بِقُرطبة أربعة آلاف مُتَقَلِّس متزيِّين بِزِيِّ العلماء، فلما أراد الله فناءهم، عزَّ عليهم انتهاك الحكم للحرَمات، واثتمروا ليخلعوه، ثم جَيشوا لقتاله، وجَرَّت بالأندلس فتنة عظيمة على

الإسلام وأهله، فلا قوة إلا بالله، فذكر ابن مزين في تاريخه طالوت بن عبد الجبار المعافري، وأنه أحد العلماء العاملين الشهداء الذين همُّوا بخلع الحكم، وقالوا: إنه غير عدل ونكثوه في نفوس العوام، وزعموا أنه لا يحلُّ المكث ولا الصبر على هذه السيرة الذميمة، وعوّلوا على تقديم أحد أهل الشورى بقرطبة، وهو أبو الشّماس أحمد بن المنذر بن الداخل الأموي ابن عم الحكم. لما عرفوا من صلاحه، وعقله ودينه، فقصدوه وعرفوه بالأمر، فأبدى الميل إليهم، والبُشرى بهم، وقال لهم: أنتم أضيافي الليلة، فإنَّ الليل أستر، وناموا، وقام هو إلى ابن عمه بجهلٍ، فأخبره بشأنهم، فاغتاظ لذلك، وقال: جئت لسفك دمي أو دمائهم، وهم أعلامٌ، فمن أين نتوصل إلى ما ذكرت؟ فقال: أرسل معي من تثقُّ به ليتحقق، فوجّه من أحب، فأدخلهم أحمد في بيته تحت ستر، ودخل الليل، وجاء القوم، فقال: خبروني من معكم؟ فقالوا: فلانُ الفقيه، وفلان الوزير، وعدُّوا كباراً، والكتاب يكتب حتى امتلأ الرُّق، فمدَّ أحدهم يده وراء الستر، فرأى القوم، فقام وقاموا، وقالوا: فعلتها يا عدُوَّ الله، فمن فرَّ لحينه، نجا ومن لا، قُبِض عليه، فكان ممن فرَّ عيسى بن دينار الفقيه، ويحيى بن يحيى الفقيه صاحب مالِك، وقرعُونس بن العباس الثقفي.

وقُبِض على ناسٍ كأبي كعب، وأخيه، ومالك بن يزيد القاضي، وموسى بن سالم الخولاني، ويحيى بن مُضر الفقيه، وأمثالهم من أهل العلم والدين، في سبعة وسبعين رجلاً، فُضِرَت أعناقهم، وصُلِبُوا.

وأضاف إليهم عمّيه كليلاً، وأمّية، فضليلاً، وأحرق القلوب عليهم، وسار بأمرهم الرِّفاق، وعلم الحكم أنه محقود من الناس كلّهم، فأخذ في جمع الجنود والحشم وتهياً، وأخذت العامة في الهيج، واستأسد الناس، وتنمَّروا، وتأهبوا، فاتفق أن مملوكاً خرج من القصر بسيف دَفَعَه إلى الصَّيقل، فمأطله، فسبّه، فجأوبه الصَّيقل فتضارباً ونال منه المملوك، حتى كاد أن يُتلفه، فلما تركه، أخذ الصَّيقل السيف فقتل به المملوك، فتألَّب إلى المقتول جماعة، وإلى القاتل

جماعة أخرى، واستفحل الشرُّ، وذلك في رمضان سنة اثنتين ومئتين، وتداعى أهل قرطبة من أرباضهم، وتألَّبوا بالسلاح، وقصدوا القصر، فركب الجيش والإمام الحكم، فهزموا العامة، وجاءهم عسكر من خلفهم، فوضعوا فيهم السيف، وكانت وقعة هائلة شنيعة، مضى فيها عددٌ كثيرٌ زهاء عن أربعين ألفاً من أهل الرِّض، وعانوا البلاء من قدامهم ومن خلفهم فتداعوا بالطاعة، وأذعنوا ولاذوا بالعفو، فغفا عنهم على أن يخرجوا من قرطبة، ففعلوا وهُدِّمت ديارهم ومساجدهم.

مات الحكم سنة ست ومئتين، وله ثلاث وخمسون سنة، وولي الأندلس بعده ابنه أبو المطرّف عبدالرحمن، فلنذكره.

٣٧٧ - عبد الرحمن بن الحكم بن هشام^(١)

[١] ابن الداخل، أمير الأندلس، أبو المطرّف المرواني، بُويع بعد والده في آخر سنة ست ومئتين، فامتدت أيامه، وكان وادعاً حسن السيرة، لين الجانب، قليل الغزو، غلبت المشركون في دولته على إشبيلية، ولكن الله سلّم.

[٢] كتب إليه عبد الملك بن حبيب الفقيه يُحرّضه على بناء سور إشبيلية، يقول له: حَقْنُ دمائ المسلمين - أيدك الله، وأعلى يدك بابتناء السور - أحقُّ وأولى. فأخذ برأيه.

[٣] فلما كانت سنة ثلاثين ومئتين طرق المجوسُ الأردمانيون^(٢) إشبيلية في ثمانين مركباً في الوادي، فصادفوا أهلها على غرارة بمطاوله أمد الأمان لهم مع قلة خبرتهم بحربهم، فطلعوا من المراكب، وقد لاح لهم خورٌ من أهلها، فقاتلُوهم، وقوّوا على المسلمين، ووضعوا السيف فيهم، وملكوا إشبيلية بعد القتل الذريع في أهلها حتى في النساء والبهائم، وأقاموا بها سبعة أيام، فورد الخبرُ على الخليفة عبدالرحمن بن

(١) انظر السير: ٢٦٠/٨ - ٢٦١.

(٢) هم التورمان، كانوا يغيرون على الأندلس من المنافذ النهرية، وسَمَّاهم المسلمون «المجوس» لأنهم كانوا يشعلون النيران كثيراً، فظن المسلمون أنهم يعبدونها. انظر ابن عذاري ١٣٠/٢.

الحكم، فاستنفر جيشه وبعث بهم إلى إشبيلية فحلّوا بالشرق، ووقع القتال، واشتدَّ الخطبُ، وانتصر المسلمون، واستحرَّ القتلُ بالملاعين حتى فني جمع الكفرة، لعنهم الله، وحرّق المسلمون ثلاثين مركباً من مراكبهم، فكان بين دخولهم إلى إشبيلية وهروبهم عنها ثلاثة وأربعون يوماً. وهذا كان السبب في بناء سور واديها. ومات في سنة ثمان وثلاثين ومئتين.

٣٧٨ - محمد بن عبد الرحمن بن الحكم^(١)

[١] صاحبُ الأندلس، أبو عبد الله الأمويُّ المروانيُّ.
[٢] كان محباً للعلم، مؤثراً لأصحاب الحديث، مُكرماً لهم، حسنَ السيرة، وهو الذي نصر بقيّ بن مخلد الحافظ على أهل الرأي.
[٣] قال بقيّ: ما كلمتُ أحداً من الملوك أكملَ عقلاً، ولا أبلغَ لفظاً من الأمير محمد، ولقد دخلتُ عليه يوماً في مجلس خلافته، فافتتح الكلام بحمد الله، والصلاة على نبيّه، ثم ذكر الخلفاء، فحلّى كلَّ واحد بحليته وصفته، وذكر مآثره بأفصح لسان حتى انتهى إلى نفسه، فحمد الله على ما قدره، ثم سكت.
قلت: رأى مصنف أبي بكر بن أبي شيبة، إذ نازع أهل الرأي بقيّ بن مخلد فأمر بنسخه، وقال: لا تستغني خزانتنا عن هذا.
وكان ذا رأي وحزم وشجاعة وإقدام.

بويق عند موت والده في سنة ثمان وثلاثين، وله إحدى وثلاثون سنة وذلك بعهد من والده، وأمّه: أم ولد.
وامتدّت دولته، وقيل: إنه كان يتوغّل في بلاد الروم، ويبقى في الغزوالسنة وأكثر.

[٤] قال أبو المظفر بن الجوزي: هو صاحب وقعة سَليط^(٢). وهي ملحمة مشهورة

(١) انظر السير: ٢٦٢/٨ - ٢٦٣.

(٢) انظر «الكامل» لابن الأثير ٧٣/٧، ٧٤، و«نفح الطيب» ١/٣٥٠.

لم يُعهد قبلها بالأندلس مثلها، يُقال: قتل فيها ثلاث مئة ألف كافر. وهذا شيء لم نسمع بمثله. قال: وللشعراء فيه مدائح كثيرة.
قلت: مات في سنة ثلاث وسبعين ومئتين عن أربع وستين سنة - رحمه الله.

٣٧٩ - المنذر بن محمد بن عبدالرحمن بن الحكم^(١)

[١] أبو الحكم المرواني، صاحب الأندلس، تملك بعد والده، فكانت دولته سنتين، فمات وهو يحاصر عمر بن حفصون، رأس الخوارج بالأندلس. وكان هذا بدوياً يجلب السمك بالأندلس، قال به الأمر إلى أن كثر جمعه، واستولى على جماعة حصون.

مات المنذر في سنة خمس وسبعين ومئتين، وله ست وأربعون سنة.

٣٨٠ - عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن^(٢)

[٢] الأمير أبو محمد المرواني، أخو المنذر. تملك الأندلس بعد أخيه، وامتدت أيامه. وكان أسن من أخيه بعام، وكان ليناً وادعاً، يحب العافية. فقام عليه في كل قطر من الأندلس مُتَغَلِّبٌ، وتناقص أمر المروانية في دولته.

[٣] وقال محمد بن وضاح: كان عبد الله الأمير من الصالحين المتقين العالمين، روى العلم كثيراً، وطالع الرأي، وأبصر الحديث، وحفظ القرآن، وتفقه، وأكثر الصوم، وكان يلتزم الصلوات في الجامع، فيمر بالصف، فيقوم الناس له، فكتب إليه سعيد بن حمير: أيها الإمام أنت من المتقين، وإنما يقوم الناس لرب العالمين، فلا ترض من رعيتك بغير الصواب، فإن العزة لله جميعاً، فأمر العامة بترك ذلك فلم ينتهوا، فحينئذ ابنتى السبابط طريقاً مشهوراً من قصره إلى المقصورة.

(١) انظر السير: ٢٦٣/٨ - ٢٦٤.

(٢) انظر السير: ٢٦٤/٨ - ٢٦٥.

قال اليسع بن حزم: استضعفت دولة بني أمية، وقام ابن حفصون، وكان نصراني الأصل، فأسلم وتنصع^(١) وألب وحشد، وصارت الأندلس شعلة تضرم ولم يبق لبني أمية منبر يخطب فيه إلا منبر قرطبة، والغارات تثن عليها حتى قام عبدالرحمن الناصر، فتراجع الأمر.

مات عبد الله في سنة ثلاث مئة، وله اثنتان وسبعون سنة.

٣٨١ - عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله^(٢)

[١] سلطان الأندلس، المدعو: أمير المؤمنين، الناصر لدين الله، أبو المطرف الأموي المرواني.

وكان شهماً صارماً.

[٢] وكل من تقدم من آبائه لم يتسم أحد منهم بإمرة المؤمنين، وإنما كانوا يخاطبون بالإمارة فقط، وفعل مثلهم عبدالرحمن إلى السنة السابعة والعشرين من ولايته، فلما بلغه ضعف الخلافة بالعراق، وظهور الشيعة العبيدية بالقيروان، رأى أنه أحق بإمرة المؤمنين، ولم يزل منذ ولي الأندلس يستنزل المتغلبين حتى صارت المملكة كلها في طاعته، وأكثر بلاد العدو، وأخاف ملوك الطوائف حوله.

[٣] وابتدأ ببناء مدينة الزهراء في أول سنة خمس وعشرين وثلاث مئة فكان يقسم دخل مملكته أثلاثاً: ثلث يرصده للجند، وثلث يدخره في بيت المال وثلث ينفقه في الزهراء.

[٤] ولم يزل عبدالرحمن يغزو حتى أقام العوج، ومهد البلاد، ووضع العدل، وكثر الأمن، ثم بعث جيشاً إلى المغرب، فغزا برغواطة بناحية سلا^(٣)، ولم تزل كلمته نافذة، وسجل ماسية^(٤)، وجميع بلاد القبلة، وقتل ابن حفصون.

(١) تنصع: أي تشبه بالنصحاء. والتنصع: كثرة النصح، ومنه قول أكنم بن صيفي: إياكم والتنصع فإنه يورث التهمة.

(٢) انظر السير: ٢٦٥/٨ - ٢٦٩.

(٣) مدينة بالمغرب على ساحل المحيط الأطلسي، قرب المعمورة وبقرها برغواطة.

(٤) مدينة داخلية في جنوب المغرب بينها وبين فاس عشرة أيام.

[١] وصارت الأندلس أقوى ما كانت وأحسنها حالاً، وصفا وجهه للروم، وشن الغارات على العدو، وغزا بنفسه بلاد الروم اثنتي عشرة غزوة ودوَّخهم، ووضع عليهم الخراج، ودانت له ملوكها، فكان فيما شرط عليهم اثنا عشر ألف رجل يصنعون في بناء الزهراء التي أقامها لسكناءه على فرسخ من قرطبة.

[٢] وساق إليها أنهاراً، ونقَّب لها الجبل، وأنشأها مدورة، وعدة أبراجها ثلاث مئة بُرج، وشرفاتها من حجر واحد، وقسمها أثلاثاً، فالثلث المسند إلى الجبل قصوره، والثلث الثاني دور الممالك والخدم، وكانوا اثني عشر ألفاً بمناطق الذهب، يركبون لركوبه، والثلث الثالث بساتين تحت القصور. وعمل مجلساً مشرفاً على البساتين، صَفَحَ عُمْدَه بالذهب، ورصَّعه بالياقوت والزُّمُرْد، واللؤلؤ، وفرشه بمنقوش الرُّخام، وصنع قَدَّامه بحيرة مستديرة ملاًها زئبقاً، فكان النورُ ينعكس منه إلى المجلس، فدخل عليه قاضيه، منذرُ بن سعيد البلوطي، فوقف وقرأ ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ﴾ الآية [الزخرف ٣٣، ٣٤].

فقال: وعظت أبا الحكم، ثم قام عن المجلس، وأمر بنزع الذهب والجواهر. ويقال: إن بناء الزهراء أكمل في اثنتي عشرة سنة، بألف بناء في اليوم، مع البناء اثنا عشر فاعلاً.

توفي سنة خمسين وثلاث مئة، رحمه الله.

٣٨٢ الحكم بن عبد الرحمن بن محمد^(١)

[٣] أمير المؤمنين بالأندلس، أبو العاص، المستنصر بالله بن الناصر الأموي المرواني.

[٤] وكان حسن السيرة، جامعاً للعلم، مكرماً للأفاضل، كبير القدر، ذا نَهْمَةٍ مُفْرِطَةٍ في العلم والفضائل، عاكفاً على المطالعة.

(١) انظر السير: ٢٦٩/٨ - ٢٧١.

[١] جمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من الملوك، لا قبله ولا بعده، وتطلبها، وبذل في أثمانها الأموال، واشتريت له من البلاد البعيدة بأعلى الأثمان، مع صفاء السريرة والعقل والكرم، وتقريب العلماء.

[٢] ولقد ضاقت خزائنه بالكتب إلى أن صارت إليه، وآثرها على لذات الملوك، فغَزَرَ علمه، ودقَّ نظره، وكان له يدٌ بيضاء في معرفة الرجال والأنساب، والأخبار، وقلمًا تجدُّ له كتاباً إلا وله فيه قراءة أو نظر، من أي فن كان. ويكتب فيه نسب المؤلف، ومولده ووفاته، ويأتي من ذلك بغرائب لا تكادُ تُوجد.

[٣] ومن محاسنه أنه شدد في مملكته في إبطال الخمر تشديداً عظيماً.

[٤] وفي دولة الحكم هَمَّتِ الرومُ بأخذ مواضع من الثغور، فقواها بالمال والجيش، وغزا بنفسه، وزاد في القطيعة على الروم، وأذلَّهم. وكان موته بالفالاج سنة ست وستين وثلاث مئة.

٣٨٣ - هُشِيم (ع)^(١)

[٥] ابنُ بَشِير بن أبي خازم. واسمُ أبي خازم قاسمُ بن دينار، الإمام، شيخُ الإسلام، محدِّث بغداد، وحافظُها، أبو معاوية السَّلْمِي، مولا هم الواسِطِي ولد سنة أربع ومئة.

سكن بغداد، ونشر بها العلم، وصنف التَّصانيف.

قلتُ: كان رأساً في الحفظ إلا أنه صاحبُ تدليسٍ كثيرٍ، قد عرف بذلك.

[٦] قال إبراهيم الحربي: كان والدُ هُشِيم صاحبَ صِحْناء^(٢) وكَاَمَخٍ، فكان يمنع هُشِيماً من الطلب، فكتب العلم حتى ناظر أبا شيبة القاضي، وجالسه في الفقه. قال: فمرض هُشِيم، فجاء أبو شيبة يعوده، فمضى رجل إلى بشير، فقال: الحق ابنك، فقد جاء القاضي يعوده، فجاء فوجد القاضي في داره، فقال: متى أملتُ أنا

(١) انظر السير: ٢٨٧/٨ - ٢٩٤.

(٢) الصحناء: بكسر الصاد: إدام يتخذ من السمك يمد ويقصر، والكامخ: ما يؤتد به، أو المخلات المشهية، والكلمتان معربتان.

هذا، قد كنتُ يا بني أمنئكَ، أما اليوم فلا بقيتُ أمنئكَ.

[١] قال أحمد بن حنبل: لزمْتُ هُشيمًا أربعَ سنين، أو خمسًا، ما سألتُهُ عن شيءٍ، إلا مرتين هيبَةً له، وكان كثيرَ التسبيحِ بينَ الحديث، يقولُ بينَ ذلك: لا إله إلا الله، يمدُّ بها صوتُهُ.

[٢] قال ابن أبي الدنيا: حدثني من سمع عمرو بن عَون يقول: مَكَثَ هُشيمٌ يصليَ الفجرَ بوضوءِ العشاء قبل أن يموتَ عشرين سنةً.

[٣] قال يحيى بن أيوب العابد: سمعتُ نَصْرَ بنَ بَسَّامٍ وغيره من أصحابنا، قالوا: أتينا معروفًا الكرخيَّ، فقال: رأيتُ النبي ﷺ في المنام وهو يقول لهُشيم: جزاكُ الله عن أمتي خيرًا، فقلتُ لمعروف: أنتَ رأيتَ؟ قال: نعم، هُشيمٌ خيرٌ مما نَظُن.

٣٨٤ - يزيد بن زُرَّيع (ع)^(١)

[٤] الحافظُ المَجُودُ، محدِّثُ البصرة مع حمَّاد بن زيد، وعبد الوارث، ومُعْتَمِر، وعبد الواحد بن زياد، وجعفر بن سليمان، وهيب بن خالد، وخالد بن الحارث، وبشر بن المفضل، وإسماعيل بن عُلَيَّة، فهؤلاء العشرة كانوا في زمانهم أئمةَ الحديث بالبصرة.

يكنى يزيد أبا معاوية العيشي البصري.

قال أحمد بن حنبل: كان ريحانةَ البصرة، ما أتقَنَه، وما أحفظَه، وقال أبو حاتم الرازي: ثقة، إمام.

قُلْتُ: وكان صاحبَ سنةٍ واتباع.

[٥] قال نَصْر بنُ علي الجَهضمي: رأيتُ يزيد بنَ زُرَّيع في المنام، فقلتُ: ما فعل الله بك؟ قال: أَدخلْتُ الجنةَ. قُلْتُ: بماذا؟ قال: بكثرةِ الصلاةِ. مولده: في سنة إحدى ومئة. ومات في سنة اثنتين وثمانين ومئة.

(١) انظر السير: ٢٩٦/٨ - ٢٩٩.

وكان من أروع أهل زمانه .

[١] مات أبوه، وكان والياً على الأبلّة، فخلف خمس مئة ألف، فما أخذ منها حبة، رحمه الله .

٣٨٥ - إسماعيل بن عيَّاش (د، ت، س، ق) (١)

[٢] ابنُ سليم، الحافظ الإمام محدث الشام، بقیةُ الأعلام، أبو عُتْبَة، الحمصيّ العنسي، مولا هم، ولد سنة ثمان ومئة .

وكان من بحور العلم، صادق اللهجة، متين الديانة، صاحب سنة واتِّباع، وجلالة ووقار .

[٣] عن أبي اليمان قال: كان منزَّل إسماعيلَ إلى جانب منزلي، فكان يُحیی الليل، وكان ربّما قرأ، ثم يقطع، ثم رجع، فقرأ من الموضع الذي قطع منه، فلقيته يوماً، فقلت: يا عم، قد رأيتُ منك في القراءة كَيْتَ وكَيْتَ، قال: يا بني، وما سؤالك؟ لَنْتُ . أريد أن أعلم . قال: يا بنيّ إني أصلي، فأقرأ، فأذكر الحديث في الباب من الأبواب التي أخرجتها، فأقطع الصلاة، فأكتبه فيه، ثم أرجع إلى صلاتي، فأبتدئ من الموضع الذي قطعتُ منه .

[٤] عن يحيى الوُحَاظي: ما رأيتُ رجلاً كان أكبرَ نفساً من إسماعيلَ بن عيَّاش، كُنّا إذا أتيناَه إلى مزرعته لا يرضى لنا إلا بالخروف والخبيص، سمعته يقول: ورثتُ من أبي أربعة آلاف دينار، فأنفقتها في طلب العلم .

[٥] عبد الله بن أحمد بن حنبل: قال أبي لداودَ بن عمرو، وأنا أسمع: يا أبا سليمان كان إسماعيلُ بن عيَّاش يُحدِّثكم هذه الأحاديث حفظاً؟ قال: نعم، ما رأيتُ معه كتاباً قط، فقال: لقد كان حافظاً، كم كان يحفظ؟ قال: شيئاً كثيراً . قال له: كان يحفظ عشرة آلاف؟ قال: عشرة آلاف وعشرة آلاف، وعشرة آلاف . قال أبي: هذا كان مثل وكيع .

(١) انظر السير: ٣٢٨-٣١٢/٨ .

[١] قال يعقوب بن شيبه: إسماعيل ثقة عند يحيى بن معين وأصحابنا، فيما روى عن الشاميين خاصة، وفي روايته عن أهل العراق وأهل المدينة اضطرابٌ كثير، وكان عالماً بناحيته.

[٢] وقال البخاري: إذا حدث عن أهل بلده فصحيحٌ، وإذا حدث عن غيرهم ففيه نظر.

ولد سنة ست ومئة.

وأما وفاة إسماعيل، ففي سنة إحدى وثمانين ومئة.

٣٨٦ - ابن السَّمَاك^(١)

[٣] الزاهد، القدوة، سيّد الوعاظ، أبو العباس محمد بن صبيح العجلي، مولاهم الكوفي، ابن السَّمَاك.

[٤] وهو القائل: كم من شيء إذا لم ينفع لم يضر، لكن العلم إذا لم ينفع، ضرّ.
[٥] قيل: وعظ مرة، فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ لك بين يدي الله مقاماً، وإنه لك من مقامك مُنصرفاً، فانظر إلى أين تكون، فبكي الرشيد كثيراً.

[٦] قيل: دخل ابن السَّمَاك على رئيس في شفاعة لفقيه. فقال: إنِّي أتيتك في حاجة، والطالب والمعطي عزيزان إن قُضيت الحاجة، وذليلان إن لم تُقضَ، فاختر لنفسك عزّ البذل عن ذلّ المنع، وعزّ النّجح عن ذلّ الرّد.

[٧] وعنه قال: همّة العاقل في النجاة والهَرَب، وهمّة الأحمق في اللهو والطرب عجباً لعين تَلدُّ بالرقاد، وملّك الموت معها على الوساد، حتى متى يُبلّغنا الوعاظ أعلام الآخرة، حتى كأن النفوس عليها واقفة، والعيون ناظرة، أفلا متنبّه من نومته، أو مستيقظ من غفلته، ومُفَيّق من سكرته، وخائف من صرعته، كدحاً للدنيا كدحاً، أما تجعل للآخر منك حظاً، أقسم بالله، لو رأيت القيامة تحفّق بأهوالها، والنار

(١) انظر السير: ٣٢٨/٨ - ٣٣٠.

مشرفةً على آلهاء، وقد وُضِعَ الكتابُ، وجيء بالنبيين والشهداء، لسرَّكَ أن يكون لك في ذلك الجمع منزلةً، أبعد الدنيا دارُ معتمَل، أم إلى غير الآخرة مُنتقل؟ هيهات ولكن صُمِّتَ الآذان عن المواعظ، وذَهَلَتِ القلوبُ عن المنافع، فلا الواعظُ ينتفع، ولا السامعُ ينتفع.

[١] وعنه: الدُّنيا كلها قليلٌ، والذي بقي منها قليلٌ، والذي لك من الباقي قليلٌ، ولم يبقَ من قليلِكَ إلا قليلٌ، وقد أصبحت في دار العزاء، وغداً تصير إلى دار الجزاء، فاشترِ نفسك لعلَّكَ تنجو. توفي ابنُ السَّمَّاء سنة ثلاث وثمانين ومئة، وقد أَسَنَّ.

٣٨٧ - سيبويه^(١)

[٢] إمامُ النحْو، حجةُ العرب، أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي، ثم البصري.

وقد طلب الفقه والحديث مدَّة، ثم أقبل على العربية، فبرَّع وساد أهل العصر، وألَّف فيها كتابه الكبير الذي لا يُدرَك شأؤه فيه.

استملى على حمَّاد بن سلمة، وأخذ النحْو عن عيسى بن عُمر، ويونس بن حبيب، والخليل، وأبي الخطاب الأَخفش الكبير.

[٣] وقد جمع يحيى البرمكي ببغداد بينه وبين الكسائي للمناظرة، بحضور سعيد الأَخفش، والفراء، وجرت مسألة الزُّنُور، وهي كذب: أَظُنُّ الزُّنُورَ أَشَدَّ لَسْعاً من النَّحْلَةِ فإذا هُوَ إِيَّاهَا. فقال سيبويه: ليس المثل كذا، بل: فإذا هُوَ هي، وتشاجرا طويلاً، وتعصبوا للكسائي دونه، ثم وصله يحيى بعشرة آلاف، فسار إلى بلاد فارس، فاتفق موته بشيرارَ فيما قيل.

وقيل: كان فيه مع فَرط ذكائه حُبسةٌ في عبارته، وانطلاقٌ في قلمه.

(١) انظر السير: ٣٥١/٨ - ٣٥٢.

قال إبراهيم الحربي: سمي سيبويه، لأن وجنتيه كانتا كالتفاحتين، بديع الحسن.

وقال العيشي: كنا نجلس مع سيبويه في المسجد، وكان شاباً جميلاً نظيفاً، قد تعلّق من كل علم بسبب، وضرب بسهم في كل أدب مع حداثة سنّه. وقيل: عاش اثنتين وثلاثين سنة، وقيل: نحو الأربعين. قيل: مات سنة ثمانين ومئة.

٣٨٨ - إسماعيل بن صالح^(١)

[١] ابن علي، الهاشمي العباسي، نائب مصر، ثم حلب. وله ذرية بحلب. وكان يصلح للخلافة.

[٢] قال سعيد بن غفير: ما رأيت أخطب منه على هذه الأعواد، كان جامعاً لكل سُؤدد، ويعرف الفلسفة، وضرب العود، والنجوم. قلت: علّمه هذا الجهل خير منه.

[٣] وكان مليح النظم، وكان الرشيد يحترمه، وتحيل عليه حتى ضرب له بالعود: فوصله بجوهر ثمنه ثلاثون ألف دينار، وولاه مصر، وعقد له اللواء بيده، فوليها ست سنين.

وعاش إلى حدود سنة تسعين ومئة.

٣٨٩ - بشر بن منصور (م، د، س)^(٢)

[٤] الإمام المحدث الرباني القدوة، أبو محمد الأزدي السلمي، البصري، الزاهد.

قال ابن مهدي: ما رأيت أحداً أقدمه عليه في الورع والرقّة.

(١) انظر السير: ٣٥٨/٨ - ٣٥٩.

(٢) انظر السير: ٣٥٩/٨ - ٣٦٢.

[١] قال علي بن المديني : ما رأيتُ أخوفَ لله منه . كان يُصلي كل يوم خمس مئة ركعة . وقال القواريري : هو أفضل من رأيتُ من المشايخ .
وقال الإمام أحمد : هو ثقةٌ وزيادة .

[٢] قال ابن المديني : حفر قبره ، وختم فيه القرآن ، وكان وردُهُ ثلث القرآن .

[٣] قال غسان : حدثني ابنُ أخِي بشر ، قال : ما رأيتُ عمي فاتتَهُ التكبيرُ الأولى .

[٤] قال غسان : وكنت أراه إذا زاره الرجل من إخوانه ، قام معه حتى يأخذَ بركابه ، وفعل بي ذلك كثيراً .

[٥] بشر بن المفضل ، قال : رأيتُ بشر بن منصور في المنام ، فقلت : ما صنعَ الله بك ؟ قال : وجدتُ الأمرَ أهونَ مما كنتُ أحملُ على نفسي .

قلتُ : توفي هذا الإمام رحمة الله عليه ، في سنة ثمانين ومئة ، وله نيف وسبعون سنةً .

٣٩٠ - العُمريُّ^(١)

[٦] الإمام القدوة الزاهد العابد ، أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله ابن صاحب رسول الله ﷺ عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي العُمريُّ المدني .

[٧] وهو قليل الرواية ، مشغل بنفسه ، قوَالٌ بالحق ، أمارٌ بالعرف ، لا تأخذه في الله لومة لائم . كان يُنكرُ على مالك الإمام اجتماعه بالدولة .

[٨] علي بن حرب ، عن أبيه قال : مَضَى الرشيد على حمار ، ومعه غلام إلى العُمري ، فوعظه ، فبكى ، وغُشي عليه .

[٩] قال ابنُ أبي أويس : كتب العُمريُّ إلى مالك ، وابن أبي ذئب ، وغيرهما بكتبٍ أغلظ لهم فيها ، وقال : أنتم علماء تميلون إلى الدنيا ، وتلبسون اللين ، وتدعون التَّقشُّف . فجأوبه ابنُ أبي ذئب بكتابٍ أغلظ له . وجأوبه مالك جوابَ فقيه .

(١) انظر السير : ٣٧٣/٨ - ٣٧٨ .

[١] قال مُصعب الزُّبيري: كان العُمري أَصْفَرَ جَسِيماً، لم يكن يقبلُ من السلطان ولا غيره، ومن وَلِيٍّ من أَقاربه ومعارفه لا يُكلمه. وولي أخوه عمر المدينة وكرمان، فهجره، ما أدركتُ بالمدينة رجلاً أَهيبَ منه. وكان يقبلُ صلّة ابنِ المبارك. وقدم الكوفة ليُخَوِّفَ الرشيد بالله، فرجفَ لمجيئه الدولة، حتّى لو كان نزل بهم من العدو مئة ألف، مازاد من هيبته، فرُدَّ من الكوفة ولم يصل إليه.

[٢] وروى أنه كان يلزم المقبرة كثيراً، ومعه كتاب يُطالعه، ويقول: لا أَوْعِظُ من قبر، ولا آنَسَ من كتاب، ولا أسَلَمَ من وحدة.

[٣] قال أبو المنذر إسماعيل بن عمر: سمعتُ أبا عبد الرحمن العُمريّ الزاهد يقول: إنَّ من غفلتك عن نفسك إِعراضك عن الله، بأن ترى ما يُسخطه فتجاوزَه، ولا تأمر، ولا تنهى خوفاً من المخلوق. من ترك الأمر بالمعروف خوفاً من المخلوقين، نُزِعَتْ منه الهيبة، فلو أمر ولده، لاستخفَّ به.

[٤] قال محمد بن حَرْب المكي: قدم العُمريّ، فاجتمعنا إليه، فلما نظر إلى القصور المُحدقة بالكعبة صاح: يا أصحاب القصور المشيدة، اذكروا ظلمة القبور الموحشة، يا أهل التَّعَمُّق والتَّلذُّذ اذكروا الدَّودَ والصَّدِيد، وبلاء الأجسام في التراب، ثم غلبته عينه، فقام.

[٥] سُلَيْمان بنُ محمد، سمعتُ عبدالله بن عبدالعزيز يقول: قال لي موسى بن عيسى: يُنْهَى إلى أمير المؤمنين أنك تَشْتِمُهُ وتدعو عليه، فبِم استجزتَ هذا؟ قلت: أما شتمه، فوالله هو أَكْرَمُ عليٍّ من نفسي، لقرابته من رسول الله ﷺ، وأما الدُّعاء عليه، فوالله ما قلت: اللَّهُمَّ إِنَّهُ قد أَصْبَحَ عِبْثاً ثَقِيلاً على أَكتافنا فلا تُطِيقْهُ أَبَداننا، وقذِيٍّ في جفوننا لا تَطْرُقُ عليه جفوننا، وشَجِيٍّ في أفواهنا لا تُسِيغُهُ حلوقنا، فاكفنا مؤنته، وفرِّق بيننا وبينه. ولكن قلت: اللَّهُمَّ إن كان تَسْمَى بالرشيد ليرشد، فأرشد، أو لغير ذلك فراجع به، اللَّهُمَّ إن له في الإسلام بالعباس على كلِّ مؤمن كُفْاً، وله بنبيك ﷺ قرابة ورحم، فقرِّبه من كل خير، وباعدِهِ من كل سوء، وأسعدنا

به، وأصلحه لنفسه ولنا، فقال موسى: رحمك الله أبا عبد الرحمن، كذاكَ لعمري الظنُّ بك.

مات سنة أربع وثمانين ومائة، وله ست وستون سنة، رحمه الله تعالى.

٣٩١ - عبد الله بن المبارك (ع) (١)

[١] ابن واضح، الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، أبو عبد الرحمن الحنظلي، مولاهم التركي، ثم المروزي، الحافظ، الغازي، أحد الأعلام.

مولده في سنة ثمان عشرة ومئة.

وحديثه حجة بالإجماع، وهو في المسانيد والأصول.

[٢] نعيم بن حماد قال: كان ابن المبارك يُكثر الجلوس في بيته، فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه؟!

[٣] أشعث بن شعبة المصيصي، قال: قدِمَ الرشيد الرقة، فأنجفل الناس خلف ابن المبارك، وتقطعت النعال، وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين من برج من قصر الخشب، فقالت: ما هذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان، قدِم. قالت: هذا والله المُلْك، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان.

[٤] محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، سمعتُ أبي قال: كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج، اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك، فيقول: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم، فيجعلها في صندوق، ويُفعلُ عليها، ثم يكتري له، ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال يُنفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام، وأطيب الحلوى، ثم يُخرجهم من بغداد بأحسن زِيٍّ وأكمل مُروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ، فيقول لكل واحد: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة

(١) انظر السير: ٣٧٨-٤٢١.

من طَرَفِهَا؟ فيقول: كذا وكذا فيشتري لهم، ثم يُخرجهم إلى مكة، فإذا قَضَوْا حَجَّهم، قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يُخرجهم من مكة، فلا يزال يُنفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فيجسّصُ بيوتهم وأبوابهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمةً وكساهم، فإذا أكلوا وسرّوا، دعا بالصندوق، ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صُرَّته، عليها اسمه.

وقال محمد بن المثنى: سمعتُ عبد الرحمن بن مهدي يقول: ما رأت عيناى مثل أربعة: ما رأيتُ أحفظَ للحديث من الثوريّ، ولا أشدَّ تقشفاً من شعبة، ولا أعقلَ من مالك، ولا أنصحَ للأمة من ابن المبارك.

[١] قال سفيان: إني لأشتهي من عمري كلّهُ أن أكون سنة مثل ابن المبارك، فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام.

[٢] قال ابنُ عُيينة: نظرتُ في أمر الصحابة، وأمر عبد الله، فما رأيتُ لهم عليه فضلاً إلا بصُحبتهُم النبي ﷺ، وغزوهم معه.

[٣] قال القاسم بن محمد بن عباد: سمعتُ سُويّد بن سعيد يقول: رأيتُ ابن المبارك بمكة أتى زَمْزَمَ، فاستقى شربةً، ثم استقبلَ القبلة، فقال: اللَّهُمَّ إِنَّ ابنَ أَبِي المَوَالِ، حدثنا عن محمد بن المُنْكَدِرِ عن جابر، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شَرِبَ لَهُ» وهذا أَشْرَبُهُ لِعَطَشِ القِيَامَةِ، ثم شربه.

[٤] قال نُعيم بن حَمَّاد: كان ابنُ المبارك إذا قرأ كتاب الرِّفَاقِ، يصيرُ كأنه ثور منحور، أو بقرة منحورة، من البكاء، لا يجترئ أحدٌ منا أن يسأله عن شيءٍ إلا دفعه.

[٥] أبو حاتم الرازي: حدثنا عبدة بن سليمان المروزي قال: كنا سريةً مع ابن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان، خرج رجل من العدو، فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه رجل، فطارده ساعةً فطعنه فقتله فازدحم إليه الناس، فنظرتُ فإذا

هو عبدالله بن المبارك، وإذا هو يكتُم وجهه بكُمّه، فأخذت بطرف كفه فمددته، فإذا هو هو. فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يُشنع علينا.

[١] وقال أبو حسان عيسى بن عبدالله البصري: سمعت الحسن بن عرفة يقول: قال لي ابن المبارك: استعرتُ قلماً بأرض الشام، فذهبتُ على أن أردّه، فلما قدمت مرو، نظرت فإذا هو معي، فرجعتُ إلى الشام حتى رددته على صاحبه.

[٢] قال أسود بن سالم: كان ابن المبارك إماماً يقتدى به، كان من أثبت الناس في السنّة، إذا رأيت رجلاً يغمزُ ابن المبارك، فاتهمه على الإسلام.

[٣] اجتمع جماعة مثل الفضل بن موسى، ومخلّد بن الحسين، فقالوا: تعالوا نعدّ خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: العلم، والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والزهد، والفصاحة، والشعر، وقيام الليل، والعبادة، والحج، والغزو، والشجاعة، والفروسيّة، والقوّة، وترك الكلام فيما لا يعنيه، والإنصاف، وقلة الخلاف على أصحابه.

[٤] قال حبيب الجلاب: سألت ابن المبارك: ما خيرُ ما أُعطي الإنسان؟ قال غريزة عقل. قلت: فإن لم يكن؟ قال: حُسن أدب. قلت: فإن لم يكن؟ قال: أخ شفيق يستشيرُهُ. قلت: فإن لم يكن؟ قال: صمتٌ طويل. قلت: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل.

[٥] عن عبدالله، قال: إذا غلبت محاسنُ الرجل على مساوئه لم تذكر المساوئ، وإذا غلبت المساوئ على المحاسن لم تذكر المحاسن.

[٦] قيل لابن المبارك: إذا أنت صليت لم لا تجلسُ معنا؟ قال: أجلس مع الصحابة والتابعين، أنظر في كتبهم وآثارهم، فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس.

[٧] وعن ابن المبارك قال: أوّلُ منفعة العلم أن يُفيد بعضهم بعضاً.

[٨] وجاء أن ابن المبارك سئل: من الناس؟ فقال: العلماء. قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهاد، قيل: فمن الغوغاء؟ قال: خزيمة وأصحابه، يعني من أمراء الظلمة.

قيل : فمن السَّفلة؟ قال : الذين يعيشون بدينهم .

[١] وقال : رُبَّ عمل صغير تُكثِّره النية ، ورب عمل كثير تُصغِّره النية .

[٢] وعن ابن المبارك قال : في صحيح الحديث شغلٌ عن سقيمه .

[٣] قال عليُّ بن الحسن بن شقيق : قمتُ لأُخرجَ مع ابن المبارك في ليلة باردة من المسجد ، فذاكرني عند الباب بحديث ، أو ذاكرتُه ، فما زِلنا نتذاكر ، حتى جاء المؤذِّن للصُّبح .

[٤] قال أحمدُ بن أبي الحَوَّاري : جاء رجل من بني هاشم إلى عبد الله بن المبارك ليسمعَ منه ، فأبى أن يُحدِّثه ، فقال الشريف لعلامة : قم فإن أبا عبد الرحمن لا يرى أن يُحدِّثنا ، فلما قام ليركب ، جاء ابنُ المبارك ليمسكَ بركابه ، فقال : يا أبا عبد الرحمن تفعلُ هذا ولا ترى أن تحدِّثني ! فقال : أذِلُّ لك بدني ، ولا أذِلُّ لك الحديث .

[٥] نُعيم بن حَمَّاد : سمعتُ ابن المبارك يقول : السَّيفُ الذي وقع بين الصحابة فتنةً ، ولا أقول لأحد منهم هو مَفْتُونٌ .

[٦] وعنه قال : إن البصراء لا يأمنون من أربع : ذنب قد مضى لا يُدرى ما يصنع فيه الربُّ عزَّ وجل ، وعمرٍ قد بقي لا يُدرى ما فيه من الهَلَكَةِ ، وفضل قد أُعطي العبدُ لعله مكرٌ واستدراجٌ ، وضلالة قد زُينت ، يراها هدىً ، وزيفَ قلب ساعة فقد يسلب المرءُ دينه ولا يشعر .

[٧] وعن عبد الكريم السُّكَّري قال : كان عبد الله يُعجبه إذا خَتَمَ القرآن أن يكون دعاؤه في السُّجود .

[٨] قال أبو وهب المَرْوزي : سألت ابن المبارك : ما الكبُرُ؟ قال : أن تَزْدري الناس . فسألته عن العُجْب؟ قال : أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك ، لا أعلم في المصلِّين شيئاً شراً من العُجْب .

[٩] عن ابن المبارك قال : من استخفَّ بالعلماء ، ذهبَ آخرته ، ومن استخفَّ بالأمرء ، ذهبَ دنياه ، ومن استخفَّ بالإخوان ذهبَ مُروءته .

[١] قال أبو صالح الفراء . وسمعتُه يقول : الحَبْرُ في الثوب خَلْقُ العلماء .

وقد تفقَّه ابن المبارك بأبي حنيفة ، وهو معدود في تلامذته .

[٢] وكان عبدُ الله غنياً شاكراً ، رأس ماله نحو الأربع مئة ألف .

[٣] قال الحسن بن الربيع : لما احتَضِرَ ابن المبارك في السَّفَر قال : أشتَهي سويقاً ، فلم نجده إلا عند رجل كان يعمل للسلطان ، وكان معنا في السفينة فذكرنا ذلك لعبدالله ، فقال : دعوه ، فمات ولم يَشْرَه .

[٤] محمد بن إبراهيم بن أبي سُكينة ، قال : أَملى عليَّ ابنُ المبارك سنة سبع وسبعين ومئة ، وأنفذها معي إلى الفضيل بن عياض من طرسوس :

يا عَابِدَ الحَرَمينِ لَوْ أَبْصَرْتَنَّا لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي العِبَادَةِ تَلْعَبُ
مَنْ كَانَ يَخْضِبُ جِيدَهُ بِدُمُوعِهِ فَنَحْوَرُنَا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ
أَوْ كَانَ يُتَعَبُ خَيْلُهُ فِي بَاطِلٍ فَخُيُولُنَا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتَعَبُ
رِيحُ العَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَبِيرُنَا رَهْجُ السَّنَابِكِ وَالْغُبَارُ الْأَطْيَبُ^(١)
وَلَقَدْ أَنَا نَا مِنْ مَقَالِ نَبِينَا قَوْلُ صَاحِقٍ صَادِقٍ لَا يُكَذِّبُ
لَا يَسْتَوِي وَغُبَارُ خَيْلِ اللَّهِ فِي أَنْفِ امْرِئٍ وَدُخَانُ نَارِ تَلْهَبُ^(٢)
هَذَا كِتَابُ اللَّهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ لَا يُكَذِّبُ
فلقيت الفضيل بكتابه في الحرم ، فقرأ وبكى ، ثم قال : صدق أبو عبد الرحمن
ونصح .

[٥] قال أبو العباس السَّراج : أنشدني يعقوب بن محمد لابن المبارك :

أَبَإِذِنْ نَزَلَتْ بِي يَا مَشِيبُ أَيُّ عَيْشٍ وَقَدْ نَزَلَتْ يَطِيبُ
وَكُفَى الشَّيْبُ وَاعْظَا غَيْرَ أَنِّي آمَلُ الْعَيْشَ وَالْمَمَاتُ قَرِيبُ
كَمْ أَنَادِي الشَّبَابَ إِذْ بَانَ مِنِّي وَنَدَائِي مُؤَلِّياً مَا يُجِيبُ

(١) الرَّهْجُ والرَّهَجُ : الغبار ، والسَّنَابِكُ جمع سنبك طرف حافر الخيل وجانباه من قُدَام .

(٢) يشير إلى الحديث الذي أخرجه أحمد ٢/٢٥٦ ، ٣٤٢ ، ٤٤١ . والنسائي ١٢/٦ ، يقول : « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا ، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا » .

[١] قال حَبَّان بن موسى : سمعتُ ابنَ المباركِ يُنشد :

كَيْفَ الْقَرَارُ وَكَيْفَ يَهْدَأُ مُسْلِمٌ وَالْمُسْلِمَاتُ مَعَ الْعَدُوِّ الْمُعْتَدِي
الضَّارِيَاتُ خُدُودَهُنَّ بَرْنَةً الدَّاعِيَاتُ نَبِيَّهُنَّ مُحَمَّدٍ
الْقَائِلَاتُ إِذَا خَشِينَ فَضِيحَةً جَهْدَ الْمَقَالَةِ لَيْتَنَا لَمْ نُؤَلِّدْ
مَا تَسْتَطِيعُ وَمَا لَهَا مِنْ حِيلَةٍ إِلَّا التَّسْتُرُ مِنْ أَخِيهَا بِالْيَدِ

[٢] وجاء من طرق عن ابن المباركِ ، ويُقال : بل هي لحَمِيد النَحْوِيِّ :

اغْتَنِمِ رَكَعَتَيْنِ زُلْفَى إِلَى اللَّهِ إِذَا كُنْتَ فَارِغًا مُسْتَرِيحًا
وَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالنَّطْقِ بِالْبَاطِلِ فَاجْعَلْ مَكَانَهُ تَسْبِيحًا
فَاغْتَنِمِ السُّكُوتَ أَفْضَلَ مِنْ خَوْضٍ وَإِنْ كُنْتَ بِالْكَلامِ فَصِيحًا

[٣] قال أحمدُ بن عبد الله العِجْلِي : حدَّثني أَبِي قال : لما احتَضِرَ ابنُ المباركِ ، جعل رجلٌ يُلْقِنُهُ ، قل : لا إلهَ إلاَّ الله ، فأكثرَ عليه ، فقال له : لست تُحَسِّنُ ، وأخافُ أن تُؤْذِيَ مسلماً بعدي ، إذا لَقَّنتني ، فقلتُ : لا إلهَ إلاَّ الله ، ثم لم أَدِثْ كلاماً بعدها ، فدعني ، فإذا أَدِثْتُ كلاماً ، فلقَّني حتى تكونَ آخرَ كلامي .

[٤] قال مُحَمَّد بن الفضيل بن عياض : رأيتُ ابنَ المباركِ في النَّوم ، فقلتُ : أيُّ العملِ أَفْضَلُ ؟ قال : الأمرُ الذي كنتُ فيه . قلتُ : الرِّباطُ والجهادُ ؟ قال نعم . قلتُ : فما صَنعَ بك ربُّكَ ؟ قال : غفر لي مغفرةً ما بعدها مغفرة . رواها رجلان عن محمد .

[٥] وقال العباس بن محمد النَّسْفِي : سمعتُ أبا حاتمِ الفِرَبْرِيِّ يقول : رأيتُ ابنَ المباركِ واقفاً على بابِ الجنةِ بيده مفتاح ، فقلتُ : ما يُوقِفُك ها هنا ؟ قال : هذا مفتاحُ الجنةِ ، دفعه إليَّ رسولُ الله ﷺ ، وقال : حتى أزورَ الربَّ ، فكن أَمِينِي في السماء ، كما كنتَ أَمِينِي في الأرض .

[٦] وقال إسماعيل بن إبراهيم المِصْبِصِي : رأيتُ الحارثَ بنَ عَطيَّة في النَّوم ، فسألته ، فقال : غفر لي . قلتُ : فابنُ المباركِ ، قال : بخٍ بخٍ ذاك في عَليين ممن

يَلْجُ عَلَى اللَّهِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ.

[١] وعن نَوْفَلٍ قَالَ: رَأَيْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: غَفَرْتُ لِي بِرَحْلَتِي فِي الْحَدِيثِ. عَلَيْكَ بِالْقُرْآنِ، عَلَيْكَ بِالْقُرْآنِ. مات سنة إحدى وثمانين ومئة.

[٢] عن يحيى بن يحيى الليثي قال: كنا عند مالك، فاستؤذن لعبد الله بن المبارك بالدخول، فأذن له، فرأينا مالكا ترحل له في مجلسه، ثم أقعده بلبصقه، وما رأيت مالكا ترحل لأحد في مجلسه غيره، فكان القارئ يقرأ على مالك، فربما مر بشيء فيسأله مالك: ما مذهبكم في هذا؟ أو ما عندكم في هذا؟ فرأيت ابن المبارك يُجَازِيهِ، ثم قام، فخرج، فأعجب مالك بأدبه، ثم قال لنا مالك: هذا ابن المبارك فقيه خراسان.

[٣] وسئل ابن المبارك بحضور سفيان بن عيينة عن مسألة، فقال: إِنَّا نَهَيْنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ عِنْدَ أَكَابِرِنَا.

٣٩٢ - الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ (خ، م، د، س، ت) (١)

[٤] ابن مسعود، الإمام القدوة الثَّابِتُ، شيخُ الإسلام، أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني، المجاورُ بحرم الله.

وُلِدَ بِسَمَرْقَنْدَ، وَنَشَأَ بِأَبْيُورْدَ، وَارْتَحَلَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ. رَوَى عَنْهُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ أَجْلُ شَيْخِهِ، وَبَيْنَهُمَا فِي الْمَوْتِ مِئَةٌ وَأَرْبَعُونَ عَامًا.

[٥] عن الفضل بن موسى، قال: كان الفضيل بن عياض شاطراً يقطع الطريق بين أبيورْدَ وسرخس، وكان سببُ توبته أنه عشق جارية، فبينا هو يرتقي الجدران إليها، إذ سمع تالياً يتلو ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ...﴾ [الحديد ١٦] فلما سمعها، قال: بلى يارب، قد آن، فرجع، فأواه الليلُ إلى خربة، فإذا فيها سابلة،

(١) انظر السير: ٤٢١/٨ - ٤٤٢.

فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: حتى نصبح فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا.

قال: ففكرت، وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين ها هنا، يخافوني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام.

[١] وقال أبو وهب محمد بن مُراحم: سمعتُ ابن المبارك يقول رأيتُ أعبَدَ الناس عبد العزيز بن أبي رَوَّاد، وأورعَ الناس الفضيل بن عياض، وأعلمَ الناس سفيان الثوري، وأفقه الناس أبا حنيفة، ما رأيتُ في الفقه مثله.

[٢] وروى أحمد بن أبي الحَوَّاري عن الهيثم بن جميل، سمعتُ شريكاً يقول: لم يزل لكل قوم حجة في أهل زمانهم، وإن فضيل بن عياض حجة لأهل زمانه، فقام فتى من مجلس الهيثم، فلما توارى، قال: الهيثم: إن عاش هذا الفتى يكون حجة لأهل زمانه. قيل: من كان الفتى؟ قال: أحمد بن حنبل.

[٣] وقال إبراهيم بن الأشعث: ما رأيتُ أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل، كان إذا ذكر الله، أو ذُكرَ عنده، أو سمع القرآن، ظهر به من الخوف والحزن، وفاضت عيناه، وبكى حتى يرحمه من يحضره، وكان دائم الحزن، شديد الفكرة، ما رأيتُ رجلاً يُريد الله بعلمه وعمله، وأخذه وعطائه، ومنعه وبذله، ويُغضه وحبّه، وخصاله كلّها، غيره. كنا إذا خرجنا معه في جنازة لا يزال يعظ، ويذكر ويبكي كأنه مودّع أصحابه، ذاهب إلى الآخرة، حتى يبلغ المقابر، فيجلس مكانه بين الموتى من الحزن والبكاء حتى يقوم وكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها.

[٤] وقال عبد الصمد بن يزيد مردويه: سمعتُ الفضيل يقول: لم يتزين الناس بشيء أفضل من الصدق، وطلب الحلال. فقال ابنه علي: يا أبة إن الحلال عزيز. قال: يا بني، وإن قليله عند الله كثير.

[٥] قال سري بن المغلس: سمعتُ الفضيل يقول: مَنْ خاف الله لم يضره أحد، ومن خاف غير الله، لم ينفعه أحد.

[١] قال ابراهيم بن الأشعث: سمعت الفضيل يقول: رَهْبَةُ الْعَبْدِ مِنَ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ عِلْمِهِ بِاللَّهِ، وَزَهَادَتُهُ فِي الدُّنْيَا عَلَى قَدْرِ رَغْبَتِهِ فِي الْآخِرَةِ، مَنْ عَمِلَ بِمَا عِلْمُ اسْتِغْنَى عَمَّا لَا يَعْلَمُ، وَمَنْ عَمِلَ بِمَا عِلْمُ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِمَا لَا يَعْلَمُ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ شَانَ دِينِهِ وَحَسَبِهِ وَمَرُوءَتِهِ.

[٢] وسمعتَه يقول: أَكْذَبُ النَّاسِ الْعَائِدُ فِي ذَنْبِهِ، وَأَجْهَلُ النَّاسِ الْمُدِلُّ بِحَسَنَاتِهِ، وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِاللَّهِ أَخَوْفُهُمْ مِنْهُ، لَنْ يَكْمُلَ عَبْدٌ حَتَّى يُؤَثِّرَ دِينُهُ عَلَى شَهْوَتِهِ، وَلَنْ يَهْلِكَ عَبْدٌ حَتَّى يُؤَثِّرَ شَهْوَتُهُ عَلَى دِينِهِ.

[٣] وقال محمد بن عبدويه: سمعتُ الفضيل يقول: تَرَكُ الْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ رِيَاءٌ وَالْعَمَلُ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ شِرْكٌ، وَالْإِخْلَاصُ أَنْ يَعْفِيكَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

[٤] قال سَلَمٌ بن عبد الله الخراساني: سمعتُ الفضيل يقول: إِنَّمَا أَمْسَ مِثْلُ الْيَوْمِ عَمَلٌ، وَغَدًا أَمَلٌ.

[٥] وقال فيض بن إسحاق: قال الفضيل: وَاللَّهِ مَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُؤْذِيَ كَلْبًا وَلَا خَنْزِيرًا بِغَيْرِ حَقٍّ، فَكَيْفَ تُؤْذِي مُسْلِمًا.

[٦] وعنه: بِقَدْرِ مَا يَصْغُرُ الذَّنْبُ عِنْدَكَ يَعْظُمُ عِنْدَ اللَّهِ، وَبِقَدْرِ مَا يَعْظُمُ عِنْدَكَ يَصْغُرُ عِنْدَ اللَّهِ.

[٧] إسحاق بن إبراهيم الطبري: قال: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَخَوْفَ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا أَرْجَى لِلنَّاسِ مِنَ الْفَضِيلِ. كَانَتْ قِرَاءَتُهُ حَزِينَةً، شَهِيَّةً، بَطِيئَةً، مَتْرُسَةً، كَأَنَّهُ يُخَاطَبُ إِنْسَانًا، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بِآيَةِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ يُرَدِّدُ فِيهَا، وَسَأَلَ، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ أَكْثَرَ ذَلِكَ قَاعِدًا، يُلْقَى لَهُ الْحَصِيرُ فِي مَسْجِدِهِ، فَيُصَلِّي مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ سَاعَةً، ثُمَّ تَغْلِبُهُ عَيْنُهُ، فَيُلْقِي نَفْسَهُ عَلَى الْحَصِيرِ، فَيَنَامُ قَلِيلًا، ثُمَّ يَقُومُ، فَإِذَا غَلِبَهُ النَّوْمُ نَامَ، ثُمَّ يَقُومُ هَكَذَا حَتَّى يُصْبِحَ. وَكَانَ دَأْبُهُ إِذَا نَعَسَ أَنْ يَنَامَ وَيَقَالَ: أَشَدُّ الْعِبَادَةِ مَا كَانَ هَكَذَا.

[٨] محمد بن زكريا الغلابي، حدثنا أبو عمر الجرمي النحوي، حدثنا الفضل بن الربيع، قال: حَجَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - يَعْنِي هَارُونَ - فَقَالَ لِي: وَيَحْكُ، قَدْ حَكَّ فِي نَفْسِي شَيْءٌ، فَاَنْظُرْ لِي رَجُلًا أَسْأَلُهُ. فَقُلْتُ: هَا هُنَا سُفْيَانُ بْنُ عَيْنَةَ، فَقَالَ: امْضِ

بنا إليه ، فأتيناه ، ففرعت بابه ، فقال : من ذا ؟ فقلتُ : أجب أمير المؤمنين .
فخرج مسرعاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو أرسلت إليَّ أتيْتُكَ . فقال : خذ لما
جئتُكَ له ، فحدثه ساعةً ، ثم قال له : عليك دينٌ . قال : نعم . فقال لي : اقضِ
دَيْنَهُ ، فلما خرجنا . قال : ما أغنى عني صاحبك شيئاً ، قلت : ها هنا عبدالرزاق .
قال : امض بنا إليه ، فأتيناه ، ففرعت الباب فخرج ، وحادثه ساعةً ، ثم قال : عليك
دينٌ ؟ قال : نعم . قال : أبا عباس ، اقضِ دينه ، فلما خرجنا قال : ما أغنى عني
صاحبك شيئاً ، انظر لي رجلاً أسأله ، قلت : ها هنا الفضيل بن عياض ، قال : امض
بنا إليه ، فأتيناه ، فإذا هو قائم يُصلي ، يتلو آيةً يُرَدِّدُهَا ، فقال : اقرع الباب ،
ففرعتُ ، فقال : من هذا ؟ قلتُ : أجب أمير المؤمنين قال : مالي ولأمير المؤمنين ؟
قلتُ : سبحان الله ، أما عليك طاعةٌ ، فنزل ، ففتح الباب ، ثم ارتقى إلى العُرفة ،
فأطفا السراج ثم التجأ إلى زاوية ، فدخلنا ، فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كفُّ
هارون قبلي إليه ، فقال : يا لها من كفٍّ ما أليَّها إن نجت غداً من عذاب الله ،
فقلتُ في نفسي : ليكلمنَّه الليلة بكلام نقيٍّ من قلب تقيٍّ ، فقال له : خذ لما جئتُكَ
له ، رحمك الله ، فقال : إن عمر بن عبدالعزيز لما وليَّ الخِلافةَ دعا سالم بن
عبدالله ، ومحمد بن كعب ، ورجاء بن حيوة ، فقال لهم : إني قد ابتليتُ بهذا البلاء
فأشيروا عليَّ ، فعُدَّ الخلافة بلاءً ، وعددتها أنت وأصحابك نعمةً ، فقال له سالم :
إن أردت النجاة ، فصم الدنيا وليكن افطارك منها الموت ، وقال له ابن كعب : إن
أردت النجاة من عذاب الله ، فليكن كبيرُ المسلمين عندك أباً ، وأوسطهم أخاً ،
وأصغرهم ولداً ، فوقر أباك ، وأكرم أخاك ، وتحنَّ على ولدك .

وقال له رجاء : إن أردت النجاة من عذاب الله ، فأحبَّ للمسلمين ما تُحبُّ
لنفسك ، واکره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مُت إذا شئت ، وإني أقولُ لك هذا وإني
أخافُ عليك أشدَّ الخوف يوماً تَزَلُّ فيه الأقدام ، فهل معك رحمك الله من يُشير
عليك بمثل هذا ، فبكى بكاءً شديداً حتى غُشي عليه ، فقلتُ له : ارفق بأمير

المؤمنين، فقال يا ابن أمّ الربيع تقتله أنت وأصحابك، وأرفق به أنا؟ ثم أفاق فقال له :
زدني رحمك الله . قلت : بلغني أن عاملاً لعمر بن عبدالعزيز شكى إليه ، فكتب
إليه : يا أخي أذكرك طولَ سهر أهل النار في النار مع شهود الأبد ، وإياك أن يُنصَرَفَ
بك من عند الله ، فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء ، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد
حتى قَدِمَ عليه ، فقال : ما أقدمك ؟ قال : خلعت قلبي بكتابك ، لا أعودُ إلى ولاية
حتى ألقى الله ، فبكى هارون بكاءً شديداً فقال : يا أمير المؤمنين : إن العباس عمّ
النبي ﷺ جاء إليه فقال : أمرني ، فقال له : «إنَّ الإمارةَ حَسْرَةٌ وندامةٌ يومَ القيامةِ ،
فإن استطعتَ أن لا تكونَ أميراً فافعل» فبكى هارون ، وقال : زدني . قال : يا حسنَ
الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلقِ يومَ القيامة ، فإن استطعت أن تقِيَ هذا
الوجهَ من النار ، فافعل ، وإياك أن تُصبحَ وتمسيَ وفي قلبك غِشٌّ لأحد من رعيتك ،
فإن النبي ﷺ قال : «مَنْ أصبحَ لَهُمْ غاشاً لم يَرَحْ رائحةَ الجنةِ» . فبكى هارون وقال
له : عليك دينٌ ؟ قال نعم : دينٌ لربي ، لم يحاسبني عليه ، فالويل لي إن ساءلني ،
والويل لي إن ناقشني ، والويل لي إن لم أُلْهِمَ حاجتي ، قال : إنما أعني من دينِ
العباد ، قال : إن ربِّي لم يأمرني بهذا ، أمرني أن أصدق وعده ، وأطيع أمره ، فقال
عز وجل : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥٦] الآيات ،
فقال : هذه ألفُ دينار خذها ، فأنفقها على عيالك ، وتقوَّ بها على عبادة ربك ،
فقال : سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة ، وأنت تُكافئني بمثل هذا . سلّمك
الله ، ووفّقك ثم صمت ، فلم يُكلّمنا ، فخرجنا ، فقال هارون : أبا عباس ، إذا
دللتني ، فدلني على مثل هذا ، هذا سيّد المسلمين ، فدخلت عليه امرأةٌ من نسائه
فقابلت : قد ترى ما نحن فيه من الضيق ، فلو قبلتَ هذا المال . قال : إنما مثلي
ومثلكم كمثلي قوم لهم بغير يأكلون من كسبه ، فلما كَبِرَ ، نحروهُ ، فأكلوا لحمه ،
فلما سمع هارون هذا الكلام قال : ندخل فعسى أن يقبلَ المال . فلما علم
الفضيلُ ، خرج فجلس في السطح على باب الغرفة ، فجاء هارون ، فجلس إلى

جنبه يُكلمه فلا يُجيبه، فبينما نحن كذلك إذ خرجت جاريةً سوداء، فقالت: يا هذا، قد آذيت الشيخ منذ الليلة، فانصرف فانصرفنا.

[١] وقال إبراهيم بن الأشعث: سمعتُ الفضيل يقول: من أحبَّ أن يُذكرَ لم يذكر، ومن كره أن يُذكر ذُكر.

[٢] وسمعتُه يقول: الخوفُ أفضل من الرجاء ما دام الرجلُ صحيحاً، فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل.

[٣] قال فيض بن وثيق: سمعتُ الفضيل يقول: إن استطعتَ أن لا تكون محدثاً ولا قارئاً، ولا متكلماً، إن كنت بليغاً، قالوا ما أبلغه، وأحسنَ حديثه، وأحسنَ صوته، فيُعجبك ذلك، فتتفخ، وإن لم تكن بليغاً، ولا حسنَ الصوت، قالوا: ليس يُحسن يحدث، وليس صوته بحسن، أحزنك ذلك، وشقَّ عليك، فتكون مرثياً، وإذا جلست، فتكلمت، فلم تُبالِ مَنْ ذمك ومَنْ مدحك، فتكلم.

[٤] وقيل له: ما الزهد؟ قال: القنوع، قيل: ما الورع؟ قال: اجتنابُ المحارم. قيل: ما العبادة؟ قال: أداءُ الفرائض. قيل: ما التواضع؟ قال: أن تخضع للحق وقال: أشدُّ الورع في اللسان.

[٥] قال عبد الصمد بن يزيد: سمعتُ الفضيل يقول: لو أن لي دعوةً مستجابة ما جعلتها إلا في إمام، فصلاحُ الإمام صلاحُ البلاد والعباد.

[٦] وعن الفضيل: حرامٌ على قلوبكم أن تُصيبَ حلاوةَ الإيمان حتى ترهّدوا في الدنيا.

[٧] وعنه: إذا لم تقدّر على قيام الليل، وصيام النهار، فاعلم أنك محرومٌ كبَلَّتْكَ خطيئتك.

[٨] قال عبد الصمد مردويه: سمعتُ الفضيل يقول: من أحبَّ صاحبَ بدعة، أحبط الله عمله وأخرج نورَ الإسلام من قلبه، لا يرتفعُ لصاحب بدعة إلى الله عمل. نظرُ المؤمن إلى المؤمن يجلو القلب، ونظرُ الرجل إلى صاحب البدعة يورث العمى،

من جلس مع صاحب بدعة لم يُعط الحكمة.

[١] قال إبراهيم بن الأشعث: سمعتُ الفضيل يقول في مرضه: ارحمني بحبي إياك فليس شيء أحب إليَّ منك.

[٢] وسمعتَه يقول وهو يشتكي: مُسني الضر وأنت أرحم الراحمين.

[٣] وسمعتَه يقول: من استوحش من الوحدة، واستأنس بالناس، لم يَسلم من الرِّياء، ولا حجٍّ ولا جهادٍ أشدَّ من حبس اللسان، وليس أحدًا أشدَّ غمًّا ممن سجن لسانه.

[٤] وعن الفضيل قال: من أخلاق الأنبياء الحلمُ والأناةُ وقيام الليل.

[٥] قال إبراهيم بن الأشعث: رأيتُ سفيان بن عيينة يُقبل يد الفضيل مرَّتين.

[٦] وعن ابن المبارك قال: إذا نظرتُ إلى الفضيل، جدَّد لي الحزن، ومقت نفسي، ثم بكى.

[٧] قال الأصمعي: نظر الفضيل إلى رجل يشكو إلى رجل، فقال: يا هذا تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك.

[٨] قال أحمد بن أبي الحواري: حدثنا أبو عبدالله الأنطاكي قال: اجتمع الفضيل والثوري، فتذاكرا، فرَّق سفيانُ وبكى، ثم قال: أرجو أن يكون هذا المجلس علينا رحمة وبركة، فقال له الفضيل: لكني يا أبا عبدالله أخاف أن لا يكون أضرَّ علينا منه. أَلستَ تخلَّصتَ إلى أحسن حديثك، وتخلَّصتُ أنا إلى أحسن حديثي، فَتَزَيَّنتَ لي وتزَيَّنتُ لك؟ فبكى سفيان، وقال: أحييتني أحياءك الله.

[٩] وقال الفيض: قال لي الفضيل: لو قيل لك: يا مُرائي، غضبتَ، وشقَّ عليك، وعسى ما قيل لك حق، تَزَيَّنتَ للدنيا وتصنَّعتَ، وقصَّرتَ ثيابك، وحسنتَ سمتك، وكففتَ أذاك حتى يُقال: أبو فلان عابدٌ، ما أحسنَ سَمَتَه فيكرمونك وينظرونك، ويقصدونك ويهدون إليك، مثل الدرهم السُّتوق^(١) لا يعرفه كلُّ أحدٍ إذا قُشر، قُشر

(١) هو الرديُّ الزيف الذي لا خير فيه.

عن نحاس .

[١] وعنه قال : كفى بالله مُحِبًّا وبالقرآن مُؤَنِّسًا ، وبالموت واعظًا ، وبخشية الله علماً ، وبالاغترار جهلاً .

[٢] وعنه : خصلتان تقسيان القلب : كثرة الكلام ، وكثرة الأكل .

[٣] وعنه : كيف ترى حال من كثرت ذنوبه ، وضعف علمه ، وفني عمره ، ولم يتزود لمعاده .

[٤] وعنه : يا مسكين ، أنت مسيء وترى أنك محسن ، وأنت جاهل وترى أنك عالم ، وتبخل وترى أنك كريم ، وأحمق وترى أنك عاقل ، أجلك قصير ، وأملك طويل .

قلت : إي والله ، صدق ، وأنت ظالم وترى أنك مظلوم ، وأكل للحرام وترى أنك متورّع ، وفاسق وتعتقّد أنك عدل ، وطالب العلم للدنيا وترى أنك تطلبه لله .

[٥] محمد بن عبدالله الأنباري ، قال : سمعت فضيلاً يقول : لما قدّم هارون الرشيد إلى مكة قعد في الحجر هو وولده ، وقوم من الهاشمين ، وأحضروا المشايخ ، فبعثوا إليّ فأردت أن لا أذهب ، فاستشرت جاري ، فقال : اذهب لعله يريد أن تعظه ، فدخلت المسجد ، فلما صرت إلى الحجر ، قلت لأدناهم : أيكم أمير المؤمنين؟ فأشار إليه ، فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فردّ عليّ ، وقال : اقعد ، ثم قال : إنما دعوناك لتحديثنا بشي ، وتعظنا ، فأقبلت عليه ، فقلت : يا حسن الوجه ، حسابُ الخلق كلهم عليك . فجعل يبكي ويشهق ، فرددت عليه ، وهو يبكي ، حتى جاء الخادم فحملوني وأخرجوني ، وقال : اذهب بسلام .

[٦] قال قُطبة بن العلاء : سمعت الفضيل يقول : آفةُ القراء العُجب . وللفضيل رحمه الله مواعظ ، وقدم في التّقوى راسخ .

وكان يعيش من صلة ابن المبارك ونحوه من أهل الخير ، ويمتنع من جوائز الملوك .

[٧] قال بعضهم : كنا جلوساً عند الفضيل بن عياض ، فقلنا له : كم سنك؟

فقال:

بَلَعْتُ الثَّمَانِينَ أَوْ جُرْتُهَا فَمَاذَا أَوْمَلُ أَوْ أَنْتَظِرُ
عَلَّتْنِي السُّنُونُ فَأَبْلِيْنِي فَدَقَّ الْعِظَامُ وَكَلَّ الْبَصَرُ

قلتُ: هو من أقران سُفْيَانِ بْنِ عِيْنَةَ فِي الْمَوْلِدِ، وَلَكِنَّهُ مَاتَ قَبْلَهُ بِسِنَوَاتٍ وَكَانَ

ابنه:

٣٩٣ - علي (١)

من كبار الأولياء، ومات قبل والده.

[١] قلتُ: خرج هو وأبوه من الضَّعْفِ الْغَالِبِ عَلَى الزُّهَادِ وَالصُّوفِيَّةِ، وَعُدًّا فِي الثَّقَاتِ إِجْمَاعًا.

وكان عليُّ قانتاً لله، خاشعاً، وجللاً، ربانياً، كبير الشأن.

[٢] قال الخطيب: مات قبل أبيه بمدة من آية سمعها تُقرأ، فغشي عليه، وتوفي في الحال.

[٣] قال إبراهيم بن الحارث العبَّادي: حدثنا عبد الرحمن بن عفان، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش قال: صَلَّيْتُ خَلْفَ فَضِيلِ بْنِ عِيَّاضِ الْمَغْرَبِ وَابْنَهُ عَلِيٍّ إِلَى جَانِبِي، فَقَرَأُ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾. فلما قال: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ سقط عليُّ على وجهه مَغْشِيًّا عَلَيْهِ.

[٤] قال ابنُ أبي الدنيا: حدثني عبد الصمد بن يزيد، عن فضيل بن عياض قال: بكى عليُّ ابني. فقلتُ: يا بني ما يُبْكِيكَ؟ قال: أَخَافُ أَلَّا تَجْمَعَنَا الْقِيَامَةَ.

[٥] وقال لي ابنُ المبارك: يا أبا علي ما أحسن حال من انقطع إلى الله، فسمع ذلك عليُّ ابني، فسقط مغشياً عليه.

[٦] محمد بن ناجية قال: صَلَّيْتُ خَلْفَ الْفَضِيلِ، فَقَرَأُ: ﴿الْحَاقَّةُ﴾ فِي الصَّبْحِ. فلما بلغ إلى قوله: ﴿خُذُوهُ فُغْلُوهُ﴾ غلبه البكاء فسقط ابنه عليُّ مغشياً عليه.

(١) انظر السير: ٤٤٢/٨ - ٤٤٨.

[١] عبد الصمد بن يزيد، سمعت الفضيل يقول: أشرفت ليلةً على عليٍّ، وهو في صحن الدار، وهو يقول: النار، ومتى الخلاص من النار؟ وقال لي: يا أبة سل الذي وهبني لك في الدنيا أن يهبني لك في الآخرة. ثم قال: لم يزل مُنكسر القلب حزيناً. ثم بكى الفضيل، ثم قال: كان يُساعدني على الحزن والبكاء، يا ثمرة قلبي، شكر الله لك ما قد علمه فيك.

[٢] وعن الفضيل قال: اللهم إني اجتهدت أن أؤدب عليّاً، فلم أقدر على تأديبه فأدبه أنت لي.

[٣] قال أبو سليمان الداراني: كان علي بن الفضيل لا يستطيع أن يقرأ ﴿القارعة﴾ ولا تقرأ عليه.

[٤] محمد بن أبي عثمان قال: كان علي بن الفضيل عند سفيان بن عيينة، فحدث بحديث فيه ذكر النار، فشهِق عليٌّ شهقةً، ووقع، فالتفت سفيان فقال: لو علمت أنك ها هنا ما حدثت به، فما أفاق إلا بعد ما شاء الله.

[٥] وبالإسناد عن فضيل: كانت لنا شاة بالكوفة، أكلت شيئاً يسيراً من علف أمير، فما شرب لها لبناً بعد.

[٦] عن الفضيل قال: أهدى لنا ابن المبارك شاة فكان ابني لا يشرب منها، فقلت له في ذلك. فقال: إنها قد رعت بالعراق.

[٧] علي بن محمد المصري، سمعت أبا سعيد الخزاز، سمعت إبراهيم بن بشار يقول: الآية التي مات فيها علي بن الفضيل، في الأنعام: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ [الأنعام ٢٧]. مع هذا الموضع مات. وكنت فيمن صلى عليه، رحمه الله.

مات الفضيل سنة ست وثمانين ومئة.

[٨] قلت: وله نيف وثمانون سنة، وهو حجةٌ كبير القدر. ولا عبرة بما نقله أحمد بن أبي خيثمة، سمعت قطبة ابن العلاء يقول: تركت حديث فضيل بن عياض، لأنه روى أحاديث أُرِى على عثمان بن عفان.

[١] قلتُ: فلا نسمعُ قولَ قُطْبَة، لَيْتَهُ اشْتَغَلَ بِحَالِهِ، فَقَدْ قَالَ الْبَخَارِيُّ: فِيهِ نَظَرٌ، وَقَالَ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ: ضَعِيفٌ. وَأَيْضاً فَالْرَجُلُ صَاحِبُ سَنَةٍ وَاتِّبَاعٌ.

قال أحمد بن أبي خيثمة: حدثنا عبد الصمد بن يزيد الصائغ، قال: ذكر عند الفضيل - وأنا أسمع - الصحابة، فقال: اتَّبِعُوا فَقَدْ كُفِّتُمْ: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ، رضي الله عنهم.

[٢] قلتُ: إِذَا كَانَ مِثْلُ كِبَرَاءِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ قَدْ تَكَلَّمَ فِيهِمُ الرُّوَافِضُ وَالْخَوَارِجُ، وَمِثْلُ الْفَضِيلِ يُتَكَلَّمُ فِيهِ، فَمَنْ الَّذِي يَسْلُمُ مِنَ أَلْسِنَةِ النَّاسِ، لَكِنْ إِذَا ثَبَّتَ إِمَامَةً الرَّجُلُ وَفَضْلُهُ، لَمْ يَضُرَّهُ مَا قِيلَ فِيهِ، وَإِنَّمَا الْكَلَامُ فِي الْعُلَمَاءِ مُفْتَقِرٌ إِلَى وَزْنٍ بِالْعَدَلِ وَالْوَرَعِ.

[٣] وَأَمَّا قَوْلُ ابْنِ مَهْدِيٍّ: لَمْ يَكُنْ بِالْحَافِظِ، فَمَعْنَاهُ: لَمْ يَكُنْ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ كَهَؤُلَاءِ الْحَافِظِ الْبُحُورِ، كَشُعْبَةَ، وَمَالِكٍ وَسُفْيَانَ، وَحَمَّادٍ، وَابْنِ الْمُبَارَكِ، وَنَظَرَائِهِمْ، لَكِنَّهُ ثَبَّتَ قِيَمٌ بِمَا نَقَلَ، مَا أَخَذَ عَلَيْهِ فِي حَدِيثٍ فِيمَا عَلِمْتَ. وَهَلْ يُرَادُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا مَا انْتَهَى إِلَيْهِ الْفَضِيلُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

٣٩٤ - سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ (ع)^(١)

[٤] ابْنُ أَبِي عِمْرَانَ مِيمُونُ مَوْلَى مُحَمَّدِ بْنِ مُزَاحِمٍ، أَخِي الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ، الْإِمَامُ الْكَبِيرُ حَافِظُ الْعَصْرِ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْهَلَالِيُّ الْكُوفِيُّ، ثُمَّ الْمَكِّيُّ.

مولده: بالكوفة، في سنة سبع ومئة.

وطلب الحديث، وهو حدث، بل غلام، ولقى الكبار، وحمل عنهم علماً جماً، وأتقن، وجوّد، وجمع وصنّف، وعُمر دهرأً، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورُحِلَ إليه من البلاد، وألحق بالأحفاد بالأجداد.

ولقد كان خلق من طلبة الحديث يتكلفون الحج، وما المحرك لهم سوى لُقيِّ

(١) انظر السيرة: ٤٥٤/٨ - ٤٧٥.

سفيان بن عيينة، لإمامته وعلو إسناده.

وجاور عنده غير واحد من الحفاظ.

[١] قال الإمام الشافعي: لولا مالك وسفيان بن عيينة، لذهب علم الحجاز. وارتحل ولقي خلقاً كثيراً ما لقيهم مالك، وهما نظيران في الإتقان، ولكن مالكا أجلاً وأعلى، فعنده نافع، وسعيد المقبري.

قال حرمله: سمعت الشافعي يقول: ما رأيت أحداً فيه من آلة العلم ما في سفيان ابن عيينة، وما رأيت أكف عن الفتيا منه. قال: وما رأيت أحداً أحسن تفسيراً للحديث منه.

قال عبد الله بن وهب: لا أعلم أحداً أعلم بتفسير القرآن من ابن عيينة.

وقال: أحمد بن حنبل أعلم بالسنن من سفيان.

البوطي، سمعت الشافعي يقول: أصول الأحكام نيف وخمس مئة حديث، كلها عند مالك إلا ثلاثين حديثاً، وكلها عند ابن عيينة إلا ستة أحاديث.

وقال ابن المديني: قال لي يحيى القطان. ما بقي من معلمي أحد غير سفيان ابن عيينة، وهو إمام منذ أربعين سنة.

[٢] وحكى حرمله بن يحيى أن ابن عيينة قال له - وأراه خبز شعير - هذا طعامي منذ ستين سنة.

[٣] الحميدي، سمع سفيان يقول: لا تدخل هذه المحابر بيت رجل إلا أشقى أهله وولده.

[٤] وقال سفيان مرة لرجل: ما حرقتك؟ قال: طلب الحديث. قال: بشر أهلك بالإفلاس.

[٥] عن ابن عيينة قال: من كانت معصيته في الشهوة فارح له، ومن كانت معصيته في الكبر، فاحش عليه، فإن آدم عصي مشتهياً، فغفر له، وإبليس عصي متكبراً فلعن.

[٦] ومن كلام ابن عيينة قال: الزهد: الصبر، وارتقاب الموت.

[١] وقال: العلم إذا لم ينفك، ضرك.

[٢] قال نعيم بن حماد: ما رأيت أحداً أجمع لمتفرقي من سُفيان بن عُيينة.

[٣] قال محمد بن يوسف الفريابي: كنت أمشي مع ابن عيينة، فقال لي: يا محمد، ما يُزهدني فيك إلا طلب الحديث. قلت: فأنت يا أبا محمد، أي شيء كنت تعمل إلا طلب الحديث؟ فقال: كنت إذ ذاك صبيّاً لا أعقل.

[٤] قلت: إذا كان مثل هذا الإمام يقول هذه المقالة في زمن التابعين، أو بعدهم ببسر، وطلب الحديث مضبوطاً بالاتفاق، والأخذ عن الأثبات الأئمة، فكيف لو رأى سُفيان رحمه الله طلباً الحديث في وقتنا، وما هم عليه من الهنات والتخبط، والأخذ عن جهلة بني آدم، وتسميع ابن شهر.

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نساها
[٥] روى سليمان بن أيوب، سمعت سُفيان بن عُيينة يقول: شهدت ثمانين موقفاً،

ويروى أن سُفيان كان يقول في كل موقف: اللهم لا تجعله آخر العهد منك، فلما كان العام الذي مات فيه لم يقل شيئاً، وقال: قد استحيت من الله تعالى.
[٦] وقد كان سُفيان مشهوراً بالتدليس، إلا أنه لا يدلس إلا عن ثقة عنده.

وسُفيان حجة مطلقاً، وحديثه في جميع دواوين الإسلام.

وكان سُفيان رحمه الله صاحب سنة واتباع.

مات سنة ثمان وتسعين ومئة.

[٧] عبد الرحمن بن بشر، سمعت ابن عُيينة يقول: غَضِبَ اللهُ الداء الذي لا دواء له، ومن استغنى بالله، أحوَجَ اللهُ إليه الناس.

قلت: عاش إحدى وتسعين سنة.

٣٩٥ - عيسى بن يونس (ع) (١)

[١] ابن أبي إسحاق عمرو بن عبدالله، الإمام القدوة، الحافظ، الحجة، أبو عمرو، وأبو محمد الهمداني، السبعي الكوفي، المرابط. وكان واسع العلم، كثير الرحلة، وافر الجلالة. وقد حدث عنه أبوه يونس بن أبي إسحاق. قال أحمد بن حنبل: هو أصح حديثاً من أبيه. قيل له: فإسرائيل؟ قال: ما أقربهما.

[٢] وقال المروزي، عن أحمد: ثبت. وكُنَّا نُخْبِرُ أَنَّهُ سَنَةٌ فِي الْغَزْوِ، وَسَنَةٌ فِي الْحَجِّ، وَقَدْ بَغَدَادَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْحَصُونِ، فَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ. وقيل: إنه زار ابن عيينة، فقال: مرحباً بالفقيه ابن الفقيه. [٣] عن جعفر البرمكي قال: ما رأينا في القراء مثل عيسى بن يونس، أرسلنا إليه، فأتانا بالرقة، فاعتل قبل أن يرجع. فقلتُ له: يا أبا عمرو، قد أمرنا لك بعشرة آلاف. فقال: هيه. قلتُ: خمسون ألفاً. قال: لا حاجة لي فيها. فقلتُ: ولم؟ والله، لأهنيئَكها، هي والله مئة ألف، قال: لا والله، لا يتحدث أهل العلم أنني أكلتُ للسنة ثمناً، ألا كان هذا قبل أن تُرسلوا إليّ، فأما على الحديث، فلا، ولا شربة ماء، ولا إهليلجة (٢).

[٤] قال أحمد بن حنبل: غزا عيسى بن يونس خمساً وأربعين غزوة، وحجَّ كذلك. مات سنة سبع وثمانين.

٣٩٦ - أبو بكر بن عيَّاش (خ، ع) (٣)

[٥] ابن سالم الأسدي، مولا هم الكوفي الحنَّاط - بالنون - المقرئ، الفقيه،

(١) انظر السير: ٤٨٩/٨ - ٤٩٤.

(٢) الإهليلج، بكسر الالف وفتح اللام، وقد تكسر، والواحدة بهاء: شجر ينبت في الهند وكابل والصين ثمرة على هيئة حب الصنوبر الكبار.

(٣) انظر السير: ٤٩٥/٨ - ٥٠٨.

المحدث، شيخ الإسلام، وبقية الأعلام، مولى واصل الأحدب.
وفي اسمه أقوال: أشهرها شعبة.

قال هارون بن حاتم: سمعته يقول: وُلِدْتُ سِتَّةَ خَمْسٍ وَتَسْعِينَ.
قرأ أبو بكر القرآن، وجوَّده ثلاثَ مراتٍ على عاصم بن أبي النُّجود.
ذكره أحمد بن حنبل فقال: ثقة، ربما غلط، صاحب قرآن وخير.
وقال ابنُ المبارك: ما رأيتُ أحداً أسرعَ إلى السُّنة من أبي بكر بن عياش.
[١] وقال غيرُ واحد: إنه صدوق، وله أوهام.

[٢] قلتُ: فأما حاله في القراءة، فقيِّم بحرف عاصم، وقد خالفه حفص في أزيد من خمس مئة حرف، وحفص أيضاً حجة في القراءة، لين في الحديث.
[٣] قال عثمان بن أبي شيبة: أحضر هارون الرشيد أبا بكر بن عياش من الكوفة فجاء معه وكيع، فدخل ووكيع يقوده، فأدناه الرشيد، وقال له: قد أدركت أيام بني أمية وأيامنا، فأينا خير؟ قال: أنتم أقوم بالصلاة، وأولئك كانوا أنفع للناس. قال: فأجازه الرشيد بستة آلاف دينار، وصرفه، وأجاز وكيعاً بثلاثة آلاف.
[٤] عن أبي عبد الله النخعي، قال: لم يُقرَّش لأبي بكر بن عياش فراش خمسين سنة.

[٥] ابن أبي شيخ: حدثنا يحيى بن سعيد، قال: زاملتُ أبا بكر بن عياش إلى مكة، فما رأيتُ أروعَ منه، لقد أهدى له رجل رطباً، فبلغه أنه من بستان أخذ من خالد بن سلمة المخزومي، فأتى آل خالد، فاستحلَّهم، وتصدَّق بثمانه.

[٦] قال يعقوب الفسوي: سمعتُ أحمد بن يونس، وذكروا له حديثاً أنكروه من حديث أبي بكر، عن الأعمش. فقال: كان الأعمش يضرب هؤلاء ويشتمهم ويطردهم، وكان يأخذ بيد أبي بكر، فيجلس معه في زاوية لحال القرآن.

وقال أبو هشام الرفاعي: قال أبو بكر بن عياش للحسن بن الحسن بالمدينة: ما أبقت الفتنة منك؟ فقال: وأيُّ فتنة رأيتني فيها؟ قال: رأيتهم يقبلون يدك ولا تمنعُهم.

[١] وعن أبي بكر بن عياش قال: أدنى نفع السكوت السلامة، وكفى به عافية. وأدنى ضرر المنطق الشهرة، وكفى بها بليّة.

[٢] قال يحيى بن آدم، عن أبي بكر بن عياش قال: تعلمت القرآن من عاصم خمسا خمسا، ولم أتعلم من غيره، ولا قرأت على غيره.

[٣] عن أبي بكر قال: اختلفت إلى عاصم نحواً من ثلاث سنين، في الحرّ والشتاء والمطر، حتى ربما استحييت من أهل مسجد بني كاهل.

وعن أبي بكر بن عياش قال: الدخول في العلم سهل، لكن الخروج منه إلى الله شديد.

[٤] وعن بشر بن الحارث، سمع أبا بكر بن عياش يقول: يا مَلَكِي ادعوا الله لي، فإنكما أطوع لله مني.

[٥] وقد روي من وجوه متعددة، أن أبا بكر بن عياش مكث نحواً من أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة.

وهذه عبادة يُخضع لها، ولكن متابعة السنة أولى. فقد صحَّ أن النبي ﷺ نهى عبد الله بن عمرو أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث. وقال عليه السلام «لم يَفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث».

[٦] قال أبو العباس بن مسروق: حدثنا يحيى الحماني، قال: لما حضرت أبا بكر الوفاة، بكت أخته، فقال لها: ما يُكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية، فقد ختم أخوك فيها ثمانية عشر ألف ختمة.

[٧] قال سُفيان بن عُيينة. قال لي أبو بكر بن عياش: رأيت الدنيا في النوم عجوزاً مشوّهة.

وعن أبي بكر قال: إمامنا يهْمز ﴿مُؤَصِّدَةً﴾، فأشتهي أن أسدّ أذني إذا همزها. وكان الإمام أبو بكر قد قطع الإقراء قبل موته بنحو من عشرين سنة، ثم كان يروي الحروف، فقيدها عنه يحيى بن آدم عالم الكوفة، واشتهرت قراءة عاصم من هذا الوجه وتلقاها الأمة بالقبول، وتلقاها أهل العراق.

الأحمسي : ما رأيتُ أحداً أحسنَ صلاةً من أبي بكر بن عياش .
مات أبو بكر في سنة ثلاث وتسعين ومئة .
قلتُ : عاش سِتّاً وتسعين سنة .

٣٩٧ - القاضي أبو يوسف ^(١)

[١] هو الإمام المجتهدُ، العلامة المحدثُ، قاضي القضاة، أبو يوسف، يعقوبُ بن إبراهيم بن حبيب، الأنصاري الكوفي .
[٢] وكان أبوه فقيراً . له حانوتٌ ضعيف، فكان أبو حنيفة يتعاهد أبا يوسف بالدرهم، مئة بعد مئة .
[٣] وعن محمد بن الحسن قال : مرض أبو يوسف، فعاده أبو حنيفة، فلما خرج . قال : إن يموت هذا الفتى، فهو أعلمُ من عليها .
قال أحمد بن حنبل : أول ما كتبتُ الحديثُ اختلفتُ إلى أبي يوسف، وكان أميلُ إلى المحدثين من أبي حنيفة ومحمد .
قال إبراهيم بن أبي داود البرُّلُسي : سمعت ابن مَعين يقول : ما رأيتُ في أصحاب الرأي أثبتَ في الحديث، ولا أحفظُ، ولا أصحُّ روايةً من أبي يوسف .
وروى عباس، عن ابن مَعين : أبو يوسف صاحبُ حديث، صاحبُ سُنَّة .
وعن يحيى البرمكي قال : قدم أبو يوسف، وأقلُّ ما فيه الفقه، وقد ملأ بفقهه الخافقين .

وعن أبي يوسف قال : صحبتُ أبا حنيفة سبع عشرة سنة .
[٤] وعن ابن سَماعة قال : كان ورد أبي يوسف في اليوم مِئتي ركعة .
[٥] قال يحيى بن يحيى التَّميمي : سمعت أبا يوسف عند وفاته يقول : كل ما أفتيتُ بعد فقد رجعتُ عنه إلا ما وافق الكتابَ والسُّنَّة، وفي لفظ إلا ما في القرآن واجتمع عليه المسلمون .

(١) انظر السير : ٥٣٥/٨ - ٥٣٩ .

[١] قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف: من طلب المال بالكيماء أفلس، ومن طلب الدين بالكلام تزندق، ومن تتبع غريب الحديث، كُذِّب. قلت: بلغ أبو يوسف من رئاسة العلم مالا مزيد عليه، وكان الرشيدُ يُبالغ في إجلاله.

[٢] أبو سليمان الجوزجاني، سمعتُ أبا يوسف يقول: دخلت على الرشيد وفي يده دُرَّتَانِ يَقلُّبُهُمَا، فقال: هل رأيت أحسنَ منهما؟ قلت: نعم، يا أمير المؤمنين. قال: وما هو؟ قلت: الوعاء الذي هما فيه، فرمى بهما إليَّ، وقال: شأنك بهما. توفي أبو يوسف سنة اثنتين وثمانين ومئة.

[٣] وما أنبلُ قولِهِ: العلمُ بالخصومة والكلام جهلٌ، والجهلُ بالخصومة والكلام عِلْمٌ.

[٤] قلتُ: مثاله شُبَّةٌ وإشكالات من نتائج أفكار أهل الكلام، تُورد في الجدال على آيات الصِّفَات وأحاديثها، فيكفِّر هذا هذا، وينشأ الاعتزال، والتجهم، والتجسيم، وكلُّ بلاء. نسأل الله العافية.

٣٩٨ - أبو إسحاق الفزاري (ع)^(١)

[٥] الإمام الكبير الحافظ المجاهد، إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن، الفزاري الشامي.

ولجدهم خارجة صحبة. وهو أخو عيينة بن حصن. وكان من أئمة الحديث.

ذكره أبو حاتم، فقال: الثقة المأمون الإمام.

قال الحميدي: قال لي الشافعي: لم يُصنَّف أحدٌ في السِّير مثل كتاب أبي إسحاق.

وقال أبو حاتم: اتَّفَق العلماء على أن أبا إسحاق الفزاري إمامٌ يُقتدى به بلا

(١) انظر السير: ٥٣٩/٨ - ٥٤٣.

مُدافعة .

وقال الحُمَيْدِي : جاء رجل إلى ابن عُيَيْنَةَ ، فقال : حَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ عَنْكَ
بكذا . فقال : وَيَحْكُ ، إِذَا سَمِعْتَ أَبَا إِسْحَاقَ يُحَدِّثُ عَنِّي ، فَلَا يَضُرُّكَ أَنْ لَا تَسْمَعَهُ
مَنِي .

[١] وقال أحمد العَجَلِي : كان ثقة ، صاحب سنة ، صالحاً ، هو الذي أَدَّبَ أَهْلَ
الثَّغَرِ ، وعلمهم السُّنَّةَ ، وكان يأمر وينهى . وإذا دخل الثَّغَرَ رَجُلٌ مُبْتَدِعٌ ، أخرجهُ ،
وكان كثيرَ الحديث ، وكان له فقهٌ .

أمر سلطاناً ونهاه ، فضربه مِثْثِي سوط ، فغضب له الأوزاعي ، وتكلَّم في أمره .
مات سنة ستِّ وثمانين ومائة .

قلتُ : من أبناء الثمانين هو ، أو جاوزها بقليل .

[٢] ويروى أن هارون الرشيد أخذ زنديقاً ليقتله ، فقال الرجل : أين أنت من ألف
حديث وضعتها؟ قال : فأين أنت يا عدُو الله من أبي إسحاق الفزاري وابن المبارك
يتخللانها ، فيُخرجانها حرفاً حرفاً .

[٣] قال أبو داود الطَّيَالِسي : توفي أبو إسحاق الفزاري وليس على وجه الأرض أحدٌ
أفضل منه .

[٤] وعن سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ، قال : والله ما رأيتُ أحداً أَقَدَّمَهُ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ
الفزاري .

[٥] وقال عطاء الخُفَّاف : كنت عند الأوزاعي ، فأراد أن يكتب إلى أبي إسحاق
الفزاري ، فقال لكَاتبه ، ابدأ به ، فإنه والله خيرٌ مِنِّي .

[٦] قال سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : دخلتُ على هارون ، فقال : يا أبا إسحاق ، إنك في
موضعٍ ، وفي شرف . قلتُ : يا أمير المؤمنين ، ذاك لا يُغني عني في الآخرة شيئاً .

[٧] وقال أبو أسامة : سمعتُ الفضيل بن عياض يقولُ : رأيتُ النبي ﷺ في النوم ،
وإلى جنبه فُرْجَةٌ ، فذهبت لأجلس ، فقال : هذا مجلسُ أبي إسحاق الفزاري .

[١] إبراهيم بن سعيد الجوهري : قلتُ لأبي أسامة : أيُّهما أفضلُ : فضيلُ ابن عياض
أو أبو إسحاق الفزاري ؟ فقال : كان فضيل رجلَ نفسه ، وكان أبو إسحاق رجلَ
عامَّة .

[٢] عن أبي إسحاق ، قال الأوزاعي في الرجل يسأل : أمؤمن أنت حقاً ؟ قال : إن
المسألة عن ذلك بدعة ، والشهادة عليه تعمق لم نُكلِّفه في ديننا ، ولم يشرعه نبينا ،
القول فيه جدلٌ ، والمنازعة فيه حدّث ، وذكر فصلاً نافِعاً .

الجزء التاسع

٣٩٩٩ - جرير بن عبد الحميد (ع)

[١] ابن يزيد الإلمام الحافظ القاضي أبو عبد الله الضبي الكوفي نزل الرقي، ونشر بها العلم.

[٢] عن جرير: ولدت سنة مائتة الحسن سنة عشر، وكان من مشايخ الإسلام، وقال ربيع: سمعت جريراً يقول: رأيت ابن أبي نجيح. ولم أكتب عنه شيئاً، ورأيت جابراً الجعفي، فلم أكتب عنه شيئاً، ورأيت ابن جريج، ولم أكتب عنه فقال له رجل: ضيعت يا أبا عبد الله، قال: لا، أما جابر، فكان يؤمن بالرجعة، وأما ابن أبي نجيح، فكان يرى القدر، وأما ابن جريج، فإنه أوصى بنيه بستين امرأة، وقال: لا تزوجوا بهن، فإنهن أمهاتكم - كلن يرى المتعة. قلت: أما امتناعه من الجعفي، فمعدور، لأنه كان مبتدعاً، ولم يكن بالثقة. وأما الآخران ففرط فيهما، وهما من أئمة العلم، وإن غلطا في الجتهادهما.

[٣] وقال إبراهيم بن هاشم: مداخل لنا جرير قط بيغداد: حدثنا، ولا في كلمة واحدة، فقلت: تراه لا يغلط مؤو، فكان رثماً نعس، فلنم، ثم ينتبه فيقرأ من الموضع الذي انتهى إليه.

[٤] يعقوب السدوسي: سمعت علي بن المديني يقول: كان جرير بن عبد الحميد صاحب ليل، وكان له رسن، يقولون: إذا أعين، تعلق به - يريد أنه كان يصلي. وقال أبو القاسم اللالكثي: مجمع على ثقته. مات جرير سنة ثمان وثمانين ومئة وهو ابن ثمان وسبعين سنة إلى التسع والسبعين.

الطبقة التاسعة

٤٠٠ - عبدالله بن إدريس (ع)^(١)

[١] ابن يزيد، الإمام الحافظ المقرئ القدوة، شيخ الإسلام، أبو محمد الأودي الكوفي. وُلد سنة عشرين ومئة، وكان من أئمة الدين. وقد أقدمه الرشيدُ بغداد ليؤليه قضاء الكوفة، فامتنع.

[٢] قال بشر بن الحارث: ما شرب أحد ماء الفرات فسَلِم إلا عبدالله بن إدريس.

قال أبو حاتم: هو حجة إمام من أئمة المسلمين.

[٣] وعن حسين العنقري قال: لما نزل بابن إدريس الموت، بكّت بنته، فقال: لا تبكي يا بُنَيَّة، فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة.

[٤] الحسن بن الربيع، قال: قُريء كتابُ الخليفة إلى ابن إدريس، وأنا حاضر: من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى عبدالله بن إدريس، قال: فَشَهَق ابنُ إدريس شَهَقَةً، وسقط بعد الظهر، فقمنا إلى العَصْر، وهو على حاله، وانتبه قَبيل المغرب، وقد صَبَبْنَا عليه الماء فلا شيء قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، صار يَعْرِفُنِي حتى يَكْتَبَ إليّ! أيّ ذنب بَلَغَ بي هذا؟!.

مات بالكوفة سنة اثنتين وتسعين ومئة.

[٥] قال يعقوب بن شيبة: سمعتُ عليّ بن المديني، وجعل يَذُمُّ قراءة حمزة، وقال: إنما نزل القرآن بلغة قريش وهي التَّفْخِيم، فقال له بشر بن موسى: حدثنا نَوْفَل، فقال ابن المديني: نَوْفَل ثقة، قال: سمعتُ عبد الله بن إدريس يقول لحمزة: اتَّقِ الله، فإنك رجلٌ تَتَأَلَّه، وهذه القراءة ليست قراءة عبد الله، ولا قراءة غيره، فقال

(١) انظر السير: ٤٨-٤٢/٩.

حمزة: أما إني أتحرج أن أقرأ بها في المحراب. قلت: لم؟ قال: لأنها لم تكن قراءة القوم. قلت: فما تصنع بها إذا؟ قال: إن رجعت من سفري لأتركها. ثم قال ابن إدريس: ما أستجيز أن أقول لمن يقرأ لحمزة: إنه صاحب سنة. قلت: اشتهر تحذير ابن إدريس من ذلك. والله يغفر له، وقد تلقى المسلمون حروفه بالقبول، وأجمعوا اليوم عليها.

٤٠١ - البرمكي^(١)

[١] الوزير الملك أبو الفضل جعفر، ابن الوزير الكبير أبي علي يحيى، ابن الوزير خالد بن برمك الفارسي:

[٢] كان خالد من رجال العلم، توصل إلى أعلى المراتب في دولة أبي جعفر، ثم كان ابنه يحيى كامل السؤدد، جليل المقدار، بحيث إن المهدي ضم إليه ولده الرشيد، فأحسن تربيته وأدبه، فلما أفضت الخلافة إلى الرشيد، رد إلى يحيى مقاليد الأمور، ورفع محله، وكان يخاطبه يا أبي، فكان من أعظم الوزراء، ونشأ له أولاد صاروا ملوكاً، ولا سيما جعفر، وما أدراك ما جعفر؟ له نبأ عجيب، وشأن غريب، بقي في الارتقاء في رتبة، شرك الخليفة في أمواله ولذاته وتصرفه في الممالك، ثم انقلب الدست في يوم. فقتل، وسجن أبوه وإخوته إلى الممات، فما أجهل من يغتر بالدنيا!

[٣] وقال الأصمعي: سمعت يحيى بن خالد يقول: الدنيا دُول، والمال عارية، ولنا بمن قبلنا أسوة، وفينا لمن بعدنا عبرة.

[٤] قيل: إن ولداً ليحيى قال له وهم في القيود: يا أبة بعد الأمر والنهي والأموال صرنا إلى هذا؟ قال: يا بني دعوة مظلوم غفلنا عنها، لم يغفل الله عنها.

(١) انظر السير: ٥٩/٩ - ٧١.

مات يحيى مَسْجُونًا بِالرُّقَّةِ سَنَةً تِسْعِينَ وَمِئَةً عَنْ سَبْعِينَ سَنَةً .

[١] فَأَمَّا جَعْفَرُ، فَكَانَ مِنْ مِلاَحِ زَمَانِهِ، كَانَ وَسِيمًا أبيضَ جَمِيلًا فَصِيحًا مُفَوِّهًا، أَدِيبًا، عَذْبَ الْعِبَارَةِ، حَاتِمِي السَّخَاءِ، وَكَانَ لَعَابًا غَارِقًا فِي لَذَاتِ دُنْيَاهُ، وَلِيَّ نِيَابَةِ دِمَشْقَ، فَقَدِمَهَا فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ وَمِئَةً، فَكَانَ يَسْتَخْلِفُ عَلَيْهَا، وَيُلَازِمُ هَارُونَ، وَكَانَ يَقُولُ: إِذَا أَقْلَبْتُ الدُّنْيَا عَلَيْكَ، فَأَعْطِ، فَإِنِهَا لَا تَفْنَى، وَإِذَا أَدْبَرْتُ، فَأَعْطِ فَإِنِهَا لَا تَبْقَى .

قد اختلف في سبب مصرع جعفر على أقوال .

[٢] وَسُئِلَ سَعِيدُ بْنُ سَالِمٍ عَنْ ذَنْبِ الْبِرَامِكَةِ، فَقَالَ: مَا كَانَ مِنْهُمْ بَعْضُ مَا يَوْجِبُ مَا فَعَلَ الرَّشِيدُ، لَكِنْ طَالَتْ أَيَّامُهُمْ، وَكُلُّ طَوِيلٍ يُمَلُّ .

[٣] وَفِي تَارِيخِ ابْنِ خُلِّكَانَ: أَنَّ الرَّشِيدَ دَعَا يَاسِرًا غُلَامَهُ، فَقَالَ: قَدْ انْتَخَبْتُكَ لِأَمْرِ لَمْ أَرْ لَهُ الْأَمِينَ وَلَا الْمَأْمُونَ، فَحَقَّقْ ظَنِّي . قَالَ: لَوْ أَمَرْتَنِي بِقَتْلِ نَفْسِي، لَفَعَلْتُ . قَالَ: ائْتِنِي بِرَأْسِ جَعْفَرٍ، فَوَجِمَ لَهَا، قَالَ: وَيْلَكَ مَا لَكَ؟ قَالَ: الْأَمْرُ عَظِيمٌ، لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا .

قَالَ: امْضِ، وَيْلَكَ، فَمَضَى، فَاتَى جَعْفَرًا، فَقَالَ: يَا يَاسِرُ سَرَرْتَنِي بِإِقْبَالِكَ لَكِنْ سَوَّيْتَنِي بِدُخُولِكَ بِلَا إِذْنٍ . قَالَ: الْأَمْرُ وَرَاءَ ذَلِكَ يَا جَعْفَرُ، قَدْ أَمَرْتُ بِكَذَا، قَالَ الْمَسْكِينُ - وَأَقْبَلَ يُقْبِلُ قَدَمَهُ، وَقَالَ: دَعْنِي أَدْخُلُ وَأُوصِي . قَالَ: لَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ، فَأَوْصِ . فَقَالَ: لِي عَلَيْكَ حَقٌّ، فَارْجِعْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَقُلْ: قَتَلْتُهُ، فَإِنْ نَدِمَ، كَانَتْ حَيَاتِي عَلَى يَدِكَ . قَالَ: لَا أَقْدِرُ، قَالَ: فَاتِي مَعَكَ إِلَى مُحَيِّمِهِ، وَأَسْمَعْ كَلَامَهُ، وَقُولْ لَهُ . قَالَ: أَمَّا هَذَا، فَنَعَمْ . وَذَهَبَ بِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ يَاسِرٌ، قَالَ: مَا وَرَاءُكَ؟ فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ جَعْفَرٍ، فَشْتَمَهُ، وَقَالَ: لِمَنْ رَاجَعْتَنِي، لِأَقْدَمَنَّكَ قَبْلَهُ . فَخَرَجَ، وَضَرَبَ عُنُقَهُ، وَأَتَاهُ بِرَأْسِهِ، فَقَالَ: يَا يَاسِرُ جِئْتَنِي، بِقُلَانٍ وَقُلَانٍ، فَلَمَّا أَتَاهُ بِهِمَا، قَالَ: اضْرِبْ بَا عُنُقِهِ، فَإِنِّي لَا أَقْدِرُ أَرَى قَاتِلَ جَعْفَرٍ .

[١] وقال أبو العتاهية:

قُولا لِمَنْ يَرْتَجِي الحَيَاةَ أَمَا فِي جَعْفَرٍ عِبْرَةٌ وَيَحْيَاهُ
كَأَنَا وَزَيْرِي خَلِيفَةُ اللَّهِ هَا رَوْنُ هُمَا مَا هُمَا وَزِيرَاهُ
فَذَا لَكُمْ جَعْفَرٌ بِرُمْتِهِ فِي حَالِقِ رَأْسِهِ وَنِصْفَاهُ
وَالشَّيْخُ يَحْيَى الْوَزِيرُ أَصْبَحَ قَدْ نَحَاهُ عَنْ نَفْسِهِ وَأَقْصَاهُ
شُتَّتْ بَعْدَ الْجَمِيعِ شَمْلُهُمْ فَاصْبَحُوا فِي الْبِلَادِ قَدْ تَاهُوا
كَذَاكَ مَنْ يُسَخِطُ الْإِلَهَ بِمَا يُرْضِي بِهِ الْعَبْدَ يَجْزِهِ اللَّهُ
سُبْحَانَ مَنْ دَانَتْ الْمُلُوكُ لَهُ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
طُوبَى لِمَنْ تَابَ قَبْلَ عَثْرَتِهِ فَتَابَ قَبْلَ الْمَمَاتِ طُوبَاهُ
قُتِلَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى، سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِئَةٍ، عَاشَ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَمَاتَ
أَخُوهُ الْفَضْلُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِئَةٍ.

٤٠٢ - أَبُو مُعَاوِيَةَ الْأَسْوَدُ^(١)

[٢] مِنْ كِبَارِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، صَحَبَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ، وَغَيْرَهُمَا،
وَكَانَ يُعَدُّ مِنَ الْأَبْدَالِ.

[٣] وَقِيلَ: إِنَّهُ ذَهَبَ بِبَصْرِهِ، فَكَانَ إِذَا أَرَادَ التَّلَاوَةَ فِي الْمَصْحَفِ أَبْصَرَ بِإِذْنِ اللَّهِ.

[٤] قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَّارِيِّ: جَاءَ إِلَى أَبِي مُعَاوِيَةَ الْأَسْوَدِ جَمَاعَةٌ، ثُمَّ قَالُوا: ادْعُ
اللَّهَ لَنَا. فَقَالَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِهِمْ، وَلَا تَحْرِمْهُمْ بِي.

[٥] قَالَ أَحْمَدُ بْنُ فَضِيلِ الْعَكِّي: غَزَا أَبُو مُعَاوِيَةَ الْأَسْوَدُ، فَحَضَرَ الْمُسْلِمُونَ حِصْنًا
فِيهِ عَلَجٌ لَا يَرْمِي بِحَجَرٍ وَلَا نَشَابٍ إِلَّا أَصَابَ، فَشَكُّوا إِلَى أَبِي مُعَاوِيَةَ، فَقَرَأَ ﴿وَمَا
رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال ١٧]. اسْتَرَوْنِي مِنْهُ، فَلَمَّا وَقَفَ، قَالَ:

(١) انظر السير: ٧٩-٧٨/٩.

أين تريدون بإذن الله؟ قالوا: المذاكير. فقال: أيُّ ربٍّ. قد سمعتَ ما سألوني، فأعطني ذلك: بسم الله، ثم رمى المذاكير، فوقع.
[١] ومن كلامه: من كانت الدنيا همَّه، طالَ غداً غمُّه، ومن خافَ ما بين يديه، ضاق به ذرعُه، وله مواعظ وحكم.

٤٠٣ - المُعَافَى (خ، د، س) (١)

[٢] المُعَافَى بن عِمْران، بن نُفَيْل، الإمام، شيخ الإسلام، ياقوتة العلماء، أبو مسعود الأزدي الموصلي الحافظ، وُلد سنة نيفٍ وعشرين ومئة.
وكان من أئمة العلم والعمل، قلَّ أن ترى العيون مثله.

[٣] وقال بشر بن الحارث: إني لأذكر المُعَافَى اليوم، فأنْتَفَعُ بذكره، وأذكر رؤيته فأنْتَفَعُ.

[٤] بشر بن الحارث: سمعتُ المُعَافَى يقول: سمعتُ الثوري يقول: إذا لم يكن لله في العبد حاجةٌ، نبذه إلى السلطان.

[٥] قال بشر الحافي: كان المُعَافَى صاحبَ دنيا واسعةٍ وضياح كثيرة.

[٦] قال مرةً رجلٌ: ما أشدَّ البردَ اليوم، فالتفتَ إليه المُعَافَى، وقال: استدفأتَ الآن، لو سكتُ، لكان خيراً لك.

[٧] قلتُ: قولٌ مثلُ هذا جائزٌ، لكنهم كانوا يكرهون فضولَ الكلام، واختلف العلماء في الكلام المباح، هل يكتبه المَلِكُ، أم لا يكتبان إلا المستحبُّ الذي فيه أجرٌ، والمذموم الذي فيه تبعةٌ؟ والصحيحُ كتابةُ الجميعِ لعمومِ النصِّ في قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق ١٨]، ثم ليس إلى المملكين اطلاعٌ على النيات والإخلاص، بل يكتبان النطق، وأما السرائرُ الباعثةُ للنطق، فإله يتولّاها.

(١) انظر السير: ٨٠/٩ - ٨٦.

وقد أوصى المُعافى - رحمه الله - أولاده بِوَصِيَّةٍ نافعةٍ تكونُ نحواً من كُراس .
 [١] ومما رواه المُعافى بنُ عِمْران : عن سُفيان ، عن حَجَّاج بن فُرَافِصَةَ عن بُدَيْل ،
 قال : مَنْ عَرَفَ الله عز وجل ، أَحَبَّهُ ، ومن أَبْصَرَ الدُّنْيَا زَهَدَ فيها ، والمُؤْمِن لا يَلْهُو
 حتَّى يَغْفُل ، فإذا تَذَكَّرَ حَزَنَ .

٤٠٤ - مَنْصُورُ بنِ عَمَّار^(١)

[٢] ابن كثير الواعظ ، البليغُ الصَّالِحُ ، الرِّبَّانِي أَبُو السَّرِيِّ السُّلَمِيُّ الخُرَاسَانِي ،
 وقيل : البصري ، كان عديمَ النظير في الموعظة والتذكير .

[٣] وعظ بالعراق والشام ومصر ، وبعُدَ صِيتُهُ ، وتزاحم عليه الخلقُ ، وكان ينطوي
 على زُهدٍ وتألُّهِ وخشية ، وَلَوْعَظِهِ وَقَعَ في النفوس .

[٤] وقال أحمدُ بنُ أبي الحَوَّاري : سمعتُ عبدَ الرحمن بنَ مُطَرِّفٍ يقول : رُؤِيَ
 مَنْصُورُ بنُ عَمَّارٍ بعد موته ، فقيل : ما فعل اللهُ بك ؟ قال : غَفَرَ لي ، وقال لي : يا
 مَنْصُورُ ، غفرتُ لك على تخليطٍ فيك كثير ، إلا أَنَّكَ كُنْتَ تحوش^(٢) النَّاسَ إلى
 ذكري .

[٥] قال العباسُ السَّرَّاجُ : حَدَّثَنَا أحمدُ بنُ موسى الأنصاري قال : قال مَنْصُورُ بنُ
 عَمَّارٍ : حَجَجْتُ ، فَبِتُّ بالكوفة ، فخرجتُ في الظُّلُماء ، فإذا بصارخٍ يقول : إلهي
 وعزَّتْكَ ما أردتُ بمعصيتي مخالفتَكَ ، وعصيتُ وما أنا بِنكالك جاهلٌ ، ولكن خطيئةً
 أعانني عليها شِقائِي ، وغرَّني سِتْرُكَ ، فالآن من يُنقِذُني ، فتلوتُ هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحریم : ٦] قال : فسمعتُ دَكْدَكَةً ، فلَمَّا
 كان من الغد ، مررتُ هناك ، فإذا بجنازة ، وعجوزٌ تقولُ : مر البارحة رجل تلا آيةً
 فتفطرتُ مرارته ، فوقَعَ ميتاً .

لم أجد وفاةً لَمَنْصُور ، وكأنَّها في حدود المِثْنين .

(٢) أي تسوقهم وتجمعهم .

(١) انظر السير : ٩٣/٩ - ٩٨ .

[١١] محمد بن جعفر، الحافظ، المجوّد، الثّبت، أبو عبد الله الهذلي، مولا هم البصري الكرايسي، أحد المتّقين.

ولّد سنة بضع عشرة ومئة.

[١٢] قال أحمد بن حنبل: قال غُندَر: لَزِمْتُ شُعْبَةَ عَشْرِينَ سَنَةً.

[١٣] قلت: ما أظنه رَحَلَ في الحديث من البصرة، وابن جُريج هو الذي سَمَاهُ غُندَرًا، وذلك لأنّه نَعَتَ ابنَ جُريج في الأخذ، وشَغِبَ عليه أهل الحِجاز، فقال: ما أَنتَ إِلَّا غُندَر.

[١٤] قال يحيى بن مَعِين: أخرج غُندَر إلينا ذَلَّتْ يَوْمَ جَرَّاءٍ قَبْلَهُ كُتُبٌ، فقال: اجْهَدُوا أَنْ تَخْرُجُوا فِيهَا خَطًّا، قال: فما جَدَلْنَا فِيهِ شَيْئًا، وكان يصومُ يَوْمًا، وَيَقْطُرُ يَوْمًا مِنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً.

[١٥] قال أبو حاتم الرازي: كَانَ غُندَرُ صَدُوقًا مُؤَدِّيًا، وفي حديث شُعْبَةَ ثِقَةٌ وَأَمَّا فِي غَيْرِ شُعْبَةَ، فَيُكْتَبُ حَدِيثُهُ، وَلَا يَحْتَجُّ بِهِ.

[١٦] عن يحيى بن مَعِين قال: كَانَ غُندَرُ يَجْلِسُ عَلَى رَأْسِ الْمَنَازِلَةِ يُفَرِّقُ زَكَاتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ تَفْعَلُ هَذَا؟ قال: أُرْغَبُ النَّاسَ فِي إِخْرَاجِ الزَّكَاةِ..

[١٧] اشْتَرَى سَمَكًا، وَقَالَ لِأَهْلِهِ: أَصْلَحُوهُ، وَنَامَ، فَأَكَلَ عِيَالُهُ السَّمَكَ، وَلَطَخُوا يَدَهُ. فَلَمَّا انْتَبَهَ، قَالَ: هَاتُوا السَّمَكَ.. قَالُوا: قَدْ أَكَلْتَهُ، فَقَالَ: لَا.. قَالُوا: فَشُمَّ يَدُكَ. فَفَعَلَ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقْتُمْ وَلَكِنْ مَلَّ شَيْعَتٌ..

[١٨] وَنَقَلَ ابْنُ مَرْوَانَ فِي الْمَجَالِسَةِ قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي عَثْمَانَ، سَمِعْتُ يَحْيَى ابْنَ مَعِينٍ يَقُولُ: دَخَلْنَا عَلَى غُندَرٍ، فَقَالَ: لَا أَهْلُكُمْ بِشَيْءٍ حَتَّى تَجِئُوا مَعِيَ إِلَى السُّوقِ وَتَمْشُونَ، قِرَاكُمُ الثَّلَاثُ، فَيَكْرُمُونِي.. قَالَ: فَهَسَيْتُمْ خَلْفَهُ إِلَى السُّوقِ..

فجعل الناس يقولون له: مَنْ هَؤُلَاءِ يا أبا عبدالله؟ فيقول: هَؤُلَاءِ أصحاب الحديث، جاؤوني من بغداد يكتبون عني.

قلت: اتفق أرباب الصُّحاح على الاحتجاج بغيره.

وكانت وفاته في سنة ثلاث وتسعين ومئة، وهو في عشر الثمانين رحمه الله.

٤٠٦ - ابن عُلَيَّة (ع)

[١] إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، الإمام، العلامة، الحافظ الثبت، أبو بشر الأسدي، مولاهم البصري الكوفي الأصل، المشهور بابن عُلَيَّة، وهي أمه.

وُلد سنة مات الحسن البصري سنة عشر ومئة.

[٢] وكان فقيهاً، إماماً، مفتياً، من أئمة الحديث، وكان يقول: من قال: ابن عُلَيَّة، فقد اغتابني.

[٣] قلت: هذا سوء خلقٍ رحمه الله، شيء قد غلب عليه، فما الحيلة؟ فقد دعا النبي ﷺ غير واحدٍ من الصحابة بأسمائهم مُضاعفاً إلى الأُم، الزبير ابن صَفِيَّة، وعُمار ابن سُمَيَّة.

[٤] وقال عمرو بن زرارَةَ النيسابوري: صحبتُ ابنِ عُلَيَّة أربع عشرة سنة، فما رأيتهُ تبسّم فيها.

[٥] قلت: ما في هذا مدح، ولكنه مؤذنٌ بخشيةٍ وحُزن.

[٦] قال حماد بن سلمة: ما كنا تُشبه شماتل إسماعيل بن عُلَيَّة إلا بشماتل يونس حتى دخل فيما دخل فيه.

[٧] قلت: يريدُ ولايته الصَّدقة، وكان موصوفاً باللَّين والورع والتَّأَلُّه، منظوراً إليه في الفضل والعلم، وبدت منه هفواتٌ خفيفة، لم تُغيّر رُبَّتَهُ إن شاء الله.

(١) انظر السير: ١٠٧/٩ - ١٢٠.

[١] دخل على الأمين محمد بن هارون، فشتمه محمد، فقال: أخطأتُ، وكان حدث بهذا الحديث: «تجيء البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان تحاجان عن صاحبهما» فقيل لابن عُلَيَّة: ألهما لسان؟ قال: نعم: فقالوا: إنه يقول: القرآن مخلوق، وإنما غلط.

[٢] قال الإمام أحمد: بلغني أنه أدخل على الأمين، فلما رآه، زحف وجعل يقول: يا ابن الفاعلة تتكلم في القرآن؟ وجعل إسماعيل يقول: جعلني الله فداك، زلّة من عالم، ثم قال أحمد: إن يغفر الله له - يعني الأمين - فيها. ثم قال أحمد: وإسماعيل ثبت.

[٣] قال الفضل بن زياد: قلت: يا أبا عبد الله، إن عبد الوهّاب قال: لا يحب قلبي إسماعيل أبداً، لقد رأيته في المنام كأن وجهه أسود. فقال أحمد: عافى الله عبد الوهّاب، ثم قال: لزمّت إسماعيل عشر سنين إلى أن أعيب، ثم جعل يحرك رأسه كأنه يتلهّف. ثم قال: وكان لا يُنصف في التحدّث (١).

قلت: توفي إسماعيل سنة ثلاث وتسعين ومئة، عن ثلاث وثمانين سنة. عن شعبة قال: ابن عُلَيَّة رِيحَانَةُ الْفُقَهَاء.

[٤] قال سهل بن شاذويه، سمعت علي بن خشرم يقول: قلت لوكيع: رأيت إسماعيل ابن عُلَيَّة يَشْرَبُ النَّبِيدَ حَتَّى يُحْمَلُ عَلَى الْحِمَارِ، يَحْتَاجُ مَنْ يَرُدَّهُ إِلَى مَنْزِلِهِ! فقال وكيع: إذا رأيت البصري يشرب، فاتهمه.

قلت: وكيف؟ قال: إن الكوفي يشربه تَدِينًا، والبصري يتركه تَدِينًا.

[٥] وهذه حكاية غريبة، ما علمنا أحداً غَمَزَ إسماعيل بِشْرَبِ الْمُسْكِرِ قَطْ، وقد انحرف بعض الحفاظ عنه بلا حُجَّة، حتى إن منصور بن سَلَمَةَ الْخُزَاعِي تحدّث

(١) ذكره المؤلف في «الميزان» وتعقبه بقوله: إمامة إسماعيل وثيقة لا نزاع فيها، وقد بدت منه هفوة وتاب، فكان ماذا؟ إني أخاف الله لا يكون ذكرنا له من الغيبة، وأما القرآن، فقد قال عبد الصمد بن يزيد مردويه: سمعت ابن عُلَيَّة يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق.

مرّةً، فسبّقه لسانه، فقال: حدّثنا إسماعيلُ بنُ عُليّة، ثم قال: لا، ولا كرامة، بل أردتُ زُهيراً. وقال: ليس من قارف الذنبَ كمن لم يُقارِفْهُ، أنا والله استتبتُهُ.

[١] قلتُ: يُشير إلى تلك الهفوة الصغيرة، وهذا من الجرح المردود، وقد اتفق علماء الأُمّة على الاحتجاج بإسماعيلَ بنِ إبراهيم العدلِ المأمون، وقد قال عبدُ الصّمد ابنُ يزيد مرّدويّه: سمعتُ إسماعيلَ بنَ عُليّة يقول: القرآنُ كلامُ الله غير مخلوق.

٤٠٧ - عبد الرحمن بن القاسم (خ، س) (١)

[٢] عالم الدّيار المصرية ومُفتيها، أبو عبد الله العُتقي، مولا هم المصري صاحب مالِك الإمام.

[٣] وكان ذا مالٍ ودُنيا، فأنفقها في العلم، وقيل: كان يمتنعُ من جوائز السُّلطان، وله قدّم في الورع والتّألّه.

[٤] وعن مالِك: أنّه ذكّرَ عنده ابنُ القاسم، فقال: عافاه الله، مثله كمثلِ جِرَابٍ مملوءٍ مِسْكَاً.

[٥] وعن ابن القاسم قال: ليس في قرب الولاة ولا في الدُّنوّ منهم خير.

[٦] أحمد بن أخي ابن وهب: حدّثنا عمي قال: خرجتُ أنا وابنُ القاسم بضع عشرة سنة إلى مالِك. فسنةً أسألُ أنا مالِكا، وسنةً يسأله ابنُ القاسم.

[٧] عن عليّ بن مَعْبِدٍ، قال: رأيتُ ابنَ القاسم في النوم، فقلت: كيف وجدتَ المسائل؟ فقال: أفّ، أفّ. قلتُ: فما أحسنُ ما وجدت؟ قال: الرِّباطُ بالثُّغْرِ. قال: ورأيتُ ابنَ وهبٍ أحسنَ حالاً منه.

[٨] قال سعيّد بنُ الحَدّاد: سمعتُ سُحُنُونَ يقولون: كنتُ إذا سألتُ ابنَ القاسم عن المسائل، يقولُ لي: يا سُحُنُونَ، أنت فارغٌ، إني لأحسُّ في رأسي دويّاً كدويِّ الرِّحَا

(١) انظر السير: ١٢٠/٩ - ١٢٥.

- يعني من قيام الليل - قال : وكان قلماً يعرضُ لنا إلا وهو يقول : اتقوا الله ، فإنَّ قليلَ هذا الأمرِ مع تقوى الله كثيرٌ ، وكثيرُه مع غيرِ تقوى الله قليلٌ .

[١] وعن سُحْنُون قال : لما حججنا كنت أزامِل ابنَ وَهَب ، وكان أشهب يزامله يتيّمه ، وكان ابن القاسم يُزاملُه ابنه موسى ، ونزلنا بمسجدٍ ببعض مدائن الحجاز ، فنامنا ، فانتبه ابن القاسم مذعوراً ، فقال لي : يا أبا سعيد ، رأيتُ السّاعةَ كأن رجلاً دخل علينا من باب هذا المسجد ، ومعه طبقٌ مغطى وفيه رأس خنزير . أسأل الله خيرها . فما لبثنا حتى أقبل رجلٌ معه طبقٌ مغطى بمنديل ، وفيه رُطْبٌ من تمر تلك القرية ، فجعله بين يدي ابن القاسم ، وقال : كُلْ ، قال : ما إلى ذلك من سبيل . قال : فأعطه أصحابك ، قال : أنا لا أكله ، أعطيه غيري ! فانصرف الرجل ، فقال لي ابن القاسم : هذا تأويل الرؤيا . وكان يقال : إنَّ تلك القريةَ أكثرها وقفٌ عُصَبَتْ . قال الحارث بنُ مسكين : كان ابنُ القاسم في الورع والزهد شيئاً عجيباً . وُلِدَ ابنُ القاسم سنّة اثنتين وثلاثين ومئة ، وتُوفِيَ في سنّة إحدى وتسعين ومئة ، رحمه الله ، عاش تسعاً وخمسين سنّة .

٤٠٨ - الكسائي^(١)

[٢] الإمام ، شيخُ القراءة ، والعربية ، أبو الحسن عليُّ بنُ حمزة بن عبد الله بن يَهْمَن بن فيروز الأسدي ، مولا هم الكوفي ، الملقَّب بالكسائي لكسائه أحرَم فيه . [٣] اختار قراءةً اشتهرت ، وصارت إحدى السَّبع .

قال الشافعي : مَنْ أراد أن يتبحَّر في النحو ، فهو عيالٌ على الكسائي . قال ابنُ الأنباري : اجتمع فيه أنَّه كان أعلم النَّاس بالنحو ، وواحدُهم في الغريب ، وأوحد في علم القرآن ، كانوا يُكثرون عليه حتى لا يضبط عليهم ، فكان

(١) انظر السيرة : ١٣١/٩ - ١٣٤ .

يَجْمَعُهُمْ، وَيَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيٍّ، وَيَتْلُو وَهُمْ يَضْبُطُونَ عَنْهُ حَتَّى الْوُقُوفِ.
 [١] قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: سَمِعْتُ الْكِسَائِيَّ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ عَلَى النَّاسِ مَرَّتَيْنِ.
 [٢] وَعَنْ خَلْفٍ، قَالَ: كُنْتُ أَحْضَرُ بَيْنَ يَدَيِ الْكِسَائِيِّ وَهُوَ يَتْلُو، وَيَنْقُطُونَ عَلَى قِرَاءَتِهِ مَصَاحِفَهُمْ.

[٣] عَنْ عَاصِمٍ، قَالَ الْكِسَائِيُّ: صَلَّيْتُ بِالرَّشِيدِ، فَأَخْطَأْتُ فِي آيَةٍ مَا أَخْطَأَ فِيهَا صَبِيٌّ، قُلْتُ: «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعِينَ»، فَوَاللَّهِ مَا اجْتَرَأَ الرَّشِيدُ أَنْ يَقُولَ: أَخْطَأْتُ. لَكِنْ قَالَ: أَيُّ لُغَةٍ هَذِهِ؟ قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ يَعْتَرُّ الْجَوَادُ. قَالَ: أَمَّا هَذَا، فَنَعَمْ.
 [٤] وَعَنْ خَلْفِ بْنِ هِشَامٍ: أَنَّ الْكِسَائِيَّ قَرَأَ عَلَى الْمَنْبَرِ: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً﴾ بِالنَّصَبِ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الْعِلَّةِ، فَتَرْتُ فِي وَجْهِهِمْ، فَمَحَوُهُ، فَقَالَ لِي: يَا خَلْفُ، مَنْ يَسْلَمُ مِنَ اللَّحْنِ؟

[٥] وَعَنْ الْفَرَاءِ قَالَ: إِنَّمَا تَعْلَمُ الْكِسَائِيُّ النَّحْوَ عَلَى كِبَرٍ^(١).
 قُلْتُ: كَانَ الْكِسَائِيُّ ذَا مَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ عِنْدَ الرَّشِيدِ، وَأَدَّبَ وَلَدَهُ الْأَمِينَ، وَنَالَ جَاهاً وَأَمْوَالاً، وَقَدْ تَرَجَّمَتْهُ فِي أَمَاكِنَ.
 سَارَ مَعَ الرَّشِيدِ، فَمَاتَ بِالرَّيِّ بِقَرْيَةِ أَرْبُوعَةِ سَنَةٍ تَسَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِئَةً عَنْ سَبْعِينَ سَنَةً.

٤٠٩ - مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ^(٢)

[٦] ابْنُ فَرْقَدٍ، الْعَلَّامَةُ، فَقِيهُ الْعِرَاقِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْبَانِيُّ، الْكُوفِيُّ، صَاحِبُ أَبِي حَنِيفَةَ.

(١) وَكَانَ سَبَبُ تَعَلُّمِهِ أَنَّهُ جَاءَ يَوْمًا وَقَدْ مَشَى حَتَّى أَعْيَى، فَمَجِسَ إِلَى قَوْمٍ فِيهِمْ فَضْلٌ، وَكَانَ يُجَالِسُهُمْ كَثِيرًا، فَقَالَ: قَدْ عَيِّتُ، فَقَالُوا لَهُ تَجَالِسْنَا وَأَنْتَ تَلْحَنُ، فَقَالَ: كَيْفَ لَحَنْتُ؟ فَقَالُوا: إِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ مِنَ التَّعْبِ فَقُلْ: «أَعْيَيْتُ» وَإِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ مِنَ انْقِطَاعِ الْحِيلَةِ وَالتَّحْيِيرِ فِي الْأَمْرِ، فَقُلْ: «عَيَّيْتُ» مُخَفَّفَةً، فَانْفَ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَقَامَ مِنْ فَوْرِهِ، فَسَأَلَ عَنْ يَدِهِ النَّحْوِ، فَأَرْشَدُوهُ إِلَى مَعَاذِ الْهَرَاءِ، فَلَزِمَهُ حَتَّى أَنْفَدَ مَا عَنْده.

(٢) انْظُرِ السِّرَ: ١٣٤/٩ - ١٣٦.

وُلد بواسط، ونشأ بالكوفة.

وأخذ عن أبي حنيفة بعض الفقه، وتمم الفقه على القاضي أبي يوسف.
أخذ عنه: الشافعي فأكثر جداً، وآخرون.

قلت: ولي القضاء للرشيد، بعد القاضي أبي يوسف، وكان مع تبخره في الفقه
يُضربُ بذكائه المثل.

[١] كان الشافعي يقول: كتبتُ عنه وقرُّ بُخْتِي^(١)، وما ناظرتُ سميماً أذكى منه، ولو
أشاء أن أقول: نزل القرآن بلغة محمد بن الحسن، لقلتُ لفصاحته.

قال إبراهيم الحربي: قلتُ للإمام أحمد: من أين لك هذه المسائل الدقاق؟
قال: من كتب محمد بن الحسن.

[٢] قيل: إنَّ محمداً لما احتضر، قيل له: أتبكي مع العلم؟ قال: أرأيت إن أوقفني
الله وقال: يا محمد، ما أقدمك الرِّي؟ الجهادُ في سبيلي، أم ابتغاء مرضاتي؟ ماذا
أقول.

قلت: توفيَّ إلى رحمة الله سنة تسع وثمانين ومئة بالرِّي.

٤١٠ - وكيع (ع) (٢)

[٣] ابن الجراح، بن مليح، الإمام الحافظ، محدث العراق، أبو سفيان الرؤاسي،
الكوفي، أحد الأعلام. وُلد سنة تسع وعشرين ومئة. وكان من بُحور العلم وأئمة
الحفظ.

[٤] الفضل بن محمد الشعрани: سمعتُ يحيى بن أكثم يقول: صَحِبْتُ وكيعاً في
الحضر والسفر، وكان يصوم الدهر، ويختِم القرآن كُلَّ ليلة.

قلت: هذه عبادةٌ يخضعُ لها. ولكنها من مثل إمام من الأئمة الأثرية مفضولة،

(١) البختي: واحد البخت، وهي الإبل.

(٢) انظر السير: ٩/ ١٤٠-١٦٨.

قد صحَّ نهيه عليه السَّلام عن صَوْمِ الدَّهْرِ، وصَحَّ أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُقْرَأَ الْقُرْآنُ فِي أَقْلٍ مِنْ ثَلَاثٍ، وَالَّذِينَ يُسَرُّ، وَمتابعةُ السُّنَّةِ أَوْلَى، فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ وَكِيعٍ، وَأَيْنَ مِثْلُ وَكِيعٍ؟ وَمَعَ هَذَا فَكَانَ مُلَازِمًا لِشُرْبِ نَبِيذِ الْكَوْفَةِ الَّذِي يُسَكَّرُ الْإِكْثَارُ مِنْهُ فَكَانَ مُتَأَوِّلاً فِي شُرْبِهِ، وَلَوْ تَرَكَ تَوَرُّعًا، لَكَانَ أَوْلَى بِهِ، فَإِنَّ مَنْ تَوَقَّى الشُّبُهَاتِ، فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِزِّهِ، وَقَدْ صَحَّ النَّهْيُ وَالتَّحْرِيمُ لِلنَّبِيذِ الْمَذْكُورِ. وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ هَذِهِ الْأُمُورِ، [١] وَكُلُّ أَحَدٍ يَتَّخِذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيَتْرُكُ، فَلَا قُدُوةَ فِي خَطَا الْعَالَمِ، نَعَمْ، وَلَا يُؤْنِخُ بِمَا فَعَلَهُ بِاجْتِهَادٍ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَهُ الْمُسَامَحَةَ.

قال يحيى بن معين: وكيع في زمانه كالأوزاعي في زمانه.
قلت: كان أحمد يعظم وكيعا ويفخمه.

[٢] قال محمد بن عامر المصيصي: سألت أحمد: وكيع أحب إليك أو يحيى بن سعيد؟ فقال: وكيع. قلت: كيف فضَّلته على يحيى، ويحيى ومكانه من العلم، والحفظ والإتقان ما قد علمت؟ قال: وكيع كان صديقاً لحفص بن غياث، فلماً ولي القضاء، هَجَرَهُ، وَإِنَّ يَحْيَى كَانَ صَدِيقاً لِمُعَاذِ بْنِ مُعَاذٍ، فَلَمَّا وَلِيَ الْقَضَاءَ، لَمْ يَهْجُرْهُ يَحْيَى.

وقال محمد بن علي الوراق: غرض القضاء على وكيع، فامتنع.

[٣] محمد بن سلام البيهقي: سمعت وكيعا يقول: مَنْ طَلَبَ الْحَدِيثَ كَمَا جَاءَ فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ، وَمَنْ طَلَبَهُ لِيُقَوِّيَ بِهِ رَأْيَهُ، فَهُوَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ.

[٤] وقال بشر بن موسى: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما رأيت قطُّ مثل وكيع في العلم والحفظ والإسناد والأبواب مع خشوعٍ وورعٍ.

قلت: يقول هذا أحمد مع تحريره وورعه. وقد شاهد الكبار مثل هشيم، وابن عيينة، ويحيى القطان، وأبي يوسف القاضي وأمثالهم.

[٥] يحيى بن أيوب، حدَّثني بعض أصحاب وكيع الذين كانوا يلزمونه. أَنَّ وَكِيعاً كَانَ

لا ينام حتى يقرأ جُزءه من كُلِّ ليلة ثلث القرآن، ثم يقوم في آخر الليل، فيقرأ المُفصل، ثم يجلس، فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر.

[١] قال علي بن خشرم، ما رأيت بيد وكيع كتاباً قط، إنما هو حفظ، فسألته عن أدوية الحفظ: فقال: إن علمتكَ الدواء استعملته؟ قلت: إي والله. قال: ترك المعاصي ما جربت مثله للحفظ.

[٢] سئل أبو داود: أيما أحفظ وكيع أو عبد الرحمن بن مهدي؟ قال: وكيع أحفظ، وعبد الرحمن أتقن، وقد التقي بعد العشاء في المسجد الحرام، فتواقفا حتى سمعا أذان الصبح.

[٣] قال يعقوب الفسوي - وبلغه قول يحيى: مَنْ فَضَّلَ عبد الرحمن على وكيع فعليه اللعنة -: كان غير هذا أشبه بكلام أهل العلم، ومن حاسب نفسه، لم يقل مثل هذا، وكيع خير فاضل حافظ.

[٤] قال حنبل بن إسحاق: سمعت ابن معين يقول: رأيت عند مروان بن معاوية لوحاً فيه أسماء شيوخ: فلان رافضي، وفلان كذا، ووكيع رافضي، فقلت لمروان: وكيع خير منك، قال: مني؟ قلت: نعم. فسكت، ولو قال لي شيئاً، لو لب أصحاب الحديث عليه. قال: فبلغ ذلك وكيعاً، فقال: يحيى صاحبنا، وكان بعد ذلك يعرف لي، ويرحب.

[٥] والظاهر أن وكيعاً فيه تشيع يسير لا يضر إن شاء الله، فإنه كوفي في الجملة، وقد صنف كتاب فضائل الصحابة، سمعناه، قدّم فيه باب مناقب عليّ على مناقب عثمان، رضي الله عنهما.

[٦] قال الحسين بن محمد بن عفير: حدثنا أحمد بن سنان قال: كان عبد الرحمن ابن مهدي لا يتحدث في مجلسه، ولا يقوم أحد، ولا يبرى فيه قلم، ولا يتسم أحد، وكان وكيع يكونون في مجلسه كأنهم في صلاة فإن أنكر من أمرهم شيئاً انتعل ودخل، وكان ابن نمير يغضب ويصيح وإن رأى من يبري قلماً، تغير وجهه غضباً.

[١] وقال عليُّ بنُ المديني: كان وكيعٌ يُلَحِّنُ، ولو حَلَّثْتُ عَنْهُ بِالْفَاطِمَةِ، لَكَانَتْ عَجَباً، كَانَ يَقُولُ: حَدَّثَنَا مَسْعَرٌ عَنْ «عِيْشَةَ».

وقال إبراهيمُ الحَرَبِيُّ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ عِيْشَايَ مِثْلَ وَكَيْعٍ قَطُّ، يَحْفَظُ الْحَدِيثَ جَيِّدًا، وَيُذَكِّرُ الْفَقْهَ، فَيُحْسِنُ مَعَ وَرْعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي أَحَدٍ.

[٢] قَالَ سَلْمُ بْنُ جُنَادَةَ: جَالَسْتُ وَكَيْعًا سَبْعَ سِنِينَ، فَمَا رَأَيْتُهُ بَرَّاقًا، وَلَا مَسَّ حِصَاةً، وَلَا جَلَسَ مَجْلِسًا فَتَحَرَّكَ، وَمَا رَأَيْتُهُ إِلَّا مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، وَمَا رَأَيْتُهُ يَحْلِفُ بِاللَّهِ.

[٣] وَرَوَى عَنْ وَكَيْعٍ أَنَّ رَجُلًا أَغْلَظَ لَهُ، فَدَخَلَ بَيْتًا، فَغَفَّرَ وَجْهَهُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الرَّجُلِ، فَقَالَ: زِدْ وَكَيْعًا بَذَنِبَهُ، فَلَوْلَاهُ مَا سُلِّطْتَ عَلَيْهِ.

[٤] قَالَ مِرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّاطَرِيُّ: مَا رَأَيْتُ فِيمَنْ رَأَيْتُ أَخْشَعَ مِنْ وَكَيْعٍ، وَمَا وُصِفَ لِي أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا رَأَيْتُهُ دُونَ الصِّفَةِ إِلَّا وَكَيْعًا، رَأَيْتُهُ فَوْقَ مَا وُصِفَ لِي.

[٥] قَالَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ: قَدِمَ وَكَيْعٌ مَكَّةَ سَمِينًا، فَقَالَ لَهُ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ: مَا هَذَا السَّمْنُ، وَأَنْتَ رَاهِبُ الْعِرَاقِ؟ قَالَ: هَذَا مِنْ فَرَحِي بِالْإِسْلَامِ، فَأَفْحَمَهُ.

[٦] وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَةَ: حَفِظَنِي وَحَفِظَ ابْنُ الْمُبَارَكِ تَكَلُّفًا، وَحَفِظَ وَكَيْعٌ أَصْلِي، قَامَ وَكَيْعٌ، فَاسْتَنْدَ، وَحَدَّثَ بِسَبْعِ مِائَةِ حَدِيثٍ حَفَظًا.

[٧] أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِي: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الْجَمَّالَ يَقُولُ: أَتَيْنَا وَكَيْعًا فَخَرَجَ بَعْدَ سَاعَةٍ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ مَغْسُولَةٌ، فَلَمَّا بَصُرْنَا بِهِ، فَرَعْنَا مِنَ النُّورِ الَّذِي رَأَيْنَاهُ يَتَلَأَلُّ مِنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ بَجَنِبِي: أَهَذَا مَلَكٌ؟ فَتَعَجَّبْنَا مِنْ ذَلِكَ النُّورِ.

[٨] وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ سِنَانَ: رَأَيْتُ وَكَيْعًا إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ، لَيْسَ يَتَحَرَّكُ مِنْ شَيْءٍ، لَا يَزُولُ وَلَا يَمِيلُ عَلَى رِجْلٍ دُونَ الْأُخْرَى.

[٩] قَالَ الْفَلَّاسُ: مَا سَمِعْتُ وَكَيْعًا ذَاكِرًا أَحَدًا بِسُوءٍ قَطُّ.

قُلْتُ: مَعَ إِمَامَتِهِ، كَلَامُهُ نَزَرٌ جَدًّا فِي الرِّجَالِ.

[١٠] قُلْتُ: أَصَحُّ إِسْنَادٍ بِالْعِرَاقِ وَغَيْرِهَا، أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، عَنْ وَكَيْعٍ، عَنْ سُفْيَانَ،

عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، عن النبي ﷺ، وفي «المُسند» بهذا السند عدة مُتون.

علي بن خَشرَم: سمعتُ وكيعاً يقول: لا يكْمُلُ الرجلُ حتى يكتبَ عنهُ هو وفوقه وعمَّن هو مثله، وعمَّن هو دونَه.

[١] محنة وكيع - وهي غريبة - تورَّطَ فيها ولم يردْ إلا خيراً، ولكن فاتته سكتة، وقد قال النبي ﷺ «كفى بالمرء إثماً أنْ يُحدِّثَ بكل ما سمع، فليتقِ عبدُ ربِّه، ولا يخافَنَّ إلا ذنبه».

قال عليُّ بنُ خَشرَم: حدَّثنا وكيعٌ عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله البهي، أن أبا بكر الصديق جاء إلى النبي ﷺ بعد وفاته، فأكبَّ عليه، فقبَّله، وقال: (أبي وأمي، ما أطيبَ حياتك وميتك)، ثم قال البهي: وكان ترك يوماً وليلةً حتى ربا بطنه، وانثنت خنصرأه - قال ابنُ خَشرَم: فلما حدَّث وكيعٌ بهذا بمكة، اجتمعت قريش، وأرادوا صلبَ وكيعٍ، ونصبوا خشبةً لصلبه، فجاء سُفيانُ بنُ عُيينة، فقال لهم: الله الله! هذا فقيه أهل العراق، وابنُ فقيهه، وهذا حديثٌ معروفٌ. قال سُفيان: ولم أكن سمعته إلا أنِّي أردتُ تخلصَ وكيعٍ.

قال عليُّ بنُ خَشرَم: سمعتُ الحديثَ من وكيعٍ، بعدما أرادوا صلبه فتعجبتُ من جَسَارَتِهِ، وأخبرتُ أنْ وكيعاً احتجَّ، فقال: إنَّ عدةً من أصحابِ رسول الله ﷺ منهم عُمر قالوا: لم يمُت رسول الله. فأراد الله أن يريهم آية الموت.

فهذه زلةٌ عالمٍ، فما لو كيعٍ ولرواية هذا الخبر المُنكر المُنقطع الإسناد! كادت نفسه أن تذهب غلطاً، والقائمون عليه معذورون، بل مأجورون، فإنهم تخيلوا من إشاعة هذا الخبر المردود، غَضاً ما لمنصب النبوة، وهو في بادئ الرأي يؤهم ذلك، ولكن إذا تأملتَه، فلا بأس إن شاء الله بذلك، فإن الحيَّ قد يربو جوفه، وتسترخي مفاصله، وذلك تفرُّع من الأمراض، و«أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياء»، وأنما المحذورُ أن تجوزَ عليه تغيُّر سائرِ موتى الادميين ورائحتهم، وأكل الأرضِ لأجسامهم،

والنبي ﷺ فمُفَارِق لِسَائِر أُمَّتِهِ فِي ذَلِكَ، فَلَا يَلْبِثُ، وَلَا تَأْكُلُ الْأَرْضُ جَسَدَهُ، وَلَا يَتَغَيَّرُ رِيحُهُ، بَلْ هُوَ الْآنَ، وَمَا زَالَ أَطْيَبَ رِيحاً مِنَ الْمِسْكِ، وَهُوَ حَيٌّ فِي لَحْدِهِ حَيَاةً مِثْلَهُ فِي الْبَرْزَخِ، الَّتِي هِيَ أَكْمَلُ مِنْ حَيَاةِ سَائِرِ النَّسِينِ، وَحَيَاتُهُمْ بِلَا رَيْبٍ أَتَمُّ وَأَشْرَفُ مِنْ حَيَاةِ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ هُمْ بِنَصِ الْكِتَابِ ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وهؤلاء حياتهم الآن التي في عالم الْبَرْزَخِ حَقٌّ، وَلَكِنْ لَيْسَتْ هِيَ حَيَاةَ الدُّنْيَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَلَا حَيَاةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَلَهُمْ شَبَهُ بِحَيَاةِ أَهْلِ الْكَهْفِ، وَمِنْ ذَلِكَ: اجْتِمَاعُ آدَمَ وَمُوسَى، لَمَّا احْتَجَّ عَلَيْهِ مُوسَى، وَحُجَّجَ آدَمُ بِالْعِلْمِ السَّابِقِ كَانَ اجْتِمَاعُهُمَا حَقّاً، وَهُمَا فِي عَالَمِ الْبَرْزَخِ، وَكَذَلِكَ نَبِينَا ﷺ أَخْبَرَ أَنَّهُ رَأَى فِي السَّمَاوَاتِ آدَمَ وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ وَإِدْرِيسَ وَعِيسَى، وَسَلَّمْ عَلَيْهِمْ، وَطَالَتْ مَحَاوِرَاتُهُ مَعَ مُوسَى، هَذَا كُلُّهُ حَقٌّ. وَالَّذِي مِنْهُمْ لَمْ يَذِقِ الْمَوْتَ بَعْدَ هُوَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَدْ تَبَرَّهْنَ لَكَ أَنَّ نَبِينَا ﷺ مَا زَالَ طَيِّباً مُطَيَّباً، وَأَنَّ الْأَرْضَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهَا أَكْلُ أَجْسَادِ الْأَنْبِيَاءِ، وَهَذَا شَيْءٌ سَبِيلُهُ التَّوْقِيفُ، وَمَا عَنَّفَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَمَّا قَالُوا لَهُ بَلَا عِلْمٍ: وَكَيْفَ تُعَرِّضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ؟ - يَعْنِي بَلَيْتَ - فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ».

وهذا بحثٌ مُعْتَرِضٌ فِي الْإِعْتِذَارِ عَنْ إِمَامٍ مِنْ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ قَامَ فِي الدَّفْعِ عَنْهُ مِثْلُ إِمَامِ الْحِجَازِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَلَوْلَا أَنَّ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ فِي عِدَّةِ كُتُبٍ، وَفِي مِثْلِ «تَارِيخِ الْحَافِظِ ابْنِ عَسَاكِرٍ» وَفِي «كَامِلِ الْحَافِظِ ابْنِ عَدِيٍّ» لَأَعْرَضْتُ عَنْهَا جَمَلَةً، فَفِيهَا عِبْرَةٌ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ عَثَّامٍ: مَرَضَ وَكَيْعٌ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّ سُفْيَانَ أَتَانِي، فَبَشَّرَنِي بِجَوَارِهِ، فَأَنَا مُبَادِرٌ إِلَيْهِ.

مَاتَ وَكَيْعٌ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَةَ يَوْمٍ عَاشُورَاءَ.

قُلْتُ: عَاشَ ثَمَانِيّاً وَتِسْتِينَ سَنَةً سِوَى شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ.

٤١١ - يوسف بن أسباط^(١)

[١] الزَّاهِد، من سادات المشايخ، له مواعظ وحكم.

[٢] نزل الثُّغُور مُرَابِطاً.

[٣] قال المُسَيَّب: سألتُه عن الزُّهْد، فقال: أَنْ تَزْهَدَ فِي الْحَلَالِ، فَأَمَّا الْحَرَامُ، فَإِنْ ارْتَكَبْتَهُ، عَذَّبَكَ.

[٤] وسُئِلَ يوسُفُ: ما غايَةُ التَّوَضُّعِ؟ قال: أَنْ لَا تَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَأَيْتَ لَهُ الْفَضْلَ عَلَيْكَ.

[٥] وعنه قال: لِلصَّادِقِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: الْحَلَاوَةُ، وَالْمَلَاحَةُ، وَالْمَهَابَةُ.

وعنه: خُلِقَتِ الْقُلُوبُ مَسَاكِينَ لِلذَّكْرِ، فَصَارَتْ مَسَاكِينَ لِلشَّهَوَاتِ. لَا يَمَحُو الشَّهَوَاتُ إِلَّا خَوْفُ مُرْجٍ، أَوْ شَوْقُ مُقْلِقٍ، الزُّهْدُ فِي الرِّئَاسَةِ أَشَدُّ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا.

[٦] قال ابن خُبَيْق: قلت لابن أسباط: لِمَ لَا تَأْذُنُ لَابْنَ الْمُبَارَكِ يَسْلَمُ عَلَيْكَ؟ قال: خَشِيتُ أَنْ لَا أَقُومَ بِحَقِّهِ، وَأَنَا أُحِبُّهُ.

[٧] وعن يوسف قال: يُجْزَى قَلِيلُ الْوَرَعِ وَالتَّوَضُّعِ مِنْ كَثِيرِ الْجَهْدِ فِي الْعَمَلِ. وَثَقَّهُ ابْنُ مَعِينٍ.

٤١٢ - محمد بن فضَّيل (ع)^(٢)

[٨] ابن غَزْوَانَ، الإمام الصَّدُوقُ الحافظ، أبو عبد الرحمن الضَّبِّي مَوْلَاهُم الكوفي،

مُصَنِّفُ كِتَابِ «الدَّعَاءِ» وَكِتَابِ «الزُّهْدِ» وَكِتَابِ «الصِّيَامِ» وَغَيْرِ ذَلِكَ.

[٩] حَدَّثَ عَنْهُ عِدَدٌ كَثِيرٌ، وَجَمٌّ غَفِيرٌ عَلَى تَشْيِيعِ كَانِ فِيهِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ، وَالْكَمَالِ عَزِيزٍ.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: هُوَ حَسَنُ الْحَدِيثِ شِيعِيٌّ.

(١) انظر السير: ١٦٩/٩ - ١٧١.

(٢) انظر السير: ١٧٣/٩ - ١٧٥.

[١] وقال أبو داود السجستاني : كان شيعياً متحرّقاً .
قلتُ : تحرّقه على من حارب أو نازع الأمرَ علياً رضي الله عنه ، وهو مُعظّم
للشّيعين رضي الله عنهما .
قلتُ : مات في سنة خمسٍ وتسعين ومئة .

٤١٣ - يحيى القطان (ع)^(١)

[٢] يحيى بن سعيد بن فروخ ، الإمام الكبير ، أمير المؤمنين في الحديث ، أبو سعيد
التميمي مولا هم البصريّ ، الأحول ، القطان ، الحافظ .
وُلد في أول سنة عشرين ومئة .

وعُني بهذا الشأنِ أتمَّ عناية ، ورَحَلَ فيه ، وسادَ الأقران ، وانتهى إليه الحِفْظُ ،
وتكلّم في العللِ والرّجالِ ، وتخرّجَ به الحُفَاطُ ، كَمُسَدِّدٍ ، وعليّ ، والفلاس ، وكان
في الفروع على مذهب أبي حنيفة - فيما بلغنا - إذا لم يجد النص .

وثبتَ أنَّ أحمدَ بنَ حنبلٍ قال : ما رأيتُ بعينيّ مثلَ يحيى بن سعيد القطان .
[٣] قال ابنُ خزيمة : سمعتُ بُنداراً يقولُ : اختلفتُ إلى يحيى بن سعيد أكثرَ من
عشرين سنة ، ما أظنّه عصى الله قطُّ ، لم يكن في الدنيا في شيء .

قال الحافظُ ابنُ عمّار : كنتَ إذا نظرتَ إلى يحيى القطان ظننتَ أنه لا يُحسنُ
شيئاً ، بزَيِّ التُّجّارِ ، فإذا تكلّم أنصتَ له الفُقهَاءُ .

[٤] وقال عليّ بنُ المديني : كنّا عند يحيى بن سعيد ، فقرأ رجلُ سورةَ الدُّخانِ ،
فصعقَ يحيى ، وعُشِيَ عليه .

قال أحمدُ بنُ حنبلٍ : لو قدَر أحدُ أن يدفعَ هذا عن نفسه ، لدفعه يحيى - يعني
الصّعقَ .

(١) انظر السير : ١٧٥/٩ - ١٨٨ .

[١] قال ابنُ معين: وكان يحيى يَحْيَىٰ معه بِمَسْبَاحٍ، فَيُدْخِلُ يده في ثيابه، فَيُسِّحُ.
[٢] قال محمد بنُ يحيى بن سعيد: قال أبي: كنتُ أُخْرِجُ من البيتِ أَطْلُبُ الحديثَ، فلا أَرْجِعُ إِلَّا بعدَ العَتَمَةِ.

[٣] قلتُ: كان يحيى بن سعيد مُتَعَتِّتاً في نقدِ الرجال، فإذا رَأَيْتَهُ قد وَثَّقَ شيخاً، فاعْتَمَدَ عليه، أَمَّا إِذَا لَيِّنَ أحداً، فتَأَنَّ في أمرِهِ حتى ترى قولَ غيره فيه، فقد لَيَّنَ مثل: إسرائيل، وهَمَّام، وجماعة احتجَّ بهم الشَّيْخَان.

[٤] عن زهير البابي، قال: رأيتُ يحيى القَطَّانَ في النومِ عليه قميصٌ بين كَتِفَيْهِ مكتوبٌ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كتابٌ من اللَّهِ العزيزِ العليمِ براءةٌ ليحيى بن سعيد القَطَّانِ من النار.

[٥] قال محمد بن عمرو بن عُبيدة العُصْفُري: سمعتُ عليَّ بنَ المديني قال: رأيتُ خالدَ بنَ الحارث في النوم، فقلتُ: ما فعلَ اللَّهُ بك؟ قال: غَفَرَ لي على أَنَّ الأمرَ شديدٌ. قلتُ: فما فعلَ يحيى القَطَّان؟ قال: نَرَاهُ كما يَرى الكوكبُ الدُّرِّيُّ في أَفْقِ السَّمَاءِ.

توفي يحيى بن سعيد سنة ثمانٍ وتسعين ومئة.

٤١٤ - عبد الرحمن بن مَهْدِي (ع) (١)

[٦] ابنُ حَسَّان، أبو سعيد الإمام الناقدُ المجوِّد، سَيِّدُ الحُقَاطِ، العَنَبَري، وقيل: الأَزدي، مولا هم البَصْري اللُّؤلُؤي.

وُلِدَ سنةَ خمسٍ وثلاثين ومئة.

وطلب هذا الشَّان وهو ابن بضع عشرة سنة.

كان إماماً حُجَّةً قُدُوةً في العلم والعمل.

(١) انظر السير: ١٩٢/٩ - ٢٠٩.

[١] ودُوي عن ابن مَهْدِيٍّ قال: لولا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ يُعْصِيَ اللهُ، لَتَمَنَيْتُ أَنْ لَا يَقْبَى أَحَدٌ فِي الْمَصْرِ إِلَّا اغْتَابَنِي! أَيُّ شَيْءٍ أَهْنَأُ مِنْ حَسَنَةِ يَجِدُهَا الرَّجُلُ فِي صَحِيفَتِهِ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا؟!

[٢] وعنه قال: كُنْتُ أَجْلِسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِذَا كَثُرَ النَّاسُ، فَرِحْتُ، وَإِذَا قَلُّوا، حَزَنْتُ، فَسَأَلْتُ بَشَرَ بْنَ مَنْصُورٍ، فَقَالَ: هَذَا مَجْلِسُ سَوْءٍ، فَلَا تَعُدُّ إِلَيْهِ، فَمَا عُدْتُ إِلَيْهِ.

[٣] قال عبد الرحمن رُسْتَه: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ، أَنَّ أَبَاهُ قَامَ لَيْلَةً، وَكَانَ يُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ، قَالَ: فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ رَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى الْفِرَاشِ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَلَمْ يُصَلِّ الصُّبْحَ، فَجَعَلَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَرْضِ شَيْئاً شَهْرَيْنِ، فَفَرَّحَ فَخِذَاهُ جَمِيعاً.

[٤] وقال رُسْتَه: سَمِعْتُ ابْنَ مَهْدِيٍّ يَقُولُ لِفَتًى مِنْ وَلَدِ الْأَمِيرِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ: بَلِّغْنِي أَنَّكَ تَتَكَلَّمُ فِي الرَّبِّ، وَتُصِفُهُ وَتُشَبِّهُهُ. قَالَ: نَعَمْ، نَظَرْنَا، فَلَمْ نَرِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنَ الْإِنْسَانِ، فَأَخَذَ يَتَكَلَّمُ فِي الصِّفَةِ، وَالْقَامَةِ. فَقَالَ لَهُ: رُوَيْدُكَ يَا بُنَيَّ حَتَّى نَتَكَلَّمَ أَوَّلَ شَيْءٍ فِي الْمَخْلُوقِ، فَإِنْ عَجَزْنَا عَنْهُ، فَنَحْنُ عَنِ الْخَالِقِ أَعْجَزُ، أَخْبَرَنِي عَمَّا حَدَّثَنِي شُعْبَةُ، عَنِ الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨] قَالَ: رَأَى جَبْرِيلُ لَهُ سِتُّ مِائَةٍ جَنَاحٍ، فَبَقِيَ الْغَلَامُ يَنْظُرُ. فَقَالَ: أَنَا أَهْوَنُ عَلَيْكَ صِيفٌ لِي خُلِقَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَجْنَحَةٍ، وَرَكِبَ الْجَنَاحَ الثَّالِثَ مِنْهُ مَوْضِعاً حَتَّى أَعْلَمَ. قَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، عَجَزْنَا عَنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقِ، فَأُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ عَجَزْتُ وَرَجَعْتُ.

[٥] قَالَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ: قُلْتُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ: كَيْفَ تَعْرِفُ الْكَذَّابَ؟ قَالَ: كَمَا يَعْرِفُ الطَّيِّبُ الْمَجْنُونَ.

[٦] قَالَ أَحْمَدُ بْنُ سِنَانَ الْقَطَّانِ: سَمِعْتُ مَهْدِيَّ بْنَ حَسَّانٍ يَقُولُ: كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَكُونُ عِنْدَ سَفِيَّانِ عَشْرَةِ أَيَّامٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَإِذَا جَاءَنَا سَاعَةٌ، جَاءَ

رسولُ سفيان في أثره يطلبه، فيدعنا ويذهب إليه.

[١] وقال رُسته: سمعتُ عبدَ الرحمن يقول: كان يُقال: إذا لقيَ الرجلُ الرجلَ فوقه في العلم، فهو يومُ غنيمته. وإذا لقيَ مَنْ هو مثله، دأرسه، وتعلّم منه، وإذا لقيَ مَنْ هو دونَه، تواضعَ له، وعلمه، ولا يكونُ إماماً في العلم من حدّث بكلِّ ما سمع، ولا يكونُ إماماً من حدّث عن كُلِّ أحد، ولا من يُحدّث بالشاذِّ، والحِفْظُ للإتقان.

[٢] قال عبدُ الرحمن رُسته: سألتُ ابنَ مهديٍّ عن الرجلِ يَبنِي بأهله، أيتركُ الجماعةَ أياماً؟ قال: لا، ولا صلاةً واحدةً. وحضرتهُ صبيحةً بُنيَ على ابنته، فخرج، فأذن، ثم مشى إلى بابِهما، فقال للجارية: قولي لهما: يخرجُان إلى الصلاة، فخرج النساءُ والجواري، فقلن: سبحان الله! أيُّ شيء هذا؟ فقال: لا أبرحُ حتى يخرجَا إلى الصلاة، فخرجا بعدما صلّى، فبعثَ بهما إلى مَسْجِدٍ خارجٍ من الدَّرب. قلتُ: هكذا كان السُّلفُ في الحرصِ على الخير.

قال بُنْدَار: سمعتُ عبدَ الرحمن يقول: ما نعرفُ كتاباً في الإسلام بعدَ كتابِ الله أصحَّ من «موطأ مالك».

قلتُ: توفي ابنُ مهدي بالبصرة سنة ثمانٍ وتسعين ومئة.

[٣] قال أبو عبيد الأجرّي: سمعتُ أبا داود يقول: قال أحمدُ بنُ سنان: سمعتُ عبدَ الرحمن بن مهدي يقول: لو كان لي عليه سلطان - على من يقرأ حمزة - لأوجعتُ ظهره وبطنه.

قلتُ: جاء نحو هذا عن جماعة^(١) وإنما ذلك عائذٌ إلى ما فيها من قبيل الأداء،

والله أعلم، وقد استقرَّ اليومُ الإجماعُ على تلقّي قراءة حمزة بالقَبُولِ.

(١) قال: ابن قدامة في «المغني» ٤٩٢/١ ولم يكره أحد قراءة أحد من العشر إلا قراءة حمزة والكسائي، لما فيهما من الكسر والإدغام والتكلف وزيادة المد، وقال ابن الجزري في «غاية النهاية» ٢٦٣/١: وأما ما ذكر عن عبد الله ابن إدريس وأحمد بن حنبل من كراهة قراءة حمزة، فإن ذلك محمول على قراءة من سمعاه منه ناقلًا عن حمزة، وما آفة الأخبار إلا روايتها، قال ابن مجاهد: قال محمد بن الهيثم: والسبب في ذلك أن رجلاً ممن قرأ على سُلَيْمٍ حضر مجلس ابن إدريس، فقرأ، فسمع ابن إدريس ألفاظاً فيها إفراط في المد والهمز وغير ذلك من التكلف، فكره ذلك =

٤١٥ عبدُ الله بن وهب (ع)^(١)

[١] ابن مسلم، الإمام شيخ الإسلام، أبو محمد الفهري، مولا هم المِصري الحافظ.

مولده: سنة خمسٍ وعشرين ومئة، أرَّخه ابنُ يونس، وقال: قيل ولاؤه للأَنْصار. طلب العلم، وله سبع عشرة سنة.

[٢] وقال خالد بن خدّاش: قُرئ على عبد الله بن وهب كتابُ أهوالِ يومِ القيامة - تأليفه - فخرٌ مغشياً عليه. قال: فلم يتكلّم بكلمةٍ حتى ماتَ بعدَ أيامٍ رحمه الله تعالى.

[٣] وعن سُحنون الفقيه قال: كان ابنُ وهبٍ قد قَسَمَ دهره أثلثاً ثلثاً في الرِّباط، وثلثاً يُعلِّمُ الناسَ بمصر، وثلثاً في الحجِّ، وذكر أنه حجَّ ستاً وثلاثين حجةً.

[٤] قال أحمد بن سعيد الهمداني: دخل ابنُ وهبٍ الحُمّام، فسمع قارئاً يقرأ: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ﴾ [المؤمن: ٤٧] فغشي عليه.

[٥] قال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا حرملة: سمعتُ ابنَ وهبٍ يقول: نذرتُ أني كُلّما اغتبتُ إنساناً أن أصوم يوماً، فأجهدني، فكُنتُ أغتابُ وأصوم، فنويتُ أني كُلّما اغتبتُ إنساناً أن أتصدّق بدرهم، فمن حُبِّ الدّراهم تركتُ الغيبة.

قلتُ: هكذا كان العلماءُ وهذا هو ثمرَةُ العلمِ النافع، وعبدُ الله حُجةٌ مطلقاً، وحديثه كثيرٌ في الصّحاح، وفي دواوين الإسلام، وحسبك بالنّسائي وتعتبه في النقد حيث يقول: وابنُ وهبٍ ثقةٌ، ما أعلمُهُ روى عن الثّقات حديثاً منكراً.

[٦] قلتُ: أكثرُ في تواليفه من المقاطيع والمعضلات، وأكثرُ عن ابنِ سمعان وياسته، وقد تمعّقلَ بعضُ الأئمة على ابنِ وهبٍ في أخذه للحديث، وأنه كان يترخّصُ في

= ابن إدريس، وطعن فيه. قال محمد بن الهيثم: وقد كان حمزة يكره هذا وينهى عنه، قلت: أما كراهته الإفراط من ذلك، فقد رويناه عنه من طرق = أنه كان يقول لمن يفرط عليه في المد والهزم: لا تفعل أما علمت أن ما كان فوق البياض، فهو برص، وما كان فوق الجعودة، فهو ققط، وما كان فوق القراءة، فليس بقراءة.
(١) انظر السير: ٢٢٣/٩ - ٢٣٤.

الأخذ، وسواءً ترخص ورأى ذلك سائغاً، أو تشدّد، فمن يروي مئة ألف حديث، وينذر المنكر في سعة ما روى فإليه المنتهى في الإتقان.

قال أبو الطاهر بن عمرو: جاءنا نعي ابن وهب، ونحن في مجلس سفيان بن عيينة، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أصيب به المسلمون عامة، وأصبتُ به خاصة.

قلت: قد كان ابن وهب له دنيا وثروة، فكان يصل سفيان، ويرّيه، فلهذا يقول: أصبتُ به خاصة.

قال يونس بن عبد الأعلى: كانوا أرادوا ابن وهب على القضاء، فتغيّب. قال: ومات سنة سبع وتسعين ومئة.

قلت: عاش اثنتين وسبعين سنة.

٤١٦ - الرشيد^(١)

[١] الخليفة، أبو جعفر هارون، بن المهدي محمد، بن المنصور أبي جعفر عبدالله، بن محمد، بن علي، بن عبدالله بن عباس الهاشمي العباسي.

[٢] كان من أنبل الخلفاء، وأحشم الملوك، ذا حجّ وجهاد، وغزو وشجاعة، ورأي.

وأمه أم ولد، اسمها خيزران.

أغزاه أبوه بلاد الروم، وهو حدث في خلافته.

[٣] قيل: إنه كان يُصلي في خلافته في كل يوم مئة ركعة إلى أن مات، ويتصدق بألف، وكان يحب العلماء، ويعظم حرّمات الدين، ويُبغض الجِدال والكلام، ويبيكي على نفسه ولهوه وذنوبه، لا سيما إذا وعظ، ووعظه الفضيل مرة حتى شهق في بكائه.

(١) انظر السير: ٢٨٦/٩ - ٢٩٥.

- [١] ولما بلغه موتُ ابنِ المبارك، حَزَنَ عليه، وجلسَ لِلعَزاءِ، فعَزَّاهُ الأكابر.
- [٢] وعن أبي مُعاوية الضَّرير قال: صَبَّ عَلَى يَدَيَّ بَعْدَ الأكلِ شَخْصٌ لا أَعْرِفُهُ، فقال الرشيْدُ: تَدْرِي مَنْ يَصُبُّ عَلَيْكَ؟ قلتُ: لا، قال: أنا، إجلالاً لِلعلم.
- [٣] وعن الأصمعي: قال لي الرشيْدُ وأمر لي بخمسة آلاف دينار: وقَرْنَا في المَلَأِ، وعَلَّمْنَا في الخلاء، سمعها أبو حاتمٍ من الأصمعي.
- [٤] قال ابنُ حزم: أَرَاهُ كان يشربُ النَبِيذَ المُخْتَلَفَ فيه، لا الخمرَ المتفقَ على حُرْمَتِها.
- [٥] قلتُ: حَجَّ غيرَ مرَّةٍ، وله فتوحاتٌ ومواقفٌ مشهودة، ومنها فَتَحَ مَدِينَةَ هِرَقْلَةَ^(١)، وماتَ غازياً بِخُرَاسانَ، وقبرُهُ بِمَدِينَةِ طوسَ، عاشَ خمساً وأربعينَ سَنَةً، وصَلَّى عليه ولَدُهُ صالحٌ، تُوْفِيَ في سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتَسْعِينَ وَمِئَةً.

وَزَرَ لَهُ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ مُدَّةً، وَأَحْسَنَ إِلَى الْعَلَوِيَّةِ، وَحَجَّ سَنَةَ (١٧٣)، وَعَزَلَ عَنْ خُرَاسانَ جَعْفَرُ بْنُ أَشْعَثَ بَوْلَدُهُ الْعَبَّاسُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَحَجَّ أَيْضاً فِي الْعَامِ الْآتِي، وَعَقَدَ بِلَايَةَ الْعَهْدِ لَوْلَدِهِ الْأَمِينِ صَغِيرًا، فَكَانَ أَقْبَحَ وَهْنٍ تَمَّ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَرْضَى الْأُمَرَاءَ بِأَمْوَالٍ عَظِيمَةٍ، وَتَحَرَّكَ عَلَيْهِ بِأَرْضِ الدَّيْلَمِ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ الْحُسَيْنِيِّ، وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، وَبَادَرَ إِلَيْهِ الرَّافِضَةُ، فَتَنَكَّدَ عَيْشُ الرَّشِيدِ وَاعْتَمَّ، وَجَهَّزَ لَهُ الْفَضْلُ بْنُ وَزِيرِهِ فِي خَمْسِينَ أَلْفًا، فَخَارَتْ قُوَى يَحْيَى، وَطَلَبَ الْأَمَانُ، فَأَجَابَهُ وَلَا طَفَهَ، ثُمَّ ظَفَرَ بِهِ، وَحَبَسَهُ، ثُمَّ تَعَلَّلَ وَمَاتَ.

[٦] وَفِي سَنَةِ ١٧٩ اعْتَمَرَ الرَّشِيدُ فِي رَمَضَانَ، وَاسْتَمَرَ عَلَى إِحْرَامِهِ إِلَى أَنْ حَجَّ مَاشِيًا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ.

وَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ بَيْنَ قَيْسٍ وَبَيْنَ بِالشَّامِ، وَسَالَتِ الدِّمَاءُ.

(١) هي مدينة ببلاد الروم سميت بهرقلة بنت الروم، وكان الرشيد غزاها بنفسه، ثم افتتحها عنوة بعد حصار وحرب شديد ورمى بالنار والنفط حتى غلب أهلها

[١] وغزا الرشيد، ووغل في أرض الروم، فافتتح الصفصاف، وبلغ جيشه أنقرة. وفي سنة ١٨٥ ظهر بعبادان أحمد بن عيسى بن زيد بن علي العلوي، وبناحية البصرة، ويبيع ثم عجز وهرب، وطال اختفاؤه أزيد من ستين عاماً.

[٢] وفي سنة سبع قتل الرشيد جعفر بن يحيى البرمكي، وسجن أباه وأقاربه، بعد أن كانوا قد بلغوا رتبةً لازميد عليها، وفيها انتقض الصلح مع الروم، وملكوا عليهم نقفور، فيقال: إنه من ذرية جفنة الغساني، وبعث يتهدد الرشيد، فاستشاط غضباً، وسار في جيوشه حتى نازله هرقله، وذلت الروم، وكانت غزوة مشهودة.

[٣] وفي سنة ثمان كانت الملحمة العظمى، وقتل من الروم عددٌ كثير، وجرح النقفور ثلاث جراحات، وتم الفداء حتى لم يبق في أيدي الروم أسير.

٤١٧ ورش^(١)

[٤] شيخ الإقراء بالديار المصرية، أبو سعيد، وأبو عمرو، عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو. القبطي الإفريقي، مولى آل الزبير.

قيل: وُلد سنة عشر ومئة.

جود ختمات على نافع، ولقبه نافع بورش لشدة بياضه، والورش لبن يُصنع، وقيل: لقبه بطائر اسمه ورشان، ثم خفف فكان لا يكرهه، ويقول: نافع أستاذي سَماني به.

وكان ماهراً بالعربية، انتهت إليه رئاسة الإقراء.

وكان ثقةً في الحروف حجةً، وأما الحديثُ فما رأينا له شيئاً وقد استوفيت ترجمته في أخبار القراء.

(١) انظر السير: ٢٩٥/٩ - ٢٩٦.

[١] قال يونس: كان جيّد القراءة، حسن الصوت، إذا قرأ يهيمز، ويمد، ويشدّد، ويبيّن الإعراب لا يملّه سامعه.

[٢] ويقال: إنّه تلا على نافع أربع ختمات في شهر واحد. مات بمصر في سنة سبع وتسعين ومئة.

٤١٨ شقيق^(١)

[٣] الإمام الزاهد شيخ خراسان، أبو علي شقيق بن إبراهيم الأزدي البلخي. صحب إبراهيم بن أدهم.

[٤] وعن شقيق قال: كنت شاعراً، فرزقني الله التوبة، وخرجت من ثلاث مئة ألف درهم، ولبست الصوف عشرين سنة، ولا أدري أني مرأ حتى لقيت عبد العزيز بن أبي رواد، فقال: ليس الشأن في أكل الشعير ولبس الصوف، الشأن أن تعرف الله بقلبك، ولا تشرك به شيئاً، وأن ترضى عن الله، وأن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في أيدي الناس.

[٥] وعنه: لو أن رجلاً عاش مئتي سنة لا يعرف هذه الأربعة، لم ينح: معرفة الله، ومعرفة النفس، ومعرفة أمر الله ونهيه، ومعرفة عدو الله وعدو النفس.

[٦] وقد جاء عن شقيق مع تألّه وزهده أنّه كان من رؤوس الغزاة.

[٧] عن شقيق قال: مثل المؤمن مثل من غرس نخلة يخاف أن تحمل شوكة، ومثل المنافق مثل من زرع شوكة يطمع أن يحمل تمراً، هيهات.

[٨] وعنه: ليس شيء أحب إلي من الضيف لأن رزقه على الله، وأجره لي.

[٩] وعنه: علامة التوبة البكاء على ما سلف، والخوف من الوقوع في الذنب، وهجران إخوان السوء، وملازمة الأخيار.

(١) انظر السير: ٣١٣/٩-٣١٦.

- [١] وعنه: من شكى مُصيبةً إلى غير الله، لم يجد حلاوة الطاعة.
- [٢] وقال الحاكم: قَدِمَ شَقِيقُ نَيْسَابُورٍ فِي ثَلَاثِ مِئَةٍ مِنَ الزُّهَادِ، فَطَلَبَ الْمَأْمُونُ أَنْ يَجْتَمَعَ بِهِ، فَامْتَنَعَ.
- [٣] وَقُتِلَ شَقِيقٌ فِي غَزَاةِ كُولَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَةً.

٤١٩ الأَمِينُ (١)

[٤] الخليفة، أبو عبدالله محمد بن الرشيد هارون، الهاشمي العباسي البغدادي. عَقَدَ لَهُ أَبُوهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَهُ، وَكَانَ مَلِيحاً، بَدِيعَ الْحُسْنِ، أَبْيَضَ وَسِيماً طَوِيلاً، ذَا قُوَّةٍ وَشَجَاعَةٍ وَأَدَبٍ وَفَصَاحَةٍ، وَلَكِنَّهُ سَيِّئُ التَّدْبِيرِ مُفْرِطُ التَّبَذِيرِ، أَرَعَنَ لِعَاباً، مَعَ صَحَّةٍ إِسْلَامٍ وَدِينٍ.

قال المسعودي: ماوُلِيَ الخِلافةَ هاشميُّ ابن هاشمية سُوِيَّ عَلِيٍّ وَمُحَمَّدُ الْأَمِينِ.

[٥] وفي سنة ١٩٤ أمر الأمين بالدعاء لابنه موسى بولاية العهد بعد ولي العهد المأمون والقاسم، وأغرى الفضل بن الربيع الأمين بالمأمون وحثه على خلعه لعداوة بينهما، وحسن له ذلك السندي، وعلي بن عيسى بن ماهان، ثم بعث الأمين يطلب من المأمون تقديم موسى ولده على المأمون، ولقبه الناطق بالحق، فأبى ذلك المأمون.

وأما الأمين، فبلغه خلاف المأمون، فأسقطه من الدعاء، وطلب ما كتبه الرشيد وعلقه بالكعبة من العهد بين الأخوين، فمزقه، فلامه الألباء فلم ينتصح، حتى قال له خازم بن خزيمة، لن ينصحك من كذبك، ولن يغشك من صدقك، لا تجسر القواد على الخلع، فيخلعوك، ولا تحملهم على النكث، فالغادر مفلول، والناكث مخذول، فلم يلتفت، وبايع لموسى بالعهد واستوزر له.

(١) انظر السير: ٣٣٩-٣٣٤/٩.

فلما عرف المأمون، خلع أخاه، وتسمى بأمير المؤمنين، وأما ابنُ ماهان، فجَهِزَه الأَمِينُ، وخصَّه بمئتي ألف دينار، وأعطاه قيداً من فضة لِيَقَيِّدَ به المأمون بزعمه، وعرض الأَمِينُ جيشه بالنَّهْرَوَانِ، وأقبل طاهرٌ في أربعة آلاف فالتَقُوا، فقتل ابنُ ماهان، وتمزَّق جيشُه، هذا والأَمِينُ عاكفٌ على اللّهُو واللَّعِبِ، فبعث جيشاً آخر، وندم على خلع المأمون.

وأنفق الأَمِينُ بيوتَ الأموال على الجند ولا ينفعون، وجاءت أمدادُ المأمون مع هرثمة بن أعين والفضل بن سهل، وضعف أمر الأَمِينِ، وجبُن جنده من الخُراسانيّين، وأحاطت المأمونية ببغداد، يُحاصرون الأَمِينِ واشتدَّ البلاء، وعظم القتال، وقاتلت العائمة والرَّعاعُ عن الأَمِينِ قتال الموت، واستمرَّ الويلُّ والحصارُ، وجرت أمورٌ لا تُوصَفُ، وتفاقم الأمر. ونفدت خزائنُ الأَمِينِ، حتى باع الأمتعة، وأنفق في المُقاتلة، وما زال أمرُه في سفال، ودثرت محاسنُ بغداد، ودام الحصارُ والوبالُ خمسةَ عشرَ شهراً.

دخل طاهرٌ بغداد عَنوةً، ونادى: مَنْ لزم بيته، فهو آمِنٌ، وحاصروا الأَمِينِ في قُصُوره أيّاماً، ثم رأى أن يخرج على حمية ليلاً، وفعل فظفروا به، وهو في حَرّاقَةٍ^(١) فشدَّ عليه أصحابُ طاهر في الزَّوَارِقِ^(٢) وتعلَّقوا بحَرّاقَتِهِ، فنُقِبَتْ، وغرقت، فرمى الأَمِينُ بنفسه في الماء، فظفر به رجلٌ، وذهب به إلى طاهر، فقتله، وبعث برأسه إلى المأمون، فإنا لله، ولم يُسرَّ المأمون بمصرع أخيه.

وعاش الأَمِينُ سبعاَ وعشرينَ سنة، وقُتل في المحرم سنة ثمان وتسعين ومئة، وخلافته دون الخمس سنين، سامحه الله وغفر له.

(١) ضرب من السفن بالبصرة، فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر.

(٢) هي القوارب الصغار.

٤٢٠ معروف الكرخي^(١)

[١] عَلِمَ الزُّهَادُ، بركة العصر، أبو محفوظ البغدادي، واسم أبيه فيروز، وقيل: فيروزان، من الصَّابِئَةِ.

[٢] ذَكَرَ معروفٌ عند الإمام أحمد، فقليل: قصيرُ العلم، فقال: أُمِسْكَ، وهل يُرَادُ من العلم إلا ما وصل إليه معروف.

[٣] قال إسماعيلُ بنُ شَدَّادٍ: قال لنا سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ: ما فعلَ ذلك الحَبْرُ الذي فيكم ببغداد؟ قلنا: مَنْ هو؟ قال: أبو محفوظ معروف. قلنا: بخير، قال: لا يزالُ أهلُ تلك المدينة بخيرٍ ما بقيَ فيهم.

[٤] عن معروفٍ قال: إذا أراد الله بعبدٍ شَرًّا، أغلق عنه بابَ العمل، وفتح عليه بابَ الجدَل.

[٥] وقصَّ إنسانٌ شاربَ معروف، فلم يفتُر من الذِّكرِ، فقال: كيف أقصُّ؟ قال: أنتَ تعمل، وأنا أعمل.

[٦] وقيل: اغتابَ رجلٌ عندَ معروف، فقال: اذكرِ القُطْنَ إذا وُضِعَ على عَيْنِكَ.

[٧] وعنه قال: ما أكثر الصَّالِحِينَ، وما أقل الصَّادِقِينَ.

[٨] وعنه: من كابر الله، صرعه، ومن نازعه، قَمَعَه، ومن ماكره خَدَعَه، ومن تَوَكَّلَ عليه، مَنَعَه، ومن تواضعَ له، رفعه، كلامُ العبد فيما لا يعنيه خِذْلَانٌ من الله.

[٩] وعنه: مَنْ لَعَنَ إمامَه، حُرِمَ عَدْلُه.

[١٠] وعن ابنِ شِيرَوِيَه: قلتُ لمعروفٍ: بلغني أنَّكَ تَمْشِي على الماء قال: ما وقعَ

هذا، ولكن إذا هَمَمْتَ بِالْعُبُورِ، جُمِعَ لي طَرَفَا النهر، فَأَتَخَطَّأُهُ.

[١١] محمد بن منصور الطوسي قال: كنت عندَ معروف، ثم جئت، وفي وجهه أثرٌ،

فَسُئِلَ عنه، فقال للسائل: سل عما يعينك عافاك الله، فأقسم عليه، فتغيَّرَ وجهه،

(١) انظر السير: ٣٣٩/٩-٣٤٥.

ثم قال: صليتُ البارحة، ومضيتُ، فطففتُ بالبيت، وجئتُ لأشرب من زمزم، فزلقتُ، فأصاب وجهي هذا.

[١] ابن مسروق: حدثنا يعقوبُ ابنُ أخي معروف، أنْ معروفًا استسقى لهم في يومٍ حارٍّ، فما استثموا رفع ثيابهم حتى مُطروا.

وقد استجيب دعاءُ معروف في غيرِ قضية، وأفرد الإمامُ أبو الفرج ابنُ الجوزي مناقبَ معروفٍ في أربع كراريس.

[٢] قال عُبيدُ بنُ محمد الوراق: مرَّ معروفٌ، وهو صائمٌ بسقاء يقول: رَحِمَ اللهُ مَنْ شَرِبَ، فشرِبَ رجاءَ الرحمة. مات معروفٌ سنةً مئتين.

٤٢١ الخريبي (خ، ع) (١)

[٣] عبد الله بن داود بن عامر، الإمامُ الحافظُ القدوة، أبو عبد الرحمن الهمداني، ثم الشَّعْبِيُّ، الكوفي، ثم البَصْرِيُّ، المشهورُ بالخريبي لنزوله محلَّة الخريبة بالبصرة.

وقد قطعَ الحديثَ قبل موته بأعوام، وكان ثقةً عابداً ناسكاً. [٤] وقال محمدُ بنُ يحيى الذُّهلي: سألتُ الخريبيَّ عن التوكل، فقال: أرى التوكلَ حُسْنَ الظنِّ بالله.

[٥] عن الخريبي، قال: كانوا يَسْتَحِبُّونَ أن يكون للرجل خبيثةٌ من عملٍ صالحٍ لا تَعْلَمَ به زوجته ولا غيرها.

[٦] وقال زيدُ بن أخزم: سمعتُ عبدَ الله بنَ داود يقول: مَنْ أَمَكَّنَ الناسَ من كل ما يريدون، أَضَرُّوا بدينِهِ ودينِاه.

(١) انظر السير: ٣٥٢-٣٤٦/٩.

[١] أبو العِيَنَاء قال: أتيت عبد الله بن داود، فقال: ما جاء بك؟ قلت: الحديث، قال: اذهب فتحفظ القرآن، قلت: قد حفظت القرآن، قال: اقرأ ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ...﴾ [يونس: ٧١]، فقرأت العشر حتى أنفذته، فقال لي: اذهب الآن فتعلم الفرائض، قلت، قد تعلمت الصُّلب والجدُّ والكُبر^(١). قال: فأيما أقرب إليك ابن أخيك أو عمُّك؟ قلت: ابن أخي، قال: ولم؟ قلت: لأن أخي من أبي، وعمي من جدي، قال: اذهب الآن، فتعلم العربية، قلت: قد علمتها قبل هذين، قال: فلم قال عمر - يعني حين طعن - يا لله، يا للمسلمين، لم فتح تلك وكسر هذه؟ قلت: فتح تلك اللام على الدعاء وكسر هذه على الاستغاثة والاستنصار، فقال: لو حدثت أحداً، لحدثتكَ.

[٢] قال أبو نصر بن ماكولا: كان الخُرَيْبِيُّ عسراً في الرواية. قلت: لقيه البخاري، ولم يسمع منه، واحتاج إليه في الصحيح، فروى عن مُسَدِّدٍ عنه، وعن الفلاس عنه، وعن نصر بن علي عنه، وترك التحديث تديناً إذ رأى طلبهم له بنيةً مدخولة. قال الخُرَيْبِيُّ: ولدت سنة ست وعشرين ومئة. ومات سنة ثلاث عشرة ومئتين.

٤٢٢ يزيد بن هارون (ع)^(٢)

[٣] ابن زاذي، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو خالد السلمي، مَولاهم الواسطي، الحافظ.

مولده في سنة ثمان عشرة ومئة.

وقال أحمد بن حنبل: كان يزيد حافظاً متقناً.

(١) أي: مسائل الفرائض الكبرى.

(٢) انظر السير: ٣٥٨/٩ - ٣٧١.

[١] قال أحمد بن سنان القَطَّان : ما رأينا عالماً قطُّ أحسن صلاةً من يزيد بن هارون ،
لم يكن يفتر من صلاة الليل والنهار .

[٢] قال أبو حاتم الرازي : يزيد ثقةٌ إمامٌ ، لا يسأل عن مثله .

[٣] عن عاصم بن عليٍّ قال : كنتُ أنا ويزيد بن هارون عند قيس بن الربيع ، فأما
يزيد ، فكان إذا صلى العَتَمَةَ ، لا يزال قائماً حتى يُصَلِّيَ الغداةَ بذلك الوضوء ، نيفاً
وأربعين سنة .

[٤] وقال أحمد بن عبدالله العجلي : يزيد بن هارون ثقةٌ ثبتٌ متعبَّدٌ حسن الصلاة
جداً ، يُصَلِّي الضُّحَى ستَّ عشرة ركعةً ، بها من الجودة غير قليل ، قال : وكان قد
عمي .

قال يعقوب بن شيبه : كان يزيد يُعَدُّ من الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر .
[٥] يحيى بن أكثم ، قال : قال لنا المأمون : لولا مكان يزيد بن هارون ، لأظهرتُ
القرآن مخلوق ، فقل : ومن يزيد حتى يُتَقَى ؟ فقال : ويحك إنني لأرتضيه لا أن له
سلطنةً ، ولكن أخافُ إن أظهرته ، فيردُّ علي ، فيختلفُ الناس ، وتكون فتنة .

[٦] قال أبو نافع سبط يزيد بن هارون : كنتُ عند أحمد بن حنبل ، وعنده رجلان ،
فقال أحدهما : رأيتُ يزيد بن هارون في المنام ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال :
غفر لي ، وشفعني ، وعاتبني ، وقال : أتحدث عن حريز بن عثمان ؟ فقلت : ياربُّ ما
علمتُ إلا خيراً ، قال : إنه يُغَضُّ علياً رضي الله عنه ، وقال الرجل الآخر : رأيتُه في
المنام فقلت له : هل أتاك منكراً ونكيراً ؟ قال : إي والله ، وسألاني : مَنْ ربُّك ؟ وما
دينك ؟ فقلت : ألمثلني يُقال هذا ، وأنا كنتُ أعلم الناس بهذا في الدنيا ؟ فقالا لي :
صدقْتَ .

توفي يزيد بواسط سنة ست ومئتين .

[١] وقال أحمد بن سنان : ما رأيتُ عالماً قطُ أَحْسَنَ صلاةً من يزيد بن هارون ، يقومُ كأنه أسطوانة .

[٢] وروى المروزي عن جعفر بن ميمون حكايةً تدلُّ على أنَّ يزيد بن هارون كان صاحبَ مزاح ، وكان يتأدَّب بحضور الإمام ، ولا يُمازِحه .

[٣] الطبراني : حدثنا المَعْمَرِي ، سمعتُ خَلْفَ بنَ سالم يقول : كنَّا في مجلس يزيد ابن هارون ، فمزح مع مُستمليه ، فتَنَحَّحَ أحمدُ بنُ حنبل ، فقال يزيدُ : مَنْ المُتَنَحِّحُ ؟ فقل له : أحمد بن حنبل ، فضرب يزيدُ على جبينه وقال : ألا أعلمتموني أنَّ أحمدَ ها هنا حتى لا أمزح .

وَمِنْ طَبَقَةِ عَلِيِّ رَأْسِ الْمُتَتِينِ ، وَهِيَ الْعَاشِرَةُ

٤٢٣ سُلَيْمَ بن عيسى^(١)

[٤] ابن سُلَيْم ، شيخُ القراء ، أبو عيسى ، وأبو مُحمد الحنفي مولا هم الكوفي ، تلميذُ حمزة ، وأحذقُ أصحابه ، وهو خَلَفَهُ في الإقراء .

[٥] قال الدُّورِيُّ : قال لي الكسائيُّ : كنتُ أقرأُ على حمزة ، فجاء سُلَيْم فتلكَّأتُ ، فقال حمزةُ : تَهَابُهُ وَلَا تَهَابُنِي ؟ قلتُ : أَيُّهَا الأستاذُ ، أنتَ إنَّ أخطأتُ ، قَوِّمْتَنِي ، وهذا إنَّ أخطأتُ عَيَّرَنِي .

[٦] وقيل : إنَّ سُلَيْمًا تلا على حمزة بن حبيب عشرَ ختم .

مات سُلَيْم سنة ثمانٍ وثمانين ومئة .

٤٢٤ عَلِيّ الرِّضَى^(٢)

[٧] الإمامُ السَّيِّدُ ، أبو الحسن ، عَلِيّ الرِّضَى بن موسى الكاظم ، بن جَعْفَر الصَّادِق ، ابن محمد الباقر ، بن علي ، بن الحسين ، الهاشِمِيُّ العَلَوِيُّ المدني وأمه نُوبِيَّة

(١) انظر السير : ٣٧٥-٣٧٦ . (٢) انظر السير : ٣٨٧-٣٩٣ .

اسمها سَكِينَة .

مولده بالمدينة في سنة ثمان وأربعين ومئة عام وفاة جدّه .

يقال : أفتى وهو شاب في أيام مالك . استدعاه المأمون إليه إلى خراسان ، وبالغ في إعظامه ، وصيّره وليّ عهده ، فقامت قيامة آل المنصور ، فلم تَطُل أيامه ، وتوفي .
[١] وعن عليّ بن موسى الرضّى ، عن أبيه قال : إذا أقبَلَت الدنيا على إنسان ، أعطته محاسن غيره ، وإذا أدبرت عنه ، سَلَبَتْه محاسن نفسه .

[٢] قال الصّوليّ : حدثنا أحمد بن يحيى أنّ الشّعبي قال : أفخر بيت قيل قول الأنصار يوم بدر :

ويبشّر بدر إذ يرُدُّ وجوههم جبريلُ تحت لوائنا ومحمدُ
[٣] ثم قال الصّوليّ : أفخر منه قول الحسن بن هانئ في عليّ بن موسى الرضّى :
قيل لي أنت واحد الناس في كـ لـ كلامٍ من المقال بديهِ
لَكَ في جوهر الكلام بديعٍ يُثمرُ الدرّ في يدي مُجتنِيهِ
فَعَلَامَ تَرَكْتَ مَدَحَ ابنِ موسى بالخِصال التي تجمَعَنَ فيه
قُلْتُ : لا أهتدي لمَدَحِ إمامٍ كان جبريلُ خادِمًا لأبيه
[٤] قُلْتُ : لا يسوغُ إطلاقُ هذا الأخير إلا بتوقيف ، بل كان جبريل مُعلِّمَ نبينا ﷺ ،
وعليه .

[٥] وعن أبي الصّلت قال : سمعتُ عليّ بن موسى بالموقف يدعو : اللهم كما سترت عليّ ما أعلم فاعفِر لي ما تعلم ، وكما وسّعني علمك ، فَلْيَسّعني عفوك ، وكما أكرمتني بمعرفتك فاشفّعها بمغفرتك يا ذا الجلال والإكرام .

توفي سنة ثلاثٍ ومئتين كهلا .

قال ابن جرير : دخلت سنة ثلاثٍ ، فسار المأمون إلى طوس ، وأقام عند قبر أبيه الرشيد أياماً ، ثم إنَّ عليّ بن موسى أكل عنباً ، فأكثر منه ، فمات فجأة في آخر صفر فدُفِنَ عند الرشيد ، واغتَمَّ المأمون لموته .

[١] قال المبرّد: عن أبي عثمان المازني قال: سُئِلَ عليّ بن موسى الرّضى: أيكُفّ الله العباد ما لا يُطيقون؟ قال: هو أعدلُ من ذلك، قيل: فيستطيعون أن يفعلوا ما يريدون؟ قال: هم أعجزُ من ذلك.

[٢] قيل: قال المأمون للرّضى: ما يقولُ بنو أبيك في جدّنا العبّاس؟ قال: ما يقولون في رجلٍ فرّض الله طاعةَ نبيّه على خلقه، وفرض طاعته على نبيّه. وهذا يوهّم في البديهة أن الضميرَ في طاعته للعبّاس، وإنما هو لله - فأمر له المأمون بألف ألف درهم.

[٣] قيل: إن أخاه زيدا خرج بالبصرة على المأمون، وفَتَكَ، وعسفَ فنَفَذَ إليه المأمونُ عليّ بن موسى أخاه ليُرَدّه، فسارَ إليه فيما قيل، وقال: ويلك يا زيدا، فعلتَ بالمسلمين ما فعلتَ، وتزعمُ أنك ابنُ فاطمة؟! والله لأشدُّ الناسِ عليك رسولُ الله ﷺ، ينبغي لمن أخذَ برسول الله أن يُعطي به، قبلغ المأمون، فبكى، وقال: هكذا ينبغي أن يكون أهلُ بيتِ النُّبوة هكذا.

[٤] وقد كان عليّ الرّضى كبيرَ الشَّان، أهلاً للخِلافة، ولكن كَذَبَتْ عليه وفيه الرّافضةُ، وأطروه بما لايجوزُ، وادعوا فيه العصمة، وغلت فيه، وقد جعل الله لكلِّ شيءٍ قدراً.

٤٢٥ الحسين بن علي الجعفي (ع)(١)

[٥] ابن الوليد، الإمامُ القدوةُ الحافظُ المقرئُ المجوّدُ الزَّاهد، بقيّةُ الأعلام، أبو عبدالله، وأبو محمد الجعفي مولا هم الكوفي.

قرأ القرآنَ على حمزة الزُّيات، وأتقنه، وأخذ الحروفَ عن أبي عمرو بن العلاء، وعن أبي بكر بن عيّاش.

(١) انظر السير: ٣٩٧/٩ - ٤٠١.

[١] قال أحمد بن حنبل: ما رأيت أفضل من حسين الجعفي - يُريد بالفضل التقوى والتأله - هذا عرف المتقدمين.

[٢] وقال قتيبة: قيل لسفيان بن عيينة: قدم حسين الجعفي، فوثب قائماً، وقال: قدم أفضل رجل يكون قط.

[٣] وقال موسى بن داود: كنت عند ابن عيينة، فجاء حسين الجعفي فقام سفيان، فقبل يده.

[٤] وروى أبو هشام الرفاعي عن الكسائي، قال: قال لي هارون الرشيد: من أقرأ الناس؟ قلت: حسين الجعفي.

[٥] قال حميد بن الربيع: رأى حسين الجعفي كأن القيامة قد قامت وكأن منادياً ينادي: ليقيم العلماء، فدخلوا الجنة، قال: فقاموا: وقمت معهم. قيل لي: اجلس، لست منهم، أنت لا تحدث، قال: فلم يزل بعد يحدث بعد أن كان لا يحدث حتى كتبنا عنه أكثر من عشرة آلاف حديث.

قال أحمد بن عبد الله العجلي: حسين الجعفي ثقة، كان يقرئ القرآن، رأس فيه، وكان رجلاً صالحاً، لم أر رجلاً قط أفضل منه.

قال: كان جميلاً لباساً يخضب وخضابته إلى الصفرة.

قيل: إن مولده في سنة تسع عشرة ومئة. وتوفي في سنة ثلاث ومئتين، وله بضع وثمانون سنة.

٤٢٦ الحفري (م، ٤) (١)

[٦] الإمام الثبت القدوة الولي، أبو داود، عمر بن سعد الحفري، الكوفي، العابد والحفر: موضع بالكوفة، وهو بكنيته أشهر.

(١) انظر السير: ٤١٥/٩-٤١٧.

[١] حُكي أَنَّهُ أَبْطَأَ يَوْمًا فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْجَمَاعَةِ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ: أَعْتِذِرُ إِلَيْكُمْ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِي ثَوْبٌ غَيْرُ هَذَا، صَلَّيْتُ فِيهِ، ثُمَّ أَعْطَيْتُهُ بِنَاتِي حَتَّى صَلَّيْنَ فِيهِ. ثُمَّ أَخَذْتُهُ، وَخَرَجْتُ إِلَيْكُمْ.

[٢] قَالَ وَكَيْعُ بْنُ الْجَرَّاحِ: إِنْ كَانَ يُدْفَعُ بِأَحَدٍ فِي زَمَانِنَا، فَبِأَبِي دَاوُدَ الْحَفَرِيِّ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: لَا أَعْلَمُنِي رَأَيْتُ بِالْكُوفَةِ أَعْبَدَ مِنْهُ.

[٣] وَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْتَشِرَ، خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ مَسْجِدُهُمْ مُحَصَّبًا، فَقِيلَ: أَلَيْسَ كَفَارَتُهَا دَفْنُهَا؟ فَيَقُولُ: لَعَلِّي أُؤْخَذُ قَبْلَ أَنْ أَكْفُرَ.

[٤] وَتَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ، فَأَصْدَقَهَا ثَلَاثَةَ دنانير، وَكَانَ قُوَّتُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ قُرْصَيْنِ، وَبِفَلَسٍ فَجَلَ أَوْ هَنْدَبًا.

قَالَ أَبُو حَمْدُونِ الطَّبِيبُ الْمُقَرِّي: دَفَنَّا أَبَا دَاوُدَ الْحَفَرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَتَرَكْنَا بَابَهُ مَفْتُوحًا، مَا كَانَ فِي الْبَيْتِ شَيْءٌ.

مَاتَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَمِثْنَيْنِ.

قُلْتُ: مَاتَ وَقَدْ شَاخَ، أَحْسَبُهُ مِنْ أَبْنَاءِ السَّبْعِينَ.

٤٢٧ الْوَاقِدِيُّ^(١)

[٥] مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ وَاقِدٍ الْأَسْلَمِيِّ مَوْلَاهُمُ الْوَاقِدِيُّ الْمَدِينِيُّ الْقَاضِي، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ وَالْمَغَازِي، الْعَلَّامَةُ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، أَحَدُ أَوْعِيَةِ الْعِلْمِ عَلَى ضَعْفِهِ الْمَتَّفَقُ عَلَيْهِ.

وُلِدَ بَعْدَ الْعَشْرِينَ وَمِئَةً.

وَجَمَعَ، فَأَوْعَى، وَخَلَطَ الْغَثَّ بِالسَّمِينِ، وَالْخَرْزَ بِالذَّرِّ الثَّمِينِ، فَاطَّرَحُوهُ لَذَلِكَ، وَمَعَ هَذَا فَلَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ فِي الْمَغَازِي، وَأَيَّامِ الصَّحَابَةِ وَأَخْبَارِهِمْ.

(١) انظر السير: ٤٥٤/٩ - ٤٦٩.

قدم بغداد في دينٍ لحقه سنة ثمانين ومئة، فلم يزل بها، وخرج إلى الشام والرقّة، ثم رجع، فولاه المأمون القضاء، إذ قدم من خراسان، ولأه القضاء بعسكر المهدي، فلم يزل قاضياً حتى مات ببغداد سنة سبع ومئتين.

وقال الخطيب: هو ممن طبق ذكره شرق الأرض وغربها، وسارت بكتبه الركبان في فنون العلم من المغازي والسّير والطبقات والفقه، وكان جواداً كريماً مشهوراً بالسّخاء.

قد كانت للواقدي في وقته جلالة عجيبة، ووقع في النفوس بحيث إن أبا عامر العقدي قال: نحن نسأل عن الواقدي؟ ما كان يفيدنا الشيخ والحديث إلا الواقدي.

[١] قال ابن سعد: كان الواقدي يقول: ما من أحدٍ إلا وكتبه أكثر من حفظه، وحفظي أكثر من كتبي.

[٢] وعن أبي حذافة السهمي قال: كان للواقدي ست مئة قمطر^(١) كتب.

[٣] قلت: لا شيء للواقدي في الكتب الستة إلا حديث واحد، عند ابن ماجه، حدثنا ابن أبي شيبة، حدثنا شيخ لنا، فما جسر ابن ماجه أن يفصح به، وما ذاك إلا لو هن الواقدي عند العلماء، ويقولون: إن ما رواه عنه كاتبه في «الطبقات» هو أمثل قليلاً من رواية الغير عنه.

قال عباس الدوري: مات الواقدي وهو على القضاء، وليس له كفن، فبعث المأمون بأكفانه.

[٤] وقد تقرر أن الواقدي ضعيف، يحتاج إليه في الغزوات، والتاريخ ونورد آثاره من غير احتجاج، أمّا في الفرائض، فلا ينبغي أن يذكر، فهذه الكتب الستة، ومسند أحمد، وعامة من جمع في الأحكام، نراهم يترخصون في إخراج أحاديث أناس

(١) القمطر، والقمطرة: ما تصان فيه الكتب.

ضُعفاء، بل ومتروكين، ومع هذا لا يُخرجون لمُحمد بن عُمر شيئاً، مع أنَّ وزنه عندي أنه مع ضعفه يُكتب حديثه ويروى لأنِّي لا أتَّهمه بالوضع، وقول من أهدره فيه مُجازفةً من بعض الوجوه كما أنه لا عبرة بتوثيق من وثَّقه، كيزيد، وأبي عُبَيْد، والصَّاعِغاني، والحري، ومعن، وتَمَام عشرة مُحدِّثين، إذ قد انعقد الإجماع اليوم على أنه ليس بِحُجَّة، وأنَّ حديثه في عِدَاد الواهي، رَحِمَهُ اللهُ.

٤٢٨ أبو عاصم (ع)^(١)

[١] الضُّحَاكُ بن مَخْلَد، بن الضُّحَاك، الإمامُ الحافظُ شيخُ المُحدِّثين الأثبات، أبو عاصم الشَّيبَانِي، مولاها، ويقال: من أنْفُسهم، البصري، وأمه من آل الزُّبَيْر، وكان يبيع الحرير.

ولد سنة اثنتين وعشرين ومئة.

[٢] وقال البخاري: سمعتُ أبا عاصمٍ يقول: منذ عَقَلْتُ أنَّ الغيبة حرامٌ، ما اغْتَبْتُ أحداً قط.

[٣] وروى أبو عُبَيْد الأَجَرِّيُّ عن أبي داود قال: كان أبو عاصمٍ يحفظُ قدر ألفِ حديث من جيِّد حديثه، وكان فيه مُزَاح، ويُقال: إنما قيل له النبيل، لأنَّ فيلاً قدِم البصرة، فذهبَ الناسَ يَنْظُرُونَ إليه، فقال له ابنُ جُرَيْج: مالك لا تنظر؟ قال: لا أجد منك عوضاً، قال: أنت نبيل. وبعضهم نقل أنَّ أبا عاصمٍ كان ضَخَم الأنف، فتزوَّج امرأةً، فلما خلا بها دنا منها لِيُقَبِّلَهَا، فقالت: نَحْ ركبَتَكَ عن وَجْهي قال: ليس ذا رُكْبَةٍ، إنما هو أنْفٌ.

وقيل: لأنَّه كان يلبس الخَزَّ وجيِّد الثياب، وكان إذا أقْبَلَ، قال ابنُ جُرَيْج: جاء النبيل.

(١) انظر السير: ٩/ ٤٨٠-٤٨٥.

وقيل لأنَّ شُعبةَ حَلَفَ أَلَّا يُحَدِّثَ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ شَهْرًا، فَقَصَدَهُ أَبُو عَاصِمٍ
فَدَخَلَ مَجْلِسَهُ، وَقَالَ: حَدِّثْ وَغَلَامِي الْعَطَّارُ حُرٌّ لَوْجَهُ اللَّهُ كَفَارَةً عَنْ يَمِينِكَ،
فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ.

[١] قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عِيْسَى الزَّجَّاجُ: سَمِعْتُ أَبَا عَاصِمٍ يَقُولُ: مَنْ طَلَبَ الْحَدِيثَ،
فَقَدْ طَلَبَ أَعْلَى الْأُمُورِ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ النَّاسِ.
تُوفِي فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ.

٤٢٩ يحيى ابن آدم (ع)^(١)

[٢] ابْنُ سُلَيْمَانَ، الْعَلَّامَةُ، الْحَافِظُ، الْمَجُودُّ، أَبُو زَكَرِيَّا الْأُمَوِيُّ، وُلِدَ بَعْدَ الثَّلَاثِينَ
وَمِئَةً.

وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ شَيْبَةَ: ثَقَّةٌ، كَثِيرُ الْحَدِيثِ، فَقِيهُ الْبَدَنِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سَنٌ
مُتَقَدِّمٌ، سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: يَرْحُمُ اللَّهُ يَحْيَى بْنَ آدَمَ، أَيُّ عِلْمٍ كَانَ عِنْدَهُ! وَجَعَلَ
عَلِيٌّ يُطْرِيهِ. وَسَمِعْتُ عُبَيْدَ بْنَ يَعِيشَ، سَمِعْتُ أَبَا أُسَامَةَ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ يَحْيَى بْنَ
آدَمَ قَطُّ، إِلَّا ذَكَرْتُ الشَّعْبِيَّ - يُرِيدُ أَنَّهُ كَانَ جَامِعًا لِلْعِلْمِ.

[٣] وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ غَيْلَانَ: سَمِعْتُ أَبَا أُسَامَةَ يَقُولُ: كَانَ عُمرُ فِي زَمَانِهِ رَأْسَ
النَّاسِ، وَهُوَ جَامِعٌ، وَكَانَ بَعْدَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي زَمَانِهِ، وَبَعْدَهُ الشَّعْبِيُّ فِي زَمَانِهِ،
وَكَانَ بَعْدَهُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَكَانَ بَعْدَ الثَّوْرِيِّ يَحْيَى بْنُ آدَمَ.

[٤] قُلْتُ: قَدْ كَانَ يَحْيَى بْنُ آدَمَ مِنْ كِبَارِ أُمَّةِ الْاجْتِهَادِ، وَقَدْ كَانَ عُمرُ كَمَا قَالَ فِي
زَمَانِهِ، ثُمَّ كَانَ عَلِيٌّ وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَمَعَاذُ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ، ثُمَّ كَانَ بَعْدَهُمْ فِي زَمَانِهِ
زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَعَائِشَةُ، وَأَبُو مُوسَى، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، ثُمَّ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ عَمْرٍ،
ثُمَّ عَلْقَمَةُ، وَمَسْرُوقٌ، وَأَبُو إِدْرِيسَ، وَابْنُ الْمُسَيَّبِ.

(١) انظر السير: ٥٢٩-٥٢٢/٩

[١] ثم عروة، والشَّعْبِيُّ، والحسن، وإبراهيم النَّخَعِيُّ، ومُجاهد، وطاووس، وعِدَّة، ثم الزُّهْرِيُّ، وعمر بن عبدالعزيز، وقَتَادَةُ، وأيوب، ثم الأعمش، وابن عَوْنٍ، وابن جُرَيْج، وعُبَيْد الله بن عمر، ثم الأوزاعي، وسُفْيَان الثَّوْرِيُّ، ومَعْمَرٌ، وأبو حنيفة، وشعبة، ثم مالك، والليث، وحماد بن زيد، وابن عُيَيْنَةَ، ثم ابن المبارك، ويحيى القطان، ووكيع وعبد الرحمن، وابن وهب، ثم يحيى بن آدم، وعفان، والشَّافِعِيُّ، وطائفة، ثم أحمد، وإسحاق، وأبو عبيد، وعلي بن المديني، وابن معين، ثم أبو محمد الدَّارِمِيُّ، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وآخرون من أئمة العلم والاجتهاد.

واتفق موته غريباً في سنة ثلاثٍ ومئتين.

[٢] قال هشام بن منصور: سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: قال لي يحيى بن آدم: يَجِئُني الرَّجُلُ مَمَّنْ أَبْغَضُهُ، وأكرهه مجيئه، فأقرأ عليه كُلَّ شيءٍ معه، لأستريح منه، ولا أراه، ويجيء الرجل أودّه، فأردده حتى يرجع إليّ.

٤٣٠ عبد الرزاق بن همام (ع)^(١)

[٣] ابن نافع، الحافظ، عالمُ اليَمَن، أبو بكر الحِميري، مولا هم الصَّنْعَانِيُّ الثَّقَةُ الشَّيْعِيُّ.

وُلد سنة ست وعشرين ومئة.

[٤] قال علي بن المديني: قال لي هشام بن يوسف: كان عبد الرزاق أعلمنا وأحفظنا.

[٥] قلتُ: هكذا كان النُّظَرَاءُ يعترفون لأقرانهم بالحفظ.

وفي المسند قال أحمد بن حنبل: ما كان في قرية عبد الرزاق بئرٌ فكُنَّا نذهبُ

(١) انظر السير: ٥٦٣/٩ - ٥٨٠.

نبكر على ميلين نتوضاً، ونحمل معنا الماء.

[١] وقال أبو عمرو المُستَملي: سمعتُ محمدَ بنَ رافع يقول: كنتُ مع أحمد وإسحاق عند عبد الرزاق، فجاءنا يومُ الفطر، فخرجنا مع عبد الرزاق إلى المُصلّى، ومعنا ناسٌ كثير، فلما رجعنا، دعانا عبد الرزاق إلى الغداء، ثم قال لأحمد وإسحاق: رأيتُ اليومَ منكما عجباً، لم تُكَبِّرا، فقال أحمد وإسحاق: يا أبا بكر، كنا ننتظر هل تُكَبِّر، فنُكَبِّر، فلما رأيناك لم تُكَبِّر، أمسكنا، قال: وأنا كنتُ أنظر إليكما، هل تُكَبِّران فأُكَبِّر.

[٢] الحسن بن سفيان: سمعتُ فياض بن زهير النَّسائي، يقول: تشفّعنا بامرأة عبد الرزاق عليه، فدخلنا، فقلنا: هاتوا، تشفّعتم إليَّ بمن يَنقَلِبُ معي على فراشي؟ ثم قال:

ليس الشفيعُ الذي يَأْتِيكَ مُتَزَرّاً مثلَ الشفيعِ الذي يَأْتِيكَ غُرِياناً [٣] قال عبد الرزاق: قدمتُ مَكَّةَ مَرَّةً، فأتاني أصحابُ الحديثِ يومين ثم انقطعوا عني يومين، أو ثلاثة، فقلتُ: ياربُّ ما شأني؟ أكْذَابُ أنا؟ أيُّ شيءٍ أنا؟ قال فجاؤوني بعد ذلك.

[٤] العُقيلي في كتاب «الضعفاء» له، في ترجمة عبد الرزاق: حدثنا محمدُ بنُ أحمد ابن حمّاد، سمعتُ محمدَ بنَ عثمان الثَّقفي، قال: لَمَّا قَدِمَ العَبَّاسُ بنُ عبد العَظيم من عندِ عبدِ الرزاق من صَنعاء، قال لنا - ونحن جماعة - أَلَسْتُ قد تَجَشَّمْتُ الخُروجَ إلى عبدِ الرزاق، فدخلتُ إليه، وأقمتُ عنده حتى سمعتُ منه ما أردتُ؟ والله الذي لا إله إلا هو، إنَّ عبدَ الرزاق كَذَّابٌ، والواقديُّ أَصْدَقُ منه.

[٥] قلتُ: بل والله ما برَّ عبَّاسٌ في يمينه، وَلَبِئْسَ ما قال، يَعمَدُ إلى شيخِ الإسلام، ومُحدِّثِ الوقتِ، ومَن احتجَّ به كلُّ أربابِ الصَّحاح - وإن كان له أوهامٌ مغمورة، وغيره أبرعُ في الحديثِ منه - فيرميه بالكذب، ويُقدِّم عليه الواقديُّ الذي أجمعت

الحُفَاطُ عَلَى تَرْكِهِ، فَهُوَ فِي مَقَالَتِهِ هَذِهِ خَارِقٌ لِلْإِجْمَاعِ بَيِّقِينَ.

[١] قَالَ الْعُقَيْلِيُّ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ الصَّنْعَانِي يَقُولُ: كَانَ زَيْدُ بْنُ الْمُبَارَكِ، قَدْ لَزِمَ عَبْدَ الرَّزَّاقِ، فَأَكْثَرَ عَنْهُ، ثُمَّ خَرَقَ كُتْبَهُ، وَلَزِمَ مُحَمَّدَ بْنَ ثَوْرٍ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثِ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ مَالِكِ بْنِ أَوْسِ بْنِ الْحَدَثَانِ... الْحَدِيثُ الطَّوِيلُ، فَلَمَّا قَرَأَ قَوْلَ عُمَرَ لِعَلِيِّ وَالْعَبَّاسِ: فَجِئْتَ أَنْتَ تَطْلُبُ مِيرَاثَكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، وَجَاءَ هَذَا يَطْلُبُ مِيرَاثَ امْرَأَتِهِ، قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: انظُرُوا إِلَى الْأَنْوَكِ، يَقُولُ: تَطْلُبُ أَنْتَ مِيرَاثَكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، وَيَطْلُبُ هَذَا مِيرَاثَ زَوْجَتِهِ مِنْ أَبِيهَا، لَا يَقُولُ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ زَيْدُ بْنُ الْمُبَارَكِ: فَلَمْ أُعِدْ إِلَيْهِ وَلَا أُرْوِي عَنْهُ.

[٢] قُلْتُ: هَذِهِ عَظِيمَةٌ، وَمَا فَهَمَ قَوْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ، فَإِنَّكَ يَا هَذَا لَوْ سَكَتَ، لَكَانَ أَوْلَى بِكَ، فَإِنَّ عُمَرَ إِنَّمَا كَانَ فِي مَقَامِ تَبْيِينَ الْعُمُومَةِ وَالْبُتُوَّةِ، وَإِلَّا فَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَعْلَمُ بِحَقِّ الْمَصْطَفَى وَبِتَوْقِيرِهِ وَتَعْظِيمِهِ مِنْ كُلِّ مُتَحَذِّقٍ مُتَنَطِّعٍ، بَلِ الصَّوَابُ أَنْ نَقُولَ عَنْكَ: انظُرُوا إِلَى هَذَا الْأَنْوَكِ الْفَاعِلِ - عَفَا اللَّهُ عَنْهُ - كَيْفَ يَقُولُ عَنْ عُمَرَ هَذَا، وَلَا يَقُولُ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْفَارُوقُ؟! وَبِكُلِّ حَالٍ فَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَنَا وَلِعَبْدِ الرَّزَّاقِ، فَإِنَّهُ مَأْمُونٌ عَلَى حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، صَادِقٌ.

[٣] قَالَ الْعُقَيْلِيُّ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ: سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الصَّرَارِيَّ يَقُولُ: بَلَّغْنَا وَنَحْنُ بِصَنْعَاءَ عِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ أَنَّ أَصْحَابَنَا، يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرَهُمَا، تَرَكَوا حَدِيثَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ وَكَرَهُوهُ، فَدَخَلْنَا مِنْ ذَلِكَ غَمٌّ شَدِيدٌ، وَقُلْنَا: قَدْ أَنْفَقْنَا، وَرَحَلْنَا وَتَعَبْنَا، فَلَمْ أَزَلْ فِي غَمٍّ مِنْ ذَلِكَ إِلَى وَقْتِ الْحَجِّ، فَخَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ فَلَقِيتُ بِهَا يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا زَكْرِيَا، مَا نَزَلَ بَنَا مِنْ شَيْءٍ بَلَّغْنَا عَنْكُمْ فِي عَبْدِ الرَّزَّاقِ؟ قَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْنَا: بَلَّغْنَا أَنَّكُمْ تَرَكَتُمْ حَدِيثَهُ وَرَغَبْتُمْ عَنْهُ، قَالَ: يَا أَبَا صَالِحٍ، لَوْ ارْتَدَّ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنِ الْإِسْلَامِ مَا تَرَكَنَا حَدِيثَهُ.

[١] سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، سَمِعْتُ عَبْدِ الرَّزَّاقَ، يَقُولُ: مَا انْشَرَحَ صَدْرِي قَطُّ أَنْ أَفْضَلَ عَلِيًّا عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَرَحِمَهُمَا اللَّهُ، وَرَحِمَ عَثْمَانَ وَعَلِيًّا مَنْ لَمْ يُحِبَّهُمْ فَمَا هُوَ بِمُؤْمِنٍ، أَوْثَقُ عَمَلِي حُبِّي إِيَّاهُمْ.
توفي عبد الرزاق في سنة إحدى عشرة ومئتين.

٤٣١ علي بن بكار^(١)

[٢] الإمام الرباني العابد، أبو الحسن، البصري الزاهد، نزيل المصيبة، ومريد إبراهيم بن أدهم.

[٣] قال يوسف بن مسلم: بكى علي بن بكار، حتى عَمِيَ، وكان قد أثرت الدموع في خديه.

[٤] قلت: وكان فارساً، مُرابطاً، ومُجاهداً كثير الغزو، فرَوِيَ عنه أنه قال: واقعنا العدو، فانهزم المسلمون، وقصّر بي فرسي، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال الفرس: نعم، إنا لله وإنا إليه راجعون، حيث تتكل على فلانة في علفي، فضمنت أن لا يليه غيري.

[٥] وقال موسى بن طريف: كانت الجارية تفرش لعلي بن بكار، فيلمسه بيده، ويقول: والله إنك لطيب، والله إنك لبارد، والله لا علوتك الليلة، وكان يصلي الفجر، بوضوء العتمة.
مات سنة سبع ومئتين.

٤٣٢ النباجي^(٢)

[٦] القدوة، العابد، الرباني، أبو عبدالله، سعيد بن بريد الصوفي، له كلام

(١) انظر السير: ٥٨٤/٩ - ٥٨٥.

(٢) انظر السير: ٥٨٦/٩.

شريف، ومواعظ.

[١] روى أبو نعيم، عن أبيه، عن خاله، أن النباجي كان مُجاب الدعوة، وله آيات وكرامات، كان في سفرٍ، فأصاب رجلٌ عائنٌ ناقته بالعين فجاءه النباجي، ودعا عليه بالفاظ، فخرجت حدقتا العائن، ونشطت الناقة.

[٢] وعنه قال: لو جعلت لي دعوةً مجابةً ما سألت الفردوس، ولكنك أسأل الرضى، فهو تعجيل الفردوس.

[٣] قال ابن بكر: سمعت النباجي يقول: ينبغي أن نكون بدعاء إخواننا أوثق منّا بأعمالنا، نخاف في أعمالنا التقصير، ونرجو أن نكون في دعائهم لنا مُخلصين. للنباجي ترجمةٌ طويلةٌ في «الحلية».

الجزء العاشر

٤٣٣ الإمام الشافعي (خت، ٤) (١)

[١] محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبید بن عبد یزید بن هاشم بن المطلب بن عبدمناف .

الإمام، عالمُ العصر، ناصرُ الحديث، فقيهُ المِلَّة، أبو عبد الله القرشي ثم المَطْلَبِي الشافعي المكي، الغَزِّيُّ المولد، نسيب رسول الله ﷺ، وابن عمه، فالْمُطَلَّبُ هو أخو هاشم والد عبدالمطلب .

اتفق مولدُ الإمام بغَزَّة، ومات أبوه إدريس شاباً، فنشأ يتيماً في حجر أمه، فخافت عليه الضَّيعة، فتحوَّلت به إلى مَحْتَدِه وهو ابن عامين، فنشأ بمكة وأقبل على الرَّمي، حتى فاق فيه الأقران، وصار يصيب من عشرة أسهم تسعة، ثم أقبل على العربية والشعر، فبرع في ذلك وتقدَّم .
حُبَّ إليه الفقه، فسادَ أهل زمانه .

[٢] وارتحل - وهو ابنُ ثِيَفٍ وعشرين سنة وقد أفتى وتأهل للإمامة - إلى المدينة، فحملَ عن مالك بن أنس «الموطأ» عَرَضَه من حِفْظِهِ .

[٣] وصنَّف الكبار في مناقب هذا الإمام قديماً وحديثاً، ونال بعضُ الناس منه غَضاً، فما زاده ذلك إلا رِفْعَةً وجلالة، ولاح للمُنصفين أنَّ كلام أقرانه فيه بهوى، وقُلَّ مَنْ برَّز في الإمامة، وردَّ على من خالفه إلا وعُودي، نعوذ بالله من الهوى، وهذه الأوراق تضيقُ عن مناقب هذا السيد .

قال المَزْنِي: ما رأيتُ أحسن وجهاً من الشافعي رحمه الله وكان رِيماً قبضَ على لحيته فلا يفضلُ عن قبضته .

(١) انظر السير: ١٠ / ٥ - ٩٩

[١] قال أبو عبيد: ما رأيت أحداً أعقل من الشافعي، وكذا قال يونس بن عبد الأعلى، حتى إنه قال: لو جمعت أمة لوسعهم عقله.

قلت: هذا على سبيل المبالغة، فإن الكامل العقل لو نقص من عقله نحو الربع، لبان عليه نقص ما، ولبقي له نظراء، فلو ذهب نصف ذلك العقل منه، لظهر عليه النقص، فكيف به لو ذهب ثلثا عقله! فلو أنك أخذت عقول ثلاثة أنفس مثلاً، وصيرتها عقل واحد، لجاء منه كامل العقل وزيادة.

[٢] قال يونس الصّدفي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة.

قلت: هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام وفقه نفسه، فما زال النظراء يختلفون.

[٣] وقال تميم بن عبد الله: سمعت سويد بن سعيد يقول: كنت عند سُفيان، فجاء الشافعي فسلم، وجلس، فروى ابن عيينة حديثاً رقيقاً، فغشي على الشافعي، فقيل: يا أبا محمد، مات محمد بن إدريس، فقال ابن عيينة: إن كان مات، فقد مات أفضل أهل زمانه.

[٤] قال الحارث بن سريج: سمعت يحيى القطان يقول: أنا أدعو الله للشافعي، أخصّه به.

[٥] المُرَني: سمعت الشافعي يقول: من تعلّم القرآن عظمت قيمته، ومن تكلم في الفقه نما قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة رقّ طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه، لم ينفعه علمه.

[٦] قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: المراء في الدين يُقسّي القلب، ويورث الضغائن.

[١]الرَّيْبُ : سمعتُ الشافعيَّ يقولُ : وددتُ أنْ الناسَ تعلَّموا هذا العلمَ - يعني كُتِبَ - على أنْ لا يُنسَبَ إليَّ منه شيءٌ .

[٢]أبو يحيى زكريا السَّاجِيّ، حدثنا المُزَنِيّ، قال : قلتُ إنْ كانَ أحدٌ يُخْرِجُ ما في ضميري، وما تَعَلَّقَ به خاطري من أمرِ التوحيدِ فالشافعي، فَصِرْتُ إليه، وهو في مسجدِ مصر، فلما جَثَوْتُ بين يديه، قلتُ : هَجَسَ في ضميري مسألةٌ في التوحيدِ فعلمتُ أنْ أحدًا لا يعلمُ علمكَ، فما الذي عندَكَ؟ فَغَضِبَ، ثم قال : أتدري أين أنت؟ قلتُ : نعم، قال : هذا الموضعُ الذي أغرَقَ الله فيه فرعونَ .

أبلغَكَ أنْ رسولَ الله ﷺ أمرَ بالسؤالِ عن ذلك؟ قلتُ : لا، قال : هل تكَلَّمَ فيه الصحابةُ؟ قلتُ : لا، قال : تدري كم نجمًا في السماء؟ قلتُ : لا، قال : فكوكبٌ منها : تعرفُ جنسَه، طلوعَه، أَقُولُه، مِمَّ خُلِقَ؟ قلتُ : لا، قال : فشيءٌ تراه بعينِكَ من الخلقِ لستَ تعرفُه، تتكلَّمُ في علمِ خالقه؟ ! ثم سألتني عن مسألةٍ في الوضوءِ، فأخطأتُ فيها، فَفَرَعَهَا على أربعةِ أوجهٍ، فلم أَصِبْ في شيءٍ منه، فقال : شيءٌ تحتاجُ إليه في اليومِ خمسَ مراتٍ، تَدْعُ علمه، وتتكلَّفُ علمَ الخالقِ، إذا هَجَسَ في ضميرِكَ ذلك، فارْجِعْ إلى الله، وإلى قوله تعالى : ﴿وَالْهَكَمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، إنَّ في خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿الآية [البقرة ١٦٣- ١٦٤]، فاستَدِلَّ بالمخلوقِ على الخالقِ، ولا تتكلَّفُ علمَ ما لم يبلغه عقلُكَ، قال : فَتَبَّتْ .

[٣]الرَّيْبُ سمعتُ الشافعيَّ يقولُ : الإيمانُ قولٌ وعملٌ، يَزِيدُ وينقُصُ .

[٤]وسمعتُه يقولُ : تجاوزَ الله عَمَّا في القُلُوبِ، وَكَتَبَ على الناسِ الأفعالَ والأقوالَ .

[٥]وعن الشافعيِّ قال : ما كابرَني أحدٌ على الحقِّ ودافعَ، إلا سَقَطَ من عيني، ولا قَبِلَه إلا هَبْتُهُ، واعتقدتُ مودَّتَهُ .

[١] عبدالله بن أحمد بن حنبل: سمعتُ أبي يقول: قال الشافعي: أنتم أعلمُ بالأخبارِ الصَّحاحِ منا، فإذا كان خبرٌ صحيحٌ، فأعلِّمني حتى أذهبَ إليه، كوفيّاً كان، أو بصريّاً أو شاميّاً.

[٢] قال الشافعي: كلُّ ما قلته فكانَ من رسولِ الله ﷺ خلافُ قولي ممّا صحَّ، فهو أولى، ولا تُقلِّدوني.

[٣] وقال الحميدي: روى الشافعي يوماً حديثاً، فقلت: أتأخذُ به. فقال: رأيَني خرجتُ من كنيسةٍ، أو عليّ زُنارٌ، حتى إذا سمعتُ عن رسولِ الله ﷺ حديثاً لا أقول به.

[٤] الربيعُ بنُ سليمان، قال: كانَ الشافعي قد جزأ الليلَ، فثلثه الأولُ يكتبُ، والثاني يُصلي، والثالثُ ينام. قلت: أفعاله الثلاثةُ عبادةٌ بالنية.

[٥] محمدُ بنُ إسماعيل، حدثني حسين الكرابيسي: بَتُّ مع الشافعي ليلةً، فكان يُصلي نحو ثلثِ الليل، فما رأيته يزيدُ على خمسين آيةً، فإذا أكثر، فمئة آية، وكان لا يمرُّ بآية رحمةٍ إلا سأل الله، ولا بآية عذابٍ إلا تعوَّذ، وكأنما جُمع له الرجاءُ والرهبةُ جميعاً.

[٦] أبو عَوَّانَةَ الإسفراييني: حدثنا الربيعُ: سمعتُ الشافعي يقول: ما شبتُ منذ ستِّ عشرة سنةٍ إلا مرةً، فأدخلتُ يدي فتقيأتُها.

[٧] رواها ابنُ أبي حاتم عن الربيع، وزاد: لأنَّ الشَّيْبَ يُثْقِلُ البدنَ، ويُقْسِي القلبَ ويُزيلُ الفطنة، ويجلبُ النومَ، ويُضعِفُ عن العبادة.

[٨] أبو بكر محمد بن القاسم بن مطر، سمعتُ الربيعَ: قال لي الشافعي: عليك بالزُّهد فإنَّ الزُّهدَ على الزَّاهدِ أحسنُ من الحُلِيِّ على المرأةِ الناهِدِ.

[٩] وقال الربيعُ: كان الشافعي مارةً بالحدَّائين، فسقط سوطُه، فوثب غلامٌ، ومسحه بكمِّه، وناولَه، فأعطاه سبعةً دنانير.

[١] أبو ثور، قال: كان الشافعي من أسمح الناس، يشتري الجارية الصّناع التي تطبخ وتعمل الحلواء، ويشترط عليها هو أن لا يقرّبها، لأنّه كان عليلاً لا يُمْكِنُه أن يقرّب النساء لبأسور به إذ ذاك، وكان يقول لنا: اشتھوا ما أردتم.

[٢] عن الشافعي: أصل العلم التّشبيّت، وثمرته السّلامة، وأصل الورع القناعة، وثمرته الراحة، وأصل الصبر الحزم، وثمرته الطّفَر، وأصل العمل التوفيق، وثمرته النّجح، وغاية كلّ أمر الصدق.

[٣] وعن الشافعي: بشّ الزاد إلى المَعادِ العدوان على العباد.

[٤] وعنه: ضياع العالم أن يكون بلا إخوان، وضياع الجاهل، قلة عقله، وأضيغ منهما من واخى من لا عقل له.

[٥] آلاُت الرياسة خمس: صدقُ اللّهِجة، وكتِمانُ السّر، والوفاء بالعهد، وابتداء النصيحة، وأداء الأمانة.

وقد صنّف الحافظ أبو بكر الخطيب كتاباً في ثبوت الاحتجاج بالإمام الشافعي.

[٦] وما تكلم فيه إلّا حاسدٌ أو جاهلٌ بحاله، فكان ذلك الكلام الباطل منهم مُوجباً لارتفاع شأنه، وعُلُو قدره، وتلك سنة الله في عباده: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً﴾ [الأحزاب ٦٩-٧٠].

[٧] وعن يونس بن عبد الأعلى، قال: ما كان الشافعي إلّا ساحراً ما كنّا ندري ما يقول إذا قعدنا حوله، كأنّ ألفاظه سُكَّر وكان قد أُوتِيَ عذوبة منطق، وحُسن بلاغة، وفرط ذكاء، وسيلان ذهن، وكمال فصاحة، وحضور حُجة.

[٨] فعن عبد الملك بن هشام اللغوي، قال: طالَت مُجالستنا للشافعي، فما سمعتُ منه لحنَةً قط.

[٩] قلتُ: أنى يكون ذلك، وبمثله في الفصاحة يُضربُ المثل، كان أفصح قريش في زمانه، وكان ممّا يُؤخذُ عنه اللّغة.

[١] قال الربيع : قال لي الشافعي : إن لم يكن الفقهاء العامِلون أولياء الله فما لله ولي .

[٢] قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : ما رأيتُ أحداً أقلَّ صباً للماء في تمام التطهر من الشافعي .

[٣] الأصم : سمعتُ الربيع يقول : سأل رجلُ الشافعي عن قاتِل الوزغ هل عليه غُسلٌ ؟ فقال : هذا فتيا العجائز .

[٤] قال صالح بن محمد جزرة : سمعتُ الربيع ، سمعتُ الشافعي يقول : لا أعلمُ علماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطب ، إلا أن أهل الكتاب قد غلبونا عليه .

[٥] قال حرملة : كان الشافعي يتلَهفُ على ما ضيَّع المسلمون من الطب ، ويقول ضيَّعوا ثلث العلم ، ووكلوه إلى اليهود والنصارى .

[٦] علي بن أحمد بن النضر الأزدي ، سمعتُ أحمد بن حنبل ، وسُئِل عن الشافعي ، فقال : لقد منَّ الله علينا به ، لقد كنَّا تعلمنا كلامَ القوم ، وكتبنا كُتُبهم ، حتى قدم علينا ، فلما سمعنا كلامه ، علمنا أنه أعلم من غيره ، وقد جالسناه الأيام والليالي ، فما رأينا منه إلا كلَّ خير ، ف قيل له : يا أبا عبد الله ، كان يحيى وأبو عُبيد لا يرضيانه - يشيرُ إلى التَّشيع وأنهما نسباهُ إلى ذلك - فقال : أحمد بن حنبل : ما ندري ما يقولان ، والله ما رأينا منه إلا خيراً .

[٧] قلت : من زعم أن الشافعي يتشيع فهو مُفترٍ ، لا يدري ما يقول .

[٨] الربيع بن سليمان قال : حججنا مع الشافعي ، فما ارتقى شراً ولا هبط وادياً ، إلا وهو يبكي ، ويُشيدُ :

يا راكباً قَفَّ بِالْمَحْصَبِ مِنْ مَنِي واهْتَفَ بِقَاعِدِ خَيْفِنَا وَالنَّاهِضِ
سَحَرًا إِذَا فَاضَ الْحَجِيجُ إِلَى مَنِي فَيَضَا كُمُلَتْطِمِ الْفُرَاتِ الْفَائِضِ
إِنْ كَانَ رَفَضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ فَلْيَشْهَدْ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي

[١] قُلْتُ: لو كان شيعياً - وحاشاه من ذلك - لما قال: الخلفاء الراشدون خمسة، بدأ بالصديق، وختم بعمر بن عبد العزيز^(١).

[٢] قال الشافعي: المُحدثات من الأمور ضربان: ما أُحدث يُخالف كتاباً أو سنةً أو أثراً أو إجماعاً، فهذه البدعة ضلالة، وما أُحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، فهذه مُحدثة غير مذمومة، قد قال عمرُ في قيام رمضان: نِعِمَّتِ البدعةُ هذه، يعني أنها مُحدثة لم تكن، وإذا كانت فليس فيها ردُّ لما مضى.

[٣] روى أبو الشيخ الحافظ وغيره من غير وجه: أن الشافعي لما دخل مصر أتاه جلةُ أصحاب مالِك، وأقبلوا عليه، فلما رأوه يُخالف مالِكاً، وينقضُ عليه، جَفَوْهُ، وتَنَكَّرُوا له، فأنشأ يقول:

أَثَرُ دُرٍّ بَيْنَ سَارِحَةِ النَّعَمِ وَأَنْظُمٌ مَثُورًا لِرَاعِيَةِ الْغَنَمِ
لَعَمْرِي لَيْتَنِي ضُيِّعْتُ فِي شَرِّ بَلَدَةٍ فَلَسْتُ مُضِيعًا بَيْنَهُمْ غَرَّرَ الْحَكَمِ
فَإِنْ فَرَجَ اللَّهُ اللَّطِيفُ بِلُطْفِهِ وَصَادَفْتُ أَهْلًا لِلْعُلُومِ وَلِلْحَكَمِ
بَشَّتُ مَفِيدًا وَاسْتَفَدْتُ وَدَادَهُمْ وَالْأَفْمَخَزُونَ لَدَيَّ وَمُكْتَسَمِ
وَمَنْ مَنَعَ الْجُهَّالَ عِلْمًا أَضَاعَهُ وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمَ
وَكَاتِمِ عِلْمِ الدِّينِ عَمَّنْ يُرِيدُهُ يَبُوءُ بِإِثْمٍ زَادَ وَآثِمٌ إِذَا كَتَمَ
[٤] قال أبو عبد الله بن مَنَدَةَ: حَدَّثْتُ عَنْ الرَّبِيعِ قَالَ: رَأَيْتُ أَشْهَبَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ
سَاجِدًا يَقُولُ فِي سَجُودِهِ: اللَّهُمَّ أُمَّتِ الشَّافِعِيِّ لَا يَذْهَبُ عِلْمُ مَالِكٍ فَبَلَغَ الشَّافِعِيُّ،
فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

تَمَنَّى رَجُلًا أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أُمْتُ فَتِلْكَ سَبِيلُ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحِدٍ
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى تَهَيَّأْ لِأُخْرَى مِثْلَهَا فَكَأَنَّ قَدْ

(١) وللخبر تنمة في غاية النفاسة عند البيهقي، وهي: ثم قال أحمد لمن حوله: اعلموا رحمكم الله تعالى أن الرجل من أهل العلم إذا منحه الله شيئاً من العلم، وحرمته قرناؤه وأشكاله، حسدوه فرموه بما ليس فيه، وبشتت الخصلة في أهل العلم.

وَقَدْ عَلِمُوا لَوْ يَنْفَقُ الْعِلْمُ عِنْدَهُمْ لَنْ مِتُّ مَا الدَّاعِي عَلَيَّ بِمُخْلَدٍ

[١] قال المُبرِّدُ: دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى الشَّافِعِيِّ، فَقَالَ: إِنَّ أَصْحَابَ أَبِي حَنِيفَةَ لَفُصْحَاءُ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

فَلَوْلَا الشُّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزِرِّي لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيدٍ
وَأَشْجَعَ فِي الْوَعْيِ مِنْ كُلِّ لَيْثٍ وَالْ مُهَلَّبٍ وَأَبِي يَزِيدٍ
وَلَوْلَا خَشْيَةُ الرَّحْمَنِ رَبِّي حَسِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِبِيدِي
[٢] قال أبو نعيم بن عدي الحافظ: سمعتُ الربيعَ مراراً يقولُ: لو رأيتُ الشافعيَّ
وحسنَ بيانهُ وفصاحتهُ، لعجبتُ، ولو أنه أَلَفَ هذه الكتبَ على عريتهُ التي كان
يتكلمُ بها معنا في المناظرة، لم نقدر على قراءة كُتُبِهِ لفصاحته، وغرائب ألفاظه،
غير أنه كان في تأليفه يُوضِحُ للعوامَ.

[٣] ابنُ خزيمة وغيره، حدثنا المُزنيُّ قال: دخلتُ على الشافعيِّ في مرضِهِ الذي
ماتَ فيه، فقلتُ: يا أبا عبدِ الله، كيف أصبحتَ؟ فرفعَ رأسه، وقال: أصبحتُ من
الدنيا راحلاً، وإِخواني مُفارقاً، ولسوء عملي مُلاقياً، وعلى الله وإِرداء، ما أدري
روحي تصيرُ إلى جَنَّةٍ فَأُهْنِئُهَا أو إلى نارٍ فَأُعْزِيهَا، ثم بكى، وأنشأ يقولُ:

ولما قسى قلبي وضّقتُ مذاهبي جَعَلْتُ رَجَائِي دُونَ عَفْوِكَ سُلْمًا
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا
فما زلتُ ذا عَفْوٍ عن الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ تَجُودُ وَتَعْفُو مِنِّي وَتَكْرُمًا
ولولاكَ لَمْ يُغْوِ بَابِلِيسَ عَابِدُ فَكَيْفَ وَقَدْ أَغْوَى صَفِيْكَ آدَمًا
وإنِّي لآتي الذَّنْبَ أَعْرِفُ قَدْرَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْفُو تَرْحُمًا

[٤] وعن الربيع للشافعي:

لَقَدْ أَصْبَحْتَ نَفْسِي تَتَوَقَّعُ إِلَى مِصْرٍ وَمِنْ دُونِهَا أَرْضُ الْمَهَامَةِ وَالْقَفْرِ
فوالله ما أدري أَلِلْمَالِ وَالْغِنَى أَسَاقُ إِلَيْهَا أَمْ أَسَاقُ إِلَى قَبْرِي

[١] قال ابن ماجة القزويني : جاء يحيى بن معين إلى أحمد بن حنبل ، فبينا هو عنده ، إذ مرَّ الشافعيُّ على بغلته ، فوثبَ أحمدُ يُسلمُ عليه ، وتبعه ، فأبطأ ، ويحيى جالسٌ ، فلما جاء ، قال يحيى : يا أبا عبد الله ، كم هذا؟ فقال : دُعُ عنك هذا؟ إن أردتَ الفقه ، فالزم ذنْبَ البغلة .

[٢] الربيع : سمعتُ الشافعيَّ يقولُ : لم أرَ أحداً أشهدَ بالزُّور من الرافضة .

[٣] وقال يونسُ بن عبد الأعلى : سمعتُ الشافعيَّ يقولُ : يا يونس : الانقباضُ عن الناس مَكْسَبَةٌ للعداوة ، والانبساطُ إليهم مَجْلَبَةٌ لِقِرْناءِ السوء ، فكن بين المنقبض والمنبسط .

[٤] وقال لي : رضى الناس غايةً لا تُدرَك ، وليس إلى السلامة منهم سبيلٌ ، فعليك بما ينفعُكَ فالزمه .

[٥] وعن الشافعي : العلم ما نفع ، ليس العلم ما حُفِظ .

[٦] وعنه : اللبيبُ العاقلُ هو الفطنُ المتغافلُ .

[٧] وعنه : لو أعلم أن الماءَ الباردَ ينقُصُ مروءتي ما شربته .

[٨] عن الشافعيَّ : ما أفلحَ سمينٌ قطُّ إلا أن يكونَ محمدَ بن الحسن ، قيل : ولمَ؟ قال : لأنَّ العاقلَ لا يعدو من إحدى خَلَّتَيْن ، إما يغتمُ لآخرته أو لدُنياه ، والشحم مع الغمِّ لا ينعقدُ .

[٩] قلتُ : كلامُ الأقرانِ إذا تبرهنَ لنا أنه بهوى وعصبيَّة ، لا يُلْتَفَتُ إليه ، بل يُطوى ولا يُروى ، كما تقرَّر الكُفُّ عن الكثير مما شَجَرَ بين الصحابة وقتالهم رضي الله عنهم أجمعين ، وما زال يُمَرُّ بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء ، ولكن أكثر ذلك منقطعٌ وضعيف ، وبعضُه كَذِبٌ ، وهذا فيما بأيدينا وبين عُلمائنا فينبغي طيُّه وإخفاؤه ، بل إعدامه لتصفو القلوبُ وتتوقَّر على حُبِّ الصحابة ، والترضى عنهم ، وكتمانُ ذلك مُتَعَيِّنٌ عن العامة وآحادِ العلماء ، وقد يُرَخَّصُ في مطالعة ذلك خلوة

للعالم المُنصِفِ العَرَبِيِّ من الهوى، بشرط أن يستغفرَ لهم، كما علمنا الله تعالى حيث يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر ١٠].

[١] فالقوم لهم سوابق، وأعمالٌ مُكفَّرة لما وقع منهم وجهادٌ مَحَاءً، وعبادةٌ مُمَحَّصةٌ، ولسنا ممن يغلو في أحدٍ منهم، ولا ندعي فيهم العصمة، نقطع بأن بعضهم أفضلُ من بعض، ونقطع بأن أبا بكر وعمر أفضلُ الأمة، ثم تنمة العشرة المشهود لهم بالجنة، وحمزة وجعفر ومعاذ وزيد، وأمّهات المؤمنين، وبنات نبينا ﷺ، وأهل بدر مع كونهم على مراتب، ثم الأفضل بعدهم مثل أبي الدرداء وسلمان الفارسي، وابن عمرو وسائر أهل بيعة الرضوان الذين رضي الله عنهم بنصِّ آية سورة الفتح [١٨]، ثم عموم المهاجرين والأنصار كخالد بن الوليد والعبّاس وعبدالله بن عمرو، وهذه الحَلَبَة، ثم سائر من صحبَ رسولَ الله ﷺ وجاهدَ معه، أو حجَّ معه، أو سمعَ منه، رضي الله عنهم أجمعين وعن جميعِ صواحبِ رسولِ الله ﷺ المهاجراتِ والمدنياتِ وأمَّ الفضل وأمَّ هانئِ الهاشميةِ وسائرِ الصحابيَّاتِ.

[٢] فأما ما تنقله الرافضةُ وأهلُ البِدْعِ في كُتُبِهِم من ذلك، فلا نُعرِّجُ عليه، ولا كرامةً، فأكثره باطلٌ وكَذِبٌ وافتراءٌ، فدأبُ الروافضِ روايةُ الأباطيل، أو ردُّ ما في الصحاحِ والمسانيدِ، ومتى إفاقةٌ من به سكران؟!!

[٣] ثم قد تكلم خلقٌ من التابعين بعضهم في بعض، وتحاربوا، وجرت أمورٌ لا يُمكنُ شرحُها، فلا فائدة في بثِّها ووقع في كُتُبِ التواريخ وكتب الجرح والتعديل أمورٌ عجيبةٌ والعاقِلُ خصمُ نفسه، ومن حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُهُ ما لا يعنيه، ولُحومُ العلماءِ مسمومةٌ وما نُقلَ من ذلك لتبيينِ غلطِ العالمِ، وكثرةِ وهمه، أو نقصِ حفظه، فليس من هذا النمط، بل لتوضيحِ الحديثِ الصحيحِ من الحسنِ، والحسنِ من الضعيفِ.

[١] وإمامنا، فبحمد الله ثبت في الحديث، حافظ لما وعى، عديم الغلط، موصوف بالإنسانية. متين الديانة، فمن نال منه بجهلٍ وهوىٍّ ممن علم أنه منافس له، فقد ظلم نفسه، ومقتته العلماء، ولاخ لكل حافظٍ تحامله، وجرَّ الناس برجله، ومن أثنى عليه، واعترف بإمامته وإتقانه، وهم أهل العقد والحل قديماً وحديثاً، فقد أصابوا، وأجملوا، وهذوا، ووقفوا.

[٢] وأما أئمتنا اليوم وحكَّامنا، فإذا أعدموا ما وُجد من قدحٍ بهوىٍّ، فقد يُقال: أحسنوا ووقفوا وطاعتهم في ذلك مفترضة لما قد رأوه من حسمِ مائة الباطل والشر. وبكل حالٍ فالجهال والضلال قد تكلموا في خيار الصحابة، وفي الحديث الثابت «لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله، إنهم ليدعون له ولداً، وإنه ليرزقهم ويُعافهم».

[٣] وقد كنتُ وقفتُ على بعض كلام المغاربة في الإمام رحمه الله، فكانت فائدتى من ذلك تضعيف حالٍ من تعرَّض إلى الإمام، والله الحمد.

ولا ريب أن الإمام لما سكن مصر، وخالف أقرانه من المالكية، وهوى بعض فروعهم بدلائل السنة وخالف شيخه في مسائل، تألموا منه، ونالوا منه، وجرت بينهم وحشة، غفر الله لكل، وقد اعترف الإمام سُحنون، وقال: لم يكن في الشافعي بدعة، فصدق والله، فرحم الله الشافعي، وأين مثل الشافعي والله! في صدقه، وشرِّفه، ونبله، وسعة علمه، وفرط ذكائه، ونصره للحق، وكثرة مناقبه، رحمه الله تعالى.

[٤] وعنه قال: التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، والتواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة، وقال: أرفع الناس قدراً من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله.

لا نلأم والله على حبِّ هذا الإمام، لأنه من رجال الكمال في زمانه رحمه الله، وإن كنا نحبُّ غيره أكثر.

[١] السيدة المَكْرَمَةُ الصالحة، ابنة أمير المؤمنين الحسن بن زيد بن السيد سبط النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما، العلوية الحسنية، صاحبة المشهد الكبير المعمول بين مصر والقاهرة.

وتحوّلت هي من المدينة إلى مصر مع زوجها الشريف إسحاق بن جعفر بن محمد الصادق فيما قيل، ثم توفيت بمصر في شهر رمضان سنة ثمان ومئتين. ولم يبلغنا كبير شيء من أخبارها.

[٢] ولِجَهْلَةِ المضربين فيها اعتقاد يتجاوز الوصف، ولا يجوز مما فيه من الشرك، ويسجدون لها، ويلتمسون منها المغفرة، وكان ذلك من دسائس دُعاة العبيدية (٢).

[٣] وقيل: كانت من الصالحات والعبّاد، والدُّعاء مستجاب عند قبرها، بل وعند قبور الأنبياء والصالحين (٣) وفي المساجد، وعِرفة ومُزْدَلِقة، وفي السّفر المباح، وفي الصّلاة، وفي السّحر، ومن الأبوبن، ومن الغائب لأخيه، ومن المضطرّ، وعند قبور المُعذّبين، وفي كل وقت وحين، لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ولا يُنهى الداعي عن الدُّعاء في وقتٍ إلا وقت الحاجة، وفي الجماع، وشبه ذلك. ويتأكد الدُّعاء في جوف الليل، ودُبر المكتوبات، وبعد الأذان.

(١) انظر السير: ١٠/١٠٦-١٠٧

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية ١٠/٢٦٢: وإلى الآن قد بلغ العامة في اعتقادهم فيها وفي غيرها كثير جداً، ولا سيما عوام مصر، فإنهم يطلقون فيها عبارات شيعية مجازفة تؤدي إلى الكفر والشرك، والفاظاً يجب أن يعرفوا أنها لا تجوز، وربما نسبها بعضهم إلى زين العابدين وليست من سلالته، والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بمثلها من النساء الصالحات، وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها وقد أمر النبي ﷺ بتسوية القبور وطمسها، والمغالاة في البشر حرام، ومن زعم أنها تفك من الخشب، أو أنها تنفع أو تضر بغير مشيئة الله تعالى فهو مشرك، رحمها الله وأكرمها.

(٣) لم يثبت عنه ﷺ شيء في كون الدعاء مستجاباً عند قبور الأنبياء والصالحين، والسلف الصالح لا يعرف عنهم أنهم كانوا يقصدون قبور الأنبياء والصالحين للدعاء عندهم، ويرى ابن الجزري في «الحسن الحصين» أن استجابة الدعاء عنه قبور الأنبياء والصالحين ثبتت بالتجربة، وأقره عليه الشوكاني في «تحفة الذاكرين» ص ٤٧ لكن قيده بشرط ألا تنشأ عن ذلك مفسدة وهي أن يعتقد في ذلك الميت ما لا يجوز اعتقاده كما يقع لكثير من المعتقدين في القبور، فإنهم قد يلفون الغلو بأهلها إلى ما هو شرك بالله عز وجل فينادونهم مع الله، ويطلبون منهم ما لا يطلب إلا =

[١] العلامة، صاحب التصانيف، أبو زكريا، يحيى بن زياد بن عبد الله الأسدي، مولا هم الكوفي النحوي، صاحب الكسائي. وكان ثقة.

[٢] ورد عن ثعلبة أنه قال: لولا الفراء لما كانت عربية، ولَسَقَطَتْ، لأنه خَلَصَهَا، ولأنها كانت تُتَنَازَعُ ويدَّعِيها كلُّ أحد.

[٣] ونقل أبو بديل الضاحي أن المأمون أمر الفراء أن يؤلف ما يُجمع به أصول النحو، وأفرِد في حُجْرَةٍ، وقرَّر له خدماً، وجواري، وورَّاقين فكان يُملِي في ذلك سنين. قال ولما أَمَلَى كتاب «معاني القرآن» اجتمع له الخلق، فكان من جملةهم ثمانون قاضياً، وأَمَلَّ «الحمد» في مئة ورقة.

[٤] وكان المأمون قد وكل بالفراء ولديه يُلقِّنُهُما النحو، فأراد القيام، فابتدرا إلى نَعْلِهِ، فَقَدَّم كُلُّ واحدٍ فَرْدَةً، فبلغ ذلك المأمون، فقال: لن يَكْبُرَ الرجلُ عن تواضعِهِ لسلطانهِ وأبيه ومُعلِّمه.

[٥] وعن ثُمَامَةَ بنِ أَشْرَس: رأيتُ الفراء، ففَاتَشْتُهُ عن اللغة، فوجدته بحراً، وعن النحوفشاهدته نسيجَ وَحْدِهِ، وعن الفقه فوجدته عارفاً باختلاف القوم، وبالطَبِّ خبيراً، وبأيام العرب والشعر والنجوم، فأعلِمتُ به أمير المؤمنين فطَلَبَهُ. وقيل: عُرف بالفراء لأنه كان يَقْرِي الكلام.

وقال سلمة: أني لأعجبُ من الفراء كيف يُعْظَمُ الكِسائي، وهو أعلمُ بالنحو

منه.

مات الفراء بطريق الحج سنة سبع ومئتين، وله ثلاث وستون سنة، رحمه الله.

= من الله عز وجل، وهذا معلوم من أحوال كثير من العاكفين على القبور خصوصاً العامة الذين لا يفتنون لدقائق الشرك.

(١) انظر السير: ١٠/١١٨-١٢١.

٤٣٦ قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ (ع)^(١)

[١] أبو محمد، الحافظُ الإمامُ الثقةُ العابدُ، أبو عامر السَّوَّائِي الكوفي.

وما أظنُّه ارتحلَ في الحديث، وكان من أوعية العلم.

[٢] عن يحيى بن معِين: سمعتُ قَبِيصَةَ يَقُولُ: شَهِدْتُ عِنْدَ شَرِيكِ، فامْتَحَنَنِي فِي

شَهِادَتِي، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِسُفْيَانَ، فَأَنْكَرَ عَلَيَّ شَرِيكَ، وَقَالَ: لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَمْتَحِنَهُ.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ سَلَمَةَ النَّيْسَابُورِي: سَمِعْتُ هَذَا يَقُولُ غَيْرَ مَرَّةٍ، إِذَا ذَكَرَ قَبِيصَةَ:

الرَّجُلُ الصَّالِحُ. وَتَدْمَعُ عَيْنَاهُ، وَكَانَ هَذَا كَثِيرَ الْبُكَاءِ.

[٣] قَالَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ دَاوُدَ بْنِ مَنْصُورٍ الْفَارَسِيُّ: سَمِعْتُ حَفْصَ بْنَ عُمرَ قَالَ: مَا

رَأَيْتُ مِثْلَ قَبِيصَةَ مَا رَأَيْتُهُ مُتَبَسِّمًا قَطُّ، مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ.

[٤] قُلْتُ: كَذَا كَانَ وَاللَّهِ أَهْلُ الْحَدِيثِ، الْعِلْمُ وَالْعِبَادَةُ، وَالْيَوْمَ فَلَا عِلْمَ وَلَا عِبَادَةَ، بَلْ

تَخِيطُ وَلَحْنٌ، وَتَصْنِيفٌ كَثِيرٌ، وَحِفْظٌ يَسِيرٌ، وَإِذَا لَمْ يَرْتَكِبِ الْعِظَائِمَ، وَلَا يُخِلُّ

بِالْفَرَائِضِ، فَلِلَّهِ دَرُهُ.

مَاتَ قَبِيصَةُ سَنَةَ خَمْسٍ عَشْرَةَ وَمِثْنِينَ.

٤٣٧ يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ (خ، م، ت، س، ق)^(٢)

[٥] ابْنُ أَبِي زِيَادٍ، الْإِمَامُ الْحَافِظُ، أَبُو مُحَمَّدٍ، وَأَبُو بَكْرٍ الشَّيْبَانِيُّ، مَوْلَاهُمُ

الْبَصْرِيُّ.

[٦] وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ النُّعْمَانِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ: لَمْ أَرَأِ عَبْدًا مِنْ يَحْيَى بْنِ حَمَّادٍ، وَأَظُنُّهُ

لَمْ يَضْحَكْ.

[٧] قُلْتُ: الضَّحْكُ الْيَسِيرُ وَالتَّبَسُّمُ أَفْضَلُ وَعَدَمُ ذَلِكَ مِنْ مَشَائِخِ الْعِلْمِ عَلَى

قَسَمِينَ:

(١) انظر السير: ١٠ / ١٣٠ - ١٣٥

(٢) انظر السير: ١٠ / ١٣٩ - ١٤١

أحدهما: يكونَ فاضِلاً لمن تركَهُ أدباً وخوفاً من الله، وحُزناً على نفسه المسكينة.

والثاني: مذمومٌ لمن فعله حمقاً وكبراً وتصنعاً، كما أنَّ من أكثر الضحك استُخِفَ به، ولا ريبَ أن الضحك في الشباب أخفُّ منه وأعذرُ في الشيوخ.

[١] وأما التَّبَسُّمُ وطلاقةُ الوجه فأرفعُ من ذلك كُلِّه، قال النبي ﷺ «تَبَسُّمَكَ في وجه أخيك صدقةٌ» وقال جريرٌ: ما رأني رسولُ الله ﷺ إلا تَبَسَّمَ. فهذا هو خلقُ الإسلام، فأعلى المقاماتِ من كان بكاءً بالليل، بَساماً بالنهار.

[٢] بقي هنا شيءٌ: ينبغي لمن كان ضحوكاً بَساماً أن يُقَصِّرَ من ذلك، ويلومَ نفسه حتى لا تمجُّهُ الأنفُس، وينبغي لمن كان عبوساً مُنقبِضاً أن يتَبَسَّمَ، ويُحسِّنَ خلقه، ويممِّتَ نفسه على رداءةِ خُلُقِه، وكل انحرافٍ عن الاعتدالِ فَمَذْمُومٌ، ولا بدُّ للنفسِ من مجاهدةٍ وتأديبٍ.

مات في سنة خمس عشرة ومئتين.

٤٣٨ أبو نُعَيْمٍ (ع)^(١)

[٣] الفضلُ بن دُكَيْن، الحافظُ الكبير، شيخُ الإسلام، الفضلُ بنُ عمرو بن حمَّاد التيميُّ الطلحيُّ القرشيُّ مولاهم. الكوفيُّ المُلَائيُّ الأحول، مولى آل طلحة بن عبيد الله.

[٤] وكان شريكاً لعبدِ السلام بن حرب المُلَائي، كانا في حانوتٍ بالكوفة يبيعان الملاء وغيرَ ذلك، وكان كذلك غالبُ علماء السَّلَفِ إنما يُفَفِّقُونَ من كسبهم.

[٥] وكان من أئمة هذا الشأن وأثبتاتهم.

قال أحمدُ بن منصور الرَّمادي، خرجتُ مع أحمدَ ويحيى إلى عبدالرزاق خادماً

(١) انظر السير: ١٥٧-١٤٢/١٠

لهما، قال: فلما عُدنا إلى الكوفة، قال يحيى بن معين، أريد أن أختبر أبا نُعَيْم، فقال أحمد: لا تُرد فالرجل ثقة، قال يحيى: لا بد لي.

فأخذ ورقة، فكتبَ فيها ثلاثين حديثاً وجعل على رأس كل عشرة منها حديثاً ليس من حديثه، ثم إنهم جاؤوا إلى أبي نُعَيْم، فخرج، وجلس على دكان طين، وأخذ أحمد بن حنبل، فأجلسه عن يمينه، ويحيى عن يساره، وجلست أسفل الدكان، ثم أخرج يحيى الطبوق، فقرأ عليه عشرة أحاديث، فلما قرأ الحادي عشر، قال أبو نُعَيْم: ليس هذا من حديثي، اضرب عليه ثم قرأ العشر الثاني، وأبو نُعَيْم ساكت، فقرأ الحديث الثاني، فقال أبو نُعَيْم: ليس هذا من حديثي فاضرب عليه، ثم قرأ العشر الثالث، ثم قرأ الحديث الثالث، فتغير أبو نُعَيْم، وانقلبت عيناه، ثم أقبل على يحيى، فقال: أمّا هذا - وذراع أحمد بيده - فأورع من أن يعمل مثل هذا، وأمّا هذا - يُريدني - فأقل من أن يفعل ذاك، ولكن هذا من فعلك يا فاعل، وأخرج رجله، فرفس يحيى، فرمى به من الدكان، وقام، فدخل داره، فقال أحمد بن حنبل ليحيى: ألم أمنعك وأقل لك: إنه ثبت، قال: والله، لرفسته لي أحب إلي من سفرتي.

[١] قال أبو المُظَفَّر في كتاب «مرآة الزمان» قال عبد الصمد بن المُهْتَدِي: لما دخل المأمون بغداد، نادى بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك لأن الشيوخ بقوا يضربون ويحبسون، فنهاهم المأمون وقال: قد اجتمع الناس على إمام، فمر أبو نُعَيْم، فرأى جندياً وقد أدخل يديه بين فخذي امرأة، فنهاه بعنف، فحملة إلى الوالي، فحملة الوالي إلى المأمون. قال: فأدخلت عليه بكرة وهو يسبح، فقال: توضاً. فتوضأت ثلاثاً ثلاثاً على ما رواه عبد خير، عن علي، فصليت ركعتين، فقال: ما تقول في رجل مات عن أبوين؟ فقلت: للأم الثلث، وما بقي للأب، قال: فإن خلف أبويه وأخاه؟ قلت: المسألة بحالها، وسقط الأخ، قال: فإن خلف أبوين

وأخوين؟ قلت: للآمِّ السُّدُسُ وما بقي للأب. قال: في قول الناس كُلُّهم؟ قلت: لا، إنَّ جدَّكَ ابنَ عَبَّاسٍ يا أميرَ المؤمنين ما حجب الآمَّ عن الثُّلثِ إلا بثلاثة إخوة. فقال: يا هذا، من نهى مثلك عن الأمرِ بالمعروفِ؟! إنما نهينا أقواماً يجعلون المعروف مُنكراً. ثم خرجتُ.

[١] عن أحمد بن حنبل قال: إنما رفع الله عَفَّانَ وأبا نُعَيْمٍ بالصدق حتى نُوهَ بذكرهما.

ومات سنة تسع عشرة ومئتين.

[٢] قال بشر بن عبد الواحد: رأيتُ أبا نُعَيْمٍ في المنام، فقلتُ: ما فعل الله بك؟ - يعني فيما كان يأخذ على الحديث - فقال: نظر القاضي في أمري، فوجدني ذا عيالٍ، فعفا عني.

قلتُ: ثبتَ عنه أنه كان يأخذ على الحديث شيئاً قليلاً لفقْره.

[٣] قال عليُّ بنُ خَشمٍ: سمعتُ أبا نُعَيْمٍ يقولُ: يَلُمُونِي على الأخذِ، وفي بيتي ثلاثة عشر نفساً، وما في بيتي رَغيف.

قلتُ: لأمْوَهٍ على الأخذِ يعني من الإمام، لا من الطَّلَبَةِ.

[٤] وقد كان أبو نُعَيْمٍ ذا دُعابة، فروى عليُّ بنُ العباس المَقانِعي، سمعتُ الحُسَيْنِي ابنَ عمرو العَنقري يقول: دَقَّ رجلٌ على أبي نُعَيْمٍ البابَ، فقال: مَنْ ذا؟ قال: أنا، قال: مَنْ أنا؟ قال: رجلٌ من ولد آدم، فخرج إليه أبو نُعَيْمٍ، وقبله، وقال: مرحباً وأهلاً، ما ظننتُ أنه بقي من هذا النسل أحدٌ.

٤٣٩ يعقوب (م، د، س، ق) (١)

[٥] ابنُ اسحاق بن زيد، الإمامُ المَجُودُ الحافظُ، مقرئ البصرة، أبو محمد الحضرميُّ مولا هم البصريُّ، أحدُ العشرة.

(١) انظر السير: ١٠ / ١٦٩ - ١٧٤

وُلد بعد الثلاثين ومئة .

[١] وفاق الناس في القراءة، وما هو بدون الكسائي، بل هو أرجح منه عند أئمة، لكن رُزق أبو الحسن سعادة .

[٢] وكان يُقرئ الناس علانية بحرفه بالبصرة في أيام ابن عُيينة، وابن المبارك، ويحيى القطان، وابن مهدي، والقاضي أبي يوسف، ومحمد بن الحسن، ويحيى اليزيدي، وسُليم، والشافعي، ويزيد بن هارون، وعدد كثير من أئمة الدين، فما بلغنا بعد الفحص والتنقيب أن أحداً من القراء ولا الفقهاء ولا الصُلحاء ولا النُحاة ولا الخلفاء كالرُشيد والأمين والمأمون أنكروا قراءته، ولا منعهوا منها أصلاً، ولو أنكر أحدٌ عليه لُنُقِل ولاشْتَهَرَ، بل مَدَحَها غير واحد، وأقرأ بها أصحابه بالعراق، واستمرَّ إمامُ جامع البصرة بقراءتها في المحراب سنين متطاولة، فما أنكر عليه مُسلم، بل تلقاها الناس بالقبول، ولقد عومل حمزة مع جلالته بالإنكار عليه في قراءته من جماعة من الكبار، ولم يجرِ مثل ذلك للحضرمي أبداً، حتى نشأ طائفة متأخرون لم يألُفوها، ولا عَرَفوها، فأنكروها، ومن جهل شيئاً عاداه، قالوا: لم تتَّصل بنا مُتواترةً، قلنا: اتصلت بخلق كثير مُتواترةً، وليس من شرط التواتر أن يصلَ إلى كُلِّ الأئمة فعند القراء أشياء مُتواترةٌ دون غيرهم، وعند الفقهاء مسائل مُتواترةٌ عن أئمتهم لا يدرِها القراء، وعند المحدثين أحاديث مُتواترةٌ قد لا يكون سَمعها الفقهاء، أو أفادتهم ظناً فقط، وعند النُحاة مسائل قطعية، وكذلك اللُغويون، وليس من جهل علماً حُجَّةً على من علمه، وإنما يُقال للجاهل: تعلم، وسل أهل العلم، إن كُنت لا تعلم، لا يُقال للعالم: اجهل ما تعلم، رزقنا الله وإياكم الإنصاف، فكثير من القراءات تدعون تواترها، وبالجهد أن تقدروا على غير الأحاد فيها، ونحن نقول: نطلبها وإن كانت لا تُعرف إلا عن واحد، لكونها تُلقيت بالقبول، فأفادت العلم، وهذا واقعٌ في حروف كثيرة، وقراءات عديدة، ومن ادعى تواترها فقد كابر الحس، أمّا القرآن العظيم سورةً وآياته فمُتواترٌ، والله الحمد، محفوظٌ من الله تعالى، لا

يستطيع أحد أن يُبدّله ولا يزيد فيه آية ولا جملة مستقلة، ولو فعل ذلك أحد عمداً
لانسَلَخ من الدين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ الذُّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾
[الحجر ٩].

وأول من ادّعى أن حرف يعقوب من الشاذ أبو عمرو الداني، وخالفه في ذلك
أئمة، وصار في الجملة في المسألة خلاف حادث والله أعلم.
قال العلامة أبوحاتم السجستاني: يعقوب أعلم من رأينا بالحروف والاختلاف
في القرآن وعلمه ومذاهبه ومذاهب النحو.
[١] وقال أحمد بن حنبل: هو صدوق، وقال محمد بن أحمد العجلي يمدح
يعقوب:

أبوه من القراء كان وجده ويعقوب في القراء كالكوكب الدرّي
تفرّده محض الصواب ووجهه فمن مثله في وقته وإلى الحشر
[٢] وعن أبي عثمان المازني قال: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقرأت عليه سورة طه
فقلت: ﴿مكاناً سوى﴾، فقال: اقرأ ﴿سوى﴾ قراءة يعقوب.

[٣] قال أبو القاسم الهذلي في «كامله»: ومنهم يعقوب الحضرمي، لم ير في زمنه
مثله، كان عالماً بالعربية ووجهها، والقرآن واختلافه، فاضلاً نقيّاً ورعاً زاهداً،
[٤] بلغ من زهده أنه سرق رداؤه عن كتفه وهو في الصلاة، ولم يشعر، ورد إليه، فلم
يشعر، لشغله بعبادة ربه، وبلغ من جاهه بالبصرة أنه كان يحبس ويطلق.
مات يعقوب سنة خمس ومئتين.

٤٤٠ الأصمعي (د، ت) (١)

[٥] الإمام العلامة الحافظ، حجة الأدب، لسان العرب، أبو سعيد عبد الملك بن
قريب بن عبد الملك الأصمعي، اللغوي، الأخباري، أحد الأعلام.

(١) انظر السير: ١٠ / ١٧٥ - ١٨١

وُلِدَ سَنَةَ بَضْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِئَةً. وَقَدْ أَتَنَى أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَلَى الْأَصْمَعِيِّ فِي السَّنَةِ.

- [١] قِيلَ لِلأَصْمَعِيِّ: كَيْفَ حَفِظْتَ وَنَسَوَا؟ قَالَ: دَرَسْتُ وَتَرَكُوا.
[٢] قَالَ عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ: سَمِعْتُ الْأَصْمَعِيَّ يَقُولُ: أَحْفَظُ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَ أَرْجُوزَةٍ.
[٣] وَعَنْ ابْنِ دُرَيْدٍ أَنَّ الْأَصْمَعِيَّ كَانَ بَخِيلًا، وَيَجْمَعُ أَحَادِيثَ الْبُخْلَاءِ.
[٤] وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ: كُنَّا مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ بِقُرْبِ دَارِ الْأَصْمَعِيِّ، فَسَمِعْنَا مِنْهَا ضَجَّةً فَبَادَرَ النَّاسُ لِيَعْرِفُوا ذَلِكَ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: إِنَّمَا يَفْعَلُونَ هَذَا عِنْدَ الْخُبْزِ، كَذَا يَفْعَلُونَ إِذَا فَقَدُوا رَغِيْفًا.

[٥] وَرَوَى ثَعْلَبٌ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ النَّحْوِيِّ قَالَ: قَدِمَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ، فَجَمَعَ أَهْلَ الْأَدَبِ، وَحَضَرْتُ، وَوَقَعَ الْحَسَنُ عَلَى خَمْسِينَ رُقْعَةً، وَجَرَى ذِكْرُ الْحُقَافِ، فَذَكَرْنَا الزُّهْرِيَّ وَقَتَادَةَ، فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: فَأَنَا أُعِيدُ مَا وَقَعَ بِهِ الْأَمِيرُ عَلَى التَّوَالِي، فَأَحْضَرْتُ الرَّقَاقَ، فَقَالَ: صَاحِبُ الرُّقْعَةِ الْأُولَى كَذَا وَكَذَا، وَاسْمُهُ كَذَا وَكَذَا، وَوَقَعَ لَهُ بِكَذَا وَكَذَا، وَالرُّقْعَةُ الثَّانِيَةُ كَذَا، وَالثَّالِثَةُ... حَتَّى مَرَّ عَلَى نِيفٍ وَأَرْبَعِينَ رُقْعَةً، فَقَالَ نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ: أَيُّهَا الْمَرْءُ أَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ مِنَ الْعَيْنِ.
وَتَصَانِيفُ الْأَصْمَعِيِّ وَنَوَادِرُهُ كَثِيرَةٌ، وَأَكْثَرُ تَوَالِيْفِهِ مُخْتَصِرَاتٌ، وَقَدْ فَقِدَ أَكْثَرُهَا.
مَاتَ الْأَصْمَعِيُّ سَنَةَ خَمْسٍ عَشْرَةَ وَمِئَتَيْنِ.

٤٤١ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِي (١)

[٦] الْإِمَامُ الْكَبِيرُ، زَاهِدُ الْعَصْرِ، أَبُو سُلَيْمَانَ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ الْعِنْسِيُّ الدَّارَانِي (٢).

(١) انظر السير: ١٨٢ / ١٠ - ١٨٦.

(٢) قَالَ ابْنُ خُلَكَانٍ ٣ / ١٣١، وَالدَّارَانِي بَفَتْحِ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ وَبَعْدَ الْأَلْفِ رَاءَ مَفْتُوحَةٍ وَبَعْدَ الْأَلْفِ الثَّانِيَةِ نُونٌ، هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى دَارِيَاءَ وَهِيَ قَرْيَةٌ بِغَوَطَةِ دِمَشْقَ، وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهَا عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ مِنْ شَوَازِ النِّسَبِ.

وُلِدَ فِي حُدُودِ الْأَرْبَعِينَ وَمِئَةً.

[١] عَنْ الْجُنَيْدِ قَالَ: قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ: رُبَّمَا يَقَعُ فِي قَلْبِي النُّكْتَةُ مِنْ نُكْتِ الْقَوْمِ أَيَّامًا فَلَا أَقْبَلُ مِنْهُ إِلَّا بِشَاهِدَيْنِ عَدْلَيْنِ: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

[٢] وَعَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ: أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ خِلَافُ هَوَى النَّفْسِ.

[٣] وَقَالَ: لِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمٌ، وَعِلْمُ الْخِذْلَانِ تَرْكُ الْبُكَاءِ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ صَدَأٌ، وَصَدَأُ الْقَلْبِ الشَّيْعُ.

[٤] قَالَ الْجُنَيْدُ: شَيْءٌ يُرَوَى عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ، أَنَا أَسْتَحْسِنُهُ كَثِيرًا: مَنْ اشْتَغَلَ بِنَفْسِهِ شُغْلًا عَنِ النَّاسِ، وَمَنْ اشْتَغَلَ بِرَبِّهِ شُغْلًا عَنِ نَفْسِهِ وَعَنِ النَّاسِ.

[٥] ابْنُ بَحْرِ الْأَسَدِيِّ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي الْخَوَّارِيِّ، سَمِعْتُ أَبَا سُلَيْمَانَ يَقُولُ: مَنْ وَثِقَ بِاللَّهِ فِي رِزْقِهِ زَادَ فِي حُسْنِ خَلْقِهِ، وَأَعْقَبَهُ الْحِلْمَ، وَسَخَتْ نَفْسُهُ، وَقَلَّتْ وَسَاوِسُهُ فِي صَلَاتِهِ.

[٦] وَعَنْهُ: الْفُتُوَّةُ أَنْ لَا يَرَاكَ اللَّهُ حَيْثُ نَهَاكَ، وَلَا يَفْقَدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ.

تُوفِّي أَبُو سُلَيْمَانَ سَنَةً خَمْسَ عَشْرَةَ وَمِئَتَيْنِ.

٤٤٢ عُلَيَّةُ بِنْتُ الْمَهْدِيِّ^(١)

[٧] وَأَخْتُ الرَّشِيدِ، الْهَاشِمِيَّةُ الْعَبَّاسِيَّةُ، أَدِيبَةٌ، شَاعِرَةٌ، عَارِفَةٌ بِالْغِنَاءِ وَالْمَوْسِيقَى، رَخِيمَةُ الصَّوْتِ، ذَاتُ عِفَّةٍ وَتَقْوَى وَمَنَاقِبَ.

وَكَانَتْ عُلَيَّةُ مِنْ مِلَاحِ زَمَانِهَا، وَأَظْرَفِ بَنَاتِ الْخُلَفَاءِ.

[٨] رَوَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْكَاتِبُ أَنَّهَا لَا تَغْنِي إِلَّا زَمَنَ حَيْضِهَا، فَإِذَا طَهُرَتْ أَقْبَلَتْ عَلَى التَّلَاوَةِ وَالْعِلْمِ، إِلَّا أَنْ يَدْعُوهَا الْخَلِيفَةُ، وَلَا تَقْدِرُ تُخَالِفُهُ.

[٩] وَكَانَتْ تَقُولُ: لَا غُفْرَ لِي فَاحْشَةُ ارْتِكَبْتُهَا قَطُّ، وَمَا أَقُولُ فِي شِعْرِي إِلَّا عَبَثًا. وَجَاءَ عَنْهَا قَالَتْ: مَا كَذَبْتُ قَطُّ.

(١) انظر السير: ١٨٧/١٠ - ١٨٨

وكان أخوها لا يصبر عن غيابها، وأخذها معه إلى الرِّيِّ .

قيل ماتت سنة عشرٍ ومِئتين ، ولها خمسون سنة .

[١] وسبب موتها أن المأمونَ ضمَّها إليه فقبَّلها، وهي عمَّته، وكان وجهها مُغطًى، فشرَّقت وسعلت، ثم حُمَّت أياماً، وماتت .

٤٤٣ أبو العتاهية (١)

[٢] رأس الشعراء، الأديب الصالح الأوحَد، أبو إسحاق إسماعيل بن قاسم بن سويد العنزي مولا هم الكوفي، نزيل بغداد .
لقَّب بأبي العتاهية لاضطراب فيه .

سار شعره لجودته وحسنه وعدم تقعره .

[٣] وقد جمع أبو عمر بن عبد البر شعره وأخباره، تنسك بأخـرة، وقال في المواعظ والزهد فأجاد .

[٤] وكان أبو نواس يُعظِّمه، ويتأدب معه لدينه ، ويقول: ما رأيته إلا توهَّمت أنه سماوي، وأنِّي أرضي .

مدح أبو العتاهية المهدي، والخلفاء بعده، والوزراء، وما أصدق قوله:

[٥] إِنَّ الشَّبَابَ والفراغَ والجدةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ
حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ الْقُوْتُ مَا أَكْثَرَ الْقُوْتُ لِمَنْ يَمُوتُ
هِيَ الْمَقَادِيرُ فَلَمَنِي أَوْ فَذُرْ إِنَّ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَأَ الْقَدَرُ
توفي أبو العتاهية في سنة إحدى عشرة ومِئتين، وله ثلاث وثمانون سنة، أو نحوها، ببغداد .

وتحتمل سيرة أبي العتاهية أن تعمل في كراريس .

(١) انظر السير: ١٩٥/١٠ - ١٩٨

٤٤٤ المَرِيسِي (١)

[١] المُنْتَكَلُمُ المُنَاطِرُ البَارِعُ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، بَشْرُ بْنُ غِيَاثِ بْنِ أَبِي كَرِيمَةَ العَدَوِيِّ مَوْلَاهُمُ البَغْدَادِيُّ المَرِيسِيُّ، مِنْ مَوَالِي آلِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كَانَ بَشْرٌ مِنْ كِبَارِ الْفُقَهَاءِ.

[٢] وَنَظَرَ فِي الْكَلَامِ، فَغَلَبَ عَلَيْهِ، وَانْسَلَخَ مِنَ الْوَرَعِ وَالتَّقْوَى، وَجَرَّدَ الْقَوْلَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَدَعَا إِلَيْهِ، حَتَّى كَانَ عَيْنَ الْجَهْمِيَّةِ فِي عَصْرِهِ وَعَالِمُهُمْ، فَمَقَّتَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَكَفَرَهُ عِدَّةٌ، وَلَمْ يُدْرِكْ جَهَمَ بْنِ صَفْوَانَ، بَلْ تَلَقَّفَ مَقَالَاتِهِ مِنْ أَتْبَاعِهِ. وَقَالَ أَبُو النَّضْرِ هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ: كَانَ وَالِدُ بَشْرِ يَهُودِيًّا قَصَّارًا صَبَاغًا.

[٣] ذَكَرَهُ النَّدِيمُ، وَأَطْنَبَ فِي تَعْظِيمِهِ، وَقَالَ: كَانَ ذَيَّنًا وَرِعًا مُتَكَلِّمًا. ثُمَّ حَكَى أَنَّ الْبَلْخِي قَالَ: بَلَغَ مِنْ وَرَعِهِ أَنَّهُ كَانَ لَا يَطَأُ أَهْلَهُ لِبَلَاءِ مَخَافَةِ الشُّبْهَةِ وَلَا يَتَزَوَّجُ إِلَّا مَنْ هِيَ أَصْغَرُ مِنْهُ بِعَشْرِ سَنِينَ مَخَافَةَ أَنْ تَكُونَ رَضِيعَتَهُ.

[٤] وَنَقَلَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِيَزِيدَ بْنِ هَارُونَ: عِنْدَنَا بِبَغْدَادِ رَجُلٌ، يُقَالُ لَهُ:

المَرِيسِيُّ، يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَقَالَ: مَا فِي فِتْنَانِكُمْ مَنْ يَفْتِكُ بِهِ؟

قُلْتُ: قَدْ أَخَذَ المَرِيسِيُّ فِي دَوْلَةِ الرُّشِيدِ، وَأُهِنَ مِنْ أَجْلِ مَقَالَتِهِ.

وَقَالَ قَتِيبَةُ: بَشْرُ المَرِيسِيِّ كَافِرٌ.

وَمَاتَ فِي آخِرِ سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَمِئَتَيْنِ. وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ.

فَهُوَ بَشْرُ الشَّرِّ، وَبَشْرُ الْحَافِي بَشْرُ الْخَيْرِ، كَمَا أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ هُوَ أَحْمَدُ

السُّنَّةِ، وَأَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَوَادٍ أَحْمَدُ الْبِدْعَةِ.

[٥] وَمَنْ كُفِّرَ بِلِدْعَةٍ وَإِنْ جَلَّتْ، لَيْسَ هُوَ مِثْلُ الْكَافِرِ الْأَصْلِيِّ، وَلَا الْيَهُودِيِّ

وَالْمَجُوسِيِّ، أَيْ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَصَامَ وَصَلَّى

وَحُجَّ وَزَكَى وَإِنْ ارْتَكَبَ الْعِظَائِمَ وَضَلَّ وَابْتَدَعَ، كَمَنْ عَانَدَ الرَّسُولَ، وَعَبَدَ الْوَتْنَ،

وَنَبَذَ الشَّرَائِعَ وَكَفَرَ، وَلَكِنْ نَبْرًا إِلَى اللَّهِ مِنَ الْبِدْعِ وَأَهْلِهَا.

[١] العلامة أبو معن النُميري البصريُّ المتكلِّم، من رؤوس المعتزلة، وكان نديماً ظريفاً صاحبَ مُلَح، اتَّصل بالرشيد، ثم بالمأمون. روى عنه تلميذه الجاحظ.

[٢] قال: المقلِّدون من أهل الكتاب وَعَبْدَةُ الأوثان لا يدخلون النَّارَ بل يصيرون تُرَاباً. وإن من مات مسلماً وهو مُصِرٌّ على كبيرة خُلِدَ في النَّار، وإنَّ أطفال المؤمنين يُصَيَّرُونَ تراباً، ولا يدخلون جنة. قلت: قَبِّحَ الله هذه النُّحلة.

[٣] قال المُبَرِّد: قال ثُمَامَةُ: خرجت إلى المأمون، فرأيتُ مجنوناً شُدَّ، فقال: ما اسمك؟ قلت: ثُمَامَةُ، فقال: المُتكلِّم؟ قلت: نعم، قال: جلستَ على هذه الأجرَّة، ولم يأذن لك أهلها، فقلت: رأيتها مبدولة، قال: لعل لهم تدييراً غير البَدَل، متى يجد النائم لذة النَّوم؟ إن قلت: قَبْلَهُ، أَحَلَّتْ، لأنَّه يَقْطَآنُ، وإن قلت: في النَّوم، أَبْطَلْتُ، إذِ النَّائمُ لا يعقل، وإن قلت: بعده فقد خرجَ عنه، ولا يوجَدُ شيءٌ بعد فقده، قال: فما كان عندي فيها جواب.

[٤] وعنه قال: عدتُ رجلاً، وتركتُ حماري على بابهِ، ثم خرجتُ فإذا صبيُّ راكمه، فقلت: لم ركبته بغير إذني؟ قال: خفتُ أن يذهبَ، قلت: لو ذهبَ كان أهونَ عليّ، قال: فَهَبْهُ لي، وعُدَّ أنَّه ذهبَ، واربَحَ شُكْرِي، فلم أدِرْ ما أقول.

[٥] الجاحظُ، حدَّثني ثُمَامَةُ، قال: شهدت رجلاً قدم خصمه إلى والٍ، فقال: أصلحك الله، هذا ناصبيُّ رافضي جهمي مشبَّه، يشتم الحجاجَ بنَ الزُّبير الذي هدم الكعبة على عليٍّ، ويلعن معاوية بن أبي طالب.

[٦] قال هارون الحمَّال: حدَّثنا محمد بن أبي كبشة قال: كنتُ في سفينةٍ، فسمعتُ هاتفاً يقول: لا إله إلاَّ الله، كَذَبَ المَرِيسِيُّ على الله، ثم عاد الصوت يقول: لا إله

(١) انظر السير: ٢٠٣/١٠ - ٢٠٦.

إلا الله، على ثُمّامة والمريسيّ لعنة الله، قال: ومعنا رجلٌ من أصحاب المريسيّ
في المركب، فخرّ ميتاً.

الطبقة الحادية عشرة

٤٤٦ أسدُ بنُ الفُرات^(١)

[١] الإمام العلامة القاضي الأمير، مُقدّم المُجاهدين، أبو عبدالله الحرّاني، ثم المغربي.

مولده بحرّان سنة أربع وأربعين ومئة.

ودخل القيروان مع أبيه في الجهاد، وكان أبوه الفُراتُ بن سنان من أعيان الجُند. وغلب عليه علمُ الرأي، وكتب علمُ أبي حنيفة.

[٢] قيل: إنه رجَعَ من العراق، فدخل على ابنِ وهب، فقال: هذه كتب أبي حنيفة، وسأله أن يُجيبَ فيها على مذهب مالك، فأبى، وتورّع، فذهب بها إلى ابن القاسم، فأجابه بما حَفِظَ عن مالك، وبما يعلم من قواعد مالك، وتُسمى هذه المسائل الأسديّة.

وحصلت بإفريقية له رئاسة وإمرة، وأخذوا عنه، وتفقّهوا به.

[٣] وحمل عنه سُحنون بن سعيد، ثم ارتحل سُحنون بالأسدية إلى ابن القاسم، وعرضها عليه، فقال ابن القاسم: فيها أشياء لا بد أن تُغيّر، وأجاب عن أماكن، ثم كتب إلى أسد بن الفُرات: أن عارضُ كُتُبِكَ بكُتُبِ سُحنون، فلم يفعل، وعزّ عليه، فبلغ ذلك ابن القاسم، فتألم، وقال: اللهم لا تبارك في الأسديّة، فهي مرفوضة عند المالكية.

[٤] وقد كان أسدٌ ذا إتقانٍ، وتحريّرٍ لِكُتُبِهِ، لقد بيعت كُتُبُ فقيه، فنودي عليها: هذه قُوبِلَتْ على كتب الإفريقي، فاشتروها ورقتين بدرهم.

(١) انظر السير: ١٠ / ٢٢٥ - ٢٨

[١] مضى أسدٌ أميراً على الغزاة من قِبَل زيادة الله الأغلبِي متولِّي المغرب، فافتتح بلداً من جزيرة صَقْلِيَّة، وأدركه أجلُّه هناك في سنة ثلاث عشرة ومئتين.

[٢] وكان مع توسُّعه في العلم فارساً بطلاً شجاعاً مقداماً، زحف إليه صاحبُ صَقْلِيَّة في مئة ألف وخمسين ألفاً. قال رجلٌ: فلقد رأيتُ أسداً وبيده اللواءُ يقرأ سورة ﴿يس﴾ ثم حملَ بالجيشِ، فهزَمَ العدو، ورأيتُ الدمَ وقد سَالَ على قناة اللواءِ وعلى ذراعه.

٤٤٧ أبو مُسْهَر (ع)^(١)

[٣] عبدُ الأعلى بنُ مُسْهَر بنِ عبدِ الأعلى، الإمامُ شيخُ الشام، أبو مسهر الفسائيّ الدمشقيّ الفقيه.

وكان من أوعية العلم.

مولده سنة أربعين ومئة.

[٤] قال ابنُ سعد: كان أبو مُسْهَر راويةً سعيدِ بنِ عبد العزيز، وكان أشخصَ من دمشق إلى المأمونِ بالرِّقَّة، فسأله عن القرآن، فقال: هو كلامُ الله، وأبى أن يقول: مخلوق، فدعا له بالنَّطع والسيِّف ليضربَ عنقه، فلما رأى ذلك، قال: مخلوق. فتركه من القتل، وقال: أما إنَّك لو قلتَ ذاك قبلَ السيف، لقبلتُ منك، ولكنَّك تخرُجُ الآن فتقولُ: قلتَ ذاك فرقاً من القتل، فأمر بحبسِه ببغداد في ربيع الآخر سنة ثمان عشرة ومات بعد قليلٍ في الحبس في غُرَّة رجب من السنة، فشاهده قومٌ كثيرٌ من أهل بغداد.

[٥] قال أبو إسحاق الجوزجاني: سمعتُ يحيى بنَ مَعِينٍ يقولُ: الذي يُحدِّثُ ببلد به من هو أولى بالتحديث منه أحق، وإذا رأيتني أُحدِّثُ ببلد فيها مثلُ أبي مُسْهَر فينبغي للحيثي أن تُحلق.

(١) انظر السير: ٢٣٨-٢٢٨ / ١٠

[١] قال ابن ديزيل : سمعتُ أبا مُسهر ينشدُ :

هَبْكَ عُمَرَتَ مِثْلَ مَا عَاشَ نُوحٌ ثُمَّ لَاقَيْتَ كُلَّ ذَاكَ يَسَارًا
هَلْ مِنَ الْمَوْتِ لَا أَبَالَكَ بُدٌّ أَيُّ حَيٍّ إِلَى سِوَى الْمَوْتِ صَارَا

[٢] قال عليُّ بن عثمان النُفيلي : كُنَّا عَلَى بَابِ أَبِي مُسْهَرٍ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِ
الْحَدِيثِ ، فَمَرِضَ ، فَعَدْنَاهُ ، وَقُلْنَا : كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ قَالَ : فِي عَافِيَةٍ ، رَاضِيًا عَنْ
اللَّهِ ، سَاخِطًا عَلَى ذِي الْقَرْنَيْنِ ، كَيْفَ لَمْ يَجْعَلْ سَدًّا بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، كَمَا
جَعَلَهُ بَيْنَ أَهْلِ خِرَاسَانَ وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، فَمَا كَانَ بَعْدَ هَذَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى وَافَى
الْمَأْمُونُ دِمَشْقَ ، وَنَزَلَ بِدَيْرِ مُرَّانَ وَبَنَى الْقُبَّةَ فَوْقَ الْجَبَلِ ، فَكَانَ بِاللَّيْلِ يَأْمُرُ بِجَمْرِ
عَظِيمٍ ، فَيَوْقِدُ وَيُجْعَلُ فِي طُسُوتٍ كِبَارٍ ، تُدَلَّى مِنْ عِنْدِ الْقُبَيْبَةِ بِسَلَاسِلٍ وَحِبَالٍ ،
فَتُضِيءُ لَهَا الْغُوطَةُ ، فَيُبْصِرُهَا بِاللَّيْلِ .

وكان لأبي مُسهر حلقةٌ في الجامع بين العشاءين عند حائطِ الشَّرقي ، فبينما هو
ليلةً ، إِذْ قَدْ دَخَلَ الْجَامِعَ ضَوْءٌ عَظِيمٌ ، فَقَالَ أَبُو مُسْهَرٍ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : النَّارُ الَّتِي
تُدَلَّى مِنَ الْجَبَلِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى تُضِيءَ لَهُ الْغُوطَةُ . فَقَالَ ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيْعٍ آيَةً
تَعْبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ الْآيَةُ [الشعراء ١٢٨ و ١٢٩] وكان في
الحلقةِ صاحبٌ خبيرٌ للمأمون ، فرفع ذلك إلى المأمون ، فَحَقَّقَهَا عَلَيْهِ .

فلما رحل المأمون ، أَمَرَ بِحَمْلِ أَبِي مُسْهَرٍ إِلَيْهِ ، فامْتَحَنَهُ بِالرُّقَّةِ فِي الْقُرْآنِ .
قُلْتُ : قَدْ كَانَ الْمَأْمُونُ بَأْسًا وَبِلَاءً عَلَى الْإِسْلَامِ .

[٣] قال أبو حاتم الرازي : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْظَمَ قَدْرًا مِنْ أَبِي مُسْهَرٍ ، كُنْتُ أَرَاهُ إِذَا
خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ ، اصْطَفَى النَّاسَ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ ، وَيَقْبَلُونَ يَدَهُ .

٤٤٨ زُبَيْدَةُ (١)

[٤] السُّتُّ الْمُحَجَّبَةُ أُمَةُ الْعَزِيزِ ، وَتُكْنَى أُمُّ جَعْفَرِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْمَنْصُورِ أَبِي جَعْفَرٍ ،

(١) انظر السير : ٢٤١ / ١٠ .

العبَّاسِيَّة، والدَّةُ الأَمِينِ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّشِيدِ، قِيلَ: لَمْ تَلِدْ عَبَّاسِيَّةً خَلِيفَةً سِوَاهَا.
وَكَانَتْ عَظِيمَةً الْجَاهِ وَالْمَالِ، لَهَا آثَارٌ حَمِيدَةٌ فِي طَرِيقِ الْحِجِّ، وَجَدُّهَا الْمَنْصُورُ
هُوَ لَقَبُهَا زُبَيْدَةً.

[١] وَكَانَ فِي قَصْرِهَا مِنَ الْجَوَارِي نَحْوُ مِنْ مِئَةِ جَارِيَةٍ كُلُّهُنَّ يَحْفَظْنَ الْقُرْآنَ.
تُوفِّيَتْ سَنَةً سِتَّ عَشْرَةَ وَمِئَتَيْنِ.

٤٤٩ عَفَّان (ع) (١)

[٢] ابْنُ مُسْلِمٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى عَزْرَةَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ، الْإِمَامِ الْحَافِظِ، مُحَدِّثِ
الْعِرَاقِ، أَبُو عُثْمَانَ الْبَصْرِيِّ الصَّفَّارِ، بَقِيَّةُ الْأَعْلَامِ.
وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِئَةً تَحْدِيدًا أَوْ تَقْرِيْبًا.

[٣] قَالَ حَنْبَلٌ: حَضَرْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَ مَعِينٍ عِنْدَ عَفَّانَ بَعْدَ مَا دَعَاهُ إِسْحَاقُ بْنُ
إِبْرَاهِيمَ لِلْمِحْنَةِ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ أَمْتَحَنَ مِنَ النَّاسِ عَفَّانَ، فَسَأَلَهُ يَحْيَى بْنُ الْغَدَّادِ
مَا أَمْتَحَنَ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ حَاضِرٌ وَنَحْنُ مَعَهُ، فَقَالَ: أَخْبَرْنَا بِمَا قَالَ لَكَ إِسْحَاقُ؟
قَالَ: يَا أَبَا زَكْرِيَّا لَمْ أُسَوِّدْ وَجْهَكَ وَلَا وَجْهَ أَصْحَابِكَ، إِنِّي لَمْ أَجِبْ. فَقَالَ لَهُ:
فَكَيْفَ كَانَ؟ قَالَ: دَعَانِي وَقَرَأَ عَلَيَّ الْكِتَابَ الَّذِي كَتَبَ بِهِ الْمَأْمُونُ مِنَ الْجَزِيرَةِ،
فَإِذَا فِيهِ: أَمْتَحَنَ عَفَّانَ، وَادَّعَاهُ إِلَى أَنْ يَقُولَ: الْقُرْآنُ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ قَالَ ذَلِكَ فَأَقْرَهُ
عَلَى أَمْرِهِ، وَإِنْ لَمْ يُجِبْكَ إِلَى مَا كَتَبْتُ بِهِ إِلَيْكَ فَاقْطَعْ عَنْهُ الَّذِي يُجْرِي عَلَيْهِ - وَكَانَ
الْمَأْمُونُ يُجْرِي عَلَى عَفَّانَ كُلَّ شَهْرٍ خَمْسَ مِئَةِ دِرْهَمٍ - فَلَمَّا قَرَأَ عَلَيَّ الْكِتَابَ قَالَ
لِي إِسْحَاقُ، مَا تَقُولُ؟ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حَتَّى خَتَمْتُهَا، فَقُلْتُ:
أَمْخَلُوقٌ هَذَا؟ فَقَالَ: يَا شَيْخُ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ: إِنَّكَ إِنْ لَمْ تُجِبْهُ إِلَى الَّذِي
يَدْعُوكَ إِلَيْهِ يَقْطَعْ عَنْكَ مَا يَجْرِي عَلَيْكَ. فَقُلْتُ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا

(١) انظر السير: ٢٥٥-٢٤٢/١٠

تُوعِدُونَ ﴿[الذاريات ٢٢] فَسَكَتَ عَنِّي، وَانصرفتُ، فَسُرُّ بِذَلِكَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَيَحْيَى .

قلتُ: هذه الحكاية تدلُّ على جلالَةِ عَفَّانَ وارتفاعِ شأنِهِ عندَ الدولة، فإنَّ غيره امتَحَنَ وَقِيدَ وَسُجِنَ، وَعَفَّانُ فما فعلوا معه غير قطع الدراهم عنه .
[١] قال القاسمُ بن أبي صالح: سمعتُ إبراهيم بن ديزيل، يقول: لما دُعي عَفَّانُ للمِحْنَةِ كُنْتُ آخِذاً بلجامِ حِمَارِهِ، فلما حَضَرَ عُرِضَ عليه القولُ، فامتنع أن يُجِيبَ، فقليل له: يُحْبَسُ عطاؤُكَ - قال: وكان يُعطى في كُلِّ شهرٍ ألفَ درهم - فقال: ﴿وفي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وما تُوعِدُونَ﴾ فلما رَجَعَ إلى دارِهِ عَذَلَهُ نِسَاؤُهُ ومن في دارِهِ، قال: وكان في دارِهِ نحو أربعين إنساناً، فدُقَّ عليه داقُ الباب، فدخل عليه رجلٌ شَبَّهتُهُ بِسَمَّانٍ أو زِيَّاتٍ، ومعه كيس فيه ألفُ درهم، فقال: يا أبا عثمان ثَبَّتَكَ اللهُ كما ثَبَّتَ الدين وهذا في كُلِّ شهر.

[٢] محمد بن الحسن بن علي بن بحر: حدثنا الفلاس قال: رأيتُ يحيى يوماً حَدَّثَ بِحَدِيثٍ، فقال له عَفَّانُ: ليس هو هكذا. فلما كان من الغد، أتيتُ يحيى، فقال: هو كما قال عَفَّانُ، ولقد سألتُ الله أن لا يكونَ عندي على خلاف ما قال عَفَّانُ .
قلتُ: هكذا العلماء، فانظر يا مسكين كيف أنتَ عنهم بِمَعْرَلٍ .

[٣] قال سلمةُ بن شبيب: قلتُ لأحمدَ بن حنبل: طلبتُ عَفَّانَ في منزله، قالوا: خرج، فخرجتُ أسأله عنه، فقليل: توجَّه هكذا، فجعلتُ أمضي أسأله عنه، حتى انتهيتُ إلى مَقْبَرَةٍ، وإذا هو جالس يقرأ على قبرِ بنتِ أخي ذي الرِّياسَتَيْنِ، فَبَزَقْتُ عليه، وقلت: سَوْءَةٌ لَكَ قال: يا هذا، الحُبْزُ الحُبْزُ! قلتُ: لا أشبع اللهُ بطنَكَ . قال: فقال لي أحمد: لا تَذْكُرَنَّ هذا فَإِنَّهُ قد قامَ في المِحْنَةِ مُقاماً محموداً عليه، ونحو هذا من الكلام.

مات عَفَّانُ في سنة عشرين ومئتين أو قبلها .
قلتُ: عاش خمساً وثمانين سنة رحمه الله .

٤٥٠ القَعْنَبِيُّ (خ، م، د)^(١)

[١] عبدالله بن مَسْلَمَةَ بن قَعْنَب، الإمام الثبُت القدوة، شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن الحارثي القَعْنَبِيُّ المدني، نزيل البصرة، ثم مكة.

مولده بعد سنة ثلاثين ومئة بيسير.

[٢] وقال أبو حاتم: ثقة حُجَّةٌ لم أر أخشع منه، سألناه أن يقرأ علينا «الموطأ» فقال: تعالوا بالغداة، فقلنا: لنا مجلس عند حجاج بن منهل، قال: فإذا فرغتم منه. قلنا: نأتي حينئذٍ مُسَلِّم بن إبراهيم. قال: فإذا فرغتم. قلنا: نأتي أبا حذيفة النُّهَدي. قال: فبعد العصر. قلنا: نأتي عارماً أبا النُّعَمان، قال: فبعد المغرب. فكان يأتينا بالليل، فيخرج علينا، وعليه كَبْلٌ ما تحته شيء في الصَّيف، فكان يقرأ علينا في الحرِّ الشديد حينئذ. الكبل: الفرو الكبير.

قال عمرو بن علي بن الفلاس: كان القَعْنَبِيُّ مُجَابِبَ الدعوة.

[٣] ويروى عن أبي سَبْرَةَ المَدِينِي قال: قلتُ للقَعْنَبِيِّ: حَدِّثْ وَلَمْ تَكُنْ تُحَدِّثُ! قال: إني أُرِيتُ كأنَّ القيامةَ قد قامت، فصيح بأهل العلم، فقاموا، وقمتُ معهم، فنودي بي: اجلس. فقلتُ: إلهي ألم أكن أطلبُ؟ قال: بلى، ولكنَّهم نَشَرُوا، وأخفيته. قال: فحدَّثْتُ.

وقال إسماعيل القاضي: كان القَعْنَبِيُّ من المجتهدين في العبادة.

[٤] أحمد بن مُنِير البَلْخِي، سَمِعْتُ حَمْدَانَ بن سَهْلَ البَلْخِيَّ الفقيه يقول: ما رأيت أحداً إذا رُوي ذُكِرَ الله تعالى إلا القَعْنَبِيُّ رحمه الله، فَإِنَّهُ كان إذا مرَّ بمجلسٍ يقولون: لا إله إلا الله. وقيل: كان يسمِّي الراهبَ لعبادته وفضله.

[٥] عن الحُثَيْنِيِّ قال: كُنَّا عند مالِكٍ، فقدم ابن قَعْنَبٍ من سَفَرٍ، فقال مالِك: قوموا بنا إلى خير أهل الأرض.

ومات القَعْنَبِيُّ سنة إحدى وعشرين ومئتين.

(١) انظر السير: ١٠ / ٢٥٧ - ٢٦٤

٤٥١ المأمون^(١)

[١] الخليفة، أبو العباس، عبدالله بن هارون الرشيد. وُلد سنة سبعين ومئة. وقرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتبهم، وبالغ، وعمل الرصد^(٢) فوق جبل دمشق، ودعا إلى القول بخلق القرآن وبالغ، نسأل الله السلامة.

أنته وفاة أبيه وهو بمرور سائراً لغزو ما وراء النهر، فبايع من قبله لأخيه الأمين، ثم جرت بينهما أمور وخطوب وبلاء وحروب تُشيب النواصي، إلى أن قُتل الأمين، وبايع الناس المأمون في أول سنة ثمان وتسعين ومئة.

[٢] وعن المأمون: أنه تلا في رمضان ثلاثاً وثلاثين ختمة.

[٣] أبو العباس السراج: حدثنا محمد بن سهل بن عسكر قال: تقدّم رجل غريب بيده محبرة إلى المأمون، فقال: يا أمير المؤمنين، صاحب حديث منقطع به، فقال: ما تحفظ في باب كذا وكذا؟ فلم يذكر شيئاً. فقال حدثنا هُشيم، وحدثنا يحيى، وحدثنا حجاج بن محمد، حتى ذكر الباب، ثم سأله عن باب آخر، فلم يذكر شيئاً، فقال: حدثنا فلان. ثم قال لأصحابه: يطلب أحدكم الحديث ثلاثة أيام، ثم يقول: أنا من أصحاب الحديث، اعطوه ثلاثة دراهم.

[٤] وعن يحيى بن أكثم: كان المأمون يحلّم حتى يُغيظنا، قيل: مرّ ملاح، فقال: أتظنون أن هذا ينبئ عندي وقد قتل أخاه الأمين؟! فسمعها المأمون، فتبسّم، وقال: ما الحيلة حتى أنبل في عين هذا السيد الجليل.

[٥] وعن المأمون قال: أعياني جواب ثلاثة:

صرت إلى أم ذي الرّياستين الفضل بن سهل أعزّها فيه، وقلت: لا تأسّي عليه، فإني عوضه لك، قالت: يا أمير المؤمنين وكيف لا أحزن على ولدٍ أكسبني مثلك.

(١) انظر السير: ٢٧٢ / ١٠ - ٢٩٠

(٢) الرصد في علم الفلك: اسم لموضع تعيّن فيه حركات الكواكب.

[١] قال: وَأُتِيْتُ بِمُتَنَبِّئٍ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ، قُلْتُ: وَيَحْكُ، مُوسَى كَانَتْ لَهُ آيَاتٌ، فَاتْتَنِي بِهَا حَتَّى أَؤْمِنَ بِكَ. قَالَ: إِنَّمَا أُتِيْتُ بِالْمُعْجَزَاتِ فِرْعَوْنَ، فَإِنْ قُلْتُ: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى كَمَا قَالَ، أُتَيْتُكَ بِالْآيَاتِ.

وَأَتَى أَهْلَ الْكُوفَةِ يَشْكُونَ عَامِلَهُمْ، فَقَالَ خُطِيبُهُمْ: هُوَ شَرُّ عَامِلٍ، أَمَا فِي أَوَّلِ سَنَةٍ، فَبَعْنَا الْأَثَاثَ وَالْعَقَارَ، وَفِي الثَّانِيَةِ بَعْنَا الضِّيَاعَ، وَفِي الثَّلَاثَةِ نَزَحْنَا وَأَتَيْنَاكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، بَلْ هُوَ مُحَمَّدٌ، وَعَرَفْتَ سُخْطَكُمْ عَلَى الْعُمَّالِ. قَالَ: صَدَقْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَذَبْتُ، قَدْ خَصَصْتَنِي بِهِ مَدَّةَ دُونَ بَاقِي الْبِلَادِ، فَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى بَلَدٍ آخَرَ لِيَشْمَلَهُمْ مِنْ عَدْلِهِ وَإِنْصَافِهِ مَا شَمَلْنَا. فَقُلْتُ: قُمْ فِي غَيْرِ حِفْظِ اللَّهِ، قَدْ عَزَلْتُهُ.

[٢] وَعَنْ الْمَأْمُونِ قَالَ: النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ مِنْهُمْ مِثْلُ الْغِذَاءِ لَا يَبْدُ مِنْهُ، وَمِنْهُمْ كَالدَّوَاءِ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي حَالِ الْمَرَضِ، وَمِنْهُمْ كَالدَّاءِ مَكْرُوهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

وَعَنْهُ قَالَ: لَا نَزْهَةَ أَلَدُّ مِنَ النَّظَرِ فِي عُقُولِ الرِّجَالِ.

[٣] قِيلَ: إِنْ الْمَأْمُونُ لَتَشْيِيعِهِ أَمْرٌ بِالنَّدَاءِ بِإِبَاحَةِ الْمُتَعَةِ - مُتَعَةِ النِّسَاءِ - فَدَخَلَ عَلَيْهِ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ، فَذَكَرَ لَهُ حَدِيثَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِتَحْرِيمِهَا، فَلَمَّا عَلِمَ بِصَحَّةِ الْحَدِيثِ، رَجَعَ إِلَى الْحَقِّ، وَأَمَرَ بِالنَّدَاءِ بِتَحْرِيمِهَا.

أَمَّا مَسْأَلَةُ الْقُرْآنِ، فَمَا رَجَعَ عَنْهَا، وَصَمَّمَ عَلَى امْتِحَانِ الْعُلَمَاءِ فِي سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ، وَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ، فَأَخَذَهُ اللَّهُ.

[٤] وَكَانَ كَثِيرَ الْغَزْوِ.

[٥] وَفِيهَا - أَعْنَى سَنَةَ ٢٠٥ - نَصَرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى بَابِكْ، وَبَيَّتُوهُ.

[٦] وَكَانَتْ الْحُرُوبُ شَدِيدَةً بَيْنَ عَسْكَرِ الْإِسْلَامِ وَبَيْنَ بَابِكْ، وَظَهَرَ بِالْيَمَنِ الصَّنَادِيقِيُّ، وَقَتَلَ، وَسَبَى، وَادَّعَى النُّبُوَّةَ، ثُمَّ هَلَكَ بِالطَّاعُونَ.

[٧] وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ: سَارَ مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدِ الطُّوسِيِّ لِمَحَارَبَةِ بَابِكْ، وَأَظْهَرَ الْمَأْمُونُ تَفْضِيلَ عَلِيٍّ عَلَى الشَّيْخِينَ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى مِصْرَ وَالشَّامِ أَخَاهُ الْمُعْتَصِمَ فَقَتَلَ طَائِفَةً، وَهَذَبَ مِصْرَ، وَوَقَعَ الْمَصَافُ مَعَ بَابِكْ مَرَاتٍ.

- [١] وفي سنة خمس عشرة: سار المأمون لغزو الروم، ومن غزوته عطف إلى دمشق.
- [٢] وفي سنة ست عشرة: كرّ غازيا في الروم، وجّهز أخاه المعتصم، ففتح حصوناً، ودخل سنة سبع عشرة مصر، وقتل المتغلب عليها عبّوساً الفهريّ.
- [٣] وفيها وقع حريق عظيم بالبصرة أذهب أكثرها.
- مات في سنة ثمان عشرة ومئتين وله ثمان وأربعون سنة.

٤٥٢ المُتَعَصِّم (١)

[٤] الخليفة أبو إسحاق محمد بن الرشيد هارون بن محمد المهدي بن المنصور العباسي.

وُلد سنة ثمانين ومائة.

[٥] قال الرّياشي: كتب طاغية الروم إلى المعتصم يتهدّده، فأمر بجوابه، فلما عُرِضَ عليه رماه، وقال للكاتب: اكتب: (أما بعد، فقد قرأت كتابك، وسمعت خطابك، والجواب ما ترى لا ما تسمع) ﴿وسيعلم الكافر لمن عقبي الدار﴾.

[٦] قلتُ: وامتنح الناس بخلق القرآن، وكتب بذلك إلى الأمصار، وأخذ بذلك المؤذنين وفقهاء المكاتب، ودام ذلك حتى أزاله المتوكل بعد أربعة عشر عاماً.

[٧] وكان في سنة ٢١٨ الوباء المُفرط والقحط بمصر، ومات أكثرهم.

[٨] واشتد البلاء ببابك، وهزم الجيوش، ودخل في دينه خلائق من العجم، وعسكر بهمدان، فبرز لقتاله إسحاق المُصْعَبِي، فكانت ملحمة عظيمة، فيقال: قُتل منهم ستون ألفاً، وهرب باقيهم إلى الروم.

[٩] وفي سنة اثنتين وعشرين، كان المصافى بين بابك الخُرْمِي وبين الأفشين، فطحنه الأفشين، واستباح عسكره، وهرب، ثم إنه أسر بعد فصول طويلة، وكان أحد الأبطال، أخاف الإسلام وأهله، وهزم الجيوش عشرين سنة، وغلب على

(١) انظر السير: ١٠/٢٩٠-٣٠٦

أذربيجان وغيرها، وأراد أن يقيم الملة المجوسية.

[١] وكان المعتصم والمأمون قد أنفقوا على حرب بابك قناطير مقنطرة من الذهب والفضة، ففي هذه السنة، بعث المعتصم نفقات إلى جيشه مع الأفشين فكانت ثلاثين ألف ألف درهم، وأُخذت البُدْ مدينة بابك اللعين، واختفى في غِيضَةٍ، وأُسِرَ أهله وأولاده، وقُطِعَ دابر الخُرْمِيَّة.

[٢] وقال المسعودي: هرب بابك بأخيه وأهله وخواصه في زي التجار، فنزل بأرض أرمينية بعمل سهل بن سنباط، فابتاعوا شاة من راع، فَنَكِرَهم، فأتى سهلاً، فأعلمه فقال: هذا بابك بلا شك، فركب في أجناده حتى أتى بابك، فترجل وسلم عليه بالملك، وقال: قم إلى قصرِك، فأنا عبدك، فمضى معه، ومدَّ السَّمَاط له، وأكل معه، فقال بابك: أمثلك يأكل معي! فوقف واعتذر، ثم أحضر حدَّاداً ليقيده، فقال: أغدراً يا سهل؟ قال: يا ابن الفاعلة، إنما أنت راعي بقر، ثم قيد أتباعه، وكاتب الأفشين، فجهز أربعة آلاف، فتسلموه وجاء سهل، فخلع عليه الأفشين، وبُعِثت بطاقة بذلك إلى بغداد، فضجَّ الناس بالتكبير والشكر لله، ثم قدموا ببابك في صفر سنة ثلاث.

[٣] وكان هذا الشقيُّ ثنوياً على دين ماني ومزْدَك، يقول بتناسخ الأرواح، ويستحلُّ البنات وأُمها.

[٤] وقيل: إنه أباد من الأمة خلائق، وبخط الإمام ابن الصَّلاح: أن قتل بابك بلغوا ألف ألف وخمسة مئة ألف، وأُحصِيَ قتل أبي مسلم الخراساني، فبلغوا ألفي ألف.

[٥] قال نبطويه: يُقال للمعتصم: المُثَمَّن، فإنه ثامن بني العباس، وتملك ثمانين سنين، وثمانية أشهر، وله فتوحات ثمانية.

وقتل ثمانية: بابك، والأفشين، ومازيار، وباطيس، ورئيس الزنادقة وعُجيفاً، وقارون، وأمير الرافضة.

[١] وقال غير نفطويه : خَلَفَ من الذهب ثمانية آلاف دينار، وثمانية عشر ألف درهم، وثمانين ألف فرس، وثمانية آلاف مملوك، وثمانية آلاف جارية، وبنى ثمانية قصور. وقيل بلغ مماليكه ثمانية عشر ألفا، وكان ذا سطوة إذا غضب لا يُبالي من قتل.

قال الخطيب: كثر عسكرُ المعتصم، وضائق عليهم بغداد، فبنى مدينة (سُرَّ من رأى) وتحول إليها وتسمى أيضا العسكر. مات المعتصم سنة سبع وعشرين ومئتين، وله سبع وأربعون سنة وسبعة أشهر، ودفن (بسرَّ من رأى) وصلى عليه ابنه الواثق.

٤٥٣ الواثق بالله^(١)

[٢] الخليفة أبو جعفر، وأبو القاسم هارون بن المعتصم بالله. وكان مولده سنة ست وتسعين ومئة.

[٣] قال الخطيب: استولى أحمد بن أبي دُواد على الواثق، وحمله على التشدد في المحنة، والدعاء إلى خلق القرآن.

[٤] قال عبيدُ الله بن يحيى: حدثنا إبراهيم بن أسباط، قال: حُمل رجل مقيد، فأدخل على ابن أبي دُواد بحضور الواثق، فقال لأحمد: أخبرني عن ما دعوتكم الناس إليه، أعلمه رسول الله ﷺ فما دعا إليه، أم شيء لم يعلمه؟ قال: بل علمه. قال: فكان يسعه أن لا يدعو الناس إليه، وأنتم لا يسعكم؟! فبهتوا، وضحك الواثق، وقام قابضاً على فمه، ودخل مجلساً، ومدَّ رجله وهو يقول: أمر وسع رسول الله ﷺ أن يسكت عنه ولا يسعنا! ثم أمر أن يُعطى الشيخ ثلاث مئة دينار، وأن يرد إلى بلده.

(١) انظر السير: ٣١٤-٣٠٦/١٠

[١] وفي سنة إحدى وثلاثين: قتل أحمد بن نصر الخزاعي الشهيد ظلماً، وأمر بامتحان الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن، وافتك من أسر الروم أربعة آلاف وست مئة نفس، فقال ابن أبي دواد: من لم يقل: القرآن مخلوق، فلا تفتكوه.

وفيها جاء المجوس الأرمنانيون في مراكب من ساحل البحر الأعظم، فدخلوا إشبيلية بالسيف، ولم يكن لها سور بعد، فجهز لحربهم أمير الأندلس عبدالرحمن المرواني جيشاً، فالتقوا، فانهزم الأرمنانيون، وأسر منهم أربعة آلاف والله الحمد.

[٢] قال زرقان بن أبي داود: لما احتضر الواثق، ردّد هذين البيتين:
الموتُ فيه جميعُ الخلقِ مشتركٌ لا سوقةٌ منهم يُبقَى ولا ملكٌ
ما ضرَّ أهلٌ قليلٌ في تفرُّقهم وليس يُغني عن الأملاك ما ملكوا

ثم أمر بالبسط، فطويت، وألصق خده بالتراب، وجعل يقول: يا من لا يزول ملكه، ارحم من قد زال ملكه.

قلت: كانت خلافته خمس سنين ونصفاً، مات بسامراً، سنة اثنتين وثلاثين ومئتين، وبايعوا بعده أخاه المتوكل.

٤٥٤ زكريا بن عدي (خ، ت) (١)

[٣] ابن زريق، الإمام الحافظ الثبت، أبو يحيى التيمي، مولا هم الكوفي، نزيل بغداد.

[٤] وكان عدي ذمياً فأسلم.

[٥] وقال المنذر بن شاذان: ما رأيت أحفظ من زكريا بن عدي، جاءه أحمد بن حنبل ويحيى، فقالا: أخرج إلينا كتاب عبيد الله بن عمرو، فقال: ما تصنعون به؟ خذوا حتى أملئ عليكم كله، وكان يحدث عن عدة من أصحاب الأعمش، فيميز ألفاظهم.

(١) انظر السير: ٤٤٢/١٠ - ٤٤٥

[١] وقيل: إنه لما احتضر، قال: اللهم إني إليك مشتاق.

[٢] وقال أبو يحيى صاعقة: قدم زكريا بن عدي، فكلّموا له من يستعمله على قرية في الشهر بثلاثين درهماً، فرجع بعد شهر، وقال: ليس أجدني أعمل بقدر الأجرة.

[٣] واشتكت عينه، فأناه رجل بكحل، فقال: أنت ممن يسمع الحديث مني؟ قال: نعم، فأبى أن يأخذه.

[٤] وقد نال منه أبو نعيم الكوفي بلا حجة، وقال: ماله وللحديث؟ هو بالتوراة أعلم.

قال ابن سعد: هو من موالي تيم الله، وكان رجلاً صالحاً ثقة، قال: وتوفي في سنة إحدى عشرة ومئتين.

٤٥٥ الوَحَاطِيّ (خ، م) (١)

[٥] الإمام العالم الحافظ الفقيه، أبو زكريا، يحيى بن صالح الوحاظي الدمشقي، وقيل: الحمصي.

قال يحيى بن معين ثقة.

وممن وثّقه ابن عدي وابن حبان، وغمزه بعض الأئمة لبدعة فيه، لا لعدم إتقان.

[٦] قال أحمد بن حنبل: أخبرني رجل من أصحاب الحديث أن يحيى بن صالح قال: لو ترك أصحاب الحديث عشرة أحاديث - يعني هذه التي في الرؤية - ثم قال أحمد: كأنه نزع إلى رأي جهم.

قلت: والمعتزلة تقول: لو أن المحدثين تركوا ألف حديث في الصفات والأسماء والرؤية، والنزول، لأصابوا. والقدرية تقول: لو أنهم تركوا سبعين حديثاً في إثبات القدر.

والرافضة تقول: لو أن الجمهور تركوا من الأحاديث التي يدعون صحتها ألف

(١) انظر السير: ١٠ / ٤٥٣ - ٤٥٦

حديث، لأصابوا، وكثير من ذوي الرأي يردّون أحاديث شافه بها الحافظ المفتي المجتهد أبو هريرة رسول الله ﷺ، ويزعمون أنه ما كان فقيها، ويأتوننا بأحاديث ساقطة، أو لا يعرف لها إسناداً أصلاً محتجّين بها.

قلنا: ولكلّ موقف بين يدي الله تعالى: يا سبحان الله! أحاديث رؤية الله في الآخرة متواترة، والقرآن مصدق لها، فأين الإنصاف؟
[١] قال أبو زرعة الدمشقي: حدثنا يزيد بن عبد ربه يقول: سمعت وكيعاً يقول ليحيى الوحاظي: اجتنب الرأي، فإني سمعت أبا حنيفة رحمه الله يقول: البول في المسجد أحسن من بعض قياسهم.
مات الوحاظي سنة اثنتين وعشرين ومئتين.

٤٥٦ علي بن الجعد (خ، د) (١)

[٢] ابن عبيد الإمام الحافظ الحجة مُسند بغداد، أبو الحسن البغدادي الجوهري مولى بني هاشم.
وُلد سنة أربع وثلاثين ومئة.

[٣] قال الحسين بن إسماعيل الفارسي، سألت عَبْدُوس بن هانيء عن حال علي بن الجعد، فقال: ما أعلم أنني لقيت أحفظ منه، فقال: كان يُتهم بالجَهْم.
قال: قد قيل هذا، ولم يكن كما قالوا، إلا أن ابنه الحسن بن علي كان على قضاء بغداد، وكان يقول بقول جَهْم، قال: كان عند علي بن الجعد عن شعبة نحو من ألف ومئتي حديث، وكان قد لقي المشايخ فزهدت فيه بسبب هذا القول، ثم ندمت بعد.

[٤] وقال أبو يحيى الناقد: سمعت أبا غسان الدوري يقول: كنتُ عند علي بن الجعد، فذكروا حديث ابن عمر: «كنا نُفاضِلُ على عهد النبي ﷺ فنقول: خير

(١) انظر السير: ١٠ / ٤٥٩ - ٤٦٨

هذه الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان، فيبلغ النبي ﷺ، فلا يُنكره».

فقال علي: انظروا إلى هذا الصبي هو لم يحسن أن يطلق امرأته يقول: كنا نفاضل. وكنت عنده فذكروا حديث: «إن ابني هذا سيد» قال: ما جعله الله سيداً.

قلت: أبو غسان لا أعرف حاله، فإن كان قد صدق، فلعل ابن الجعد قد تاب من هذه الورطة، بل جعله سيداً على رغم أنف كل جاهل، فإن من أصرَّ على مثل هذا من الرد على سيد البشر، يكفر بلا مشنوءة، وأي سُؤدد أعظم من أنه ببيع بالخلافة، ثم نزل عن الأمر لقربته، وبايعه على أنه ولي عهد المؤمنين، وأن الخلافة له من بعد معاوية حسماً للفتنة، وحقناً للدماء، وإصلاحاً بين جيوش الأمة ليتفرغوا لجهاد الأعداء، ويخلصوا من قتال بعضهم بعضاً، فصَحَّ فيه تفرُّس جدِّه ﷺ، وعُدَّ ذلك من المعجزات، ومن باب إخباره بالكوائن بعده، وظهر كمال سُؤدد السيد الحسن ابن عليٍّ ربحانة رسول الله ﷺ وحبِّيه، والله الحمد.

[١] وقال محمد بن حماد المقرئ: سألت يحيى بن معين عن علي بن الجعد، فقال: ثقة صدوق، ثقة صدوق قلت: فهذا الذي كان منه؟ فقال: أيش كان منه؟ ثقة صدوق.

[٢] وقال فيه مسلم: هو ثقة لكنَّه جهمي.

قلت: ولهذا منع أحمد بن حنبل ولديه من السماع منه.

[٣] وقد كان طائفة من المحدثين يتنطعون في من له هفوة صغيرة تخالف السنة، وإلا فعليُّ إمام كبير حجة، يقال: مكث ستين سنة يصوم يوماً، ويفطر يوماً، وبحسبك أن ابن عدي يقول في «كامله» لم أر في رواياته حديثاً منكراً إذا حدَّث عنه ثقة.

توفي سنة ثلاثين ومئتين، وقد استكمل ستاً وتسعين سنة.

الطبقة الثانية عشرة

٤٥٧ بشر بن الحارث^(١)

[١] ابن عبد الرحمن، الإمام المحدث الزاهد الرباني القدوة، شيخ الإسلام، أبو نصر المروزي، ثم البغدادي، المشهور بالحافي.

وُلد سنة اثنتين وخمسين ومئة.

[٢] كان يُزَمُّ نفسه، فقد كان رأساً في الورع والإخلاص.

[٣] قال أبو بكر المروزي: سمعتُ بشراً يقول: الجوع يصفي الفؤاد، ويميت الهوى، ويورث العلم الدقيق.

[٤] وقال أبو بكر بن عثمان: سمعتُ بشر بن الحارث يقول: إني لأشتهي شواء منذ أربعين سنة، ما صفا لي درهمه.

[٥] علي بن عثام، قال: أقام بشر بن الحارث بعبّادان يشرب ماء البحر، ولا يشرب من حياض السلطان، حتى أضر بجوفه، ورجع إلى أخته وجعاً، وكان يعمل المغازل ويبيعها، فذاك كسبه.

[٦] وقال يعقوب بن بختان: سمعت بشر بن الحارث يقول: لا أعلم أفضل من طلب الحديث لمن اتقى الله، وحسنت نيته فيه، وأما أنا فأستغفر الله من طلبه، ومن كل خطوة خطوت فيه.

[٧] قال أحمد بن حنبل: لو كان بشر تزوج لتمّ أمره.

[٨] قال إبراهيم الحربي: ما أخرجت بغداد أتمّ عقلاً من بشر، ولا أحفظ للسانه، كان في كل شعرة منه عقل، وطئ الناس عقبه خمسين سنة، ما عُرف له غيبة لمسلم، ما رأيت أفضل منه.

[٩] وعنه: شاطر سخي أحب إلى الله من صوفي بخيل.

(١) انظر السير: ١٠ / ٤٦٩-٤٧٧

[١] وعنه: أمس قد مات، واليوم في السياق، وغداً لم يولد.

[٢] لا يفلح من ألف أفخاذ النساء.

[٣] إذا أعجبك الكلام، فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم.

[٤] وعنه قال: قد يكون الرجل مرثياً بعد موته، يحب أن يكثر الخلق في جنازته.

[٥] لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات سُداً.

[٦] حمزة بن دهقان، قال: قلت لبشر بن الحارث: أحب أن أخلو معك. قال: إذا

شئت فيكون يوماً. فرأيته قد دخل قبة، فصلّى فيها أربع ركعات لا أحسن أصلي

مثلها، فسمعتة يقول في سجوده: اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذلُّ أحب إليّ

من الشرف، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحب إلي من الغنى، اللهم إنك

تعلم فوق عرشك أني لا أؤثر على حبك شيئاً، فلما سمعته، أخذني الشهيق

والبكاء، فقال: اللهم أنت تعلم أني لو أعلم أن هذا ما هنا، لم أتكلّم.

[٧] وقيل لأحمد: مات بشر. قال: مات والله وما له نظير، إلا عامر بن عبد قيس،

فإن عامراً مات ولم يترك شيئاً. ثم قال أحمد: لو تزوج.

[٨] قال إبراهيم الحربي: لو قسم عقل بشر على أهل بغداد، صاروا عقلاء.

[٩] قيل: جاء رجل إلى بشر، فقَبَّله، وجعل يقول: ياسيدي أبا نصر. فلما ذهب،

قال بشر لأصحابه، رجل أحب رجلاً على خير توهمه، لعل المحب قد نجا،

والمحبيب لا يُدرى ما حاله.

مات بشر الحافي رحمة الله عليه سنة سبع وعشرين ومئتين، قبل المعتصم

الخليفة بستة أيام، وعاش خمساً وسبعين سنة.

وقد أفرد ابن الجوزي مناقبه في كتاب.

[١٠] عن بشر: ليس أحد يحب الدنيا إلا لم يحب الموت، ومن زهد فيها، أحب لقاء

مولاه، وعنه: ما اتقى الله من أحب الشهرة.

[١١] وعنه قال: لا تعمل لتذكر، اكتم الحسنة كما تكتم السيئة.

٤٥٨ أبو عبيد (د) (١)

[١] الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون، أبو عبيد، القاسم بن سلام بن عبد الله.

مولد أبي عبيد سنة سبع وخمسين ومئة.

وصنف التصانيف الموثقة التي سارت بها الركبان. وله مصنف في القراءات لم

أره، وهو من أئمة الاجتهاد.

له كتاب «الأموال» في مجلد كبير سمعناه بالاتصال. وكتاب «الغريب» مروي أيضاً، وكتاب «فضائل القرآن» وقع لنا، وكتاب «الطهور»، وكتاب «الناسخ والمنسوخ» وكتاب «المواعظ»، وكتاب «الغريب المصنف في علم اللسان» وغير ذلك وله بضعة وعشرون كتاباً.

[٢] قال أبو بكر الأنباري: كان أبو عبيد - رحمه الله - يقسم الليل أثلاثاً فيصلي ثلثه، وينام ثلثه، ويصنف الكتب ثلثه.

[٣] علي بن عبد العزيز، سمعت أبا عبيد يقول: المتبع السنة كالقابض على الجمر هو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله.

[٤] عبد الله بن العباس الطيالسي، سمعت الهلال بن العلاء الرقي يقول: من الله على هذه الأمة بأربعة في زمانهم: بالشافعي تفقه بحديث رسول الله ﷺ، وبأحمد ثبت في المحنة، ولولا ذلك كفر الناس، ويحيى بن معين نفى الكذب عن الحديث، وبأي عبيد فسر الغريب من الحديث، ولولا ذلك لاقتحم الناس في الخطأ.

[٥] وقال أحمد بن سلمة: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: الحق يحب الله عز وجل: أبو عبيد القاسم بن سلام أفقه مني وأعلم مني.

[٦] قال أبو العباس ثعلب: لو كان أبو عبيد في بني إسرائيل، لكان عجباً.

[٧] قال إبراهيم بن محمد النّسّاج: سمعت إبراهيم الحربي يقول: أدركت ثلاثة

(١) انظر السير: ٤٩٠/١٠ - ٥٠٩

تعجزُ النساءُ أن يلدن مثلهم: رأيتُ أبا عُبَيْدٍ، ما مثله إلا بجبل نفخ فيه روح، ورأيتُ بشر بن الحارث، ما شبهته إلا برجل عجن من قرنه إلى قدمه عقلاً، ورأيتُ أحمد بن حنبل، فرأيتُ كأن الله قد جمع له علمَ الأولين، فمن كل صنف يقول ما يشاء، ويُمسِكُ ما يشاء.

[١] انصرف يوماً من الصلاة، فمرَّ بدار إسحاق الموصلي، فقالوا له: يا أبا عبيد، صاحب هذه الدار يقول: إن في كتابك (غريب المصنف) ألف حرف خطأ.

فقال: كتاب فيه أكثر من مئة ألف يقع فيه ألف ليس بكثير؟ ولعلَّ إسحاق عنده رواية، وعندنا رواية، فلم يعلم، فخطأنا، والروايتان صواب، ولعله أخطأ في حروف، وأخطأنا في حروف، فيبقى الخطأ يسيراً.

[٢] العباس الدُّوري، سمعتُ أبا عُبَيْدٍ القاسم بن سلام - وذكر الباب الذي يروى فيه الرؤية، والكرسي موضع القدمين، وضحك ربنا، وأين كان ربنا - فقال: هذه أحاديث صحاح، حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا نشك فيها، ولكن إذا قيل: كيف يضحك؟ وكيف وضع قدمه؟ قلنا: لا نُفسِّر هذا، ولا سمعنا أحداً يفسره.

[٣] قلت: قد فسر علماء السلفِ المهمُّ من الألفاظ وغير المهم، وما أبقوا ممكناً، وآيات الصفات وأحاديثها لم يتعرضوا لتأويلها أصلاً، وهي أهمُّ الدين، فلو كان تأويلها سائغاً أو حتماً، لبادروا إليه، فعلم قطعاً أن قراءتها وإمرارها على ما جاءت هو الحق، لا تفسير لها غير ذلك، فنؤمن بذلك، ونسكت اقتداءً بالسلف، معتقدين أنها صفاتُ الله تعالى، استأثر الله بعلم حقائقها، وأنها لا تشبه صفات المخلوقين، كما إن ذاته المقدسة لا تماثل ذوات المخلوقين، فالكتاب والسنة نطق بها، والرسول ﷺ بلغ، وما تعرض لتأويل، مع كون الباري قال ﴿لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل ٤٤] فعلينا الإيمان والتسليم للنصوص، والله يهدي من يشاء إلى

صراط مستقيم. مات سنة أربع وعشرين ومئتين بمكة. بلغ سبعاً وستين سنة، رحمه الله.

٤٥٩ يحيى بن يحيى (خ، م، ت، س)^(١)

[١] ابن بكر، شيخ الإسلام، وعالم خراسان، أبو زكريا التميمي المنقري النيسابوري الحافظ.

وُلد يحيى بن يحيى سنة اثنتين وأربعين ومئة.

[٢] أبو العباس السراج: سمعتُ الحسين بن عبدش وكان ثقةً، سمعتُ محمد بن أسلم يقول: رأيتُ النبي ﷺ في المنام، فقلت: عمن أكتبُ؟ فقال: عن يحيى بن يحيى.

قال خُشْنَام بن سعيد: سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: كان يحيى بن يحيى عندي إماماً، ولو كانت عندي نفقة، لرحلتُ إليه.

[٣] قال أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب: سمعتُ الحسين بن منصور قال: كنّا عند أحمد بن حنبل، فروى حديثاً عن سفيان، فقلت: خالفك يحيى بن يحيى، فتوقف، وقال: لا خير فيما يُخالفُ يحيى بن يحيى.

[٤] وبلغنا أن يحيى أوصى بثياب بدنه لأحمد بن حنبل، فلما قَدِمْتُ على أحمد، أخذ منها ثوباً واحداً للبركة، وردّ الباقي، وقال: إنّه ليس تفصيل ثيابه من زِيّ بلدنا. مات يحيى بن يحيى سنة ستّ وعشرين ومئتين.

[٥] قال الحاكم: سمعتُ أبي: سمعتُ أبا عمرو العَمْرَوِيّ والي البلد يقول: بينا أنا نائم ذات ليلة على السطح، إذ رأيتُ نوراً يسطعُ إلى السماء، من قبر في مقبرة الحسين، كأنّه منارة بيضاء، فدعوتُ بغيّام لي رام، فقلت: ارم ذاك القبر الذي يسطعُ منه النور، ففعل، فلما أصبحت، بكرتُ بنفسي، فإذا الشّابة في قبر يحيى ابن يحيى رحمة الله عليه.

وقال أحمد بن سيّار المروزي: يحيى بن يحيى من موالى بني منقر، كان ثقة، حسن الوجه، طويل اللحية، خيراً، فاضلاً، صائناً لنفسه.

(١) انظر السير: ١٠/٥١٢-٥١٩.

[١] وقال نصر بن زكريا: سمعت محمد بن يحيى الذهلي: سمعت يحيى بن معين يقول: الذَّبُّ عن السُّنَّةِ أفضل من الجهاد في سبيل الله. فقلت ليحيى: الرجل يُنفق ماله، ويتعب نفسه، ويجاهد، فهذا أفضل منه؟! قال: نعم، بكثير.

٤٦٠ يحيى بن يحيى بن كثير^(١)

[٢] ابن وسّاس بن شِمال بن منغايا، الإمام الكبير، فقيه الأندلس، أبو محمد الليثي البربري المصمودي الأندلسي القرطبي. مولده في سنة اثنتين وخمسين ومئة.

ولازم ابن وهب، وابن القاسم، ثم حجَّ، ورجع إلى المدينة ليزداد من مالك، فوجده في مرض الموت، فأقام إلى أن توفاه الله، وشهد جنازته، ورجع إلى قرطبة بعلمٍ جَمٍّ، وتصدر للاشتغال، وازدحموا عليه، ونُعدَّ صيتهُ، وانتفعوا بعلمه وهديه وسمته.

وكان كبير الشأن، وافر الجلالة، عظيم الهيبة، نال من الرئاسة والحُرمة ما لم يبلغه أحد.

[٣] وبلغنا أن يحيى بن يحيى الليثي كان عند مالك بن أنس رحمه الله، فمرَّ على باب مالك الفيل، فخرج كلٌّ من كان في مجلسه لرؤية الفيل، سوى يحيى بن يحيى، فلم يقم، فأعجب به مالك وسأله: من أنت؟ وأين بلدك؟ ثم لم يزل بعد مُكرِّماً له.

[٤] وعن يحيى بن يحيى، قال: أخذت بركاب الليث، فأراد غلامه أن يمنعني، فقال الليث، دَعَه. ثم قال لي: خدَمَكَ العِلْمُ. قال: فلم تزل بي الأيام حتى رأيتُ ذلك.

(١) انظر السير: ٥١٩-٥٢٥

[١] وقيل إنَّ عبدالرحمن بن الحكم المرواني صاحب الأندلس نظر إلى جارية له في رمضان نهراً، فلم يَمْلِكْ نفسه أن واقعها، ثم ندم، وطلب الفقهاء، وسألهم عن توبته، فقال يحيى بن يحيى: صُم شهرين متتابعين، فسكت العلماء، فلما خرجوا قالوا ليحيى:

مالك لم تفتنه بمذهبنا عن مالك أنه مخير بين العتق والصَّوم والإطعام؟ قال: لو فتحنا له هذا الباب، لَسَهَّلَ عليه أن يَطَأُ كُلَّ يوم، ويعتق رقبة، فحملته على أصعب الأمور لثلاثا يعود.

[٢] قال أبو عمر بن عبد البر: قدم يحيى بن يحيى الأندلس بعلم كثير، فعادت فتياً الأندلس بعد عيسى بن دينار الفقيه عليه، وانتهى السلطان والعامَّة إلى رأيه، وكان فقيهاً حسن الرأي، وكان لا يرى القنوت في الصبح، ولا في سائر الصلوات، ويقول: سمعت الليث بن سعد يقول: سمعتُ يحيى بن سعيد الأنصاري يقول: إنما كنت رسول الله ﷺ نحواً من أربعين يوماً يدعو على قوم، ويدعو لآخرين. قال: وكان الليث لا يقنت.

[٣] قال: وكان يرى جواز كراء الأرض بجزء مما يخرج منها، على مذهب الليث، ويقول: هي سنة رسول الله ﷺ في خير.

[٤] وقضى برأي أمينين إذا لم يوجد في أهل الزوجين حكمان يصلحان لذلك.

[٥] قال أبو القاسم بن بشكوال الحافظ: كان يحيى بن يحيى مُجاب الدعوة، قد أخذ نفسه في هيئته ومقعده هيئة مالك الإمام بالأندلس، فإنه عرض عليه قضاء الجماعة، فامتنع، فكان أمير الأندلس لا يولِّي أحداً القضاء بمدائن إقليم الأندلس، إلا من يُشير به يحيى بن يحيى، فكثر لذلك تلامذة يحيى بن يحيى، وأقبلوا على فقه مالك، ونبذوا ما سواه.

وفاة يحيى بن يحيى في سنة أربع وثلاثين ومئتين.

٤٦١ إبراهيم بن المهدي^(١)

[١] الأمير الكبير، أبو إسحاق، الملقَّب بالمبارك، إبراهيم بن أمير المؤمنين محمد ابن أبي جعفر، الهاشمي العبَّاسي الأسود. ويُعرف بالتَّنين للونه، وضخامته.

كان فصيحاً، بليغاً، عالماً، أديباً، شاعراً، رأساً في فن الموسيقى.

[٢] قال علي بن المغيرة الأثرم: حدثنا إبراهيم: أنه ولي إمرة دمشق أعواماً لم يقطع فيها على أحد طريق، وحُدِّثُ أن الآفة في قطع الطريق من دعامة ونعمان ويحيى ابن أرميا اليهودي البلقاوي، وأنهم لم يضعوا يدهم في يد عامل، فكاتبَتْهُمْ. فتاب دعامة. وحلف النعمان بالأيمان أنه لا يؤذي مهما وليت، وطلب ابن أرميا أماناً ليأتي، ويتناظر، فأجبتَه، فقدم شابُّ أشعرُ أعرُ في أقبية ديباج، ومِنْطَقَةٍ وسيف محلى، فدخل على الخضراء، فسَلِمَ دون البساط، فقلت: اصعد. قال: إن للبساطِ ذماماً، أخافُ أن يلزمني جلوسي عليه، وما أدري ما تسومني، قلت: أسلم، وأطع. قال: أما الطاعة فأرجو، ولا سبيل إلى الإسلام، فما عندك إن لم أسلم؟ قلت: لا بد من جزية. قال: أعفني. قلت: كلاً. قال: فأنا منصرف على أمانني. فأذِنْتُ له، وأمرتُهُم أن يسقوا فرسه، فلما رأى ذلك، دعا بدابةً غلامه، وترك فرسه، وقال: لن آخذُ شيئاً ارتفقَ منكم، فأحاربكم عليه، فاستحييت وطلبتَه، فلما دخل، قلت: الحمد لله، ظفرتُ بك بلا عهد. قال: وكيف؟ قلت: لأنك انصرفت من عندي، وقد عدت، قال: شرطك أن تصرفني إلى أمانني، فإن كان دارك أمانني، فلستُ بخائف، وإن كان أمانني أرضي، فردَّني، فجهدت به أن يؤدِّي جزية على أن أهبه في السنة ألفي دينار، فأبى، وذهب فأسعر الدنيا شراً، وحُمِلَ مالٌ من مصر، فتعرَّضَ له، فكتب النعمان إليَّ، فأمرته بمحاربتَه، فسار النعمان، ووافاه اليهودي في جماعته، فسأله النعمان الانصراف، فأبى، وقال: بارزني، وإن

(١) انظر السير: ٥٦١/١٠ - ٥٥٧ - ٥٦١

شئت، برزت وحدي إليك وإلى جندك. فقال النعمان: يا يحيى، ويحك أنت
حَدَّثَ قَدْ بُلِّيتَ بالعُجب، ولو كنت من أنفس قريش لما أمكنك معارَة السلطان،
وهذا الأمير هو أخو الخليفة، وأنا - وإن افترقنا في الدين - أحب أن لا يقتل على
يديّ فارس، فإن كنت تُحِبُّ السلامة، فابرز إليّ ولا يُبتلى بنا غيرنا، فبرز له
العصر، فما زالا في مبارزة إلى الليل، فوقف كل منهما على فرسه متكئاً على
رمحه، فنعس النعمان، فطعنه اليهودي، فيقع سنانُ رمحه في المِنطقة، فدارت،
وصارت السنان يدور معها، فاعتنقه النعمان، وقال: أغدراً يا ابن اليهودية؟ فقال:
أو مُحارب ينام يابن الأمة؟! فاتكأ عليه النعمان، فسقط فوقه، وكان النعمان
ضخماً، فصار فوقه، فذبح اليهودي، وبعث إليّ برأسه، فاطمأنت البلاد، ثم وليّ
بعدي عمي سليمان، فانتهبه أهل دمشق، وسبوا حرمة.

[١] قال الخطيب: بُويع إبراهيم بالخلافة زمن المأمون، فحارب الحسن بن سهل،
فهزّمه إبراهيم، ثم أقبل لحربه حميد الطوسي، فهزّم جمع إبراهيم، واختفى
إبراهيم زماناً إلى أن ظفر به المأمون، فعفا عنه.

[٢] وعن منصور بن المهدي قال: كان أخي إبراهيم إذا تنحج، طرب من يسمعه،
فإذا غنى، أصغت الوحوش حتى تضع رؤوسها في حجره، فإذا سكّت، هربت.
وكان إذا غنى لم يبق أحد إلا ذهل.

[٣] وقال ابن الفضل بن الربيع: ما اجتمع أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن
المهدي وأخته عليّة.

[٤] قال ثمامة بن أشرس: قال لي المأمون: قد عزمْتُ على تقريع عمي،
فحضرت، فجئني إبراهيم مغلولاً قد تهدّل شعره على عينيه، فسلم، فقال:
المأمون: لا سلم الله عليك، أكفراً بالنعمة وخروجاً عليّ؟ فقال: يا أمير المؤمنين،
إن القدرة تُذهب الحفيظة، ومن مدّ له في الاغترار هجمت به الأناة على التلف،
وقد رفعك الله فوق كلّ ذنب كما وضع كلّ ذي ذنب دونك، فإن تعاقب، فبحقك،

وإن تعف فبفضلك . قال : إن هذين يعني ابنه العباس والمعتصم يشيران بقتلك .
قال : أشارا عليك بما يشار به على مثلك في مثلي ، والملك عقيم ، ولكن تأبى لك
أن تستجلب نصراً إلا من حيث عودك الله ، وأنا عمك ، والعم صنو الأب ، ويكى .
فَتَغَرَّغْتَ عينا المأمون ، وقال : خلوا عن عمي ، ثم أحضره ، ونادمه ، وما زال به
حتى ضرب له بالعود .

[١] وقيل : إن أحمد بن خالد الوزير ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن قتلته ، فلك نظراء ،
وإن عفوت ، لم يكن لك نظير .
توفي إبراهيم في سنة أربع وعشرين ومئتين .

٤٦٢ أبو نصر التمار (م ، س) (١)

[٢] عبد الملك بن عبدالعزيز بن عبد الملك .

مولده عام مقتل أبي مسلم الخراساني .

وقال أبو حاتم : ثقة ، يُعدُّ من الأبدال .

توفي ببغداد في سنة ثمان وعشرين ومئتين ، ودفن بباب حرب ، وهو ابن إحدى
وتسعين سنة ، وكان بصره قد ذهب .

[٣] قال أبو زرعة الرازي : كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر التمار ،
ولا ابن معين ، ولا مِمَّنْ امْتَحِنَ ، فأجاب .

[٤] وقال أبو الحسن الميموني : صحَّ عندي أنه - يعني أحمد - لم يحضر أبا نصر
التمار حين مات ، فحسبت أن ذلك لما كان أجاب في المحنة .

[٥] قلت : أجاب تقيَّةً وخوفاً من النكال ، وهو ثقة بحاله والله الحمد .

[٦] قال محمد بن محمد بن أبي الورد : قال لي مؤذن بشر بن الحارث : رأيت بشراً
رحمه الله في المنام ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي .

(١) انظر السير : ١٠ / ٥٧١ - ٥٧٤

قلت: ما فعل بأحمد بن حنبل؟ قال: غفر له. فقلت: ما فعل بأبي نصر التمار؟ قال: هيهات، ذاك في عليين، فقلت: بماذا نال ما لم تنالاه؟ فقال: بفقره وصبره على بُنيّاته.

٤٦٣ خَلَفَ بن هِشَام (م، د) (١)

[١] ابن ثعلب، الإمام الحافظ الحجة، شيخ الإسلام، أبو محمد البغدادي البزار، المقرئ.

مولده سنة خمسين ومئة.

[٢] وله اختيار في الحروف صحيح ثابت ليس بشاذ أصلاً، ولا يكاد يخرج فيه عن القراءات السبع، وأخذ عنه خلق لا يُحصون.

[٣] قال حمدان بن هاني المقرئ: سمعته يقول: أشكل عليّ باب من النحو، فأنفقت ثمانين ألف درهم حتى حدّثته.

[٤] قال أبو الحسن عبد الملك الميموني: قال رجل لأبي عبد الله: ذهبت إلى خَلَفِ البزار أعظه، بلغني أنه حدّث بحديث عن الأحوص عن عبد الله قال: «ما خلق الله شيئاً أعظم...» وذكر الحديث، فقال أبو عبد الله، ما كان ينبغي له أن يحدث بهذا في هذه الأيام - يريد زمن المحنة - والتمن: «ما خلق الله من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي» وقد قال أحمد بن حنبل لما أوردوا عليه هذا يوم المحنة: إن الخلق واقع ها هنا على السماء والأرض وهذه الأشياء، لا على القرآن.

[٥] قلت: كذا ينبغي للمحدّث أن لا يشهر الأحاديث التي يتشبّث بظاهرها أعداء السنن من الجهمية، وأهل الأهواء، والأحاديث التي فيها صفات لم تثبت، فإنك لن تحدّث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم، إلا كان فتنةً لبعضهم، فلا تكتم العلم الذي هو علم، ولا تبذله للجّهلة الذين يشغبون عليك، أو الذين

(١) انظر السير: ١٠ / ٥٧٦ - ٥٨٠

يفهمون منه ما يضرهم.

[١] وقال: أعدت الصلاة أربعين سنة كنت أتناول فيها الشراب على مذهب الكوفيين.

[٢] قال الحسين بن فهم: ما رأيت أنبل من خلف بن هشام، كان يبدأ بأهل القرآن، ثم يأذن لأصحاب الحديث.

[٣] إسحاق بن إبراهيم بن أبي حسان الأنماطي، حدثنا أحمد بن إبراهيم وراق خلف بن هشام أنه سمع خلفاً يقول: قدمت الكوفة، فصرت إلى سليم بن عيسى، فقال لي: ما أقدمك؟ قلت: أقرأ على أبي بكر بن عياش، فقال: لا تريده، قلت: بلي، فدعا ابنه وكتب معه إلى أبي بكر، لم أدر ما كتب، فأتينا منزل أبي بكر.

قال ابن أبي حسان: وكان لخلف تسع عشرة سنة، فلما قرأ الورقة، قال: أدخل الرجل، فدخلت وسلمت، فصعد في النظر، ثم قال: أنت خلف؟ قلت: نعم، قال: أنت لم تخلف ببغداد أحداً أقرأ منك؟ فسكت، فقال لي: اقعد، هات أقرأ، قلت: أعليك؟ قال: نعم، قلت: لا والله، لا أقرأ على رجل يستصغر رجلاً من حملة القرآن، ثم خرجت، فوجه إلى سليم يسأله أن يرُدني فأبيت، ثم إني ندمت واحتجبت، فكتبت قراءة عاصم عن يحيى بن آدم عن أبي بكر.

[٤] قال النقاش: قال يحيى الفحام: رأيت خلف بن هشام في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال غفر لي.

توفي خلف في سنة تسع وعشرين ومئتين، وقد شارف الثمانين.

٤٦٤ سعيد بن كثير بن عفير (خ، م، س) (١)

[٥] الإمام الحافظ العلامة الأخباري الثقة أبو عثمان المصري. مولده سنة ست

وأربعين ومئة. وهو من موالى الأنصار.

(١) انظر السير: ١٠ / ٥٨٣-٥٨٦

[١] قال ابن عدي: هو عند الناس ثقة، ثم ساق قول أبي إسحاق السَّعْدِي الجوزجاني في سعيد بن عفير: فيه غير لون من البدع، وكان مُخَلِّطاً غير ثقة، فهذا من مُجازفات السَّعْدِي.

[٢] قال ابن عدي: هذا الذي قاله السَّعْدِيُّ لا معنى له، ولم أسمع أحداً، ولا بلغني عن أحد كلاماً في سعيد بن عفير، وقد حَدَّثَ عنه الأئمة، إلا أن يكون السَّعْدِي أراد به سعيد بن عفير آخر. وقال يحيى بن مَعِين: رأيت بمصر ثلاث عجائب: النيل، والأهرام، وسعيد بن عفير.

قلتُ: حسبك أن يحيى إمام المحدثين انبهر لابن عفير. وقال أبو سعيد بن يونس: كان سعيد من أعلم الناس بالأنساب، والأخبار الماضية، وأيام العرب والتواريخ، كان في ذلك كله شيئاً عجيباً، وكان مع ذلك أديباً فصيحاً، حسن البيان، حاضر الحجة، لا تُملُّ مجالسته، ولا يُنزَفُ علمه.

[٣] علي بن عبد الرحمن، حدثنا سعيد بن كثير بن عفير قال: كنا بُقَّةَ الهواء عند المأمون فقال لنا: ما أعجب فرعون من مصر حيث يقول: ﴿أليس لي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف ٥١].

فقلتُ: يا أمير المؤمنين، إن الذي ترى بقية ما دُمِر. قال تعالى: ﴿ودمّرنا ما كان يصنّع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾ [الأعراف ١٣٧] قال: صدقت. ثم أمسك. مات سعيد بن عفير سنة ست وعشرين ومئتين.

٤٦٥ نعيم بن حماد بن معاوية (خ، د، ت، ق) (١)

[٤] الإمام العلامة الحافظ، أبو عبدالله الخزاعي المروزي الفرضي الأعور، صاحب التصانيف.

[٥] عن أحمد قال: أول من عرفناه يكتب المسند نعيم بن حماد.

(١) انظر السير: ١٠ / ٥٩٥-٦١٢

[١] العباس بن مصعب قال: وضع نعيم بن حماد الفَرَضِيُّ كِتَاباً في الرَّدِّ على أبي حنيفة، وناقضَ محمد بن الحسن.

[٢] فقال ابن المبارك: نعيمٌ هذا قد جاء بأمر كبير، يريد أن يُبطل نكاحاً قد عُقدَ، ويُبطل بيوعاً قد تقدمت، وقوم توالدوا على هذا، ثم خرج إلى مصر، فأقام بها نحو نيف وأربعين سنة، وكتبوا عنه بها، وحُمِلَ إلى العراق في امتحان (القرآن مخلوق) مع البُوَيْطِيِّ مُقَيِّدِينَ، فمات نعيمٌ بالعسكر سنة تسعٍ وعشرين.

قلت: نعيمٌ من كبار أوعية العلم، لكنه لا تركنُ النفسُ إلى رواياته.

[٣] قال عبد الخالق بن منصور: رأيتُ يحيى بن معين كأنه يُهَجِّنُ نعيم بن حماد في خبر أم الطفيل في الرؤية، ويقول: ما كان ينبغي له أن يحدث بمثل هذا.

[٤] فأما خبر أم الطفيل، فرواه محمد بن إسماعيل الترمذي وغيره، حدثنا نعيم، حدثنا ابن وهب، أخبرنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال أن مروان بن عثمان حدث عن عُمارة بن عامر، عن أم الطفيل امرأة أبي بن كعب: سمعتُ رسول الله ﷺ يذكر أنه رأى ربه في صورة كذا. فهذا خبرٌ منكراً جداً، أحسن النسائي حيث يقول: ومن مروان بن عثمان حتى يُصدَّقَ على الله؟! وهذا لم ينفرد به نعيم، فقد رواه أحمد بن صالح المصري الحافظ، وأحمد بن عيسى التستري، وأحمد بن عبد الرحمن بن وهب، عن ابن وهب. قال أبو زرعة النَّصْرِي: رجاله معروفون.

قلت: بلا ريب قد حدث به ابن وهب وشيخُه وابن أبي هلال، وهم معروفون عدول، فأما مروان، وما أدراك ما مروان، فهو حفيد أبي سعيد المَعْلِي الأنصاري وشيخه هو عُمارة بن عامر بن عمرو بن حزم الأنصاري.

[٥] ولئن جَوَزْنَا أن النبي ﷺ قال، فهو أدري بما قال، ولرواياه في المنام تعبير لم يذكره عليه السلام، ولا نحن نُحسن أن نعبِّره، فأما أن نحمله على ظاهره الحسِّي، فمعاذ الله أن نعتقد الخوض في ذلك بحيث إن بعض الفضلاء قال: تصحَّف الحديث، وإنما هو: رأي رثيَّه بياءٍ مشدَّدة، وقد قال علي رضي الله عنه: حدثوا

الناس بما يعرفون، ودعوا ما يُنكرون. وقد صحَّ أن أبا هريرة كتم حديثاً كثيراً مما لا يحتاجه المسلم في دينه، وكان يقول: لو بثَّته فيكم لقطع هذا البلعوم، وليس هذا من باب كتمان العلم في شيء، فإن العلم الواجب يجب بثُّه ونشره ويجب على الأمة حفظه، والعلم الذي في فضائل الأعمال مما يصح إسناده يتعين نقله ويتأكد نشره، وينبغي للأمة نقله، والعلم المباح لا يجب بثُّه ولا ينبغي أن يدخل فيه إلا خواصُّ العلماء.

[١] والعلم الذي يحرم تعلُّمه ونشره علم الأوائل والهيئات الفلاسفة وبعض رياضتهم بل أكثره، وعلم السحر، والسِّيمياء، والكيمياء، والشَّعْبَذَة، والحِجَل، ونشرُ الأحاديث الموضوعة، وكثير من القصص الباطلة أو المنكرة، وسيرة البَطَّال المختلقة، وأمثال ذلك، ورسائل إخوان الصِّفا، وشعرٌ يُعرض فيه إلى الجناب النبوي، فالعلوم الباطلة كثيرة جداً فلتُحذر، ومن ابتلي بالنظر فيها للفرجة والمعرفة من الأذكياء، فليقلل من ذلك، وليطالعه وحده، وليستغفر الله تعالى، وليلتجئ إلى التوحيد، والدُّعاء بالعافية في الدين، وكذلك أحاديث كثيرة مكذوبة وردت في الصِّفات لا يحلُّ بثُّها إلا التحذير من اعتقادها، وإن أمكن إعدامها فحسن. اللهم فاحفظ علينا إيماننا، ولا قوة إلا بالله.

[٢] أبو سهل بن زياد القَطَّان، أخبرنا محمد بن إسماعيل الترمذي، سمعتُ نعيم بن حماد يقول: من شبه الله بخلقه، فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه، فقد كفر وليس في ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه.

[٣] قلتُ: هذا الكلام حق، نعوذ بالله من التشبيه ومن إنكار أحاديث الصِّفات، فما يُنكرُ الثابت منها من فقه، وإنما بعد الإيمان بها هنا مقامان مذمومان:

[٤] تأويلها وصرفها عن موضع الخطاب، فما أولها السِّلْفُ ولا حَرَفُوا ألفاظها عن مواضعها، بل آمنوا بها، وأمرُّوها كما جاءت.

[١]المقام الثاني : المبالغة في إثباتها، وتصوُّرها من جنس صفات البشر، وتشكُّلها في الذَّهن، فهذا جهل وضلال، وإنما الصِّفة تابعة للموصوف، فإذا كان الموصوف عزَّ وجلَّ لم نره، ولا أخبرنا أحد أنه عاينه مع قوله لنا في تنزيله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى ١١] فكيف بقي لأذهاننا مجال في إثبات كَيْفِيَّةِ الباري، تعالى الله عن ذلك، فكذلك صفاته المُقدَّسة، نُقربُها ونعتقد أنها حق، ولا نُمثِّلُها أصلاً ولا نَتَشكِّلُها.

الطبقة الثانية عشرة

٤٦٦ محمد بن سعد^(١)

[١] ابن منيع، الحافظ العلامة الحجة، أبو عبدالله البغدادي، كاتب الواقدي، ومصنف «الطبقات الكبير» في بضعة عشر مجلداً و«الطبقات الصغير» وغير ذلك. وُلد بعد الستين ومئة.

وطلب العلم في صباه، ولحق الكبار.

وكان من أوعية العلم، ومن نظر في «الطبقات» خضع لِعِلْمِهِ.

سُلَيْمَانُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الْخَلِيلِ: سمعتُ إبراهيمَ الحَرَبِيَّ يَقُولُ: كَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يُوَجِّهُ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ بِحَنْبَلٍ إِلَى ابْنِ سَعْدٍ يَأْخُذُ مِنْهُ جُزْأَيْنِ مِنْ حَدِيثِ الْوَاقِدِيِّ يَنْظُرُ فِيهِمَا، قَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَلَوْ ذَهَبَ سَمِعَهُمَا، كَانَ خَيْرًا لَهُ.

قَالَ ابْنُ فَهْمٍ: مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ صَاحِبُ الْوَاقِدِيِّ، وَهُوَ مَوْلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، تُوِّفِيَ بِبَغْدَادَ، فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَمِئَتَيْنِ، وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً.

قَالَ: وَكَانَ كَثِيرَ الْعِلْمِ، كَثِيرَ الْحَدِيثِ وَالرَّوَايَةِ، كَثِيرَ الْكُتُبِ، كَتَبَ الْحَدِيثَ وَالْفَقْهَ وَالْغَرِيبَ.

(١) انظر السير: ١٠/٦٦٤-٦٦٧

الجزء الحادي عشر

٤٦٧- ابن شُبُويَّة (د) (١)

- [١] الإمام القدوة المحدث، شيخ الإسلام، أبو الحسن، أحمد بن محمد بن ثابت، الخزاعي المروزي الحافظ، ابن شُبُويَّة.
- [٢] قال عبدالله بن أحمد بن شُبُويَّة: سمعت أبي يقول: مَنْ أراد عِلْمَ القبر، فعليه بالأثر، وَمَنْ أراد عِلْمَ الخُبز، فعليه بالرأي.
- [٣] وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: حدثني ثابت بن أحمد بن شُبُويَّة قال: كان يُخِيلُ إِلَيَّ أن لأبي فضيلةً على أحمد بن حنبل لجهاده، وفكاك الأسرى، فسألت أخي عبدالله، فقال: أحمد بن حنبل أرجح، فلم أقنع، فَأَرَيْتُ شيخاً حوله الناس، يسألونه، ويسمعون منه، فسألتُهُ عنهما، فقال: سبحان الله!! إن أحمد ابن حنبل ابتلي فصبر، وإن ابن شُبُويَّة عوفي، المُبتلى الصابر كالمُعافى؟! هيهات.

توفي سنة ثلاثين ومئتين، وهو ابن ستين سنة.

٤٦٨- أحمد بن حَرَب (٢)

- [٤] ابن فيروز، الإمام القدوة، شيخ نيسابور، أبو عبدالله النيسابوري الزاهد. كان من كبار الفقهاء والعباد.
- [٥] قال زكريا بن دَلْوَيْه: كان أحمد بن حَرَب إذا جلس بين يدي الحُجَّام ليُحْفِي شاربه، يَسِجُ، فيقول له الحُجَّام: اسكت ساعة، فيقول: اعمل أنت عملك، وربما قطع من شفته، وهو لا يعلم.

(١) انظر السير: ١١ / ٩-٧

(٢) انظر السير: ١١ / ٣٥-٣٢

[١] مرَّ أحمد بنُ حرب بصبيان يلعبون، فقال أحدهم: أمسكوا، فإن هذا أحمد ابن حرب الذي لا ينام الليل، فقبض على لحيته، وقال: الصبيان يهابونك وأنت تنام؟ فأحْيى الليل بعد ذلك حتى مات.

[٢] رَغِبَ الناس في سماع كتبه، ثم إن أمَّهُ ماتت سنة عشرين ومئتين فحج، وعاود الغزو، وخرج إلى بلاد التُّرك، وافتتح فتحاً عظيماً، غُبطَ به فسعى به الأعداء إلى ابن طاهر، فأحضره، ولم يأذن له في الجلوس وقال: أخرج وتجمع إلى نفسك هذا الجمع، وتخالف أعوان السلطان؟ ثم إن ابن طاهر عرف صِدْقَه، فتركه، فسار، وجاور بمكة. وكان تتجَلَّه الكَرَامِيَّة، وتعظمه لأنه أستاذ محمد بن كَرَام، ولكنه سليمُ الاعتقاد بحمد الله.

[٣] وعن يحيى بن يحيى التميمي، قال: إن لم يكن أحمد بن حرب من الأبدال، فلا أدري مَنْ هم؟!!!

[٤] قال أحمد بن حرب: عبدتُ الله خمسين سنة، فما وجدت حلاوة العبادة حتى تركتُ ثلاثة أشياء: تركت رِضى الناس حتى قَدَرْتُ أن أتكلَّم بالحق، وتركتُ صحبة الفاسقين حتى وجدت صحبة الصالحين، وتركت حلاوة الدنيا حتى وجدت حلاوة الآخرة.

[٥] وقيل: إنَّهُ استسقى لهم ببخارى، فما انصرفوا إلا يخوضون في المطر رحمة الله عليه. مات سنة أربع وثلاثين ومئتين، وقد قارب الستين.

٤٦٩- عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ^(١) (خ، د، م، س)^(٢)

[٦] الشيخ الإمام الحُجَّة، أمير المؤمنين في الحديث، أبو الحسن علي بن عبد الله ابن جعفر السعدي، مولا هم البصري، المعروف بابن المديني. مولد علي في سنة إحدى وستين ومئة، بالبصرة.

(١) انظر السير: ٤١/١١ - ٦٠.

(٢) لقد شدد الذهبي المؤلف، رحمه الله، النكير على العقيلي لإيراده علي بن المديني في كتابه «الضعفاء» فقال في «ميزانه» ٣/١٤٠ و ١٤١: وقد بدت منه هفوة ثم تاب منها، وهذا أبو عبد الله البخاري - وناهيك به - =

[١] قال أبو حاتم الرازي: كان ابنُ المدينيَّ علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل. وكان أحمد بن حنبل لا يسميه، إنما يكنيه تَبَجِيلاً له.

[٢] إبراهيم بن بشار، حدثنا سفيان بن عيينة، فذكر حديثاً ثم قال سفيان: تلومني على حبِّ عليٍّ، والله لقد كنت أتعلم منه أكثر مما يتعلم مني.

كان سفيان يُسمي عليَّ بن المديني حَيَّة الوادي.

[٣] وقال عباس العنبري: كان يحيى القطان ربما قال: لا أحدث شهراً ولا أحدث كذا، فحدثت أنه حدث ابن المديني قبل انقضاء الشهر. قال: فكلمت يحيى في ذلك، فقال: إني أستثني علياً، ونحن نستفيد منه أكثر مما يستفيد منا.

[٤] قال أبو قدامة السرخسي: سمعتُ علياً يقول: رأيت كأن الثريا تدلت حتى تناولتها.

قال أبو قدامة: صدق الله رؤياه، بلغ في الحديث مبلغاً لم يبلغه أحد.

قال إبراهيم بن معقل: سمعت البخاري، يقول: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند عليَّ بن المديني.

[٥] قال عباس العنبري: لعله كان يقدم على الحسن البصري، كان الناس يكتبون قيامه وعوده ولباسه، وكل شيء يقول أو يفعل أو نحو هذا.

[٦] قال أحمد بن أبي خيثمة: سمعت ابن معين، يقول: كان علي بن المديني إذا قدم علينا، أظهر السنة، وإذا ذهب إلى البصرة أظهر التشيع.

= قد شحن صحيحه بحديث علي بن المديني. ولو تركت حديث علي وصاحبه محمد، وشيخه عبدالرزاق، وعثمان بن أبي شيبة... لغلقتنا الباب، وانقطع الخطاب، ولماتت الآثار، واستولت الزنادقة، ولخرج الدجال. أفما لك عقل يا عقيلي؟! أتدري فيمن تتكلم؟ وإنما تبغناك في ذكر هذا النمط لنذب عنهم، ولنزيّف ما قيل فيهم. كأنك لا تدري أن كل واحد من هؤلاء أوثق منك بطبقات، بل وأوثق من ثقات كثيرين لم توردهم في كتابك، فهذا مما لا يرتاب فيه محدث. وأنا أشتفي أن تعرفني من هو الثقة الثبت الذي ما غلط ولا انفرّد بما لا يتابع عليه. بل الثقة الحافظ إذا انفرّد بأحاديث، كان أرفع له، وأكمل لرتبته، وأدل على اعتناؤه بعلم الأثر، وضبطه دون أقرانه لأشياء ما عرفوها، اللهم إلا أن يتبين غلظه ووهمه في الشيء، فيعرف ذلك فانظر أول شيء إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الكبار والصغار، ما فيهم أحد إلا وقد انفرّد بسنة، فيقال له: هذا الحديث لا يتابع عليه!! وكذلك التابعون، كل واحد عنده ما ليس عند الآخر من العلم، وما الغرض هذا، فإن هذا مقرر على ما ينبغي في علم الحديث.

قلت: كان إظهاره لمناقب الإمام علي بالبصرة، لمكان أنهم عثمانية، فيهم انحراف على علي.

[١] قال عبدالله بن أبي زياد القَطَواني: سمعت أبا عبيد: يقول: انتهى العلم إلى أربعة: أبوبكر بن أبي شيبة أسرّدهم له، وأحمد بن حنبل أفقّهم فيه، وعلي ابن المدني أعلمهم به، ويحيى بن معين أكتبهم له.

[٢] قال أبو أمية الطرسوسي: سمعتُ عليّاً، يقول: ربما أذكّر الحديث في الليل، فأمر الجارية تُسرجُ السراجَ فأنظر فيه.

[٣] قال ابن عمار الموصلي في «تاريخه»: قال لي علي بن المدني: ما يمنعك أن تكفرَ الجَهميّة، وكنت أنا أولاً لا أكفرهم؟ فلما أجاب علي إلى المحنة، كتبتُ إليه أذكره ما قال لي، وأذكره الله. فأخبرني رجلٌ عنه أنه بكى حين قرأ كتابي. ثم رأيتُه بعد، فقال لي: ما في قلبي مما قلت وأجبت إلى شيء، ولكنني خفت أن أقتل، وتعلّم ضعفي أنّي لو ضربت سوطاً واحداً لمت، أو نحو هذا.

[٤] قال ابنُ عمار: ودفع عني عليّ امتحان ابن أبي دُوادٍ إياي، شفعَ فيّ ودفع في غير واحد من أهل الموصل من أجلي، فما أجابَ دِيانَةَ إلا خوفاً.

[٥] قال عبدالرحمن بن أبي حاتم: كان أبو زُرْعَةَ ترك الرواية عن عليّ من أجل ما بدا منه في المحنة، وكان والدي يروي عنه لنزوعه عما كان منه. قال أبي: كان عليّ علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل.

قلت: ويروى عن عبدالله بن أحمد، أن أباه أمسك عن الرواية عن ابن المدني، ولم أر ذلك، بل في «مسنده» عنه أحاديث، وفي «صحيح البخاري» عنه جملة وافرة.

مات بسامراً في سنة أربع وثلاثين ومئتين.

٤٧٠- أبوتَمَام^(١)

[١] شاعر العصر أبوتَمَام، حَبِيبُ بن أوس بن الحارث الطائي أسلم وكان نصرانياً. مدح الخلفاء والكُبراء. وشعره في الذُّرَّة.

وكان أسمر طَوَلاً فصيحاً، عذب العبارة مع تَمَتَّة قليلة.

وُلِدَ في أيام الرشيد، وكان أولاً حدثاً يَسْقِي الماء بمصر، ثم جالس الأدباء، وأخذ عنهم وكان يتوقَّذُ ذكاءً. وسَحَّتْ قريحته بالنظم البديع. فسمع به المعتصم، فطلبه، وقَدَّمه على الشعراء، وله فيه قصائد. وكان يُوصف بطيب الأخلاق والظُّرف والسماحة.

وقيل: قَدِمَ في زِيِّ الأعراب، فجلس إلى حلقة من الشعراء، وطلب منهم أن يسمعوا من نظمه، فشاع وذاع وخضعوا له. وصار من أمره ما صار. وقد كان البحتري يرفع من أبي تمام، ويقدِّمه على نفسه، ويقول: ما أكلت الخبز إلا به، وإنِّي تابع له.

[٢] وهو القائل:

وَلَوْ كَانَتِ الْأَرْزَاقُ تُجْرَى عَلَى الْحِجَى هَلَكْنَ إِذَا مِنْ جَهْلِهِنَّ الْبَهَائِمُ
وَلَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وَغَرْبٌ لِقَاصِدٍ وَلَا الْمَجْدُ فِي كَفِّ امْرِئٍ وَالْدَّرَاهِمُ

[٣] وديوان أبي تمام كبير سائر، ولمَّا مات، رثاه محمد بن عبد الملك الوزير فقال:

نَبَأُ أَلَمٍ مُقْلِقِلُ الْأَحْشَاءِ لَمَّا أَتَى مِنْ أَعْظَمِ الْأَنْبَاءِ
قَالُوا حَبِيبٌ قَدْ تَوَى فَاجَبَّتْهُمْ نَاشِدْتُكُمْ لَا تَجْعَلُوهُ الطَّائِي

مات سنة اثنتين وثلاثين ومئتين.

[٤] وله في المعتصم أو ابنه:

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حُلْمٍ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَّاسٍ

(١) انظر السير: ١١ / ٦٣-٦٩.

[١] فقال الوزير: شبهت أمير المؤمنين بأجلاف العرب، فأطرق ثم زادها: لا تُنْكروا ضَرْبِي لَهُ من دُونِهِ مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ فالله قد ضرب الأَقْلَ لنوره مَثَلًا من المِشْكَاةِ والنُّبْرَاسِ

٤٧١- يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ (خ، م، د) (١)

هو الامامُ الحافظُ الجُهْدُ، شيخُ المحدثين، أبو زكريا، يحيى بنُ معِين بنِ عون. العُظْفاءُني ثم المُرِّي، مولا هم البغدادي، أحدُ الأعلام. ولد سنة ثمان وخمسين ومئة.

وهو أَسَنُ الجماعةِ الكبار الذين هم: علي بن المديني، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو بكر بن أبي شَيْبَةَ، وأبو خَيْثَمَةَ، فكانوا يتأدّبون معه، ويعترفون له، وكان له هبة وجلالة، يركب البغلة ويتجمل في لباسه، رحمه الله تعالى.

قال أبو الحسن بن البراء، سمعتُ عليّاً يقول: لا نعلمُ أحداً من لَدُنْ آدم كتب من الحديث ما كتب يحيى.

قال أحمد بنُ عُقْبَةَ، سألتُ يحيى بنَ معِين: كم كتبتُ من الحديث؟ قال: كتبتُ بيدي هذه ستُّ مئة ألفِ حديثٍ - قلت: يعني بالمكرر.

[٢] عبد الخالق بن منصور: سمعتُ ابن الرومي، يقول: ما رأيتُ أحداً قط يقول الحقَّ في المشايخ غير يحيى، وغيره كان يتحاملُ بالقول.

قلت: هذا القول من عبد الله بن الرومي غير مقبول، وإنما قاله باجتهاده، ونحن لا ندعي العِصْمَةَ في أئمة الجرح والتعديل، لكن هم أكثر الناس صواباً، وأندرهم خطأً، وأشدّهم إنصافاً، وأبعدهم عن التحامل، وإذا اتفقوا على تعديل أو جرح، فتمسك به، واعضضْ عليه بناجذيك، ولا تتجاوزَه، فتندم. ومن شدَّ

(١) انظر السير: ١١ / ٩٦-٧١.

منهم، فلا عبرة به. فخلَّ عنك العناء، وأعطِ القوس باريها، فوالله لولا الحُفَافُ الأَكابر، لَخَطَبَتِ الزنادقةُ على المَنابر، ولئن خَطَبَ خَاطِبٌ من أَهْلِ البِدْعِ فَإِنَّمَا هو بسيف الإسلام وبلسان الشريعة وبجاءِ السنَّةِ وبإظهار متابعة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فنعوذُ بالله من الخذلان.

[١] ومن نادر ما شدَّ به ابن معين، رحمه الله، كلامه في أحمد بن صالح حافظ مصر، فإنه تكلم فيه باجتهاده، وشاهد منه ما يُلَيِّنُه باعتبار عدالته لا باعتبار إتقانه، فإنه متقنٌ ثبَّت، ولكن عليه مأخذ في تيهٍ وبأوٍ كان يتعاطاه، والله لا يُحب كلَّ مختالٍ فخور، ولعله اطلع منه على حال في أيام شُبيبةِ ابنِ صالح، فتاب منه أو من بعضه، ثم شاخ، ولزم الخير، فلقبه البخاري والكبار، واحتجوا به. وأما كلامُ النسائي فيه، فكلامٌ مَوْتورٌ لأنه أذى النسائي، وطرده من مجلسه، فقال فيه: ليس بثقة.

[٢] وقال ابن الغلابي: قال يحيى: إني لأحدث بالحديث فأسهر له مخافة أن أكون قد أخطأت فيه.

وقال محمد بن هارون الفلاس: إذا رأيت الرجل يقع في يحيى بن معين فاعلم أنه كذاب، يَضَعُ الحديث، وإنما ييغضه لما يُبين من أمر الكذابين. [٣] وقال جعفر بن أبي عثمان: كنا عند يحيى بن معين، فجاءه رجل مستعجل، فقال: يا أبا زكريا، حدثني بشيء أذكرك به، فقال يحيى: اذكرني أنك سألتني أن أحدثك فلم أفعل.

[٤] الحسين بن فهم: سمعت يحيى بن معين، يقول: كنت بمصر، فرأيت جاريةً بيعت بألف دينار، ما رأيت أحسن منها، صلى الله عليها. فقلت: يا أبا زكريا، مثلك يقول هذا؟ قال: نعم، صلى الله عليها وعلى كل مليح. هذه الحكاية محمولة على الدُّعابة من أبي زكريا. وتروى عنه بإسناد آخر.

[٥] قال سعيد بن عمرو البردعي: سمعت الحافظ أبا زرعة الرازي، يقول: كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر التَّمَّار، ولا عن يحيى بن معين، ولا عن أحد ممن امتحن فأجاب.

[١] قلت: هذا أمر ضيق، ولا حرج على من أجاب في المحنة، بل ولا على من أكره على صريح الكفر عملاً بالآية. وهذا هو الحق. وكان يحيى رحمه الله من أئمة السنة، فخاف من سطوة الدولة، وأجاب تقيّة.

[٢] عباس الدوري: سمعت يحيى بن معين، يقول: كنت إذا دخلت منزلي بالليل، قرأت آية الكرسي على داري وعيالي خمس مرات، فيينا أنا أقرأ، إذا شيء يكلمني: كم تقرأ هذا؟ كأن ليس انسان يُحسن يقرأ غيرك؟ فقلت: أرى هذا يسوءك؟ والله لأزيدنك. فصرت أقرأها في الليلة خمسين ستين مرة.

[٣] قال إبراهيم بن عبدالله بن الجنيد: سمعت يحيى بن معين، يقول: ما الدنيا إلا كحلْم، والله ما ضرَّ رجلاً اتقى الله على ما أصبح وأمسى، لقد حججت وأنا ابنُ أربع وعشرين سنة، خرجت راجلاً من بغداد إلى مكة، هذا من خمسين سنة كأنما كان أمس. فقلت ليحيى: ترى أن ينظر الرجل في رأي الشافعي، وأبي حنيفة؟ قال: ما أرى لأحد أن ينظر في رأي الشافعي، ينظر في رأي أبي حنيفة أحب إليّ.

قلت: قد كان أبو زكريا رحمه الله حنيفاً في الفروع، فلهذا قال هذا، وفيه انحراف يسير عن الشافعي.

[٤] قال محمد بن جرير الطبري: خرج ابنُ معين حاجاً، وكان أكولاً فحدثني أبو العباس أحمد بن شاه أنه كان في رُفْقَتِهِ، فلما قدِموا فَيَدُ أَهْدِي إلى يحيى فالزوج لم ينضج، فقلنا له: يا أبا زكريا، لا تأكله فإننا نخاف عليك. فلم يعبأ بكلامنا وأكله، فما استقر في معدته حتى شكّا وجع بطنه وانسهل، إلى أن وصلنا إلى المدينة ولا نهوض له. فتفاوضنا في أمره، ولم يكن لنا سبيل إلى المُقام عليه لأجل الحج، ولم ندر ما نعمل في أمره. فعزم بعضنا على القيام عليه وترك الحج. وبتنا فلم يُصبح حتى وصّى ومات، فغسلناه ودفناه.

قال عباس الدوري: مات قبل أن يَحُجَّ عامئذٍ، وصلى عليه والي المدينة، وكلم الحزاميَّ الوالي، فأخرجوا له سرير النبيِّ، صلى الله عليه وسلم، فحمل عليه.

أحمد بن أبي خَيْثَمَة، قال: مات يحيى سنة ثلاث وثلاثين، وقد استوفى
خمسا وسبعين سنة، ودخل في الست، ودفن بالبقيع.

[١] قال حُبَيْش بن مَبْشَرُ الفقيه - وهو ثقة - : (رَأَيْتُ يَحْيَى بنَ مَعِينٍ فِي النُّومِ،
فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: أَعْطَانِي وَحَبَانِي وَزَوْجَنِي ثَلَاثَ مِئَةِ حَوْرَاءَ، وَمَهَّدَ
لِي بَيْنَ الْبَابَيْنِ، أَوْ قَالَ: بَيْنَ النَّاسِ. سَمِعَهَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي عَثْمَانَ مِنْ حُبَيْشٍ.

[٢] ورواها الحسين بن الخصيب، عن حُبَيْش، قال: رَأَيْتُ يَحْيَى بنَ مَعِينٍ فِي
النُّومِ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: أَدْخَلَنِي عَلَيْهِ فِي دَارِهِ وَزَوْجَنِي ثَلَاثَ مِئَةِ
حَوْرَاءَ. ثُمَّ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: انظُرُوا إِلَى عَبْدِي كَيْفَ تَطَرَّى وَحَسُنَ.

[٣] قال عباس، سمعت يحيى يقول في قوله: «لَا تَمْنَعُهُ نَفْسُهَا وَلَوْ كَانَتْ عَلَى
قَتَبٍ» قال: كانت المرأة في الجاهلية إذا أرادت أن تلد تقعدُ على قتب ليكون
أَسْرَعُ لَوْلَادَتِهَا.

[٤] وقال: لَسْتُ أَعْجَبُ مِمَّنْ يَحْدُثُ فِيخَطِيءَ، بَلْ مِمَّنْ يَصِيبُ.

[٥] وقال يحيى في من صلى خلف الصف وحده، قال: يُعِيدُ.

[٦] وقال في من صلى بقوم على غير وضوء، قال: لَا يَعِيدُونَ وَيُعِيدُ.

[٧] وقال لي: أَنَا أُوْتِرُ بِثَلَاثَ، وَلَا أَقْنِتُ إِلَّا فِي النِّصْفِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَأَرْفَعُ
يَدِي إِذَا قَنَنْتُ، وَلَا أَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْعِمَامَةِ، وَلَا أَرَى الصَّلَاةَ عَلَى رَجُلٍ يَمُوتُ
بغَيْرِ الْبَلَدِ - كَانَ يَحْيَى يُؤَهِّنُ هَذَا الْحَدِيثَ - وَلَا أَرَى أَنْ يَهَبَ الرَّجُلُ بَنَتَهُ بِلَا
مَهْرٍ، وَلَا أَنْ يَزُوجَهَا عَلَى سُورَةٍ. رَأَيْتُ يَحْيَى يُؤَهِّنُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ.

[٨] على بن الحسين بن الجنيد، سمعتُ يَحْيَى بنَ مَعِينٍ، يَقُولُ: إِنَّا لَنَطْعُنُ
عَلَى أَقْوَامٍ لَعَلَّهُمْ قَدْ حَطُّوا رِحَالَهُمْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ أَكْثَرِ مِنْ مِئَتِي سَنَةٍ. قَالَ ابْنُ
مَهْرَوَيْهِ: فَدَخَلْتُ عَلَى ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ، وَهُوَ يَقْرَأُ عَلَى النَّاسِ كِتَابَ «الْجَرَحِ
وَالْتَعْدِيلِ»، فَحَدَّثَنِي بِهَذِهِ الْحِكَايَةِ، فَبَكَى وَارْتَعَدَتْ يَدَاهُ حَتَّى سَقَطَ الْكِتَابُ مِنْ
يَدِهِ، وَجَعَلَ يَبْكِي، وَيَسْتَعِيدُنِي الْحِكَايَةَ، أَوْ كَمَا قَالَ.

٤٧٢- هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ (خ، م، د، س) (١)

[١] ابن أسود، الحافظ الصادق، مُسند وقته، أبو خالِد القيسي الثُّوبَانِيُّ البصري . وهو أخو الحافظ أُمِيَّة بن خالد .

وُلد بعد الأربعين ومئة بقليل .

واحتج به الشيخان . وما أدري مستند قول النسائي : هو ضعيف .

[٢] قلت : رافق أخاه في الطلب، وتشاركاً في ضبط الكتب، فساغ له أن يروي من كُتِبَ أخيه، فكيف بالماضين لو رأونا اليوم نسمع من أي صحيفة مُصَحَّفة على أَجْهَل شيخ له إجازة، ونروي من نسخة أخرى بينهما من الاختلاف والغلط ألوان، ففاضلنا يُصحح ما تيسر من حفظه، وطالبنا يتشاغل بكتابة أسماء الأطفال، وعالمنا ينسخ، وشيخنا ينام، وطائفة من الشبيبة في وادٍ آخر من المُشاركة والمحادثة . لقد اشتفى بنا كلُّ مبتدع ومُجنِّ كَلِّ مؤمن . أفهؤلاء الغُثاء هم الذين يحفظون على الأمة دينها؟ كلا والله . فرحم الله هُدْبَةَ، وأين مثلُ هُدْبَةَ؟ نعم ما هو في الحفظ كشعبة .

[٣] قال الحسن بن سُفيان : سمعتُ هُدْبَةَ بْنَ خَالِدٍ، يقول : صليت على شعبة . فقليل له : رأيته؟ فغضب، وقال : رأيته من هو خير منه حماد بن سلمة، وكان سُنيّاً، وكان شعبة رأيَه رأيَ الإرجاء .

[٤] قلت : كلا لم يكن شعبة مرجئاً ولعله شيء يسير لا يضره .

[٥] قال عَبْدَانُ الْأَهْوَازِيُّ : كنا لا نصلِّي خلف هُدْبَةَ من طول صلاته، يُسَبِّحُ في الركوع والسجود نيفاً وثلاثين تسبيحة . قال : وكان من أشبه خلق الله بهشام بن عمار، لحيته ووجهه، وكل شيء منه حتى صلاته . وقال ابن حبان : مات سنة ست أو سبع وثلاثين .

(١) انظر السير : ٩٧-١٠٠ .

٤٧٣- إسحاق النديم^(١)

[١] الإمام العلامة الحافظ ذو الفنون، أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلي الأخباري، صاحب الموسيقى، والشعر الرائق، والتصانيف الأدبية مع الفقه واللغة، وأيام الناس، والبصر بالحديث، وعُلُو المرتبة. ولد سنة بضع وخمسين ومئة.

[٢] وسمع من: مالك بن أنس، وهشيم بن بشير، وسفيان بن عيينة وبقية بن الوليد، وأبي معاوية الضرير، والأصمعي، وعدد كثير.

[٣] حدث عنه: ولده حماد الراوية، وشيخه الأصمعي، والزيبر بن بكار وأبو العيلاء، ويزيد بن محمد المهلب، وآخرون.

ولم يُكثَر عنه الحفاظ لاشتغاله عنهم بالدولة، وقيل: ولد سنة خمسين ومئة. صنّف كتاب «الأغاني» الذي يرويه عنه ابنه.

[٤] وعن إسحاق الموصلي قال: بقيت دهرًا من عمري أغلّس كل يوم إلى هشيم أو غيره من المحدثين، ثم أصير إلى الكسائي، أو الفراء، أو ابن غزالة، فأقرأ جزءًا من القرآن، ثم إلى أبي منصور زلزل^(٢) فيضارني طرقتين أو ثلاثة، ثم آتي عاتكة بنت شهدة، فأخذ منها صوتًا أو صوتين ثم آتي الأصمعي، وأبا عبيدة فأستفيد منهما، وآتي مجلس الرشيد بالعشي.

[٥] وعن إسحاق أنه كان يكره أن يُنسب إلى الغناء، ويقول: لأن أُضرب على رأسي بالمقارع أحب إليّ من أن يُقال عني: مُغَنّي. وقال المأمون: لولا شهرة إسحاق بالغناء، لو ليته القضاء.

[٦] وقد أنشد إسحاق الرشيد أبياتا يقول فيها:

عَطَائِي عَطَاءُ الْمُكْثَرِينَ تَكْرُمًا وَمَالِي كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ قَلِيلُ
وَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ أُحْرِمُ الْغِنَى وَرَأَيْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَلِيلُ

(١) انظر السير: ١١ / ١١٨-١٢١.

(٢) وهو الذي علّم إسحاق الموصلي ضرب العود.

فأمر له بمئة ألف درهم .
مات سنة خمس وثلاثين ومئتين .

٤٧٤ - داود بن رُشيد (خ، م، د، س) (١)

[١] الإمام الحافظُ الثقةُ، أبو الفضل الخوارزمي، ثم البغدادي مولى بني هاشم، رَحَّالٌ جَوَّالٌ، صاحبُ حديث .

[٢] إبراهيم الحربي: حدثنا داود بن رشيد قال: قمتُ ليلةً أصلي، فأخذني البرد لما أنا فيه من العُري، فأخذني النوم، فرأيتُ كأنَّ قاتلاً يقول: يا داود، أنمناهم وأقمناك فتبكي علينا؟ قال الحربي: فأظنُّ داود ما نامَ بعدها، يعني: ما ترك تهجد الليل .

[٣] قال: وسمعتُ داودَ يقول: قالت حكماءُ الهند: لا ظَفَرَ مع بَغْيٍ ولا صِحَّةٌ مع نَهَمٍ، ولا ثَناءٌ مع كِبَرٍ، ولا صداقةٌ مع خِبٍّ، (٢) ولا شرفٌ مع سوء أدبٍ ولا بَرٌّ مع شُحٍّ، ولا مَحَبَّةٌ مع هُزءٍ، ولا قضاءٌ مع عدمِ فِقْهٍ، ولا عُدْرٌ مع إصرارٍ ولا سِلْمٌ قَلْبٍ مع غِيبةٍ، ولا راحةٌ مع حَسَدٍ، ولا سُودَدٌ مع انتقامٍ، ولا رِئاسةٌ مع عِزَّةٍ نفسٍ وعُجْبٍ، ولا صوابٌ مَعَ تركِ مُشاورةٍ، ولا ثباتٌ مُلْكٍ مع تهاونٍ .
توفي في سنة تسع وثلاثين ومئتين، وهو من أبناء الثمانين، ولعل بعض أمراء الزمان يحوي هذه الخِلال الرديَّة .

٤٧٥ - عثمان بن أبي شيبة (خ، م، د، ق) (٣)

هو الإمام الحافظ الكبيرُ المفسر، أبو الحسن، عثمان بن محمد بن القاضي أبي شيبة، صاحب التصانيف، وأخو الحافظ أبي بكر .

(١) انظر السير: ١١ / ١٣٣-١٣٥ .

(٢) الخُبُّ، بالكسر والفتح: الخداع والحبث والغش .

(٣) انظر السير: ١١ / ١٥١-١٥٤ .

وُلِدَ بُعِيدُ السَّيْنِ وَمِثَّةٌ .

سُئِلَ عَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا .
وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ : ثِقَةٌ مَأْمُونٌ .

[١] وَهُوَ مَعَ ثِقَتِهِ صَاحِبُ دُعَابَةٍ حَتَّى فِيمَا يَتَصَحَّفُ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ سَامَحَهُ
اللَّهُ .

[٢] قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : جِئْتُهُ فَقَالَ لِي : إِلَى مَتَى لَا يَمُوتُ إِسْحَاقُ بْنُ
رَاهُوِيَهْ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : شَيْخٌ مِثْلَكَ يَتَمَنَّى هَذَا ؟ ! قَالَ : دَعْنِي فَلَوْ مَاتَ لَصَفَا لِي
جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ .

قُلْتُ : فَمَا عَاشَ بَعْدَ إِسْحَاقَ سِوَى خَمْسَةِ أَشْهُرٍ .

[٣] الدَّارِقُطْنِيُّ : أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ كَامِلٍ ، حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَبَابِ أَنَّ عَثْمَانَ
ابْنَ أَبِي شَيْبَةَ ، قَرَأَ عَلَيْهِمْ فِي التَّفْسِيرِ :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ [الفيل : ١] .

فَقَالَهَا : أَلْفَ لَامٍ مِيمٍ .

قُلْتُ هُوَ : إِمَّا سَبَقَ لِسَانُ ، أَوْ انْبَسَاطُ مُحَرَّمٍ .

[٤] وَقَالَ الْقَاضِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ كَاسٍ ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ الْخَصَّافُ قَالَ : قَرَأَ
عَلَيْنَا عَثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي التَّفْسِيرِ :

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ ، جَعَلَ ﴾ السَّفِينَةَ ، فَنَادُوا ﴿ السَّقَايَةَ ﴾ [يوسف :

[٧٠] .

فَقَالَ : أَنَا وَأَخِي لَا نَقْرَأُ لِعَاصِمٍ .

وَقَدْ أَكْثَرَ عَنْهُ الْبَخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» .

قَالَ مُطَيَّنٌ : مَاتَ عَثْمَانُ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِثْنَيْنِ .

٤٧٦ سالم بن حامد^(١)

[١] نائب دمشق للمتوكل، كان ظلوماً عسوفاً، شدد عليه طائفة من أشراف العرب فقتلوه بباب دار الإمارة يوم جمعة سنة بضع وثلاثين وميتين فبلغ المتوكل فتنمراً، وقال: مَنْ للشام في صولة الحجاج؟ فندب أفريدون التركي، فسار في سبعة آلاف فارس. ورخص له المتوكل في بذل السيف ضحوتين، وفي نهب البلد. فنزل بيت لَهَا. فلما أصبح قال: يا دمشق، أيش يحل بك اليوم مني، فقدمت له بغلة دهماء ليركبها، فضربته بالزوج على فؤاده فقتلته. فقبره كان معروفاً ببيت لَهَا، ورد عسكره إلى العراق. ثم جاء بعد المتوكل إلى دمشق وأنشأ قصرأً بداريأً، وصلح الحال.

٤٧٧ - الخزاعيُّ (د)^(٢)

[٢] الإمام الكبير الشهيد، أبو عبد الله، أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي المروزي ثم البغدادي. كان جدُّه أحد نُقباء الدولة العباسية، وكان أحمد أماراً بالمعروف، قوالاً بالحق.

قال ابنُ الجُنَيْد: سمعتُ يحيى بن معين يترحم عليه، وقال: ختم الله له بالشهادة، وقد كتبتُ عنه، وكان عنده مصنفاتٌ هُشيم كلها، وعن مالك أحاديث، وكان يقولُ عن الخليفة: ما دخل عليه من يصدُّقه. ثم قال يحيى: ما كان يُحدِّث، ويقول: لستُ هناك.

[٣] قال الصُّولي: كان هو وسهل بن سلامة حين كان المأمون بخراسان بايعا الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قدم المأمون فبايعه سهل، ولزم ابنُ نصر بيتَه، ثم تحرك في آخر أيام الواثق، واجتمع إليه خلقٌ يأمرُون

(١) انظر السير: ١١ / ١٦٢.

(٢) انظر السير: ١١ / ١٦٦ - ١٦٩.

بالمعروف. قال: إلى أن ملكوا بغداد، وتعدَّى رجُلان مُوسران من أصحابه، فَبَدَلَا مَالاً، وَعَزَمَا عَلَى الْوُثُوبِ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ فَنَمَّ الْخَبْرُ إِلَى نَائِبِ بَغْدَادِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، فَأَخَذَ أَحْمَدُ وَصَاحِبِيهِ وَجَمَاعَةً، وَوَجَدَ فِي مَنْزِلِ أَحَدِهِمَا أَعْلَاماً، وَضَرَبَ خَادِماً لِأَحْمَدَ، فَأَقْرَبَ أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا يَأْتُونَ أَحْمَدَ لَيْلاً، وَيُخْبِرُونَهُ بِمَا عَمِلُوا. فَحُمِلُوا إِلَى سَامَرَاءَ مُقَيَّدِينَ، فَجَلَسَ الْوَائِقُ لَهُمْ، وَقَالَ لِأَحْمَدَ: دَعْ مَا أَخَذْتَ لَهُ، مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: كَلَامُ اللَّهِ. قَالَ: أَمْخَلُوقُ هُوَ؟ قَالَ: كَلَامُ اللَّهِ. قَالَ: فَتَرَى رَبَّكَ فِي الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: كَذَا جَاءَتِ الرِّوَايَةُ. قَالَ: وَيَحْكُ يُرَى كَمَا يُرَى الْمَحْدُودُ الْمُتَجَسِّمُ، وَيَحْوِيهِ مَكَانٌ وَيَحْصُرُهُ نَازِرٌ؟ أَنَا كَفَرْتُ بِمِنْ هَذِهِ صِفَتِهِ، مَا تَقُولُونَ فِيهِ؟ فَقَالَ قَاضِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ: هُوَ حَلَالُ الدَّمِّ، وَوَافَقَهُ فَقَهَاءٌ، فَأَظْهَرَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ أَنَّهُ كَارَهُ لِقَتْلَهُ. وَقَالَ: شَيْخٌ مُخْتَلٍ، تَغَيَّرَ عَقْلُهُ، يُؤَخَّرُ. قَالَ الْوَائِقُ: مَا أَرَاهُ إِلَّا مُؤَدِّياً لِكُفْرِهِ قَائِماً بِمَا يَعْتَقِدُهُ، وَدَعَا بِالصَّمْصَمَةِ، وَقَامَ وَقَالَ: أَحْتَسِبُ خُطَايَ إِلَى هَذَا الْكَافِرِ. فَضَرَبَ عُنُقَهُ بَعْدَ أَنْ مَدُّوا لَهُ رَأْسَهُ بِحَبْلٍ وَهُوَ مُقَيَّدٌ وَنُصِبَ رَأْسُهُ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ، وَتَبَّعَ أَصْحَابُهُ فُسْجَنُوا.

[١] قَالَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَرَبِيِّ: سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّائِغَ، يَقُولُ: رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ نَصْرِ حِينَ قُتِلَ قَالَ رَأْسُهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

قَالَ الْمَرْوُذِيُّ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ ذَكَرَ أَحْمَدَ بْنَ نَصْرِ، فَقَالَ: رَحِمَهُ اللَّهُ لَقَدْ جَادَ بِنَفْسِهِ.

[٢] وَعُلِّقَ فِي أُذُنِ أَحْمَدَ بْنَ نَصْرِ وَرَقَةٌ فِيهَا: هَذَا رَأْسُ أَحْمَدَ بْنَ نَصْرِ دَعَاهُ الْإِمَامُ هَارُونَ إِلَى الْقَوْلِ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ، وَنَفْيِ التَّشْبِيهِ، فَأَبَى إِلَّا الْمَعَانِدَةَ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَارِهِ. وَكُتِبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ.

[٣] وَنُقِلَ عَنِ الْمَوْكَلِ بِالرَّأْسِ أَنَّهُ سَمِعَهُ فِي اللَّيْلِ يَقْرَأُ (يَس) وَصَحَّ أَنَّهُمْ أَقْعَدُوا رَجُلًا بِقَصْبَةٍ، فَكَانَتِ الرِّيحُ تَدِيرُ الرَّأْسَ إِلَى الْقَبْلَةِ، فَيُدِيرُهُ الرَّجُلُ.

[٤] قَالَ السَّرَاجُ: سَمِعْتُ خَلْفَ بْنَ سَالِمٍ، يَقُولُ بَعْدَ مَا قُتِلَ ابْنُ نَصْرِ وَقِيلَ لَهُ: أَلَا تَسْمَعُ مَا النَّاسُ فِيهِ يَقُولُونَ: إِنَّ رَأْسَ أَحْمَدَ بْنَ نَصْرِ يَقْرَأُ! فَقَالَ: كَانَ رَأْسُ

يحيى يقرأ.

[١] وقيل رُئي في النوم، فقيل : ما فعل الله بك؟ قال: ما كانت إلا غفوة حتى لقيتُ الله، فضحك إليّ. وقيل: إنه قال: غضبتُ له فأباحني النظر إلى وجهه.

بقي الرأس منصوباً ببغداد، والبَدَنُ مصلوباً بسامراء ست سنين إلى أن أنزل، وجمع في سنة سبع وثلاثين، فدفن رحمة الله عليه.

٤٧٨ - أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ^(١)

[٢] القاضي الكبير، أبو عبد الله، أحمدُ بن فرج بن حريز الإيادي البصري ثم البغدادي، الجهمي، عدو أحمد بن حنبل. كان داعيةً إلى خلق القرآن، له كرم وسخاء وأدب وافر ومكارم.

ولد سنة ستين ومئة بالبصرة، ولم يُضَف إلى كرمه كرم.

[٣] قال حريز بن أحمد بن أبي دُوَادٍ: كان أبي إذا صلى، رفع يده إلى السماء وخاطب ربه ويقول:

ما أنت بالسَّبَبِ الضعيف وإنما نُجِّحُ الْأُمُورَ بِقُوَّةِ الْأَسْبَابِ
فَالْيَوْمَ حَاجَّتُنَا إِلَيْكَ، وَإِنَّمَا يُدْعَى الطَّيِّبُ لِسَاعَةِ الْأَوْصَابِ

وقال أبو العيْناء: كان ابن أبي دُوَادٍ شاعراً مجيداً فصيحاً بليغاً ما رأيتُ رئيساً أفصح منه.

[٤] قال عونُ بنُ محمد الكِنْدِي: لَعَهْدِي بِالكَرْخِ، ولو أن رجلاً قال: ابن أبي داود مسلمٌ، لقتل. ثم وَقَعَ الْحَرِيقُ فِي الْكَرْخِ، فلم يكن مثله قطُّ فكلَّم ابنُ أبي دُوَادٍ الْمُعْتَصِمَ فِي النَّاسِ، ورَقَّه إلى أن أطلق له خمسة آلاف ألفِ درهم، فقسَّمها على النَّاسِ، وغرم من ماله جملةً. فَلَعَهْدِي بِالكَرْخِ ولو أن إنساناً، قال: زُرْ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُوَادٍ وسخ لقتل.

(١) انظر السير: ١١ / ١٦٩-١٧١.

[١] وقد كان ابن أبي داود يوم المحنة إلْباً على الإمام أحمد، يقول: يا أمير المؤمنين، اقتله، هو ضالُّ مُضِل.

[٢] قال عبدالله بن أحمد: سمعتُ أبي، سمعتُ بِشْرَ بْنَ الوليد، يقول: استتبتُ أحمد بن أبي دُواد من قوله: القرآن مخلوق في ليلة ثلاث مرات ثم يرجع. [٣] إسحاق بن إبراهيم بن هانئ، قال: حضرتُ العيدَ مع أحمد بن حنبل، فإذا بقاصٌّ يقول: على ابن أبي دُواد اللعنة، وحشا الله قبره ناراً. فقال أبو عبدالله: ما أنفعهم للعامة.

[٤] قال المغيرة بن محمد المهلبي: ماتَ ولده محمد منكويث الولدُ أولاً، ثم مات الأب في سنة أربعين ومئتين، ودُفِنَ بداره ببغداد. [٥] قلت: صادرة المتوكل، وأخذ منه ستة عشر ألف ألف درهم، وافتقر، فالدنيا مَحَنٌ.

٤٧٩ - ابنُ الزِّيَّات (١)

[٦] الوزيرُ الأديبُ العلامةُ أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن الزيات. كان والده سوقياً، فساد هذا بالأدب وفنونه وبراعة النظم والنثر، ووزر للمعتصم وللوائق، وكان مُعاديّاً لابن أبي دُواد فأغرى ابنُ أبي داود المتوكل، حتى صادر ابنُ الزيات وعذبه.

[٧] وكان يقول بخلق القرآن، ويقول: ما رحمتُ أحداً قط، الرحمةُ خورٌ في الطبع. فسُجن في قَفْصٍ حَرَجٍ، جهاته بمسامير كالمسأل، فكان يصيح: ارحموني، فيقولون: الرحمة خورٌ في الطبيعة.

مات في سنِّ ثلاث وثلاثين وخمسين. وله ترسلٌ بديع، وبلاغة مشهورة، وأخبارٌ في «وفيات الأعيان».

(١) انظر السير: ١١ / ٢٧٢-١٧٣.

٤٨٠ - ابنُ كُلاب (١)

[١] رأسُ المتكلمين بالبصرة في زمانه، أبو محمد، عبدالله بن سعيد بن كُلاب القطان البصري صاحبُ التصانيف في الرد على المعتزلة، وربما وافقهم.
[٢] وكان يُلقَّب كُلاباً لأنه كان يجر الخصم إلى نفسه ببيانهِ وبلاغته وأصحابه هم الكُلابية، لحق بعضهم أبو الحسن الأشعري، وكان يردُّ على الجهمية.
[٣] وقال بعضٌ من لا يعلم: إنه ابتدَعَ ما ابتدعه ليدُسَّ دينَ النَّصارى في ملتنا وإنه أَرْضَى أخته بذلك، وهذا باطل، والرجلُ أقربُ المتكلمين إلى السُّنة، بل هو في مناظرهم.

[٤] وصنَّف في التوحيد، وإثبات الصفات، وأنَّ علُوَّ الباري على خلقه معلوم بالفطرة والعقل على وفق النص، وكذلك قال المُحاسبي في كتاب «فهم القرآن». ولم أقع بوفاة ابن كُلاب. وقد كان باقياً قبل الأربعين ومئتين.

٤٨١ - ابنُ بنتِ السُّدي * (د، ت، ق) (٢)

[٥] الشيخُ الإمام مُحَدِّثُ الكوفة، أبو محمد، وقيل: أبو إسحاق إبراهيم (٣) بن موسى الفزاري الكوفي سبط اسماعيل السُّدي.
قال أبو حاتم: صدوق.

وكان من شيعة الكوفة. وقيل: كان غالياً.
قال عبدان الأهوازي: أنكر علينا أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ، أو هناد مَضِينًا إلى إسماعيل بن موسى، وقال: أئش عملتم عند ذاك الفاسق الذي يَشْتُم السلف. وإنما أنكروا علُوَّه في التشيع.

(١) انظر السير: ١١ / ١٧٤-١٧٦.

(٢) انظر السير: ١١ / ١٧٦-١٧٧.

(٣) هو في كتب التراجم: إسماعيل بن موسى، وليس إبراهيم، وكذا صرح الذهبي نفسه.

[١] قال علي بن جعفر: أخبرنا إسماعيل بن بنت السدي، قال: كنت في مجلس مالك، فسئل عن فريضة، فأجاب بقول زيد، فقلت ما قال فيها علي وابن مسعود، رضي الله عنهما، فأومأ إلى الحجة، فلما هموا بي عدوت وأعجزتهم، فقالوا: ما نصنع بكتبه ومحبرته؟ فقال: اطلبوه برفق، فجاؤوا إليّ فجئت معهم. فقال مالك: من أين أنت؟ قلت: من الكوفة، قال: فأين خلفت الأدب؟ فقلت: إنما ذاكرتك لأستفيد فقال: إن علياً وعبدالله لا ينكر فضلهم، وأهل بلدنا على قول زيد بن ثابت، وإذا كنت بين قوم، فلا تبدأهم بما لا يعرفون، فيبدأك منهم ما تكره.

توفي إسماعيل الفزاري في خمس وأربعين ومئتين. وكان من أبناء التسعين، سامحه الله.

٤٨٢ أحمد بن حنبل (ع) (١)

[٢] هو الإمام حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً، أبو عبدالله، أحمد بن محمد بن حنبل، الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، أحد الأئمة الأعلام. ربي أحمد يتيماً.

قال صالح، قال لي أبي: ولدت سنة أربع وستين ومئة. طلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة، في العام الذي مات فيه مالك، وحماد بن زيد.

ومن صفته:

كان شيخاً مخضوباً طوالاً أسمر شديد السمرة.

وعن محمد بن عباس النحوي، قال: رأيت أحمد بن حنبل حسن الوجه ربعة، يخضب بالحناء خضاباً ليس بالقاني، في لحيته شَعرات سود، ورأيت ثيابه غلاظاً بيضاً، ورأيتُه معتماً وعليه إزار.

(١) انظر السير: ١١ / ٣٥٨-١٧٧.

[١] وقال المَرُوزِي: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِذَا كَانَ فِي الْبَيْتِ عَامَّةً جُلُوسَهُ مَتْرَبَعًا خَاشِعًا، فَإِذَا كَانَ بَرًّا، لَمْ يَتَبَيَّنْ مِنْهُ شِدَّةُ خَشَوْعٍ، وَكَنتُ أَدْخُلُ، وَالْجِزءُ فِي يَدِهِ يَقْرَأُ.

[٢] وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله، يقول: تزوجت وأنا ابن أربعين سنة، فرزق الله خيراً كثيراً.

قال عبد الله بن أحمد: قال لي أبو زُرعة: أبوك يحفظ ألف ألف حديث، فقليل له: وما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب.

فهذه حكاية صحيحة في سعة علم أبي عبد الله، وكانوا يَعُدُّونَ فِي ذَلِكَ الْمَكْرَرِ، وَالْأَثَرِ، وَفَتَوَى التَّابِعِينَ، وَمَا فُسِّرَ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَإِلَّا فَالْمَتُونُ الْمَرْفُوعَةُ الْقَوِيَّةُ لَا تَبْلُغُ عَشْرَ مَعْشَارِ ذَلِكَ.

قال إبراهيم الحربي: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، كَانَ اللَّهُ جَمَعَ لَهُ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

أحمد بن سَلَمَةَ: سمعت ابن راهويه، يقول: كنت أجالس أحمد وابن معين، ونتذاكر فأقول: ما فقهه؟ وما تفسيره؟ فيسكتون إلا أحمد.

[٣] قال: وحدثنا المروزي: قُلْتُ لِأَحْمَدَ: أَكَانَ أَغْمِي عَلَيْكَ، أَوْ غُشِيَ عَلَيْكَ عِنْدَ ابْنِ عُيَيْنَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فِي دَهْلِيْزِهِ رَحِمَنِي النَّاسُ، فَأَغْمِي عَلَيَّ. وَرَوَى أَن سَفِيَّانَ قَالَ يَوْمَئِذٍ: كَيْفَ أَحْدَثَ وَقَدْ مَاتَ خَيْرُ النَّاسِ؟

[٤] وعن شيخ أنه كان عنده كتاب بخط أحمد بن حنبل، فقال: كنا عند ابن عيينة سنة، ففقدت أحمد بن حنبل أياماً، فذُلِلْتُ عَلَى مَوْضِعِهِ، فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِي شَبِيهِ بِكَهْفٍ فِي جِيَادٍ^(١). فَقُلْتُ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلْ؟ فَقَالَ: لَا ثُمَّ قَالَ: ادْخُلْ، فَدَخَلْتُ، وَإِذَا عَلَيْهِ قِطْعَةٌ لِبَدٍ خَلَقَ، فَقُلْتُ: لِمَ حَجَبْتَنِي؟ فَقَالَ: حَتَّى اسْتَتَرْتُ. فَقُلْتُ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: سُرِقَتْ ثِيَابِي. قَالَ: فَبَادَرْتُ إِلَى مَنَزَلِي فَجِئْتُهُ بِمِئَةِ دِرْهَمٍ، فَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ، فَامْتَنَعَ، فَقُلْتُ: قَرْضًا، فَأَبَى، حَتَّى بَلَغَتْ عِشْرِينَ دِرْهَمًا، وَيَأْبَى. فَقُمْتُ، وَقُلْتُ: مَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَقْتُلَ نَفْسَكَ. قَالَ: ارْجِعْ،

(١) موضع بمكة يلي الصفا.

فرجعت، فقال: أليس قد سمعت معي ابن عُيينة؟ قلت: بلى. قال: تحب أن أنسخه لك؟ قلت: نعم. قال: اشتر لي ورقاً. قال: فكتب بدراهم اكتسب منها ثوبين.

[١] كان أحمد بن حنبل يصلي بعبد الرزاق، فسها، فسأل عنه عبد الرزاق، فأخبر إنه لم يأكل منذ ثلاثة أيام شيئاً.

[٢] المروزي: سمعت جعفر بن ميمون بن الأصبع، سمعت أبي يقول: كنا عند يزيد بن هارون، وكان عنده المعيطي، وأبوخيثة، وأحمد، وكانت في يزيد، رحمه الله، مداعبة، فذاكره المعيطي بشيء. فقال له يزيد: فقدتك، فتنحج أحمد فالتفت إليه، فقال: من ذا؟ قالوا: أحمد بن حنبل، فقال: ألا أعلمتوني أنه ها هنا؟.

[٣] قال أحمد بن سنان القطان: ما رأيت يزيد لأحد أشد تعظيماً منه لأحمد بن حنبل، ولا أكرم أحداً مثله، كان يقعده إلى جنبه ويوقره، ولا يمازحه. [٤] وقال عبد الرزاق: ما رأيت أحداً أفقه ولا أورع من أحمد بن حنبل.

قلت: قال هذا، وقد رأى مثل الثوري ومالك وابن جريج. [٥] وقال قتبية: خير أهل زماننا ابن المبارك، ثم هذا الشاب، يعني: أحمد بن حنبل، وإذا رأيت رجلاً يحب أحمد، فاعلم أنه صاحب سنة. ولو أدرك عصر الثوري، والأوزاعي، والليث، لكان هو المقدم عليهم. فقليل لقتبية: يضم أحمد إلى التابعين؟ قال: إلى كبار التابعين.

[٦] وقال حرملة: سمعت الشافعي يقول: خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل، ولا أعلم، ولا أفقه، ولا أتقى من أحمد بن حنبل.

[٧] وروى عن إسحاق بن راهويه، قال: أحمد حجة بين الله وبين خلقه. [٨] وقال عبد الله بن أحمد: قال أصحاب بشر الحافي له حين ضرب أبي: لو أنك خرجت فقلت: إني على قول أحمد، فقال: أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء؟!

[٩] القاسم بن محمد الصائغ: سمعت المروزي، يقول: دخلت على ذي النون السجن، ونحن بالعسكر، فقال: أي شيء حال سيّدنا؟ يعني: أحمد بن حنبل. [١٠] عن ابن المديني، قال: أمرني سيدي أحمد بن حنبل أن لا أحدث إلا من كتاب.

[١] وعن محمد بن مُصعب العابد، قال: لسوطُ ضُرَيْهَ أحمد بن حنبل في الله أكبر من أيام بشر بن الحارث.

قلت: بشر عظيم القدر كأحمد، ولا ندري وزن الأعمال، إنما الله يعلم ذلك.

وقال الحُثَيْني: سمعت اسماعيل بن الخليل، يقول: لو كان أحمد بن حنبل في بني إسرائيل لكان آيةً.

[٢] محمد بن يحيى النيسابوري، حين بلغه وفاة أحمد، يقول: ينبغي لكل أهل دار ببغداد أن يُقيموا عليه النياحة في دورهم.

قلت: تكلم الدهلي بمقتضى الحُزن لا بمقتضى الشرع.

لَمَّا مات سعيد بن أحمد بن حنبل، جاء إبراهيم الحربي إلى عبد الله بن أحمد، فقام إليه عبد الله، فقال: تقوم إلي؟ قال: والله لو رآك أبي، لقام إليك، فقال إبراهيم: والله لو رأى ابن عيينة أباك، لقام إليه.

وقد أثنى على أبي عبد الله جماعة من أولياء الله، وتبركوا به. روى ذلك ابن الجوزي، وشيخ الإسلام ولم يصح سند بعض ذلك.

في فضله وتألهه وشمائله:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، قال: بلغني أن أحمد ابن حنبل رهن نعلَه عند خباز باليمن، وأكرى نفسه من جمّالين عند خروجه وعرض عليه عبد الرزاق دراهم صالحة، فلم يقبلها.

[٣] وبعث ابن طاهر حين مات أحمد بأكفانٍ وحنوط، فأبى صالح أن يقبله وقال: إن أبي قد أعدّ كفته وحنوطه، وردّه، فراجعه، فقال: إن أمير المؤمنين أعفى أبا عبد الله مما يكره، وهذا مما يكره، فلست أقبله.

[٤] دخل على أحمد عمه، فقال: يا ابن أخي، أيش هذا الغم؟ وأيش هذا الحزن؟ فرفع رأسه، وقال: يا عم، طوبى لمن أحمل الله ذكره.

[٥] قال ابن أبي حاتم: حدثنا صالح، قال: ربما رأيتُ أبي يأخذ الكسر، ينفُضُ الغبار عنها، ويصيرُها في قصعة، ويصبُّ عليها ماءً ثم يأكلُها بالملح. وما رأيته

اشترى رماناً ولا سفرجلًا ولا شيئاً من الفاكهة، إلا أن تكون بطيخة فيأكلها بخبز وعنباً وتمرًا.

[١] وقال لي: كانت والدتك في الظلام تَغزُلُ غزلاً دقيقاً، فتبيع الأستار بدرهمين أقلّ أو أكثر، فكان ذلك قوتنا، وكنا إذا اشترينا الشيء نستره عنه كيلا يراه، فيؤبخنا، وكان ربما خُبِرَ له، فيجعل في فخّارة عدساً وشحمًا وتمرًا، وكان يأتدّم بالخلّ كثيرًا.

[٢] وكان إذا توضأ لا يدع من يستقي له، وربما اعتللت فيأخذ قدحاً فيه ماء فيقرأ فيه، ثم يقول: اشربْ منه، واغسل وجهك ويديك.

[٣] وكان ربما أخذ القدوم، وخرج إلى دار السكان، يعمل الشيء بيده. واعتل فتعالج.

[٤] وكان ربما خرج إلى البقال، فيشتري الجُزرة الحطبَ والشيء، فيحمله بيده. وكان يَتَنَوَّرُ في البيت. فقال لي في يوم شتوي: أريدُ أدخل الحمام بعد المغرب، فقل لصاحب الحمام. ثم بعث إليّ: إني قد أضربت عن الدخول. وتَنَوَّرَ في البيت.

[٥] وكنت أسمعه كثيراً يقول: اللهم سلّم سلّم.

[٦] وأخبرنا المروزي: قلت لأبي عبدالله: ما أكثر الداعي لك! قال: أخافُ أن يكون هذا استدراجاً بأي شيء هذا؟ وقلت له: قدم رجل من طرسوس، فقال: كنا في بلاد الروم في الغزو إذا هدا الليل، رفعوا أصواتهم بالدعاء، ادعوا لأبي عبدالله، وكنا نَمُدُّ المنجنيق ونرمي عن أبي عبدالله. ولقد رُمي عنه بحجر، والعلاج على الحصن متّرس بدرقة فذهب برأسه وبالدَّرَقَة، قال: فتغير وجه أبي عبدالله وقال: ليته لا يكون استدراجاً. قلت: كلا.

[٧] وعن رجل قال: عندنا بخراسان يظنون أن أحمد لا يشبه البشر يظنون أنه من الملائكة.

[٨] وقال آخر: نظرة عندنا من أحمد تعدلُ عبادة سنة.

قلت: هذا غلو لا ينبغي، لكن الباعث له حبٌ ولي الله في الله.
[١] قال المروذي: رأيتُ طبيباً نصرانياً خرج من عند أحمد معه راهب، فقال:
إنه سألني أن يجيءَ معي ليرى أبا عبد الله.

وأدخلتُ نصرانياً على أبي عبد الله، فقال له: إني لأشتهي أن أراك منذ
سنين. ما بقاؤك صلاحٌ للإسلام وحدهم، بل للخلق جميعاً، وليس من أصحابنا
أحد إلا وقد رضي بك.

[٢] قال عباس الدوري: حدثنا علي بن أبي فزارة جازنا، قال: كانت أُمِّي مُقْعَدَةً
من نحو عشرين سنة. فقالت لي يوماً: اذهب إلى أحمد بن حنبل، فَسَلِّهُ أَنْ
يدعوكَ لي، فأتيتُ، فدققت عليه وهو في دهليزه، فقال: من هذا؟ قلت: رجل
سألني أُمِّي وهي مُقْعَدَةٌ أن أسألك الدعاء. فسمعت كلامه رجل مُغْضَبٌ.
فقال: نحن أحوج أن تدعوكَ الله لنا. فولَّيتُ منصرفاً، فخرجتُ عجوز، فقالت:
قد تركته يدعو لها. فجئتُ إلى بيتنا ودققتُ الباب، فخرجت أُمِّي على رجليها
تمشي.

هذه الواقعة نقلها ثقتان عن عباس.

[٣] قال عبد الله بن أحمد: كان أبي يُصلي في كل يوم وليلة ثلاث مئة ركعة. فلما
مرض من تلك الأسواط، أضعفَتْه، فكان يصلي كُلَّ يوم وليلة مئة وخمسين
ركعة.

[٤] وعن أبي اسماعيل الترمذي: قال: جاء رجل بعشرة آلاف من ربح تجارته
إلى أحمد فردها. وقيل: إن صيرفاً بذل لأحمد خمس مئة دينار، فلم يقبل.

ومن آدابه:

[٥] قال عبد الله بن أحمد: رأيتُ أبي يأخذ شعرة من شعر النبي صلى الله عليه
وسلم، فيضعها على فيه يُقبِّلُها. وأحسب أني رأيته يضعها على عينه، ويغمسها
في الماء ويشربه يستشفى به.

[١] ورأيتُه أخذَ قَصْعَةَ النبي صلى الله عليه وسلم فغسلها في حُبِّ الماء ثم شرب فيها ورأيتُه يَشْرَبُ من ماء زمزم يستشفي به، ويمسح به يديه ووجهه.

[٢] قلت: أين المتنطع المنكرُ على أحمد، وقد ثبت أن عبد الله سأل أباه عمن يلمس رُمَانَةَ منبر النبي صلى الله عليه وسلم، ويَمَسُّ الحجرة النبوية، فقال: لا أرى لذلك بأساً. أعاذنا الله وإياكم من رأي الخوارج ومن البدع.

[٣] وقال المروزي: قال لي أحمد: ما كتبتُ حديثاً إلا وقد عملتُ به حتى مرَّ بي أن النبي، صلى الله عليه وسلم، احتَجَمَ وأعطى أبا طَيِّبَةَ ديناراً، فأعطيتُ الحَجَّامَ ديناراً حين احتجمتُ.

[٤] قال يحيى بن معين: ما رأيت مثل أحمد، صاحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الخير.

[٥] قال عبد الله بن أحمد: كان أبي يقرأ كُلَّ يوم سُبْعاً، وكان ينام نومة خفيفة بعد العشاء، ثم يقوم إلى الصباح يُصلي ويدعو.

[٦] قال المروزي: كان أبو عبد الله إذا ذكر الموت، خَنَقَتْهُ العبرة وكان يقول: الخوف يمنني أكلَ الطعام والشراب، وإذا ذكرتُ الموت هان علي كلُّ أمر الدنيا. إنما هو طعامٌ دونَ طعام، ولباسٌ دونَ لباس وإنها أيامٌ قلائل. ما أعدِلَ بالفقر شيئاً، ولو وجدتُ السبيل لخرجتُ حتى لا يكون لي ذكر.

[٧] وسئل عن القراءة بالألحان، فقال: هذه بدعة لا تُسمع.

[٨] وعن المروزي، قال: لم أر الفقير في مجلس أعزَّ منه في مجلس أحمد. كان مائلاً إليهم، مقصراً عن أهل الدنيا، وكان فيه حلم، ولم يكن بالعجول، وكان كثير التواضع تغلوه السكينة والوقار، وإذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يُسأل، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدر.

[٩] قال عبد الله: رأيتُ أبي حَرَجَ على النمل أن يَخْرُجوا من داره فرأيتُ النمل قد خرجن بعدُ نملاً سوداً، فلم أرهم بعد ذلك.

[١٠] عبد الله بن أحمد، قال: قال أبوسعيد بن أبي حنيفة المؤدَّب: كنتُ آتي أباك فيدفع إليَّ الثلاثة دراهم وأقلُّ وأكثر ويقعدُ معي، فيتحدث، وربما أعطاني

الشيء، ويقول: أعطيتك نصف ما عندنا. فجئت يوماً، فأطلت القعود أنا وهو. قال: ثم خرج ومعه تحت كسائه أربعة أرغفة. فقال: هذا نصف ما عندنا. فقلت: هي أحب إليّ من أربعة آلاف من غيرك.

[١] وكان أبو عبد الله شديد الحياء، كريم الأخلاق، يُعجبه السخاء.

[٢] قال المروزي: رأيت أبا عبد الله يقوم لورده قريباً من نصف الليل حتى يُقارب السحر. ورأيتُه يركع فيما بين المغرب والعشاء.

[٣] وقال عبد الله: ربما سمعتُ أبي في السحر يدعو لأقوام بأسمائهم. وكان يُكثر الدعاء ويُخفيه، ويُصلي بين العشاءين، فإذا صلى عشاء الآخرة، ركع ركعات صالحة، ثم يُوتر وينام نومة خفيفة، ثم يقوم فيُصلي وكانت قراءته لينة، ربما لم أفهم بعضها. وكان يصوم ويدمن، ثم يُفطر ما شاء الله. ولا يترك صوم الاثنين والخميس وأيام البيض. فلما رجع من العسكر، أدمن الصوم إلى أن مات.

[٤] قال له خراساني: الحمد لله الذي رأيتك، قال: اقعد، أي شيء ذا؟ من أنا؟

[٥] وعن رجل قال: رأيت أثر الغم في وجه أبي عبد الله، وقد أثنى عليه شخص، وقيل له: جزاك الله عن الإسلام خيراً، قال: بل جزى الله الإسلام عني خيراً. من أنا وما أنا؟!

قال إبراهيم الحربي: كان أحمد يُجيب في العرس والختان، ويأكل. وذكر غيره أن أحمد ربما استعفى من الإجابة. وكان إن رأى إناء فضة أو منكرأ، خرج. وكان يُحب الخمول والانزواء عن الناس، ويعود المريض وكان يكره المشي في الأسواق، ويؤثر الوحدة.

[٦] ورؤي عن المروزي، قال: قلت لأحمد: كيف أصبحت؟ قال: كيف أصبح من ربه يُطالبه بأداء الفرائض، ونبيه يُطالبه بأداء السنة والملكان يطلبانه بتصحيح العمل، ونفسه تُطالبه بهواها، وإبليس يُطالبه بالفحشاء، وملك الموت يُراقب قبض روحه، وعياله يُطالبونه بالنفقة؟!

[١] فاطمة بنتُ أحمد بن حنبل، قالت: وقع الحريق في بيت أخي صالح وكان قد تزوج بِفَتِيَّةٍ، فحملوا إليه جهازاً شبيهاً بأربعة آلاف دينار فأكلته النار فجعل صالح، يقول: ما غمني ما ذهب إلا ثوبٌ لأبي كان يصلي فيه أتبرك به وأصلي فيه. قالت: فَطَفِيء الحريق، ودخلوا فوجدوا الثوبَ على سرير قد أكلت النار ما حوله وسَلِمَ.

[٢] قال ابن الجوزي: بلغني عن قاضي القضاة علي بن الحسين الزيني أنه حكى أن الحريق وقع في دارهم، فأحرق ما فيها إلا كتاباً كان فيه شيء بخط الإمام أحمد. قال: ولما وقع الغرق ببغداد في سنة ٥٥٤، وغرقت كتبي، سَلِمَ لي مجلدٌ فيه ورقتان بخط الإمام.

[٣] قلت: وكذا استفاض وثبت أن الغرق الكائن بعد العشرين وسبع مئة ببغداد عامَ على مقابر مقبرة أحمد، وأن الماء دخل في الدهليز علُو ذراع، ووقف بقدرة الله، وبقيت الحصرُ حول قبر الإمام بغبارها، وكان ذلك آية.

[٤] محمد بن المسيَّب، سمعت زكريا بن يحيى الضرير، يقول: قلت لأحمد بن حنبل: كم يكفي الرجل من الحديث حتى يكون مُفْتِيّاً؟ يكفيه مئة ألف؟ فقال: لا. إلى أن قال: فيكفيه خمس مئة ألف حديث؟ قال: أرجو.

[٥] المحنة:

[٦] الصَّدْعُ بالحق عظيم، يحتاج إلى قوة وإخلاص، فالمُخْلِص بلا قوة يعجزُ عن القيام به، والقويُّ بلا إخلاص يُخَذَلُ، فمن قام بهما كاملاً، فهو صديق. ومن ضَعُفَ، فلا أَقْلَ من التألم والإنكار بالقلب. ليس وراء ذلك إيمان، فلا قوة إلا بالله.

عن ثوبان قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم. «إِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَثَمَةُ الْمُضِلُّونَ، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ عَلَيْهِمْ، لَمْ يُرْفَعْ عَنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ أَوْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ».

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ أَنْ يَرَى أَمْرًا لَهِ فِيهِ مَقَالٌ، فَلَا يَقُولُ فِيهِ، فَيَقَالَ لَهُ: مَا مَنَعَكَ؟ فَيَقُولُ: مَخَافَةُ النَّاسِ. فَيَقُولُ: فَإِيَايَ كُنْتَ أَحَقُّ أَنْ تَخَافَ».

[١] كان الناسُ أمةً واحدة، ودينُهم قائماً في خلافة أبي بكر وعمر فلما استشهد قُفْلُ بابِ الفتنة عمر رضي الله عنه، وانكسر الباب، قام رؤوس الشر على الشهيد عثمان حتى دُبِحَ صبراً. وتفرقت الكلمة وتمت وقعةُ الجمل، ثم وقعةُ صفين. فظهرت الخوارج، وكُفِّرَت سادةُ الصحابة، ثم ظهرت الروافض والنواصب.

[٢] وفي آخر زمن الصحابة ظهرت القَدْرِيَّةُ، ثم ظهرت المعتزلة بالبصرة، والجهمية والمجسمة بخراسان في أثناء عصر التابعين مع ظهور السنة وأهلها. إلى بعد المئتين، فظهر المأمون الخليفة - وكان ذكياً متكلماً، له نظرٌ في المعقول - فاستجلب كتبَ الأوائل، وعَرَّبَ حِكْمَةَ اليونان، وقام في ذلك وقعد، وخبَّ ووضع، ورفعت الجَهْمِيَّةُ والمعتزلة رؤوسها، بل والشيعَة. وآل به الحال إلى أن حمل الأمة على القول بخلق القرآن، وامتنح العلماء، فلم يُمَهَّلْ. وهَلَكَ لعامه، وخبَّى بعده شراً وبلاءً في الدين. فإن الأمة ما زالت على أن القرآن العظيم كلام الله تعالى ووحْيُه وتنزيلُه، لا يعرفون غير ذلك، حتى نبغ لهم القول بأنه كلام الله مخلوق مجعول، وأنه إنما يضاف إلى الله تعالى إضافة تشریف، كبيت الله، وناقة الله. فأنكر ذلك العلماء ولم تكن الجهمية يظهرون في دولة المهدي والرشيد والأمين فلما ولي المأمون، كان منهم، وأظهر المقالة. روى أحمد بن إبراهيم الدُّورقي، عن محمد بن نوح: أن الرشيد قال: بلغني أن بشر بن غياث المريسي، يقول: القرآن مخلوق، فَلِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ أَظْفِرَنِي بِهِ، لِأَقْتُلَنَّهُ. قال الدورقي: وكان متوارياً أيلم الرشيد فلما مات الرشيد، ظهر، ودعا إلى الضلالة.

[١] قلت: ثم إن المأمون نظر في الكلام، وناظر، وبقي متوقفاً في الدعاء إلى بدعته.

[٢] قال أبو الفرج بن الجوزي: خالطه قوم من المعتزلة، فحسنوا له القول بخلق القرآن، وكان يتردد ويراقب الشيوخ، ثم قويَّ عزُّمه وامتنح الناس. ابن عَرَعَرَة، حدثني ابن أَكْثَم، قال: قال لنا المأمون: لولا مكانُ يزيد بن هارون، لأظهرت أن القرآن مخلوق فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين، ومن يزيد حتى يُتَقَى؟ فقال: ويحك!! إني أخاف أن أظهرته فيردُّ عليَّ يختلف الناس، وتكون فتنة، وأنا أكر الفتنة. فقال الرجل: فأننا أخبرُ ذلك منه، قال له: نعم، فخرج إلى واسط، فجاء إلى يزيد، وقال: يا أبا خالد، إن أمير المؤمنين يُقرئك السلام، ويقول لك: إني أريد أن أظهر خلق القرآن، فقال: كذبت على أمير المؤمنين. أمير المؤمنين لا يحملُ الناس على ما لا يعرفونه فإن كنت صادقاً، فاقعد. فإذا اجتمع الناس في المجلس، فقل. قال: فلما أن كان الغد، اجتمعوا. فقام، فقال كمقالته، فقال يزيد: كذبت على أمير المؤمنين، إنه لا يحملُ الناس على ما لا يعرفونه، ومالم يُقلَّ به أحد. قال: فقَدِم، وقال: يا أمير المؤمنين، كنت أعلم، وقصص عليه، قال: ويحك يلعب بك!!

قال صالح بن أحمد: سمعت أبي، يقول: لما دخلنا على إسحاق بن إبراهيم للمحنة، قرأ علينا كتاب الذي صار إلى طرسوس، يعني: المأمون فكان فيما قرأ علينا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

﴿هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]. فقلت: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. قال صالح: ثم امتحن القوم، ووَجَّه بمن امتنع إلى الحبس، فأجاب القوم جميعاً غير أربعة: أبي، ومحمد بن نوح، والقواريري، والحسن بن حماد سجادة. ثم أجاب هذان، وبقي أبي ومحمد في الحبس أياماً، ثم جاء كتاب من طرسوس بحملهما مُقَيَّدَيْن زميلين.

[١] الأصم: حدثنا عباس الدوري: سمعتُ أبا جعفر الأنباري، يقول: لما حُمِلَ

أحمد إلى المأمون، أخبرت، فعبرتُ الفراتَ، فإذا هو جالس في الخان، فسلمتُ عليه، فقال: يا أبا جعفر، تَعْنَيْتَ. فقلت: يا هذا أنت اليوم رأسُ، والناسُ يقتدون بك، فوالله لئن أجبتَ إلى خلق القرآن لَيُجِيبَنَّ خلقُ، وإن أنت لم تُجِبْ، لَيَمْتَنَنَّ خلقُ من الناس كثير. ومع هذا فإنَّ الرجل إن لم يقتلكَ فإنك تموت، لا بُدَّ من الموت، فاتق الله ولا تجب فجعل أحمد يبكي، ويقول: ما شاء الله. ثم قال: يا أبا جعفر، أعدْ عليّ فأعدت عليه، وهو يقول: ما شاء الله.

[١] قال محمد بن إبراهيم البوشنجي: جعلوا يذكرون أبا عبدالله بالرقّة في التقيّة وما روي فيها. فقال: كيف تصنعون بحديث خَبَاب: «إِنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ يُنْشَرُ أَحَدُهُمْ بِالْمُنْشَارِ، لَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ» فأيسنا منه.

[٢] وقال: لستُ أبا لي بالحبس، ما هو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلاً بالسيف إنما أخاف فتنة السُّوط. فسمعه بعضُ أهل الحبس، فقال: لا عليك يا أبا عبدالله، فما هو إلا سوطان، ثم لا تدري أين يقع الباقي، فكأنه سُري عنه.

[٣] عن محمد بن إبراهيم بن مُصعب، وهو يومئذ صاحبُ شرطة المعتصم خلافة لأخيه اسحاق بن إبراهيم، قال: ما رأيتُ أحداً لم يُدْخِلَ السلطانَ، ولا خالطَ الملوكَ، كان أثبت قلباً من أحمد يومئذ، ما نحنُ في عينه إلا كأمثال الذُّباب.

قال صالح بن أحمد: قال أبي: فلما صرنا إلى أذنة، ورحلنا منها في جوف الليل، وفتحَ لنا بابها، إذا رجل قد دخل. فقال: البُشْرَى! قد مات الرجل يعني: المأمون. قال أبي: وكنتُ أدعو الله أن لا أراه.

وبقي أحمد محبوساً بالرقّة حتى بويع المعتصم إثر موت أخيه، فردَّ أحمدُ إلى بغداد.

[٤] قال أبو عبدالله: ما رأيتُ أحداً على حداثة سنّه، وقدرِ علمه أقومَ بأمر الله من محمد بن نوح، إني لأرجو أن يكون قد خُتم له بخير قال لي ذات يوم: يا أبا عبدالله، الله الله، إنك لستَ مثلي. أنتَ رجلٌ يُقتدى بك. قد مدَّ الخلق أعناقهم إليك، لِمَا يكون منك، فاتق الله وأثبتْ لأمر الله، أو نحو هذا. فمات،

وصليت عليه، ودفنته.

قال صالح: وصار أبي إلى بغداد مقيداً، ثم حُيس في دارٍ اُكثرت عند دار عمارة، ثم حُول إلى حبس العامة في درب الموصليّة. فقال: كنت أصلي بأهل السجن، وأنا مقيد. فلما كان في رمضان سنة تسع عشر - قلت: وذلك بعد موت المأمون بأربعة عشر شهراً - حُولت إلى دار إسحاق بن إبراهيم، يعني: نائب بغداد.

فلما كان في الليلة الرابعة، وجه، يعني: المعتصم، ببُغا الكبير إلى إسحاق، فأمره بحملي إليه، فأدخلت على إسحاق، فقال: يا أحمد إنها والله نفسك، إنه لا يقتلك بالسيف، إنه قد آلى، إن لم تجبه، أن يضربك ضرباً بعد ضرب وأن يقتلك في موضع لا يرى فيه شمس ولا قمر. أليس قد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]. أفيكون مجعولاً إلا مخلوقاً؟ فقلت: فقد قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥]. أفخلقهم؟ قال: فسكت، فلما صرنا إلى الموضع المعروف بباب البستان أُخرجت، وجيء بدابة فأركبت وعليّ الأقياد، ما معي من يُمسكني، فكُدت غير مرة أن أخرج على وجهي لثقل القيود. فجيء بي إلى دار المعتصم، فأدخلت حجرة، ثم أدخلت بيتاً، وأقفل الباب عليّ في جوف الليل ولا سراج، فأردت الضوء، فمددت يدي، فإذا بإناء فيه ماء، وطست موضوع، فتوضأت وصليت.

فلما كان من الغد، أخرجت تكتي، وشددت بها الأقياد أحملها وعطفت سراويلي. فجاء رسول المعتصم، فقال: أجب فأخذ بيدي، وأدخلني عليه، والتكّة في يدي، أحمل بها الأقياد، وإذا هو جالس، وأحمد بن أبي دؤاد حاضر، وقد جمع خلقاً كثيراً من أصحابه فقال لي المعتصم: ادنه ادنه. فلم يزل يُدنيني حتى قربت منه. ثم قال: اجلس فجلست، وقد أثقلتني الأقياد، فمكثت قليلاً، ثم قلت: أأذن في الكلام؟ قال: تكلم، فقلت: إلى ما دعا الله ورسوله؟ فسكت هنيئاً، ثم قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، فقلت: فانا أشهد

أن لا إله إلا الله . ثم قلت: إن جدك ابن عباس يقول: لما قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم، سألوه عن الإيمان، فقال: «أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تُعْطُوا الخُمُسَ من المَغْنَمِ». قال أبي: فقال يعني: المعتصم: لولا أنني وَجَدْتُكَ في يد من كان قبلي، ما عرضتُ لك.

[١٦] ثم قال: يا عبد الرحمن بن إسحاق، ألم آمرك برفع المحنة؟ فقلت: الله أكبر! إن في هذا لفرجاً للمسلمين. ثم قال لهم: ناظروه وكلموه، يا عبد الرحمن كلمه. فقال: ما تقول في القرآن؟ قلت: ما تقول أنت في علم الله؟ فسكت، فقال لي بعضهم: أليس قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾؟ [الرعد: ١٦]. والقرآن أليس شيئاً؟ فقلت: قال الله: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

فدمرت إلا ما أراد الله.. فقال بعضهم: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] أفيكون محدث إلا مخلوقاً؟ فقلت: قال الله: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (ص: ١) فالذكر هو القرآن، وتلك ليس فيها ألف ولا م.. وذكر بعضهم حديث عمران بن حصين (إن الله خلق الذكر) فقلت: هذا خطأ، حدثنا غير واحد: «إن الله كتب الذكر» واحتجوا بحديث ابن مسعود: «ما خلق الله من جنة ولا نار ولا سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي». فقلت: إنما وقع الخلق على الجنة والنار والسماء والأرض، ولم يقع على القرآن. فقال بعضهم: حديث خباب «يا هنتاه تقرب إلى الله بما استطعت، فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه». فقلت: هكذا هو.

قال صالح: وجعل ابن أبي دؤاد ينظر إلى أبي كالمغضب. قال أبي:

وكان يتكلم هذا، فأرد عليه. ويتكلم هذا فأرد عليه، فإذا انقطع الرجل منهم، اعترض ابن أبي دؤاد، فيقول: يا أمير المؤمنين، هو والله ضالٌ مضلٌ مبتدع!

فيقول: كَلِّمُوهُ، ناظروه. فيكلمني هذا، فأرد عليه، ويكلمني هذا، فأرد عليه. فإذا انقطعوا، يقول المعتصم: ويحك يا أحمد، ما تقول؟ فأقول: يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حتى أقول به. فطال المجلس، وقام، ورُدِدْتُ إلى الموضع.

فلما أصبحنا، جاء رسوله، فأخذ بيدي حتى ذهب بي إليه، فقال لهم ناظروه وكلموه، فجعلوا يناظروني، فأردُّ عليهم. فإذا جاؤوا بشيء من الكلام مما ليس في الكتب والسنة، قلت: ما أدري ما هذا. قال: فيقولون: يا أمير المؤمنين، إذا توجهت له الحُجَّةُ علينا، ثَبَّتْ وإذا كلمناه بشيء، يقول: لا أدري ما هذا؟ فقال: ناظروه. فقال رجل: يا أحمد، أراك تذكر الحديث وتتجمل، فقلت: ما تقول في قوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]؟ قال: خصَّ الله بها المؤمنين. قلت: ما تقول إن كان قاتلاً أو عبداً؟ فسكت، وإنما احتججتُ عليهم بهذا، لأنهم كانوا يحتجون بظاهر القرآن. فحيثُ قال لي: أراك تتجمل الحديث، احتججتُ بالقرآن، يعني: وإن السنة خصَّصَتِ القاتلَ والعبد، فأخرجتهما من العموم. قال: فلم يزلوا كذلك إلى قُرب الزوال. فلما ضَجِر، قال: قوموا، ثم خلا بي، وبعبدالرحمن بن إسحاق، فلم يزل يكلمني، ثم قام ودخل. ورُدِدْتُ إلى الموضع.

قال: فلما كانت الليلة الثالثة، قلتُ: خَلِّقْ أن يحدث غداً من أمري شيء فقلت للموكل بي: أريد خيطاً فجاءني بخيط، فشددتُ به الأقياد، ورددتُ التُّكَّةَ إلى سراويلي مخافة أن يحدث من أمري شيء فأتعري. فلما كان من الغد، أدخلتُ إلى الدار، فإذا هي غاصَّة فجعلتُ أدخلُ من موضع إلى موضع، وقومٌ معهم السيوف، وقومٌ معهم السياط وغير ذلك. ولم يكن في اليومين الماضيين كبيرُ أحد من هؤلاء. فلما انتهيتُ إليه قال: أقعد. ثم قال: ناظروه، كلموه. فجعلوا يُناظروني يتكلم هذا، فأرد عليه، ويتكلم هذا، فأرد عليه، وجعل صوتي يعلو أصواتهم. فجعل بعضٌ من هوقائم على رأسي يومئذ إليَّ بيده، فلما طال

المجلس، نحاني. ثم خلا بهم، ثم نحاهم، وردني إلى عنده، وقال: ويحك يا أحمد! أجبني حتى أطلق عنك يدي، فرددت عليه نحو ردي. فقال: عليك، وذكر اللعن، خذوه اسحبوه خلّعوه. فسُحِبْتُ وخلعتُ.

[١] قال: وقد كان صار إليّ شعْرٌ من شعْرِ النبي، صلى الله عليه وسلم في كُم قميصي، فوجه إليّ إسحاق بن إبراهيم، يقول: ما هذا المصْرُور؟ قلت: شعْرٌ مِنْ شعْرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسعى بعضهم ليخرق القميص عني، فقال المعتصم: لا تخرقوه، فَنَزِعَ، فظننتُ أنه إنما دُرِيَء عن القميص الخرقُ بالشعر. قال: وجلس المعتصم على كرسي ثم قال: العقابَيْنِ والسَّيَاطِ فجيء بالعقابين، فمدتُ يداي، فقال بعضُ من حضر خلفي: خُذْ نَاتِيء الخشبَتين بيديك، وشُدَّ عليهما. فلم أفهم ما قال، فتخلعتُ يداي.

قال محمد بن إبراهيم البوشنجي: ذكروا أن المعتصم ألان في أمر أحمد لما علق في العقابين، ورأى ثباته وتصميمه وصلابته، حتى أغراه أحمد بن أبي دؤاد، وقال: يا أمير المؤمنين، إن تركته، قيل: قد ترك مذهب المأمون، وسخط قوله، فهاجه ذلك على ضربه.

قال صالح: قال أبي: ولما جيء بالسياط، نظر إليهما المعتصم فقال: اثنوني بغيرها، ثم قال للجلادين: تقدموا، فجعل يتقدم إليّ الرجل منهم، فيضربني سوطين، فيقول له: شُدَّ، قطع الله يدك! ثم يَتَنَحَّى ويتقدم آخر، فيضربني سوطين، وهو يقول في كل ذلك: شُدَّ، قطع الله يدك! فلما ضُربتُ سبعة عشر سوطاً، قام إليّ، يعني: المعتصم فقال: يا أحمد، علامَ تَقْتُل نفسك؟ إني والله عليك لشفيق، وجعل عجيف ينخسني بقائمة سيفه، وقال: أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم؟ وجعل بعضهم يقول: ويلك! إمامك على رأسك قائم. وقال بعضهم: يا أمير المؤمنين دمه في عنقي، اقتله، وجعلوا يقولون: يا أمير المؤمنين أنت صائم، وأنت في الشمس قائم! فقال لي: ويحك يا أحمد، ما تقول؟ فأقول: أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله أقول به. فرجع

وَجَلَسَ . وقال للجلاد: تقدّم، وأوجّع . قَطَعَ اللهُ يدك، ثم قام الثانية وجعل يقول: ويحك يا أحمد: أجبني . فجعلوا يُقبلون عَلَيَّ، ويقولون: يا أحمد، إمامك على رأسك قائم! وجعل عبد الرحمن يقول: من صَنَعَ من أصحابك في هذا الأمر ما تصنع؟ والمعتصم يقول: أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فَرَجٍ حتى أُطلق عنك بيدي، ثم رجع، وقال للجلاد: تقدم، فجعل يضربني سوطين ويتنحى، وهو في خلال ذلك يقول: شُدَّ، قطع الله يدك فذهب عقلي، ثم أفقتُ بعد، فإذا الأقياد قد أُطلقت عني . فقال لي رجل ممن حضر: كَبَيْناكَ على وجهك، وطرحنا على ظهرك باريَّةً^(١) ودُسْنَاكَ! قال أبي فما شعرتُ بذلك وأتوني بسويقي، وقالوا: اشرب وتقياً، فقلت: لا أفطر . ثم جيء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم، فحضرت الظهر، فتقدم ابنُ سَمَاعَةَ، فصلى . فلما انفتل من صلاته، وقال لي: صليت، والدُم يسيلُ في ثوبك؟ قلت: قد صلّى عمر، وجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا^(٢) .

قال صالح: ثم خُلِّيَ عنه، فصار إلى منزله، وكان مُكْتَهُ في السجن منذ أخذ إلى أن ضُرب وخلي عنه، ثمانية وعشرين شهراً . ولقد حدثني أحدُ الرجلين اللذين كانا معه، قال: يا ابن أخي، رحمة الله على أبي عبد الله، والله ما رأيت أحداً يشبهه، ولقد جعلتُ أقول له في وقت ما يُوجَّه إلينا بالطعام: يا أبا عبد الله، أنت صائم، وأنت في موضع تَقِيَّة . ولقد عطش، فقال لصاحب الشراب: ناولني، فناولته قدحاً فيه ماءً وثلج، فأخذه ونظر فيه، ثم رده، ولم يشرب، فجعلتُ أعجبُ من صبره على الجوع والعطش، وهو فيما هو فيه من الهول!

قال صالح: فكنت أَلْتَمِسُ وأحتال أن أُوَصِّلَ إليه طعاماً أو رغيماً في تلك الأيام، فلم أقدر . وأخبرني رجلٌ حضره: أنه تفقَّده في الأيام الثلاثة وهم يناظرونه، فما لحن في كلمة . قال: وما ظننتُ أن أحداً يكونُ في مثل شجاعته

(١) الحصار المنسوج .

(٢) أي: يجري ويتفجر منه الدم .

وَشِدَّةَ قَلْبِهِ .

قال حنبل : سمعتُ أبا عبد الله ، يقول : ذهب عقلي مراراً ، فكان إذا رُفِعَ عني الضرب ، رَجَعْتُ إلى نفسي . وإذا اسْتَرَحِيتُ وسَقَطْتُ ، رُفِعَ الضربُ أَصَابِنِي ذلك مراراً . ورأيتُه ، يعني : المعتصم ، قاعداً في الشمس بغير مظلة ، فسمعتُه ، وقد أفقت ، يقول لابن أبي دُوَادٍ ، لقد ارتكبتُ إثماً في أمرِ هذا الرجل . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه - والله - كافر مشرك ، قد أشرك من غير وجه . فلا يزال به حتى يصرفه عما يريد . وقد كان أراد تخليتي بلا ضرب ، فلم يدعه ، ولا إسحاق ابن إبراهيم .

قال حنبل : وبلغني أنَّ المعتصمَ ، قال لابن أبي دُوَادٍ بعدما ضُربَ أبو عبد الله : كم ضُربَ ؟ قال : أربعة أو نيفاً وثلاثين سوطاً .

[١] قال ابنُ أبي حاتم : حدثني أحمد بن سنان ، قال : بلغني أن أحمد بن حنبل ، جعل المعتصمَ في حلٍّ يومَ فتح عاصمةِ بابك وطفِرَ به ، أو في فتحِ عمورية ، فقال : هو في حلٍّ من ضربي .

[٢] قال ابنُ أبي حاتم : سمعتُ أبا زرعة ، يقول : دعا المعتصمُ بعمِّ أحمد ، ثم قال للناس : تعرفونه؟ قالوا : نعم ، هو أحمد بنُ حنبل قال : فانظروا إليه ، أليس هو صحيحَ البدن؟ قالوا : نعم . ولولا أنه فعل ذلك ، لكنتُ أخاف أن يقع شيء لا يُقامُ له . قال : ولما قال : قد سلَّمْتُهُ إليكم صحيحَ البدن ، هداً الناسُ وسكنوا .

قلت : ما قال هذا مع تمكُّنه في الخلافة وشجاعته إلا عن أمرٍ كبيرٍ كأنه خاف أن يموتَ من الضرب ، فتخرجَ عليه العامة . ولو خرج عليه عامة بغداد لربما عجزَ عنهم .

وبلغنا أن المعتصمَ ندم ، وأسقط في يده ، حتى صلح .

[٣] وسمعتُه يقول : كلُّ من ذكَّرني ففِي حلٍّ إلا مُبتدعاً ، وقد جعلتُ أبا إسحاق - يعني : المعتصم - في حلٍّ ، ورأيتُ الله يقول : ﴿وَلْيَغْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ

أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] وأمر النبي صلى الله عليه وسلم، أبا بكر بالعمو في قصة مسطح. قال أبو عبد الله: وما ينفعك أن يعذب الله أخاك المسلم في سبيلك!!؟

محنة الواصل:

قال حنبل: لم يزل أبو عبد الله بعد أن برىء من الضرب يحضر الجمعة والجماعة، ويحدث ويقتي، حتى مات المعتصم، وولي ابنه الواصل فأظهر ما أظهر من المحنة والميل إلى أحمد بن أبي دؤاد وأصحابه. فلما اشتد الأمر على أهل بغداد وأظهرت القضاة المحنة بخلق القرآن، وفرق بين فضل الأنماطي وبين امرأته، وبين أبي صالح وبين امرأته، كان أبو عبد الله يشهد الجمعة، ويعيد الصلاة إذا رجع، ويقول: توتى الجمعة لفضلها، والصلاة تُعاد خلف من قال بهذه المقالة.

[١] وجاء نفر إلى أبي عبد الله، وقالوا: هذا الأمر قد فشا وتفاقم ونحن نخافه على أكثر من هذا، وذكروا ابن أبي دؤاد، وأنه على أن يأمر المعلمين بتعليم الصبيان في المكاتب: القرآن كذا وكذا، فنحن لا نرضى بإمارته. فمنعهم من ذلك، وناظرهم. وحكى أحمد قصده في مناظرتهم، وأمرهم بالصبر. قال: فبينما نحن في أيام الواصل، إذ جاء يعقوب ليلاً برسالة الأمير اسحاق بن إبراهيم إلى أبي عبد الله: يقول لك الأمير: إن أمير المؤمنين قد ذكرَكَ فلا يجتمعن إليك أحد، ولا تُساكنني [٢] بأرض ولا مدينة أنا فيها، فأذهب حيث شئت من أرض الله. قال: فاخترني أبو عبد الله بقية حياة الواصل وكانت تلك الفتنة، وقتل أحمد بن نصر الخزاعي. ولم يزل أبو عبد الله مختفياً في البيت لا يخرج إلى الصلاة ولا إلى غيرها حتى هلك الواصل.

[٣] وعن إبراهيم بن هانئ، قال: اختفى أبو عبد الله عندي ثلاثاً ثم قال: اطلب لي موضعاً، قلت: لا آمن عليك، قال: افعل، فإذا فعلت، أفدتك. فطلبت

له موضعاً، فلما خرج، قال: اختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم، في الغار ثلاثة أيام ثم تحول.

فصل في حال الإمام في دولة المتوكل

قال حنبل: وَلِيَّ المتوكل جعفر، فأظهر الله السُّنَّةَ، وفرَّج عن الناس، وكان أبو عبد الله يُحَدِّثُنَا وَيُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ فِي أَيَّامِ المتوكل وسمِعْتُهُ يَقُولُ: مَا كَانَ النَّاسُ إِلَى الْحَدِيثِ وَالْعِلْمِ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إِلَيْهِ فِي زَمَانِنَا.

ثم وَلِيَّ بَغْدَادَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْحَاقَ، فَجَاءَ رَسُولُهُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فَذَهَبَ إِلَيْهِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَ المتوكل، وَقَالَ لَهُ: يَأْمُرُكَ بِالْخُرُوجِ يَعْنِي: إِلَى سَامَرَاءَ، فَقَالَ: أَنَا شَيْخٌ ضَعِيفٌ عَلِيلٌ. فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بِمَا رَدَّ عَلَيْهِ فُورِدَ جَوَابُ الْكِتَابِ: أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُهُ بِالْخُرُوجِ. فَوَجَّهَ عَبْدُ اللَّهِ أَجْنَادًا، فَبَاتُوا عَلَى بَابِنَا أَيَّامًا، حَتَّى تَهَيَّأَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لِلْخُرُوجِ فَخَرَجَ وَمَعَهُ صَالِحٌ وَعَبْدُ اللَّهِ وَأَبِي.

قال حنبل: فَأَخْبَرَنِي أَبِي، قَالَ: دَخَلْنَا إِلَى الْعَسْكَرِ، فَإِذَا نَحْنُ بِمَوْكِبٍ عَظِيمٍ مُقْبِلٍ، فَلَمَّا حَازَى بَنَاءً، قَالُوا: هَذَا وَصِيفٌ، وَإِذَا بِفَارِسٍ قَدْ أَقْبَلَ، فَقَالَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: الْأَمِيرُ وَصِيفٌ يَقْرُئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: إِنْ اللَّهُ قَدْ أَمَكَّنَكَ مِنْ عَدُوِّكَ، يَعْنِي: ابْنَ أَبِي دُوَادَ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَقْبَلُ مِنْكَ، فَلَا تَدْعُ شَيْئًا إِلَّا تَكَلَّمْتَ بِهِ. فَمَا رَدَّ عَلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ شَيْئًا. وَجَعَلْتُ أَنَا أَدْعُو لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَدَعَوْتُ لَوْصِيفٍ. وَمَضَيْنَا فَأَنْزَلْنَا فِي دَارِ إِيْتَاخٍ. وَكَانَتْ تَأْتِينَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَائِدَةٌ فِيهَا أَلْوَانٌ يَأْمُرُ بِهَا المتوكل وَالثَّلْجُ وَالْفَاكِهِةُ وَغَيْرُ ذَلِكَ، فَمَا ذَاقَ مِنْهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ شَيْئًا، وَلَا نَظَرَ إِلَيْهَا. وَكَانَ نَفَقَةُ الْمَائِدَةِ فِي الْيَوْمِ مِئَةً وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا.

وَكَانَ يَحْيَى بْنُ خَاقَانَ، وَابْنُهُ عُبَيْدُ اللَّهِ، وَعَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ يَخْتَلِفُونَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بِرِسَالَةِ المتوكل. وَدَامَتِ الْعِلَّةُ بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَضَعْفٌ شَدِيدًا. وَكَانَ يُوَاصِلُ، وَمَكَّتْ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، فَفِي الثَّامِنِ دَخَلَتْ عَلَيْهِ، وَقَدْ كَادَ أَنْ يُطْفَأَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، ابْنُ الزَّبِيرِ كَانَ يُوَاصِلُ سَبْعَةَ، وَهَذَا لَكَ

اليوم ثمانية أيام. قال: إني مُطيق. قلتُ: بحقي عليك. قال: فإني أفعل. فأتيتهُ بسويق فشرب. ووجهُ إليه المتوكل بمال عظيم. فردّه، فقال له عُبيدالله بنُ يحيى: فإن أمير المؤمنين يأمرُك أن تدفعَها إلى وَلَدِكَ وأهلك. قال: هم مستغنون. فردّها عليه فأخذها عُبيدُالله، فقسمها على ولده، ثم أجرى المتوكل على أهله وولده في كل شهر أربعة آلاف. فبعثَ إليه أبو عبد الله: إنهم في كفاية، وليستَ بهم حاجة. فبعثَ إليه المتوكل: إنما هذا لولدك، فما لك ولهذا؟ فأمسك أبو عبد الله، فلم يزل يُجري علينا حتى مات المتوكل.

[١] وَجَرى بين أبي عبد الله وبين أبي كلام كثير. وقال: يا عم ما بقي من أعمارنا. كأنك بالأمر قد نزل. فإله الله، فإن أولادنا إنما يريدون أن يأكلوا بنا، وإنما هي أيامٌ قلائل، وإنما هذه فتنة قال أبي: فقلت: أرجو أن يؤمّنك الله مما تحذر. فقال: كيف وأنتم لا تتركون طعامهم ولا جوائزهم؟ لو تركتموها، لتركوكم. ماذا تَتَظَرُّ؟ إنما هو الموت. فإما إلى جنة، وإما إلى نار. فطوبى لمن قديم على خير. قال: فقلت: أليس قد أمرتَ ما جاءك من هذا المال من غير إشراف نفس، ولا مسألة أن تأخذه؟ قال: قد أخذت مرة بلا إشراف نفس، فالثانية والثالثة؟ ألم تستشرف نفسك؟ قلت: أفلم يأخذ ابنُ عُمَرَ وابنُ عباس؟ فقال: ما هذا وذاك! وقال: لو أعلم أن هذا المال يُؤخذ من وجهه، ولا يكون فيه ظُلْمٌ ولا حيف لم أبال.

قال حنبل: ولما طالت علة أبي عبد الله، كان المتوكلُ يبعثُ بابن ماسويه المتطبّب، فيصفُ له الأدوية، فلا يتعالج. ويدخلُ ابنُ ماسويه، فقال: يا أمير المؤمنين ليستَ بأحمدَ علة، إنما هو من قلة الطعام والصيام والعبادة، فسكتَ المتوكل.

وبلغ أُمّ المتوكل خبرُ أبي عبد الله، فقالت لابنها: أشتهي أن أرى هذا الرجل، فوجهُ المتوكل إلى أبي عبد الله، يسأله أن يدخلَ على ابنه المعتز، ويدعُو له ويُسلّم عليه، ويجعله في حجره. فامتنع ثم أجاب رجاءً أن يُطلق،

وينحدر إلى بغداد، فوجه إليه المتوكل خلعةً وأتوه بدابةً يركبها إلى المعتز، فامتنع، وكانت عليه ميثرةٌ تُموّرُ فُقدّم إليه بغل لتاجر، فركبه، وجلس المتوكل مع أمه في مجلس من المكان وعلى المجلس سترٌ رقيق. فدخل أبو عبد الله على المعتز، ونظر إليه المتوكل وأمه. فلما رآته، قالت: يا بُني، الله الله في هذا الرجل فليس هذا ممن يُريد ما عندكم، ولا المصلحة أن تحبسه عن منزله، فائذن له ليذهب، فدخل أبو عبد الله على المعتز، فقال: السلام عليكم، وجلس ولم يُسلم عليه بالإمرة. فسمعتُ أبا عبد الله بعدُ يقول: لما دخلتُ عليه، وجلستُ، قال مؤدّبه: أصلح الله الأمير، هذا هو الذي أمره أمير المؤمنين يُؤدّبك ويعلمك؟ فقال الصبي: إن علّمني شيئاً، تعلمته، ! قال أبو عبد الله: فعجبتُ من ذكائه وجوابه على صغره، وكان صغيراً.

ودامت علة أبي عبد الله، وبلغ المتوكل ما هو فيه، وكلمه يحيى بن خاقان أيضاً، وأخبره أنه رجل لا يُريد الدنيا، فأذن له في الانصراف ف جاء عبيد الله بن يحيى وقتَ العصر، فقال: إن أمير المؤمنين قد أذن لك، وأمر أن يُفرش لك حُرّاقة^(١) تنحدر فيها. فقال أبو عبد الله: اطلبوا لي زورقاً أنحدر الساعة. فطلبوا له زورقاً، فانحدر لوقته.

قال حنبل: فما علمنا بقدومه حتى قيل: إنه قد وافى، فاستقبلته بناحية القطيعة. وقد خرج من الزورق، فمشيتُ معه، فقال لي: تقدّم لا يراك الناس فيعرفوني، فتقدمته. قال: فلما وصل، ألقى نفسه على قفاه من التعب والعياء.

[١] قال صالح بن أحمد: قدم المتوكل فنزل الشَّماسية، يُريد المدائن فقال لي أبي: أحبُّ أن لا تذهب إليهم تنبه عليّ. فلما كان بعد يومٍ أنا قاعدٌ، وكان يوماً مطيراً، فإذا بي يحيى بن خاقان قد جاء في موكبٍ عظيمٍ والمطرُ عليه، فقال لي: سبحان الله لم تصر إلينا حتى تبلغ أمير المؤمنين السلام عن شيخك، حتى وجه بي، ثم نزل خارج الرُّفاق، فجهدتُ به أن يدخل على الدابة فلم يفعل،

(١) السفينة الخفيفة.

فجعلَ يخوضُ المطر. فلما وصل نزع جُرْمُوْقَه، ودخل وأبي في الزاوية عليه كساء، فسَلَّم عليه، وقَبَّلَ جِهَتَه، وسأله عن حاله، وقال: أميرُ المؤمنين يُقرئُك السلام، ويقول: كَيْفَ أنت في نفسك، وكيف حالك؟ وقد أنستُ بقربك، يسألك أن تدعو له فقال: ما يأتي عليَّ يومٌ إلا وأنا أدعو الله له. ثم قال: قد وَجَّهَ معي ألفَ دينار تُفرِّقُها على أهل الحاجة. فقال: يا أبا زكريا، أنا في بيت مُنقطع، وقد أعفاني من كلِّ ما أكره، وهذا ممَّا أكره. فقال: يا أبا عبدالله، الخلفاء لا يحتملون هذا. فقال: يا أبا زكريا تلطف في ذلك. فدعا له، ثم قام، فلما صار إلى الدار، رَجَعَ، وقال: هكذا لو وَجَّهَ إليك بعضُ إخوانك كنتَ تفعلُ؟ قال: نعم. فلما صرنا إلى الدهليز، قال: قد أَمَرَنِي أميرُ المؤمنين أدفعها إليك تُفرِّقها. فقلت: تكونُ عندك إلى أن تَمضي هذه الأيام.

وَمِنْ سِيرَتِهِ:

أبو مسلم محمد بنُ اسماعيل: حدثنا صالح بنُ أحمد، قال: مضيتُ مع أبي يومَ جمعةٍ إلى الجامع، فوافقنا الناسَ قد انصرفوا. فدخل إلى المسجد، وكان معنا إبراهيم بن هانيء، فتقدَّم أبي فصلى بنا الظهرَ أربعاً. وقال: قد فعله ابنُ مسعود بعلقمة والأسود. وكان أبي إذا دخلَ مقبرةً، خلعَ نَعْلَيْه، وأمسكَهُما بيده. [١] إبراهيم بنُ محمد بن سفيان: سمعتُ عاصم بنَ عَصام البيهقي، يقول: بَتُّ ليلةً عند أحمد بن حنبل، فجاء بماءٍ فوضَعَهُ، فلما أصبحَ نظرَ إلى الماء بحاله، فقال: سبحانَ الله! رجلٌ يطلبُ العلم لا يكون له ورد بالليل.

[٢] أحمد بن بُندار الشَّعَار: حدثنا أبو يحيى بنُ الرازي: سمعت علي بنَ سعيد الرازي، قال: صرنا مع أحمد بن حنبل إلى باب المُتوكل، فلما أدخلوه من باب الخاصَّة، قال: انصرفوا، عافاكم الله. فما مرض منا أحدٌ بعد ذلك اليوم.

[٣] قال الخلال: بُلينا بقومٍ جهال، يَظُنُّون أنَّهم علماء. فإذا ذكرنا فضائلَ أبي عبدالله، يُخْرِجُهُم الحَسَدُ، إلى أن قال بعضهم فيما أخبرني ثقة عنه: أحمد بنُ حنبل نبيُّهم.

وقال عبدُ الله: سمعتُ أبي، يقول: ربما أردتُ البكور في الحديث، فتأخذ أُمي بثوبي، وتقول: حتى يُؤذَنَ المؤذن.

(بَابُ)

[١] طاهر بن خلف، سمعتُ المهتدي بالله محمد بنَ الواثق، يقول: كان أبي إذا أراد أن يَقْتُلَ أحداً، أحضرنا، فأتني بشيخ مخضوب مُقَيَّد فقال أبي: ائذنوا لأبي عبد الله وأصحابه، يعني: ابن أبي دُوَاد قال: فأَدْخَلَ الشَّيْخُ، فقال: السَّلامُ عليك يا أمير المؤمنين، فقال: لا سَلَامَ الله عليك. فقال: يا أمير المؤمنين، بئسَ ما أدَبَكَ مؤدِّبُكَ قال الله تعالى:

﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها﴾

(النساء: ٨٦).

فقال ابن أبي دُوَاد: الرجل مُتَكَلِّم. قال له: كَلِّمهُ، فقال: يا شيخُ ما تقول في القرآن؟ قال: لم يُنْصِفْنِي، ولي السُّؤال. قال: سل قال: ما تقولُ في القرآن؟ قال: مخلوق. قال الشيخُ: هذا شيءٌ عَلِمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبو بكر وعمر، والخلفاء الراشدون أم شيءٌ لم يعلموه؟ قال: شيءٌ لم يعلموه. فقال: سبحان الله! شيءٌ لم يَعْلَمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، علمته أنت؟ فحجل. فقال: أفلني، قال: المسألةُ بحالها. قال: نعم عَلِمُوهُ، فقال: علموه ولم يَدْعُوا النَّاسَ إِلَيْهِ، قال: نعم. قال: أَفَلَا وَسِعَكَ مَا وَسِعَهُمْ؟ قال: فقام أبي، فدخل مجلساً، واستلقى، وهو يقول: شيءٌ لم يَعْلَمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ولا الخلفاء الراشدون عَلِمْتَهُ أَنْت! سبحان الله! شيءٌ عَلِمُوهُ، ولم يدعوا النَّاسَ إِلَيْهِ، أَفَلَا وَسِعَكَ مَا وَسِعَهُمْ؟! ثم أمر برفع قيوده، وأن يُعْطَى مئة دينار، ويُوذَنَ له في الرجوع، وسَقَطَ من عينه ابنُ أبي دُوَاد ولم يَمْتَحَن بعدها أبداً.

وهذه قصةٌ مليحة، وإن كان في طريقها من يُجهل ولها شاهد.

(فصل)

[١] كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون نحو خمس مئة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حُسن الأدب والسُّمت.

[٢] عبدالله بن محمد الوراق: كنتُ في مجلس أحمد بن حنبل، فقال: من أين أقبلتم؟ قلنا: من مجلس أبي كريب، فقال: اكتبوا عنه، فإنه شيخٌ صالح، فقلنا: إنه يطعنُ عليك. قال: فأني شيءٌ حيلتي، شيخٌ صالح قد بُليَ بي.

[٣] كان أحمد من أحبي الناس، وأكرمهم، وأحسنهم عشرةً وأدباً كثير الإطراق، لا يُسمعُ منه إلا المذاكرة للحديث، وذكر الصالحين في وقارٍ وسكونٍ، ولفظ حسن. وإذا لقيه إنسان، بشَّ به، وأقبل عليه. وكان يتواضع للشيخ شديداً، وكانوا يُعظِّمونَه، وكان يفعل ببيحيى بن معين ما لم أره يعملُ بغيره من التواضع والتكريم والتبجيل. كان يحيى أكبرَ منه بسبع سنين.

[٤] عبدالله بن أحمد، قال: كان أبي إذا أتى البيت من المسجد، ضربَ برجله حتى يسمعوا صوت نعلِه، وربما تنحنح ليعلموا به.

[٥] إسحاق بن هانئ قال: كنا عند أحمد بن حنبل في منزله، ومعه المروزي، ومُهَنَّى، فدقَّ داقُ الباب، وقال: المروزي ها هنا؟ فكأنَّ المروزي كره أن يُعلمَ موضعه فوضع مُهَنَّى أصبعه في راحته، وقال: ليس المروزي ها هنا، وما يصنع المروزي ها هنا؟ فضحك أحمد، ولم يُنكر.

[٦] قال ابراهيم الحربي: سئل أحمد عن المسلم يقول للنصراني: أكرمك الله. قال: نعم، ينوي بها الإسلام.

[٧] وقيل: سئل أحمد عن رجل نذر أن يطوفَ على أربع، فقال: يطوفُ طوافين، ولا يطفُ على أربع.

[٨] قال ابن عقيـل: من عجب ما سمعته عن هؤلاء الأحداث الجهال، أنهم يقولون: أحمدٌ ليس بفيقيه، لكنه مُحَدِّث. قال: وهذا غايةُ الجهل لأن له اختيارات بناها على الأحاديث بناءً لا يعرفه أكثرهم. وربما زاد على كبارهم.

[١] قلت: أحسبهم يظنون أنه كان محدثاً ونس، بل يتخيلونه من بابة محدثي زماننا. والله لقد بلغ في الفقه خاصة رتبة الليث، ومالك والشافعي، وأبي يوسف، وفي الزهد والورع رتبة الفضيل، وإبراهيم بن أدهم، وفي الحفظ رتبة شعبة، ويحيى القطان، وابن المديني ولكن الجاهل لا يعلم رتبة غيره!!؟

[٢] ابن السَّمَاك: حدثنا حنبل، قال: جمعنا أحمد بن حنبل، أنا وصالح وعبد الله، وقرأ علينا «المسند»، وما سمعنا غيرنا. وقال: هذا الكتاب: جمعه وانتقيته من أكثر من سبع مئة ألف وخمسين ألفاً فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم فارجعوا إليه. فإن وجدتموه فيه، وإلا فليس بحجة.

[٣] قلت: في «الصحيحين» أحاديث قليلة، ليست في «المسند»، لكن قد يُقال: لا ترد على قوله. فإن المسلمين ما اختلفوا فيها، ثم ما يلزم من هذا القول: أن ما وجد فيه أن يكون حجة، ففيه جملة من الأحاديث الضعيفة مما يسوغ نقلها، ولا يجب الاحتجاج بها. وفيه أحاديث معدودة شبه موضوعة، ولكنها قطرة في بحر. وفي غُضُون المُسْنَد زيادات جمّة لعبد الله بن أحمد.

قال ابن الجوزي: وله - يعني: أبا عبد الله - من المصنّفات كتاب «نفي التشبيه» مجلدة، وكتاب «الإمامة» مجلدة صغيرة، وكتاب «الرد على الزنادقة» ثلاثة أجزاء، وكتاب «الزهد» مجلد كبير وكتاب «الرسالة في الصلاة» - قلت: هو موضوع على الإمام - قال: وكتاب «فضائل الصحابة» مجلدة. قلت: فيه زيادات لعبد الله ابنه، ولأبي بكر القطيعي صاحبه.

زوجاته وآله:

قال زهير بن صالح: تزوج جدي بأُم عَبَّاسَة، فلم يُولد له منها سوى أبي، ثم تُوُفِّيَتْ، ثم تزوج ربحانة امرأة من العرب فما ولدَتْ له سوى عمي عبد الله. [٤] قال الخلّال: سمعت المروزي، سمعت أبا عبد الله، ذكر أهله فترحم عليها، وقال: مكثنا عشرين سنة، ما اختلفنا في كلمة. وما علمنا أحمد تزوج ثالثة.

[١] قال يعقوبُ بنُ بُخْتان: أمرنا أبو عبد الله أن نشتري له جاريةً فمضيتُ أنا وفوران، فتبعني أبو عبد الله، وقال: يا أبا يوسف، يكونُ لها لحم.
وكان أسنُّ بني أحمد بن حنبل صالح، فَوَلِيَّ قضاء أصفهان، ومات بها سنة خمس وستين ومئتين عن نيف وستين سنة.
والولد الثالث سعيد بن أحمد، فهذا وُلد لأحمد قبل موته بخمسين يوماً، فكبر وتفقه، ومات قبل أخيه عبد الله.
وأما حسن ومحمد وزينب، فلم يبلغنا شيء من أحوالهم، وانقطع عَقْبُ أبي عبد الله فيما نعلم.

مَرَضُهُ:

[٢] وقال المَرُودِي: مرض أحمدُ تسعةَ أيام، وكان ربما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجا، يسلمون ويردُّ بيده. وتسامع الناس وكثروا.
وجاء بنو هاشم فدخلوا عليه، وجعلوا ييكون عليه. وجاء قومٌ من القضاة وغيرهم، فلم يُؤذَنَ لهم. ودخل عليه شيخٌ، فقال: اذكرْ وقوفك بين يدي الله، فشهِق أبو عبد الله، وسالت دُمُوعه.
فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين، قال: ادعُ لي الصَّبيان بلسان ثقيل. قال: فجعلوا ينضمُّون إليه، وجعل يشمُّهم ويمسحُ رؤوسهم وعينه تدمع، وأدخلت تحتَه الطَّسْت، فرأيتُ بوله دماً عبيطاً. فقلتُ للطبيب، فقال: هذا رجلٌ قَتَت الحزنُ والغمُّ جوفَه.

واشدَّتْ علته يوم الخميس ووضَّأته، فقال: خلَّلِ الأصابع، فلما كانت ليلة الجمعة، ثَقُلَ، وقُبِضَ صَدْرُ النهار، فصاح الناس، وعلت الأصوات بالبكاء، حتى كأن الدنيا قد ارتجَّت، وامتلات السكك والشوارع.

[٣] الخَلَّال: أخبرني عصمةُ بن عصام، حدثنا حنبل، قال: أعطى بعضُ ولد الفضل بن الربيع أبا عبد الله، وهو في الحبس ثلاثَ شعرات فقال: هذه من شعر النبي، صلى الله عليه وسلم، فأوصى أبو عبد الله عند موته أن يُجعل على

كل عين شعرة، وشعرة على لسانه. ففعل ذلك به عند موته.
وقال عبدالله بن أحمد ومطيين وغيرهما: مات لاثنتي عشرة خلت من ربيع
الأول، يوم الجمعة.

قال صالح بن أحمد: واشترينا له حنوطاً، وفرغ من غسله، وكفناه وحضر نحو
مئة من بني هاشم، ونحن نكفنه. وجعلوا يقبلون جبهته حتى رفعناه على
السري.

قال عبدالله: صلى على أبي محمد بن عبدالله بن طاهر، غلبنا على الصلاة
عليه، وقد كنا صلينا عليه نحن والهاشميون في الدار.

ولم يعلم الناس بذلك، فلما كان في الغد علموا، فجعلوا يجيئون،
ويصلون على القبر. ومكث الناس ما شاء الله، يأتون، فيصلون على القبر.
[١] قال الخلال: سمعت عبدالوهاب الوراق، يقول: ما بلغنا أن جمعاً في
الجاهلية ولا الإسلام مثله - يعني: من شهد الجنازة - حتى بلغنا أن الموضع
مسيح وحُزر على الصحيح، فإذا هو نحو من ألف ألف وحُزرنا على القبور نحواً
من ستين ألف امرأة، وفتح الناس أبواب المنازل في الشوارع والدروب، ينادون
من أراد الوضوء.

[٢] الخلال: سمعت عبدالوهاب الوراق، يقول: أظهر الناس في جنازة أحمد بن
حنبل السنة والطعن على أهل البدع، فسر الله المسلمين بذلك على ما عندهم
من المصيبة لما رأوا من العز وعُلُو الإسلام، وكبت أهل الزين ولزم بعض الناس
القبر، وباتوا عنده، وجعل النساء يأتين حتى مُنعن، وسمعت المروزي يقول عن
علي بن مهرويه، عن خالته، قالت: ما صلوا ببغداد في مسجد العصر يوم وفاة
أحمد، وقيل: إن الزحمة دامت على القبر أياماً.

[٣] عن أخي أبي عقيل، قال: رأيت شاباً، توفي بقزوين، فقلت: ما فعل بك
ربك؟ قال: غفر لي. ورأيت مستعجلاً، فسألته، فقال: لأن أهل السماوات قد
اشتغلوا بعقد الألوية لاستقبال أحمد بن حنبل، وأنا أريد استقباله. وكان أحمد

توفي تلك الأيام.

[١] الهيثم بن خالويه، قال: رأيت السُّنْدِيَّ في النوم، فقلت: ما حالك؟ قال: أنا بخير لكن اشتغلوا عني بمجيء أحمد بن حنبل.

[٢] عبدالله بن أحمد بن حنبل، سمعت أبي، يقول: رأيت ربَّ العزة في المنام، فقلت: ياربِّ، ما أفضل ما تَقَرَّبَ به إليك المتقربون؟ قال: بكلامي يا أحمد. قلتُ يا رب، بفهم، أو بغير فهم؟ قال: بفهم وبغير فهم.

[٣] زكريَّا بن يحيى السُّمَّسَار، يقول: رأيتُ أحمد بنَ حنبل في المنام على رأسه تاجٌ مرصَّعٌ بالجواهر، في رجليه نعلان، وهو يَخْطُرُ بهما. قلتُ: ما فعلَ الله بك؟ قال: غفر لي وأدناني، وتوجَّني بيده بهذا التاج وقال لي: هذا بقولك: القرآن كلامُ الله غيرُ مخلوق. قلتُ: ما هذه الخطرة التي لم أعرفها لك في دار الدنيا؟ قال: هذه مشية الخدام في دار السلام.

[٤] وذكر شيخُ الإسلام بإسنادٍ طويل عن محمد بن يحيى الرملي قاضي دمشق قال: دخلتُ العراقَ والحجازَ، وكتبتُ، فَمِنْ كَثْرَةِ الاختلاف لم أدرِ بأيِّها آخذ، فقلت: اللهم اهْدني، فَنِمْتُ، فرأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم وقد أسند ظهره إلى الكعبة، وعن يمينه الشافعيُّ، وأحمد بنُ حنبل، وهو يتبسَّمُ إليهما. فقلتُ: يا رسول الله، بِمَ آخذ؟ فأومأ إلى الشافعي وأحمد، وقال:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: ٨٩]

[٥] ولقد جمعَ ابنُ الجوزي فأوعى من المنامات في نحو من ثلاثين ورقة وليس أبو عبدالله ممن يحتاجُ تقريرُ ولايته إلى منامات، ولكنها جندٌ من جند الله، تَسْرُ المؤمنَ ولا سيما إذا تواترت.

٤٨٣ - اسحاق بن راهويته (خ، م، د، س) (١)

[١] هو الإمام الكبير، شيخ المشرق، سيد الحفاظ، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد التميمي ثم الحنظلي المرزوي، نزيل نيسابور.

قلت: مولده في سنة احدى وستين ومئة.

قال حاشد بن اسماعيل: سمعت وهب بن جرير، يقول: جرى الله اسحاق ابن راهويه، وصدقة بن الفضل، ويعمر عن الإسلام خيراً، أحيوا السنة بالمشرق.

قلت: يعمر: هو ابن بشر.

قال أحمد بن سلمة: سمعت اسحاق يقول: قال لي الأمير عبد الله بن طاهر: لم قيل لك: ابن راهويته؟ وما معنى هذا؟ وهل تكره أن يقال لك ذلك؟ قال: اعلم أيها الأمير أن أبي وُلد في طريق مكة، فقالت المراوزة: راهويه، لأنه وُلد في الطريق، وكان أبي يكره هذا. وأما أنا فلا أكرهه.

[٢] وعن محمد بن يحيى الصفار، قال: لو كان الحسن البصري في الأحياء لاحتاج إلى إسحاق في أشياء كثيرة.

[٣] محمد بن عبد الوهاب، سمعت اسحاق بن إبراهيم، وسئل عن رجل ترك ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال: من ترك «ب» أو «س» أو «م» منها، فصلاته فاسدة لأن الحمد سبع آيات.

وقال ابن المبارك: من تركها، فقد ترك مئة وثلاث عشرة آية من كتاب الله تعالى.

[٤] وقال أحمد بن حفص السعدي، شيخ ابن عدي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل اسحاق، وإن كان يُخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يُخالف بعضهم بعضاً.

(١) انظر السير: ٣٥٨/١١ - ٣٨٣.

[١] قال حنبل: سمعتُ أبا عبدالله، وسُئِلَ عن إسحاقَ بنِ راهويه، قال: مثْلُ
إسحاق يُسأل عنه؟! إسحاق عندنا إمام.

[٢] وقال إمامُ الأئمة ابنُ خزيمة: والله لو كان إسحاقُ في التابعين لأقروا له
بحفظه وعلمه وفقهه.

[٣] علي بن خشرم، حدثنا ابن فضل، عن ابن شُبْرمة، عن الشعبي قال: ما
كتبْتُ سوداء في بيضاء إلى يومي هذا، ولا حدثني رجلٌ بحديث قطُّ إلا حفظتهُ.
قال علي: فحدثْتُ بهذا إسحاق بن راهويه فقال: تَعْجَبُ من هذا؟ قلت: نعم.
قال: ما كنت أسمع شيئاً إلا حَفِظْتُهُ، وكأني أنظر إلى سبعين ألف حديث - أو
قال: أكثر - في كتبي.

[٤] قال أبوداود الخُفَّاف: سمعتُ إسحاق بن راهويه، يقول: لكأني أنظر إلى مئة
ألف حديث في كتبي، وثلاثين ألفاً أَسْرُدُها. قال: وأُمْلِي علينا إسحاق أحدَ عشر
ألف حديثٍ من حفظه، ثم قرأها علينا، فما زاد حرفاً ولا نقص حرفاً. هذه
الحكاية رواها الحافظ ابن عدي، عن يحيى بن زكريا بن حيَّويه، سمع أبا داود
فذكرها. فهذا والله الحفظ.

قلت: قد كان مع حفظه إماماً في التفسير، رأساً في الفقه من أئمة الاجتهاد.
[٥] وورد عن إسحاق أنَّ بعض المتكلمين قال له: كفرْتُ برب ينزل من سماءٍ
إلى سماءٍ. فقال: آمَنْتُ برب يفعل ما يشاء.

قلت: هذه الصفات من الاستواء والإتيان والنزول، قد صَحَّتْ بها
النصوصُ، ونقلها الخلفُ عن السلف، ولم يتعرَّضوا لها بردٌ ولا تأويل، بل
أنكروا على من تأولها مع إصفاقِهم^(١) على أنها لا تُشبهُ نعوت المخلوقين وأنَّ
الله ليس كمثله شيءٌ، ولا تُبْغِي المناظرة، ولا التنازع فيها فإن في ذلك محاولةً
للرد على الله ورسوله، أو حَوْماً على التكيف أو التعطيل.
توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وله سبع وسبعون سنة.

(١) أي: اجتمعوا.

[١] وقال عثمان بن جعفر اللبَّان: حدثنا علي بن إسحاق بن راهويه قال: وُلِدَ أَبِي من بطن أمه مثقوبَ الأذنين، فمضى جدي راهويه إلى الفضل ابن موسى فسأله، فقال: يكون ابنك رأساً إما في الخير، وإما في الشر. هذه الحكاية رواها الخطيب في «تاريخه» عن الجوهرى، أخبرنا محمد بن العباس الخزاز، حدثنا عثمان فذكرها. وهذا إسناد جيد وحكاية عجيبة.

٤٨٤- عمرو بن زُرَّارة (خ، م، س)^(١)

[٢] ابن واقد المُحدِّث الإمام الثبت، أبو محمد الكلابي النيسابوري المقرئ. تلا على الكسائي.

وقال النسائي: ثقة.

قال السُّراج: كان فيه زعارة.^(٢)

[٣] وقال داود بن الحسين البيهقي: كنا نختلِفُ إلى عمرو بن زُرَّارة فخرج علينا يوماً، فضحك رجل، فقال عمرو: هب التحرُّج، أليس التقى؟ هب التقى، أليس الحياء؟ ثم قام ودخل.

قلت: قد يقال للزعر الأخلاق: هب حسن الخلق ذهب، أليس الحلم، وهب الحلم ذهب، أليس العفو.

قال البخاري: مات سنة ثمان وثلاثين ومئتين.

٤٨٥- الأنطاكي^(٣)

[٤] الإمام القدوة، واعظُ دمشق، أبو عبد الله أحمد بن عاصم الأنطاكي الزاهد.

قال أبو حاتم الرازي: أدركته بدمشق، وكان صاحبَ مواعظ وزهد. من أقران

(١) انظر السير: ١١ / ٤٠٦-٤٠٧. (٢) أي شراسة وسوء خلق. (٣) انظر السير: ١١ / ٤٠٩-٤١٠.

بشر الحافي، وسري السَّقْطِي.

كان يقال: هو جاسوس القلوب.

- [١] قال أحمد بن أبي الحَوَارِي: سمعتُ أحمد بنَ عاصم، يقول: أصلح فيما بقي، يُعْفَرُ لَكَ ما مضى، ما أُغْبِطُ إلا من عَرَفَ مولاه.
- [٢] وعنه قال: يسيرُ اليقينُ يُخْرِجُ كُلَّ الشُّكِّ من القلب.

[٣] ابن أبي حاتم: قال لي علي بنُ عبد الرحمن، قال لي أحمد بنُ عاصم: قِلَّةُ الخوف من قلة الحزن في القلب، كما أن البيت إذا لم يسكن خرب.

[٤] قال أبو زرعة: أملى عليَّ أحمد بنُ عاصم الحكيم: الناسُ ثلاثُ طبقات: مطبوع غالب وهم المؤمنون، فإذا غفلوا ذكروا، ومطبوع مغلوب فإذا بُصِّروا أبصروا ورجعوا بقوة العقل، ومطبوع مغلوب غير ذي طباع ولا سبيل إلى ردِّ هذا بالمواعظ.

[٥] قلتُ: فما الظنُّ إذا كان واعظُ الناس من هذا الضرب عبْدَ بطنه وشهوته، وله قلبٌ عَرِيٌّ من الحزن والخوف، فإن انضافَ إلى ذلك فسقٌ مكينٌ، أو انحلالٌ من الدين، فقد خاب وخسر، ولا بُدَّ أن يفضحه الله تعالى.

[٦] وعنه: الخيرُ كُلُّهُ أن تُروى عنك الدنيا، ويؤمنَ عليك بالقنوع، وتُصرفَ عنك وجوه الناس.

وله من هذا النحو مواعظ نافعة، ووقع في النفوس. رحمه الله.

٤٨٦ - هشام بن عمار (خ، ٤) (١)

[٧] ابن نُصَيْر، الإمامُ الحافظ العلامة المقرئ، عالمُ أهل الشام، أبو الوليد السُّلَمي، خطيب دمشق.

قال: ولدتُ سنة ثلاث وخمسين ومئة.

(١) انظر السير: ١١ / ٤٢٠-٤٣٥.

فلقد كان من أوعية العلم، وكان ابتداء طلبه للعلم وهو حَدَّثَ قبل السبعين ومئة، وفيها، وقرأ القرآن على جماعة.

وروى أبوحاتم الرازي: عن يحيى بن معين: كَيْسُ كَيْسٍ.

قال أبو القاسم بن الفرات: أخبرنا أبو علي أحمد بن محمد الأصبهاني المقرئ، لما تُوفِّيَ أيوب بن تميم، يعني: مُقرئ دمشق رجعت الإمامة حينئذٍ إلى رجلين: أحدهما مشتهرٌ بالقراءة والضبط، وهو ابنُ ذكوان، فائتمَّ الناس به، والآخرُ مشتهرٌ بالنقل والفصاحة والرواية والعلم، والدراية، وهو هشام بن عمار، وكان خطيباً بدمشق، رُزِقَ كِبَرُ السن، وصحَّةُ العقل والرأي، فارتحل الناسُ إليه في نقل القراءة والحديث.

وكان ابنُ ذكوان يُفضِّله، ويرى مكانه لكبر سنه. فلما توفي ابنُ ذكوان سنة اثنتين وأربعين، اجتمع الناسُ على إمامة هشام بن عمار في القراءة والنقل. وتوفي بعده بثلاث سنين.

[١] قال أبو أحمد بن عدي في (كامله): سمعتُ قسطنطين بنَ عبد الله مولى المعتمد، يقول: حضرتُ مجلسَ هشام بنِ عمار، فقال المستملي: من ذكرت؟ فقال: أخبرنا بعضُ مشايخنا، ثم نَعَسَ، ثم قال له: من ذكرت؟ فنَعَسَ، فقال المستملي: لا تَنْتَفِعُوا به، فجمعوا له شيئاً فأعطوه فكان بعد ذلك يُملي عليهم حتى يَمْلُوا.

[٢] وقال محمد بنُ أحمد بن راشد بن معدان الأصبهاني: سمعتُ ابنَ وَارَةَ يقول: عَزَمْتُ زماناً أن أُمسِكَ عن حديثِ هشام بنِ عمار، لأنَّه كان يبيِّعُ الحديث.

قلت: العَجَبُ من هذا الإمام مع جلالته، كيف فعل هذا، ولم يكن محتاجاً، وله اجتهاده.

[٣] قال صالح بنُ محمد جَزَرَةَ: كان هشام بنُ عمار يأخذُ على الحديث ولا يحدثُ ما لم يأخذ، فدخلتُ عليه، فقال: يا أبا علي، حدثني بحديثٍ لعلِّي

ابن الجعد، فقال: حدثنا ابن الجعد، حدثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: عَلِمَ مَجَانًّا كَمَا عَلِمْتُ مَجَانًّا. قال: تَعَرَّضْتُ بِي يَا أَبَا عَلِيٍّ؟ فقلتُ: مَا تَعَرَّضْتَ، بَلْ قَصَدْتُكَ.

[١] قال أبو بكر المروزي: ذكر أحمدُ بنُ حنبلٍ هشامَ بنَ عمار، فقال: طياش خفيف.

[٢] خيشمة: سمعتُ محمدَ بنَ عوف، يقول: أتينا هشامَ بنَ عمار في مزرعة له، وهو قاعد على مورج له، وقد انكشفتُ سَوءُهُ، فقلنا: يا شيخ غَطُّ عليك. فقال: رأيتموه؟! لن ترمدَ عينُكم أبداً، يعني يمزح.

[٣] قال أبو بكر محمد بنُ سليمان الرُّبَعي: حدثنا محمدُ بنُ الفِضِّ الغَسَّاني، سمعتُ هشامَ بنَ عمار، يقول: باعَ أبي بيتاً له بعشرين ديناراً وجهزني للحج. فلما صِرْتُ إلى المدينة، أتيتُ مجلسَ مالك، ومعِي مسائل أريدُ أن أسأله عنها. فأتيته، وهو جالس في هيئة الملوك، وغلمان قيام، والناسُ يسألونه، وهو يُجيبُهُم. فلما انقضى المجلس، قال لي بعضُ أصحاب الحديث: سل عن ما معك؟ فقلتُ له: يا أبا عبد الله ما تقولُ في كذا وكذا؟ فقال: حصلنا على الصبيان، يا غلام، احمِلْهُ فحملني كما يُحمل الصبي، وأنا يومئذُ غلام مدرِك، فضرَبني بِدِرَّةٍ مثل دِرَّةِ المعلمين سبع عشرة درة، فوقفتُ أبكي، فقال لي: ما يُبكيك؟ أوجعتُكَ هذه الدَّرَّة؟ قلت: إن أبي باع منزله، ووجهَ بي أتشرفُ بك وبالسَّماع منك، فضرَبْتَنِي؟ فقال: اكتب، قال: فحدثني سبعة عشر حديثاً، وسألته عما كان معي من المسائل فأجابني.

[٤] قال محمدُ بنُ خُرَيْم الخُزَيْمي: سمعتُ هشامَ بنَ عمار، يقول في خطبته: قولوا الحقَّ، ينزلُكم الحقُّ منازلَ أهلِ الحقِّ يومَ لا يُقضى إلا بالحقِّ. قلتُ: وكان هشامُ خطيباً بليغاً صاحبَ بديهة.

[٥] قلتُ: أما قول الإمام فيه: طياش، فلائنه بلغه عنه أنه قال في خطبته: الحمد لله الذي تجلَّى لخلقه بخلقه. فهذه الكلمة لا ينبغي إطلاقها، وإن كان لها

معنى صحيح ، لكن يَحْتَجُّ بها الحُلُولِيُّ والاتحادي وما بلغنا أنه سبحانه وتعالى تجلّى لشيء إلا بجبل الطور، فصيرَه ذَكَاءً وفي تَجَلِّيهِ لنبينا، صلى الله عليه وسلم، اختلاف أنكرته عائشة وأثبتته ابنُ عباس.

[١] وبكل حالٍ كلامُ الأقران بعضهم في بعض يُحتمل، وطَّيه أولى من بثِّه إلا أن يَتَّفَقَ المتعاصرون على جرح شيخ، فيعتمد قولهم، والله أعلم.

[٢] وقال محمد بن الفيض أيضاً: جاء رجلٌ من قرية الحُرْجُلَةِ^(١) يطلبُ لعرس أخيه لعابين، فوجد الوالي قد منعهم، فجاء يطلب مُغَبَّرين، يعني: مُزْمَين يُغَبِّرون بالقضيب، قال: فَلَقِيَه صوفيٌّ ماجن، فأرشده إلى ابن ذَكوان، وهو خلف المنبر، فجاءه، وقال: إِنَّ السلطان قد مَنَعَ المغنَّين. فقال: أحسنَ والله، فقال: فنعمل العرس بالمغَبَّرين، وقد دُلِّلتُ عليك. فقال: لنا رفيق، فإن جاء، جئت، وهو ذاك، وأشار إلى هشام بن عمار فقام الرجلُ إليه، وهو عند المحراب مُتَكِيء، فقال الرجل لهشام: أبو من أنت، فردَّ عليه رداً ضعيفاً، فقال: أبو الوليد، فقال: يا أبا الوليد: أنا من الحُرْجُلَةِ، قال: ما أبالي من أين كنت. قال: إن أخي يعمل عُرْسَه، فقال: فماذا أصنع؟ قال: قد أرسلني أطلبُ له المُخْتَنين قال: لا بارك الله فيهم ولا فيك. قال: وقد طلب المغَبَّرين فأرشدتُ إليك. قال: ومن بعثك؟ قال: هذاك الرجل، فرفع هشامُ رجله، ورَفَسَه وقال: قُمْ. وصاح بابن ذكوان: أقد تفرغتَ لهذا؟ قال: إي والله أنت رئيسنا، لو مضيتَ مَضِينًا.

تُوفِّي هشامُ بنُ عمار في سنة خمس وأربعين ومئتين.

٤٨٧- القواريري (خ، م، د، س) (٢)

[٣] عبيدالله بن عمر بن مَيْسرة، الإمام الحافظ، محدِّث الإسلام، أبوسعيد الجُشمي مولا هم البصري القواريري الزجاج، نزيل بغداد.

(١) من قرى دمشق. (٢) انظر السير: ١١ / ٤٤٢-٤٤٦.

وَلَدَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَمِئَةً تَقْرِيبًا.

[١] البغوي، سمعتُ عُبيد الله القواريري، يقول: لم تكن تكادُ تفوتني صلاة العَتَمَةِ في جماعة. فنزل بي ضيفٌ، فشغلتُ به. فخرجتُ أطلب الصلاة في قبائل البصرة. فإذا الناسُ قد صَلَّوا. فقلت في نفسي: يُروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «صَلَاةُ الْجَمِيعِ تَفْضُلُ عَلَى صَلَاةِ الْفَذِّ إِحْدَى وَعِشْرِينَ دَرَجَةً». وروى: «خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً» وروى «سَبْعًا وَعِشْرِينَ». فانقلبتُ إلى منزلي، فصليتُ العتمة سبعاً وعشرين مرة، ثم رقدتُ فرأيتني مع قوم راكبي أفراس، وأنا راكبٌ ونحن نتجارى وأفراسُهم تسبقُ فرسي، فجعلتُ أضربه لألحقهم، فالتفتُ إليَّ آخرُهم، فقال: لا تُجهد فرسك، فلستُ بلا حِقْنًا. قال: فقلتُ: ولم؟ قال: لأنَّا صَلَّينا العتمة في جماعة.

مات القواريري سنة خمس وثلاثين ومئتين.

ولم يكتب القواريري الحديث إلا على كبر من السن، ولو أنه بكر بالطلب، لسمع من جرير بن حازم وأقرانه، ولكن السماع واللقاء مُقَدَّر.

٤٨٨- هُنَادُ بْنُ السَّرِيِّ (عخ، م، ٤) (١)

[٢] ابن مُصعب، الإمامُ الحجة القدوة زين العابدين، أبو السري التميمي الدارمي الكوفي، مصنف كتاب «الزهد» وغير ذلك.

روى أبو العباس السَّرَّاج أنه قال: ولدتُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَمِئَةً.

حدث عنه الجماعة، لكن البخاري في غير «صحيحه» اتفاقاً لا اجتناباً.

قال أبوداود: سمعتُ قتيبة، يقول: ما رأيتُ وكيعاً يُعْظِمُ أحداً تعظيمه لهناد.

[٣] وقال أحمدُ بنُ سلمة النيسابوري الحافظ: كان هناد رحمه الله كثيرَ البكاء، فرغ يوماً من القراءة لنا، فتوضأ، وجاء إلى المسجد فصلى إلى الزوال، وأنا معه

(١) انظر السير: ١١ / ٤٦٥-٤٦٦.

في المسجد، ثم رَجَعَ إلى منزله، فتوضأ وجاء فصلى بنا الظهر، وأخذ يقرأ في المصحف حتى صلى المغرب. قال: فقلتُ لبعض جيرانه: ما أصبرُهُ على العبادة فقال: هذه عبادته بالنهار منذ سبعين سنة، فكيف لو رأيتَ عبادته بالليل، وما تزوج قط، ولا تسرى، وكان يقال له: راهبُ الكوفة.

قال أبو العباس الثقفي: مات في سنة ثلاث وأربعين ومئتين.

٤٨٩ - حَاتِمُ الْأَصَمِّ^(١)

- [١] الزاهد القدوة الرباني، أبو عبد الرحمن، حاتم بن عنوان بن يوسف البلخي الواعظ الناطق بالحكمة، الأصم، له كلام جليل في الزهد والمواعظ والحكم، كان يُقال له: لقمان هذه الأمة.
- [٢] وقيل له: على ما بنيت أمرك في التوكل؟ قال: على خصال أربعة: علمتُ أن رزقي لا يأكله غيري، فأطمأنتُ به نفسي، وعلمتُ أن عملي لا يعملُه غيري، فأنا مشغولُ به، وعلمتُ أن الموتَ يأتي بغتَةً، فأنا أبادرُه وعلمتُ أني لا أدخلو من عين الله، فأنا مستحي منه.
- [٣] وعنه: من أصبح مستقيماً في أربع فهو بخير: التفقه، ثم التوكل ثم الإخلاص، ثم المعرفة.
- [٤] وعنه: تعاهد نفسك في ثلاث: إذا عملتَ، فاذكرْ نَظَرَ الله إليك وإذا تكلمتَ فاذكرْ سَمَعَ الله منك، وإذا سكُتَ فاذكرْ عِلْمَ الله فيك.
- [٥] قال أبو تراب: سمعتُ حاتماً يقول: لي أربعة نسوة، وتسعة أولاد، ما طمع شيطان أن يؤسوسَ إليَّ في أرزاقهم.
- [٦] قال شقيق لحاتم، مُدَّ صحبتني، أي شيء تعلمت مني؟ قال: ست كلمات: رأيتُ الناس في شكٍ من أمر الرزق، فتوكلتُ على الله. قال الله تعالى:

(١) انظر السير: ١١ / ٤٨٤-٤٨٧.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].
ورأيت لكل رجل صديقاً يُفشي إليه سره، ويشكو إليه، فصادقت الخير ليكون
معى في الحساب، ويجوز معى الصراط.

ورأيت كل أحدٍ له عدو، فمن اغتابني ليس بعدوئى، ومن أخذ منى شيئاً ليس
بعدوئى، بل عدوئى من إذا كنتُ في طاعة، أمرني بمعصية الله وذلك إبليس
وجنوده، فاتخذتهم عدواً وحاربتهم.

ورأيت الناس كلهم لهم طالب، وهو ملك الموت، ففرغت له نفسي.
ونظرتُ في الخلق، فأحببتُ ذا، وأبغضتُ ذا. فالذي أحببته لم يعطني،
والذي أبغضته لم يأخذ منى شيئاً، فقلت: من أين أتيت؟ فإذا هو من الحسد
فطرحته وأحببتُ الكل، فكل شيء لم أرضه لنفسي لم أرضه لهم.
ورأيت الناس كلهم لهم بيتٌ ومأوى، ورأيتُ مأواي القبر، فكل شيء قدّرتُ
عليه من الخير قدّمته لنفسي لأعمر قبري.

فقال شقيق: عليك بهذه الخصال.

[١] وعن حاتم قال: لو أن صاحب خبيرٍ جلس إليك، لكنت تتحرز منه وكلامك
يُعرض على الله فلا تحترز!

[٢] قلت: هكذا كانت نُكْتُ العارفين وإشاراتهم، لا كما أحدث المتأخرون من
الفناء والمحو والجمع الذي آل بجهلهم إلى الاتحاد، وعدم السوى.
توفي حاتم الأصم، رحمه الله - سنة سبع وثلاثين ومئتين.

٤٩٠ - أحمد بن خضرويه^(١)

[٣] الزاهد الكبير الرّبّاني الشهير، أبو حامد البلخي، من أصحاب حاتم الأصم.
[٤] وقد كان معمرًا، فإن السلمي روى عن منصور بن عبد الله، سمع محمد بن

(١) انظر السير: ١١ / ٤٨٧-٤٨٩.

حامد، قال: كنتُ عند ابنِ خَضْرَوِيه، وهو يَنْزِعُ، فسُئِلَ عن شيء فقال: باباً كنتُ أقرُّهُ منذ خمسٍ وتسعين سنة، الساعة يُفْتَحُ لا أدري يفتَحُ بالسعادة أم بالشقاء.

[١] ومن كلامه: القلوبُ جَوَّالَةٌ، فإمّا أن تجول حول العرش، وإمّا أن تجول حول الحُشِّ.

قيل: إنه تُوفي سنة أربعين ومئتين.

٤٩١- أبو حَسَّان الزُّيَادِيُّ^(١)

[٢] الإمام العلامة الحافظ، مؤرخ العصر، قاضي بغداد، الحسنُ بن عثمان بن حماد البغدادي، وعرف بالزيادي لكون جدّه تزوّج أمّ ولدٍ كانت للأمير زياد بن أبيه.

[٣] وُلِدَ القاضي أبو حسان في حدود سنة ستين ومئة.

وعن إسحاق الحربي، قال: حدثني أبو حسان الزُّيَادِيُّ، أنه رأى ربَّ العزة في المنام، فقال: رأيتُ نوراً عظيماً لا أحسنُ أصْفُهُ، ورأيتُ فيه رجلاً خَيْلٌ إلى أنه النبي، صلى الله عليه وسلم، وكأنه يشفعُ إلى ربه في رجلٍ من أمّته، وسمعتُ قائلاً يقول: ألم يكفك أني أنزلُ عليك في سورة الرعد:

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦]. ثم انتبهتُ.

قال الخطيب: كان أبو حسان أحدَ العلماء الأفاضل الثقات، ولي قضاء الشرقية، وكان كريماً مفضلاً.

[٤] قال يوسف بن البهلُول الأزرق: حدثنا يعقوبُ بن شيبه، قال: أظَلَّ العيدُ رجلاً، وعِنْدَهُ مئة دينار لا يملكُ سواها، فكتب إليه صديق يسترعي منه نفقة، فأنفذ إليه بالمئة دينار، فلم يَنْشَبْ أن وردَ عليه رقعةٌ من بعض إخوانه يذكرُ أنه

(١) انظر السير: ١١ / ٤٩٦-٤٩٨.

أيضا في هذا العيد في إضاقه، فوجّه إليه بالصُّرّة بعينها. قال: فبقي الأول لا شيء عنده، فاتفق أنّه كتب إلى الثالث وهو صديقُه يذكُرُ حاله، فبعث إليه الصُّرّة بختمها. قال فعرفها، وركبَ إليه، وقال: خبرني ما شأنُ هذه الصُّرّة؟ فأخبره الخبر، فركبا معاً إلى الذي أرسلها، وشرحوا القصة، ثم فتحوها واقتسموها. قال ابن البهلُول: الثلاثة يعقوبُ بنُ شيبَة، وأبو حسان الزَّيادي وآخر نسيتهُ. إسناده صحيح.

وقيل: عاشَ الزَّيادي تسعا وثمانين سنة، ماتَ في سنة اثنتين وأربعين ومئتين.

الطبقة الثالثة عشر

٤٩٢- أحمد بن المَعْدِل (١)

[١] ابن غيلان، شيخ المالكية، أبو العبّاس العبدي البصري الأصولي، وكان من بحور الفقه، صاحب تصانيف وفصاحة وبيان.

[٢] قال أبو إسحاق الحضرمي: كان ابنُ المَعْدِل من الفقه والسكينة والأدب والحلاوة في غاية. وكان أخوه عبد الصمد الشاعر يُؤذيه، فكان أحمد، يقول له: أنت كالأصبع الزائدة، إن تركت، شانت، وإن قطعت آلت. وقد كان أهل البصرة يسمون أحمد الراهب لِتَعَبِّده ودينه.

[٣] عن عبد الجليل بن الحسن، قال: كان أحمد بن المَعْدِل في مجلس أبي عاصم فمزح أبو عاصم يُخجل أحمد، فقال: يا أبا عاصم، إن الله خلقك جداً فلا تهزلن، فإن المستهزيء جاهل. قال تعالى:

﴿قَالُوا اتَّخَذْنَا حُزْواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧].

فخجل أبو عاصم. ثم كان يُقَعِّدُ أحمد بن المَعْدِل إلى جنبه.

[٤] وروى يموت بن المُزَرَّع، عن المُبَرِّد، عن أحمد بن المَعْدِل، قال: كنت عند ابن الماجشون، فجاءه بعض جلسائه، فقال: يا أبا مروان أعجوبة، خرجت إلى حائطي بالغابة، فعرض لي رجل، فقال: اخلع ثيابك قلت: لِمَ؟ قال: لأنني أخوك، وأنا غريان. قلت: فالمواساة؟ قال: قد لبستها برهة. قلت: فتعريني؟ قال: قد رويتنا عن مالك أنه قال: لا بأس للرجل أن يغتسل غريانا. قلت: ترى عورتي. قال: لو كان أحد يلقاك هنا، ما تعرضت لك. قلت: دعني أدخل حائطي، وأبعث بها إليك، قال: كلا، أردت أن توجّه عبيدك، فأمسك. قلت: أحلف لك. قال: لا تلزم يمينك للصّ. فحلفت له: لأبعثن بها طيبة بها نفسي

(١) انظر السير: ١١ / ٥١٩-٥٢١.

فأطرق ثم قال: تصفحتُ أمرَ اللصوص من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا، فلم أجد لصاً أخذ بنسيئة، فأكره أن أبتدع، فخلعتُ ثيابي له.

٤٩٣- محمد بن كرام^(١)

[١] السَّجِسْتَانِي المُبْتَدِع، شَيْخُ الكَرَامِيَّة، كان زاهداً عابداً ربانياً بعيد الصيت، كثير الأصحاب، ولكنه يروي الواهيات كما قال ابن حبان. خُذِلَ حتى التَّقَطَّ من المذاهب أرداها، ومن الأحاديث أَوْهاها، ثم جالس الجَوِّيَّارِي، وابنَ تَمِيم، ولعلهما قد وضعاً مئة ألف حديث، وأخذَ التَّقَشُّفَ عن أحمد بن حرب.

قلت: كان يقول: الإيمانُ هو نطق اللسان بالتوحيد، مجردٌ عن عقد قلب، وعمل جوارح. وقال خَلَقَ من الاتِّباع له: بأن الباري جسمٌ لا كالأجسام، وأن النبيَّ تجاوزَ منه الكبائر سوى الكذب.

وقد سُجِنَ ابن كرام، ثم نُفِيَ. وكان ناشفاً عابداً، قليلَ العلم. قال الحاكم: مكث في سجن نيسابور ثمانين سنين، وماتَ بأرض بيت المقدس سنة خمس وخمسين ومئتين.

قلت: طولنا ترجمته في «تاريخ الإسلام». وكانت الكَرَامِيَّة كثيرين بخراسان. ولهم تصانيف، ثم قَلُّوا وتلاشَوْا. نعوذُ بالله من الأهواء.

٤٩٤- الجاحِظ^(٢)

[٢] العلامةُ المُتَبَحَّر، ذو الفنون، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي، صاحبُ التصانيف. أخذ عن النُّظَّام.

(١) انظر السير: ١١ / ٥٢٣-٥٢٤. (٢) انظر السير: ١١ / ٥٢٦-٥٣٠.

قلت: كان ماجناً قليل الدين، له نوادر.

قال المبرد: دخلت عليه، فقلت: كيف أنت؟ قال: كيف من نصفه مفلوج، ونصفه الآخر منقرس؟ لو طار عليه ذباب لآلمه، والآفة في هذا أني جُزت التسعين. وقيل: طلبه المتوكل، فقال: وما يصنع أمير المؤمنين بشقٍ مائل، ولعابٍ سائل؟!!

[١] قلت: كان من بحور العلم، وتصانيفه كثيرة جداً. قيل: لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته، حتى إنه كان يكتري دكاكين الكتبيين، ويبيت فيها للمطالعة، وكان باقعة^(١) في قوة الحفظ.

وله كتاب «الحيوان» سبع مجلدات، وأضاف إليه كتاب «النساء» وهو فرق ما بين الذكر والأنثى، وكتاب «البغال» وقد أضيف إليه كتاب سموه كتاب «الجمال». ليس من كلام الجاحظ، ولا يقاربه.

قال رجل للجاحظ: ألك بالبصرة ضيعة؟ قال: فتبسم، وقال: إنما إناء وجارية ومن يخدمها، وحمار، وخادم. أهديت كتاب «الحيوان» إلى ابن الزيات، فأعطاني ألفي دينار، وأهديت إلى فلان فذكر نحواً من ذلك، يعني: أنه في خير وثروة.

[٢] قلت: يظهر من شمائل الجاحظ أنه يَحْتَلِقُ.

[٣] قال إسماعيل الصفار: حدثنا أبو العيناء، قال: أنا والجاحظ وضعنا حديث فذك^(٢)، فأدخلناه على الشيوخ ببغداد، فقبلوه إلا ابن شيبَةَ العلوي، فإنه قال: لا يُشَبِّه آخرُ هذا الحديث أوله. ثم قال الصفار: كان أبو العيناء يحدث بهذا بعدما تاب.

قيل للجاحظ: كيف حالك؟ قال: يتكلم الوزير برأيي، وصلات الخليفة

(١) أي داهية، يقال: ما فلان إلا باقعة من البواقع، سمي باقعة لحلوله بقاع الأرض، وكثرة تنقيبه في البلاد، ومعرفته بها، فشبه الرجل البصير بالأمور، الكثير البحث عنها، المجرب لها به. والهاء دخلت في نعت الرجل للمبالغة في صفته، كما قالوا: رجل علامة ونسابة.

(٢) قال ابن حجر: ما علمت ما أراد بحديث فذك.

متواترةٌ إليّ، وآكل من الطير أَسْمَنَها، وألبَس من الثياب أَلْيَنَها وأنا صابرٌ حتى يأتي الله بالفرج. قيل: بل الفرج ما أنت فيه. قال: بل أحبُّ أن أليّ الخِلافةَ، ويختلِفَ إليّ محمد بن عبد الملك - يعني الوزير - وهو القائل:

سَقَامُ الحِرْصِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ ودَاءُ الجَهْلِ لَيْسَ لَهُ طِيبٌ

وقد روى عنه ابن أبي داود حديثاً واحداً.

قلت: كفانا الجاحظ المؤونة، فما روى من الحديث إلا النَّزَرَ اليسير، ولا هو بمُتَمِّم في الحديث، بَلَى في النفس من حكاياته ولهجته فربما جازف، وتلَطَّخه بغير بدعة أمرٌ واضح، ولكنه أخباريٌّ علامة صاحب فنون وأدب باهر، وذكاء بَيِّن، عفا الله عنه.

٤٩٥- ذو النون المِصْرِيُّ^(١)

[١] الزاهد، شيخ الديار المصرية، ثوبان بن إبراهيم، وقيل: يُكْنَى أبا الفيض. ولد في أواخر أيام المنصور.

وقل ما روى من الحديث، ولا كان يُتَقَنُّه.

[٢] وقال يوسف بن أحمد البغدادي: كان أهل ناحيته يُسمُّونه الزنديق فلما مات، أظلت الطير جنازته، فاحترموا بعد قبره.

[٣] قال يوسف بن الحسين الرازي: حضرت ذا النون، فقليل له: يا أبا الفيض، ما كان سببُ تَوَيْتِكَ؟ قال: نمْتُ في الصحراء، ففتحتُ عيني فإذا قُبْرَةٌ^(٢) عمياء سقطت من وكر، فانشقت الأرض، فخرج سُكْرُجَتَانِ ذهب وفضة في إحداهما سَمِسِم، وفي الأخرى ماء، فأكلتُ وشربتُ. فقلتُ: حسبي، فثَبْتُ ولزمتُ الباب إلى أن قَبِلَنِي.

(١) انظر السير: ١١ / ٥٣٢-٥٣٦.

(٢) القُبْرَةُ والقُبْرَةُ والقُبْرَةُ والقُبْرَةُ: عصفورة من فصيلة القُفْرِيَّات، ورتبة الجواثم المخروطية المناقير، سمر في أعلاها ضاربة إلى بياض في أسفلها، وعلى صدرها بقعة سوداء، دائمة التغريد.

[١] قال السُّلَمِيُّ في «مَحَنِ الصُّوفِيَّةِ»: ذُو النُّونِ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِبِلْدَتِهِ فِي تَرْتِيبِ الْأَحْوَالِ، وَمَقَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ، وَهَجَرَهُ عُلَمَاءُ مِصْرَ. وَشَاعَ أَنَّهُ أَحْدَثَ عِلْمًا لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ السَّلَفُ وَهَجَرُوهُ حَتَّى رَمَوْهُ بِالزُّنْدَقَةِ. فَقَالَ أَخُوهُ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّكَ زَنْدِيقٌ فَقَالَ:

وَمَالِي سِوَى الْإِطْرَاقِ وَالصَّمْتِ حِيلَةٌ وَوَضِعِي كَفِّي تَحْتَ خَدِّي وَتَذْكَارِي [٢] قَالَ: وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَّخِيِّ: كُنْتُ مَعَ ذِي النُّونِ فِي زُورْقٍ، فَمَرَّ بِنَا زُورْقٌ آخَرَ، فَقِيلَ لَذِي النُّونِ: إِنْ هَؤُلَاءِ يَمْرُونَ إِلَى السُّلْطَانِ، يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ بِالْكَفْرِ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانُوا كَاذِبِينَ، فَغَرِّقْهُمْ، فَاثْقَلِ الزُّورْقَ، وَغَرِّقُوا. فَقُلْتُ لَهُ: فَمَا بِالْمَلَّاحِ؟ قَالَ: لِمَ حَمَلَهُمْ وَهُوَ يَعْلَمُ قَصْدَهُمْ؟ وَلَأَنْ يَقِفُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ غَرَّقِي خَيْرٌ لَهُمْ مِنْ أَنْ يَقِفُوا شُهُودَ زُورٍ، ثُمَّ انْتَفَضَ وَتَغَيَّرَ، وَقَالَ: وَعَزَّتْكَ لَا أَدْعُو عَلَى أَحَدٍ بَعْدَهَا. ثُمَّ دَعَاهُ أَمِيرُ مِصْرَ، وَسَأَلَهُ عَنْ اعْتِقَادِهِ، فَتَكَلَّمَ، فَفُضِيَ أَمْرُهُ. وَطَلَبَهُ الْمُتَوَكِّلُ، فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامَهُ وَلَعَ بِهِ وَأَحْبَبَهُ. وَكَانَ يَقُولُ: إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ، فَحَيَّ هَلَا بِذِي النُّونِ.

[٣] وَقَالَ يَوْسُفُ بْنُ الْحُسَيْنِ: سَمِعْتُ ذَا النُّونَ، يَقُولُ: مَهْمَا تَصَوَّرَ فِي وَهْمِكَ، فَاللَّهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ.

[٤] وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: الْاسْتِغْفَارُ جَامِعٌ لِمَعَانٍ: أَوَّلُهَا النَّدْمُ عَلَى مَا مَضَى، وَالثَّانِي: الْعَزْمُ عَلَى التَّرْكِ، الثَّلَاثُ: أَدَاءُ مَا ضَيَّعْتَ مِنْ فَرَضِ اللَّهِ، الرَّابِعُ: رَدُّ الْمَظَالِمِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْمَصَالِحَةِ عَلَيْهَا، الْخَامِسُ: إِذَابَةُ كُلِّ لَحْمٍ وَدَمٍ نَبَتَ عَلَى الْحَرَامِ، السَّادِسُ: إِذَاقَةُ أَلْمِ الطَّاعَةِ كَمَا وَجَدَتْ حِلَاوَةَ الْمَعْصِيَةِ.

[٥] وَعَنْ عَمْرِو بْنِ السَّرْحِ: قُلْتُ لَذِي النُّونِ: كَيْفَ خَلَصْتَ مِنَ الْمُتَوَكِّلِ وَقَدْ أَمَرَ بِقَتْلِكَ؟ قَالَ: لَمَّا أَوْصَلَنِي الْغَلَامُ، قُلْتُ فِي نَفْسِي: يَا مَنْ لَيْسَ فِي الْبَحَارِ قَطْرَاتٌ، وَلَا فِي دِيلِجِ الرِّيَّاحِ دِيلِجَاتٌ، وَلَا فِي الْأَرْضِ خَبِيثَاتٌ، وَلَا فِي الْقُلُوبِ خَطَرَاتٌ، إِلَّا وَهِيَ عَلَيْكَ دَلِيلَاتٌ، وَلَكَ شَاهِدَاتٌ، وَبِرَبْوِيَّتِكَ مُعْتَرِفَاتٌ، وَفِي قُدْرَتِكَ مَتَحِيرَاتٌ. فَبِالْقُدْرَةِ الَّتِي تُجِيرُ بِهَا مَنْ فِي الْأَرْضِينَ وَالسَّمَاوَاتِ إِلَّا صَلَّيْتَ

على محمد وعلى آل محمد، وأخذت قلبه عني، فقام المُتوكل يخطو حتى اعتنقني، ثم قال: أَتَعْبَنَّاكَ يا أبا الفيض.

[١] ومن كلامه: العارف لا يلتزم حالةً واحدة، بل يلتزم أمر ربّه في الحالات كلّها.

وفاته في سنة خمس وأربعين ومئتين، وكان من أبناء التسعين.

٤٩٦ - ابنُ زياد^(١)

[٢] متولّي اليمن الأمير محمد بن عبد الله بن زياد.

غلب على اليمن، وحارب وتمكّن في أيام المأمون، واختط مدينة زبيد في سنة أربع ومئتين. ونفّذ إلى المأمون بتّحف، فأمدّه بجيش وعظّم أمره، ودامت دولته إلى أن مات سنة خمس وأربعين ومئتين.

فقام بعده ابنه إبراهيم، فولي اليمن مدة أربع وأربعين سنة ثم مات. وتملك بعده ولداه زياد ثم إسحاق. ودامت دولتهم إلى بعد الأربع مئة، ثم صارت في مواليتهم مدة إلى أن ظهر الصّليحيّ.

٤٩٧ - الرواجنيّ (خ، ت، ق)^(٣)

[٣] الشّيخُ العالم الصدوق، محدّث الشيعة، أبو سعيد عبّاد بن يعقوب الأسدي الرواجني الكوفي المبتدع.

وقال الحاكم: كان ابنُ خزيمة يقول: حدّثنا الثقة في روايته المتّهم في دينه، عبّاد بن يعقوب.

وقال ابنُ عدي: فيه غلوّ في التشيع.

(١) انظر السير: ١١ / ٥٣٦.

(٢) انظر السير: ١١ / ٥٣٦ - ٥٣٨.

[١] عن صالح جَزْرَة، قال: كان عَبَّادُ يَشْتِمُ عُثْمَانَ، رضي الله عنه، وسمعتُه، يقول: الله أعدلُ من أن يُدخلَ طَلْحَةَ والزُّبَيْرَ الجنةَ، قَاتِلًا عليًّا بعد أن بايعاه.

[٢] وقال ابنُ جرير: سمعتُه يقول: من لم يبرأ في صلاته كلَّ يوم من أعداء آل محمد، حُشِرَ مَعَهُمْ.

قلتُ: هذا الكلامُ مَبْدَأُ الرِّفْضِ، بل نَكْفُؤُ، ونَسْتَغْفِرُ لِلْأَمَّةِ، فإنَّ آلَ محمد في إِيَّاهُم قد عَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا واقتتلوا على الملك وتمت عِظَامُهُمْ، فَمِنْ أَيْهَم نَبْرًا؟!

[٣] قال محمدُ بنُ المظفر الحافظ، حدثنا القاسم المطرُز، قال: دخلتُ على عَبَّادٍ بالكوفة، وكان يَمْتَحِنُ الطُّلْبَةَ، فقال: مَنْ حَفَرَ الْبَحْرَ؟ قلتُ: الله. قال: هو كذاكَ، ولكن من حَفَرَهُ؟ قلتُ: يَذْكُرُ الشَّيْخُ، قال: حَفَرَهُ عَلِيٌّ، فمن أَجْرَاهُ؟ قلتُ: الله. قال: هو كذاكَ؟ ولكن من أَجْرَاهُ؟ قلتُ: يُفِيدُنِي الشَّيْخُ: قال: أَجْرَاهُ الْحُسَيْنِ، وكان ضَرِيرًا، فرَأَيْتُ سَيْفًا وَحَجَفَةً^(١). فقلتُ: لمن هذا؟ قال: أَعَدَدْتُهُ لَأَقَاتِلَ بِهِ مَعَ الْمَهْدِيِّ فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ سَمَاعٍ مَا أَرَدْتُ، دَخَلْتُ عَلَيْهِ، فقال: مَنْ حَفَرَ الْبَحْرَ؟ قلتُ: حَفَرَهُ مُعَاوِيَةُ، رضي الله عنه، وأَجْرَاهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، ثُمَّ وَثَبْتُ وَعَدَوْتُ فَجَعَلَ يَصِيحُ: أَدْرِكُوا الْفَاسِقَ عَدُوَّ اللَّهِ، فاقتلوه. إِسْنَادُهَا صَحِيحٌ وَمَا أَدْرَى كَيْفَ تَسَمَّحُوا فِي الْأَخْذِ عَمَّنْ هَذَا حَالَهُ؟ وَإِنَّمَا وَثِقُوا بِصَدَقِهِ.

قال البخاري: مات عَبَّادُ بنُ يَعْقُوبَ فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِئَتَيْنِ.

ورَأَيْتُ لَهُ جُزْءًا مِنْ كِتَابِ «الْمَنَاقِبِ»، جَمَعَ فِيهَا أَشْيَاءَ سَاقِطَةً قَدْ أَغْنَى اللَّهُ أَهْلَ الْبَيْتِ عَنْهَا، وَمَا أَعْتَقَدُهُ يَتَعَمَّدُ الْكَذْبَ أَبَدًا.

(١) الحجفة: هي الترس.

[١] الإمام العالم الكبير، شيخ المقرئين، أبو عُمر حفص بن عُمر بن عبدالعزيز. ولد سنة بضع وخمسين ومئة في دولة المنصور. وتلا على الكِسائي بِحَرْفه، وعلى يحيى اليزيدي بِحرف أبي عمرو، وعلى سليم بِحرف حمزة، وجمع القراءات وصنّفها. روى عنه: الإمام أحمد، وهو من أقرانه، ونصر بن علي الجَهْضمي وروى هو عنهما.

قال أبوعلی الأهوازي: رحل أبو عُمر في طلب القراءات، وقرأ سائر حُرُوف السبعة، وبالشَّواذِّ، وسمع من ذلك الكثير، وصنّف في القراءات، وهو ثقة، وعاش دَهْرًا. وفي آخر عمره ذهب بصره، وكان ذا دين.

[٢] وقال الحاكم: قال الدارقطني: أبو عُمر الدوري، يقال له: الضرير، وهو ضعيف. وقيل: هو من الدُّور - محلة بالجانب الشرقي من بغداد، تُوفي سنة ست وأربعين ومئتين.

[٣] وقول الدارقطني: ضعيف: يريد في ضبط الآثار. أما في القراءات فثبت إمام. وكذلك جماعة من القُرَّاء أثبات في القراءة دون الحديث كنافع، والكسائي، وحفص، فإنهم نهضوا بأعباء الحروف وحرروها، ولم يصنعوا ذلك في الحديث، كما أنَّ طائفة من الحفاظ أتقنوا الحديث، ولم يُحكِّموا القراءة. وكذا شأن كل من برز في فنٍّ، ولم يَعتنِ بما عداه والله أعلم.

(١) انظر السير، ١١/٥٤١-٥٤٣.

الجزء الثاني عشر

٤٩٩ ابن السكيت^(١)

[١١] شيخ العربية، أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق بن السكيت^(٢)، البغدادي النحوي المؤدب، مؤلف كتاب «إصلاح المنطق»، دين خير، حجة في العربية. وله من التصانيف نحو من عشرين كتاباً.

[٢٢] وقال أحمد بن عبيد: شاورني يعقوب في مُنادمة المتوكل، فنهيتُه فحمل قولِي على الحسد، ولم ينته.

[٣٣] وروى أن المتوكل نظر إلى ابنه المعتز والمؤيد، فقال لابن السكيت: مَنْ أَحَبُّ إِلَيْكَ: هُمَا، أَوِ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ^(٣)؟ فقال: بَلْ قَبْرِ، فَأَمَرَ الْأَتْرَافَ فَدَاسُوا بَطْنَهُ فَمَاتَ بَعْدَ يَوْمٍ. وَقِيلَ: حُمِلَ مَيْتًا فِي بَسَاطٍ، وَكَانَ فِي الْمَتَوَكِّلِ نَصَبٌ^(٤)، نَسَأَ اللَّهُ الْعَفْوَ. مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ.

قال ثعلب: أجمعوا أنه لم يكن أحد بعد ابن الأعرابي أعلم باللغة من ابن السكيت، وكان المتوكل قد ألزمه تأديب ولده المعتز، فلما حضر، قال له ابن السكيت: بِمِ تَحِبُّ أَنْ تَبْدَأَ؟ قَالَ: بِالْأَنْصَرَفِ. قَالَ: فَأَقُومُ. قَالَ الْمُعْتَزُ: فَأَنَا أَخْفُ مِنْكَ، وَبَادِرٌ، فَعَثَرُ، فَسَقَطَ وَخَجَلَ فَقَالَ يَعْقُوبُ:

[٤٤] يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ فَعَثْرَتُهُ بِالْقَوْلِ تَذْهَبُ رَأْسُهُ وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجْلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ

(١) انظر السير: ١٦/١٢-١٩.

(٢) قال ابن خلكان: عرف بذلك لأنه كان كثير السكوت، طويل الصمت، وكل ما كان على وزن «فَعِيل» أو «فَعْلِيل» فإنه مكسور الأول.

(٣) الخبر بالفاظ مختلفة في «وفيات الأعيان» ٦/٣٩٧، ٣٩٨ وفي «النجوم الزاهرة» ٢/٣١٨، واللفظ فيه: مَنْ أَحَبُّ إِلَيْكَ: أَنَا وَوَلَدَايَ الْمُؤَيَّدُ وَالْمُعْتَزُ أَمْ عَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ شَعْرَةً مِنْ قَبْرِ خَادِمٍ عَلَيَّ خَيْرٌ مِنْكَ وَمِنْ وَلَدَيْكَ.

(٤) أهل النصب: هم المتدينون ببغضة علي رضي الله عنه، لأنهم نصبوا له: أي عادوه.

قال أبو سهل بن زياد: سمعتُ ثعلباً يقول: عدِيُّ بن زيد العبَّادي أمير المؤمنين في اللغة. وكان يقول قريباً من ذلك في ابن السَّكَّيت. قلت: «إصلاح المنطق» كتابُ نَفيس مشكورٌ في اللغة.

٥٠٠ الحسنُ بنُ عيسى بنِ ما سَرَجِس (م، د، س) (١)

[١] الإمامُ المحدثُ الثقة الجليل، أبو علي النَّيسابوري.

كان من كُبراء النصارى فأسلم.

[٢] قال الحاكم: سمعتُ الحسين بن أحمد الماسرَجسي، يحكي عن جدِّه وغيره، قال: كان الحسنُ والحسين ابنا عيسى يركبان معاً، فيتحيَّر الناسُ من حُسْنِهما وبُرَّتِهما، فاتفقا على أن يُسلِّما، فقَصدا حفص بن عبد الرحمن، فقال: أنتما من أَجَلِ النصارى، وابنُ المُبارك قادمٌ لِيُحجَّ فإذا أسلَمْتما على يده كان ذلك أعظمَ عند المسلمين، وأرفعَ لَكُما، فإنَّه شيخُ المَشْرِق. فانصرفا عنه فمِرَضَ الحُسَيْن، فمات نصرانياً، فلما قَدِم ابنُ المُبارك، أسلم الحسن على يده.

قلت: يَبْعُدُ أن يأمرهما حفصُ بتأخير الإسلام، فإنَّه رجلٌ عالم. فإن صح ذلك فموت الحُسَيْن مُريداً للإسلام، مُتَنَتِّراً قَدُومَ ابنِ المُبارك لِيُسَلِّمَ نافعٌ له.

[٣] قال الحاكم: حدَّثنا الحافظُ أبو علي النَّيسابوري عن شيوخه أن ابنَ المُبارك نَزَلَ مرةً برأسِ سِكَّةٍ عيسى، وكان الحسنُ بن عيسى يركب فيجتازُ به وهو في المجلس، وكان من أحسن الشباب وجهاً، فسأل ابن المُبارك عنه فقل: هو نصراني. فقال: اللهمَّ ارزُقْه الإسلام، فاستجيب له.

قال أبو العباس السَّراج: حدَّثنا الحسنُ بن عيسى مولى عبدِ الله بن المُبارك، وكان عاقلاً. عُذ في مجلسه بباب الطَّاقِ (٢) اثنا عشر ألف محبرة.

مات مُنْصَرَفَةً من مكة سنة تسع وثلاثين ومئتين.

(١) انظر السير: ٣٠٠-٢٧/١٢.

(٢) محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي بين الرصافة ونهر المَعْلَى وتعرف أيضاً بطاق أسماء، نسبة إلى أسماء بنت المنصور.

[١] وقال الحاكم: سمعت ابني المؤمل بن الحسن، يقولان: أنفق جَدُّنا في الحَجَّة التي توفي فيها ثلاث مئة ألف.

[٢] وقال محمد بن المؤمل بن الحسن: سمعت أبا يحيى البزاز يقول لأبي رجاء القاضي: كنتُ فيمن حجَّ مع الحسن بن عيسى وقتَ موته، فاشتغلتُ بحفظِ جَمَلِي عن شهوده، فأريته في النوم، فقلتُ: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ولكل من صُلِّي عليَّ. قلت: فإني فاتتني الصلاة عليك لغيبة عديلي، فقال: لا تجزع، وغُفر لكل من يترحم عليَّ. رحمه الله. قلت: وفي ذريته وأقاربه مُحَدَّثون وفضلاء.

٥٠١ المتوكل على الله^(١)

[٣] الخليفة، أبو الفضل، جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد القرشي العباسي البغدادي.

وُلد سنة خمس ومئتين. وتُوبع عند موت أخيه الواثق في ذي الحِجَّة سنة اثنتين وثلاثين.

وكان قاضي البصرة إبراهيم بن محمد التيمي يقول: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر يوم الرِّدَّة، وعمر بن عبد العزيز في ردِّ المظالم من بني أمية، والمتوكل في مَحْوِ البدع، وإظهار السُّنة.

[٤] وفي سنة ٢٣٤ أظهر المتوكل السُّنة، وَجَرَ عَنْ القولِ بخلق القرآن وكتبَ بذلك إلى الأمصار، واستقدم المُحدِّثين إلى سامراء، وأَجَزَلَ صَلَاتِهِمْ وَرَوَّاهُ أَحَادِيثَ الرُّوِيَّةِ وَالصِّفَاتِ.

وفي سنة ستٍ أحضرَ القضاةَ من البلدان لِيَعْقِدَ بولاية العهد لبنيه: المنتصر محمد، ثم للمُعْتَزِّ، ثم للمؤيد إبراهيم. وكانت الوقعة بين المسلمين والروم، ونصر الله.

(١) انظر السير: ١٢ / ٣٠ - ٤١

[١] وفي سنة ست وثلاثين هَدَمَ المتوكلُ قَبْرَ الحُسَيْنِ رضي الله عنه فقال البَسَامِيُّ أبياتاً منها:

أَسِفُوا عَلَى أَنْ لَا يَكُونُوا شَارِكُوا فِي قَتْلِهِ فَتَتَّبِعُوهُ رَمِيمَا
وكان المتوكلُ فيه نَصَبٌ وانحرافٌ، فَهَدَمَ هذا المكانَ وما حوله من الدُّورِ، وأمر
أن يُزْرَعَ، وَمَنَعَ النَّاسَ من انتيابه. فكتب النَّاسُ شَتَمَ المتوكلِ على الحيطان،
وهجته الشعراءُ كَدِغْبِلٍ وغيره.

[٢] وبعث المتوكلُ إلى نائبه بمصر، فحلقَ لحيةَ قاضي القضاة محمد بن أبي
الليث، وضربه، وطَوَّفَ به على حمارٍ في رمضان، وسُجِنَ، وكان ظلوماً جهمياً،
ثم وَلِيَ القضاةَ الحَارِثُ بن مسكين، فكان يضربه كلَّ حينٍ عشرين سوطاً ليؤدي ما
وجب عليه، فإنَّا لله.

[٣] وغضب المتوكلُ على أحمد بن أبي دُوَادٍ، وصادره، وسجن أصحابه وحُمِلَ ستة
عشر ألف درهم، وافتقر هو وآله. ووَلَّى يحيى بن أَكْثَمَ القضاةَ، وأطلق من
تَبَقَّى في الاعتقال مِمَّنْ امتنع من القول بخلق القرآن وأنزلت عِظَامُ أحمد بن نصر
الشهيد، ودفنها أقاربه، وبنى قصر العروس بسامراء، وأنفق عليه ثلاثون ألف ألف
درهم. والتمس المتوكلُ من أحمد بن حنبل أن يأتيه، فذهب إلى سامراء ولم
يجتمع به. استعفى، فأعفاه ودخل على ولده المعتز، فدعا له.

[٤] وفي سنة أربعين فيها سمع أهل خِلاط^(١) صَيْحَةً من السماء، مات منها جماعةٌ
كثيرة.

[٥] وفي سنة ٢٤١ هـ ماجت النجومُ، وتناثرت شِيبَةُ الجَرَادِ أَكْثَرَ الليل فكان ذلك آيةً
مزعجةً.

[٦] وفي سنة ٢٤٢ هـ الزلزلة بقومس والدَّامَغَانِ، والرِّيِّ وطَبْرِسْتَانِ ونيسابور،
وأصبهان، وهلك منها بَضْعَةٌ وأربعون ألفاً، وانهَدَّ نصفُ مدينةِ الدَّامَغَانِ.

[٧] وفي سنة ٢٤٥ هـ عَمَتِ الزلزلةُ الدنيا، ومات منها خلّاق. وبنى المتوكلُ

(١) هي قصبة أرمينية الوسطى.

الماحوزة، وسَمَّاهَا الجَعْفَرِيَّ، وأنفق عليها بعد معاونة الجيش له ألف دينار، وتحول إليها، وفيها وقع بناحية بُلُخ مطرٌ كالدَّم العبيط.

[١] وكان المتوكل جَوَاداً مُمَدِّحاً لِعَبَاباً، وأراد أن يعزل من العهد المنتصر، ويُقدِّم عليه المُعْتَزَّ لِحَبِّهِ أُمَّهُ قَبِيحَةً، فأبى المنتصر، فغضب أبوه وتهذَّده، وأغرى به، وانحرفت الأتراك على المتوكل لمُصادرتِهِ وصيفاً ونُغاً حتى اغتالوه.

وبُيع المنتصر من الغد بالقصر الجَعْفَرِيَّ سنة سبعٍ وأربعين ومِئتين.

٥٠٢ المُنْتَصِر بالله^(١)

[٢] الخليفة، أبو جعفر، وأبو عبدالله، محمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم محمد بن هارون الرشيد الهاشمي العباسي، وأُمُّهُ أُم ولد روميَّة، اسمها حَبَشِيَّة.

[٣] وكان المنتصر وافرَ العقل، راغباً في الخير، قليلَ الظلمِ باراً بالعلوين، وسُبُّ الأتراك ويقول: هؤلاء قَتَلَةُ الخُلَفَاء، فقال بُغَا الصغِير للَّذِينَ قَتَلُوا المتوكل: مَا لَكُمْ عِنْدَ هَذَا رِزْقٍ. فَعَمَلُوا عَلَيْهِ وَهَمُّوا، فَعَجَزُوا عَنْهُ، لِأَنَّهُ كَانَ شَجَاعاً مَهِيئاً يَقِظاً متحرزاً لَا كَأَبِيهِ فَتَحِيلُوا إِلَى أَنْ دَسَّوْا إِلَى طَبِيبِهِ ابْنِ طَيْفُورِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ عِنْدَ مَرَضِهِ فَأَشَارَ بِفَصْدِهِ، ثُمَّ فَصَدَهُ بِرِيشَةٍ مَسْمُومَةٍ، فَمَاتَ مِنْهَا.

[٤] ويقال: إِنَّ طَيْفُورَ نَسِيَ وَمَرَضَ، وَافْتَصَدَ بِتِلْكَ الرِيشَةِ، فَهَلَكَ.

[٥] ووردَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي مَرَضِهِ: ذَهَبَتْ يَا أُمَاهُ مِنِّي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عَاجِلَتْ أَبِي فَعُوجِلْتُ. وَكَانَ يُتَّهَمُ بِأَنَّهُ وَاطَأَ عَلَى قَتْلِ أَبِيهِ، فَمَا أُمِهُلَ، وَوَزَرَ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ الْخَصِيبِ، أَحَدُ الظُّلَمَةِ.

[٦] ومن كلام المنتصر إذ عفا عن أَبِي العَمْرَدِ الشَّارِيِّ: لَذَّةُ العَفْوِ أَعَذْبُ مِنْ لَذَّةِ التَّشْفِي، وَأَقْبَحُ فَعَالٍ الْمُقْتَدِرِ الْإِنْتِقَامِ.

قال المسعودي: كَانَ المُنْتَصِرُ أَظْهَرَ الْإِنْصَافِ فِي الرِّعْيَةِ، فَمَالُوا إِلَيْهِ مَعَ شِدَّةِ

هَيْبَتِهِ.

(١) انظر السير: ٤٢/١٢-٤٦.

قلتُ: قلَّ ما وقع في دولته من الحوادث لقصر المدة، وعاش ستاً وعشرين سنة، سامحه الله. ومات سنة ثمانٍ وأربعين ومثتين. فكانت خلافته ستة أشهر وأياماً.

[١] وكان قد أبعد وصيفاً في عسكرٍ إلى ثغر الروم، وكان قد ألحَّ عليه هو وبُغيا وابنُ الخصيب في خلع إخوته خوفاً من أن يَلِيَ المُعْتَزُّ فيستأصلهم، فاعتقلا، وتمنع أولاً المُعْتَزُّ، ثم خاف، وأشهدا على أنفسهما أنهما يَعْجِزان عن الإمامة، فقال المنتصر: أترياني خلعتكما طمعاً في أن أعيش بعدكما حتى يكبر ابني عبد الوهاب، وأعهد إليه؟! والله ما طمعت في ذلك ولكن هؤلاء ألحوا عليّ، وخفت عليكما من القتل. فقبلاً يده، وضمَّهما إليه.

٥٠٣ المُسْتَعِينُ بالله^(١)

[٢] الخليفة، أبو العباس، أحمد بن المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد بن المهدي العباسي، أخو الواثق والمتوكل.

وُلد سنة إحدى وعشرين ومثتين. وبويع سنة ثمانٍ وأربعين، عند موت أخيه المنتصر.

[٣] وكان متلافاً للمال، مُبَذِّراً، فَرَّقَ الجواهرَ وفاخِرَ الثياب، اختلَّت الخلافة بولايته، واضطربت الأمور.

وسجن المعتزَّ والمؤيد، وضيق عليهما، واشترى أملاكهما كرهاً. وقرر لهما في العام ثيِّفاً وعشرين ألف دينار ليس إلا.

[٤] وهاجت الفتنة الكبرى بالعراق، فتنكر الترك للمستعين، فخاف وتحوَّل إلى بغداد، فنزل بالجانب الغربي على نائبه ابن طاهر، فاتفق الأتراك بِسَامَرَاءَ، ويعثوا يعتذرون، ويسألونه الرجوع، فأبى عليهم فغضبوا، وقصدوا السجن، وأخرجوا المعتز بالله، وباعوا له، وخلعوا المستعين، وبنوا أمرهم على شُبْهة، وهي أنَّ المتوكلَ عقد للمعتز بعد المنتصر، فجهز المعتز أخاه أبا أحمد لمحاربة المستعين،

(١) انظر السير: ٤٦/١٢ - ٥٠.

وتبهاً المستعين وابن طاهر للحصار، وإصلاح السور، وتجرد أهل بغداد للقتل ونُصِبت المَجَانِقُ، ووقع الجدُّ، ودام البلاء أشهراً، وكثُرَتِ القتلى، واشتدَّ القحط، وتمت بينهما عدة وقعات، بحيث إنه قتل في نوبة من جند المعتز ألفان، إلى أن ضَعُفَ أهل بغداد وذُلُّوا وجاعوا.

[١] فكاتب ابن طاهر في السر المعتز، وانحل نظام المستعين، وإنما كان قوام أمره بابن طاهر، وكاشفه الناس، فتحول إلى الرُصافة، ثم سعى الناس في الصلح، وخلع المُستعين فأقام في ذلك إسماعيل القاضي وغيره بشروط وثيقة، فأذعن بخلع نفسه في أول سنة اثنتين وخمسين وأشهد عليه، ثم حوّل إلى سامراء فقتل بقادسية سامراء في ثالث شوال من السنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

[٢] وقال الصولي: بعث المعتز أحمد بن طولون إلى واسط لقتل المستعين فقال: والله لا أقتل أولاد الخلفاء. فبعث سعيداً الحاجب، فما متّع الله المعتز، بل عُوِجِلَ بالخلع والقتل جزاءً وفاً.

٥٠٤ البُوَيْطِيُّ^(١)

[٣] الإمام العلامة، سيّد الفقهاء، يوسف أبو يعقوب بن يحيى، المصري البُوَيْطِيُّ، صاحب الإمام الشافعي، لازمه مدة، وتخرج به، وفاق الأقران. وكان إماماً في العلم، قدوة في العمل، زاهداً ربانياً، متهجداً دائم الذكر والعكوف على الفقه. بلغنا أن الشافعي قال: ليس في أصحابي أحدٌ أعلم من البويطي.

[٤] الربيع بن سليمان قال: كان البُوَيْطِيُّ حين مرض الشافعي بمصر هو وابن عبدالحكم والمُزْنِي، فتنازعوا الحلقة، فبلغ ذلك الشافعي، فقال: الحلقة للبُوَيْطِيِّ. فلهذا اعتزل ابن عبدالحكم الشافعي وأصحابه، وكانت أعظم حلقة في المسجد. فكان البُوَيْطِيُّ يصوم، ويتلو غالباً في اليوم والليلة خَتَمَةً مع صنائع

(١) انظر السير: ٥٨/١٢ - ٦١.

المعروف إلى الناس .

[١] فَسَعِيَ بالبُويطي حتى كَتَبَ فيه ابن أبي دُوَادٍ إلى والي مصر، فامتحنه فلم يجب، وكان الوالي حَسَنَ الرَّأْيِ فيه، فقال له: قُلْ فيما بيني وبينك، قال: إنه يقتدي بي مئة ألف، ولا يدرون المعنى، قال: وقد كان أَمْرٌ أن يُحْمَلَ إلى بغداد في أربعين رَطل حديد.

[٢] قال الربيع: وكان المزني ممن سعى به، وحرمة.

[٣] عن البويطي أنه قال: برىء الناس من دمي إلا ثلاثة: حرمة، والمزني، وآخر.

[٤] قلتُ: استفق، ويحك، وسل ربك العافية، فكلام الأقران بعضهم في بعض أمرٌ عجيب، وقع فيه سادة، فرحم الله الجميع.

مات الإمامُ البُويطي في قيده مسجوناً بالعراق سنة إحدى وثلاثين ومئتين.

٥٥٥ سُحُنُون^(١)

[٥] الإمامُ العلامة، فقيه المغرب، أبو سعيد، عبدالسلام بن حبيب بن حسان التَّنُوخِي، الحمصي الأصل، المغربي القيرواني المالكي، قاضي القيروان، وصاحب «المُدَوَّنَةِ» ويلقب بسحنون.

ارتحل وحجَّ. ولم يتوسع في الحديث كما توسع في الفروع.

[٦] وَرَوَى عن ابن عجلان الأندلسي قال: ما بورك لأحد بعد النبي ﷺ في أصحابه ما بورك لسحنون في أصحابه، فَإِنَّهُمْ كانوا في كل بلد أئمة.

[٧] وَرَوَى عن سحنون قال: من لم يعمل بِعِلْمِهِ، لَمْ يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ، بل يَضُرُّهُ.

[٨] وَسُئِلَ سُحُنُون: أَيْسَعُ الْعَالَمِ أن يقول: لا أدري فيما يدري؟ قال: أَمَا ما فيه كِتَابٌ أو سَنَةٌ ثابتة فلا، وأما ما كان من هذا الرَّأْيِ، فَإِنَّهُ يَسَعُهُ ذَلِكَ، لأنه لا يدري أمصيب هو أم مُخْطِئ.

[٩] وعن سُحُنُون قال: مُحِبُّ الدُّنْيَا أَعْمَى، لم يُنَوِّرَهُ الْعِلْمُ.

(١) انظر السير: ٦٣/١٢ - ٦٩

[١] ما أقبحَ بالعالم أن يأتي الأمراء، والله ما دخلت على السلطان إلا وإذا خرجتُ حاسبتُ نفسي، فوجدت عليها الدرك^(١)، وأنتم ترون مخالفتي لهواه، وما ألقاهُ به من الغلظة، والله ما أخذتُ، ولا لبستُ لهم ثوباً.

[٢] وعن سُحنون قال: كان بعضُ من مضى يُريد أن يتكلّم بالكلمة ولو تكلم بها لانتفع بها خلقٌ كثير، فيحبسُها، ولا يتكلّم بها مخافةً المباهاة.

[٣] وكان إذا أعجبه الصمتُ تكلم، ويقول: أجزأُ الناس على الفُتيا أقلُّهم علماً.

[٤] وعنه قال: ما وجدتُ من باع آخرته بدنياه غيره إلا المُفتي.

[٥] وعن يحيى بن عَوْن: قال: دخلتُ مع سُحنون على ابنِ القصار وهو مريض، فقال: ما هذا القَلَقُ؟ قال له: الموت والقُدومُ على الله. قال له سُحنون: أَلست مصداقاً بالرسَل والبعث والحساب، والجنة والنار وأن أفضل هذه الأمة أبو بكر، ثم عمر، والقرآن كلام الله غير مخلوق وأن الله يُرى يوم القيامة، وأنه على العرش استوى، ولا تخرجُ على الأئمة بالسيف، وإن جاروا. قال: إي والله، فقال: مُت إذا شئت، مُت إذا شئت.

[٦] وعن سُحنون قال: كَبِرنا وساءت أخلاقنا، ويعلم الله ما أصيحُ عليكم إلا لأوَدِّبكم.

[٧] وأصلُ «المدونة» أسئلة سألها أسدُ بنُ الفرات لابنِ القاسم، فلما ارتحل سُحنون بها عرضها على ابنِ القاسم، فأصلحَ فيها كثيراً، وأسقطَ ثم رتبها سُحنون، وتوبَّها، واحتجَّ لكثير من مسائلها بالأثار من مروياته مع أن فيها أشياء لا ينهضُ دليلها، بل رأي محض، وحكوا أن سُحنون في أواخر الأمرِ علَّم عليها، وهمَّ بإسقاطها وتهذيب «المدونة»، فأدركته المنية رحمه الله. فكُبراء المالكية، يعرفون تلك المسائل، ويُقرِّرون منها ما قدرُوا عليه، ويوهَّنون ما ضَعُف دليله. فهي لها أسوة بغيرها من دواوين الفقه. وكلُّ أحدٍ فيؤخِّدُ من قوله ويُترِكُ إلا صاحبَ ذاك القبر عليه السلام. فالعلمُ بحر بلا ساحلٍ، وهو مُفَرَّق في الأمة موجودٌ لمن التمسهُ.

(١) بفتح الراء وإسكانها: التَّيْبَةُ.

وتفسير سحنون بأنه اسم طائرٍ بالمغرب، يوصف بالفطنة والتَّحرُّز، وهو بفتح
السَّين وبضمِّها.

توفي الإمامُ سُحنون في سنة أربعين ومئتين. وله ثمانون سنة.

٥٠٦ الجُوعِيُّ^(١)

[١] الإمامُ القدوةُ الوليُّ، المُحدِّثُ، أبو عبد الملك، القاسم بن عثمان العبدِيُّ
الدمشقيُّ، شيخُ الصوفية، ورفيقُ أحمد بن أبي الحواري، عُرف بالجُوعِيِّ.
قال أبو حاتم: صدوق.

قال سعيد بن أوس: سمعت قاسماً الجوعِي، وكان صوفياً نسب إلى الجُوع.
[٢] قال محمد بن الفَيْض: قدم ابنُ أُنْثَمَ دمشقي مع المأمون، فبعث إلى أحمد بن
أبي الحواري، فجاء إليه، وجالسه، فخلع يحيى عليه طويلةً وملبوساً، وأعطاه
خمسة آلاف درهم، وقال: فَرَّقْهَا يا أبا الحسن حيث ترى، فدخل بها المسجد،
وصلَّى صلواتٍ بالخلعة، فقال قاسم الجوعِي: أخذ دراهم اللصوص، ولبس
ثيابهم، ثم أتى الجامع ومر به وهو في التحيَّات، فلما حذاه لطم القَلَنْسُوءَ، فسلم
أحمد، وأعطى القَلَنْسُوءَ ابنه إبراهيم، فذهب بها، فقال له من رآه: ما رأيتَ ما فعل
[٣] بك هذا؟ فقال: رحمه الله. ومن كلام القاسم: رأسُ الأعمال الرضى عن الله،
والورع عماد الدين والجوع مخ العبادة، والحِصْنُ الحصينُ الصِّمْتُ.

[٤] وقال قاسم الجوعِي: سمعت مسلم بن زياد يقول: مكتوب في التوراة: من
سألمَ سَلِمَ، ومن شاتم شُتِمَ، ومن طلب الفضل من غير أهله نَدِمَ.
وقال: الشهواتُ نَفْسُ الدنيا، فمن ترك الشهوات فقد ترك الدنيا.

[٥] إذا رأيت الرجل يخاصم فهو يحبُّ الرِّئاسة.

توفي قاسم الجوعِي سنة ثمانٍ وأربعين ومئتين.

[٦] قلت: كان زاهداً الوقت هذا الجوعِي بدمشق، والسَّريُّ السَّقَطِيُّ ببغداد، وأحمدُ

(١) انظر السير: ٧٧/١٢ - ٧٩.

ابن حرب بنيسابور، وذو النون بمصر، ومحمد بن أسلم بطوس. وأين مثل هؤلاء السادة؟ ما يملأ عيني إلا التراب، أو من تحت التراب.

٥٠٧ أحمد بن أبي الحواري (د، ق) (١)

[١] واسم أبيه عبد الله بن ميمون الإمام الحافظ القدوة، شيخ أهل الشام، أبو الحسن، الثعلبي الغطفاني الدمشقي الزاهد، أحد الأعلام أصله من الكوفة.
قال: سألتني أحمد بن حنبل: متى مولدك؟ قلت: في سنة أربع وستين ومئة.
[٢] عن يحيى بن معين، وذكر أحمد بن أبي الحواري، فقال: أهل الشام به يُمطرون.

وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يُحسِنُ الثناء عليه، ويُطَنِّبُ فيه.
[٣] قال محمد بن عوف الحمصي: رأيت أحمد بن أبي الحواري عندنا بأنطرسوس (٢)، فلما صَلَّى العَتَمَةَ (٣) قام يُصَلِّي، فاستفتح بـ ﴿الحمد لله﴾ إلى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فَطَفَّتِ الحائِطُ كُلَّهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ، فَإِذَا هُوَ لَا يُجَاوِزُهَا ثُمَّ نَمْتُ، ومَرَرْتُ فِي السَّحَرِ، وهو يقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فلم يزل يُرَدِّدُهَا إِلَى الصَّحِيحِ.

[٤] قال سعيد بن عبدالعزيز: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: من عمل بلا اتِّبَاعِ سُنَّةٍ فَعَمَلُهُ بَاطِلٌ.

[٥] وقال: من نظر إلى الدنيا نظر إرادةٍ وحبٍّ، أخرج الله نورَ اليقين والزهد من قلبه.
[٦] أحمد بن أبي الحواري قال: قلت لراهبٍ في دَيْرِ حَرَمَلَةَ، وأشرفَ من صومعته: ما اسْمُكَ؟ قال: جَرِيحٌ. قلت: ما يحبسُكَ؟ قال: حَبَسْتُ نَفْسِي عَنِ الشَّهَوَاتِ. قلت: أما كان يستقيمُ لك أن تذهبَ معنا ها هنا وتجيءَ وتمنعَها الشهوات؟ قال:

(١) انظر السير: ٨٥/١٢ - ٩٤.

(٢) في «معجم البلدان» أنطرسوس: بلد من سواحل بحر الشام.

(٣) أي صلاة العشاء لأنها تصلَّى في العَتَمَةِ أي الظلمة.

هيهات!! هذا الذي تصفه قوة وأنا في ضعف، قلت: ولم تفعل هذا؟ قال: نجد في كتبنا أن بدن ابن آدم خلق من الأرض، وروحه خلق من ملكوت السماء، فإذا أجاع بدنه وأعراه وأسهره وأقمأه نازع الروح إلى الموضع الذي خرج منه، وإذا أطعمه وأراحه أدخل البدن إلى الموضع الذي منه خلق، فأحب الدنيا. قلت: فإذا فعل هذا يعجل له في الدنيا الثواب؟ قال: نعم نور يوازيه. قال: فحدثت بهذا أبا سليمان الدارني، فقال: قاتله الله، إنهم يصفون.

[١] قلت: الطريقة المثلى هي المحمدية، وهو الأخذ من الطيبات وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون ٥١].

وقد قال النبي ﷺ: «لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَقُومُ وَأَنَامُ وَأَتِي النِّسَاءَ، وَأَكُلُ اللَّحْمَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُتِّي فَلَيْسَ مِنِّي»، فلم يشرع لنا الرهبانية، ولا التمزق ولا الوصال بل ولا صوم الدهر، ودين الإسلام يسر وحنيفة سمحة، فليأكل المسلم من الطيب إذا أمكنه، كما قال تعالى: ﴿لَيُنْفَقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ [الطلاق ٧].

وقد كان النساء أحب شيء إلى نبينا ﷺ، وكذلك اللحم والحلواء والعسل والشراب الحلو البارد والمِسْك، وهو أفضل الخلق وأحبهم إلى الله تعالى.

[٢] ثم العابد العري من العلم، متى زهد وتبتل وجاع، وخلا بنفسه، وترك اللحم والثمار، واقتصر على الدقة والكسرة، صفت حواسه ولطفت، ولازمته خطرات النفس، وسمع خطاباً يتولد من الجوع والسهر لا وجود لذلك الخطاب - والله - في الخارج، وولج الشيطان في باطنه وخرج، فيعتقد أنه قد وصل، وخوطب وارتقى، فيتمكن منه الشيطان، ويؤسوس له، فينظر إلى المؤمنين بعين الإزدراء، ويتذكر ذنوبهم، وينظر إلى نفسه بعين الكمال، وربما آل به الأمر إلى أن يعتقد أنه ولي، صاحب كرامات وتمكن، وربما حصل له شك، وتزلزل إيمانه فالحلوة والجوع أبو جاد الترهيب، وليس ذلك من شريعتنا في شيء، بلى السلوك الكامل هو الورع في القوت، والورع في المنطق، وحفظ اللسان، وملازمة الذكر، وترك مخالطة العامة،

والبكاء على الخطيئة، والتلاوة بالترتيل والتدبر، ومَقَّتْ النفس وذمُّها في ذاتِ الله، والإكثار من الصوم المشروع، ودوام التهجد، والتواضع للمسلمين، وصلة الرحم والسماحة وكثرة البشر، والإنفاق مع الخصاصة، وقول الحق المر برفق وتؤدة، والأمر بالعرف، والأخذ بالعفو، والإعراض عن الجاهلين، والرباط بالثغر، وجهاد العدو، وحج البيت، وتناول الطيبات في الأحيان، وكثرة الاستغفار في السحر، فهذه شمائل الأولياء، وصفات المحمديين، أماتنا الله على محبتهم.

[١] عمر بن بحر، سمعتُ أحمد بن أبي الحواري يقول: بينا أنا في قبة بالمقابر بلا باب إلا كساء أسبلته، فإذا أنا بامرأة تدقُّ على الحائط فقلت: من هذا؟ قالت: ضالَّة، فدلَّني على الطريق. فقلت: رحمك الله، أي الطريق تسلكين، فبكت، ثم قالت: على طريق النجاة، يا أحمد. قلت: هيهات! إن بيننا وبينها عقاباً، وتلك العقاب لا تقطع إلا بالسَّير الحثيث، وتصحيح المعاملة، وحذف العلائق الشاغلة، فبكت، ثم قالت: سبحان من أمسك عليك جوارحك فلم تنقطع، وفؤادك فلم يتصدع. ثم خرَّت مغشياً عليها. فقلت لبعض النساء: أي شيء حالها؟ فقمن، ففتشناها، فإذا وصيتها في جيبها: كفنوني في أثوابي هذه، فإن كان لي عند الله خير فهو أسعد لي، وإن كان غير ذلك فبعداً لنفسي، قلت: ما هي؟ فحرَّكوها، فإذا هي ميتة. فقلت: لمن هذه الجارية؟ قالوا: جارية قرشية مصابة، وكان قرينها يمنعها من الطعام، وكانت تشكو إلينا وجعاً بجوفها، فكنا نصفيها للأطباء، فتقول: خلوا بيني وبين الطبيب الراهب، تعني: أحمد بن أبي الحواري، أشكو إليه بعض ما أجد من بلائي، لعله أن يكون عنده شفائي.

[٢] أحمد بن أبي الحواري قال: كنت أسمعُ وكيعاً يبتديء قبل أن يحدث فيقول: ما هنالك إلا عَفْوُهُ، ولا نعيش إلا في سِتْرِهِ، ولو كُشِفَ الغطاء لكُشِفَ عن أمرٍ عظيم.

[٣] أبو الدحداح الدمشقي: حدثنا الحسين بن حامد أن كتاب المأمون ورد على إسحاق بن يحيى بن معاذ أمير دمشق: أن أحضر المُحدِّثين بدمشق فامتحنهم.

قال: فأحضر هشام بن عمار، وسليمان بن عبد الرحمن، وابن ذكوان، وابن أبي الحواري، فامتحانهم امتحاناً ليس بالشديد فأجابوا خلا أحمد بن أبي الحواري، فجعل يرفق به، ويقول: أليس السماوات مخلوقة؟ أليس الأرض مخلوقة، وأحمد يأبى أن يطيعه، فسجنه في دار الحجارة، ثم أجاب بعد فأطلقه.

[١] قال أحمد السلمي في (محن الصوفية): أحمد بن أبي الحواري شهد عليه قوم أنه يفضل الأولياء على الأنبياء ويدلوا الخطوط عليه، فهرب من دمشق إلى مكة، وجاور حتى كتب إليه السلطان، يسأله أن يرجع فرجع.

قلت: إن صححت الحكاية فهذا من كذبهم على أحمد، وهو كان أعلم بالله من أن يقول ذلك. توفي أحمد سنة ست وأربعين ومئتين.

٥٠٨ المَحَاسِبِيُّ (١)

[٢] الزاهد العارف، شيخ الصوفية، أبو عبدالله، الحارث بن أسد البغدادي المَحَاسِبِيُّ، صاحب التصانيف الزهدية.

قال الخطيب: له كتب كثيرة في الزهد، وأصول الديانة، والرد على المعتزلة والرافضة.

[٣] وعن حارث: قال: جوهر الإنسان الفضل، وجوهر العقل التوفيق.

[٤] وعنه: قال: ترك الدنيا مع ذكرها صفة الزاهدين، وتركها مع نسيانها صفة العارفين.

[٥] قلت: المَحَاسِبِيُّ كبير القدر، وقد دخل في شيء يسير من الكلام فنقم عليه، وورد أن الإمام أحمد أثنى على حال الحارث من وجه، وحذر منه.

[٦] قال سعيد بن عمرو البرذعي: شهدت أبا زرعة الرازي، وسئل عن المَحَاسِبِيِّ وكتبه، فقال: إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالآثر تجد غنية، هل بلغكم أن مالكا والثوري والأوزاعي صنفوا في الخطرات والوساوس؟ ما

(١) انظر السير: ١١٠/١٢-١١٢.

أسرع الناس إلى البدع.

مات سنة ثلاث وأربعين ومئتين.

٥٠٩ بُنْدَار (ع) (١)

[١] محمد بن بشار بن عثمان، الإمام الحافظُ راويةُ الإسلام، أبو بكر العبدِيُّ البصريُّ بُنْدَار، لُقِّبَ بذلك، لأنه كان بُنْدَارَ الحديث في عصره ببلده، والبُنْدَار: الحافظ.

وُلِدَ سنة سبعٍ وستين ومئة.

[٢] وجمع حديث البصرة، ولم يرحل، بَرَأً بَأْتَهُ، ثم رحل بعدها.

[٣] قال عبدُ الله بن جعفر بن خاقان المروزي: سمعتُ بُنْدَاراً يقول: أردتُ الخروجَ - يعني: الرحلة - فمَنَعَنِي أُمِّي، فأطَعْتُهَا، فُبُورِكَ لِي فِيهِ.

[٤] وقال ابنُ خُزَيْمَةَ: سمعتُ بُنْدَاراً يقول: ما جِلِسْتُ مجلسي هذا حتى حفظْتُ جميع ما خرَّجته.

[٥] قال اسحاق بن إبراهيم القَزَّاز: كنا عند بُنْدَار، فقال في حديثٍ عن عائشة:

قال: قالت رسول الله ﷺ. فقال له رجلٌ يَسْخَرُ مِنْهُ: أُعِيدُكَ بِاللَّهِ، مَا أَفْصَحَكَ!!

فقال: كُنَّا إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَوْحٍ دَخَلْنَا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ، فقال: قد بان ذلك عليك.

مات سنة ثنتين وخمسين ومئتين.

٥١٠ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ (خ، د) (٢)

[٦] الإمامُ الكبيرُ، حَافِظُ زَمَانِهِ بِالْDIYARِ الْمِصْرِيَّةِ، أَبُو جَعْفَرِ الْمِصْرِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ

الطَّبْرِيِّ. وُلِدَ بِمِصْرَ سنة سبعين ومئة.

[٧] ذكره النسائيُّ يوماً، فرماه، وأساء الثناء عليه.

(١) انظر السير: ١٤٤/١٢ - ١٤٩.

(٢) انظر السير: ١٦٠/١٢ - ١٧٧.

[١] قال ابنُ يونس: لم يكن عندنا بحمدِ الله كما قال النسائي ولم يكن له آفةٌ غير الكِبَرِ.

[٢] وقال عبد الكريم بنُ النسائي عن أبيه: أحمدُ بن صالح ليس بثقةٍ ولا مأمونٍ، تركه محمدُ بن يحيى، ورماه يحيى بن معين بالكذب.

[٣] قال ابن عدي: أحمدُ بن صالح من حُفَاط الحديث، وخاصةً لحديثِ الحجاز، ومن المشهورين بمعرفته، وحدث عنه البخاريُّ مع شدةِ استقصائه ومحمدُ بن يحيى، واعتمادهما عليه في كثيرٍ من حديثِ الحجاز، وحدث عنه مَنْ حدث من الثقات، واعتمدوه حفظاً وإتقاناً. وكلام ابن معين فيه تحاملٌ. وأما سوءُ ثناء النسائي عليه، فسمعتُ محمدَ بن هارون بن حسان البرقي يقول: هذا الخراسانيُّ يتكلمُ في أحمدَ بن صالح. وحضرتُ مجلسَ أحمدَ بن صالح، وطردهُ من مجلسه، فحملهُ ذلك على أن تكلمَ فيه قال: وهذا أحمدُ بن حنبلٍ قد أثنى عليه، فالقولُ ما قاله أحمدُ لا ما قاله غيره. ولولا أنَّي شرطتُ في كتابي هذا أن أذكر فيه كُلَّ من تكلمَ فيه متكلمٌ لكنتُ أجُلُّ أحمدَ بن صالح أن أذكره.

[٤] قال الخطيب: بلغني أنَّ أحمدَ بن صالح كان لا يُحدثُ إلا ذا لحيَةٍ ولا يتركُ أمرَدَ يحضرُ مجلسه. فلما حمل أبو داود السُّجِسْثاني إليه ابنه لسمع منه - وكان إذ ذاك أمرَدُ أنكر أحمدُ بنُ صالح على أبي داود إحضاره. فقال له أبو داود: هو - وإن كان أمرَدَ - أحفظُ من أصحاب اللُّحي، فامتحنه بما أردت. فسأله عن أشياء أجابه ابنُ أبي داود عن جميعها، فحدثه حينئذٍ ولم يُحدث أمرَدَ غيره.

[٥] وقال ابنُ عدي: سمعتُ عبد الله بن محمد بن سَلَم المقدسي يقول: قدمتُ مصر فبدأت بحرملة، فكتبت عنه كتابَ عمرو بن الحارث، ويونس ابن يزيد والفوائد، ثم ذهبتُ إلى أحمدَ بن صالح فلم يُحدثني، فحملتُ كتابَ يونس، فخرقته بين يديه، - أَرْضِيهِ بذلك وليتني لم أُخرِّقه - فلم يرض، ولم يُحدثني.

قلت: نعوذُ بالله من هذه الأخلاق. صدق أبو سعيد بن يونس حيث يقول: لم يكن له آفةٌ غير الكِبَرِ، فلو قُدِح في عدالته بذلك، فإنه إثمٌ كبير.

[١] مات أحمد بن صالح سنة ثمانٍ وأربعين ومئتين وقد كان أحمد بن صالح من جلة المقرئين.

قال أبو عمرو الداني: أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن ورش، وقالون وروى حروف عاصم عن حرمي بن عمار.

[٢] قال أبو داود: سألت أحمد بن صالح عن قال: القرآن كلام الله، ولا يقول: مخلوق، ولا غير مخلوق. فقال: هذا شاك والشاك كافر.

قلت: بل هذا ساكت. ومن سكت تورعاً لا ينسب إليه قول، ومن سكت شاكاً مزريراً على السلف، فهذا مبتدع.

[٣] وقال محمد بن موسى المصري: سألت أحمد بن صالح، فقلت: إن قوماً يقولون: إن لفظنا بالقرآن غير الملفوظ، فقال: لفظنا بالقرآن هو الملفوظ، والحكاية

هي المحكي، وهو كلام الله غير مخلوق، من قال: لفظي به مخلوق فهو كافر.

قلت: إن قال لفظي، وعنى به القرآن، فنعم، وإن قال لفظي وقصد به تلفظي وصوتي وفعلي أنه مخلوق، فهذا مُصيب، فالله تعالى خالقنا، وخالق أفعالنا وأدواتنا، ولكن الكف عن هذا هو السنة، ويكفي المرء أن يؤمن بأن القرآن العظيم كلام الله ووحيه وتنزيله على قلب نبيه وأنه غير مخلوق، ومعلوم عند كل ذي ذهن سليم أن الجماعة إذا قرؤوا السورة، أنهم جميعهم قرؤوا شيئاً واحداً، وأن أصواتهم وقراءاتهم وحناجرهم أشياء مختلفة، فالمقروء كلام ربهم، وقراءتهم وتلفظهم ونغماتهم متباينة، ومن لم يتصور الفرق بين التلفظ وبين الملفوظ، فدعه وأعرض عنه.

٥١١ محمد بن أسلم^(١)

[٤] ابن سالم، الإمام الحافظ الرباني، شيخ الإسلام، أبو الحسن الكندي

الخراساني الطوسي.

(١) انظر السير: ٢٠٧-١٩٥/١٢.

مولده في حدود الثمانين ومئة .

[١] قال أبو عبد الله الحاكم : كان من الأبدالِ المُتَّبِعِينَ للآثار .

[٢] قال فيه محمد بن رافع : دخلتُ على محمد بن أسلم ، فما شَبَّهْتُهُ إلا بأصحاب رسول الله ﷺ .

[٣] قال الحاكم : قام محمد بن أسلم مقامَ وكيعٍ ، وأفضل من مقامه لزُهده وورعه وتَبَّعِهِ للأثر .

[٤] قال محمد بن القاسم : وسمعتُ أبا يعقوب المروزي ببغداد ، وقلتُ له : قد صَحِبْتَ محمد بنَ أسلم ، وأحمد بن حنبل ، أيُّهما كان أرجحَ وأكبرَ وأبصرَ بالدين ؟ فقال يا أبا عبد الله : لِمَ تقولُ هذا ؟ إذا ذكرتُ محمدًا في أربعة أشياء ، فلا تَقْرُنْ معه أحداً : البصر بالدين ، واتباع الأثر ، والزُّهد في الدنيا ، وفصاحته بالقرآن والنحو ، ثم قال لي : نظر أحمد في كتاب « الرد على الجهمية » لابن أسلم ، فتعجَّب منه .

[٥] قال محمد بن القاسم : ودخلتُ على ابنِ أسلم قبل موته بأربعة أيامٍ بنيسابور ، فقال : يا أبا عبد الله ، تعالِ أبشُرْكَ بما صنع الله بأخيك من الخير ، قد نزل بي الموتُ ، وقد مَنَّ الله عليَّ أنه مالي درهمٌ يُحَاسِبُنِي الله عليه ، ثم قال : أغلق الباب ولا تأذن لأحدٍ حتى أموتَ وتدفنون كُتُبِي . واعلمُ أنني أخرجُ من الدنيا وليس أدعُ ميراثاً غير كسائي ولبدي وإنائي الذي أتوضأ فيه وكتبي هذه ، فلا تُكَلِّفُوا الناسَ مؤنةً . وكان معه صُرةٌ فيها نحو ثلاثين درهماً ، فقال : هذا لابني أهداهُ قريبٌ له ، ولا أعلم شيئاً أحلَّ لي منه ، لأنَّ النبي ﷺ ، قال : « أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَيِّكَ » . وقال : « أَطِيبُ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ ، وَإِنْ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ » . فكفَّنوني منها . فَإِنْ أَصَبْتُمْ لي بعشرةٍ ما يسترُ عورتِي فلا تشتروا بخمسة عشرَ وابسُطُوا على جنازَتِي لبدي ، وعَطُّوا عليها كِسَائِي وأعطُوا إنائي مسكيناً .

[٦] صَحِبْتُ محمد بنَ أسلم أكثر من عشرين سنةً لم أره يُصَلِّي حيث أراه ركعتين من التطوع إلا يوم الجمعة . وسمعتُهُ كذا وكذا مرةً يحلف : لو قدرتُ أن أتطوَّعَ حيث لا يراني مَلَكَايَ لفعلتُ خوفاً من الرياء . وكان يدخل بيتاً له ، ويُغلقُ بابه ، ولم

أدر ما يصنع حتى سمعتُ ابناً له صغيراً يحكي بكاءه، فنهته أمه، فقلتُ لها: ما هذا؟ قالت: إنَّ أبا الحسن يدخلُ هذا البيت، فيقرأ ويبيكي، فيسمعه الصبي، فيحكيه، وكان إذا أراد أن يخرج، غسل وجهه، واكتحل، فلا يرى عليه أثر البكاء، وكان يصلُّ قوماً ويكسوهم، ويقولُ للرسول: انظر أن لا يعلموا من بعثه.

[١] ولا أعلم منذ صحبته وصلَّ أحداً بأقلَّ من مئة درهم إلا أن لا يُمكنه ذلك. وكان يقولُ لي: اشتر لي شعيراً أسود، فإنه يصيرُ إلى الكنيف، ولا تشتري لي إلا ما يكفيني يوماً بيوم، واشتريتُ له مرةً شعيراً أبيض، ونقيته، وطحنته فراه، فتغير لونه، وقال: إن كنت تتوَقَّت فيه، فأطعمه نفسك، لعلَّ لك عند الله أعمالاً تحتل أن تُطعم نفسك النقي، وأما أنا، فقد سرتُ في الأرض، ودرتُ فيها، فبالله ما رأيتُ نفساً تُصلي أشرَّ عندي من نفسي فِيمَ أحتجُّ عند الله إن أطعمتها النقي؟! خذ هذا الطعام، واشتر لي كل يوم بقطعة شعير رديئاً، واشتر لي رحي فجنني به حتى أطحن بيدي وآكله، لعلِّي أبلغ ما كان فيه عليّ وفاطمة رضي الله عنهما.

[٢] محمد بن العباس السلطي: سمعتُ ابن أسلم يُشَدُّ:
 إِنَّ الطَّبِيبَ بِطَبِّهِ وَدَوَائِهِ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَ مَقْدُورٍ أَتَى
 مَا لِلطَّبِيبِ يَمُوتُ بِالذَّاءِ الَّذِي قَدْ كَانَ يُبْرِئُ مِثْلَهُ فِيمَا مَضَى
 هَلَكَ الْمُدَاوِي وَالْمُدَاوَى وَالَّذِي جَلَبَ الدَّوَاءَ وَبَاعَهُ وَمَنْ اشْتَرَى

مات محمد بن أسلم سنة اثنتين وأربعين ومئتين بينسابور.

[٣] الحاكم: سمعتُ أبا النضر الفقيه، سمعتُ إبراهيم بن إسماعيل الغنبري يقول: كنتُ بمصر، وأنا أكتبُ بالليل كُتُبَ ابن وهب، وذلك لخمسِ بقين من المحرم سنة اثنتين وأربعين، فهتف بي هاتف، يا إبراهيم مات العبدُ الصالح محمد بن أسلم، فتعجبت من ذلك، وكتبته على ظهر كتابي، فإذا به قد مات في تلك الساعة.

[١] ابن داود الإمام الحافظ القدوة شيخ الإسلام، أبو جعفر الطوسي ثم البغدادي العابد.

[٢] قال أبو حفص بن شاهين: حدثنا أحمد بن محمد المؤذن، سمعتُ محمدَ بن منصور الطوسي، وحواليه قومٌ، فقالوا: يا أبا جعفر، أيشَ اليومَ عندك، قد شكَّ الناسُ فيه؟ أيومَ عَرَفةٍ هو أو غيره؟ فقال: اصبروا، فدخل البيت ثم خرج، فقال: هو يوم عرفة، فاستحيوا أن يقولوا له: من أين ذلك فعُدُّوا الأيام فكان كما قال. فسمعتُ أبا بكر بن سلام الوراق يقول له: من أين علِمْتَ؟ قال: دخلت، فسألت ربي فأراني الناسَ في الموقف!

قلتُ: لا أعرفُ هذا المؤذن، ولم يبعد وقوع هذا لمثلِ هذا الوليِّ ولكن الشأنُ في ثبوت ذلك.

[٣] قال الحافظ أبو سعيد النقاش في كتاب «طبقات الصوفية»: محمدُ بن منصور الطوسي أستاذ أبي سعيد الخزاز، وأبي العباس بن مسروق كتب الحديث الكثير، ورواه.

قلتُ: متى رأيت الصوفيَّ مُكبَّأً على الحديث فثِقُ به، ومتى رأيتَه نائياً عن الحديث، فلا تفرح به، لا سيما إذا انضاف إلى جهله بالحديث عكوفٌ على ترهات الصوفية، ورُموزِ الباطنية، نسأل الله السلامة، كما قال ابن المبارك: وهل أفسدَ الدينَ إلا الملوكُ وأحبارُ سوءٍ ورهبانُها [٤] وعن محمد بن منصور، أنه سُئل: إذا أكلتُ وشَبِعْتُ فما شكرُ تلك النعمة؟ قال: أن تُصلِّيَ حتى لا يبقى في جوفك منه شيء.

[٥] قال الحسين بن مُصعب: حدثنا محمدُ بن منصور الطوسي، قال: رأيتُ النبي ﷺ في النوم، فقلت: مُرني بشيء حتى أَلْزَمَهُ قال: عليك باليقين.

[٦] وعنه قال: يُعرفُ الجاهلُ بالغضب في غير شيء، وإفشاء السرِّ والثقة بكلِّ

أحد، والعظة في غير موضعها.

مات رحمه الله سنة أربع وخمسين ومئتين، وعاش ثمانياً وثمانين سنة.

٥١٣ محمد بن رافع (خ، م، د، س، ت) (١)

[١] ابن أبي زيد، واسمه سابور، الإمام الحافظ الحجة القدوة، بقية الأعلام، أبو عبدالله القشيري مولا هم النيسابوري.

وُلِدَ سنة نيف وسبعين ومئة في أيام مالك الإمام. وسمع مالا يُوصف كثرةً، وجمع، وصنّف.

[٢] قال الحاكم: أخبرنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب، سمعتُ أبا عمرو المستملي، سمعتُ محمد بن رافع يقول: كنتُ مع أحمد بن حنبل وإسحاق عند عبدالرزاق، فجاءنا يوم الفطر، فخرجنا مع عبد الرزاق إلى المصلّى، ومعنا ناسٌ كثير فلما رجعنا من المصلّى، دعانا عبدالرزاق إلى الغداء، فجعلنا نتغذى معه، فقال لأحمد وإسحاق: رأيتُ اليوم منكما شيئاً عجيباً، لم تُكَبِّرَا!! قالوا: يا أبا بكر، نحنُ ننظر إليك هل تُكَبِّر، فلما رأيناك لم تكبر أمسكنا. قال: وأنا كنتُ أنظر إليكما هل تكبران فأكبر.

[٣] قال جعفر بن أحمد بن نصر الحافظ: ما رأيتُ من المُحدثين أهيبَ من محمد ابن رافع، كان يستند إلى الشجرة الصنوبر في داره، فيجلسُ العلماء بين يديه على مراتبهم، وأولاد الطاهرية ومعهم الخدم، كأنَّ على رؤوسهم الطير. فيأخذ الكتابُ ويقرأ بنفسه ولا ينطقُ أحد، ولا يتبسّمُ إجلالاً له، وإذا تبسم واحد أواطن صاحبه، قال: وصلى الله على محمد ويأخذ الكتاب، فلا يقدرُ أحدُ يراجعه أو يشير بيده. ولقد تبسّم خادمٌ من خدام الطاهرية يوماً، فقطع ابنُ رافع مجلسه، فانتهى الخبرُ بذلك إلى طاهر بن عبدالله، فأمر بقتل الخادم، حتى اختلنا لخلاصه.

[٤] قال زكريا بن دُلّويه: بعث طاهر بن عبدالله إلى ابن رافع بخمسة آلاف درهم

(١) انظر السير: ٢١٤/١٢ - ٢٢١.

مع رسول، فدخل عليه بعد العصر، وهو يأكلُ الخبزَ مع الفجلِ فوضع الكيسَ، فقال: بعث الأميرُ إليك بهذا المالِ. فقال: خذْ خذْ لا احتاجُ إليه، فإنَّ الشمسَ قد بلغت رأسَ الحيطان إنما تغربُ بعد ساعة وقد جاوزتُ الثمانين إلى متى أعيش؟ فردَّ (١).

قال: فدخل ابنه، وقال: يا أبة، ليس لنا الليلة خبزٌ. قال: فبعث ببعض أصحابه خلفَ الرسولِ ليردَّ المالَ إلى طاهر فزعاً من ابنه أن يذهب خلفه، فيأخذُ المالَ.

[١] محمد بن رافع، سمعتُ عبد الرزاق، سمعتُ معمرًا يقول: رأيتُ باليمن عنقودَ عنبٍ وقرَّ (٢) بغلٍ تام.

مات محمد بن رافع سنة خمسٍ وأربعين ومئتين.

[٢] محمد بن نعيم يقول: رأيتُ محمد بن رافع في المنام بعد موته بثلاثٍ في حجره مُصْحَفٌ يقرأ، فقلتُ له: أليس قد مُت؟ فنظر إليَّ نظرةً منكراً. فقلتُ: سألتك بالله إلا ما حدثتني، ما فعل بك ربُّك؟ قال: بشرني بالروح والراحة.

٥١٤ الدَّارِمِيُّ (م، د، ت) (٣)

[٣] عبدُ الله بن عبد الرحمن بن الفضل، الحافظُ الإمامُ، أحدُ الأعلام.

وقال إسحاق بن داود السمرقندي: قدِمَ قريبٌ لي من الشام، فقال: أتيتُ أحمدَ ابن حنبل، فجعلتُ أصِفُّ له أبا المنذر، وجعلتُ أمدِّحه، فقال: لا أعرفُ هذا، فقد طالت غيبةُ إخواننا عنا، لكن أينَ أنتَ عن عبد الله بن عبد الرحمن؟ عليك بذاك السَّيِّدِ، عليك بذاك السَّيِّدِ.

وقال أبو بكر الخطيب: كان أحدُ الرِّحَالين في الحديث، والموصوفين بحفظه وجميعهِ والإتقان له، مع الثَّقةِ والصدقِ، والورعِ والزهدِ، واستقْضي على سمرقند،

(١) أي رجع.

(٢) بكسر الواو، وسكون القاف: الحِمْلُ الثقيل.

(٣) انظر السير: ٢٢٤/١٢ - ٢٣٢.

فَأَبَى، فَأَلَحَّ السُّلْطَانُ عَلَيْهِ حَتَّى يُقَلِّدَهُ، وَقَضَى قَضِيَّةً وَاحِدَةً ثُمَّ اسْتَعْفَى، فَأَعْفَى، وَكَانَ عَلَى غَايَةِ الْعَقْلِ، وَنَهَايَةِ الْفَضْلِ، يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الدِّيَانَةِ وَالْحِلْمِ وَالرِّزَانَةِ، وَالْاجْتِهَادِ، وَالْعِبَادَةِ، وَالزَّهَادَةِ وَالتَّقَلُّلِ. وَصَنَّفَ «الْمُسْنَدَ» وَ«التَفْسِيرَ» وَ«الْجَامِعَ».

قال إسحاق بن إبراهيم الوراق: سمعتُ عبدَ الله بن عبد الرحمن يقول: ولدتُ في سنة ماتَ ابنُ المبارك، سنة إحدى وثمانين ومئة.

مات في سنة خمسٍ وخمسين ومئتين. وهو ابنُ خمسٍ وسبعين سنة.

[١] قال إسحاق بن أحمد بن خلف: كنا عند محمد بن اسماعيل البخاري فورد عليه كتابُ فيه نعيُّ عبدِ الله بن عبد الرحمن، فَنَكَّسَ رَأْسَهُ، ثُمَّ رَفَعَ وَاسْتَرْجَعَ، وَجَعَلَ تَسِيلُ دُمُوعُهُ عَلَى خَدَّيْهِ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

إِنْ تَبَقَ تُفَجِّعُ بِالْأَحِبَّةِ كُلِّهِمْ وَفَنَاءَ نَفْسِكَ لَا أَبَا لَكَ أَفْجَعُ

[٢] ومن حديثه: عبدُ الله الدارمي، حدثنا يحيى بن حسان، حدثنا سليمان بن بلال، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، عن النبي ﷺ، قال: «نِعَمَ الْإِدَامُ الْخَلُّ».

هذا حديثٌ صحيحٌ غريبٌ فردٌّ على شرط الشيخين، وانفرد مسلم به ورواه أيضاً أبو عيسى في «جامعه» كلاهما عن أبي محمد الدارمي.

وقد كان الدارميُّ يُقَصِّدُ فِي رِوَايَةِ هَذَا الْحَدِيثِ لَتَفَرُّدِهِ بِهِ، قَالَ: فَكَانَ يُدِقُّ عَلَيَّ الْبَابُ وَأَنَا بِيغْدَادَ، فَأَقُولُ: مَنْ ذَا؟ فَيُقَالُ: يَحْيَى بْنُ حَسَانَ: «نِعَمَ الْإِدَامُ الْخَلُّ».

٥١٥ المازني^(١)

[٣] إمامُ العربية، أبو عثمان، بكرُ بن محمد بن عدي، البصريُّ، صاحبُ «التصريف» والتصانيف.

[٤] قال المبرد: لم يكن أحدٌ بعد سيبويه أعلمَ بالنحو من المازني، قال: وذكر لنا

(١) انظر السير: ٢٧٠/١٢ - ٢٧٢.

المازنيُّ أن رجلاً قرأ عليه «كتاب» سيبويه في مدة طويلة فلما بلغ آخره قال : أما إني ما فهمتُ منه حرفاً ، وأما أنت فجزاك الله خيراً .

وقال المازنيُّ : قرأتُ القرآن على يعقوب ، فلما ختمتُ رمى إليَّ بخاتمه ، وقال : خُذه ، ليس لك مثْلُ .

[١] وقيل : كان المازنيُّ ذا ورع ودين ، وبلغنا أن يهودياً حصَّل النحو فجاء ليقراً على المازني «كتاب» سيبويه ، فبذل له مئة دينار ، فامتنع وقال : هذا الكتابُ يشتمل على ثلاث مئة آية ونيف ، فلا أمكنُ منهما ذمياً .

قال القاضي بكار بن قتيبة : ما رأيتُ نحويّاً يُشبهُ الفقهاء ، إلا حبان بن هلال والمازني .

[٢] وعن المازنيِّ قال : قلتُ لابن السُّكيت : ما وزن «نَكْتَلُ» قال : «نفعِلُ» . قلتُ : أتتد ، ففكر ، وقال : «نفتعلُ» قلتُ : فهذه خمسة أحرف - فسكت فقال المُتوَكِّل : ما وزنها؟ قلتُ : وزنها في الأصل «نفتعلُ» ، لأنها «نكتيلُ» فتحرك حرفُ العلة ، وانفتح ما قبله فقلب ألفاً ، فصار نكتال ، فحذفت ألفه للجزم ، فبقي «نكتلُ» .

مات المازنيُّ سنة سبع أو ثمان وأربعين ومئتين .

٥١٦ الذُّهْلِيُّ وابْنُه (خ، ٤) (١)

[١] محمد بن يحيى بن عبدالله، الإمام العلامة الحافظ البارِع، شيخ الإسلام، وعالم أهل المشرق، وإمام أهل الحديث بخراسان، أبو عبدالله الذُّهْلِيُّ مولا هم، النيسابوري.

مولده سنة بضع وسبعين ومئة.

جَمَعَ عِلْمَ الزُّهْرِيِّ، وصنّفه، وجوّده، من أجل ذلك يُقال له: الزُّهْرِي ويُقال له: الذُّهْلِي. وانتهت إليه رئاسة العلم والعظمة، والسُّؤْدُود ببلده، كانت له جَلالةٌ عجيبةٌ بنيسابور، من نوع جَلالةِ الإمام أحمد ببغداد، ومالك بالمدينة.

[٢] روى عنه خلاّيق، منهم محمد بن إسماعيل البخاريّ، ويُدَلِّسُه كثيراً، لا يقول: محمد بن يحيى، بل يقول: محمد فقط، أو محمد بن خالد أو محمد بن عبدالله يَنْسِبُه إلى الجَدِّ، ويُعَمِّي اسمه لمكانِ الواقع بينهما، غفر الله لهما. وأكثر عنه مسلم، ثم فسد ما بينهما، فامتنع من الرواية عنه فما ضَرَّه ذلك عند الله.

قال ابن أبي حاتم: كتب عنه أبي بالرِّيِّ، وقال: ثقة. ثم قال عبد الرحمن: هو إمامٌ من أئمة المسلمين.

وكان أحمد بن حنبل يُثْنِي عليه، وينشُرُ فضله.

[٣] وقال محمد بن صالح بن هانئ: سمعتُ محمد بن النضر الجارودي يقول: بلغني أنَّ محمد بن يحيى كان يَكْتُبُ في مجلس يحيى بن يحيى، فنظر عليّ بن سلمة اللَّبْقِيُّ إلى حُسْنِ خَطِّه وتَقْيِيدِهِ، فقال: يا بُنِي، ألا أنصَحُكَ؟ إِنَّ أبا زكريا يُحدِّثُكَ عن سُفْيَانَ بن عُيَيْنَةَ وهو حيٌّ، وعن وَكِيع وهو حيٌّ بالكوفة وعن يحيى بن سعيد وجماعةٍ أحياء بالبصرة، وعن عبدالرحمن بن مهدي وهو حيٌّ بأصبهان،

(١) انظر السير: ١٢/٢٧٣-٢٨٥.

فأخرج في طلب العلم، ولا تُضَيِّعْ أيامَكَ . فعمل فيه قوله فخرج إلى أصبهان فسمع من عبدالرحمن بن مهدي، والحسين بن حفص ثم دخل البصرة وقد مات يحيى، فكتب عن أبي داود وأقرانه، وأكثر بها المقام، حتى مات سُفَيان بن عُيَيْنَةَ . قلت: ما كان يُمكنه لُقيّه، فإنَّ سُفَيان مات في وسط السَّنة ولا كان يُمكنه المسيرُ إلى مكة إلا مع الوفد، وأما وكيع فمات قبل أن يتحرَّك الذهليُّ من بلده .

قال: فخرج إلى اليمن، وأكثر عن عبدالرزاق وأقرانه، ثم رجع وحجَّ، وذهب إلى مصر ثم الشام . وبارك الله له في علمه حتى صار إمامَ عصره .

[١] قال أبو عمرو أحمدُ بن نصر الحَفَّاف: رأيتُ محمد بن يحيى بعد وفاته، فقلتُ: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قلتُ فما فعل بحديثك؟ قال: كُتِبَ بماء الذهب، وُرفِعَ في عَلَيِّين .

[٢] قال أبو العباس الأزهري: سمعتُ خادمةَ محمد بن يحيى، وهو على السرير يُغَسِّلُ، تقول: خَدَمْتُهُ ثلاثين سنة، وكنت أضَعُ له الماء، فما رأيتُ ساقه قط، وأنا مُلِكُّ له .

[٣] قال الحاكم: سمعتُ أبا علي محمد بن أحمد بن زيد المُعَدَّل يقول: سمعتُ يحيى بن الذهلي يقول: دخلتُ على أبي في الصيف الصائف وقتَ القائلة وهو في بيت كتبه، وبين يديه السَّراجُ، وهو يُصَنَّفُ، فقلتُ: يا أبة هذا وقتُ الصلاة، ودُخانُ هذا السراج بالنهار، فلو نَفَسْتَ عن نفسك قال: يا بُني، تقولُ لي هذا، وأنا مع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين!!

[٤] وقال الحسين بن محمد الفقيه: سمعتُ محمد بن يحيى يقول: تقدَّم رجلٌ إلى عالمٍ، فقال: علِّمني وأوجِزْ، قال: لأوجِزَنَّ لك، أمَّا لِأَحِرَتِكَ: فإنَّ الله أَوْحَى إلى نبيٍّ من أنبيائه: قُلْ لقَوْمِكَ: لو كانت المعصيةُ في بيتٍ من بيوت السِّنة لأوصلتُ إليه الخراب، وأمَّا لدنياك: فإنَّ الشاعر يقول:

[٥] ما النَّاسُ إِلَّا مَعَ الدُّنْيَا وصاحبها وَكَيْفَ ما انقَلَبَتْ يوماً بِهِ انقَلَبُوا يُعْظَمُونَ أخوا الدُّنْيَا فَإِنْ وَثَبَتْ يوماً عَلَيْهِ بما لا يَشْتَهِي وَثَبُوا

وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: حدثنا محمد بن يحيى الذهلي إمام عصره، أسكنه الله جنته مع مَحَبَّتِهِ.

مات في سنة ثمان وخمسين ومئتين، عاش ستاً وثمانين سنة.

وخلّفه في مشيخة البلد ولده حَيَّكَان، واسمه:

٥١٧ يَحْيَى بن مُحَمَّد بن يَحْيَى الذهلي (ق)^(١)

[١] الحافظ المَجُودُ الشهيد، أبو زكريا.

قال الحاكم: هو إمام نيسابور في الفتوى والرئاسة، وابنُ إمامها، أميرُ الْمُطَوَّعة بِخراسان بلا مُدافعة، يعني: العزاة. قال: وكان يسكن دار أبيه، ولكلُّ منهما صومعةٌ وآثار لعبادتهما، والسَّكَّةُ والمسجدُ منسوبان إلى حَيَّكَان.

[٢] قتله أحمد بن عبد الله الخُجُسْتَانِي ظُلماً سنة سَبْعٍ وستين ومئتين، لكونه قامَ عليه، وحارَبَه لاعتدائه وعَسَفِهِ.

قال الحاكم: سمعتُ أبا بكر أحمد بن إسحاق، سمعتُ نوح بن أحمد سمعتُ أحمد بن عبد الله الخُجُسْتَانِي يقول: دخلتُ على حَيَّكَان في مَحَبَّتِهِ الذي كنتُ حبستُهُ فيه على أن أضربه خشبان، وأُخْلِى سَبِيلَهُ، وماكنتُ عازماً على قتله، فلما قربتُ منه، مددتُ يدي إلى لحيته، فقبضتُ عليها فقبضَ على خَصْيِي، حتى لم أشكُ أنه قاتلي، فذَكَرْتُ سَكِيناً في خُفِّي، فَجَرَّدْتُ السُّكَيْنَ، وشَقَقْتُ بطنه.

[٣] سمعتُ أبا الفضل الحسن بن يعقوب العدل، سمعتُ أبا عمر المستملي يقول:

رأيت يحيى بن محمد رضي الله عنه في المنام، فقلت: ما فعل الله بك، قال: غفر لي. قلت: فما فعل الخُجُسْتَانِي؟ قال: هو في تابوت من نار، والمفتاح بيدي.

[٤] وقال أبو إسحاق المُزَكِّي: حدثني أبو علي الحسن بن محمد وغيره أن محمدَ

ابن يحيى الذهلي وابنه يحيى اختلفا في مسألة فقال أحدهما للآخر: اجعل بيننا

(١) انظر السير: ١٢/٢٨٥-٢٩٤.

حكماً، فرَضيا بابن خزيمة، ففضى ليحيى على أبيه.

[١] وقال أبو العباس السَّراج: كان يحيى بن محمد أخرجه الغزاة وجماعة من أصحاب الحديث وأصحاب الرأي، وأركبوه دابة، وألبسوه سيفاً. قال المُرَكِّي: بلغني أنه كان سيف خشب -وقاتلوا سلطان نيسابور، يقال له أحمد بن عبدالله، خارجي، غلب على البلد، وكان ظالماً غاشماً وكان الناس أو أكثرهم مجتمعين عليه مع يحيى، فكانت الدِّبْرَة على العامة وهرب يحيى إلى رُستاق، يقال له: بُست فذل عليه أحمد بن عبدالله وجيء به، فقال: إن عامة من كان مع يحيى من الرؤساء، انقلبوا عليه لَمَّا واقفه أحمد، وقال: ألم أحسن إليك؟ ألم أفعل، ألم أفعل؟ وكان يحيى فوق جميع أهل البلد. فقال: أكرهتُ على ذلك واجتمعوا عليّ، قال: فردَّ عليه الجماعة، أو من حضر منهم، وقالوا: ليس كما قال. فأخذه أحمد فقتله، يقال: إنه بنى عليه. قال: وقال إنه أمر بجرّ خُصِيَّه حتى مات.

قال الحاكم: سمعتُ أبا عبدالله بن الأخرم يقول: ما رأيتُ مثل حَيِّكان، لارحم الله قاتله.

٥١٨ حجاج بن يوسف (م، د) (١)

[٢] ابن حجاج، أبو محمد بن الشاعر أبي يعقوب الثقفي البغدادي الحافظ فأما أبوه فَلَقْبُهُ لِقْوَة، من تلامذة أبي نواس وأصحابه.

نشأ حجاج ببغداد، وطلب العلم.

قال ابن أبي حاتم: ثقةٌ حافظ.

[٣] قال صالح جَزَرَة: سمعتُ حجاج بن الشاعر يقول: جَمَعْتُ لي أُمِّي مئةَ رغيف، فجعلتها في جرابٍ، وانحدرتُ إلى شِبابَة بالمدائن، فأقمتُ ببابه مئةَ يوم، أغمسُ الرغيف في دجلة وأَكَلْهُ، فلما نفدت خرجتُ.

توفي سنة تسع وخمسين.

(١) انظر السير: ٣٠١/١٢-٣٠٢.

٥١٩ المَرَارُ بْنُ حَمُونَه (ق) (١)

[١] ابن منصور، الإمام الفقيه الحافظ، شيخ هَمْدَانَ، أبو أحمد الثَّقَفِي الهَمْدَانِي. وَلَدَ بعد التسعين ومئة.

فضلاً بن صالح قال: قلت لأبي زُرْعَةَ الرازي: أنت أحفظ أم المَرَارُ؟ فقال: أنا أحفظ، وهو أفقه.

[٢] وقال عبد الله أحمد بن الدُّحَيْمِي: سمعت المَرَارَ يقول: اللهم ارزقني الشهادة، وأمرَّ يده على حَلْقِهِ. وقيل: لما وقعت فتنة المعتزِّ والمستعين كان على هَمْدَانَ الأميران جَبَّاحٌ وجُغْلَانٌ من قِبَلِ المعتزِّ، فاستشار أهل هَمْدَانَ المَرَارَ والجرجانيَّ في محاربتهم، فأمرهم بلزوم منازلهم، فلما أغار أصحابُهما على دار سَلَمَةَ بن سهل وغيرها، ورَمَوْا رجلاً بسهم، أفتياهم في الحرب، وتقلَّد المَرَارُ سيفاً، فخرج معهم، فقتل عددٌ كثيرٌ من الفريقين، ثم طلب مُفْلِحُ المَرَّازِ، فاعتصم بأهل قُمَ، وهرب معه إبراهيم بن مسعود المحدث. فأما إبراهيم فهازلهم وقاربهم فسَلِمَ، وأما المَرَارُ، فأظهر مخالفتهم في التشيع، وكاشفهم، فأوقعوا به وقتلوه، رحمه الله.

وروى الحسين بن صالح أنَّ عمَّه المَرَارَ قُتِلَ في سنة أربع وخمسين ومئتين. وله أربع وخمسون سنة. قال صالح بن أحمد التميمي قُتِلَ المَرَارُ في السَّنة شهيداً. قلت: كان من أئمة الإسلام.

٥٢٠ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ (ق) (٢)

[٣] العلامة الحافظ النَّسَّابَةُ، قاضي مكة وعالمها، أبو عبد الله بن أبي بكر بَكَّار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبَيْرِ بن العَوَّام القرشيُّ الأَسَدِيُّ الزُّبَيْرِيُّ المدنيُّ المكيُّ.

مولده في سنة اثنتين وسبعين ومئة.

(١) انظر السير: ٣٠٨/١٢-٣١١.

(٢) انظر السير: ٣١١/١٢-٣١٥.

وهو مُصَنَّفُ كتاب «نسب قریش»، وهو كتابٌ كبيرٌ نفيسٌ .
وقال الدارقطني : ثقةٌ .

روى محمد بن عبد الملك التاريخي ، قال : أنشدني ابن أبي طاهر لنفسه في الزبير بن بكار :

[١] ما قال «لا» إلا في تشهدِهِ ولا جرى لفظُهُ إلا على «نعم»

بينَ الحواريِّ والصديقِ نسبُهُ وقد جرى ورسول الله في رَحِمِ

[٢] الزبير بن بكار، قال : قالت بنتُ أُختي لأهلنا : خالي خيرُ رجلٍ لأهله ، لا يتخذُ

ضرةً وسُرَّةً ، قال : تقول المرأة : والله هذه الكتبُ أشدُّ عليَّ من ثلاثِ ضرائرٍ .

[٣] قال محمد بن إسحاق الصيرفي : سألتُ الزبير : مُنذُ كم زَوَّجْتُكَ معك ؟ قال :

لا تسألني ، ليس ترد القيامةُ أكثرَ كِباشاً منها ، ضحيتُ عنها سبعين كَبْشاً .

[٤] وقال أحمد بن علي السليمان الحافظ : منكر الحديث . كذا قال ولا يدري ما ينطق به .

توفي الزبير سنة ست وخمسين ومئتين بمكة . وقد بلغ أربعاً وثمانين سنة .

[٥] وكان سببُ وفاته أنه وقع من فوق سطحه ، فمكث يومين لا يتكلم ومات ، انكسرت ترقوته ووركه .

٥٢١ عبد الله بن منير (خ ، ت ، س) (١)

[٦] لإمام القدوة الولي الحافظ الحجة ، أبو عبد الرحمن المروزي .

وقال الفِرَبْرِيُّ : سمعت بعض أصحابنا يقول : سمعتُ البخاريَّ يقول : لم أر مثلاً

عبد الله بن منير .

قال الفِرَبْرِيُّ : كان يسكنُ فِرَبْرَ ، وبها توفي سنة إحدى وأربعين ومئتين .

[٧] قال يعقوب بن إسحاق بن محمود : سمعتُ يحيى بن بدر القرشي يقول : كان

عبد الله بن منير قبل الصلاة ، يكون بفِرَبْرَ ، فإذا كان وقتُ الصلاة يرونه في مسجد

(١) انظر السير : ٣١٦/١٢ - ٣١٧ .

آمل، فكانوا يقولون: إنه يمشي على الماء. فقليل له في ذلك، فقال: أما المشي على الماء فلا أدري، ولكن إذا أراد الله جمع حافتي النهر، حتى يعبر الإنسان. [١] قال: وكان إذا قام من المجلس خرج إلى البرية مع قوم من أصحابه، يجمع شيئاً مثل الأشنان وغيره، يبيعه في السوق، ويعيش منه. فخرج يوماً مع أصحابه، فإذا هو بالأسد رابض فقال لأصحابه: قفوا. وتقدم هو إلى الأسد، فلا ندري ما قال له فقام الأسد، فذهب.

[٢] وسئل ابن راهويه: أيدخل الرجل المفازة بغير زاد؟ قال: إن كان مثل عبد الله بن منير، فنعم. وقيل: كان ابن منير يعد من الأبدال.

٥٢٢ أحمد بن إسرائيل^(١)

[٣] ابن الحسين الأنباري الكاتب، وزير المعتز.

كان ذا مكانة عند المعتز، فاستوزره سنة اثنتين وخمسين، فنهض بأعباء الأمر، وكان يضرب بذكائه المثل، لا يسمع شيئاً إلا حفظه. وكان إليه المنتهى في حساب الديوان.

[٤] وعنه قال: كنت أنسخ الكتاب، فلا أفرغه حتى أحفظه حرفاً حرفاً، فعلت ذلك مرّات كثيرة.

وقد أحدث رسوماً وقواعد في الكتابة بقيت بعده، وترك ما قبلها.

[٥] قال الصولي: كانت وزارته دون ثلاث سنين، وقتله وصيف بالضرب في رمضان سنة خمس وخمسين ومئتين.

٥٢٣ يعقوب بن إسحاق^(٢)

[٦] ابن الصباح، الكندي الأشعبي الفيلسوف، صاحب الكتب، من ولد الأشعث ابن قيس، أمير العرب.

(٢) انظر السير: ٣٣٧/١٢.

(١) انظر السير: ٣٣٢-٣٣٣/١٢.

[١] كان رأساً في حكمة الأوائل ومنطق اليونان والهيئة والتنجيم والطب وغير ذلك، لا يُلحقُ شأنه في ذلك العلم المتروك، وله باع أطول في الهندسة والموسيقى. كان يُقال له: فيلسوف العرب، وكان مُتَهَمًا في دينه، بخيلاً ساقط المروءة، وله نَظْمٌ جيّدٌ وبلاغةٌ وتلامذة. هَمَّ بأن يعمل شيئاً مثل القرآن، فبعد أيامٍ أذعن بالعجز. [٢] قال عبدالرحمن بن يحيى بن خاقان: رأيتُه في النوم، فقلتُ: ما فعل الله بك؟ قال: ما هو إلا أن رأني، فقال ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المرسلات ٢٩].

٥٢٤ عبد الرحمن بن بشر (خ، م، د، ق) (١)

[٣] ابن الحكم المحدث الحافظ الجواد الثقة الإمام، أبو محمد بن الإمام أبي عبدالرحمن العبدِيُّ النيسابوري. مولده بعد الثمانين ومئة.

[٤] واعتنى به أبوه، وارتحل به، ولقي الكبار، وطال عمره، وتفرّد.

[٥] وكان ابنُ بشرٍ موصوفاً بطيب الصوت. قال مكِّي بن عبدان: كان عبدُ الله بن طاهر الأمير يحضرُ بالليلِ متنكراً إلى مسجد عبدالرحمن ليسمع قراءته.

قال عبدالرحمن بن بشر: أقامني يحيى القطان في مجلسه، فقال: ما حَدَّثَكُم عني هذا الصبي فصَدَّقوه، فإنه كَيِّسٌ.

قال أبو حامد بن الشرقي: سمعتُ عبدالرحمن يقول: احتلمتُ فدعا أبي عبد الرزاق وأصحاب الحديث الغرباء فلما فرغوا من الطعام قال: اشهدوا أن ابني قد احتلم وهو ذا يسمع من عبدالرزاق، وقد سمع من سُفيان بن عُيينة.

قلت: هذا الإعلام إيلام للصبي، وتخجيل له.

[٦] الحاكم: حدثنا محمد بن صالح بن هاني، سمعتُ أحمد بن سَلَمَةَ يقول: بَكَرَتْ يوماً على عبدالرحمن بن بشر في تزويج أُختِ امرأة مسلم بن الحجاج، فرأيتُه في المسجد، فقال: ما بَكَرَ بك اليوم؟ قلتُ: عبد الواحد الصقار سألني أن

(١) انظر السير: ٣٤٠/١٢ - ٣٤٤.

أَجِيئَكَ لَتُزَوِّجَ ابْنَتَهُ . فقال : ما حضرتُ تزويجاً قط إذا كان في وقتِ قولهم
للخاطبِ : قبلتَ هذا النكاحَ ولها من المهر عليك كذا وكذا . فإذا قال : نعم ، قلتُ
في نفسي : شقيتَ شقاء لا تسعدُ بعده أبداً .

[١] قال محمودُ بنُ والان : سمعتُ عبدالرحمنَ بنَ بشر ، سمعتُ ابنَ عُيينة يقول :
غَضِبُ الله داءٌ لا دواءَ له .

قلت : دواؤه كثرةُ الاستغفار بالأسحار ، والتوبة النصوح .

مات عبدُ الرحمن بنَ بشر سنةً ستين ومئتين .

٥٢٥ زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ قُمَيْرٍ (ق) (١)

[٢] الإمامُ الرِّبَّانِيُّ المحدثُ الثَّبْتُ ، أبو محمد ، المروزي ، نزيل بغداد .

[٣] وقال الخطيبُ : كان ثقةً صادقاً ورعاً زاهداً ، انتقل في آخر عمره من بغداد إلى
طرسُوس ، فربطَ بها إلى أن مات .

[٤] قال البغويُّ : ما رأيتُ بعدَ أحمدَ بنِ حنبلٍ أفضلَ منه ، سمعته يقولُ : أشتَهي

لحمًا من أربعين سنةً ، ولا آكله حتى أدخل الرومَ ، فأكلُ من مغنم الروم .

[٥] وحدثني ولده محمد بن زهير ، قال : كان أبي يَجْمَعُنَا في وقتِ خْتَمِهِ للقرآن في

شهر رمضان في كلِّ يومٍ وليلة ثلاثِ مراتٍ يختمُ تسعين ختمةً في رمضان .

مات رحمه الله في آخر سنةٍ سبعٍ وخمسين ومئتين .

قلتُ : ماتَ عن بضعٍ وسبعين سنةً .

يا حَبْدًا مَرُوءًا أخرجتُ . من سَادَةِ في العِلْمِ والدينِ

٥٢٦ أحمدُ بنُ الأزهر (س ، ق) (٢)

[٦] ابنُ مَنِيعِ الإمامُ الحافظُ الثَّبْتُ ، أبو الأزهر ، العَبْدِيُّ النيسابوريُّ ، محدِّثُ

خراسان في زمانه .

(٢) انظر السير : ٣٦٣-٣٦٩ .

(١) انظر السير : ٣٦٠-٣٦٢ .

وُلد بعد السبعين ومئة .

[١] قال الحاكم : حدثنا أبو عليٍّ محمد بن عليٍّ بن عمر المُدَكَّرُ، حدثنا أحمد بن الأزهر، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزُّهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، قال «نظر رسول الله ﷺ إلى عليٍّ بن أبي طالب، فقال: أَنْتَ سَيِّدٌ فِي الدُّنْيَا، سَيِّدٌ فِي الْآخِرَةِ، حَبِيبُكَ حَبِيبِي، وَعَدُوُّكَ عَدُوِّي، وَعَدُوِّي عَدُوُّ اللَّهِ. فَالْوَيْلَ لِمَنْ أَبْغَضَكَ بَعْدِي» .

قال الحاكم : حَدَّثَ بِهِ أَبُو الْأَزْهَرِ بِبَغْدَادَ فِي حَيَاةِ أَحْمَدَ وَابْنِ الْمَدِينِيِّ وَابْنِ مَعِينٍ، فَأَنْكَرَهُ مَنْ أَنْكَرَهُ، حَتَّى تَبَيَّنَ لِلْجَمَاعَةِ أَنَّ أَبَا الْأَزْهَرِ بَرِيءُ السَّاحَةِ مِنْهُ، فَإِنَّ مَحَلَّهُ مَحَلُّ الصَّادِقِينَ .

لَمَّا حَدَّثَ أَبُو الْأَزْهَرِ بِحَدِيثِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ فِي الْفَضَائِلِ، أَخْبَرَ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ بِذَلِكَ، فَبَيَّنَا هُوَ عِنْدَ يَحْيَى فِي جَمَاعَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ، إِذْ قَالَ يَحْيَى : مِنْ هَذَا الْكَذَّابِ النَّيْسَابُورِيُّ الَّذِي حَدَّثَ بِهَذَا عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ؟ فَقَامَ أَبُو الْأَزْهَرِ، فَقَالَ : هُوَ ذَا أَنَا. فَتَبَسَّمَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَقَالَ : أَمَّا إِنَّكَ لَسْتَ بِكَذَّابٍ، وَتَعْجَبُ مِنْ سَلَامَتِهِ، وَقَالَ : الذَّنْبُ لَغَيْرِكَ فِيهِ .

وَسَمِعْتُ أَبَا أَحْمَدَ الْحَافِظَ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا حَامِدَ بْنَ الشَّرْقِيِّ، وَسُئِلَ عَنْ حَدِيثِ أَبِي الْأَزْهَرِ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ فِي فَضْلِ عَلِيٍّ، فَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ بَاطِلٌ ثُمَّ قَالَ : وَالسَّبَبُ فِيهِ أَنَّ مَعْمَرًا كَانَ لَهُ ابْنُ أَخٍ رَافِضِيٍّ، وَكَانَ مَعْمَرٌ يُمَكِّنُهُ مِنْ كُتْبِهِ، فَأَدْخَلَ هَذَا عَلَيْهِ . وَكَانَ مَعْمَرٌ رَجُلًا مَهِيئًا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي السُّؤَالِ وَالْمَرَاجَعَةِ، فَسَمِعَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي كِتَابِ ابْنِ أَخِي مَعْمَرٍ .

قُلْتُ : وَلِتَشِيعَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ سُرًّا بِالْحَدِيثِ، وَكُتِبَ، وَمَا رَاجَعَ مَعْمَرًا فِيهِ، وَلَكِنَّهُ مَا جَسَرَ أَنْ يُحَدِّثَ بِهِ لِمِثْلِ أَحْمَدَ وَابْنِ مَعِينٍ وَعَلِيٍّ، بَلْ وَلَا خَرَجَهُ فِي تَصَانِيفِهِ . وَحَدَّثَ بِهِ وَهُوَ خَائِفٌ يَتَرَقَّبُ .

قال الحاكم : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ حَامِدَ الْبَزَّازِ، سَمِعْتُ مَكِّيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ سَمِعْتُ أَبَا الْأَزْهَرِ يَقُولُ : خَرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ إِلَى قَرِيَّتِهِ، فَبَكَرْتُ إِلَيْهِ يَوْمًا حَتَّى خَشِيتُ عَلَى

نفسى من البُكور. قال: فوصلتُ إليه قبل أن يخرج لصلاة الصبح، فلما خرج رآني، فقال: كُنْتُ البارحةَ ها هنا؟ قلتُ: لا، ولكني خرجتُ في الليل، فأعجبه ذلك، فلما فرغ من صلاة الصُّبح دعاني، وقرأ عليَّ هذا الحديث، وخصَّني به دون أصحابي.

مات أبو الأزهر سنة ثلاثٍ وستين ومئتين.

٥٢٧ الرياشيُّ (د) (١)

[١] عبَّاسُ بن الفرَج، العلَّامةُ الحافظُ شيخُ الأدب، أبو الفضل، الرياشيُّ البصريُّ النحويُّ، مولى محمد بن سليمان بن علي العباسيِّ الأمير. وُلد بعد الثمانين ومئة.

قال أبو بكر الخطيب: قَدِمَ الرِّياشيُّ بغداد، وحَدَّثَ بها، وكان ثقةً، وكان من الأدبِ وعلمِ النحو بمحلِّ عال. كان يحفظ كُتُبَ أبي زيد وكتب الأصمعيِّ كُلِّها. وقرأ على أبي عثمان المازنيَّ «كتاب» سيبويه فكان المازنيُّ يقول: قرأ عليَّ الرياشيُّ «الكتاب» وهو أعلمُ به مني.

[٢] قال ابنُ دُرَيْد: قتلته الزُّنْج بالبصرة سنة سبعٍ وخمسين ومئتين.

[٣] وقال عليُّ بن أبي أمية: لَمَّا كان من دخول الزُّنْج البصرة ما كان وقَتَلَهُمْ بها مَنْ قَتَلُوا، وذلك في شوال سنة سبع، بَلَّغْنَا أَنَّهُمْ دخلوا على الرياشي المسجد بأسيافهم، والرياشيُّ قائمٌ يُصَلِّي الضحى، فضرُّوه بالأسياف: وقالوا: هاتِ المالَ، فجعل يقول: أيُّ مال، أيُّ مال؟! حتى مات. فلما خرجت الزُّنْج عن البصرة، دخلناها، فمررنا ببني مازن الطُّحَّانين - وهناك كان ينزلُ الرياشيُّ - فدخلنا مسجده، فإذا به مُلقًى وهو مُسْتَقْبِلُ القبلةِ كأنما وُجَّه إليها، وإذا بِشِمْلَةٍ تحركها الريحُ وقد تمزقت، وإذا جميعٌ خَلَقَهُ صحيحٌ سَوِيٌّ لم ينشَقْ له بطنٌ، ولم يتغيَّرْ له حالٌ، إلا أن جلدَه قد لَصِقَ بعَظْمِهِ ويبس، وذلك بعد مقتله بستين رحمه الله.

(١) انظر السير: ٣٧٢/١٢ - ٣٧٦.

[١] قلت: فتنة الزنج كانت عظيمة، وذلك أن بعض الشياطين الدهاة كان طُرقياً أو مؤدّباً، له نظرٌ في الشعر والأخبار، ويظهر من حاله الزندقة والمروق، ادّعى أنه علويٌّ، ودعا إلى نفسه، فالتفت عليه قطاع طريق، والعبيد السود من غلمان أهل البصرة، حتى صار في عدّة وتحيلوا وحصلوا سُيوفاً وعصياً، ثم ثاروا على أطراف البلد. فبدّعوا وقتلوا وقوّوا، وانضمّ إليهم كلُّ مجرم، واستفحل الشرُّ بهم، فسار جيشٌ من العراق لحربهم، فكسروا الجيش، وأخذوا البصرة، واستباحوها، واشتدّ الخطب، وصار قائدهم الخبيث في جيشٍ وأهبة كاملة، وعزم على أخذ بغداد، وبنى لنفسه مدينة عظيمة، وحرار الخليفة المعتمد في نفسه، ودام البلاء بهذا الخبيث المارق ثلاث عشرة سنة، وهابته الجيوش، وجرت معه ملاحمٌ ووقعاتٌ يطول شرحها، قد ذكرها المؤرخون إلى أن قُتل. فالزنج هم عبارة عن عبيد البصرة الذين ثاروا معه، لا بارك الله فيهم.

٥٢٨ أبو عبد الله البخاري (ت، س) (١)

[٢] محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، وهي لفظة بخارية، معناها الزراع.

أسلم المغيرة على يدي اليمان الجعفي والي بخارى، وكان مجوسياً وطلب إسماعيل بن إبراهيم العلم.

[٣] محمد بن أحمد بن الفضل البلخي، سمعت أبي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره، فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام، فقال لها: يا هذه، قد ردّ الله على ابنك بصره لكثرة بكائك، أو كثرة دعائك، شكّ البلخي، فأصبحنا وقد ردّ الله عليه بصره.

[٤] محمد بن أبي حاتم، قال: قلت لأبي عبد الله: كيف كان بدء أمرك؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب. فقلت: كم كان سنك؟ فقال: عشر سنين،

(١) انظر السير: ٣٩١/١٢ - ٤٧١.

أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يوماً فيما كان يقرأ للناس: سفيان، عن أبي الزبير، عن إبراهيم، فقلت له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل، فدخل فنظر فيه، ثم خرج، فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي: عن إبراهيم، فأخذ القلم مني، وأحكم كتابه، وقال: صدقت. فقبل للبخاري: ابن كم كنت حين رددت عليه؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة.

[١] قال ورأاه محمد بن أبي حاتم: سمعته قبل موته بشهر يقول: كتبت عن ألف وثمانين رجلاً، ليس فيهم إلا صاحب حديث، كانوا يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

ذَكَرُ رَحْلَتِهِ وَطَلَبِهِ وَتَصَانِيفِهِ

[٢] قال محمد بن أبي حاتم البخاري: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: حَجَجْتُ، وَرَجَعْتُ أَخِي بَأْمِي، وَتَخَلَّفْتُ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ فَلَمَّا طَعَنْتُ فِي ثَمَانِ عَشْرَةَ، جَعَلْتُ أَصْنَفُ قَضَايَا الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَقَاوِيلَهُمْ.

[٣] وَصَنَّفْتُ كِتَابَ «التَّارِيخِ» إِذْ ذَاكَ عِنْدَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي اللَّيَالِي الْمُقَمَّرَةِ. وَقُلْتُ اسْمُ فِي التَّارِيخِ إِلَّا وَلَهُ قِصَّةٌ، إِلَّا أَنِّي كَرِهْتُ تَطْوِيلَ الْكِتَابِ.

[٤] وَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى الْفُقَهَاءِ، بِمَرَوْ وَأَنَا صَبِيٌّ، فَإِذَا جِئْتُ أُسْتَحْيَ أَنْ أُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي مُؤَدَّبٌ مِنْ أَهْلِهَا: كَمْ كَتَبْتَ الْيَوْمَ؟ فَقُلْتُ: اثْنَيْنِ وَأَرَدْتُ بِذَلِكَ حَدِيثَيْنِ، فَضَحِكُ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ. فَقَالَ شَيْخٌ مِنْهُمْ: لَا تَضْحَكُوا فَلَعَلَّهُ يَضْحَكُ مِنْكُمْ يَوْمًا!!

[٥] قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: مَا وَضَعْتُ فِي كِتَابِي «الصَّحِيحِ» حَدِيثًا إِلَّا اغْتَسَلْتُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ.

[٦] إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَعْقِلٍ، سَمِعْتُ الْبَخَارِيَّ يَقُولُ: مَا أَدْخَلْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ إِلَّا مَا صَحَّ، وَتَرَكْتُ مِنَ الصَّحَاحِ كِي لَا يَطُولَ الْكِتَابُ.

- [١] محمد بن يوسف البخاري: قال: كنت مع محمد بن إسماعيل بمنزله ذات ليلة، فأحصيت عليه أنه قام وأسرج يستذكر أشياء يُعلّقها في ليلة ثمان عشرة مرة.
- [٢] وقال محمد: سمعت النّجم بن الفضيل يقول: رأيت النبي ﷺ في النوم، كأنه يمشي، ومحمد بن إسماعيل يمشي خلفه فكلما رفع النبي ﷺ قدمه، وضع محمد ابن إسماعيل قدمه في المكان الذي رفع النبي ﷺ قدمه.
- [٣] وقال: سمعت إبراهيم الخوّاص، مُستملي صدقة، يقول رأيت أبا زُرعة كالصبي جالساً بين يدي محمد بن إسماعيل، يسأله عن علل الحديث.

ذَكَرَ حِفْظَهُ وَسَعَةَ عِلْمِهِ وَذَكَائِهِ

- [٤] وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أبو عبدالله البخاري يَخْتَلِفُ معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يَكْتُبُ، حتى أتى على ذلك أيام، فكُنَّا نقولُ له: إنك تَخْتَلِفُ معنا ولا تكتب، فما تصنع؟ فقال لنا يوماً بعد ستة عشر يوماً: إنكما قد أكثرتما عليّ وألحّتما، فاعرضا عليّ ما كُتِبَتما. فأخرجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلّها عن ظهر القلب حتى جعلنا نُحَكِّمُ كُتُبَنا من حفظه. ثم قال: أترون أنّي اختلفُ هَدرًا وأُضَيِّعُ أيامي؟! فعرفنا أنّه لا يتقدّمه أحد.

- [٥] قال: وسمعتُهما يقولان: كان أهل المعرفة من البصريين يَعِدُونَ خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه، ويُجلّسوه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف، أكثرهم ممن يَكْتُبُ عنه، وكان شاباً لم يَخْرُجْ وجهه.

- [٦] وقال أبو أحمد عبدالله بن عدي الحافظ: سمعت عدة مشايخ يحكون أنّ محمد ابن إسماعيل البخاري قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مئة حديث، فقلّبوا مُتُونَهَا وأسانيدها، وجعلوا مُتَنَ هذا لإِسْنَادِ هذا، وإِسْنَادِ هذا لِمَتْنِ هذا، ودفعوا إلى كُلِّ واحدٍ عشرة أحاديث لِيَلْقَوْهَا على البخاري في المجلس، فاجتمع الناس، وانتدب أحدهم فسأل البخاري عن حديث من عَشَرَتِهِ،

فقال: لا أعرفه. وسأله عن آخر فقال: لا أعرفه. وكذلك حتى فرغ من عشرته. فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: الرجل فهم. ومن كان لا يدري قضى على البخاري بالعجز، ثم انتدب آخر ففعل كما فعل الأول، والبخاري يقول: لا أعرفه. ثم الثالث وإلى تمام العشرة أنفس، وهو لا يزيدهم على: لا أعرفه فلما علم أنهم قد فرغوا، التفت إلى الأول منهم، فقال: أما حديثك الأول فكذا، والثاني كذا، والثالث كذا إلى العشرة، فرد كل متني إلى إسناده. وفعل بالآخرين مثل ذلك، فأقر له الناس بالحفظ، فكان ابن صاعد إذا ذكره يقول: الكبش النطاح.

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: وسمعتُه يقول: ما قدمت على أحدٍ إلا كان انتفاعه بي أكثر من انتفاعي به.

وقال الفريزي: سمعتُ أبا عبد الله يقول: ما استصغرتُ نفسي عند أحدٍ إلا عند علي بن المديني.

[١] وقال محمد بن أبي حاتم: وسمعتُه يقول: ما كتبتُ حكاية قط، كنتُ أتَحفظُها.

[٢] محمد ابن خميره، سمعتُ محمد بن إسماعيل يقول: أحفظُ مئة ألفِ حديث صحيح، وأحفظُ مئتي ألفِ حديث غير صحيح.

ذِكْرُ ثَنَاءِ الْأَثَمَةِ عَلَيْهِ

قال أبو جعفر: سمعتُ يحيى بن جعفر يقول: لو قدرتُ أن أزيد في عُمرِ محمد ابن إسماعيل من عمري لفعلتُ، فإن موتي يكون موتَ رجلٍ واحد وموته ذهابُ العلم.

وقال محمد: حدثني محمد بن إسماعيل، قال: كنتُ إذا دخلتُ على سليمان ابن حرب يقول: بَيْنَ لَنَا غَلَطٌ شُعْبَةً.

قال وسمعتُه يقول: اجتمع أصحاب الحديث، فسألوني أن أكلم إسماعيل بن أبي أويس ليزيدهم في القراءة، ففعلتُ، فدعا إسماعيل الجارية، وأمرها أن تخرج

صرةً دنانير، وقال: يا أبا عبدالله، فرقها عليهم. قلت: إنما أرادوا الحديث. قال: قد أجبْتُكَ إلى ما طلبتَ من الزيادة، غير أنني أُحِبُّ أن يُضَمَّ هذا إلى ذاك ليظهر أثرُكَ فيهم.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعتُ حاشدَ بن عبدالله يقول: قال لي أبو مُصعب الزهري: محمد بن إسماعيل أفقهُ عندنا وأبصرُ بالحديث من أحمد بن حنبل. فقيل له: جاوزتَ الحدَّ. فقال للرجل: لو أدركتَ مالِكاً ونظرتَ إلى وجهه ووجهِ محمد ابن إسماعيل، لقلت: كلاهما واحدٌ في الفقه والحديث.

قال: وسمعتُ حاشد بن إسماعيل يقول: سمعتُ إسحاق بن راهويه يقول: اكتبوا عن هذا الشاب - يعني: البخاري - فلو كان في زمن الحسن لاحتاج إليه الناسُ لمعرفة الحديث وفقهه.

عبدالله بن أحمد بن حنبل، سمعتُ أبي يقول: انتهى الحفظُ إلى أربعةٍ من أهل خراسان: أبو زُرْعَةَ الرَّازِي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وعبدالله بن عبدالرحمن السمرقندي، والحسن بن شجاع البلخي.

قال ابن الأشعث: فحكيتُ هذا لمحمد بن عَقِيل البلخي، فأطرى ذكر ابن شجاع، فقلتُ له: لِمَ لَمْ يَشْتَهَرْ؟ قال: لأنه لم يُمَتَّعْ بالعمر.

وقال محمد: حدثني جعفر بن محمد الفَرُّيرِي قال: خرج رجلٌ من أصحابِ عبدالله بن مُنِير، رحمه الله إلى بخارى في حاجةٍ له. فلما رجع قال له ابنُ منير: لقيتُ أبا عبدالله؟ قال: لا. فَطَرَدَهُ، وقال: ما فيكَ بعد هذا خير، إذ قَدِمْتَ بخارى ولم تَصِرْ إلى أبي عبدالله محمد بن إسماعيل.

عن قُتَيْبَةَ بن سعيد أنه قال: رُحِلَ إليَّ من شرقِ الأرضِ وغربها، فما رَحِلَ إليَّ مثلُ محمد بن إسماعيل، فقال مهيار: صدق. أنا رأيته مع يحيى بن مَعِين، وهما يختلفان جميعاً إلى محمد بن إسماعيل، فرأيتُ يحيى ينقادُ له في المعرفة.

وعن قُتَيْبَةَ قال: لو كانَ محمدٌ في الصحابةِ لكان آيةً.

وقال محمد بن يوسف الهَمْدَانِي: كنا عند قُتَيْبَةَ بن سعيد، فجاء رجلٌ شَعْرَانِي

يقال له : أبو يعقوب ، فسأله عن محمد بن إسماعيل ، فنكس رأسه ، ثم رفعه إلى السماء ، فقال : يا هؤلاء ، نظرتُ في الحديث ونظرتُ في الرأي ، وجالستُ الفقهاء والزهاد والعُباد ، ما رأيتُ منذ عقلتُ مثلَ محمد بن إسماعيل .

قال الحاكمُ : سمعتُ محمد بن يعقوب الحافظ يقول : سمعتُ أبي يقول : رأيتُ مُسلم بن الحجاج بين يدي البخاري يسأله سؤال الصبي .

[١] ثم قال : سمعتُ الحسن بن أحمد الشيباني المُعَدِّل ، سمعتُ أحمد بن حمدون يقول : رأيتُ محمد بن إسماعيل في جنازة سعيد بن مروان ومحمد بن يحيى الذهلي يسأله عن الأسامي والكنى والعِلل ، ومحمد بن إسماعيل يمرُّ فيه مثل السهم ، كأنه يقرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .

[٢] وقال محمد بن حمدون بن رُسْتَم : سمعتُ مسلم بن الحجاج ، وجاء إلى البخاري فقال : دَعْنِي أَقْبَلُ رجليك يا أستاذ الأُستاذين ، وسيد المُحدثين ، وطبيب الحديث في عِلِّهِ .

وقال أبو علي صالح بن محمد جَزَرَة : كان محمد بن إسماعيل يجلسُ ببغداد ، وكنتُ أستملي له ، ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفاً .

[٣] خالد بن عبد الله المَرَوَزي ، سمعتُ أبا سهلٍ محمد بن أحمد المَرَوَزي سمعتُ أبا زيد المروزي الفقيه يقول : كنتُ نائماً بين الرُّكن والمقام فرأيتُ النبي ﷺ ، فقال لي : يا أبا زيد ، إلى متى تدرُس كتابَ الشافعي ، ولا تدرُس كتابي ؟ فقلتُ : يا رسول الله ، وما كتابك ؟ قال : « جامع » محمد بن إسماعيل .

ذَكَرُ عِبَادَتِهِ وَفَضْلِهِ وَوَرَعِهِ وَصَلَاحِهِ

[٤] مُسَبِّح بن سعيد قال : كان محمد بن إسماعيل يَخْتُم في رمضان في النهار كُلَّ يومٍ خَتْمَةً ويقومُ بعد التراويح كل ثلاث ليالٍ بِخَتْمَةٍ .

[٥] وقال بُكر بن منير : سمعتُ أبا عبد الله البخاري يقول : أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبتُ أحداً .

قلت: صدق رحمه الله، ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس، وانصافه فيمن يضعفه، فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر، ونحو هذا، وقل أن يقول: فلان كذاب، أو كان يضع الحديث، حتى إنه قال: إذا قلت فلان في حديثه نظر، فهو متهم واه، وهذا معنى قوله: لا يحاسبني الله أني اغتبت أحداً. وهذا هو والله غاية الورع.

[١] قال محمد بن أبي حاتم الوراق: وسمعت يقول: ما اغتبت أحداً قط منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها. قال: وكان أبو عبد الله يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم. فقلت: أراك تحمل على نفسك، ولم توقظني. قال أنت شاب، ولا أحب أن أفسد عليك نومك.

[٢] وقال محمد بن أبي حاتم: دعي محمد بن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه، فلما صلى بالقوم الظهر، قام يتطوّع، فلما فرغ من صلاته، رفع ذيل قميصه، فقال لبعض من معه: انظر هل ترى تحت قميصي شيئاً؟ فإذا زبور قد أبره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعاً، وقد تورم من ذلك جسده فقال له بعض القوم: كيف لم تخرج من الصلاة أول ما أبرك؟ قال: كنت في سورة، فأحببت أن أتمها!! [٣] عن الفريزي، قال: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقال لي: أين تريد؟ فقلت: أريد محمد بن إسماعيل البخاري، فقال: أقرأه مني السلام.

[٤] وقال محمد بن أبي حاتم: وسمعت يقول لأبي معشر الضرير: اجعلني في حل يا أبا معشر، فقال: من أي شيء؟ قال: رويت يوماً حديثاً فنظرت إليك، وقد أعجبت به، وأنت تحرك رأسك ويدك، فتبسمت من ذلك. قال: أنت في حل، رحمك الله يا أبا عبد الله.

[٥] قال: وكان يركب إلى الرمي كثيراً، فما أعلمني رأيته في طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين، فكان يصيب الهدف في كل ذلك، وكان لا يسبق.

[٦] قال محمد بن أبي حاتم: وكان أبو عبد الله ربما يأتي عليه النهار فلا يأكل رفاقة، إنما كان يأكل أحياناً لوزتين أو ثلاثاً.

[١] وقال محمدُ الورَّاق: دخل أبو عبد الله بِفِرَّيرِ الحمام، وكنت أنا في مَسْلَحِ الحمام، أتعاهدُ عليه ثيابه، فلما خرج ناولته ثيابه، فلبسها ثم ناولته الخُفَّ، فقال: مَسِسْتُ شيئاً فيه شعرُ النبي ﷺ فقلتُ: في أيِّ موضعٍ هو من الخف؟ فلم يُخبرني، فتوهَّمت أنه في ساقه بين الظَّهارة والبطانة.

ذِكْرُ قِصَّتِهِ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الذُّهْلِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ

[٢] قال الحاكم أبو عبد الله: سمعتُ محمد بن حامد البَرَّازَ قال: سمعتُ الحسن ابن محمد بن جابر يقول: سمعتُ محمد بن يحيى قال لنا: لَمَّا ورد محمد بن إسماعيل البخاريُّ نيسابور: اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح فاسمعوا منه، فذهب الناسُ إليه، وأقبلوا على السماعِ منه، حتى ظهر الخَلَلُ في مجلسِ محمد بن يحيى، فَحَسَدُهُ بعد ذلك وتكلَّم فيه.

[٣] وقال الحاكم: حدثنا طاهر بنُ محمد الورَّاق، سمعتُ محمد بن شاذل يقول: لما وقع بين محمد بن يحيى والبخاري، دخلتُ على البخاري فقلتُ: يا أبا عبد الله أيشِ الحيلةُ لنا فيما بينك وبين محمد بن يحيى كُلُّ من يَخْتَلِفُ إليك يُطْرَدُ؟ فقال: كم يَعْتَرِي محمد بن يحيى الحسدُ في العلم. والعلمُ رِزْقُ الله يُعْطِيهِ من يشاء. فقلتُ: هذه المسألة التي تُحْكِي عنك؟ قال: يا بني، هذه مسألةٌ مشؤومةٌ، رأيتُ أحمد بن حنبل وما ناله في هذه المسألة، وجعلتُ على نفسي أن لا أتكلَّم فيها.

[٤] قلتُ: المسألة هي أن اللفظَ مخلوقٌ، سُئِلَ عنها البخاري، فوقفَ فيها، فلما وقف واحتجَّ بأن أفعالنا مخلوقةٌ، واستدلَّ لذلك، فهمَ منه الذهليُّ أنه يُوجِّه مسألةَ اللفظ، فتكلَّم فيه، وأخذهُ بلازمِ قوله هو وغيره^(١).

(١) ولازم المذهب ليس بلازم كما هو مذهب جمهور المحققين من العلماء، ونقل ابن ناصر الدين في مقدمة كتابه «الرد الوافر» ٢٠ عن الإمام الذهبي - ووصفه بإمام التعديل والجرح، والمعتمد عليه في المدح والقدح - كلمة جاء فيها: ونعوذ بالله من الهوى والمراءى في الدين، وأن نكفر مسلماً موحداً بلازمِ قوله، وهو يفر من ذلك اللازم، وينزه ويعظم الرب.

[١] قال الحاكم: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن الأخرم سمعتُ ابنَ علي المَخَلدي، سمعتُ محمد بن يحيى يقول: قد أظهر هذا البخاري قولَ اللفظية واللفظية عندي شرٌّ من الجهمية.

قال محمد بن نصر المروزي: سمعته يقول: من زعم أنني قلتُ: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب، فإني لم أقله، فقلتُ له: يا أبا عبد الله، قد خاض النَّاسُ في هذا وأكثروا فيه، فقال: ليس إلا ما أقول.

[٢] وقال سمعت محمد بن صالح بن هانيء: سمعت أحمد بن سلمة يقول: دخلتُ على البخاري، فقلت: يا أبا عبد الله، هذا رجلٌ مقبولٌ بخراسان خصوصاً في هذه المدينة، وقد لَجَّ في هذا الحديث حتى لا يقدر أحدٌ منا أن يُكلمه فيه، فما ترى؟ فقبضَ على لحيته، ثم قال: ﴿وَأَفْوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر ٤٤]. اللهم إنك تعلمُ أنني لم أَرِدِ المقامَ بنيسابور أشراً ولا بطراً، ولا طلباً للرئاسة، وإنما أبَت عليَّ نفسي في الرجوع إلى وطني لغلبة المخالفين وقد قصدني هذا الرجلُ حسداً لما آتاني الله لا غير، ثم قال لي: يا أحمدُ إني خارجٌ غداً لتخلصوا من حديثه لأجلِي.

قال: فأخبرت جماعة أصحابنا، فوالله ما شيعه غيري. كنتُ معه حين خرج من البلد، وأقام على باب البلد ثلاثة أيامٍ لإصلاح أمره.

[٣] قال: وسمعتُ محمد بن يعقوب الحافظ يقول: لما استوطن البخاري نيسابور أكثر مسلم بن الحجاج الاختلاف إليه، فلما وقع بين الذُهليِّ والبُخاريِّ ما وقع في مسألة اللفظ، ونادى عليه، ومنع الناس عنه، انقطع عنه أكثرُ الناس غيرَ مسلم. فقال الذُهليُّ يوماً: ألا من قال باللفظ فلا يحِلُّ له أن يحضر مجلسنا. فأخذ مسلمُ رداءً فوق عِمَامَتِهِ وقام على رؤوس النَّاسِ وبعث إلى الذُهليِّ ما كتب عنه على ظهر جَمال. وكان مسلمٌ يُظهر القولَ باللفظ ولا يكتُمه.

[٤] وقال محمد بن أبي حاتم: أتى رجلٌ أبا عبد الله البخاري، فقال: يا أبا عبد الله، إن فلاناً يكفرك! فقال: قال النبي ﷺ «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ

أَحَدُهُمَا».

[١] وكان كثيرٌ من أصحابه يقولون له : إِنَّ بعضَ الناسِ يَقَعُ فيكَ ، فيقولُ : ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء ٧٦] ويتلو أيضاً ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر : ٤٣].

[٢] فقال له عبدُ المجيد بنُ إبراهيم : كيف لا تدعو الله على هؤلاء الذين يظلمونك ويتناولونك ويبهتُونك؟ فقال : قال النبي ﷺ «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ» .
[٣] قال محمد بن أبي حاتم : وسمعتُه يقولُ : لم يكن يتعرَّضُ لنا قطُّ أحدٌ من أَفناءِ الناسِ إلا رُمي بقارِعةٍ ، ولم يَسَلَمْ ، وكلما حَدَّثَ الجُهَّالُ أنفُسَهُمْ أن يَمَكُرُوا بنا رأيتُ من ليلتي في المنام نارا تُوقَدُ ثم تُطْفَأُ من غير أن يُنْتَفَعَ بها ، فأتأَوَّلُ قوله تعالى : ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة ٦٤].

[٤] وكان هَجِيرَاهُ^(١) من الليل إذا أَتَيْتِه في آخِرِ مَقَدَمِهِ مِنَ الْعِرَاقِ : ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّن بَعْدِهِ﴾ [آل عمران ١٦٠] الآية .

[٥] وقال عبدُ الرحمن بن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الرُّيِّ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِثْنِينَ ، وَسَمِعَ مِنْهُ أَبِي وَأَبُو زُرْعَةَ وَتَرَكَأ حَدِيثَهُ عِنْدَمَا كَتَبَ إِلَيْهِمَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى أَنَّهُ أَظْهَرَ عِنْدَهُمْ بَنِي سَابُورَ أَنَّ لَفْظَهُ بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ .
[٦] قلت : إن تركا حديثه ، أو لم يتركاه ، البخاري ثقة مأمون محتج به في العالم .

ذِكْرُ مُحْتَتِّهِ مَعَ أَمِيرِ بُخَارَى

[٧] وقال الحاكم : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْعَبَّاسِ الضَّبِّيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَ بْنَ أَبِي عَمْرٍو الْحَافِظَ الْبُخَارِيَّ يَقُولُ : كَانَ سَبَبُ مُنَافَرَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ خَالِدَ بْنَ أَحْمَدَ الدُّهْلِيَّ الْأَمِيرَ خَلِيفَةَ الطَّاهِرِيَّةِ بِبُخَارَى سَأَلَ أَنْ يَحْضَرَ مَنْزِلَهُ ، فَيَقْرَأَ «الْجَامِعَ» وَ«التَّارِيخَ» عَلَى أَوْلَادِهِ ، فَامْتَنَعَ عَنِ الْحَضُورِ عِنْدَهُ ، فَرَأَسَلَهُ بِأَنْ يَعْقِدَ مَجْلِسًا لِأَوْلَادِهِ ،
(١) أي : كلامه ودأبه وشأنه . وفي حديث عمر رضي الله عنه : ماله هَجِيرَى غَيْرَهَا ، أي : الدَّأْبُ وَالْعَادَةُ وَالذِّدْنُ .

لا يحضره غيرهم، فامتنع، وقال: لا أخصُّ أحداً. فاستعان الأمير بحريث بن أبي الوراق وغيره حتى تكلموا في مذهبه. ونفاه عن البلد، فدعا عليهم، فلم يأت إلا شهر حتى ورد أمر الطاهرية، بأن يُنادى على خالد في البلد، فتودي عليه على أتان. وأما حريث، فإنه ابتلي بأهله، فرأى فيها ما يجلُّ عن الوصف. وأما فلان، فابتلي بأولاده، وأراه الله فيهم البلايا.

وقال الحاكم: حدثنا خلف بن محمد، حدثنا سهل بن شاذويه قال كان محمد ابن إسماعيل يسكن سكة الدهقان، وكان جماعة يختلفون إليه يُظهرون شعار أهل الحديث من أفراد الإقامة، ورفع الأيدي في الصلاة وغير ذلك. فقال حريث بن أبي الوراق وغيره: هذا رجل مُشغب، وهو يُفسد علينا هذه المدينة، وقد أخرجه محمد ابن يحيى من نيسابور، وهو إمام أهل الحديث، فاحتجوا عليه بابن يحيى، واستعانوا عليه بالسلطان في نفيه من البلد، فأخرج، وكان محمد بن إسماعيل ورعاً، يتجنب السلطان ولا يدخل عليهم.

[١] قلت: خالد بن أحمد الأمير، قال الحاكم: له ببخارى آثارٌ محمودة كلها، إلا ما وجدته على البخاري، فإنها زلة، وسبب لزوال ملكه.

ذِكْرُ وفاته

[٢] قال ابن عدي: سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد ابن إسماعيل إلى خرَتَنك - قرية - على فرسخين من سمرقند وكان له بها أقرباء فنزل عندهم، فسمعت ليلة يدعو، وقد فرغ من صلاة الليل: اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك فما تم الشهر حتى مات. وقبره بخرَتَنك.

[٣] وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا منصور غالب بن جبريل وهو الذي نزل عليه أبو عبد الله يقول: إنه أقام عندنا أياماً، فمرض واشتد به المرض حتى وجّه رسولاً إلى مدينة سمرقند في إخراج محمد، فلما وافى تهيأ للركوب، فلبس خفيه، وتعمّم، فلما مشى قدر عشرين خطوةً أو نحوها، وأنا آخذ بعضده، ورجل آخر معي

يقوده إلى الدابة ليركبها، فقال رحمه الله : أرسلوني ، فقد ضعفت ، فدعا بدعوات ، ثم اضطجع فقضى رحمه الله . فسأل منه العرق شيء لا يوصف . فما سكن منه العرق إلى أن أدرجناه في ثيابه . وكان فيما قال لنا ، وأوصى إلينا أن كفنوني في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة ففعلنا ذلك ، فلما دفناه فاح من تراب قبره رائحة غالية أطيب من المسك ، فدام ذلك أياماً ثم علت سَوَارِي بَيْض في السماء مستطيلة بحذاء قبره ، فجعل الناس يختلفون ويتعجبون . وأما التراب فإنهم كانوا يرفعون عن القبر ، حتى ظهر القبر ولم تكن نقدر على حفظ القبر بالحراس . وغلبنا على أنفسنا ، فنصبنا على القبر خشباً مشبكاً لم يكن أحد يقدر على الوصول إلى القبر فكانوا يرفعون ما حول القبر من التراب ، ولم يكونوا يخلصون إلى القبر . . وأما ريح الطيب فإنه تداوم أياماً كثيرة ، حتى تحدث أهل البلدة وتعجبوا من ذلك ، وظهر عند مخالفيه أمره بعد وفاته ، وخرج بعض مخالفيه إلى قبره وأظهروا التوبة والندامة مما كانوا شرعوا فيه من مذموم المذهب .

[١] وقال محمد بن محمد بن مكِّي الجرجاني : سمعتُ عبد الواحد بن آدم الطواويسي يقول : رأيتُ النبي ﷺ في النوم ، ومعه جماعة من أصحابه ، وهو واقفٌ في موضعٍ ، فسلمتُ عليه ، فردَّ عليَّ السلام فقلتُ : ما وقوفُك يا رسول الله ؟ قال أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري فلما كان بعد أيامٍ بلغني موته ، فنظرتُ فإذا قد مات في الساعة التي رأيتُ النبي ﷺ فيها .

[٢] وقال محمد بن أبي حاتم : سمعتُ أبا ذر يقول : رأيتُ محمد بن حاتم الخَلْقَانِي في المنام ، وكان من أصحاب محمد بن حفص ، فسألته - وأنا أعرف أنه ميت - عن شيخي رحمه الله ، هل رأيته ؟ قال : نعم رأيته وهو ذاك ، يُشير إلى ناحية سطحٍ من سطوح المنزل . ثم سألتُه عن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ، فقال : رأيته ، وأشار إلى السماء إشارةً كاد أن يسقط منها لعلو ما يُشير .

[٣] وقال أبو علي الغساني : أخبرنا أبو الفتح نصر بن الحسن السكتي السمرقندي ، قال : قَحَطَ المطرُ عندنا بِسَمَرْقَنْد في بعض الأعوام ، فاستسقى الناسُ مراراً ، فلم

يُسْقَوَا، فَاتَى رَجُلٌ صَالِحٌ مَعْرُوفٌ بِالصَّلَاحِ إِلَى قَاضِي سَمَرْقَنْدَ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي رَأَيْتُ رَأْيًا أَعْرِضُهُ عَلَيْكَ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: أَرَى أَنْ تَخْرُجَ وَتُخْرِجَ النَّاسَ مَعَكَ إِلَى قَبْرِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ، وَقَبْرِهِ بِخَرْتَنْكَ وَنَسْتَسْقِي عَنْدهُ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَسْقِينَا. قَالَ: فَقَالَ الْقَاضِي: نَعَمْ مَا رَأَيْتُ. فَخَرَجَ الْقَاضِي وَالنَّاسُ مَعَهُ، وَاسْتَسْقَى الْقَاضِي بِالنَّاسِ، وَبَكَى النَّاسُ عِنْدَ الْقَبْرِ، وَتَشَفَّعُوا بِصَاحِبِهِ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى السَّمَاءَ بِمَاءٍ عَظِيمٍ غَزِيرٍ، أَقَامَ النَّاسُ مِنْ أَجْلِهِ بِخَرْتَنْكَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ أَوْ نَحْوِهَا، لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ الْوُصُولَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ مِنْ كَثَرَةِ الْمَطَرِ وَغَزَارَتِهِ، وَبَيْنَ خَرْتَنْكَ وَسَمَرْقَنْدَ نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ.

٥٢٩ البِيروْتِيُّ (د، س) (١)

[١] الْإِمَامُ الْحُجَّةُ الْمُقْرِيءُ الْحَافِظُ، أَبُو الْفَضْلِ، الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ مَزِيدَ، الْعُذْرِيُّ الْبِيروْتِيُّ.

[٢] وَبِيروْتُ مَدِينَةٌ عَلَى الْبَحْرِ مِنْ سَاحِلِ دِمَشْقَ، مَا زَالَتْ بِلَادَ إِسْلَامٍ مِنْذُ الْفَتْوحِ إِلَى أَنْ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْفِرَنْجُ، فَدَامَتْ دَارًا لَهُمْ إِلَى أَنْ افْتَتَحَهَا السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ خَلِيلٌ فِي سَنَةِ تِسْعِينَ وَسِتْ مِائَةٍ عِنْدَ أَخْذِ عَكَّا، وَبِهَا تُوفِي الْأَوْزَاعِيُّ، وَتَلْمِذُهُ الْوَلِيدُ بْنُ مَزِيدَ، وَابْنُهُ هَذَا.

وُلِدَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِينَ وَمِائَةٍ، فَكَانَ مِمَّنْ عُمِّرَ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ عَامٍ بَيِّقِينَ.

وَكَانَ مُقَرَّنًا حَاقِقًا بِحَرْفِ ابْنِ عَامِرٍ، تَلَا عَلَى أَبِيهِ.

وَقَالَ النَّسَائِيُّ: لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ. وَكَانَ صَاحِبَ لَيْلٍ.

مَاتَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَكَانَ مُمْتَعًا بِقَوَاهِ.

[٣] قَالَ خَيْثَمَةُ بْنُ سَلِيمَانَ: مَازَحَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ يَوْمًا جَارِيَةً لَهُ فَدَفَعَتْهُ فَوْقَ،

فَانْكَسَرَتْ رِجْلُهُ، فَلَمْ يُحَدِّثْنَا عَشْرِينَ يَوْمًا. فَكُنَّا نَلْقَى الْجَارِيَةَ، وَنَقُولُ: حَسْبُكَ اللَّهُ

كَمَا كَسَرَتْ رِجْلَ الشَّيْخِ، وَحَبَسْتِنَا عَنِ الْحَدِيثِ.

(١) انظر السير: ٤٧١/١٢-٤٧٥.

٥٣٠ إسحاق بن بهلول^(١)

[١] ابن حسان، الحافظ الثقة العلامة، أبو يعقوب، التنوخي الأنباري. مولده بالأنبار في سنة أربع وستين ومئة.

قال أبو بكر الخطيب: صنّف كتاباً في القراءات، وصنّف «المُسند» وصنّف كتاباً في الفقه. وله مذاهب اختارها، يعني: أنه يجتهد، ولا يُقلّد أحداً، إلى أن قال: وكان ثقة.

[٢] قال ولده بهلول بن إسحاق: استدعى المتوكل أبي إلى سُرٍّ مَنْ رأى حتى سمع منه، ثم أمر، فنُصِبَ له منبرٌ، وحُدِّث في الجامع، وأقطعه إقطاعاً مغلّه في العام اثنا عشر ألفاً، ووصله بخمسة آلاف في السنة فكان يأخذها، وأقام إلى أن قديم المستعين بغداد، فخاف أبي من الأتراك أن يكبسوا الأنبار، فانهدر إلى بغداد ولم يحمل معه كتبه، فطالبه محمد بن عبدالله بن طاهر أن يُحدِّث، فحدّث ببغداد من حفظه بخمسين ألف حديث، لم يُخطيء في شيء منها.

[٣] قلت: كذا فليكن الحفظ وإلا فلا، قنعنا اليوم بالاسم بلا جسم فلورأى الناس في وقتنا من يروي ألف حديث بأسانيدها حفظاً لانبهروا له. مات بالأنبار سنة اثنتين وخمسين ومئتين، وقد قارب التسعين.

٥٣١ المُرَني^(٢)

[٤] الإمام العلامة، فقيه المِلّة، علّم الزهاد، أبو إبراهيم، إسماعيل بن يحيى ابن إسماعيل المُرَني المصري، تلميذ الشافعي.

مولده في سنة موت الليث بن سعد سنة خمس وسبعين ومئة.

وهو قليل الرواية، ولكنه كان رأساً في الفقه.

[٥] وامتألت البلاد بـ «مختصره» في الفقه، شَرَحَهُ عدّة من الكبار بحيث يُقال: كانت

(١) انظر السير: ٤٨٩/١٢ - ٤٩١.

(٢) انظر السير: ٤٩٢/١٢ - ٤٩٧.

البكر يكون في جهازها نسخة بـ «مختصر» المزني .

قال الشافعي : الْمُزْنِيُّ ناصِرٌ مَذْهَبِي .

[١] قلت : بلغنا أَنَّ الْمُزْنِيَّ كان إذا فَرَغَ من تبييض مسألة ، وأودعها مختصره ، صلى الله ركعتين .

[٢] وروى أَنَّ القاضي بَكَارَ بنَ قَتِيبَةَ قَدِمَ على قضاء مصر ، وكان حنفياً فاجتمع بِالْمُزْنِيِّ مَرَّةً ، فسأله رجلٌ من أصحاب بكار ، فقال : قد جاء في الأحاديث تحريمُ النبيذ ، وجاء تحليله ، فلم قَدَّمْتُمُ التحريمَ ؟ فقال الْمُزْنِيُّ : لم يذهب أحدٌ إلى تحريمِ النبيذ في الجاهلية ثم حُلِّلَ لنا ، وَوَقَعَ الاتفاقُ على أَنه كان حلالاً ، فَحَرُمَ ، فهذا يَعْضُدُ أَحاديثَ التحريم ، فاستحسن بَكَارُ ذلك منه .

قلت : وأيضاً فأحاديثُ التحريم كثيرةٌ صِحَّاحٌ ، وليس كذلك أحاديثُ الإباحة . محمدُ بنُ عليٍّ الكَتَّاني ، سمعت عمرو بن عُثمان المكي ، يقول : ما رأيتُ أحداً من المُتَعَبِّدين في كثرةٍ من لَقِيتُ منهم أَشدَّ اجتهداً من الْمُزْنِيِّ ولا أَدْوَمَ على العبادة منه . وما رأيتُ أحداً أَشدَّ تعظيماً للعلم وأهله منه . وكان من أَشدَّ الناسِ تضييقاً [٣] وكان من أَشدَّ الناسِ تضييقاً على نفسه في الورع ، وأوسعِهِ في ذلك على الناس ، وكان يقول : أَنَا خُلِقْتُ من أخلاقِ الشافعي .

قلت : وبلغنا أَنَّ الْمُزْنِيَّ رحمه الله كان مُجَابِبَ الدعوة ، ذا زُهدٍ وتَأَلٍّ ، أَخَذَ عنه خُلُقٌ من العلماء وبه انتشر مذهبُ الإمامِ الشافعي في الآفاق .

[٤] يقال : كان إذا فاتته صلاةُ الجماعة صَلَّى تلك الصلاةَ خمساً وعشرين مرة .

[٥] وكان يُغَسِّلُ الموتى تَعْبُداً واحتساباً . وهو القائل : تَعَانَيْتُ غَسْلَ الموتى ليرِقَ قلبي ، فصار لي عادةً ، وهو الذي غَسَّلَ الشافعي رحمه الله .

[٦] وقال أبو سعيد بن يونس : ثقة ، كان يلزمُ الرِّباط .

توفي سنة أربعٍ وستين ومئتين ، وله تسعٌ وثمانون سنة .

٥٣٢ أبو حفص النيسابوري^(١)

[١] الإمام القدوة الرباني، شيخ خراسان، أبو حفص، عمرو بن سلم النيسابوري الزاهد.

[٢] قال الأستاذ أبو حفص: المعاصي بريد الكفر، كما أن الحمى بريد الموت.

[٣] أبو عمرو بن حمدان قال: كان أبو حفص حداداً، فكان غلامه ينفخ عليه الكير مرة، فأدخل أبو حفص يده، فأخرج الحديد من النار، فغشي على الغلام، فترك أبو حفص الحانوت وأقبل على أمره.

[٤] وقيل: إن أبا حفص دخل على مريض، فقال المريض: آه، فقال أبو حفص: ممن؟ فسكت. فقال أبو حفص: مع من؟ قال: فكيف أقول؟ قال: لا يكن أئنيك شكوى، ولا سكوئك تجلداً، ولكن بين ذلك.

[٥] وعن أبي حفص قال: حرست قلبي عشرين سنة، ثم حرسني عشرين سنة ثم وردت علي وعليه حالة صرنا محروسين جميعاً.

[٦] وبلغني أنه أنفد في يوم واحد بضعة عشر ألف دينار يفتك بها أسرى، فلما أمسى لم يكن له عشاء.

[٧] قال المرتعش: دخلت مع أبي حفص على مريض، فقال: ما تشتهي؟ قال: أن أبرأ. فقال لأصحابه: احملوا عنه. فقام معنا. وأصبحنا نعاد في الفراش.

[٨] قال السلمى: أبو حفص كان حداداً، وهو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور.

[٩] قال أبو علي الثقفى: كان أبو حفص يقول: من لم يزن أحواله كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره، فلا تعدّه.

[١٠] وعن أبي حفص: ما استحق اسم السخاء من ذكر العطاء، ولا لمحبه بقلبه.

[١١] وعنه: الكرم طرح الدنيا لمن يحتاج إليها، والإقبال على الله بحاجتك إليه.

(١) انظر السير: ٥١٠/١٢-٥١٣.

[١] أحسن ما يتوسل به العبد إلى مولاه الافتقار إليه وملازمة السنة، وطلب القوت من حله.

توفي الأستاذ أبو حفص سنة أربع وستين ومئتين. رحمة الله عليه.

٥٣٣ الصفار (١)

[٢] الملك، أبو يوسف، يعقوب بن الليث، السجستاني، المستولي على خراسان.

[٣] قيل: كان هو وأخوه عمرو بن الليث يعملان في النحاس، فترهدا وجاهدا مع صالح المظوعي المحارب للخوارج.

قال ابن الأثير: غلب صالح على سجستان، ثم استنقذها منه طاهر بن عبد الله ابن طاهر، فظهر بها درهم بن حسين المظوعي، فاستولي أيضاً عليها، وجعل يعقوب بن الليث قائد عسكره، ثم رأى أصحاب درهم عجزه، فملكوا يعقوب لحسن سياسته، فأذعن لهم درهم. واشتهرت صولة يعقوب وغلبه على هراة وبوشنج، وحارب الترك، وظفر برتبيل، فقتله وقتل ثلاثة ملوك ورجع معه ألوف من الرؤوس، فهابته الملوك، وكان بوجهه ضربة سيف مخيطة.

وكان يحمل إلى المعتمد في العام خمسة آلاف ألف درهم، وقنع المعتمد بمداراته.

ثم أخذ بلخ ونيسابور، وأسر متوليها ابن طاهر في ستين نفساً من آله، وقصد جرجان، فهزم المتغلب عليها الحسن بن زيد العلوي، وغنم منه ثلاث مئة حمل مال، ثم دخل جرجان، فظلم وعسف، فجاءت زلزلة قتلت من جنده ألفين.

واستغاث جماعة جرجانيون ببغداد من يعقوب، فعزم المعتمد على حربه ونفذ كتباً إلى أعيان خراسان بدم يعقوب، وبأن يهتموا لاستئصاله فكاتب المعتمد يخضع ويراوغ، ويطلب التقليد بتوليته المشرق، ففعل المعتمد ذاك وأخوه الموفق

(١) انظر السير: ٥١٣/١٢-٥١٥.

لاشتغالهم بحرب الرُّنَج .

وأقبل يعقوبُ ليملك العراقَ، وبرز المعتمدُ، فالتقى الجمعان بدير العاقول^(١)، وكثرت القتلى، فانهزم يعقوبُ، وجرح أمراؤه، وذهبت خزائنه، وغرق منهم خلقٌ في نهرٍ.

وكان المصافُ في رجب سنة ٢٦٢ فذهب يعقوبُ إلى واسط، ثم إلى تُستَر فأخذها، وتراجع جيشه، وعظمت وطأته، وكاد أن يملك الدنيا، ثم كان موته بالقولنج، ووُصفت له حُقنة، فأبى، وتلف بعد أسبوعين. وقُلَّ أن رُئي متبسماً، مات بجُنْدِسابور في سنة خمس وستين ومئتين. أخوه صاحب خراسان:

٥٣٤ عمرو بن الليث الصَّفَّار^(٢)

[١] قيل: كان ضراباً في الصُّفْر، وقيل: بل مكاري حمير، قال به الحال إلى السلطنة.

تملك بعد أخيه، وأحسن السياسة، وعدل، وعظمت دوله، وأطاع الخليفة. وقيل: كان في خدمة زوجته ألف وسبع مئة جارية.

ثم بغى عمرو على والي سمرقند إسماعيل بن أحمد بن أسد.

وأقبل إسماعيل، فأخذ أصحاب عمرو بن الليث في الهزيمة، فركبت عساكرُ إسماعيل ظهورهم، وتوَحَّلَت بعمرو دابته، فأسر، فأتي به إسماعيل، فاعتنقه وخدمه، وقال: ما أحببتُ أن يجري هذا، ثم بالغ في احترامه، فقال: احلف لي ولا تُسلمني، فحلف له، لكن جاء رسولُ المعتضد بالخلع والتقليد لإسماعيل، ويطلب عمراً. فأدخل بغداد على بُخْتِي عليه جُبَّة ديباج، وُرنُس السُّخْطِ. ثم قال له المعتضد: هذا بيعتك يا عمرو! ثم اعتقله، فقتله القاسمُ بن عبيد الله الوزير يوم موتِ المعتضد سنة تسعٍ وثمانين ومئتين. وكان دولته نيافاً وعشرين سنة.

(١) وهو بين مدائن كسرى والنعمانية، على شاطئ دجلة. (٢) انظر السير: ٥١٦/١٢-٥١٧.

[١] حكى القشيري أن عمرو بن الليث رُئي ، فقيل : ما فعل الله بك ؟ قال : أشرفت يوماً من جبل على جيوشي ، فأعجبني كثرتهم ، فتمنيت أني كنت حضرت مع رسول الله ﷺ فنصرته وأعنته ، فشكر الله لي ، وغفر لي .

٥٣٥ المعتز بالله^(١)

[٢] لخليفة أبو عبدالله ، محمد بن المتوكل جعفر بن المعتصم .

وُلد سنة اثنتين وثلاثين ومئتين ، واستُخلف وهو ابنُ عشرين سنة أو دونها . وبويع وقت خلع المستعين ، فلما كان بعد أشهر من ولايته ، خلع أخاه المؤيد بالله إبراهيم من العهد ، فما بقي إبراهيم حتى مات ، وخاف المعتز أن يتحدث الناس أنه سمّه ، فأحضر القضاة ، حتى شاهدوه ، وما به أثر ، فالله أعلم .

[٣] وكانت دولة المعتز مستضعفة مع الأتراك ، فاتفق القواد ، وقالوا : أعطنا أرزاقنا ، ويُقبل صالح بن وصيف ، وكان المعتز يخافه ، فطلب من أمه مالاً لِيُنْفِقَه فيهم ، فَشَحَّتْ عليه ، فتجمّع الأتراك لخلعه ، واتفق معهم صالح وبابيك ، ومحمد بن بُغا ، فتسلّحوا ، وأتوا الدار ، وبعثوا إلى المعتز ليخرج إليهم . فقال : قد شربت دواءً ، وأنا ضعيفٌ فهجم جماعة ، جروهُ وضربوه ، وأقاموه في الحرِّ ، فبقي المسكين يتضوّر وهم يلطمونه ، ويقولون : اخلع نفسك ، ثم أحضروا القاضي والعُدول ، وخلعوه وأقدموا من بغداد محمد بن الوراق ، وكان المعتز قد أبعده ، فسلم المعتز إليه الخلافة ، وبايعوه ، ولُقّب المهتدي بالله .

[٤] ثم إن رؤوس الأتراك ، أخذوا المعتز بعد خمسة أيام فأدخلوه حماماً وأكربوه حتى عطش ، ومنعوه الماء حتى كاد ، ثم سقوه ماءً ثلج ، فسقط ميتاً ، رحمه الله . وذلك في سنة خمس وخمسين ومئتين . وعاش ثلاثاً وعشرين سنة .

[٥] ووُهي منصبُ الخلافة ، فلله الأمر .

(١) انظر السير : ١٢ / ٥٣٢ - ٥٣٥ .

٥٣٦ المَهْتَدِي بالله (١)

[١] أمير المؤمنين، المَهْتَدِي بالله، أَبُو إِسْحَاق، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَائِقِ هَارُونَ بْنُ الْمَعْتَصِمِ مُحَمَّدُ بْنُ الرَّشِيدِ الْعَبَّاسِي.

بُويعَ ابْنُ بَضْعٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً سَنَةً خَمْسَ وَخَمْسِينَ وَمَا قَبْلَ مَبَايَعَةِ أَحَدٍ حَتَّى أَحْضَرَ الْمَعْتَزَّ بِاللَّهِ. فَلَمَّا رَأَاهُ قَامَ لَهُ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَجِيءَ بِشُهُودٍ، فَشَهِدُوا عَلَى الْمَعْتَزِّ أَنَّهُ عَاجَزٌ عَنْ أَعْبَاءِ الْإِمَامَةِ، وَأَقْرَأَ بِذَلِكَ، وَمَدَّ يَدَهُ، فَبَايَعَ ابْنَ عَمِّهِ الْمَهْتَدِيَّ بِاللَّهِ، فَارْتَفَعَ حِينَئِذٍ الْمَهْتَدِي، إِلَى صَدْرِ الْمَجْلِسِ، وَقَالَ: لَا يَجْتَمِعُ سَيْفَانُ فِي غَمْدٍ، وَأَنْشَدَ قَوْلَ ابْنِ أَبِي ذُؤَيْبٍ.

تُرِيدِينَ كَيْمَا تَجْمَعِينِي وَخَالِدًا وَهَلْ يُجْمَعُ السَّيْفَانِ، وَنَحْكُ فِي غَمْدٍ؟! وَكَانَ الْمَهْتَدِي أَسَمَرَ رَقِيقًا، مَلِيحَ الْوَجْهِ، وَرِعًا عَادِلًا صَالِحًا مُتَعَبِّدًا بِطُلَّاءِ شَجَاعًا، قَوِيًّا فِي أَمْرِ اللَّهِ، خَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ مُعِينًا وَلَا نَاصِرًا، وَالْوَقْتُ قَابِلٌ لِلْإِدْبَارِ.

نَقَلَ الْخَطِيبُ عَنْ أَبِي مُوسَى الْعَبَّاسِيِّ: أَنَّهُ مَا زَالَ صَائِمًا مِنْذُ اسْتُخْلِفَ إِلَى أَنْ قُتِلَ.

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ: كُنْتُ عِنْدَ الْمَهْتَدِي عَشِيَّةً فِي رَمَضَانَ، فَقُمْتُ لِأَنْصَرِفَ، قَالَ: اجْلِسْ. فَجَلَسْتُ، فَصَلَّيْتُ بِنَا، وَدَعَا بِالطَّعَامِ، فَأَحْضَرَ طَبَقَ خِلَافٍ (٢) عَلَيْهِ أَرْغَفَةٌ وَأَنِيَّةٌ فِيهَا مَلْحٌ وَزَيْتٌ وَخَلٌّ، فَدَعَانِي إِلَى الْأَكْلِ، فَأَكَلْتُ أَكْلَ مَنْ يَنْتَظِرُ الطَّبِيخَ، فَقَالَ: أَلَمْ تَكُنْ صَائِمًا؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: فَكُلْ وَاسْتَوْفِ، فَلَيْسَ هُنَا غَيْرُ مَا تَرَى؟! فَعَجِبْتُ ثُمَّ قُلْتُ: وَلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: إِنِّي فَكَّرْتُ أَنَّهُ كَانَ فِي بَنِي أُمِيَّةِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَغَرْتُ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَأَخَذْتُ نَفْسِي بِمَا رَأَيْتُ.

قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ الْمَرْوَزِيُّ، قَالَ لِي جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ:

(١) انظر السير: ٥٣٥/١٢ - ٥٤٠.

(٢) صَنَفٌ مِنَ الصَّفَصَافِ، وَمِنْ عِيدَانِهِ تَصْنَعُ الْأَطْبَاقَ.

[١] ذاكرت المهتدي بشيء، فقلتُ له: كان أحمدُ بن حنبل يقولُ به، ولكنه كان يُخالفُ، كأني أشرتُ إلى آبائه - فقال: رحم الله أحمدَ بن حنبل، لو جاز لي لتبرأتُ من أبي، تكلم بالحقِّ وقل به فإنَّ الرجلَ ليتكلم بالحقِّ فينبُل في عيني.

[٢] قال نَفْطُوهُ: أخبرنا بعضُ الهاشميين أنه وُجد للمهتدي صَفْطُ فيه جُبَّة صوف، وكساء كان يلبسه في الليل، ويصلي فيه، وكان قد أطرح الملاهي، وحرَّم الغناء، وحسَم أصحاب السُّلطان عن الظُّلم، وكان شديدَ الإشراف على أمر الدواوين، يجلسُ بنفسه، ويُجلس بين يديه الكُتَّاب يعملون الحساب، ويلزَم الجلوسَ يومي الخميس والإثنين، وقد ضرب جماعةً من الكبار، ونفى جعفرَ بن محمود إلى بغداد لرفضٍ فيه.

[٣] وعاشت الزُّنْجُ بالبصرة، ويعقوب الصَّفَّار بخراسان، وقتل المهتدي الأميرَ باكيال، فثار أصحابه، وأحاطوا بدار الجوسق، فألقي الرأسُ إليهم، وركب أعوانُ الخليفة، فتمت ملحمةٌ كبرى، قُتل فيها من الأتراك ألوف وقيل بل ألف في رجب سنة ست، ثم أصبحوا على الحرب، فركب المهتدي وصالحُ بن علي في عنقه المصحف يصيح: أيها الناس: انصروا إمامكم فحمل عليه أخو باكيال في خمس مئة، وخامر الأتراك الذين مع الخليفة إليه، وحمي الوطيسُ، وتغلَّل جمعُ المهتدي واستحربهم القتلُ. فولَّى والسيْفُ في يده يقولُ: أيُّها الناس: قاتِلوا عن خليفَتكم، ثم دخل دارُ صالح بن محمد بن يزداد، ورمى السلاحَ، ولبس البياضَ ليهرب من السَّطح وجاء حاجبُ باكيال، فأعلم به فهرب، فرماه واحدٌ بسهم، ونفحه بالسيفِ ثم حُمِل إلى الحاجب، فأركبوه بغلاً وخلفه سائسٌ، وضربوه وهم يقولون: أين الذهبُ؟ فأقرَّ لهم بست مئة ألف دينار مودعةً ببغداد، فأخذوا خطه بها، وعَصَر تُركيُّ على أثنيه فمات، وقيل: أرادوا منه أن يخلع نفسه فأبى فقتلوه رحمه الله وبايعوا المُعتمد على الله. وفي ذريته علماء وخطباء.

[١] الخليفة، أبو العباس، وقيل: أبو جعفر، أحمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم. ولد سنة تسع وعشرين ومئتين.

قلت: استُخلف بعد قتل المهدي بالله سنة ست وخمسين ومئتين.

[٢] وانهماك في اللهو واللعب، واشتغل عن الرعية، فكرهوه، وأحبوا أخاه الموفق.

[٣] وفي رجب أيضاً استولت الزنج على البصرة والأبلة والأهواز، وقتلوا وسبوا، وهم عبيد العوام، وغوغاء الأندال الملتفين على الخبيث وقام بالكوفة علي بن زيد العلوي، واستفحل أمره، وهزم جيش الخليفة وظهر أخوه حسن بن زيد بالري. وقتلت الزنج بالأبلة نحو ثلاثين ألفاً فحاربهم سعيد الحاجب ثم قروا عليه، وقتلوا خلقاً من جنده، وتمت بينهم وبين العسكر وقعات.

وفي سنة ٢٥٨ جرت وقعة بين الزنج وبين العسكر، فانهزم العسكر وقتل قائدهم منصور، ثم نهض أبو أحمد الموفق ومُفلح في عسكر عظيم إلى الغاية لحرب الخبيث، فانهزم جيشه، ثم تهيأ وجمع الجيوش وأقبل فتمت ملحمة لم يُسمع بمثلها، وظهر المسلمون، ثم قُتل مُقدمهم مُفلح فانهزم الناس، واستباحهم الزنج، وفر الموفق إلى الأبلة، وتراجعت إليه العساكر، ثم التقى الزنج فانتصر، وأسر طاغيتهم يحيى، وبعث به إلى سامراء فذبح، ووقع الوباء، فمات خلائق، ثم التقى الموفق الزنج فانكسر، وقُتل خلق من جيشه، وتحيز هو في طائفة، وعظم البلاء وكاد الخبيث أن يملك الدنيا، وكان كذاباً ممخراً مأكراً شجاعاً داهيةً ادعى أنه بُعث إلى الخلق، فرد الرسالة، وكان يدعي علم الغيب، لعنه الله.

ودخلت سنة تسع، فعرض الموفق جيشه بواسط، وأما الخبيث فدخل البطائح، وثق حوله الأنهار وتحصن، فهجم عليه الموفق، وأحرق وقتل فيهم، واستنقذ من السبايا، ورد إلى بغداد، فسار خبيث الزنج إلى الأهواز، فوضع السيف، وقتل نحواً من خمسين ألفاً، وسبى أربعين ألفاً فسار لحربه موسى بن بَغَا فتحارباً بضعة عشر

شهرًا، . . . وذهب تحت السيف خلائق من الفريقين ، فإننا لله ، وإننا إليه راجعون .
وفي سنة ٦٦ أقبلت الرومُ إلى ديار ريعة ، وقتلوا وسبوا ، وهرب أهل الجزيرة ،
واستباحَت الزنجُ رامهرمزُ .

وفي سنة سبعٍ كَرُوا على واسط ، وعَثَرُوا أهلها ، فجهَّزَ الموفقُ ولده أبا العباس
الذي صار خليفة ، فقتل وأسر ، وغرَّق سُفُنَهُمْ . ثم تجمَّع جيشُ الخبيث ، والتقوا
بالعباس فهزَمَهُمْ ، ثم التقوا ثالثًا فهزَمَهُمْ ، ودام القتالُ شهرين ، ورغبوا في أبي
العباس ، واستأمنَ إليه خلقٌ منهم ، ثم حاربهم حتى دَوَّخَ فيهم ، وردَّ سالمًا غانمًا ،
وبقي له وقعٌ في النفوس وسار إليهم الموفقُ في جيشٍ كثيفٍ في الماء والبر ، ولقيه
ولده ، والتقوا الزنجُ فهزَمُوهُمْ أيضًا ، وخارت قوى الخبيث ، وألحَ الموفقُ في حربهم
ونازل طِهْثِيًّا ، وكان عليها خمسةُ أسوار ، فأخذها ، واستخلص من أسرِ الخُبثاء عشرة
آلاف مسلمة ، وهدمها ، وكان المَهْلَبِيُّ القائدُ مقيمًا بالأهواز في ثلاثين ألفًا من
الزنج ، فسار الموفقُ لحربه ، فانهزم ، وتفرَّقَ عسكرُهُ ، وطلب خلقٌ منهم الأمانَ ،
فأَمَنَهُمْ ، ورفقَ بهم ، وخلعَ عليهم ، ونزلَ الموفقُ بَستَر ، وأنفقَ في الجيش ، ومَهَّدَ
البلاد ، وجهَّزَ ابنَه المَعْتَضدَ أبا العباس لحرب الخبيث ، فجهَّزَ له سُفْنًا فاقتتلوا ،
وانتصر أبو العباس وكتب كتابًا إلى الخبيث يُهدِّده ، ويدعوه إلى التوبة مما فعل ،
فعتا وتمردَ وقتل الرسولُ ، فسار الموفقُ إلى مدينة الخبيث بنهر أبي الخصيب ،
ونصب السلالِمَ ودخلوها ، وملكوا السُّور ، فانهزم الزنج ، ولما رأى الموفقُ حَصَانَتَهَا
اندهش ، واسمُها المختارة ، وهالَهُ كثرةُ المقاتلة بها ، لكن استأمنَ إليه عدة
فأكرمهم .

ونقلتُ تفاصيلَ حروب الزنج في «تاريخ الإسلام» فمن ذلك لما كان في شعبان
سنة سبعٍ برز الخبيثُ وعسكرُهُ فيما قيل في ثلاث مئة ألف ما بين فارسٍ وراجلٍ ،
فركب الموفقُ في خمسين ألفًا ، وحجَزَ بينهم النهر ، ونادى الموفقُ بالأمانِ ، فاستأمنَ
إليه خلقٌ ، ثم إنَّ الموفقَ بنى بإزاء المُختارة مدينة على دجلة سماها الموفقِيَّة ، وبنى
بها الجامع والأسواق ، وسكنها الخلقُ واستأمنَ إليه في شهرٍ خمسةُ آلاف ، وتمَّتْ

ملحمة في شوال، ونصر الموفق.

وفي ذي الحجة عبر الموفق بجيشه إلى ناحية المختارة، وهرب الخبيث، لكنه رجع، وأزال الموفق عنها.

وفي ثمانٍ وستين تتابع أجناد الخبيث في الخروج إلى الموفق، وهو يحسن إليهم، وأتاه جعفر السَّجَّان صاحب سر الخبيث، فأعطاه ذهباً كثيراً فركب في سفينة حتى حاذى قصر الخبيث. فصاح إلى متى تصبرون على الخبيث الكذاب؟ وحدّثهم بما أطلع عليه من كذبه وكفره، فاستأمن خلق. ثم زحف الموفق على البلد، وهَدَّ من السور أماكن، ودخل العسكر من أقطارها واغترأوا، فكرّ عليهم الزنج، فأصابوا منهم، وغرق خلق، وردَّ الموفق إلى بلده حتى رَمَّ شعثه، وقطع الجلب عن الخبيث، حتى أكل أصحابه الكلاب والميتة، وهرب خلق، فسألهم الموفق، فقالوا: لنا سنة لم نر الخبز وقتل بهيود أكبر أمراء الخبيث، وقتل الخبيث ولده لكونه هم أن يخرج إلى الموفق.

وفي سنة تسع دخل الموفق المختارة عنوةً، ونادى الأمان، وقاتل حاشية الخبيث دونه أشد قتال، وحاز الموفق خزائن الخبيث، وألقى النار في جوانب المدينة، وجرح الموفق بسهم فأصبح على الحرب، وآلمه جرحه، وخافوا، فخرجوا حتى عوفي، ورمَّ الخبيث بلده.

وفي شوال كانت الملحمة الكبرى بين الخبيث والموفق، ثم وقعت الهزيمة على الزنج، وكانوا في جوع شديد وبلاء، لا خفف الله عنهم، التقى الخبيث والموفق، فانهزمت الزنج أيضاً، وأحاط الجيش، فحصرُوا الخبيث في دار الإمارة، فانملس منها إلى دار المهلبى أحد قواده، وأسرت حرمة، فكان النساء نحو مئة، فأحسن إليهن الموفق، وأحرقت الدار، ثم جرت ملحمة بين الموفق والخبيث في أول سنة سبعين، ثم وقعت أخرى قُتل فيها الخبيث، لا رحمه الله. وكان قد اجتمع من الجند، ومن المطوعة مع الموفق نحو ثلاث مئة ألف، وفي آخر الأمر شدَّ الخبيث وفرسانه فأزالوا الناس عن مواقفهم فحمل الموفق فهزَمهم، وساق وراءهم إلى آخر

النهر، فبينما الحرب تستعزُّ إذ أتى فارسٌ إلى المَوْقِّ وبيده رأسُ الخبيث فما صدَّق. وعرضه على جماعةٍ، فقالوا: هو هو فترجَّل المَوْقُّ والأمراءُ وخرَّوا ساجدين لله وضجُّوا بالتكبير، وبادر أبو العباس بن المَوْقِّ في خواصِّه، ومعه رأسُ الخبيث على قنَّاةٍ إلى بغداد، وعُمِلت قِبابُ الزينة وكان يوماً مشهوداً، وشرع الناسُ يتراجعون إلى المدائن التي أخذها الخبيثُ، وكانت أيامه خمسَ عشرة سنة. قال الصُّولي: قد قتل من المسلمين ألف ألفٍ وخمسمئة. قلت: وكذا عدَّد قتلِي بآبِكَ.

قال: وكان يصعدُ على منبره بمدينةته، ويسبُّ عثمانَ وعليًّا وطلحةَ وعائشةَ كمذهب الأزارقة، وكان يُنادي على المَسبِّية العلوية في عسكره بدرهمين. وكان عند الزنجي الواحد نحو عشر علويَّات، يفترشهنَّ ويخدمنَ امرأته. [١] وفيها نازلت الرومُ في مئة ألفٍ طرسوسَ، فبيَّتهم يا زمان الخادمُ فقيل: قُتل منهم سبعون ألفاً، وقُتل ملكُهم، وأخذ منهم صليبُ الصَّلْبوت. فالحمدُ لله على هذا النصرِ العزيز الذي لم يُسمع بمثله، مع تمام المِنَّة على الإسلام بمصرعِ الخبيث. وعاد المَوْقُّ إلى بغداد مريضاً من نقرسٍ، ثم صار داءَ الفيل وقاسى بلاءً، فكان يقول: في ديواني مئة ألف مُرتزقٍ، ما أصبحَ فيهم أسوأ حالاً مِنِّي، ثم مات. وفي سنة ٧٩ خلع المَفْوض بن المعتمد من ولاية العهد، وقُدِّم عليه أبو العباس المعتضد بن المَوْقِّ. نهض بذلك الأمراءُ.

وفيها منع أبو العباس القصاص والمنجمين، وألزم الكتَّابين أن لا يبيعوا كُتُب الفلسفة والجدل، وضَعَفَ أمرَ عمِّه المعتمد معه، ثم مات فجأةً لإحدى عشرة ليلةً بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومئتين ببغداد ونُقل فُدِّن بسامراء. فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وثلاثة أيام.

[٢] مات بالقصر الحَسَنِي مع الندماء والمطربين، أكل في ذلك اليوم رؤوس الجداء، فيقال: سُمَّ، وماتَ معه مَنْ أكل منها، وقيل: نام فَعَمَّوه ببساط. وقيل: سُمَّ في كأس، وأدخلوا إليه إسماعيلَ القاضي والشهود، فلم يروا به أثراً،

واستُخلف أبو العباس المُعتضد . وكانت عُربُ جاريةٍ المعتمد ذات أموالٍ جزيلةٍ ،
ولها في المعتمد مدائحٌ ، وكان يَسْكُرُ ويُعْرِيدُ على الندماء ، سامحه الله . وكانت
دولته بهمةٍ أخيه المُوفق لا بأس بها .

٥٣٨ مُسْلِم (ت) (١)

هو الإمامُ الكبيرُ الحافظُ المجوّدُ الحجةُ الصادقُ ، أبو الحسين ، مُسْلِمُ بن
الحجاج بن مسلم بن وَرْدِ بن كوشاذ القُشَيْرِيُّ (٢) النيسابوريُّ ، صاحبُ «الصحیح»
فلعلّه من موالِي قُشَيْرٍ .

لم يروِ الترمذِيُّ في «جامعه» عن مسلمٍ سوى حديثٍ واحدٍ .
قال أحمدُ بن سَلَمَة : رأيتُ أبا زُرْعَةَ وأبا حَاتِمٍ يُقدِّمان مسلماً في معرفة الصحيح
على مشايخ عصرهما .

قال أبو عمرو بن حَمْدان : سألتُ الحافظ ابن عُقْدَةَ عن البخاري ومسلم : أيهما
أعلم؟ فقال : كان محمدٌ عالماً ، ومسلمٌ عالمٌ ، فكُفِّرْتُ عليه مراراً ، فقال : يا أبا
عَمْرُو ، قد يقع لمحمدٍ الغَلَطُ في أهل الشام وذلك أنه أخذَ كتبهم ، فنَظَرَ فيها ،
فربما ذكر الواحدَ منهم بِكُفَيَّتِهِ ويذكرُهُ في موضعٍ آخرَ باسمِهِ ، يتوَهَّمُ أنهما اثنان ،
وأما مسلمٌ فَقَلَّمَا يَقَعُ له من الغلط في العِلَلِ ، لأنه كتبَ المسانيدَ ، ولم يكتب
المَقاطيعَ ولا المَراسيلَ .

قلتُ : عَنَى بالمقاطيعَ أقوالَ الصحابةِ والتابعين في الفقه والتفسير .
قال أبو عبد الله محمدُ بن يعقوب بن الأخرم الحافظ : إنما أخرجت نيسابور ثلاثة
رجال : محمدَ بن يحيى ، ومسلمَ بن الحجاج ، وإبراهيمَ بن أبي طالب .
وقال الحسين بن محمد الماسرجسيُّ : سمعتُ أبي يقولُ : سمعتُ مسلماً
يقولُ : صَنَّفْتُ هذا «المُسند الصحيح» من ثلاثة مئة ألف حديث مسموعة .

(١) انظر السير : ٥٥٧/١٢ - ٥٨٠ .

(٢) القشيري ، من بني قشير قبيلة من العرب معروفة .

قال الحاكم: سمعتُ أبا عبد الرحمن السُّلَمِيَّ يقول: رأيتُ شيخاً حَسَنَ الوجهِ والثياب، عليه رداءٌ حَسَنٌ، وعمامةٌ قد أرخاها بين كتفيه قليل: هذا مسلم. فتقدَّم أصحابُ السلطان، فقالوا: قد أَمَرُ أميرُ المؤمنين أن يكون مسلمُ بنُ الحجاجِ إمامَ المسلمين، فقدموه في الجامع فكبر، وصلى بالناس.

قال الحافظ ابنُ مَنَدَةَ: سمعتُ أبا علي النيسابوريَّ الحافظ يقول: ما تحت أديم السماء كتابٌ أصحَّ من كتاب مسلم.

وقال مكِّي بن عبدان: سمعتُ مسلماً يقول: عرضتُ كتابي هذا «المسند» على أبي زُرعة، فكلُّ ما أشار عليَّ في هذا الكتاب أن له عِلَّةً وسبباً تركته، وكلُّ ما قال: إنَّه صحيح ليس له عِلَّةٌ، فهو الذي أخرجتُ، ولو أنَّ أهلَ الحديثِ يكتبون الحديثَ ممتي سنة فمدارُهُم على هذا «المسند».

قال الدارقُطني: لولا البخاريُّ ما راح مسلمٌ ولا جاء.

قلتُ: ثم إنَّ مسلماً، لِحِدَّةٍ في خُلُقِهِ، انحرفَ عن البخاريِّ ولم يذكُرْ له حديثاً، ولا سَمَّاه في «صحيحه»، بل افتتح الكتاب بالخطِّ على من اشترط اللُّقْيَ لمن روى عنه بصيغَةِ «عن»، وادَّعى الإجماعَ في أنَّ المُعاصرةَ كافيةٌ، ولا يتوقَّف في ذلك على العلم بالتقائهما، وويَسِّخَ مَنْ اشترط ذلك. وإنما يقولُ ذلك أبو عبد الله البخاريُّ، وشيخُه عليُّ بن المديني، وهو الأصوبُ الأقوى.

توفي مُسلمُ سنة إحدى وستين ومئتين بنيسابور، عن بضع وخمسين سنة، وقبره يُزار.

٥٣٩ الربيعُ بنُ سليمان (د، ق، س، ت) (١)

[١] ابن عبد الجبار، الإمامُ المحدثُ الفقيه الكبير، بَقِيَّةُ الأعلام، أبو محمد، المُرادِيُّ، مولا هم المصريُّ المؤذن، صاحبُ الإمام الشافعي، وناقِلُ علمه، وشيخُ المؤذنين بجامع القُسطاط ومُستملي مشايخ وقته.

(١) انظر السير: ٥٨٧/١٢ - ٥٩١.

مولده في سنة أربعٍ وسبعين ومئة أو قبلها بعام .
وطال عُمره ، واشتهر اسمه ، وازدحم عليه أصحابُ الحديث ، ونعم الشيخ كان ،
أفنى عُمره في العلم ونشره ، ولكن ما هو بمعدودٍ في الحُفَافِ وإِنما كتبته في
« التذكرة » وهنا لإمامته وشهرته بالفقه والحديث .

ورَووا عن الربيع أَنه قال : كُلُّ مُحَدِّثٍ حَدَّثَ بِمَصْرَ بعد ابنِ وهبٍ كُنْتُ
مُسْتَمْلِيَه .

وروي عن الشافعي أَنه قال للربيع : لو أَمَكَّنِي أَنْ أَطْعَمَكَ العلمَ لأَطْعَمْتُكَ . وقال
أيضاً : الربيعُ راوية كُتبي .

وقال أبو عمر بن عبد البر : ذكر محمد بن إسماعيل الترمذي أسماء من أخذ عن
الربيع كُتِبَ الشافعي ، ورحل إليه فيها من الآفاق ، فسَمِّيَ نحو مِئتي رجل .

قال أبو عمر : وكان الربيع لا يُؤذَنُ في منارة جامعِ مصرَ أحدَ قبله ، وكانت الرحلةُ
إليه في كُتُبِ الشافعي ، وكانت فيه سلامةٌ وغَفَلَةٌ . ولم يكن قائماً بالفقه .

[١] قلت : قد كان من كبار العلماء ، ولكن ما بلغ رُتَبَةُ المُزَنِّي ، كما أن المُزَنِّي لا
يبلغ رُتَبَةَ الربيع في الحديث ، وقد روى أبو عيسى في « جامعِهِ » عن الربيع
بالإجازة ، وقد سمعنا من طريقه « المسند » للشافعي انتقاءً أبو العباسِ الأصمُّ من
كتاب « الأم » لينشطَ لروايته للرحالة وإلا فالشافعي رحمه الله لم يُؤلف مسنداً .

[٢] وقيل : إن هذا الشعر للربيع :

صَبْرًا جَمِيلًا ما أَسْرَعَ الفَرَجَا مَنْ صَدَقَ اللهُ في الأُمُورِ نَجَا
مَنْ خَشِيَ اللهُ لَمْ يَنْلُ أَذَى وَمَنْ رَجَا اللهُ كَانَ حَيْثُ رَجَا
مات الربيع سنة سبعين ومئتين .

٥٤٠ أحمد بن مهدي^(١)

[٣] ابن رستم ، الإمام القدوة العابد الحافظ المُتَقِن ، أبو جعفر الأصبهاني .

(١) انظر السير : ٥٩٧/١٢ - ٥٩٨ .

[١] قال محمد بن يحيى بن مَنده: لم يُحدِّث ببلدنا منذ أربعين سنة أوْثُق منه، صَنَّفَ «المسند» ولم يُعرف له فراشٌ منذ أربعين سنة، صاحبُ عبادةٍ رحمه الله.

[٢] وقال أبو نُعيم الحافظ: كان صاحبَ ضياعٍ وثروة، أنفق على أهل العلم ثلاث مئة ألف درهم.

وقال ابنُ النُّجار: كان من الأئمة الثقات، وذوي المروءات، رحل إلى الشام ومصرَ والعراق.

[٣] قال أحمد بن مهدي: جاءني امرأةٌ ببغداد ليلةً، فذكرتُ أنها من بناتِ الناسِ، وأنها امتَحِنَتْ بمحنةٍ، وأسألتُ بالله أن تستُرني، فقد أكرهتُ على نفسي، وأنا حُبلى، وقلتُ: إنك زوجي فلا تفضحني، فنكبتُ عنها، ومضيت. فلم أشعر حتى جاء إمامُ المَحَلَّةِ والجيرانُ يهنئونني بالولد الميمون، فأظهرت التَّهليل، ووزنتُ في اليوم الثاني للإمام دينارين، وقلتُ: اعطها نفقةً، فقد فارقتها، وكنتُ أعطيها في كل شهر دينارين، حتى أتى على ذلك ستان، فمات الطفلُ، وجاءني الناسُ يُعزُّونني فكنتُ أظهرُ لهم التسليم والرُّضى، فجاءتني بعد أيامٍ بالدنانير فردتها ودعت لي، فقلتُ: هذا الذهبُ كان صِلَةً للولد، وقد ورثته، وهو لك.

توفي في سنة اثنتين وسبعين ومئتين.

٥٤١ بَكَارُ بْنُ قُتَيْبَةَ^(١)

[٤] ابنُ أسد بن عبيد الله بن بَشِير بن صاحب رسول الله ﷺ أبي بكرة نُفيع بن الحارث، الثَّقَفِيُّ البَكْرَاوِيُّ البَصْرِيُّ القاضي الكبير، العلامةُ المحدثُ، أبو بكرة، الفقيهُ الحنفي، قاضي القضاة بمصر.

مولده في سنة اثنتين وثمانين ومئة بالبصرة.

وعُني بالحديث، وكتب الكثير، وبرع في الفروع، وصنَّف واشتغل.

[٥] أحمد بن سهل الهَرَوِيُّ قال: كنتُ ساكناً في جوارِ بَكَار بن قُتَيْبَةَ فانصرفتُ بعد

(١) انظر السير: ١٢/٥٩٩-٦٠٥.

العشاء، فإذا هو يقرأ ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص ٢٦] قال: ثم نزلت في السحر، فإذا هو يقرأها، ويكي، فعلمت أنه كان يتلوها من أول الليل.

[١] قلت: كان عظيم الحرمة، وإفر الجلالة، من العلماء العاملين كان السلطان ينزل إليه، ويحضر مجلسه.

[٢] قلت: كان ولي العهد الموفق قد استبد بالأمر، وضيق على أخيه الخليفة المعتمد. قال الصولي: تخيل المعتمد من أخيه، فكتب أحمد بن طولون، واتفقا، وقال المعتمد:

[٣] أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قل ممتنعاً عليه وتوكل باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه فبلغنا أن ابن طولون جمع العلماء والأعيان، وقال: قد نكت الموفق أبو أحمد بأمير المؤمنين، فاخلعوه من العهد فخلعوه، إلا بكار بن قتيبة. وقال: أنت أوردت علي كتاب المعتمد بتوليته العهد، فهات كتاباً آخر منه بخلعه. قال: إنه محجور عليه ومقهور؟ قال: لا أدري. فقال له: غرّك الناس بقولهم: ما في الدنيا مثل بكار، أنت قد خرفت، وقيدته وحبسته، وأخذ منه جميع عطائه من سنين، فكان عشرة آلاف دينار، ف قيل: إنها وجدت بختومها وحالها، وبلغ ذلك الموفق، فأمر بلعن ابن طولون على المنابر.

[٤] قال ابن خلكان: وكان بكار تالياً للقرآن، بكاءً صالحاً ديناً وقبره مشهور قد عرف باستجابة الدعاء عنده.

[٥] توفي سنة سبعين ومئتين. وقيل: شيعه خلق عظيم أكثر ممن يشهد صلاة العيد، رحمه الله تعالى. قلت: عاش تسعاً وثمانين سنة.

٥٤٢ محمد بن عوف (د) (١)

[١] ابن سفيان، الإمام الحافظ المجوّد، محدّث حمص، أبو جعفر الطائي الحمصي.

[٢] قال عبد الصمد بن سعيد القاضي: سمعتُ محمد بن عوف يقول: كنتُ أَلْعُبُ في الكَنيسة بالكُرة وأنا حَدِّثُ، فدخلتُ الكُرة، فوقعت قُرْبَ المُعافى بن عمران الحِمَصي، فدخلتُ لأخْذِها، فقال: ابنُ مَنْ أنت؟ قلت: ابنُ عوف بن سفيان، أَمَا إِنَّ أَبَاكَ كان من إخواننا. فكان ممن يكتُبُ معنا الحديث والعلم، والذي كان يُشبهُك أن تتبّع ما كان عليه والدك. فصرتُ إلى أُمي فأخبرتُها، فقالت: صدق، هو صديق لأبيك، فألبستني ثوباً وإزاراً، ثم جئتُ إلى المُعافى، ومعِي محبرةٌ وورق، فقال لي: اكتب: حدثنا إسماعيل بن عيَّاش، عن عبد ربّه بن سليمان، [٣] قال: كتبتُ لي أُمُ الدرداء في لُوحِي: اطلبوا العِلْمَ صِغاراً، تعملوا به كباراً، فإنَّ لكلِّ حاصِدٍ ما زَرَعَ.

[٤] وعن أحمد بن حنبل، قال: ما كان بالشام منذ أربعين سنةً مثلُ محمد بن عوف.

مات ابنُ عوفٍ في سنة اثنتين وسبعين ومِئتين رحمه الله.

٥٤٣ الأثرَم (س) (٢)

[٥] الإمام الحافظ العلامة، أبو بكر، أحمد بن محمد بن هانيء، الإسكافي الأثرَم الطائي، أحدُ الأعلام، ومُصنّف «السُّنن» وتلميذُ الإمام أحمد.

[٦] قال الأثرَم: سألتُ أبا عبد الله عن التعريف في الأمصار، يجتمعون في المساجد يومَ عَرَفَة، فقال: أرجو أن لا يكونَ به بأسٌ، فعَلَه غير واحدٍ: الحسنُ، وبكرُ بن عبد الله، وثابتٌ، ومحمد بن واسع، كانوا يشهدون المسجدَ يومَ عَرَفَة، وسألتُه عن

(١) انظر السير: ٦١٦-٦١٣/١٢.

(٢) انظر السير: ٦٢٨-٦٢٣/١٢.

القراءة بالألحان، فقال: كلُّ شيءٍ مُحدَثٍ فإنَّه لا يُعجبني، إلا أن يكون صوت الرجل لا يتكلَّفُه.

[١] قال أبو بكر الخلال: سمعتُ أبا بكرٍ المروزي يقول: قال الأثرم: كنت أحفظ - يعني الفقه والاختلاف - فلما صحبت أحمد بن حنبل تركت ذلك كله. وكان معه تيقظ عجيب، حتى نسبَه يحيى بن معين، ويحيى بن أيوب المقابري، فقال: كان أحد أبوي الأثرم جنيًّا.

[٢] ثم قال الخلال: قام رجلٌ فقال: أريدُ من يكتبُ لي من كتاب الصلاة ما ليس في كُتُب أبي بكر بن أبي شيبة، فقلنا له: ليس لك إلا أبو بكر الأثرم. قال: فوجهوا إليه ورقاً، فكتب ست مئة ورقة من كتاب الصلاة، قال: فنظرنا فإذا ليس في كتاب ابن أبي شيبة منه شيء.

قلتُ: كان عالماً بتواليف ابن أبي شيبة، لازمه مدةً.

[٣] قال الخلال أبو بكر: وسمعتُ الحسن بن علي بن عمر الفقيه يقول: قديم شيخان من خراسان الحج، فحدثنا فلما خرجا طلب قوم من أصحاب الحديث أحدهما، قال: فخرجنا: يعني إلى الصحراء - فقعد هذا الشيخ ناحيةً معه خلُق ومُستمل، وقعد الآخر ناحيةً كذلك، وقعد أبو بكر الأثرم بينهما، وكتب ما أُملى هذا وما أُملى هذا.

قلتُ: لم أظفر بوفاة الأثرم، ومات في حدود الستين ومئتين قبلها أو بعدها.

الجزء الثالث عشر

٥٤٤ الحسن بن مَخْلَد^(١)

ابن الجراح، الوزير الأكمل، أبو محمد البغدادي، الكاتب، أحد رجال العصر سُؤدَدًا، ورأيا، وشهامة، وكتابة، وبلاغة، وفصاحة، ونبلا.

مولده: في تسع ومِئتين. فاتفق أنه ولد فيها أربعة وزراء: هو، وعبد الله بن يحيى بن خاقان، ومحمد بن عبد الله بن طاهر، وأحمد بن إسرائيل.

وَزَرَ الحسن للمعتد نوبتين، فصادره ثم وزر له ثالثا، فاستمر خمسة أعوام، فَسَخَطَ عليه، فتسلَّل إلى مصر، فأقبل عليه ابن طولون وجعل إليه نظرَ الإقليم، والتزم له بنمو ألف ألف دينار في السنة مع العدل، فخافه العمال، وتفرغوا له، وقالوا: هذا عين عليك للموفق ولي العهد فتخيَّل وسجنه. فقالوا: ما الرَّأْيُ في حبسه في جوارك، فربما حدث به موتٌ، فينسب إليك.. فأرسل به إلى نائبه بَأَنْطَاكِيَّةَ، وأمره أن يعذِّبه، فتلف تحت العذاب.

وكان - مع ظلمه - شاعرا جوادا ممدِّحاً، امتدحه البُخْتَرِيُّ وغيره.

قال ابن النجار: عمل الوزارة مع كتابة الموفق، وكان آيةً في حساب الديوان، حتى قيل: مالا يعرفه ابن مَخْلَد، فليس من الدنيا.

وكان تامَّ الشكل، مهيباً، فاخر البزة، يركب غلماناً في الديباج، ونسيج الذهب، وعدة جنائب وإذا جلس في داره تقع العين على الفرش والسُّتُور، والآنية التي قيمتها مئة ألف دينار. كان في هيئة سلطان كبير.

مات في سنة إحدى وسبعين ومِئتين.

(١) انظر السير: ٨٧ / ١٣.

[١] الوزير الكبير، أبو الحسن، عُيِّدَ الله بن يحيى بن خاقان التركي، ثم البغدادي. وزر للمتوكل، وللمُعْتَمَد. وجرت له أمور. وقد نفاه المستعين إلى بَرْقَة، ثم قدم بغداد بعد خمس سنين، ثم وزر سنة ست وخمسين.

[٢] ذكر محرر الكاتب أن عُيِّدَ الله مرض، فعاده عُمُه الفتح، وقال: إن أمير المؤمنين يسأل عن علتك. فقال:

عليل من من مكانين من الأسقام والدين
وفي هذين لي شغل وحسبي شغل هذين
فوصله المتوكل بألف ألف.

[٣] وقيل: لم يكن له حظ من الصناعة، فأُيِّدَ بأعوانٍ وكُفَّاه. وكان واسع الحيلة. ونفاه المُعْتَز، فلما وَلِيَ المعتمد طلبه، وخلع عليه، فأدْبَتُهُ النُّكْبَةُ، وتهذَّبَ كثيرا. وله أخبار في الحلم والسخاء. مات وعليه ست مئة ألف دينار، مع كثرة ضياعه. قيل: صدمه خادمه رَشِيق في لعب الصُّوَالِجَة،^(٢) فسقط، ثم مات ليومه، سنة ثلاث وستين ومئتين.

[٤] الرَّازِي، الواعظ: من كبار المشايخ، له كلام جيد، ومواعظ مشهورة. [٥] وعنه قال: لست أبكي على نفسي إن ماتت، إنما أبكي على حاجتي إن

(١) انظر السير: ١٣ / ٩-١٠.

(٢) الصوالجة: جمع الصولجان، وهو عصا يعطف طرفها، يضرب بها الكرة على الدواب.

(٣) انظر السير: ١٣ / ١٥-١٦.

فاتت.

- [١] لا يُفْلَحُ من شَمَمَت رائحة الرِّياسة منه .
[٢] مسكينُ ابنُ آدمَ ، قَلَعُ الأحجار أهون عليه من ترك الأوزار .
[٣] لا تَسْتَبْطِئُ الإجابة وقد سددتَ طريقَها بالذنوب .
[٤] الدنيا لا تعدل عند الله جَنَاحَ بعوضة ، وهو يسألك عن جَنَاح بعوضة .
[٥] وعنه قال : الدرجات سبع : التوبة ، ثم الزهد ، ثم الرضى ، ثم الخوف ، ثم الشوق ، ثم المحبة ، ثم المعرفة .

٥٤٧ ابن وارة (س) (١)

- [٦] محمد بن مُسلم بن عثمان : الحافظ ، الإمام المجود ، أبو عبد الله بن وارة الرازي ، أحد الأعلام .
ارتحل إلى الآفاق . وكان يضرب به المثل في الحفظ ، على حُصْنٍ فيه وَتِيهِ .
وكان مولده في حدود عام تسعين ومئة .
قال النسائي : هو ثقة ، صاحب حديث .
وقال عبد المؤمن بن أحمد : كان أبو زُرْعَةَ لا يقوم لأحد ، ولا يُجْلِسُ أحدا في مكانه ، إلا ابن وارة .
قال أبو جعفر الطحاوي : ثلاثة من علماء الزمان بالحديث ، اتفقوا بالرأي ، لم يكن في الأرض مثلهم في وقتهم ، فذكر ابن وارة ، وأبا حاتم ، وأبا زُرْعَةَ .
[٧] وعن عبد الرحمن بن خراش ، قال : كان ابن وارة من أهل هذا الشأن المصنفين الأمناء ، كنت ليلة عنده ، فذكر أبا إسحاق السبيعي ، فذكر شيوخه ، فذكر في طَلَق واحد سبعين وميتين من شيوخه ، ثم قال : كان غايةً ، شيئاً عجباً .

(١) انظر السير : ١٣ / ٢٨-٣٢ .

[١] وقال عثمان بن خُرَّاذ: سمعت الشاذكُونِيَّ يقول: جاءني محمد بن مسلم، ففعد يتَقَرَّرُ^(١) في كلامه، فقلت له: من أي بلد أنت؟ قال: من أهل الرِّيِّ، ألم يأتك خبري؟ ألم تسمع بنبيي؟ أنا ذو الرُّحلتين. قلت: من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم -: (إن من الشُّعرِ حكمةً) فقال: حدثني بعض أصحابنا. قلت: من؟ قال: أبونعيم وقبيصة. قلت: يا غلام! اتني بالدُّرة، فأتاني بها، فأمرته، فضربه بها خمسين، وقلت: أنت تخرج من عندي، ما آمن أن تقول: حدثني بعض غلماننا.

[٢] قال زكريا السَّاجي: جاء ابن وارة إلى أبي كُريِّب، وكان في ابن وارة باؤ،^(٢) فقال لأبي كُريِّب: ألم يبلغك خبري؟ ألم يأتك نبئي، أنا ذو الرُّحلتين، أنا محمد بن مسلم بن وارة. فقال: وارة؟ وما وارة؟ وما أدراك ما وارة؟ قم، فوالله لا حدُّثُك، ولا حدُّثُ قوما أنت فيهم.

[٣] قال أبو العباس بن عُقْدَةَ: دقَّ ابن وارة على ابن كُريِّب، فقال: من؟ قال: ابن وارة، أبو الحديث وأمه.

الصواب في وفاته إنها في سنة سبعين ومئتين.

٥٤٨ أحمد بن إسحاق (خ)^(٣)

[٤] الإمام، الزاهد، العابد المجاهد، فارس الإسلام، أبو إسحاق، من أهل سُرمارى، من قرى بخارى.

وكان أحد الثقات. وبشجاعته يُضرب المثل.

(١) التَقَرَّرُ: أن يتكلم بأقصى قعر فمه.

(٢) البأؤ: الكبر والتيه.

(٣) انظر السير: ١٣/٣٧-٤٠.

[١] قال إبراهيم بن عفان البزاز: كنت عند أبي عبدالله البخاري، فجرى ذكر أبي إسحاق السُّرماري، فقال: ما نعلم في الإسلام مثله. فخرجت فإذا أحميد رئيس المطوَّعة، فأخبرته، فغضب ودخل على البخاري، وسأله، فقال: ما كذا قلت، بل: ما بلغنا أنه كان في الإسلام ولا الجاهلية مثله.

قال أبو صفوان: دخلت على أبي يوما، وهو يأكل وحده، فرأيت في مائدته عصفورا يأكل معه، فلما رأيته طار.

[٢] وعن أحمد بن إسحاق، قال: ينبغي لقائد الغزاة أن يكون فيه عشر خصال: أن يكون في قلب الأسد: لا يجبن، وفي كبر النمر: لا يتواضع، وفي شجاعة الذئب: يقتل بجوارحه كلها، وفي حيلة الخنزير: لا يؤلِّي دُبْرَه، وفي غارة الذئب: إذا أيس من وجهه أغار من وجهه، وفي حمل السلاح كالنملة: تحمل أكثر من وزنها، وفي الثبات كالصخر، وفي الصبر كالحمار، وفي الوقاحة كالكلب: لو دخل صيده النار لدخل خلفه، وفي التماس الفرصة كالديك.

إبراهيم بن شماس يقول: كنت أكتب أحمد بن إسحاق السُّرماري، فكتب إلي: إذا أردت الخروج إلى بلاد الغزاة في شراء الأسرى، فاكتب إلي. فكتبت إليه، فقدم سمرقند، فخرجنا، فلما علم جعبونيه، استقبلنا في عدة من جيوشه، فأقمنا عنده، فعرض يوما جيشه، فمر رجل، فعظمه، وخلع عليه، فسألني عنه السُّرماري، فقلت: هذا رجل مبارز، يعدُّ بألف فارس. قال: أنا أبارزه. فسكت، فقال جعبونيه: ما يقول هذا؟ قلت: يقول كذا وكذا. قال: لعله سكران لا يشعر، ولكن غدا نركب. فلما كان الغد ركبوا، فركب السُّرماري معه عموداً في كفه، فقام بإزاء المبارز، فقصده، فهرب أحمد حتى باعده من الجيش، ثم كرّ وضربه بالعمود فقتله، وتبع إبراهيم بن شماس، لأنه كان سبقه، فلحقه، وعلم جعبونيه، فجهّز في طلبه خمسين فارساً نقاوةً، فأدركوه، فثبت تحت تل مختفياً، حتى مروا كلهم، واحداً بعد واحد، وجعل يضربُ بعموده من ورائهم،

إلى أن قتل تسعة وأربعين، وأمسك واحدا، قطع أنفه وأذنيه، وأطلقه ليخبر، ثم بعد عامين توفي أحمد، وذهب ابنُ شماسٍ في الفداء، فقال له جعبويه: من ذاك الذي قتل فرساننا؟ قال: ذاك أحمد السرماري. قال: فلم لم تحمله معك؟ قلت: توفي، فصكَّ في وجهي، وقال: لو أعلمتني أنه هو لكنت أعطيه خمسَ مئة برذون،^(١) وعشرة آلاف شاة.

عن عمران بن محمد المطوعي: سمعت أبي يقول: كان عمودُ المطوعيِّ السُّرماري وزنه ثمانية عشرة مَنًّا،^(٢) فلما شاخ جعله اثني عشر مَنًّا، وكان به يقاتل.

[١] عن عبيد الله بن واصل، سمعت أحمد السُّرماري يقول، وأخرج سيفه، فقال: أعلمُ يقينا أنني قتلت به ألفَ تركي، وإن عشت قتلت به ألفاً أخرى، ولولا خوفي أن يكونَ بدعةٌ لأمرت أن يدفنَ معي.

وعن محمود بن سهل الكاتب، قال: كانوا في بعض الحروب يحاصرون مكانا، ورئيس العدو قاعدٌ على صُفَّة،^(٣) فرمى السُّرماري سهما، فغرز في الصُّفَّة، فأوماً الرئيس لينزعه، فرماه بسهم آخر خاط يده، فتطاول الكافر لينزعه من يده، فرماه بسهم ثالث في نحره، فانهزم العدو، وكان الفتح. قلت: أخبار هذا الغازي تسرُّ قلب المسلم.

توفي في سنة اثنتين وأربعين ومئتين، رحمه الله تعالى، فإنه كان مع فرط شجاعته من العلماء العاملين العُباد.

[٢] قال ولده أبو صفوان: وهب المأمون لأبي ثلاثين ألفا، وعشرة أفراس وجارية، فلم يقبلها.

(١) البرذون: ضرب من الدواب، يخالف الخيل العرب، عظيم الخلقة، غليظ الأعضاء.

(٢) المَن: زنة رطلين.

(٣) الصُّفَّة: الظلة، والبهر الواسع العالي السقف.

[١] فقيه المغرب، أبو عبدالله، محمد بن إبراهيم بن عبدوس.
قال أبو العرب: كان ثقة، إماماً في الفقه، ذا ورعٍ وتواضع، بذُّ الهيئة، كان
أشبهَ شيءٍ بأحوال شيخه سُحُنُون، في فقهه وزهاده وملبسه ومطعمه، وكان
حسنُ الكتاب، مات ابن ثمان وخمسين سنة.
قال لقمان بن يوسف: أقام ابن عبدوس سبع سنين يدرس، لا يخرج إلا
لجمعة.

[٢] وعن عبدالله بن إسحاق بن التَّبَّان، أن ابن عبدوس أقام أربع عشرة سنة يصلي
الصبح بوضوء العشاء، وكان على غاية من التواضع.
وقد فرَّق مئة دينار من غَلَّة ضيعته في القَحْط.
[٣] وقيل: أتاها رجل، فقال: ما تقول في الإيمان؟ قال: أنا مؤمن. فقال: عند
الله؟ قال: أما عند الله فلا أَقْطَعُ لنفسي بذلك، لأنني لا أدري بِمَ يختم لي.
فبصق الرجل في وجهه، فعمي من وقته الرَّجُل.
توفي قريباً من سنة ستين ومئتين.

٥٥٠ أبو زُرْعَةَ الرَّازِي (م، ت، س، ق)^(٢)

[٤] الإمام، سَيِّدُ الحفاظ، عُبَيْدُ الله بن عبدالكريم بن يزيد، مُحدِّثُ الرِّي.
ودخول «الزَّاي» في نسبته غير مَقِيس، كالمروزي.
[٥] مولده بعد ثِنْفٍ ومئتين. وطلب هذا الشأن وهو حدث، وارتحل إلى الحجاز
والشام، ومصر والعراق والجزيرة وخراسان، وكتب مالا يوصف كثرة.

(١) انظر السير: ١٣ / ٦٤-٦٣.

(٢) انظر السير: ١٣ / ٨٥-٦٥.

فذكر سعيد بن عمرو البرذعي، أن أبا زُرْعَةَ قال: لا أعلم صفا لي رباط يومٍ قطُّ، أما بيروتُ: فأردنا العباسَ بنَ الوليد بنِ مَزَيْدٍ، وأما عَسْقَلان، فأردنا محمد ابنَ أبي السَّري، وأما قَزَوِين: فمحمد بن سعيد بن سابق.

وقال صالح بن محمد جَزَرَة: سمعتُ أبا زُرْعَةَ يقول: كتبت عن إبراهيم بن موسى الرّازي مئة ألف حديث، وعن أبي بكر بن أبي شَيْبَةَ مئة ألف. فقلت له: بلغني أنك تحفظ مئة ألف حديث، تَقْدِرُ أن تُملي علي ألف حديث من حفظ؟ قال: لا، ولكن إذا ألقى علي عَرَفْتُ.

[١] قال الحافظ أبو أحمد بن عدي: سمعت أبي يقول كنت بالرَّيِّ، وأنا غلام في البزازين، فَحَلَفَ رجل بطلاق امرأته: أن أبا زُرْعَةَ يحفظ مئة ألف حديث. فذهب قوم - أنا فيهم - إلى أبي زُرْعَةَ، فسألناه، فقال: ما حَمَلَهُ على الحلف بالطلاق؟ قيل: قد جرى الآن منه ذلك. فقال أبو زُرْعَةَ: لِيُمْسِكُ امرأته، فإنها لم تطلق عليه. أو كما قال.

ابن عدي: سمعت أبا يعلى المَوْصِلي يقول: ما سمعنا بذكر أحد في الحفظ، إلا كان اسمه أكبر من رُوِيَتِهِ، إلا أبا زُرْعَةَ الرّازي، فإن مشاهدته كانت أعظم من اسمه.

[٢] محمد بن إبراهيم المقرئ، سمعت فَضْلَكَ الصَّائغ يقول: دخلت على الربيع بمصر، فقال: من أين؟ قلت: من الرِّيِّ. قال: تركت أبا زُرْعَةَ وجئت؟ إن أبا زُرْعَةَ آيَةٌ، وإن الله إذا جعل إنساناً آيَةً، أبانه من شكله، حتى لا يكون له ثانٍ.

[٣] قال أبو جعفر محمد بن علي، وراق أبي زُرْعَةَ: حضرنا أبا زُرْعَةَ بماشهران، وهو في السُّوق، وعنده أبوحاتم، وابن وَاَرَة، والمنذر بن شاذان، وغيرهم،

فذكروا حديث التلقين: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاسْتَحْيُوا مِنْ أَبِي زُرْعَةَ أَنْ يُلَقِّنُوهُ، فَقَالُوا: تَعَالَوْا نَذْكُرِ الْحَدِيثَ. فَقَالَ ابْنُ وَارَةَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا بَنْدَارٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ صَالِحٍ، وَلَمْ يَجَاوِزْ، وَالْبَاقُونَ سَكَتُوا، فَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ وَهُوَ فِي السُّوقِ: حَدَّثَنَا بَنْدَارٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ، عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي عَرِيبٍ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ». وَتَوَفَّى، رَحِمَهُ اللَّهُ.

[١] تَوَفَّى أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِي، فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ وَمِثْنِينَ، وَمَوْلَدُهُ كَانَ فِي سَنَةِ مِثْنَيْنِ. وَذَكَرَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَرْبٍ الْعَسْكَرِيُّ أَنَّهُ رَأَى أَبَا أَبَا زُرْعَةَ الرَّازِي، وَهُوَ يَوْمَ الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَقُلْتُ: بِمَ نَلَتْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ؟ قَالَ: بَرَفَعَ الْيَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ عِنْدَ الرُّكُوعِ، وَعِنْدَ الرَّفْعِ مِنْهُ.

[٢] قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ سَلِيمَانَ: سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ يَقُولُ: إِذَا مَرَضْتَ شَهْرًا أَوْ شَهْرَيْنِ، تَبَيَّنَ عَلَيَّ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ، وَأَمَّا الْحَدِيثُ، فَإِذَا تَرَكْتُ أَيَّامًا تَبَيَّنَ عَلَيْكَ، فَهَذَا الشَّأْنُ يَحْتَاجُ أَنْ تَتَعَاهَدَهُ أَبَدًا.

قُلْتُ: يَعْجِبُنِي كَثِيرًا كَلَامُ أَبِي زُرْعَةَ فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، يَبِينُ عَلَيْهِ الْوَرَعَ وَالْمَخْبَرَةَ، بِخِلَافِ رَفِيقِهِ أَبِي حَاتِمٍ، فَإِنَّهُ جَرَّاحٌ.

[٣] مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْهَيْثَمِ الْفَسَوِيُّ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ حَمْدُونَ الْبَرْدَعِيَّ عَلَى أَبِي زُرْعَةَ، لِكِتَابَةِ الْحَدِيثِ، دَخَلَ، فَرَأَى فِي دَارِهِ أَوَانِيَّ وَفُرُشًا كَثِيرَةً، وَكَانَ ذَلِكَ لِأَخِيهِ، قَالَ: فَهَمَّ أَنْ يَرْجِعَ وَلَا يَكْتُبَ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ، رَأَى كَأَنَّهُ عَلَى شَطِّ بَرَكَةٍ، وَرَأَى ظِلَّ شَخْصٍ فِي الْمَاءِ، فَقَالَ: أَنْتَ الَّذِي زَهَدْتَ فِي أَبِي زُرْعَةَ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ كَانَ مِنَ الْأَبْدَالِ، فَلَمَّا مَاتَ أَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ أَبَا زُرْعَةَ.

[١] محمد بن إسحاق السَّراج، سمعت محمد بن مسلم بن وَارَةَ يقول: رأيت أبا زُرْعَةَ في المنام، فقلت له: ما حالك يا أبا زُرْعَةَ؟ قال: أحمد الله على أحواله كُلِّها، إني حَضَرْتُ، فوقفت بين يدي الله تعالى، فقال: يا عُبيدُ الله! لم تَذَرَعْتَ القول في عبادي؟ قلت: يا رب! إنهم حاولوا دينك. قال: صدقت. ثم أُتِيَ بطاهر الخُلُقاني، فاستَعْدَيْتُ عليه إلى ربِّي تعالى، فَضْرِبَ الحَدَّ مئةً، ثم أَمَرَ به إلى الحبس، ثم قال: ألحقوا عُبيدَ الله بأصحابه: أبي عبدالله، وأبي عبدالله، وأبي عبدالله: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل. قلت: إسنادها كالشمس.

٥٥١ أبو يزيد البسطامي^(١)

[٢] سُلطان العارفين، أبو يزيد، طَيْفُور بن عيسى بن شَرْوَسَانَ البِسطَامِي، أحد الزُّهاد، أخو الزَّاهِدَيْنِ: آدم وعلي، وكان جدهم شَرْوَسَانَ مجوسِيًّا، فأسلم. وَقُلَّ ما روى، وله كلام نافع.

[٣] عنه، قال: ما وجدتُ شيئاً أشدَّ علي من العِلْمِ ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لبقيت حائراً.^(٢)

[٤] وعنه قال: هذا فرحي بك وأنا أخافك، فكيف فرحي بك إذا أَمِنْتُكَ؟ ليس العَجَبُ من حبي لك، وأنا عبدٌ فقير، إنما العَجَبُ من حُبِّك لي، وأنت ملكٌ قدير.

[٥] وعنه - وقيل: إنك تَمُرُّ في الهواء - فقال: وأيُّ أعجوبة في هذا؟ وهذا طير يأكل الميتة، يَمُرُّ في الهواء.^(٣)

(١) انظر السير: ١٣ / ٨٩-٨٦.

(٢) حلية الأولياء: ٣٦/١٠. وتتمة الخبر: «اختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد».

(٣) انظر حلية الأولياء: ٣٥/١٠. وتتمة الخبر فيه: (والمؤمن أشرف من الطير).

[١] وعنه: ما دام العبدُ يظن أن في الناس من هو شرُّ منه، فهو متكبر.

[٢] وقال: ما ذكروا مولاهم إلا بالغفلة، ولا خدموه إلا بالفترة.

[٣] وقال: لله خلقٌ كثيرٌ يمشون على الماء، لا قيمةٌ لهم عند الله، ولو نظرتم إلى من أعطي من الكرامات حتى يطير، فلا تَغْتَرُّوا به حتى تروا كيف هو عند الأمر والنهي، وحِفْظِ الحدود والشرع. وله هكذا نَكْتُ مليحة.

[٤] وجاء عنه أشياء مشككة لا مَسَاحَ لَهَا، الشأنُ في ثبوتها عنه، أو أنه قالها في حال الدهشة والسكر^(١) والغيبة والمحو، فيطوى، ولا يُحْتَجُّ بها، إذ ظاهرها إلحاد، مثل: سبحاني، وما في الجُبة إلا الله. ما النارُ؟ لأَسْتَنْدُ إليها غداً، وأقول: اجعلني فداءً لأهلها، وإلا بلعثها. ما الجنة؟ لعبة صبيان، ومراد أهل الدنيا. ما المحدثون؟ إن خاطبهم رجلٌ عن رجلٍ، فقد خاطبنا القلبَ عن الربِّ.

وقال في اليهود: ما هؤلاء؟ هبهم لي، أي شيء هؤلاء حتى تُعَذِّبهم؟ قال السُّلَمي في «تاريخ الصوفية»: توفي أبويزيد عن ثلاث وسبعين سنة، وله كلام حسن في المعاملات.

[٥] ثم قال: ويحكى عنه في الشُّطْح أشياء، منها مالا يصحُّ، أو يكون مقولاً عليه، وكان يرجع إلى أحوال سَنِيَّةٍ، ثم ساق بإسناد له، عن أبي يزيد، قال: من نظر إلى شَاهِدِي بعين الاضطراب، وإلى أوقاتي بعين الاغتراب، وإلى أحوالي بعين الاستدراج، وإلى كلامي بعين الافتراء، وإلى عباراتي بعين الاجتراء، وإلى نفسي بعين الازدراء، فقد أخطأ النظرَ فيّ.

[٦] وعنه قال: لو صَفَا لي تَهْلِيلَةٌ ما باليتُ بعدها.

توفي أبويزيد بِسَطَّام، سنة إحدي وستين ومئتين.

(١) المقصود بالسكر هنا: الشوق والوله بالله تعالى.

الطبقة الخامسة عشرة

٥٥٢ أحمد بن طولون^(١)

التركي، صاحب مصر، أبو العباس.

ولد بسامراء، وقيل: بل تبنّاه الأمير طولون. وطولون قدّمه صاحب ما وراء النهر إلى المأمون، في عدة ممالك، سنة مئتين، فعاش طولون إلى سنة أربعين ومئتين. فأجاد ابنه أحمد حفظ القرآن، وطلب العلم، وتنقلت به الأحوال، وتأمر، ووليّ ثغور الشام، ثم إمرة دمشق، ثم وليّ الديار المصرية في سنة أربع وخمسين، وله إذ ذاك أربعون سنة.

وكان بطلا شجاعا، مقداما مهيّبا، سائسا، جوادا، مُمدّحا، من دهاة الملوك.

[١] قيل: كانت مؤنته في اليوم ألف دينار، وكان يرجع إلى عدل وبذل، لكنه جبّار، سفاك للدماء.

[٢] قال القضاعي: أحصي من قتله صبّرا، أو مات في سجنه، فبلغوا ثمانية عشر ألفا.

وأنشأ بظاهر مصر جامعا، غرم عليه مئة ألف دينار، وكان جيّد الإسلام، معظّما للشعائر.

[٣] عن محمد بن علي المادرائي قال: كنت أجتاز بقبر ابن طولون، فأرى شيخا ملازما له، ثم لم أره مدة، ثم رأيته، فسألته، فقال: كان له عليّ أيادٍ، فأحببت أن أصِلّه بالتلاوة. قال: فرأيت في النوم يقول: أحب أن لا تقرأ عندي، فما تمّ

(١) انظر السير: ٩٤-٩٦.

بِي آيَةٍ إِلَّا قُرْعَتْ بِهَا، وَيَقَالُ لِي: أَمَا سَمِعْتَ هَذِهِ؟.

توفي أحمد بمصر سنة سبعين ومئتين.

وقام بعده ابنه خمارويه، ثم جيش بن خمارويه، ثم أخوه هارون.

٥٥٣ داود بن علي^(١)

[١] ابن خلف، الإمام، البحر، الحافظ، عالم الوقت، أبو سليمان البغدادي، المعروف بالأصبهاني، مولى أمير المؤمنين المهدي، رئيس أهل الظاهر. مولده سنة مئتين.

قال أبو بكر الخطيب: صنف الكتب، وكان إماماً ورعاً ناسكاً زاهداً، وفي كتبه حديث كثير، لكن الرواية عنه عزيزة جداً.

قال عمر بن محمد بن بجير الحافظ: سمعت داود بن علي يقول: دخلت على إسحاق وهو يحتجم، فجلست، فرأيت كتب الشافعي، فأخذت أنظر، فصاح بي إسحاق: أَيْشَ تَنْظُرُ؟ فقلت: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجْدِنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾ [يوسف: ٧٩]. قال: فجعل يضحك، أو يبتسم.^(٢)

[٢] قال أحمد بن كامل القاضي: أخبرني أبو عبد الله الوراق: أنه كان يُورق على داود بن علي، وأنه سمعه يُسأل عن القرآن، فقال: أما الذي في اللوح المحفوظ: فغير مخلوق، وأما الذي هو بين الناس: فمخلوق.

[٣] والخوض في هذا خطر. نسأل الله السلامة في الدين. وفي المسألة بحوث طويلة، الكف عنها أولى، ولا سيما في هذه الأزمنة المُرَمَّة.

(١) انظر السير: ١٣ / ١٠٨٩٧.

(٢) طبقات السبكي: ٢٨٥/٢. وقد قال هذا لأن داود كان في أول أمره من المتعصبين للشافعي، الأخذين بأقواله.

[١] قلت: للعلماء قولان في الاعتداد بخلاف داود وأتباعه: فمن اعتدَّ بخلافهم، قال: ما اعتدنا بخلافهم لأن مفرداتهم حُجَّة، بل لَتُحَكِّي في الجملة، وبعضها سائغٌ، وبعضها قويٌّ وبعضها ساقط، ثم ما تفردوا به هو شيء من قبيل مخالفة الإجماع الظُّني، وتندر مخالفتهم لإجماعٍ قطعي. ومن أهدرهم، ولم يعتد بهم، لم يعدَّهم في مسائلهم المفردة خارجين بها من الدين، ولا كفرهم بها، بل يقول: هؤلاء في حيزِ العَوَامِّ، أو هم كالشَّيعة في الفروع، ولا نلتفتُ إلى أقوالهم، ولا نَنصِبُ معهم الخلاف، ولا يُعْتَنَى بتحصيل كتبهم، ولا ندلَّ مستفتيا من العامة عليهم. وإذا تظاهروا بمسألة معلومة البطلان، كمسح الرجلين، أدبناهم، وعزَّزناهم، وألزمناهم بالغسل جزما.

قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفَرَيَّيني: قال الجمهور: إنهم - يعني نفاة القياس - لا يبلغون رتبة الاجتهاد، ولا يجوز تقليدُهم القضاء.

وقال إمام الحرمين أبو المعالي: الذي ذهب إليه أهل التحقيق: أن منكري القياس لا يُعدُّون من علماء الأمة، ولا من حملة الشريعة، لأنهم معاندون، مباحثون فيما ثبت استفاضته وتواترا، لأن مُعْظَمَ الشريعة صادرٌ عن الاجتهاد، ولا تفي النصوص بعشر معشارها، وهؤلاء مُلتَحِقُونَ بالعوام.

قلت: هذا القول من أبي المعالي أداه إليه اجتهاده، وهم فأداهم اجتهادهم إلى نفي القول بالقياس، فكيف يُردُّ الاجتهادُ بمثله، ونُدري بالضرورة أن داود كان يُقرِّى مذهبه، وينظر عليه، ويفتي به في مثل بغداد، وكثرة الأئمة بها وبغيرها، فلم نرهم قاموا عليه، ولا أنكروا فتاويه ولا تدريسه، ولا سعوا في منعه من بثِّه، وبالحضرة مثل إسماعيل القاضي، شيخ المالكية، وعثمان بن بشَّار الأنطاقي، شيخ الشافعية، والمروزي شيخ الحنبلية، وابني الإمام أحمد، وأبي العباس أحمد بن محمد البرتري، شيخ الحنفية، وأحمد بن أبي عمران القاضي، ومثل عالم بغداد إبراهيم الحربي. بل سكتوا له، حتى لقد قال قاسم

ابن أصبغ: ذاكرت الطبري - يعني ابن جرير - وابن سُرَّج، فقلت لهما: كتاب ابن قُتَيْبَةَ في الفقه أين هو عندكما؟ قالوا: ليس بشيء، ولا كتاب أبي عُبَيْد، فإذا أردت الفقه فكتب الشافعي، وداود ونُظَرائهما.

ثم كان بعده ابنه أبوبكر، وابن المُغَلَّس، وعدة من تلامذة داود، وعلى أكتافهم مثل: ابن سُرَّج، شيخ الشافعية، وأبي بكر الخَلَّال، شيخ الحنبلية، وأبي الحسن الكَرْخي شيخ الحنفية، وكان أبو جعفر الطَّحَاوِيُّ بمصر. بل كانوا يتجالسون ويتناظرون، ويَبْرُزُ كل منهم بحججه، ولا يسعون بالداودية إلى السلطان. بل أبلغ من ذلك، ينصبون معهم الخلاف، في تصانيفهم قديما وحديثا، وبكل حال، فلهم أشياء أحسنوا فيها، ولهم مسائل مستهجنة، يُشَغَبُ عليهم بها، وإلى ذلك يشير الإمام أبو عمرو بن الصلاح، حيث يقول: الذي اختاره الأستاذ أبو منصور، وذكر أنه الصحيح من المذهب، أنه يُعْتَبَرُ خلاف داود. ثم قال ابن الصلاح: وهذا الذي استقر عليه الأمر آخرًا، كما هو الأغلب الأعرف من صَفْوِ الأئمة المتأخرين، الذين أوردوا مذهب داود في مصنفاتهم المشهورة، كالشيخ أبي حامد الإسفَرَايِينِي، والماورِدِي، والقاضي أبي الطيب، فلولا اعتدادهم به لما ذكروا مذهبه في مُصَنَّفَاتِهِم المشهورة.

قال: وأرى أن يُعْتَبَرَ قوله إلا فيما خالف فيه القياس الجلي، وما أجمع عليه القياسيون من أنواعه، أو بناه على أصوله التي قام الدليل القاطع على بطلانها، فاتفق من سواه إجماع منعقد، كقوله في التَّغُوط في الماء الرَّاكِد (١) وتلك المسائل الشنيعة، وقوله: لا ربا إلا في السُّتَةِ المنصوص عليها، فخلافه في هذا أو نحوه غير معتد به، لأنه مبني على ما يقطع ببطلانه.

(١) وهو قول ابن حزم، ونص كلامه في (المحلى): ١٣٥/١: (إلا أن البائل في الماء الراكد الذي لا يجري حرام عليه الوضوء بذلك الماء والاعتسال به لغرض أو لغيره، وحكمه التيمم إن لم يجد غيره... فلو أحدث في الماء أو بال خارجا منه ثم جرى البول فيه فهو طاهر يجوز الوضوء منه والغسل له ولغيره إلا أن يغير ذلك البول أو يحدث شيئا من أوصاف الماء فلا يجزىء حينئذ استعماله أصلا لا له ولا لغيره.

قلت: لا ريب أن كل مسألة انفرد بها، وقُطِعَ بطلان قوله فيها، فإنها هَذَرٌ، وإنما نحكيها للتعجب، وكل مسألة له عَضْدُها نصٌّ، وسبقه إليها صاحب أو تابع، فهي من مسائل الخلاف، فلا تُهَذَرُ.

وفي الجملة، فداود بن عليّ بصيرٌ بالفقه، عالمٌ بالقرآن، حافظٌ للأثر، رأسٌ في معرفة الخلاف، من أوعية العلم، له ذكاءٌ خارقٌ، وفيه دينٌ متين. وكذلك في فقهاء الظاهرية جماعةٌ لهم عِلْمٌ باهر، وذكاءٌ قويٌّ، فالكمال عزيز، والله الموفق.

ونحن: فنحكي قولَ ابنِ عباسٍ في المُتعة، وفي الصَّرف،^(١) وفي إنكار العَوْل، وقول طائفة من الصحابة في ترك الغسل من الإيلاج^(٢)، وأشباه ذلك، ولا نجوز لأحد تقليدهم في ذلك.

فأمَّا ابنُه: مات داود في شهر رمضان سنة سبعين ومئتين.

٥٥٤ محمد بن داود^(٣)

[١] ابنِ عليّ الظَّاهري: العلامة، البارع، ذو الفنون، أبوبكر. فكان أحد من يضرب المثلُ بذكائه، وهو مصنف كتاب: «الزهرة» في الآداب والشعر. وله كتاب في الفرائض، وغير ذلك. وله بَصَرٌ تامٌّ بالحديث، وبأقوال الصحابة، وكان يجتهد ولا يُقلِّدُ أحداً.

ومات قبل الكهولة، وقَلَّ ما روى.

تصدَّر للفتيا بعد والده، وكان يناظر أبا العباس بن سُرَّيج، ولا يكاد يَنْقَطِعُ

معه.

[٢] قال القاضي أبو الحسن الدَّاوودي: لما جلس أبوبكر بن داود للفتوى بعد

(١) انظر صحيح مسلم: رقم (٥٩٦) (١٠٢)، وشرح السنة: ٨ / ٦٠-٦١.

(٢) انظر شرح السنة: ٢ / ٧٥.

(٣) انظر السير: ١٣ / ١٠٩-١١٦.

والده استصغروه، فدسّوا عليه من سأله عن حدِّ السكر، ومتى يُعدُّ الإنسان سكران؟ فقال: إذا عَزَبَتْ (١) عنه الهموم، وباح بسرُّه المكتوم. فاستُحْسِن ذلك منه.

[١] قال أبو محمد بن حَزْم: كان ابنُ داود من أجملِ الناس، وأكرمهم خُلُقاً، وأبلغهم لساناً، وأنظفهم هيئة، مع الدِّين والوَرع، وكل خَلَّة مَحمودة، مُحبباً إلى الناس، حفظ القرآن وله سبعُ سنين، وذاكر الرجال بالأدب والشعر وله عشرُ سنين، وكان يُشاهد في مجلسه أربعُ مئة صاحبِ مَحبرة. عاش ثلاثاً وأربعين سنة. قال: ومات سنة سبع وتسعين ومئتين.

[٢] وقيل كان ابن داود خَصْماً لابن سُرَيْج في المناظرة، كانا يتراذآن في الكتب، فلما بلغ ابن سُرَيْج موتُ محمد بن داود، حزن له، وَنَحَى مَخادَهُ، وجلس للتَّغْزِيَةِ، وقال: ما آسى إلا على تراب يأكل لسان محمد بن داود.

قال أبو إسحاق - رحمه الله -: وأما داود: فقام بنقل فقهه جماعةً من أصحابه، منهم: ابنه أبو بكر محمد، وكان فقيهاً أديباً شاعراً ظريفاً، وكان يناظر إمامَ أصحابنا، أبا العباس بن سُرَيْج، وخَلَف أباه في حَلَقَتِهِ . . . وسمعت شيخنا القاضي أبا الطيب الطبري يقول: سمعت أبا العباس الخُضْري قال:

[٣] كنت جالساً عند أبي بكر محمد بن داود، فجاءته امرأة، فقالت: ما تقول في رجل له زوجة، لا هو يمسكها، ولا هو يطلقها؟ فقال أبو بكر: اختلف في ذلك أهل العلم، فقال قائلون: يُؤمر بالصبر والاحتساب، وتَبَعْتُ على الطَّلَب والاكْتِسَاب. وقال قائلون: يُؤمر بالإنفاق، وإلا حُمِلَ على الطلاق. فلم تفهم المرأة قوله، فأعادت سؤالها عليه، فقال: يا هذه قد أَجَبْتُكَ . . . ولستُ بِسُلْطان فأمضي، ولا قاضٍ فاقضي، ولا زَوْجٍ فَرُضيد فأنصِرْني.

(١) عَزَبَ: بَعُدَ وَغَابَ.

[١] الشَّريف، أبو القاسم، محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب، العلوي الحسيني.

[٢] خاتمة الاثني عشر سيِّدا، الذين تدَّعي الإمامية عصمتهم - ولا عصمة إلاَّ لِنبيٍّ - ومحمد هذا هو الذي يزعمون أنه الخلف الحجة، وأنه صاحب الزَّمان، وأنه صاحب السُّردابِ بِسامراء، وأنه حيٌّ لا يَموتُ، حتَّى يخرجَ، فيملأ الأرض عدلا وقسطا، كما ملئت ظلما وجورا. فوددنا ذلك - والله - وهم في انتظاره من أربع مئة وسبعين سنة، ومن أحالك على غائبٍ لم يُصِفْكَ، فكيف بمن أحال على مُستحيل؟! والإِنصافُ عزيزٌ. فنَعُوذُ بالله من الجَهْل والهوى.

[٣] فمولانا الإمام عليّ: من الخلفاء الراشدين، المشهود لهم بالجنة - رضي الله عنه - نُحِبُّه أَشَدَّ الحُبِّ، ولا ندَّعي عِصْمَتَهُ، ولا عصمة أبي بكر الصِّديق. وابناه الحسن والحسين: فَسَبَطَا رسول الله صلى الله عليه وسلم - وسيِّدا شَبَابِ أَهْلِ الجنة ولو استخلفا لكانا أهلا لذلك. وزين العابدين: كبيرُ القَدْرِ، من سادة العلماء العاملين، يصلح للإمامة، وله نُظراء، وغيره أكثر فتوى منه، وأكثر رواية. وكذلك ابنه أبو جعفر الباقر: سيِّدٌ، إمام، فقيه، يصلح للخلافة. وكذا ولده جعفر الصادق: كبير الشأن، من أئمة العلم، كان أولى بالأمر من أبي جعفر المنصور. وكان ولده موسى: كبير القدر، جيّد العلم، أولى بالخلافة من هارون، وله نُظراء في الشرف والفضل. وابنه علي بن موسى الرضا: كبير الشأن، له علمٌ وبيانٌ، ووقع في النفوس، صيره المأمون وليَّ عَهْدِهِ لجلالته، فتوفي سنة ثلاث ومئتين. وابنه محمد الجواد: من سادة قومه، لم يبلغ رتبة آبائه

(١) انظر السير: ١٣ / ١١٩-١٢٢.

في العلم والفقه. وكذلك ولده الملقب بالهادي: شريف جليل. وكذلك ابنه الحسن بن علي العسكري. رحمهم الله تعالى.

فأما محمد بن الحسن هذا: فنقل أبو محمد بن حزم: أن الحسن مات من غير عقب. قال: وثبت جمهور الرافضة على أن للحسن ابناً أخفاه.

وممن قال: إن الحسن العسكري لم يعقب: محمد بن جرير الطبري، ويحيى بن صاعد، وناهيك بهما معرفة وثقة.

٥٥٦ الخبيث^(١)

[١] هو طاغية الزنج، علي بن محمد بن عبد الرحمن العبدي، من عبد القيس. افتري، وزعم أنه ولد زيد بن علي العلوي، وكان منجماً طرقياً ذكياً، حرورياً^(٢) ماكراً، داهية منحلاً، على رأي فجرة الخوارج، يتستر بالانتماء إليهم، وإلا فالرجل ذهري فيلسوف زنديق. ظهر بالبصرة، واستغوى عبيد الناس وأوباشهم، فتجمع له كل لص ومريب، وكثروا، فشد بهم على أهل البصرة، وتم له ذلك، واستباحوا البلد، واسترقوا الذرية، وملكوا، فانتدب لحربهم عسكر المعتمد، فالتقى الفريقان، وانتصر الخبيث، واستفحل بلاؤه، وطوى البلاد، وأباد العباد، وكاد أن يملك بغداد، وجرت بينه وبين الجيش عدة مصافات، وأنشأ مدينة سماها: المختارة، في غاية الحصانة، وزاد جيشه على مئة ألف، ولولا زندقته ومروقه لاستولى على الممالك.

قال نفطويه: كان أولاً بواسط، وربما كتب العوذ، فأخذه محمد بن أبي عون، فحبسه، ثم أطلقه، فما لبث أن خرج واستغوى الزنج - يعني: عبيد

(١) انظر السير: ١٣ / ١٢٩-١٣٦.

(٢) نسبة إلى الحرورية: وهم الخوارج الذين خالفوا علياً رضي الله عنه - بعد رجوعه من صفين إلى الكوفة، إذ انحازوا إلى «حروراء» موضع بظاهر الكوفة، وكان أول اجتماعهم به، فسموا «الحرورية».

الناس والذين يَكْسَحُونَ وَيَزْبِلُونَ^(١) - فصار من أمره ما صار، وخافته الخلفاء، ثم أظفرهم الله به بعد حروب تشيب النواصي.

وقتل والله الحمد في سنة سبعين ومئتين، وله ثمان وأربعون سنة. ولو أفردت أخباره ووقائعہ لبلغت مجلدا. وكان مُفْرِطَ الشجاعة، جريًا داهية. [١] رُئي أبوه أنه بال في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بولة أحرقت نصف الدنيا.

وكانت أم الخبيث تقول: لم يدع ابني أحدا عنده علم بالرِّيِّ حتى خالطهم، ثم خرج إلى خراسان، فغاب عني ستين، وجاء، ثم غاب عني غيبته التي خرج فيها، فورد عليّ كتابه من البصرة، وبعث إليّ بمال، فلم أقبله، لما صح عندي من سَفْكه للدماء، وخرابه للمدن.

قلت: وكان أبوه داهية شيطانا كَوَلِّده. فقال عليّ: مرضت وأنا غلام، فجلس أبي يعودني، وقال لأمي: ما خبره؟ قالت: يموت. قال: فإذا مات، من يَخْرِبُ البصرة؟ قال: فبقي ذاك في قلبي.

[٢] قلت: بعد مصرع المتوكل وابنه، وأولئك الخلفاء المستضعفين المقتولين، نقص أمر الخلافة جدا، وطمع كل شيطان في التوثب، وخرج الصُّفَّار بخراسان، واتسعت ممالكه، وخرج هذا الخبيث بالبصرة، وفعل ما فعل. وهاجت الروم، وعَظُمَ الخَطْبُ.

[٣] ثم بعد سنوات ثارت القرامطة والأعراب، وظهر بالمغرب عُبيدُ الله، الملقب بالمهدي، وتملك. ثم دامت الدولة في ذرية الباطنية إلى نور الدين، رحمه الله.

[٤] فادّعى بعد الخمسين هذا الخبيث بِهَجَرَ^(٢) أنه علي بن محمد بن الفضل بن حسين بن عبد الله بن عباس بن علي بن أبي طالب. ودعا إلى نفسه، فمال إليه

(١) الكَسْحُ: الكنس. والكساحة: الكناسة. ويزبلون. أي: يصلحون الأرض بالزبل.

(٢) هجر: مدينة في البحرين.

رئيس هَجَرَ، ونابذَه قوم، فاقتتلوا، فتحول إلى الأحساء، واعتصم بيني الشَّمَّاس، وإنما قصد البحرين لغباوة أهلها، ورواج المخاريق عليهم، فحل منهم محل نبيّ، وصدقوه بِمَرَّةٍ، ثم تنكروا له لدبره، فَشَخَّصَ إلى البادية يستغوى الأعراب بنفوذ حيله، وشَعَوَذته، واعتقدوا فيه أنه يعلم منطق الطير، وجعل يُغير على النواحي، ثم تَمَّت له وقعة كبيرة، هُزِمَ فيها وقتل كُبراءُ أتباعه، وكرهته العرب.

[١] وذهب إلى بغداد فأقام سنة يستغوى الناس ويُضِلُّهم، فاستمال عدَّة من الحاكة بمخاريقه، والجهلة أسبق شيء إلى أرباب الأحوال الشيطانية، ومات مُتَوَلِّي البصرة، وهاجت الأعراب بها، وفتحوا السجون، فتخلص قومه فبادر إلى البصرة في رمضان سنة خمس، وحوله جماعة، واستجاب له عبيدٌ زُئِج للناس، فأفسدهم وجسَّهم، عمد إلى جريدة، فكتب على خرقة عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ [التوبة: ١١١]. وكتب اسمه، وخرج بهم في السحر لليلتين بقيت من رمضان في ألف نفس، فخطبهم، وقال: أنتم الأمراء وستملكون.. ووعدهم، ومناهم.

ثم لم يزل ينهب ويغير، ويكثر جمعه من كل مائت^(١) وقاطع طريق، حتى استفحل أمره، وعظمت فنتته، وغنم الخيول والسلاح، والأمتعة والأموال والمواشي. وصار من الملوك... وصار كلما حاربه عسكر وانهزموا، فرَّ إليه غلمان العسكر. فحشد له أهل البصرة في ذي القعدة من العام، والتَّقَوَّا، فهزَمهم، وقتل منهم مَقْتَلَةً، ووقع رعبه في النفوس، فوجَّه الخليفة جيشاً، فما نفَعوا.

ثم أخذ الأهواز، فخافه أهل البصرة، وأنجَفَلوا، فأخذها بالسيف في شوال، سنة سبع وخمسين، وقت صلاة الجمعة، وهرب جُنْدُها فأحرق الجامع بمن حوى، ولم تزل الحرب بينه وبين الموفق سَجَلاً.

(١) مائت: حاقِد، والمائة: الحقد.

واستباح واسطَ في سنة أربع وستين، وحَصَلَ للخبيثِ جواهرُ وأموالٌ، فاستأثر بها، فأنكر عليه المُتَقَشِّفون من أصحابه، وذكروا له سيرةَ أبي بكر وعمر، فقال: ليسَ فيهما قُدوةٌ.

وآدعى أنه هو عبدالله المذكور في: ﴿قل أوحى﴾ [الجن: ١] وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم ما يمتازُ عليه إلا بالنبوة.

وزعم أنه تكلم في المَهْد، صيح به: يا علي! فقال: يا لَيْئِكَ.
وكان يجمع اليهود والنصارى، يسألهم عما في التَّوراة والإنجيل من ذكره، وهم يسخرون منه، ويقرؤون له فصولاً، فيدَّعي أنها فيه. وزاد من الإفك، فنفرت منه قلوبُ خلقٍ من أتباعه ومقتوه. وبقي المَوْفَّق يكرم كل من فرَّ إليه، ويخلعُ عليهم. وكتب إلى الخبيث يدعوه إلى التوبة من ادِّعاء مخاطبة الملائكة، ومن تحريفه القرآن وضلالته، فما أجاب بشيء، وحصَّن مدينته (المُختارة) التي بنَّهَرِ أبي الخَصِيب، حتى بقيت يُضرب بها المثل، ونصب فيها المجانيق والأسلحة بما بَهَّر العقول، وبها نحو مئتي ألف مُقَاتِل، فما قدر عليها الجَيْش إلا بالمطاولَة، وأنشأ تلقاءها الموفق مدينة وسكنها، ولم يزل إلى أن أخذ (المختارة) فهرب الخبيث إلى مضائق في نهر أبي الخصيب، لا تصل إليها سفينة ولا فارس، ثم برز في أبطاله، وقاتل أشد قتال، وهو يقول:

وعزيمتي مثلُ الحُسامِ، وهِمَّتِي نفسُ أُولُ بها كنفس القَسُورِ
وإذا تُنازَعُني أقولُ لها اسكُتي قَتْلُ يُرِيحُكِ أَوْ صُعُودُ المِنْبَرِ

٥٥٧ أبو حمزة البَغْدَادِي (١)

[١] شيخُ الشيوخ، أبو حمزة، محمد بن إبراهيم البغدادي الصُّوفي. جالس بِشراً الحافي، والإمام أحمد.

(١) انظر السير: ١٣ / ١٦٥-١٦٨.

[١] كان بصيرا بالقراءات. وكان كثير الرباط والغزو.

[٢] قال إبراهيم بن علي المُرَيْدِي: سمعت أبا حمزة يقول: من المُحَال أن تحبّه ثم لا تذكره، وأن تذكره ثم لا يوجدك طعم ذكره، ويشغلك بغيره.

[٣] قلت: ولأبي حمزة انحرافٌ وشطْحٌ له تأويل.

[٤] قال أبو نصر السَّراج، صاحب (اللمع): بلغني إنه دخل على الحارث المحاسبي، فصاحت شاة: ماع. فشَهَقَ، وقال: لَبَيْكَ لبيك يا سيّدي. فغضب الحارث، وأخذ السُّكين، وقال: إن لم تُتَبَّ أذهبكَ.

نقل الخطيب وفاته في سنة تسع وستين ومئتين.

وكذا ورّخه ابن الأعرابي، وقال: جاء من طَرُسُوس، فاجتمعوا عليه ببغداد، وما زال مَقْبُولًا، حضر جنازته أهلُ العلم والنُّسك، وغسله جماعة من بني هاشم، وقُدِّمَ الجُنَيْدُ في الصلاة عليه، فامتنع، فتقدّم ولده، وكنت بائنا في مسجده ليلة موته، فأخبرت أنه كان يتلو حزبه، حتى ختم تلك الليلة. وكان صاحبَ ليل، مقدّما في علم القرآن، وخاصة في قراءة أبي عمرو، وحملها عنه جماعة. وكان سبب علته أن الناس كثروا، فأتني بكرسي، فجلس، ومر في كلامه شيء أعجبه، فردده وأغمي عليه، فسَقَطَ، وقد كان هذا يصيبه كثيرا، فانصرف بين اثنين يوم الجمعة، فتعلّل ودفن في الجمعة الثانية بعد الصلاة، [٥] وهو أول من تكلم في صفاء الذكر، وجمع الهمّ والمحبة، والشوق، والقرب والأنس على رؤوس الناس، وهو مولى لعيسى بن أبان القاضي، وقد سمعته غير مرة يقول: قال لي أحمد بن حنبل: يا صوفي! ما تقول في هذه المسألة.

٥٥٨ الفَسَوِي (ت، س) (١)

[٦] الإمام، الحافظ، الحجة، الرَّحَّال، محدث إقليم فارس، أبو يوسف، يعقوب ابن سفيان بن جُوان الفارسي، من أهل مدينة فَسَا. مولده في حدود عام تسعين

(١) انظر السير: ١٣ / ١٨٠ - ١٨٤.

ومئة .

[١] وروى عن الحافظ أبي عبد الرحمن النُّهَّاءُ نَدِي، أنه سمع الفَسَوِيَّ يقول: كتبت عن ألف شيخ وكسر كلهم ثقات .

قلت: ليس في مشيخته إلا نحو من ثلاثِ مئةِ شيخٍ ، فأين الباقي؟ ثم في المذكورين جماعة قد ضُعُفُوا .

[٢] قال الحافظ أبو إسحاق بن حمزة: سمعت أبي يقول: كنت رحلت إلى يعقوب ابن سفيان، فبقيت عنده ستة أشهر، فقلت له: طال مقامي عندك، ولي والدته . فقال: رددت الباب على والدتي ثلاثين سنة .

[٣] وعن محمد بن القاسم بن بشر: سمعت محمد بن يزيد الفَسَوِيَّ العَطَّار، سمعت يعقوب بن سفيان يقول: كنت في رحلتي في طلب الحديث، فدخلت إلى بعض المدن، فصادفت بها شيخا، احتجت إلى الإقامة عليه للاستئجار عنه، وقلت نفقتي، وبعُدْتُ عن بلدي، فكنت أدمن الكتابة ليلا، وأقرأ عليه نهارا، فلما كان ذات ليلة، كنت جالسا أنسخ، وقد تصرَّم الليل، فنزل الماء في عيني، فلم أبصر السَّراجَ ولا البيتَ، فبكيتُ على انقطاعي، وعلى ما يفوتني من العلم، فاشتد بكائي حتى اتكأت على جَنَبي، فَنِمْتُ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فناداني: يا يعقوب بن سفيان! لِمَ أنت بكيت؟ فقلت: يارسول الله! ذهب بصري، فتحسرت على ما فاتني من كُتُبِ سُنَّتِكَ، وعلى الانقطاع عن بلدي . فقال: أَدُنْ مني . فدنوتُ منه، فأمرَّ يده على عيني، كأنه يقرأ عليهما . قال: ثم استيقظت فأبصرت، وأخذت نسخي وقعدت في السَّراج أكتب .

مات يعقوب بن سفيان بفسا سنة سبع وسبعين ومئتين .

[١] سليمان بن الأشعث. الإمام، شيخ السُّنة، مُقدِّم الحفاظ، أبوداود، الأزديّ السُّجِسْتَانِي، محدِّث البصرة.

ولد سنة اثنتين ومئتين، ورحل، وَجَمَعَ، وَصَنَّفَ، وَبَرَعَ في هذا الشأن. وسكن البصرة بعد هلاك الخبيث طاغية الزُّنَج، فنشر بها العلم، وكان يتردد إلى بغداد.

[٢] وقال أبوبكر بن دَاسَة: سمعت أبا داود يقول: كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسَ مئة ألفِ حديث، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب - يعني كتاب «السنن» -، جمعت فيه أربعة آلاف حديث وثمان مئة حديث، ذكرت الصحيح، وما يشبهه ويقاربه، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث، أحدها: قوله صلى الله عليه وسلم: «الأعمال بالنيات» والثاني: «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه». والثالث: قوله: «لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه». والرابع: «الحلال بين».. الحديث.

قوله: يكفي الإنسان لدينه، ممنوع، بل يحتاج المسلم إلى عدد كثير من السنن الصحيحة مع القرآن.

قال أبوبكر الخَلَّال: أبوداود الإمام المقدم في زمانه، رجل لم يسبقه إلى معرفته بتخريج العلوم، وبصره بمواضعه أحد في زمانه، رجل ورعٌ مقدَّم، سمع منه أحمد بن حنبل حديثا واحدا.

وقال أبوبكر محمد بن إسحاق الصَّاعِغاني، وإبراهيم الحربي لما صَنَّف أبوداود كتاب «السنن»: أَلَيْنَ لأبي داود الحديث، كما أَلَيْنَ لداود، عليه السَّلام، الحديثُ.

(١) انظر السير: ٢٠٣-٢٢١.

[١] وقال الحافظ موسى بن هارون: خُلِقَ أبوداود في الدنيا للحديث، وفي الآخرة للجنة.

[٢] قال القاضي الخليل بن أحمد السَّجْزِي: سمعت أحمد بن محمد بن الليث قاضي بلدنا يقول: جاء سهل بن عبد الله التُّسْتَرِي إلى أبي داود السَّجِسْتَانِي، فقبل: يا أبا داود: هذا سهل بن عبد الله جاءك زائراً فرحّب به، وأجلسه، فقال سهل: يا أباداد! لي إليك حاجة. قال: وما هي؟ قال: حتّى تقول: قد قضيتها مع الإمكان. قال: نعم. قال: أخرج إليّ لسانك الذي تحدث به أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبله. فأخرج إليه لسانه فقبله.

قال ابن دَاسَة: سمعت أباداد يقول: ذكرت في «السنن» الصحيح وما يقاربه، فإن كان فيه وهن شديد بَيَّنَّته.

قلت: فقد وقى - رحمه الله - بذلك بحسب اجتهاده، وبَيَّنَّ ما ضَعُفهُ شديد، ووهنه غير محتمل وكاسر^(١) عن ما ضَعُفهُ خفيفٌ مُحتمل، فلا يلزم من سُكوته - والحالة هذه - عن الحديث أن يكونَ حَسَنًا عنده، ولا سَيِّئًا إذا حَكَمْنَا على حَدِّ الحسن باصطلاحنا المولد الحادث، الذي هو في عرف السلف يعود إلى قسم من أقسام الصحيح، الذي يجب العملُ به عند جمهور العلماء، أو الذي يرغبُ عنه أبو عبد الله البخاري، ويُمَشِّيه مسلم، وبالعكس، فهو داخل في أداني مراتب الصُّحَّة، فإنَّه لو انْحَطَّ عن ذلك لخرج عن الاحتجاج، ولبقي مُتَجَاذِبًا بين الضعف والحسن، فكتاب أبي داود أعلى ما فيه من الثابت ما أخرجه الشيخان، وذلك نحو من شَطَر الكتاب، ثم يليه ما أخرجه أحدُ الشيخين، ورغب عنه الآخر، ثم يليه ما رَغِبَا عنه، وكان إسناده جيداً، سالماً من عِلَّةٍ وشُدُوذٍ، ثم يليه ما كان إسناده صالحاً، وقَبَلَهُ العلماءُ لمجيئه من وجهين لَيِّنِينَ فصاعداً، يَعْضُدُ كُلُّ إسنادهُ منهما الآخر، ثم يليه ما ضَعُفَ إسنادهُ لنقصِ حِفْظِ راويه، فمثل هذا يُمَشِّيه أبوداود، ويسكت عنه غالباً، ثم يليه ما كان بَيِّنَ الضُّعْفِ من جهة راويه،

(١) كسر من طرفه: غَضُّ.

فهذا لا يسكت عنه، بل يُوهنه غالباً، وقد يسكت عنه بحسب شهرته ونَكَارَتِهِ، والله أعلم.

قال الحافظ زكريا السَّاجِي: كتابُ الله أَصلُ الإسلام، وكتاب أبي داود عَهْدُ الإسلام.

قلت: كان أبوداود مع إمامته في الحديث وفنونه من كبار الفقهاء، فكتابه يدل على ذلك، وهو من نجباء أصحاب الإمام أَحْمَد، لازم مجلسه مدة، وسأله عن دِقاق المسائل في الفروع والأصول.

وكان على مذهب السلف في اتِّباع السنة والتسليم لها، وترك الخوض في مضائق الكلام.

[١] عن عَلْقَمَةَ، قال: كان عبدالله بن مسعود يُشَبَّه بالنبي صلى الله عليه وسلم في هَذِيهِ ودله. وكان عَلْقَمَةُ يُشَبَّه بعبدالله في ذلك.

قال جرير بن عبد الحميد: وكان إبراهيم النَّخَعِي يُشَبَّه بعلقمة في ذلك، وكان منصور يُشَبَّه بإبراهيم.

وقيل: كان سُفْيَانُ الثَّوْرِي يُشَبَّه بمنصور، وكان وَكِيع يُشَبَّه بسفيان، وكان أحمد يُشَبَّه بوكيع، وكان أبوداود يُشَبَّه بأحمد.

[٢] أبوبكر بن جابر خادم أبي داود - رحمه الله - قال: كنت مع أبي داود ببغداد، فصلَّيْنَا المغرب، فجاءه الأمير أبو أحمد المَوْفَّق - يعني ولي العهد - فدخل، ثم أقبل عليه أبوداود، فقال: ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت؟ قال: خِلَالُ ثلاث. قال: وما هي؟ قال: تنتقل إلى البصرة فتتخذها وطناً، ليرحل إليك طلبَةُ العلم، فَتَعْمُرَ بك، فإنها قد خربت، وانقطع عنها الناس، لِمَا جرى عليها من محنة الزَّنج. فقال: هذه واحدة. قال: وتُروى لأولادي «السنن». قال: نعم، هاتِ الثالثة. قال: وتفرد لهم مجلساً، فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة. قال: أما هذه فلا سبيل إليها، لأن الناس في العلم سواء.

قال ابن جابر: فكانوا يحضرون ويعقدون في كَمِّ حِيرِي، عليه سِتْر،

ويسمعون مع العامة.

[١] قال أبوداود في «سننه»: شَبَرْتُ قِثَاءَةً بِمِصْرَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَبْرًا، وَرَأَيْتُ أُتْرُجَةً عَلَى بَعِيرٍ، وَقَدْ قَطَعْتَ قِطْعَتَيْنِ، وَعُمِلَتْ مِثْلَ عِدْلَيْنِ.
توفي أبوداود سنة خمس وسبعين ومئتين.

٥٦٠ أبوبكر (١)

[٢] عبدالله بن سليمان بن الأشعث: الإمام العلامة الحافظ، شيخ بغداد، أبوبكر السجستاني، صاحب التصانيف. ولد بسجستان في سنة ثلاثين ومئتين. وكان من بحور العلم، بحيث إن بعضهم فضّله على أبيه.

[٣] وكان يقول: دخلت الكوفة ومعني درهم واحد، فأخذت به ثلاثين مدًا باقلاً^(٢)، فكنت آكل منه، وأكتب عن أبي سعيد الأشجّ، فما فرغ الباقلا حتى كتبت عنه ثلاثين ألف حديث، ما بين مقطوع ومُرسل.

[٤] قال أبوبكر بن شاذان: قدم أبوبكر بن أبي داود سجستان، فسأله أن يحدثهم، فقال: ما معي أصل. فقالوا: ابن أبي داود وأصل؟! قال: فأثاروني، فأملت عليهم من حفطي ثلاثين ألف حديث، فلما قدمت بغداد، قال البغداديون: مضى إلى سجستان ولعب بهم، ثم فَيَجُوا فَيَجَا^(٣) أكثره بسة دنانير إلى سجستان، ليكتب لهم النسخة، فكتب، وجيء بها، وعُرضت على الحفاظ، فخطّووني في ستة أحاديث، منها ثلاثة أحاديث حَدَّثْتُ بها كما حَدَّثْتُ، وثلاثة أخطأت فيها.

قال الحافظ أبو محمد الخلال: كان ابن أبي داود إمام أهل العراق، ومن

(١) انظر السير: ١٣ / ٢٢١-٢٣٧.

(٢) الباقلاء: باللهجة العراقية: الفول.

(٣) الفيج: الجملة من الناس.

نصب له السلطان المنبر، وقد كان في وقته بالعراق مشايخُ أُسْنَدُ منه، ولم يبلغوا في الآلة والإتقان ما بلغ هو.

[١] أبوحفص بن شاهين، قال: أَمَلَى عَلَيْنَا ابْنُ أَبِي دَاوُدَ سَنِينَ، وَمَا رَأَيْتُ بِيَدِهِ كِتَابًا، إِنَّمَا كَانَ يَمْلِكِي حِفْظًا، فَكَانَ يَقْعُدُ عَلَى الْمَنْبَرِ بَعْدَمَا عَمِيَ، وَيَقْعُدُ دُونَهُ بِدَرَجَةِ ابْنِهِ أَبُو مَعْمَرٍ - بِيَدِهِ كِتَابٌ - فَيَقُولُ لَهُ: حَدِيثُ كَذَا، فَيُسْرِدُهُ مِنْ حِفْظِهِ، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى الْمَجْلِسِ.

[٢] علي بن الحسين بن الجعيد، سمعت أبا داود يقول: ابني عبدالله كذاب. قال ابن صاعد: كفانا ما قال فيه أبوه.

قال الحافظ ابن عدي: كان في الابتداء ينسب إلى شيء من النُّصب،^(١) فنفاه ابن الفرات من بغداد إلى واسط، فردّه ابن عيسى، فحدّث، وأظهر فضائل عليّ ثم تَحَنَّبَ، فصار شيخاً فيهم.

قلت: كان شهما، قويّ النفس، وقع بينه وبين ابن جرير، وبين ابن صاعد.

[٣] قلت: لعل قولَ أبيه فيه - إن صحَّ - أراد الكذب في لهجته، لا في الحديث، فإنه حُجَّةٌ فيما ينقله، أو كان يكذب ويورّي في كلامه، ومن زعم أنه لا يكذب أبداً، فهو أرعن، نسأل الله السلامة من عثرة الشُّباب، ثم إنه شاخ وارعوى، ولزم الصدق والتقى.

[٤] قال محمد بن عبدالله بن الشُّخير: كان ابن أبي داود زاهداً ناسكاً، صلّى عليه يوم مات نحو من ثلاثة مئة ألف إنسان، وأكثر.

قال: ومات سنة ست عشرة وثلاث مئة، وخلف ثلاثة بنين، وخمس بنات، وعاش سبعة وثمانين سنة، وصُلِّيَ عليه ثمانين مرة.

[٥] قال أبو أحمد بن عدي: سمعت عليّ بن عبدالله الداهريّ يقول: سألت ابن

(١) النصب: أي بغضة علي رضي الله عنه، من نصب فلان لفلان نصباً، إذا قصد له، وعاداه، وتجرده له.

أبي داود عن حديث الطير^(١)، فقال: إن صح حديث الطير فنبوة النبي صلى الله عليه وسلم باطل، لأنه حكى عن حاحب النبي صلى الله عليه وسلم خيانة - يعني أنسا - وحاحب النبي لا يكون خائنا.

قلت: هذه عبارة رديئة، وكلام نحس، بل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حق قطعي، إن صح خبر الطير، وإن لم يصح، وما وجه الارتباط؟ هذا أنس قد خدّم النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يحتلم، وقبل جريان القلم، فيجوز أن تكون قصة الطائر في تلك المدة. فرضنا أنه كان محتلما، ما هو بمعصوم من الخيانة، بل فعل هذه الجناية الخفيفة متأولا، ثم إنه حبس عليا من الدخول كما قيل، فكان ماذا؟ والدعوة النبوية قد نفذت واستجيبت، فلو حبسه، أوردّه مرّات، ما بقي يتصور أن يدخل ويأكل مع المصطفى سواء، اللهم إلا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قصد بقوله: «إتيني بأحب خلقك إليك، يأكل معي» عددا من الخيار، يصدق على مجموعهم أنهم أحبّ الناس إلى الله، كما يصح قولنا: أحبّ الخلق إلى الله الصالحون، فيقال: فمن أحبهم إلى الله؟ فنقول: الصديقون والأنبياء. فيقال: فمن أحبّ الأنبياء كلّهم إلى الله؟ فنقول: محمد وإبراهيم وموسى، والخطب في ذلك يسير. وأبو لبابة - مع جلالته - بدت منه خيانة، حيث أشار لبني قريظة إلى حلقه، وتاب الله عليه. وحاطب بدت منه خيانة، فكاتب قريشا بأمر تخفى به نبي الله صلى الله عليه وسلم من غزوهم، وغفر الله لحاطب مع عظم فعله رضي الله عنه. وحديث الطير - على ضعفه

(١) وأخرجه الحاكم من طريق سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن أنس قال: كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدم له فرخ مشوي، فقال: اللهم اتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، فقلت: اجعله رجلا من أهلي الأنصار، فجاء علي، فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم على حاجة، ثم جاء، فقلت ذلك، فقال: اللهم اتني كذلك، فقلت ذلك، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افتح، فدخل فقال: ما حبسك يا علي؟ فقال: إنه هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قلت: أحببت أن يكون رجلا من قومي، فقال: إن الرجل محب قومه» وانظر أجوبة الحافظ ابن حجر على أحاديث وقعت في المصابيح ٣/٣١٣، ٣١٤ (والفوائد المجموعة) ص ٣٨٢. وسيذكر المصنف رأيه بعد قليل.

- فله طرق جَمَّة، وقد أفردتها في جُزء، ولم يَثْبُتْ، ولا أنا بالمعتقدِ بُطْلَانَه، وقد [١]أخطأ ابن أبي داود في عبارته وقوله، وله على خَطِّه أجر واحد، وليس من شرط الثقة أن لا يُخْطِئ ولا يَغْلَطَ ولا يَسْهُو. والرجل فمن كبار علماء الإسلام، ومن أوثق الحفاظ - رحمه الله تعالى - .

٥٦١ أبو حاتم الرّازي (د، س، ت)^(١)

[٢] محمد بن إدريس بن المنذر: الإمام، الحافظ، الناقد، شيخ المحدثين، الحَنْظَلِي الغَطَفَانِي، من تميم بن حَنْظَلَة بن يَرْبُوع. كان من بحور العلم، طُوف البلاد، وبرع في المتن والإسناد، وجمع وصنّف، وجَرَحَ وعدَّل، وصحَّحَ وعلَّل. مولده سنة خمس وتسعين ومئة. [٣] قال ابن أبي حاتم: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: أبو زُرْعَة وأبو حاتم إماما خراسان، ودعا لهما، وقال: بقاؤهما صلاح للمسلمين. [٤] وقال ابن أبي حاتم في أول كتاب «الجرح والتعديل» له: سمعت أبي يقول: أول سنة خرجت في طلب الحديث، أقمت سبع سنين، أحصيت ما مشيت على قَدَمَيَّ زيادةً على ألف فرسخ. قلت: مسافة ذلك نحو أربعة أشهر، سَيَر الجادة.

قال: ثم تركت العدد بعد ذلك، وخرجت من البَحْرَيْن إلى مِصْرَ ماشيا، ثم إلى الرَّمْلَة ماشيا، ثم إلى دمشق، ثم أنطاكية وطَرَسُوس، ثم رجعت إلى حِمَص، ثم إلى الرُّقَّة، ثم ركبت إلى العراق، كل هذا في سفري الأول وأنا ابن عشرين سنة.

[٥] سمعت أبي يقول: بقيت في سنة أربع عشرة ثمانية أشهر بالبصرة، وكان في نفسي أن أقيم سنة، فانقطعت نفقتي، فجعلت أبيع ثيابي حتى نفدت، وبقيت

(١) انظر السير: ١٣ / ٢٤٧-٢٦٣.

بلا نَفَقَة، ومضيت أطوفُ مع صديق لي إلى المَشِيخَة، وأسمع إلى المساء،
فانصرف رفيقي، ورجعت إلى بيتي، فجعلت أشرب الماء من الجوع، ثم
أصبحت، فغدا علي رفيقي، فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوع
شديد، وانصرفت جائعا، فلما كان من الغد، غَدَا عليّ، فقال: مُرُّ بنا إلى
المشايع.

قلت: أنا ضعيف لا يمكنني. قال: ما ضَعُفُك؟ قلت: لا أكتمك أمري،
قد مضى يومان ما طَعَمْتُ فيهما شيئا، فقال: قد بقي معي دينار، فنصفه لك،
ونجعل النصف الآخر في الكراء، فخرجنا من البصرة، وأخذت منه النصفَ
دينار.

[١] وسمعت أبي يقول: خرجنا من المدينة، من عند داود الجَعْفَرِي، وصِرنا إلى
الجَار وركبنا البحر، فكانت الرِّيحُ في وجوهنا، فبقينا في البحر ثلاثة أشهر،
وضاقت صدورنا، وفني ما كان معنا، وخرجنا إلى البر نمشي أياما، حتى فني
ما تبقى معنا من الزاد والماء، فمشينا يوما لم نأكلُ ولم نشرب، ويوم الثاني،
ويوم الثالث، فلما كان يكونُ المساء صَلِينَا، وكُنَّا نلقي بأنفُسِنَا حيث كنا، فلما
أصبحنا في اليوم الثالث، جعلنا نمشي على قَدَرِ طاقتنا، وكنا ثلاثة أنفس: شَيْخٌ
نَيْسَابُورِيٌّ، وأبوزهير المروُزْدِي، فسقط الشيخ مَغْشِيًا عليه، فجئنا نحركه وهو لا
يعقل، فتركناه، ومشينا قَدَرِ فرسخ، فضَعُفْتُ، وسقطت مَغْشِيًا عليّ، ومضى
صاحبي يمشي فبصر من بُعْد قوما، قربوا سَفِينَتَهُم من البر، ونزلوا على بئر
موسى، فلما عاينهم، لوح بثوبه إليهم، فجاءوه معهم ماء في إداوة^(١) فسَقَوْه
وأخذوا بيده، فقال لهم: ألحقوا رفيقين لي، فما شعرتُ إلا برجل يصب الماء
على وجهي، ففتحت عيني، فقلت: اسقني، فصب من الماء في مشربة قليلا،
فشربت، ورجعتُ إليّ نَفْسِي، ثم سقاني قليلا، وأخذ بيدي، فقلت: ورائي

(١) الإداوة: المطهرة: وهي إناء صغير يحمل فيه الماء.

شيخ ملقى، فذهب جماعة إليه، وأخذ بيدي، وأنا أمشي وأَجْرُ رَجُلِي، حتى إذا بلغتُ إلى عند سفيتتهم، وأتوا بالشيخ، وأحسنوا إلينا، فبقينا أياما حتى رجعت إلينا أنفسنا، ثم كتبوا لنا كتابا إلى مدينة يقال لها: راية،^(١) إلى واليهم، وزودونا من الكعك والسويق والماء. فلم نزل نمشي حتى نَقَدَ ما كان معنا من الماء والقوت، فجعلنا نمشي جياعا على شط البحر، حتى دفعنا إلى سلحفاة مثل التُّرس، فعمدنا إلى حجر كبير، فضربنا على ظهرها، فانفلق، فإذا فيها مثل صُفْرَةِ البيض، فَتَحَسَّينَاهُ حتى سكن عنا الجوع، ثم وصلنا إلى مدينة الرّاية، وأوصلنا الكتاب إلى عاملها، فأنزلنا في داره، فكان يقدم لنا كل يوم القُرْع، ويقول لخادمه: هاتي لهم اليَقطين المبارك. فَيَقْدُمُهُ مع الخبز أياما، فقال واحد منا: ألا تدعو باللحم المشؤوم؟! فسمع صاحب الدار، وأتانا بعد ذلك باللحم، ثم زوّدنا إلى مصر.

[١] وقال الحافظ أبو القاسم اللالكائي: وجدت في كتاب أبي حاتم محمد بن إدريس الحنظلي، مما سمع منه، يقول: مذهبنا واختيارنا اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين، والتمسك بمذاهب أهل الأثر، مثل الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبي عبيد، ولزوم الكتاب والسنة، ونعتقد أن الله - عز وجل - على عرشه ﴿ليس كمثله شيء﴾ وهو السميع البصير [الشورى: ١١]. وأن الإيمان يزيد وينقص، ونؤمن بعذاب القبر، وبالحوض، وبالمسألة في القبر، وبالشفاعة، ونترحم على جميع الصحابة.. وذكر أشياء.

[٢] إذا وثق أبوحاتم رجلا فتمسك بقوله، فإنه لا يوثق إلا رجلا صحيح الحديث، وإذا كُيِّن رجلا، أو قال فيه: لا يحتج به. فتوقف حتى ترى ما قال غيره فيه، فإن وثقه أحد، فلا تَبْنِ على تجريح أبي حاتم، فإنه متعنّت في الرجال، قد قال في طائفة من رجال (الصُّحاح): ليس بحجة، ليس بقوي، أو نحو ذلك.

(١) راية: محلة عظيمة بفسطاط مصر وهي المحلة التي في وسطها جامع عمرو بن العاص.

مات الحافظ أبوحاتم سنة سبع وسبعين ومئتين . وقيل : عاش ثلاثاً وثمانين سنة .

[١] ولأبي محمد الإيادي الشاعر مرثية طويلة في أبي حاتم، رواها عنه ابن أبي حاتم، أولها:

أَنْفَسِي مَالِكٍ لَا تَجْزَعِينَا وَعَيْنِي مَالِكٍ لَا تَذَمِّعِينَا
أَلَمْ تَسْمَعِي بِكُسُوفِ الْعُلُوِّ مَ مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ مُحَقًّا، مَدِينَا
أَلَمْ تَسْمَعِي خَبَرَ الْمُرتَضَى أَبِي حَاتِمٍ أَعْلَمَ الْعَالَمِينَا

٥٦٢ ابنه عبد الرحمن^(١)

[٢] العلامة، الحافظ، يكنى: أبا محمد. ولد سنة أربعين ومئتين، أو إحدى وأربعين

[٣] قال أبو الحسن علي بن إبراهيم الرّازي الخطيب في ترجمة عملها لابن أبي حاتم: كان - رحمه الله - قد كساه الله نورا وبهاء، يُسَرُّ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ. سمعته يقول: رحل بي أبي سنة خمس وخمسين ومئتين، وما احتلّمت بعد، فلما بلغنا ذا الحليفة، احتلّمت، فسرّ أبي، حيث أدركت حجة الإسلام.

[٤] وكان بحرا لا تكدره الدلاء.

قال أبو يعلي الخليلي: أخذ أبو محمد علم أبيه، وأبي زُرعة، وكان بحرا في العلوم ومعرفة الرجال. صنف في الفقه، وفي اختلاف الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار. قال: وكان زاهدا، يعد من الأبدال.

قلت: له كتاب نفيس في «الجرح والتعديل»، أربع مجلدات، وكتاب «الرد على الجهمية»، مجلد ضخيم، انتخب منه، وله «تفسير» كبير في عدة مجلدات، عامته آثار بأسانيده، من أحسن التفاسير، وله كتاب «العلل»، مجلد كبير.

(١) انظر السير: ٢٦٣-٢٦٩.

[١] وقال الرازي: سمعت علي بن محمد المصري - ونحن في جنازة ابن أبي حاتم - يقول: قَلَنْسُوةَ عبد الرحمن من السماء، وما هو بعجب، رجل منذ ثمانين سنة على وتيرة واحدة، لم ينحرف عن الطريق، وسمعتُ علي بن أحمد الفَرَضِي يقول: ما رأيت أحداً ممن عَرَفَ عبد الرحمن ذكر عنه جهالة قط. وسمعت أحمد ابن محمد بن الحسين الحافظ يحكي عن علي بن الحسين الدُرستيني، أن أبا حاتم كان يعرف الاسمَ الأعظمَ، فَمَرَضَ ابنه، فاجتهد أن لا يدعُو به، فإنه لا ينال به الدنيا، فلَمَّا اشتدت العلة، حَزَنَ ودعا به، فَعُوفِي، فرأى أبوحاتم في نومه: استجبت لك ولكن لا يُعَقَّبُ ابنُكَ. فكان عبد الرحمن مع زوجته سبعين سنة، فلم يَزِرْ وَلدا.

[٢] وقال الرازي: وسمعت علي بن أحمد الخوارزمي يقول: سمعت عبد الرحمن ابن أبي حاتم يقول: كنا بمصرَ سبعة أشهر، لم نأكل فيها مرققة، كُلُّ نهارنا مقسَّم لمجالس الشيوخ، وبالليل: النَّسخُ والمقابلة. قال: فأتينا يوماً أنا ورفيق لي شيخاً، فقالوا: هو عليل، فرأينا في طريقنا سمكة أعجبتنا، فاشتريناه، فلما صرنا إلى البيت، حضر وقت مجلس، فلم يَمَكِّنَا إصلاحه، ومَضَيْنَا إلى المجلس، فلم نَزَلْ حتى أتى عليه ثلاثة أيام، وكاد أن يتغير، فأكلناه نيئاً، لم يكن لنا فراغ أن نُعْطِيَهُ من يشويه. ثم قال: لا يُسْتَطَاعُ العِلْمُ براحَةِ الجَسَدِ.

[٣] سمعت الواعظ أبا عبد الله القزويني يقول: إذا صليت مع عبد الرحمن فسَلِّم إليه نفسك، يعمل بها ما شاء. دخلنا يوماً بغلس على عبد الرحمن في مرض موته، فكان على الفراش قائماً يصلي، وركع فأطال الركوع.

[٤] ومن كلامه: قال: وجدت ألفاظ التعديل والجرح مراتب: فإذا قيل: ثقة: أو: متقن. احتجَّ به، وإن قيل: صدوق، أو: مَحَلُّهُ الصِّدْق، أو: لا بأس به، فهو ممن يُكْتَبُ حديثُه، ويُنْظَرُ فيه وهي المنزلة الثانية، وإذا قيل: شَيْخ، فيُكْتَبُ حديثُه، وهو دون ما قبله، وإذا قيل: صالح الحديث، فيُكْتَبُ حديثُه وهو دون ذلك يُكْتَبُ للاعتبار، وإذا قيل: لَيِّن، فدون ذلك، وإذا قالوا: ضَعِيفُ

الحديث، فلا يُطرح حديثه، بل يُعْتَبَر به، فإذا قالوا: متروك الحديث، أو: ذاهب الحديث، أو: كذاب، فلا يكتب حديثه.

[١] الحسين بن أحمد الصَّفَّار، سمعت عبدالرحمن بن أبي حاتم يقول: وقع عندنا الغلاء، فأنفذ بعض أصدقائي حبوبا من أصبهان، فبعته بعشرين ألفا، وسألني أن أشتري له دارا عندنا، فإذا جاء ينزل فيها، فأنفقها في الفقراء، وكتبتُ إليه: اشتريت لك بها قَصْرًا في الجنة، فبعث يقول: رضيْتُ، فاكتب على نفسك صَكًا، ففعلْتُ، فأريتُ في المنام: قد وفينا بما ضمنت، ولا تعد لمثل هذا.

[٢] علي بن الحسين بن الجنيد، سمعت يحيى بن معين يقول: إنا لنُطعنُ على أقوام، لعلهم قد حَطُّوا رحالهم في الجنة، من أكثر من مِثْثي سنة.

قلت: لعلها من مئة سنة، فإن ذلك لا يبلغ في أيام يحيى هذا القدر.
[٣] قال ابن مَهْرُويه: فدخلت على عبدالرحمن بن أبي حاتم، وهو يقرأ على الناس كتاب: «الجرح والتعديل»، فحدثته بهذا فبكي، وارتعدت يده، حتى سقط الكتاب، وجعل يبكي، ويستعيدني الحكاية.

قلت: أصابه على طريق الوجل وخوف العاقبة، وإلا فكلام الناقد الورع في الضعفاء من النصح لدين الله والذب عن السنة.
توفي ابن أبي حاتم سنة سبعٍ وعشرين وثلاث مئة بالرِّي، وله بضْعُ وثمانون سنة.

٥٦٣ الترمذي^(١)

[٤] محمد بن عيسى بن سورة، الحافظ، العلم، الإمام، البارع، ابن عيسى السُّلَمي الترمذي الضرير، مصنف «الجامع»، وكتاب «العلل»، وغير ذلك.
اختلف فيه، فقيل: ولد أعمى، والصحيح أنه أضر في كبره، بعد رحلته

(١) انظر السير: ١٣ / ٢٧٠-٢٧٧.

وكتابتة العلم . ولد في حدود سنة عَشْرٍ ومِئتين .

[١] وقال الحاكم : سمعت عمر بن عَلَّك يقول : مات البخاري ، فلم يُخْلَفْ بخراسان مثل أبي عيسى ، في العلم والحفظ ، والورع والزهد . بكى حتى عَمِيَ ، وبقي ضريرا سنين .

[٢] ونقل أبو سَعْد الإدرسي بإسناد له ، أن أبا عيسى قال : كنت في طريق مكة ، فكتبت جزأين من حديث شيخ ، فوجدته فسألته ، وأنا أظن أن الجزأين معي ، فسألته ، فأجابني ، فإذا معي جزآن بياض ، فبقي يقرأ علي من لفظه ، فنظر ، فرأى في يدي ورقا بياضا ، فقال : أما تستحي مني ؟ فأعلمته بأمرى ، وقلت : أحفظه كله . قال : اقرأ . فقرأته عليه ، فلم يصدّقني ، وقال : استظهرت قبل أن تجيء ؟ فقلت : حدّثني بغيره . قال : حدّثني بأربعين حديثا ، ثم قال : هات . فأعدتها عليه ، ما أخطأت في حرف .

قال شيخنا أبو الفتح القُشَيْرِي الحافظ^(٢) : تَرْمِذٌ ، بالكسر ، وهو المستفيض على الألسنة حتى يكون كالمتواتر .

[٣] قال أبو عيسى : صَنَّفْتُ هذا الكتاب ، وعرضته على علماء الحجاز ، والعراق وخراسان ، فرضوا به ، ومن كان هذا الكتاب - يعني « الجامع » - في بيته ، فكأنما في بيته نبي يتكلم .

[٤] قلت : في « الجامع » علم نافع ، وفوائده غزيرة ، ورؤوس المسائل ، وهو أحد أصول الإسلام ، لولا ما كدّره بأحاديث واهية ، بعضها موضوع ، وكثير منها في الفضائل .

[٥] قلت : « جامع » قاضٍ له بإمامته وحفظه وفقهه ، ولكن يَتَرَخَّصُ في قبول الأحاديث ، ولا يشدّد ، ونَفَسُهُ في التضعيف رَخْوٌ .

(٢) هو شيخ الإسلام ، تقي الدين ، أبو الفتح ، محمد بن علي بن وهب القشيري المصري المعروف بابن دقيق العيد .

[١] وفي «المشور» لابن طاهر: سمعت أبا إسماعيل شيخ الإسلام يقول: «جامع» الترمذي أنفع من كتاب البخاري ومسلم، لأنهما لا يقف منهما إلا المتبحر العالم، و «الجامع» يصل إلى فائدته كل أحد. مات أبو عيسى في سنة تسع وسبعين ومئتين بترمذ.

٥٦٤ ابن ماجه^(١)

محمد بن يزيد: الحافظ، الكبير، الحجة، المفسر، أبو عبد الله ابن ماجه، القزويني، مصنف «السُنن»، و «التاريخ» و «التفسير»، وحافظ قزوين في عصره.

ولد سنة تسع ومئتين.

عن ابن ماجه، قال: عرضت هذه «السُنن» على أبي زُرْعَةَ الرَّازِيّ، فنظر فيه، وقال: أظن إن وقع هذا في أيدي الناس تعطلت هذه الجوامع، أو أكثرها. ثم قال: لعل لا يكون فيه تمام ثلاثين حديثاً، مما في إسناده ضَعْفٌ، أو نحو ذا.

قلت: قد كان ابن ماجه حافظاً ناقدًا صادقاً، واسع العلم، وإنما غَضَّ من رتبة «سننه» ما في الكتاب من المناكير، وقليل من الموضوعات، وقول أبي زُرْعَةَ - إن صحَّ - فإنما عني بثلاثين حديثاً، الأحاديث المطرحة الساقطة، وأما الأحاديث التي لا تقوم بها حجة، فكثيرة، لعلها نحو الألف.

قال أبو يعلى الخليلي: هو ثقة كبير، متفق عليه، محتج به، له معرفة بالحديث وحفظ، ارتحل إلى العراقين، ومكة والشام، ومصر والريّ لكتب الحديث.

قلت: مات سنة ثلاث وسبعين ومئتين. وعاش أربعاً وستين سنة.

وقال أبو الحسن القطان: في «السُنن» ألف وخمسة مئة باب، وجملة ما فيه أربعة آلاف حديث.

(١) انظر السير: ١٣ / ٢٧٧-٢٨١.

[١] الشيخ، العالم، الزاهد، الواعظ، شيخ بغداد، أبو عبد الله، أحمد بن محمد ابن غالب الباهلي البصري، غلام خليل.

[٢] سَكَنَ بغداد. وكان له جلالَةٌ عجيبةٌ، وصَوْلَةٌ مَهِيَّةٌ، وأَمْرٌ بالمعروف، واتباعٌ كثير، وصِحَّةٌ مُعْتَقَدٌ، إِلَّا أَنَّهُ يَرَوِي الكَذِبَ الفاحش، ويرى وَضَعَ الحديث. نسأل الله العافية.

وَحَفِيَّ حاله على الكبار أولاً.

قال ابن أبي حاتم: سُئِلَ أَبِي عَنْهُ، فَقَالَ: رَجُلٌ صَالِحٌ، لَمْ يَكُنْ عِنْدِي مِمَّنْ يَفْعَلُ الحديث.

وروي عن أبي داود السَّجِسْتَانِي أَنَّهُ قَالَ: ذَاكَ دَجَّالٌ بِغَدَادٍ، نَظَرْتُ فِي أَرْبَعِ مِائَةِ حَدِيثٍ لَهُ، عُرِضَتْ عَلَيَّ، كُلُّهَا كَذِبٌ، مَتَوْنُهَا وَأَسَانِيدُهَا.

وقال ابن عَدِي: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ النَّهْأَوْنَدِي يَقُولُ: كَلَّمْتُ غَلامَ خَلِيلٍ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، فَقَالَ: وَضَعْنَاهَا لِتَرْقُقَ الْقُلُوبَ.

وفي «تاريخ بغداد»: أَنَّ أَبَا جَعْفَرِ الشَّعِيرِي قَالَ: قُلْتُ لَغَلامِ خَلِيلٍ لَمَّا رَوَى عَنْ بَكْرِ بْنِ عَيْسَى، عَنْ أَبِي عَوَانَةَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! هَذَا شَيْخٌ قَدِيمُ الْوَفَاةِ، لَمْ تَلْحَقْهُ، فَفَكَّرَ، وَخَفْتُ أَنَا، فَقُلْتُ: كَأَنَّكَ سَمِعْتَ مِنْ رَجُلٍ بِاسْمِهِ؟ فَسَكَتَ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، قَالَ لِي: إِنِّي نَظَرْتُ الْبَارِحَةَ فِيمَنْ سَمِعْتُ مِنْهُ بِالْبَصْرَةِ، مِمَّنْ يُقَالُ لَهُ: بَكْرُ بْنُ عَيْسَى، فَوَجَدْتُهُمْ سِتِينَ رَجُلًا.

[٢] قال ابن الأعرابي: قدم من واسط غلام خليل، فذُكِرَتْ لَهُ هَذِهِ الشَّنَاعَاتُ - يَعْنِي خَوْضَ الصُّوفِيَّةِ - وَدَقَائِقُ الْأَحْوَالِ الَّتِي يَذُمُّهَا أَهْلُ الْأَثَرِ، وَذُكِرَ لَهُ قَوْلُهُمْ بِالْمَحَبَّةِ، وَيَبْلُغُهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ: نَحْنُ نُحِبُّ رَبَّنَا وَنُحِبُّنَا، فَأَسْقَطَ عَنَّا خَوْفَهُ بِغَلْبَةِ

(١) انظر السير: ١٣ / ٢٨٢-٢٨٥.

حُبّه - فكان يُنكرُ هذا الخطأ بخطأٍ أغلظَ مِنْهُ، حتّى جعلَ محبّةَ الله بدعةً، وكان يقول: الخوفُ أولى بنا. قال: وليسَ كما توهم، بل المحبّةُ والخوفُ أصلان، لا يخلو المؤمنُ منهما، فلم يزل يَقصُّ بِهِم، ويَحذّرُ مِنْهُم، ويُغري بِهِم السُّلطانُ والعامّةُ، ويقول: كان عندنا بالبصرة قومٌ يقولون بالحلول، وقومٌ يقولون بالإباحة، وقومٌ يقولون كذا. فانتشرَ في الأفواه أن يَبْغِدادَ قوماً يقولون بالزُّندقة.

وكانت تميل إليه والدةُ الموفّق، وكذلك الدّولةُ والعوامُ، لزمّده وتَقشّفه، فأمرتِ المحتسبَ أن يُطِيعَ غلامَ خليل، فَطَلَبَ القومَ، وبَثَّ الأعوانَ في طلبهم، وكُتِبُوا، فكانوا نيفاً وسبعين نفساً، فاختنفى عامّتهم، وبعضُهم خلصته العامة، وحُبِسَ مِنْهُم جماعةٌ مُدَّةً.

[١] قال ابن كامل: مات غلام خليل سنة خمس وسبعين ومئتين، وغلقت الأسواق، وخرج الرجال والنساء للصلاة عليه، ثم حمل في تابوت إلى البصرة، وُنِيَتْ عليه قُبّةٌ. قال: وكان فصيحا مُعرباً، يحفظ علماً كثيراً، ويخضب بالحناء، ويقتات بالباقلًا صرفاً.

٥٦٦ بقيُّ بن مَخْلَد^(١)

[٢] ابن يزيد: الإمام، القدوة، شيخُ الإسلام، أبو عبد الرحمن الأندلسي القرطبي، الحافظ، صاحب «التفسير» و«المُسند» اللّذين لا نظير لهما.

ولد في حدود سنة مئتين، أو قبلها بقليل.

وعني بهذا الشأن عنايةً لا مزيد عليها، وأدخل جزيرة الأندلس علماً جما، وبمحمد بن وضّاح صارت تلك الناحية دارَ حديثٍ، وعدّةُ مشيخته الذين حمل عنهم مئتان وأربعة وثمانون رجلاً.

(١) انظر السير: ١٣ / ٢٨٥-٢٩٦.

وكان إماما مجتهدا صالحا، ربّانيا صادقا مُخلصا، رأساً في العلم والعمل،
عديم المثل، مُنقَطع القَرين، يفتي بالأثر، ولا يُقلّد أحدا.
ذكره أحمد بن أبي خَيْثمة، فقال: ما كنا نسَميه إلا المِكنَسَة، وهل احتاج
بلد فيه بَقِيٌّ إلى أن يَرحل إلى ها هنا منه أحد؟!

وقال أبو الوليد بن الفَرَضِي في «تاريخه»: ملأ بَقِيٌّ بن مَخْلَد الأندلس حديثا،
فأنكر عليه أصحابه الأندلسيون: أحمد بن خالد، ومحمد بن الحارث، وأبو زَيْد،
ما أدخله من كُتب الاختلاف، وغرائب الحديث، فأغروا به السلطان وأخافوه به،
ثم إن الله أظهره عليهم، وعصمه منهم، فنشر حديثه وقرأ للناس روايته. ثم تلاه
ابن وَضَّاح، فصارت الأندلسُ دارَ حديثٍ وإِسناد. ومما انفرد به ولم يدخله
سواه «مصنف» أبي بكر بن أبي شَيْبَة بتمامه، و «كتاب الفقه» للشافعي بكماله
- يعني «الأم» - و «تاريخ» خليفة، و «طبقات» خليفة، وكتاب «سيرة عمر بن
عبد العزيز»، لأحمد بن إبراهيم الدُّورقي... وليس لأحد مثل «مُسنده». وكان
ورعا فاضلا زاهدا.. قد ظَهَرَت له إجابات الدعوة في غير ما شيء.

قال الإمام أبو محمد بن حَزْم الظَّاهري: أَقْطَعُ أنه لم يُؤَلَّف في الإسلام مثلُ
«تفسير» بَقِيٍّ، لا «تفسير» محمد بن جَرِير، ولا غيره.

[١] قال: وكان محمد بن عبد الرحمن الأمويُّ صاحبُ الأندلس مُجبا للعلوم
عارفا، فلما دخل بَقِيٌّ الأندلس «بمصنف» أبي بكر بن أبي شَيْبَة، وقرىء عليه،
أنكر جماعة من أهل الرأي ما فيه من الخلاف واستبشعوه، ونشطوا العامةَ عليه،
ومنعوه من قراءته، فاستحضره صاحب الأندلس محمد وإيَّاهم، وتصفح الكتاب
كُلَّهُ جُزْءاً جُزْءاً حتى أتى على آخره، ثم قال لخازن الكتب: هذا كتاب لا
تستغني خِزَانَتُنَا عنه، فانظر في نَسْخِهِ لنا، ثم قال لبَقِيٍّ: انشر عِلْمَكَ، وارو ما
عندك. ونهاهم أن يَتَعَرَّضُوا له.

[٢] وذكر عبد الرحمن بن أحمد، عن أبيه: أن امرأةً جاءت إلى بَقِيٍّ، فقالت:
إن ابني في الأسر، ولا حيلةَ لي، فلو أَشَرْتَ إلى من يَقْدِيه، فإنني وإِلهة. قال:

نعم، انصرفني حتى أنظر في أمره. ثم أطرق، وحرك شفتيه، ثم بعد مدة جاءت المرأة بابنها، فقال: كنت في يد ملك، فبينما أنا في العمل، سقط قيدي. قال: فذكر اليوم والساعة، فوافق وقت دعاء الشيخ. قال: فصاح عليّ المرسم بنا، ثم نظر وتحرّر، ثم أحضر الحدّاد وقيدني، فلما فرغه ومشيت سقط القيّد، فبهتوا، ودعوا رهبانهم، فقالوا: ألك والدّة؟ قلت: نعم، قالوا: وافق دعاءها الإجابة.

١١] وكان بقيّ أوّل من كثّر الحديث بالأندلس ونشره، وهاجم به شيوخ الأندلس، فثاروا عليه، لأنهم كان علمهم بالمسائل ومذهب مالك، وكان بقيّ يفتي بالأثر، فشدّ عنهم شدوذا عظيما، فعقدوا عليه الشّهادات، وبدّعوه، ونسبوا إليه الزندقة، وأشياء نزهة الله منها. وكان بقيّ يقول: لقد غرست لهم بالأندلس غرسا لا يقلع إلا بخروج الدجال.

[٢] قال ابن حزم: و «مُسند» بقيّ روى فيه عن ألف وثلاث مئة صاحب وثيف، ورتّب حديث كل صاحب على أبواب الفقه، فهو مُسند ومُصنّف، وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته وضبطه، وإتقانه واحتفاله في الحديث. وله مُصنّف في فتاوى الصحابة والتابعين فمن دونهم، الذي قد أربى فيه على «مُصنّف» ابن أبي شيبة، وعلى «مُصنّف» عبدالرزاق، وعلى «مُصنّف» سعيد بن منصور... ثم إنه نوّه بذكر «تفسيره»، وقال: فصارت تصانيفُ هذا الإمام الفاضل قواعد الإسلام، لا نظير لها، وكان متخيّرا لا يقلّد أحدا، وكان ذا خاصّة من أحمد بن حنبل، وجاريا في مضمّار البخاري ومسلم والنسائي.

[٣] قال ابن البادية الحافظ: كان بقيّ من عقلاء الناس وأفاضلهم، وكان أسلم ابن عبدالعزيز يُقدّمه على جميع من لقيه بالمشرق، ويصف زهده، ويقول: ربّما كنت أمشي معه في أزقة قرطبة، فإذا نظر في موضع خال إلى ضعيف محتاج أعطاه أحد ثوبيه.

[١] وذكر أبو عبيدة، قال: كان بَقِيٌّ يختم القرآن كل ليلة، في ثلاث عشرة ركعة، وكان يصلي بالنهار مئة ركعة، ويصوم الدهر. وكان كثيرَ الجهاد، فاضلاً، يذكر عنه أنه رابط اثنتين وسبعين غزوة.

[٢] ونقل بعض العلماء من كتابٍ لحفيد بَقِيٍّ عبد الرحمن بن أحمد: كان جدِّي قد قَسَمَ أيامه على أعمال البر: فكان إذا صَلَّى الصُّبْحَ قرأ حزبه من القرآن في المصحف، سُدَسَ القرآن، وكان أيضاً يَخْتِمُ القرآن في الصلاة في كل يوم وليلة، وَيَخْرُجُ كُلَّ لَيْلَةٍ في الثُّلُثِ الأخير إلى مَسْجِدِهِ، فَيَخْتِمُ قُرْبَ انْصِدَاعِ الْفَجْرِ، وكان يُصَلِّي بعد حزبه من المصحف صلاةً طويلةً جداً، ثم يَنْقَلِبُ إلى دَارِهِ - وقد اجتمع في مسجده الطَّلَبَةُ - فَيَجِدُ الوُضُوءَ، ويَخْرُجُ إِلَيْهِمْ، فإذا انقضت الدُّوَل، صار إلى صَوْمَعَةِ الْمَسْجِدِ، فيصلِّي إلى الظهر، ثم يكون هو المبتدئ بالأذان، ثم يهبط ثم يُسْمَعُ إلى العصر، ويصلي ويُسْمَعُ، وريماً خرج في بقية النهار، فيقعد بين القبور يبكي وَيَعْتَبِرُ، فإذا غربت الشَّمْسُ أتى مسجده، ثم يصلي، ويرجع إلى بيته فَيُقْفِطُ، وكان يَسْرُدُ الصَّوْمَ إلا يوم الجمعة، ويخرج إلى المسجد، فيخرج إليه جيرانه، فيتكلم معهم في دينهم ودنياهم، ثم يصلي العِشاءَ، ويدخل بيته، فيحدِّث أهله، ثم ينام نومة قد أخذتها نفسه، ثم يقوم. هذا دأبه إلى أن تُوفِّيَ. وكان جَلِداً، قوياً على المشي، [٣] قد مشى مع ضَعِيفٍ في مَظْلَمَةٍ إلى إِسْبِيلِيَّةٍ، ومشى مع آخر إلى الْبَيْرَةِ، ومع امرأةٍ ضَعِيفَةٍ إلى جَيَّانَ. تُوفِّيَ سنة ستٍ وسبعين ومئتين.

٥٦٧ ابن قُتَيْبَةَ (١)

[٤] العلامة الكبير، ذو الفنون، أبو محمد، عبدالله بن مسلم بن قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِيُّ الكاتب، صاحب التصانيف.

(١) انظر السير: ١٣ / ٢٩٦-٣٠٢.

نزل بغداد، وصَنَّفَ وَجَمَعَ، وَبَعْدَ صَيِّئِهِ. قال أبو بكر الخطيب: كان ثقة دينا فاضلا.

وقد وَلِيَ قضاء الدِّينور، وكان رأسا في علم اللسان العربي، والأخبار وأيام الناس.

[١] وقال مسعود السُّجزي: سمعت أبا عبد الله الحاكم يقول: أجمعت الأمة على أن القُتَيْبِي كَذَّاب.

قلت: هذه مُجَازَفَةٌ وَقَلَّةٌ وَرَع، فما علمتُ أحدا اتَّهمه بالكذب قبل هذه القولة، بل قال الخطيب: إنه ثقة.

[٢] عن حمَّاد الحرَّاني أنه سمع السُّلَفيَّ ينكر على الحاكم في قوله: لا تجوز الرواية عن ابن قُتَيْبَةَ. ويقول: ابن قتيبة من الثقات، وأهل السنة. ثم قال: لكن الحاكم قصده لأجل المذهب.

قلت: عهدي بالحاكم يميل إلى الكرامة، ثم ما رأيت لأبي محمد في كتاب «مشكل الحديث» ما يخالف طريقة المُثَبِّتة والحنابلة، ومن أن أخبار الصفات تُمرُّ ولا تُتَأَوَّل، فالله أعلم.

[٣] قال أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي: مات أبو محمد بن قُتَيْبَةَ فجاءه، صاح صيحة سمعت من بعد، ثم أغمي عليه، وكان أكل هَرِيسَةً، فأصاب حَرَارَةً، فبقي إلى الظُّهر، ثم اضطرب ساعة، ثم هَذَا، فما زال يتشهد إلى السَّحر، ومات - سامحه الله - وذلك سنة ست وسبعين ومئتين.

والرجل ليس بصاحب حديث، وإنما هو من كبار العلماء المشهورين، عنده فنون جَمَّةٌ وعلوم مُهمَّةٌ.

[٤] قال قاسم بن أصبغ: كنا عند ابن قتيبة، فَأَتَوْهُ بأيديهم المحابر، فقال: اللهم سَلِّمْنَا مِنْهُمْ. فَفَعَدُوا، ثم قالوا: حَدَّثْنَا - رحمك الله - قال: ليس أنا ممن يُحَدِّث، إنما هذه الأَوْضَاع، فَمَنْ أَحَبَّ؟ قالوا له: ما يَحِلُّ لك هذا، فحدَّثنا بما عندك عن إسحاق بن رَاهَوِيَّة، فإننا لا نجد فيه إلا طَبَقَتَكَ، وأنت عندنا أوثق.

قال: لَسْتُ أَحَدٌ. ثم قال لهم: تَسْأَلُونِي أَنْ أَحَدُّثَ، وبيغداد ثمان مئة محدث، كلهم مثل مشايخي!، لست أفعل. فلم يحدثهم بشيء.

٥٦٨ أبو زُرْعَةَ الدَّمَشْقِيَّ (د) (١)

[١] الشيخ، الإمام، الصادق، محدث الشام، أبو زُرْعَةَ، عبد الرحمن بن عمرو ابن عبدالله النُصْرِي الدمشقي.

ولد قبل المئتين.

وجَمَعَ وصَنَّفَ، وذاكر الحفاظ، وتَمَيَّزَ، وتقدم على أقرانه، لمعرفته وعُلُوِّ سنده.

ذكر أحمد بن أبي الحواري أبا زُرْعَةَ الدمشقي، فقال: هو شيخ السَّبَاب. ولما قَدِمَ أَهْلُ الرِّيِّ إلى دمشق، أعجبهم علم أبي زُرْعَةَ، فَكُنُوا أصحابهم الحافظ عُبيدالله بن عبدالكريم بِكْنِيَّتِهِ.

[٢] قال أبو القاسم بن عَسَاكِر: قرأت في كتاب أبي الحُسَيْن الرَّازِي - يعني والد تمام - قال: سمعت جماعة قالوا: لَمَّا اتَّصَلَ الْخَبْرُ بِأَبِي أَحْمَدَ الْوَائِقِ، أَنَّ أَحْمَدَ ابْنَ طُولُونَ قَدْ خَلَعَهُ بِدَمَشَقَ، أَمَرَ بِلَعْنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ عَلَى الْمَنَابِرِ، فَلَمَّا بَلَغَ أَحْمَدَ، أَمَرَ بِلَعْنِ الْمُؤَفَّقِ عَلَى الْمَنَابِرِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ، كَانَ أَبُو زُرْعَةَ مُحَمَّدَ بْنَ عَثْمَانَ الْقَاضِي مِمَّنْ خَلَعَ الْمُؤَفَّقَ - يعني من ولاية العهد - وَلَعَنَهُ، وَوَقَفَ عِنْدَ الْمَنْبَرِ بِدَمَشَقَ، وَلَعَنَهُ، وَقَالَ: نَحْنُ أَهْلُ الشَّامِ، نَحْنُ أَهْلُ صِفِّينَ، وَقَدْ كَانَ فِينَا مِنْ خَضَرَ الْجَمَلِ، وَنَحْنُ الْقَائِمُونَ بِمَنْ عَانَدَ أَهْلَ الشَّامِ، وَأَنَا أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ خَلَعْتُ أَبَا أَحْمَقَ - يعني أبا أحمد - كَمَا يُخْلَعُ الْخَاتَمُ مِنَ الْإِصْبَعِ، فَالْعَنُوهُ، لَعَنَهُ اللَّهُ.

[٣] قال الرازي: وحدثني إبراهيم بن محمد بن صالح، قال: لما رجع أحمد بن

(١) انظر السير: ١٣ / ٣١٦-٣١١.

الموفق من موقعة الطّوّاحين إلى دمشق، من محاربة خَمَارَوِيه بن أحمد بن طولون - يعني بعد موت أبيه أحمد، وذلك في سنة إحدى وسبعين - قال لأبي عبد الله الواسِطِيّ: انظر ما انتهى إليك ممّن كان يبغيضنا فليُحمَل. فحمِل يزيد ابن عبد الصّمد، وأبو زُرْعَة الدّمَشقي، والقاضي أبو زُرْعَة بن عُثمان، حتى صاروا بهم مُقيدين إلى أنطاكيّة، فبينما أحمد بن أبي الموفّق - وهو المعتضد - يسير يوما، إذ بَصَرَ بِمَحَامِل هؤلاء، فقال للواسِطِيّ: من هؤلاء؟ قال: أهلُ دمشق. قال: وفي الأحياء هم؟ إذا نزلتُ فاذكّرني بهم.

قال ابن صالح: فحدثنا أبو زُرْعَة الدّمَشقي، قال: فلمّا نزل، أحضرنا بعد أن فُكَّت القيود، وأوقفنا مذعورين، فقال: أيّكم القاتل: قد نَزَعْتُ أبا أحمق؟ قال: فَرَبْتُ أَلَسْتُنَا حَتَّى خُيِّلَ إِلَيْنَا أَنَّنَا مَقْتُولُونَ، فأما أنا: فأُبلست،^(١) وأما ابن عبد الصّمد: فَخَرَسَ، وكان تمناما، وكان أبو زُرْعَة القاضي أَدْحَثْنَا سَنًا، فقال: أ صلح الله الأمير. فالتفت إليه الواسِطِيّ، فقال: أَمْسِكْ حَتَّى يَتَكَلَّمَ أَكْبَرُ مِنْكَ. ثم عَطَفَ عَلَيْنَا، وقال: ماذا عِنْدَكُمْ؟ فقلنا: أَصْلَحَكَ اللهُ! هذا رجلٌ مُتَكَلِّمٌ يَتَكَلَّمُ عَنَّا، قال: تكلم. فقال: والله ما فينا هاشميّ، ولا قُرشيّ صَحِيح، ولا عَرَبِيّ فَصِيح، ولكنّا قومٌ مُلْكُنَا حَتَّى قُهِرْنَا. وروى أحاديث كثيرة عن النّبي صلى الله عليه وسلم في السَّمْع والطّاعة، في المَنَشَط والمَكْرَه، وأحاديث في العَفْو والإحسان، وكان هو الذي تكلم بالكلمة التي نُطَالِبُ بِخَزِيْهَا، ثم قال: أَصْلَحَ اللهُ الأمير، وأشهدك أن نِسْوانِي طَوَالِق، وَعَبِيدِي أحرار، ومالي حَرَامٌ إِنْ كَانَ فِي هؤلاء القوم أحدٌ قال هذه الكلمة، ووراءنا عيال وحرَم، وقد تسامَعَ النَّاسُ بِهَلَاكِنَا، وقد قَدَرْتُ، وإِنَّمَا العَفْوُ بَعْدَ المَقْدَرَةِ. فقال للواسِطِيّ: يا أبا عبد الله! أَطْلِقْهُمْ، لا كَثُرَ اللهُ فِي النَّاسِ مِثْلَهُمْ. فأطلقنا، فاشتغلْتُ أنا ويزيد بن عبد الصّمد عند عُثمان بن خُرَزَادٍ فِي نَزْهِ أَنْطَاكِيّة وطِيبِهَا وَحَمَامَاتِهَا، وسبق أبو زُرْعَة القاضي إلى حِمَص. مات أبو زُرْعَة النّصْري سنة إحدى وثمانين ومئتين.

(١) الإبلّاس: الإنكسار والحزن. والمبلس: الياثس المنقطع رجاءه ولذلك قيل الذي يسكت عن إنقطاع حجه ولا يكون عنده جواب: قد أبلس.

[١] عثمان بن سعيد بن خالد: الإمام، العلامة، الحافظ، الناقد، شيخ تلك الديار، أبوسعيد التميمي، الدَّارِمِيُّ، السَّجِسْتَانِي، صاحب «المسند» الكبير والتصانيف.

ولد قبل المئتين ببسبر، وطَوَّفَ الأقاليمَ في طلب الحديث. وأخذ عِلْمَ الحديث وعِلَّاهُ عن عليٍّ ويحيى وأحمد، وفاق أهل زمانه، وكان لَهْجاً بالسُّنَّة، بصيراً بالمُنَاطَرَةِ.

[٢] قال ابن عَبْدُوس الطَّرَائِفِي: لما أردت الخروج إلى عُثْمَانَ بن سَعِيد - يعني إلى هَرَاة - أتيت ابن خُزَيْمَةَ، فسألته أن يكتب لي إليه، فَكَتَبَ إليه، فدخلت هَرَاةَ في ربيع الأول، سنة ثمانين ومئتين، فأوصلته الكتاب، فقرأه، ورَّحِبَ بي، وسأل عن ابن خزيمة، ثم قال: يا فتى! متى قَدِمْتَ؟ قلت: غداً. قال: يا بُنَيَّ! فارجع اليوم، فإنك لم تَقْدَمْ بعد، حتى تَقْدَمْ غداً.

[٣] قال عثمان بن سعيد: من لم يجمع حديث شُعْبَةَ وسُفْيَانَ ومالك، وحمَّاد بن زيد، وسُفْيَانَ بن عُيَيْنَةَ، فهو مُفْلِسٌ في الحديث - يريد أنه ما بلغ درجة الحُفَظِّ

وبلا ريب، أن من جَمَعَ علم هؤلاء الخَمْسَةِ، وأحاط بسائر حديثهم، وكتبه عالياً ونازلاً، وفهم عِلَّاهُ، فقد أحاط بِشَطْرِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، بل بأكثر من ذلك، وقد عدم في زماننا من يَنْهَضُ بهذا، وبيعضه، فنسأل الله المغفرة. وأيضاً فلو أراد أحد أن يتتبع حديث الثوري وحده، ويكتبه بأسانيد نفسه على طولها، ويبين صحِيحَه من سَقِيمِه، لكان يجيء «مُسْنَدُه» في عشر مُجَلَّدَات، وإنما شأن المحدث اليوم الاعتناء بالدَّوَابِين الستة، و«مُسْنَد» أحمد بن حنبل، و«سُنَن» البيهقي، وضبط مُتُونَهَا وأسانيدَهَا، ثم لا يَنْتَفِعَ بذلك حتى يَنْتَقِيَ رِيَّه، ويدين

(١) انظر السير: ١٣ / ٣٢٦-٣١٩.

بالحديث، فعَلَى علم الحديث وعلمائه لِيَبْكُ من كان باكيا، فقد عاد الإسلام المحضُ غريبا، كما بدأ، فَلْيَسَعْ امرؤ في فكاك رَقَبَتِهِ من النار، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

[١] ثم العِلْمُ ليس هو بكثرة الرواية، ولكنه نور يقذفه الله في القلب، وشرطه الاتباع، والفرار من الهوى والابتداع. وَفَقْنَا الله وإياكم لطاعته.

[٢] قال المحدث يحيى بن أحمد بن زياد الهروي، صاحب ابن معين: رأيت في النوم كأنَّ قاتلاً يقول: إن عُثْمَانَ - يعني الدارمي - لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ.

[٣] وقال أبو الفضل الجارودي: كان عثمان بن سعيد إماما يقتدى به في حياته وبعد مماته.

[٤] قال محمد بن إبراهيم الصُّرَّام: سمعت عثمان بن سعيد يقول: لا نُكَيِّفُ هذه الصِّفَاتِ، ولا نُكَذِّبُ بها، ولا نُفَسِّرُها. توفي عثمان الدارمي سنة ثمانين ومئتين.

٥٧٠ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^(١)

[٥] ابن يونس: شيخُ العارفين، أبو محمد التُّسْتَرِي، الصُّوفي الزَّاهد.

له كلمات نافعة، ومواعظُ حَسَنَةٌ، وَقَدَّمَ راسخ في الطَّرِيقِ.

[٦] عن ابن دُرُسْتُوَيْه، صاحب سهل، قال: قال سَهْلٌ: ورأى أصحاب الحديث، فقال: اجهدوا أن لا تلقوا الله إلا ومعكم المحابر.

[٧] سُئِلَ سهل: إلى متى يكتبُ الرَّجُلُ الحديث؟ قال: حتى يموتَ، وَيُصَبَّ باقي حَبْرِهِ في قبره.

علي بن الحسين الدَّقِيق، سمعت سَهْلَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يقول: من أراد الدنيا والآخرة فليكتب الحديث، فإن فيه منفعة الدنيا والآخرة.

(١) انظر السير: ١٣ / ٣٣٠-٣٣٣.

[١] ومن كلام سهل: لا مُعِين إِلَّا اللهُ، ولا دَلِيلَ إِلَّا رَسُولُ اللهِ، ولا زَادَ إِلَّا التَّقْوَى، ولا عَمَلَ إِلَّا الصَّبْرُ عَلَيْهِ.

[٢] وعنه قال: الجاهل مَيِّتٌ، والنَّاسِي نائمٌ، والعاصي سَكْرانٌ، والمُصِرُّ هالكٌ.

[٣] وعنه قال: الجوع سرُّ الله في أرضه، لا يُودَعُهُ عِنْدَ مَنْ يُذِيعُهُ.

[٤] أبوبكر الجَوْرَبِي، سمعت سهل بن عبدالله يقول: أصولنا سِتَّةٌ: التمسُّكُ بالقرآن، والاقتداء بالسنة، وأكل الحلال، وكفُّ الأذى، واجتناب الأثام، والتوبة، وأداء الحقوق.

[٥] عن سهل: من تكلم فيما لا يَعْنِيهِ حُرْمَ الصَّدَقِ، ومن اشتغل بالفُضُولِ حُرْمَ الْوَرَعِ، ومن ظنَّ السَّوْءَ حُرْمَ الْيَقِينِ، ومن حُرِمَ هذه الثلاثة هَلَكَ.

[٦] قال ابنُ سالم الزَّاهِد، شيخُ البصرة: قال عبدالرحمن لِسهل بن عبدالله: إِنِّي أَتَوْضَأُ فَيَسِيلُ الْمَاءُ مِنْ يَدَيَّ، فَيَصِيرُ قُضْبَانٌ ذَهَبٌ، فَقَالَ: الصَّبِيَّانِ يُنَاوِلُونَ خَشْخَاشَةً.

موته سنة ثلاث وثمانين ومئتين، ويقال: عاش ثمانين سنةً أو أكثر.
سَمِيَهُ: الزَّاهِدَ الْمُحَدِّثَ:

٥٧١ أبو طاهر (١)

[٧] سهل بن عبدالله بن الفرُّخَانِ الأصبهاني، أحد الثقات.

وكان من حَمَلَةِ الْحُجَّةِ، كبيرَ القدر. ويقال: كان من الأبدال - رحمة الله عليه.

قال أبونعيم: لَقِيتُ أَصْحَابَهُ، وكان مُجَابَ الدَّعْوَةِ. . كان أهل بلدنا مفزعهم إلى دعائه عند النوائب والمحن. . . له آثار مشهورة في إجابة الدعاء. وأما رفيع حاله من إدمان الذِّكْرِ، والمشاهدة، والحضور، والتعرِّي من حُظُوظِ النَّفْسِ. . . فَشَائِعٌ ذَائِعٌ، إلى أن قال: ومات في سنة ست وسبعين ومئتين.

(١) انظر السير: ١٣ / ٣٣٣-٣٣٤.

[١] هو: الشيخ، الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام، أبو إسحاق، إبراهيم ابن إسحاق بن إبراهيم، البغدادي، الحَرَبِي، صاحب التصانيف. مولده في سنة ثمانٍ وتسعين ومئة.

قال أبو بكر الخطيب: كان إماماً في العلم، رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، حافظاً للحديث، مُمَيِّزاً لعلله، قَيِّماً بالأدب، جَمَاعَةً لِلَّغَةِ، صَنَّفَ غريب الحديث، وكتبها كثيرة، وأصله من مرو.

[٢] ويروى أن أبا إسحاق الحَرَبِي لما دخل على إسماعيل القاضي، بادَرَ أبو عُمَرَ محمد بن يوسف القاضي إلى نَعْلِهِ، فأخذها، فمسحها من الغُبَار، فدعا له، وقال: أعزَّكَ اللهُ في الدنيا والآخرة، فلما توفي أبو عمر، رُوي في النوم، فقيل: ما فعل الله بك؟ قال: أعزَّنِي في الدنيا والآخرة بدعوة الرجل الصَّالِح.

[٣] قال محمد بن مَخْلَد العَطَّار: سمعت إبراهيم الحَرَبِي يقول: لا أعلم عِصَابَةً خيراً من أصحاب الحديث، إنما يغدو أحدهم، ومعه مِحْبَرَةٌ، فيقول: كيف فعل النبي صلى الله عليه وسلم وكيف صَلَّى، إياكم أن تجلسوا إلى أهل البدع، فإنَّ الرجل إذا أقبل ببِدْعَةٍ ليس يُفْلَح.

[٤] أحمد بن محمد بن الصَّقَر، سمعت أبا الحسن بن قُرَيْش يقول: حضرتُ إبراهيم الحَرَبِي - وجاءه يوسُفُ القاضي، ومعه ابنه أبو عُمَرَ - فقال له: يا أبا إسحاق! لو جئناك على مقدار واجب حقك، لكانت أوقأتنا كلها عندك. فقال: ليس كلُّ غَيِّبَةٍ جَفْوَةٌ، ولا كلُّ لقاءٍ مودَّةً، وإنما هو تقاربُ القلوب.

[٥] قال أبو العباس ثعلب: ما فقدتُ إبراهيم الحَرَبِي من مجلسٍ لغَةٍ ولا نحوٍ، من خمسين سنةً.

[٦] أبو الحسين العَتَكِي، قال: سمعت إبراهيم الحَرَبِي يقول لجماعةٍ عنده: من

(١) انظر السير: ١٣ / ٣٥٦-٣٧٢، والحَرَبِي: نسبة إلى محلة غربي بغداد، بها جامع وسوق. (اللباب).

تَعُدُّونَ الْغَرِيبَ فِي زَمَانِكُمْ؟ فَقَالَ رَجُلٌ: الْغَرِيبُ: مَنْ نَأَى عَنْ وَطْنِهِ. وَقَالَ آخَرُ:
الْغَرِيبُ: مَنْ فَارَقَ أَحِبَّاءَهُ. فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: الْغَرِيبُ فِي زَمَانِنَا: رَجُلٌ صَالِحٌ،
عَاشَ بَيْنَ قَوْمٍ صَالِحِينَ، إِنْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ آزَرُوهُ، وَإِنْ نَهَى عَنْ مَنكَرٍ عَانُوهُ،
وَإِنْ احتَاجَ إِلَى سَبَبٍ مِنَ الدُّنْيَا مَانُوهُ، ثُمَّ مَاتُوا وَتَرَكَوهُ.

قال المسعودي: كانت وفاة الحربي المحدث الفقيه في الجانب الغربي، وله
نَيْفٌ وثمانون سنة... وكان صدوقا، عالما، فصيحاً، جواداً، عفيفاً، زاهداً،
عابداً، ناسكاً، وكان مع ذلك ضاحك السنن، ظريف الطبع... ولم يكن معه
تَكَبُّرٌ وَلَا تَجَبُّرٌ، وربما مَزَحَ مع أصدقائه بما يُستحسن منه، وَتُسْتَقْبَحُ من غيره،
وكان شيخَ البغداديين في وقته، وظريفهم، وزاهدهم، وناسكهم، ومُسْنِدُهُم في
الحديث.

[١] وكان يقول: فرد عَقْبِي^(١) صحيحٌ والآخرُ مَقْطُوعٌ، ولا أَدِثْتُ نفسي أَنِي
أُصْلِحَهُمَا، ولا شَكُوتُ إِلَى أَهْلِي وَأَقَارِبِي حُمَى أَجْدَهَا، لا يَغْمُ الرَّجُلُ نَفْسَهُ
وَعِيَالَهُ، وَلِي عَشْرُ سِنِينَ أَبْصِرُ بِفَرْدٍ عَيْنٍ، مَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا، وَأَفْنَيْتُ مِنْ عُمْرِي
ثَلَاثِينَ سَنَةً بِرَغِيفَيْنِ، إِنْ جَاءَتْنِي بِهِمَا أُمِّي أَوْ أُخْتِي، وَإِلَّا بَقِيتُ جَائِعًا إِلَى اللَّيْلَةِ
الثَّانِيَةِ، وَأَفْنَيْتُ ثَلَاثِينَ سَنَةً بِرَغِيفٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، إِنْ جَاءَتْنِي امْرَأَتِي أَوْ بَنَاتِي
بِهِ، وَإِلَّا بَقِيتُ جَائِعًا، وَالْآنَ أَكُلُ نَصْفَ رَغِيفٍ، وَأَرْبَعُ عَشْرَةَ تَمْرَةً، وَقَامَ إِفْطَارِي
فِي رَمَضَانَ هَذَا بِدَرْهَمٍ وَدَانِقَيْنِ وَنَصْفٍ.

[٢] وقيل: إِنْ المَعْتَصِدَ لَمَّا نَفَذَ إِلَى الْحَرْبِيِّ بِالْعَشْرَةِ آلَافَ فَرْدَهَا، فَقِيلَ لَهُ:
فَفَرَّقْهَا، فَأَبَى، ثُمَّ لَمَّا مَرَضَ، سِيرَ إِلَيْهِ المَعْتَصِدُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَلَمْ يَقْبَلْهَا،
فَخَاصَمْتَهُ بَنَتُهُ، فَقَالَ: أَتَخْشَيْنِ إِذَا مِتُّ الْفَقْرَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: فِي تِلْكَ
الزَّائِيَةِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ جُزْءٍ حَدِيثِيَّةٍ وَلُغَوِيَّةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ كَتَبْتُهَا بِخَطِّي، فَيُعَيَّ مِنْهَا
كُلَّ يَوْمٍ جُزْءًا بِدَرْهَمٍ وَأَنْفَقِيهِ.

توفي سنة خمس وثمانين ومئتين، وكانت جنازته مشهودة، وقبره يُزار ببغداد.

(١) العقب هنا: النعل، على سبيل المجاز.

٥٧٣ الحُسَيْن بن الفضل^(١)

[١] ابن عُمَيْر: العلامة، المفسر، الإمام، اللُّغَوِيُّ، المحدث، أبو عليّ البجلي الكوفي، ثم النيسابوري عالم عصره.
ولد قبل الثمانين ومئة.

قال الحاكم: الحسين بن الفضل، المفسر: إمام عصره في معاني القرآن، أقدّمه ابن طاهر معه نيسابور، وابتاع له دار عَزْرَة، فسكنها، وهذا في سنة سبع عشرة ومئتين، فبقي يعلم الناس، ويفتي في تلك الدار إلى أن توفي، ودفن في مقبرة الحسين بن معاذ، في سنة اثنتين وثمانين ومئتين، وهو ابن مئة وأربع سنين، وقبره مشهورٌ يزار، وشيعته خلقٌ عظيم. وسمعت محمد بن أبي القاسم المُذَكَّر يقول: سمعت أبي يقول: لو كان الحسين بن الفضل في بني إسرائيل لكان ممن يُذكر في عجائبهم.

[٢] إبراهيم بن مضارب، سمعت أبي يقول: كان علم الحسين بن الفضل بالمعاني إلهاما من الله، فإنه كان قد تجاوز حدَّ التعليم.
[٣] قال: وكان يركع في اليوم والليلة ست مئة ركعة، ويقول: لولا الضَّعْفُ والسَّنُّ لم أطعم بالنهار.

وسمعت أبا زكريا العنبري: سمعت أبي يقول: لما قلَّد المأمون عبد الله بن طاهر خراسان، قال: يا أمير المؤمنين! حاجة. قال: مَقْضِيَّة. قال: تُسَعِّفُنِي بثلاثة: الحُسَيْن بن الفضل، وأبوسعيد الضَّرِير، وأبو إسحاق القرشي، قال: أَسْعِفْنَاكَ، وقد أخليت العراق من الأفراد.

(١) انظر السير: ١٣ / ٤١٤-٤١٦.

- [١] شَيْخ الصُّوفِيَّة، القُدُوة، أَبُو سَعِيدٍ، أَحْمَدُ بْنُ عَيْسَى الْبَغْدَادِيُّ الْخَرَّازُ. وقد صَحَبَ سَرِيًّا السَّقَطِيَّ، وَذَا النُّونَ الْمِصْرِيَّ.
- [٢] وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي عِلْمِ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ^(٢) فَأَيُّ سَكَنَةٍ فَاتَتْهُ، قَصْدُ خَيْرٍ، فَوَلَّدَ أَمْرًا كَبِيرًا، تَشَبَّثَ بِهِ كُلُّ اتِّحَادِيٍّ ضَالًّا. وَتَوَفَّى سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ.
- قَالَ السُّلَمِيُّ: هُوَ إِمَامُ الْقَوْمِ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ عُلُومِهِمْ، لَهُ فِي مَبَادِيءِ أَمْرِهِ عَجَائِبُ وَكَرَامَاتُ، وَهُوَ أَحْسَنُ الْقَوْمِ كَلَامًا، خَلَا الْجَنِيدَ، فَإِنَّهُ الْإِمَامُ.
- [٣] وَمِنْ كَلَامِهِ: كُلُّ بَاطِنٍ يَخَالِفُهُ ظَاهِرٌ، فَهُوَ بَاطِلٌ.
- [٤] وَقَالَ الْكُتَّانِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ يَقُولُ: مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَصِلُ بِغَيْرِ بَذْلِ الْمَجْهُودِ فَهُوَ مُتَمَنِّيٌّ، وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَصِلُ بِبَذْلِ الْمَجْهُودِ فَهُوَ مُتَعَنِّيٌّ.

(١) انظر السير: ١٣ / ٤١٩-٤٢٢.

(٢) انظر ما كتبه ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين ١/ ١٤٨-١٧٣ عن الفناء وأقسامه ومراتبه وما هو مذموم وما هو محمود.

الطبقة السادسة عشرة

٥٧٥ ابن أبي عاصم^(١)

[١] حافظ كبير، إمام بارع متبع للآثار، كثير التصانيف. قدم أصبهان على قضائها، ونشر بها علمه.

قال أبو الشيخ: كان من الصيانة والعفة بمحل عجيب.

[٢] وقال أبو العباس النسوي: أبو بكر بن أبي عاصم، وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، من أهل البصرة، من صوفية المسجد، من أهل السنة والحديث والنسك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، صحب النساء. وكان ثقة نبيلاً معمرًا، ولد في شوال سنة ست ومئتين.

[٣] قال ابن عبد كويه: سمعت عائكة بنت أحمد تقول: سمعت أبي يقول: جاء أخي عثمان عهده بالقضاء على سامراء، فقال: أقعد بين يدي الله تعالى قاضياً؟! فانشقت مرارته، فمات.

[٤] قال ابن عبد كويه: أخبرتنا عائكة، سمعت أبي يقول: خرجت إلى مكة من الكوفة، فأكلت أكلة بالكوفة، والثانية بمكة.

قلت: إسناده صحيح.

وكان ابن أبي عاصم مجوداً للقراءة، وكان يقول: أنا أقدم نافعا في القراءة، وكان يقول ما بقي أحد قرأ على روح بن عبد المؤمن غيري - يعني صاحب يعقوب -.

[٥] أبو الشيخ: سمعت ابني عبد الرزاق يحكي عن أحمد بن محمد بن عاصم: سمعت ابن أبي عاصم يقول: وصل إلي منذ دخلت إلى أصبهان من دراهم القضاء زيادة على أربع مئة ألف درهم، لا يحاسبني الله يوم القيامة أني شربت منها شربة ماء، أو أكلت منها، أو لبست.

(١) انظر السير: ٤٣٠-٤٣٩

[١] محمد بن خفيف يقول: سمعت الحَكِيمِي يقول: ذكروا عند ليلي الدَّيْلَمِي أنَّ أبابكر بن أبي عاصِمٍ ناصِبي، ^(١) فبعث غلاماً له ومخلّةً وسيفاً، وأمره أن يَأْتِيَهُ برأسِهِ، فجاء الغُلام، وأبو بكر يقرأ الحديث، والكتاب في يده، فقال: أمرني أن أحملَ إليه رأسَكَ. فنام على قفاه، ووضع الكتاب الذي كان في يده على وجهه، وقال: افعل ما شئتَ. فلحقه إنسانٌ، وقال: لا تَفْعَل، فإنَّ الأميرَ قد نهاك. فقام أبو بكر وأخذ الجُزءَ، وَرَجَعَ إلى الحديث الذي قطعه، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ.

مات أحمد بن عمرو سنة سبع وثمانين.

[٢] وذكر عن أبي الشيخ، قال: حضرت جنازة أبي بكر، وشهدها مئتا ألف من بين راكب وراجل، ما عدا رجلاً كان يتولى القضاء، فحُرِمَ شهود جنازته، وكان يرى رأي جَهْم.

[٣] قال أبو الشيخ: سمعت ابني عبد الرزاق يحكي عن أبي عبد الله الكِسَائِي، قال: رأيت ابن أبي عاصم فيما يرى النائم كأنه كان جالساً في مسجد الجامع، وهو يُصلي من قعود، فَسَلَّمْتُ عليه، فردَّ عليّ، وقلت له: أنت أحمد بن أبي عاصم؟ قال: نعم. قلت: ما فعل الله بك؟ قال: يُؤنسنِي ربي. قلت: يؤنسك ربُّكَ؟ قال: نعم. فشهِقْتُ شهقةً، وانتبهتُ.

٥٧٦ الحَكِيم ^(٢)

[٤] الإمام، الحافظ، العارف، الزَّاهد، أبو عبد الله، محمد بن عليّ بن الحسن، الحَكِيم التَّرمِذِي.

وكان ذا رحلةٍ ومَعْرِفةٍ، وله مُصَنَّفَاتٌ وفضائل.

(١) ناصبي: أي مبغض لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه.

(٢) انظر السير: ١٣ / ٤٣٩-٤٤٢.

وله حِكْمٌ وَمَوَاعِظٌ وَجَلَالَةٌ ، لَوْلَا هَفْوَةٌ بَدَتْ مِنْهُ .

[١] وَمِنْ كَلَامِهِ : لَيْسَ فِي الدُّنْيَا حِمْلٌ أَثْقَلُ مِنَ الْبِرِّ ، فَمَنْ بَرَّكَ ، فَقَدْ أَوْثَقَكَ ، وَمَنْ جَفَاكَ فَقَدْ أَطْلَقَكَ .

[٢] وَقَالَ : كَفَى بِالْمَرْءِ عِيَاءً أَنْ يَسُرَّهُ مَا يَضُرُّهُ .

[٣] وَقَالَ : مَنْ جَهِلَ أَوْصَافَ الْعِبُودِيَّةِ ، فَهُوَ بِنُعُوتِ أَوْصَافِ الرِّبَايَةِ أَجْهَلُ .

[٤] وَقَالَ : صَلَاحُ خَمْسَةٍ فِي خَمْسَةِ : صَلَاحُ الصَّبِيِّ فِي الْمَكْتَبِ ، وَصَلَاحُ الْفَتَى فِي الْعِلْمِ ، وَصَلَاحُ الْكَهْلِ فِي الْمَسْجِدِ ، وَصَلَاحُ الْمَرْأَةِ فِي الْبَيْتِ ، وَصَلَاحُ الْمُؤَذِيِّ فِي السُّجُنِ .

[٥] وَسُئِلَ عَنِ الْخَلْقِ : فَقَالَ : ضَعُفُ ظَاهِرٍ ، وَدَعْوَى عَرِضَةٍ .

[٦] قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ : أَخْرَجُوا الْحَكِيمَ مِنْ تَرْمِذٍ ، وَشَهِدُوا عَلَيْهِ بِالْكَفْرِ ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ تَصْنِيفِهِ كِتَابَ : « خَتَمُ الْوَلَايَةِ » ، وَكِتَابَ : « عِلَلُ الشَّرِيعَةِ » ، وَقَالُوا : إِنَّهُ يَقُولُ : إِنْ لِلْأَوْلِيَاءِ خَاتَمًا كَالْأَنْبِيَاءِ لَهُمْ خَاتَمٌ . وَإِنَّهُ يُفَضِّلُ الْوَلَايَةَ عَلَى النُّبُوَّةِ ، وَاحْتِجَ بِحَدِيثٍ : « يَغِطُّهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشَّهَدَاءُ » . فَقَدِمَ بَلْخَ ، فَقَبِلُوهُ لِمُوَافَقَتِهِ لَهُمْ فِي الْمَذْهَبِ .

[٧] وَقَالَ السُّلَمِيُّ : هُجِرَ لِتَصْنِيفِهِ كِتَابَ : « خَتَمُ الْوَلَايَةِ » ، وَ « عِلَلُ الشَّرِيعَةِ » ، وَلَيْسَ فِيهِ مَا يَوْجِبُ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ لِبَعْدِ فَهْمِهِمْ عَنْهُ .

[٨] قُلْتُ : كَذَا تُكَلِّمُ فِي السُّلَمِيِّ مِنْ أَجْلِ تَأْلِيفِهِ كِتَابَ : « حَقَائِقُ التَّفْسِيرِ » ، فَيَالَيْتَهُ لَمْ يُؤَلِّفْهُ ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْإِشَارَاتِ الْحَلَّاجِيَّةِ ، وَالشَّطِّحَاتِ الْبِسْطَامِيَّةِ ، وَتَصَوُّفِ الْإِتِّحَادِيَّةِ ، فَوَاحِزْنَاهُ عَلَى غُرْبَةِ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ . . . ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

[١] الحافظ، المتقن، الإمام، الربّاني، أبو العباس، أحمد بن علي بن مُسلم الأَبَار، من علماء الأثر ببغداد.

وَجَمَعَ وَصَفَ وَأَرَخَ.

قال الخطيب: كان ثقة حافظاً متقناً، حَسَنَ المذهب.

[٢] وقال جعفر الخُلدي: كان الأَبَار من أزهد الناس، استأذن أمّه في الرحلة إلى قُتَيْبَة، فلم تَأْذُنْ له، ثم ماتت، فخرج إلى خراسان، ثم وصل إلى بلخ وقد مات قُتَيْبَة، فكانوا يُعزُّونه على هذا، فقال: هذا ثمرة العلم، إني اخترت رِضَى الوالدة.

[٣] وقال أبوسهل بن زياد: سمعت أحمد الأَبَار يقول: بايعتُ النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه وسلم في النوم على إقامِ الصَّلَاةِ، وإيتاءِ الزَّكَاةِ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

[٤] وقال أحمد بن جعفر بن سَلَم: سمعت الأَبَار يقول: كنت بالأهواز، فرأيت رجلاً قد حفَّ شاربَه - وأظنه قال: قد اشترى كُتُباً وتعيَّن للفتيا - فذكر له أصحاب الحديث، فقال: ليسوا بشيء، وليس يَسُوون شيئاً. فقلتُ: أنت لا تُحسن تُصَلِّي. قال: أنا؟ قلت: نعم، أيُّش تحفظُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا افتتحتَ ورفعَتَ يديكَ؟ فسكتَ، قلت: فما تحفظُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سَجَدْتَ؟ فسكتَ، فقلتُ: أَلَمْ أَقُلْ: إنك لا تُحسن تُصَلِّي؟ فلا تذكرُ أصحابَ الحديث.

توفي الأَبَار تسعين ومِئتين.

قلت: عاش نِيفاً وثمانين سَنَةً.

(١) انظر السير: ١٣ / ٤٤٣-٤٤٤.

٥٧٨ السَّرْخَسِي (١)

الفيلسوف، البارع، ذو التصانيف، أبو العباس، أحمد بن الطَّيِّب السَّرْخَسِي، من بحور العلم الذي لا ينفع.

وكان مؤدب المعتضد، ثم صار نديمه وصاحب سره ومشورته، وله رئاسة وجلالة كبيرة. وهو تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي الفيلسوف.

ثم إن المعتضد انتحى الله، وقتل السَّرْخَسِي لفلسفته وخُبث معتقده. فقليل: إنه تنصل إليه، وقال: قد بعث كتب الفلسفة والنجوم والكلام، وما عندي سوى كتب الفقه والحديث. فلما خرج قال المعتضد: والله إني لأعلم أنه زنديق، فعل ما زعم رياء.

ويقال: إنه قال له: لك سالف خدم، فكيف تختار أن تقتلك. فاختار أن يطعم كباب اللحم، وأن يسقى خمرا كثيرا حتى يسكر، ويُقصد في يديه، ففعل به ذلك، فصفي من السدم، وبقيت فيه حياة، وغلبت عليه الصفراء، وجُن، وصاح، وبقي ينطح الحائط لفرط الآلام، ويعدو كثيرا حتى مات، وذلك سنة ست وثمانين ومئتين.

٥٧٩ الْمُعْتَضِدُ بِاللَّهِ (٢)

الخليفة، أبو العباس، أحمد بن الموفق بالله، ولي العهد، أبي أحمد، طلحة ابن المتوكل جعفر بن الْمُعْتَضِم محمد بن الرُّشيد الهاشمي العباسي.

ولد في أيام جدّه سنة اثنتين وأربعين ومئتين.

واستخلف بعد عمّه الْمُعْتَمِد في رجب سنة تسع.

(١) انظر السير: ١٣ / ٤٤٨-٤٤٩.

(٢) انظر السير: ١٣ / ٤٦٣-٤٧٩.

وكان ملكا مهيبا، شجاعا، جبّارا، شديد الوطأة، من رجال العالم، يُقدّم على الأسد وحده. وكان أسمر نحيفا، معتدل الخلق، كامل العقل.

[١] قال المسعودي: كان قليل الرحمة، إذا غضب على أمير حفر له حفيرة، وألقاه حيا، وطم عليه. وكان ذا سياسة عظيمة، قيل: إنه تصيد، فنزل إلى جانب مقشاة، فصاح الناطور، فطلبه، فقال: إن ثلاثة غلمان دخلوا المقشاة، وأخذوا، فجيء بهم، فاعتقلوا، ومن الغد ضربت أعناقهم، فقال لابن حمدون: اصدقني عني، فذكرت الثلاثة، فقال: والله ما سفكت دما حراما منذ وليت الخلافة، وإنما قتلت حرامية قد قتلوا، أوهمت أنهم الثلاثة. قلت: فأحمد بن الطيّب؟ قال: دعاني إلى الإلحاد.

[٢] عن إسماعيل القاضي، قال: دخلت على المعتضد، وعلى رأسه أحداث روم ملاح، فنظرت إليهم، فرآني المعتضد أتأملهم، فلما أردت الانصراف، أشار إليّ، ثم قال: أيها القاضي! والله ما حللت سراويلي على حرام قط.

[٣] ودخلت مرة، فدفع إليّ كتابا، فنظرت فيه، فإذا قد جمع له فيه الرخص من زلل العلماء، فقلت: مصنف هذا زنديق. قال: ألم تصحّ هذه الأحاديث؟ قلت: بلى، ولكن من أباح المسكر لم يُبح المُتعة، ومن أباح المُتعة لم يبح الغناء، وما من عالم إلا وله زلة، ومن أخذ بكل زلل العلماء ذهب دينه. فأمر بالكتاب فأحرق.

[٤] قال أبو علي المحسن التتويحي: بلغني عن المعتضد أنه كان جالسا في بيت يبنى له، فرأى فيهم أسود منكر الخلقة يصعد السلالم درجتين درجتين، ويحمل ضعف ما يحمله غيره، فأنكر ذلك، وطلبه، وسأله عن سبب ذلك، فتلجّج فكلّمه ابن حمدون فيه، وقال: من هذا حتى صرفت فكرك إليه؟ قال: قد وقع في خلدي أمر ما أحسبه باطلا، ثم أمر به، فضرب مئة، وتهدّده بالقتل، ودعا

بالنطع^(١) والسيف، فقال: الأمان، أنا أعمل في أتون الأجر، فدخل من شهور رجل في وسطه هميان،^(٢) فأخرج دنائير فوثبت عليه، وسددت فاه، وكثفته، وألقته في الأتون، والذهب معي يقوى به قلبي، فاستحضرها، فإذا على الهميان اسم صاحبه، فنودي في البلد، فجاءت امرأة، فقالت: هو زوجي ولي منه طفل، فسلم الذهب إليها، وقتله.

[١] وأن خادما أتاه، فأخبره أن صيادا أخرج شبكته، فتقلت، فجدبها، فإذا فيها جراب، فظنته مالا، فإذا فيه أجر بينه كف مخضوبة، فهال ذاك المعتضد، وأمر الصياد، فعاود الشبكة، فخرج جراب آخر فيه رجل، فقال: معي في بلدي من يفعل هذا؟ ما هذا بملك! فلم يفطر يومه، ثم أحضر ثقة له، وأعطاه الجراب، وقال: طف به على من يعمل الجرب: لمن باعه؟ فغاب الرجل، وجاء وقد عرف بائعه، وأنه اشترى منه عطار جرابا، فذهب إليه، فقال: نعم، اشترى مني فلان الهاشمي عشرة جرب، وهو ظالم... إلى أن قال: يكفيك أنه كان يعشق مغنية، فاكتراها من مولاها، وأدعى أنها هربت! فلما سمع المعتضد ذلك سجد، وأحضر الهاشمي، فأخرج له اليد والرجل، فاصفر واعترف، فدفع إلى صاحب الجارية ثمنها، وسجن الهاشمي، فيقال: قتله.

[٢] وعن خفيف السمرقندي: قال: خرجت مع المعتضد للصيد، وانقطع عنه العسكر فخرج علينا الأسد، فقال: يا خفيف! أمسك فرسي. ونزل، فتحزم، وسل سيفه، وقصد الأسد، فقصده الأسد، فتلقاه، المعتضد، فقطع يده، فتشاغل بها الأسد. فضربه فلق هامته، ومسح سيفه في صوفه، وركب، وصحبته، إلى أن مات، فما سمعته يذكر الأسد، لقلته احتفاله به.

قلت: وكان في المعتضد حرص، وجمع للمال، حارب الزنج، وله مواقف

(١) النطع، بفتح النون وكسرهما، وفتح الطاء وكسرهما وسكونها: بساط من الجلد، كثيرا ما كان يقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل.

(٢) الهميان: كيس للنفقة يُشد في الوسط.

مشهودة، وفي دولته سكنت الفتن، وكان فتاه بدر على شريطة، وعُيِّد الله بن سليمان على وِزارته، ومحمد بن شاه على حرسه، وأسقط المَكْس، ونشر العدل، وقُلِّل من الظلم، وكان يُسمَّى السَّفَاح الثاني، أحياناً رَمِيمَ الخلافة التي ضَعُفَتْ من مقتل المتوكل، وأنشأ قصراً غَرِمَ عليه أربع مئة ألف دينار، وكان مزاجه قد تغير من فَرط الجَماع وعدم الحمية.

وكان أبو العباس شهماً، جلدأً، رجلاً بازلاً، موصوفاً بالرجلة والجزالة، قد لقي الحروب، وعُرف فضله، فقام بالأمر أحسن قيام، وهابه الناس ورهبوه، ثم عقد له المُعْتَمِد مكان الموفق، وجعل أولاده تحت يده، ثم إن المعتمد جلس مجلساً عاماً، أشهد فيه على نفسه بخلع ولده المفوض إلى الله جعفر من ولاية عهده، وإفراد أبي العباس بالعهد في المحرم.

[١] وفي سنة ثمان وسبعين: كان أول شأن القرامطة.

[٢] ولا ريب أن أول وهن على الأمة قَتْلُ خليفَتِها عثمانَ صبراً، فهاجت الفتنة، وجَرَتْ وقعة الجمل بسببها، ثم وقعة صفين، وجرت سُيُولُ الدماء في ذلك. ثم خَرَجَت الخوارج، وكفرت عثمانَ وعلياً، وحاربوا، ودامت حروب الخوارج سنين عدَّة.

ثم هاجت المُسَوِّدَةُ بخراسان، وما زالوا حتى قلعوا دولة بني أمية، وقامت الدولة الهاشمية بعد قتل أمم لا يحصيهم إلا الله. ثم اقتتل المنصور وعُمهُ عبدالله. ثم خُذِلَ عبدالله، وقُتِلَ أبو مُسلم صاحب الدعوة.

[٣] ثم خرج ابنا حسن^(١)، وكاد أن يتملكا، فقتلا.

(١) هما: محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، وأخوه إبراهيم، وكان خروجهما على المنصور، ذلك أنهما تخلفا عن الحضور عنده عندما حج في ذلك العام، فطلبهما، وبالغ في ذلك، وقبض على أبيهما مع عدد من أهل البيت، وسجنهم، وماتوا في سجنه. فثار محمد في المدينة، وسجن متوليها، وصار له شأن وعمال على المدن، إلى أن أرسل إليه المنصور جيشاً بقيادة ابن عمه عيسى بن موسى قضى عليه سنة (١٤٥هـ).

ثم كان حربٌ كبيرٌ بين الأمين والمأمون، إلى أن قتل الأمين.

وفي أثناء ذلك قام غير واحد يطلب الإمامة:

[١] فظهر بعد المئتين بابك الخرمي زنديق بأذربيجان، وكان يُضرب بفرط شجاعته الأمثال، فأخذ عدة مدائن، وهزم الجيوش إلى أن أُسر بحيلة، وقُتل.

[٢] ولما قتل المتوكل غيلة، ثم قتل المعتز، ثم المستعين والمهتدي، وضعف شأن الخلافة وتوَّب ابنا الصفار إلى أن أخذوا خراسان، بعد أن كانا يعملان في النحاس، وأقبلا لأخذ العراق وقُلِعَ المعتمد.

وتوَّب طرقي داهية بالزنج على البصرة، وأباد العباد ومزق الجيوش، وحاربوه بضعة عشرة سنة إلى أن قُتل. وكان مارقاً، بلغ جُنْدُه مئة ألف.

[٣] فبقي يتشبه بهؤلاء كلُّ من في رأسه رئاسة، ويتحيل على الأمة ليرديهم في دينهم ودنياهم، فتحرك بقرى الكوفة رجل أظهر التَّعبد والتَّرهُّد، وكان يسف الخوص ويؤثر، ويدعو إلى إمام أهل البيت، فتلقَّ له خلق وتألَّهوا إلى سنة ست وثمانين، فظهر بالبحرين أبوسعيد الجنابي، وكان قماراً، فصار معه عسكر كبير، ونهبوا، وفعلوا القبائح، وتزندقوا، وذهب الأخوان يدعون إلى المهدي بالمغرب، فثار معهما البربر، إلى أن ملك عبد الله الملقب بالمهدي غالب المغرب، وأظهر الرِّفْض، وأبطن الزندقة، وقام بعده ابنه، ثم ابن ابنه، ثم تملك المعزُّ وأولاده مصر والمغرب واليمن والشام، دهرًا طويلاً فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي سنة ثمانين عاثت بنو شيان، فسار المعتضد، فلحقهم بالسُّن، فقتل وغرَّق ومزَّقهم، وغنم العسكر من مواشيهم مالا يُوصف، حتى أبيع الجمل بخمسة دراهم، وصان نساءهم وذرائعهم، ودخل الموصل، فجاءته بنو شيان، وذلوا، فأخذ منهم رهائن، وأعطاهم نساءهم، ومات في السجن المفوض إلى الله، وقيل: كان المعتضد يُنادمه في السر.

[٤] قيل: كان لتاجر على أمير مال، فمطله، ثم جحده، فقال له صاحب له:

قم معي، فأتى بي خياطاً في مسجد. فقام معنا إلى الأمير، فلما رآه، هابه، ووفاني المال، فقلت للخياط: خذ مني ما تريد، فغضب، فقلت له: فحدثني عن سبب خوفه منك، قال: خرجت ليلة، فإذا بتركي قد صاد امرأة مليحة وهي تتمنع منه وتستغيث، فأنكرت عليه، فضربني، فلما صليت العشاء جمعت أصحابي، وجئت بابه، فخرج في غلمانه، وعرفني، فضربني وشجني، وحملت إلى بيتي، فلما تنصف الليل، قمت فأدنت في المنارة، لكي يظن أن الفجر طلع فيخلي المرأة، لأنها قالت: زوجي حالف علي بالطلاق أنني لا أبيت عن بيتي، فما نزلت حتى أحاط بي بدر وأعوانه، فأدخلت على المعتضد، فقال: ما هذا الأذان؟ فحدثته بالقصة، فطلب التركي، وجهز المرأة إلى بيتها، وضرب التركي في جوالق حتى مات، ثم قال لي: أنكر المنكر، وما جرى عليك فأذن كما أذنت، فدعوت له، وشاع الخبر، فما خاطبت أحداً في خصمه إلا أطاعني وخاف.

[١] وفيها: غزا صاحب ما وراء النهر إسماعيل بن أحمد بن أسد بلاد الترك، وأسر ملكهم في نحو من عشرة آلاف نفس، وقتل مثلهم.

[٢] وغزا المسلمون أرض الروم، فافتتحو ملوريه.

[٣] وفي سنة إحدى وثمانين ومئتين: غارت مياه طبرستان، حتى لأبيع الماء ثلاثة أرطال بدرهم، وجاعوا، وأكلوا الميتة.

[٤] وفي سنة اثنتين وثمانين قتل خمارويه صاحب مصر والشام غلمانه، لأنه راودهم، ثم أخذوا، وصلبوا، وتملك ابنه جيش، فقتلوه بعد يسير، وملكوا أخاه هارون، وقرر على نفسه أن يحمل إلى المعتضد في العام ألف دينار، وخمس مئة ألف دينار.

وفي سنة ثلاث وثمانين ومئتين: سار المعتضد إلى الموصل، لأجل هارون الشاري، وكان قد عاث وأفسد، وامتدت أيامه، فقال الحسين بن حمدان

للمعتضد: إن جئتُك به فلي ثلاث حوائج. قال: سَمِّها. قال: تُطَلِّق أبي،
والحاجتان: أذكرهما إذا أتيتُ به. قال: لك ذلك، قال: وأريد أن أنتقي ثلاثَ
مئة بطل. قال: نعم. ثم خرج الحسين في طلب هارون، فضايقه في مخاضة،
والتقوا، فانهزم أصحاب هارون، واختفى هو، ثم دلَّ عليه أعرابٌ، فأسره
الحسين وقدم به، وخلع المعتضد على الحسين، وطوّفه وسوّره، وعملت
الزينة، وأركب هارون فيلا، وازدحم الخلق، حتى سقط كرسيُّ جسر بغداد،
وغرق خلق.

[١] قال ابن جرير: وفي سنة (٢٨٤): عزم المعتضد على لَعْنَةِ مُعاوية على
المنابر فخوفه الوزير، فلم يلتفت، وحسَم مادة اجتماع الشيعة وأهل البيت،
ومنع القُصاص من الكلام جُملة، وتجمع الخلق يومَ الجمعة لقراءة ما كتب في
ذلك، وكان من إنشاء الوزير، فقال يوسف القاضي: راجع أمير المؤمنين.
فقال: يا أمير المؤمنين! تخاف الفتنة؟ فقال: إن تحرّكت العامة وضعتُ السيفَ
فيهم. قال: فما تصنع بالعلوية الذين هم في كل قطر قد خرجوا عليك؟ فإذا
سمع الناس هذا من مناقبهم كانوا إليهم أميل وأبسط ألسنة. فأعرض المعتضد
عن ذلك.

[٢] وفي سنة ستَّ ظهر بالبحرين رأس القرامطة أبو سعيد الجنابي، وكثرت
جموعه، وانضاف إليه بقايا الزنج، وكان كيّالا بالبصرة، فقيراً يرفو الأعدال، وهم
يستخفون به، ويسخرون منه. قال أمره إلى ما آل، وهزم عساكر المعتضد
مراتٍ، وفعل العظائم، ثم دُبِح في حَمّام قصره. فخلفه ابنه سليمان الذي أخذ
الحجر الأسود، وقتل الحجيج حَوْل الكعبة، وهو جدّ أبي علي الذي غلب على
الشام، وهلك بالرُملة في سنة خمس وستين وثلاث مئة.

[٣] وفي سنة سبع: استفحل شأنُ القرامطة، وأسرفوا في القتل والسبي، والتقى
الجنابي وعباسُ الأمير، فأسره الجنابي، وأسر عامة عسكره، ثم قتل الجميع

سوى عباس، فجاء إلى المعتضد وحده في أسوأ حال.
 ووقع الفناء بأذربيجان، حتى عُدِمَت الأكفان جملةً، فكفَنُوا في اللَّبُودِ.
 واعتل المعتضد في ربيع الآخر، ثم تماثل، وانتكس، فمات في الشهر،
 وقام المكتفي لثمانٍ بقين من الشهر، وكان غائباً بالرقة، فنهض بالبيعة له الوزير
 القاسم بن عبيد الله.
 وكانت خلافة المعتضد تسع سنين، وتسعة أشهر وأياماً.
 وقد وَلِيَ الخلافة من بنيهِ: المكتفي علي، والمقتدر جعفر، والقاهر محمد،
 وله عدَّة بناتٍ، وهارون.

٥٨٠ المكتفي بالله^(١)

[١] الخليفة، أبو محمد، علي بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق
 طلحة بن المتوكل العباسي.
 مولده في سنة أربع وستين ومئتين.
 بويع بالخلافة عند موت والده بعهد منه، في جمادى الأولى، سنة تسع
 وثمانين، فاستُخِلَفَ ستة أعوام ونصفاً.
 وهدم المطامير التي عملها أبوه، وصيرها مساجد، وردَّ أملاك الناس إليهم،
 وكان أبوه قد أخذها لعمل قصر، وأحسن السيرة، فأحبه الناس.
 [٢] وفي سنة إحدى وتسعين ومئتين: أقبلت جموع الترك، فبيتهم والي خراسان
 إسماعيل، وقتلوا منهم مَقْتَلَةً عظيمةً، وأقبلت الروم في مئة ألف، وأتوا إلى
 الحَدَث^(٢) فأحرقوه، وقتلوا وسبوا.
 [٣] وفيها: سار عسكر طرسوس، فافتتحوا أنطاكية، وحَصِّلَ سَهْمُ الفارس ألف

(١) انظر السير: ١٣ / ٤٧٩-٤٨٥

(٢) الحَدَث: قلعة حصينة من الثغور الشامية.

دينار.

[١] وفي سنة أربع وتسعين ومئتين: أخذ زُكْرُوهُ القِرْمَطي ركب العراق، وكنّ نساء العرب يُجْهَزْنَ على الجرحى، فيقال: قتلوا عشرين ألفاً، وأخذوا ما قيمته ألفا ألف دينار، ووقع النّوح في المدن، وجهاز المكتفي جيشاً لحربه، فلا تسأل ما فعل هذا الكلبُ بالوفد! ثم التّقوا فقتل عامّة أصحاب زُكْرُوهُ، وأسير هو وعِدّة، ثم مات من جراحه، وأحرق هو وجماعة.

وفي سنة خمسٍ وتسعين: كان الفدّاء بين المسلمين والرّوم، فافتكّ نحو ثلاثة آلاف نفر. ومات المكتفي شابّاً، في سابع ذي القعدة من السنة. وعاش إحدى وثلاثين سنة وأشهرًا.

٥٨١ ابن الأغلب^(١)

[٢] صاحب المغرب، أبو إسحاق، إبراهيم بن أحمد بن الأغلب التّميمي الأغلب القيرواني، ابن أمراء القيروان. وليّ سنة إحدى وستين ومئتين.

[٣] وكان ملكاً حازماً صارماً مهيباً، كانت التجار تسير في الأمن من مصر إلى سبته، لا تعارض، ولا ترّوع.

ابتنى الحصّون والمحارس، بحيث كانت توقّد النار، فتتصل في ليلة إذا حدّث أمرٌ من سبته إلى الإسكندرية، بحيثُ إنّه يُقال: قد أنشئ في البلاد من بنائه وبناء آبائه ثلاثون ألف معقل، وهو الذي مصر مدينة سوسة.

[٤] وقد دونت أيامه وعدله وجوده، وكان سديد السيرة، شهماً، ظفر بامرأة متعبدة قادت قوّة، فدفعها حيّة، وشنق سبعة أجناد أخذوا لتاجر ثلاثة آلاف دينار، بعد أن قرّره، وأخذ الذهب لم ينقص سوى سبعة دنانير، فوزّنها من عنده.

(١) انظر السير: ١٣ / ٤٨٧-٤٨٩.

[١] وقيل: جاءه رجل، فقال: قد عشقتُ جاريةً، وثمانها خمسون ديناراً، وما معي إلا ثلاثون. فوهبه مئة دينار، فسمع به آخر، فجاءه، وقال: إني عاشق. قال: فما تجد؟ قال: لهيباً. قال: اغمسوه في الماء، فغمسوه مراتٍ، وهو يصيح: ذَهَبَ العِشْقُ. فضحك، وأمر له بثلاثين ديناراً.

ثم إنه تسودن، وقتل إخوته، ثم عوفي، وتاب، وتصدق. ثم ظهر عليه الشيعي داعي عبيد الله المهدي، وحاربه، وجرت أمورٌ طويلة، بعضها في «تاريخ الإسلام».

[٢] توفي غازيا بصقليّة سنة تسع وثمانين ومئتين. وتملك ابنه عبدالله، فكان ديناً، عالماً، بطلاً، شجاعاً، شاعراً، فقتله غلمانُه غيلةً بعد عام.

٥٨٢ ابن الرومي^(١)

[٣] شاعر زمانه مع البُخترى، أبو الحسن، عليُّ بن العباس بن جريج، مولى آل المنصور.

له النظم العجيب، والتوليد الغريب. رتب شعره الصولي. وكان رأساً في الهجاء، وفي المديح، وهو القائل:

[٤] آراؤكم، ووجوهكم، وسُيوفكم في الحادثات إذا دجون نجوم
منها معالمٌ للهدى ومصابح تجلو الدجى والأخريات رجوم

مولده سنة إحدى عشرة ومئتين، ومات سنة ثلاث وثمانين.

[٥] قيل: إن القاسم بن عبيد الله الوزير كان يخاف من هجو ابن الرومي، فدرس عليه من أطعمه خُشْكَنَانَةً^(٢) مسمومة، فأحس بالسُّم، فوثب، فقال الوزير: إلى

(١) انظر السير: ٤٩٥-٤٩٦.

(٢) في (الوفيات): - (خشكناجة) والخشكانان: خبزة تصنع من خالص دقيق الحنطة وتملا بالسكر واللوز أو الفستق وتغلى. (فارسي).

أين؟ قال: إلى موضعٍ بعثتني إليه.
قال: سلّم على أبي. قال: ما طريقي على النار. فبقي أياماً، ومات.

٥٨٣ ابن خراش^(١)

[١] الحافظ، الناقد، البارغ، أبو محمد، عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن خراش، المروزي ثم البغدادي.

[٢] قال بكر بن محمد: سمعته يقول: شربت بولي في هذا الشأن - يعني الحديث - خمس مرات.

قال أبو نعيم بن عدي: ما رأيت أحداً أحفظ من ابن خراش.
وقال ابن عدي: قد ذكر بشيء من التشيع، وأرجو أنه لا يعتمد الكذب.
سمعت ابن عقدة يقول: كان ابن خراش عندنا إذا كتب شيئاً في التشيع يقول: هذا لا ينفق إلا عندي وعندك. وسمعت عبدان يقول: حمل ابن خراش إلى بُندار عندنا جزءين صنفهما في مثالب الشيخين، فأجازه بألفي درهم، بنى له بها حُجرة ببغداد ليحدث فيها، فمات حين فرغ منها.
وقال أبو زرعة محمد بن يوسف الحافظ: خرج ابن خراش مثالب الشيخين، وكان رافضياً.

وقال ابن عدي: سمعت عبدان يقول: قلت لابن خراش: حديث: «ما تركنا صدقة» فقال: باطل.

قلت: هذا مُعترّ مخذول، كان علمه وبألاً، وسعيه ضلالاً، نعوذ بالله من الشقاء.

مات سنة ثلاثٍ وثمانين ومئتين.

(١) انظر السير: ١٣ / ٥١٠-٥٠٨.

[١] ابن حنبل: الإمام، الحافظ، الناقد، محدث بغداد، أبو عبد الرحمن بن شيخ العصر أبي عبدالله الذُّهَلِي الشَّيْبَانِي المَرْوَزِي، ثم البغدادي. ولد سنة ثلاث عشرة ومئتين.

[٢] وقال أبو الحسين أحمد بن جَعْفَر بن المُنادي: لم يكن في الدنيا أحد أروى عن أبيه من عبدالله بن أحمد، لأنه سَمِعَ منه «المسند»، وهو ثلاثون ألفاً، و«التفسير»، وهو مئة ألف وعشرون ألفاً، وغير ذلك من التصانيف.

قلت: ما زلنا نسمع بهذا «التفسير» الكبير لأحمد على ألسنة الطُّلَبَةِ، وعُمَدَتِهِم حكاية ابن المُنادي هذه، ولكن ما رأينا أحداً أخبرنا عن وجود هذا «التفسير»، ولا بعضه ولا كُرَّاسة منه، ولو كان له وجود، أو لشيء منه لَنَسُخُوهُ، ولا عتني بذلك طلبة العلم، ولحصلوا ذلك، ونُقل إلينا، ولا شُتِهَر، وَلَتَنَافَسَ أعيانُ البغداديين في تحصيله، ولنقل منه ابن جرير فمن بعده في تفاسيرهم، وهذا «التفسير» لا وجود له، وأنا أعتقد أنه لم يكن، ببغداد لم تَزَلْ دارُ الخُلَفَاءِ، وقُبَّةُ الإسلام، ودارُ الحديث، ومحلَّةُ السُّنَنِ، ولم يزل أحمد فيها مُعْظَماً في سائر الأعصار، وله تلامذة كبار، وأصحابُ أصحاب، وهَلُمَّ جِراً إلى بالأمس، حين استباحها جيش المغول، وجرت بها من الدماء سُيُول، وقد اشتهر ببغداد «تفسير» ابن جرير، وتزاحم على تحصيله العلماء، وسارت به الرِّكبان، ولم نعرف مثله في مَعْنَاهُ، ولا أَلْفَ قبله أكبر منه، وهو في عشرين مجلدة، وما يحتمل أن يكون عشرين ألف حديث، بل لعلهُ خمسة عشر ألف إسنادٍ، فَخُذْهُ، فَعُدَّهُ إِنْ شِئْتَ.

قلت: عاش في عمر أبيه سبعا وسبعين سنة.

مات ودُفِنَ في مقابر باب التَّيْنِ (٢)، وكان الجمع كثيراً فوق المقدار.

(١) انظر السير: ١٣ / ٥١٦-٥٢٦

(٢) باب التين: محلة كبيرة كانت ببغداد على الخندق بإزاء قطعة أم جعفر.

[١] وقيل: إن عبد الله أمرهم أن يدفنوه هناك، وقال: بلغني أن هناك قبر نبي، ولأن أكون في جوار نبي أحب إلي أن أكون في جوار أبي.

[٢] وكان صيناً ديناً صادقا، صاحب حديثٍ وأتباعٍ وبصرٍ بالرجال، لم يدخل في غير الحديث، وله زيادات كثيرة في «مسند» والده واضحة عن عوالي شيوخه، ولم يحرر ترتيب «المسند» ولا سهّله، فهو محتاج إلى عمل وترتيب. فلعل الله يقبض لهذا الديوان العظيم من يرتبه ويهذبه، ويحذف ما كرر فيه، ويصلح ما تصحّف، ويوضح حال كثير من رجاله، وينبه على مرسله، ويوهن ما ينبغي من مناكيره، ويرتب الصحابة على المعجم، وكذلك أصحابهم على المعجم، ويرمز على رؤوس الحديث بأسماء الكتب الستة، وإن رتبته على الأبواب فحسن جميل، ولولا إنّي قد عجزت عن ذلك لضعف البصر، وعدم النية، وقرب الرحيل، لعملت في ذلك.

٥٨٥ القاضي أبو خازم^(١)

[٣] الفقيه، العلامة، قاضي القضاة، أبو خازم، عبد الحميد بن عبدالعزيز السكوني البصري، ثم البغدادي الحنفي. وكان ثقة، ديناً، ورعاً، عالماً، أحق الناس بعمل المحاضرات والسجلات، بصيراً بالجبر والمقابلة، فارضاً، ذكياً، كامل العقل. وبرع في المذهب حتى فضل على مشايخه.

[٤] مؤكرم بن بكر، قال: كنت في مجلس أبي خازم القاضي، فتقدم شيخ معه غلام، فادعى عليه بألف دينار، فأقر الحدّ، فقال القاضي للشيخ: ما تشاء؟ قال: حبسه. فقال للحدّ: قد سمعت فهل توفيه البعض؟ قال: لا. ففكر

(١) انظر السير: ١٣/٥٣٩-٥٤١.

ساعةً، ثم قال: تلازما حتى أنظر. فقلت: لم أحرر القاضي الحبس؟ قال: ويحك! إني أعرف في أكثر الأحوال وجه المُحقِّ من المُبطل، وقد وقع لي أن سمّحته بالإقرار شيء بعيد من الحق، أما رأيت قلة تغاضبهما في المحاورّة مع عظم المال؟ فبينما نحن كذلك، إذ استبان الأمر، فاستأذن تاجرٌ موسرٌ، فأذن له القاضي، فدخل، وقال: قد بُليت بابنٍ لي حَدَثٍ، يتلف مالي عند فلان المُقْبَن، فإذا منعتَه مالي احتال بحيلٍ يُلجئني إلى التزام غرم، وأقرُّه أنه نصَّب المُقْبَن اليوم لمطالبته بألف دينار، وأقع مع أمه - إن حبس - في نكد. فتبسم القاضي، وطلب الغلام والشيخ، فأدخلا، فوعظ الغلام، فأقرَّ الشيخ، وأخذ التاجر بيد ابنه، وانصرف.

قلت: قد كان المعتضد يحترم أبا خازم ويجلّه، قيل: إن أباخازم لما احتضر بكى، وجعل يقول: يارب! من القضاء إلى القبر. وله شعر رقيق.

مات ببغداد سنة اثنتين وتسعين ومئتين.

٥٨٦ أبو جعفر الترمذي^(١)

[١] هو: الإمام، العلامة، شيخ الشافعية بالعراق في وقته، أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الترمذي الشافعي الزاهد. ولد سنة إحدى ومئتين.

قال الدارقطني: ثقة مأمون ناسك.

[٢] وذكر إبراهيم بن السري الرجاج: أنه كان يُجرى على أبي جعفر في الشهر أربعة دراهم، يتقوّت بها. قال: وكان لا يسأل أحداً شيئاً.

[٣] ونقل الشيخ محيي الدين النووي: أن أبا جعفر جزم بطهارة شعر رسول الله

(١) انظر السير: ١٣ / ٥٤٥-٥٤٧.

صلى الله عليه وسلم. وقد خالف في هذه المسألة جمهور الأصحاب.
قلت: يتعين على كل مسلم القطع بظاهرة ذلك، وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم لما حلق رأسه، فرق شعره المَطْهَر على أصحابه، إكراما لهم بذلك. فواللهي على تقبيل شَعْرَة منها.

[١] قال والد أبي حفص بن شاهين: حضرت أباجعفر، فسُئِلَ عن حديث النزول،^(١) فقال: النزول معقول، والكَيْفُ مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

قال أحمد بن كامل القاضي: لم يكن للشافعية بالعراق رأس، ولا أورع، ولا أنقل من أبي جعفر الترمذي.
قلت: توفي سنة خمس وتسعين ومئتين، وقيل: إنه اختلط بأخرة.

٥٨٧ أبو عمرو الخفاف^(٢)

[٢] الإمام، الحافظ الكبير، القدوة، شيخ الإسلام، أبو عمرو، أحمد بن نصر بن إبراهيم، النيسابوري، المعروف بالخفاف.
قال أبو عبد الله الحاكم: كان نسيج وحده جلاله، ورئاسة، وزهدا وعبادة، وسخاء نفس.

[٣] قال الحاكم: وسمعت الصَّبْغِيَّ يقول: صام أبو عمرو الخفاف الدهر نيِّفا وثلاثين سنة.

قلت: ليته أضر وصام، فما خَفِيَ والله عليه النهي عن صيام الدهر، ولكن له سَلَفٌ، ولو صاموا أَفْضَلَ الصُّوم، لَلَزِمُوا صَوْمَ داودَ عليه السلام.

(١) ولنظفه بتمامه: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»
(٢) انظر السير: ١٣ / ٥٦٠-٥٦٤.

ولم يكن يُعَقَّب.

قال: وسمعت أبا زكريّا العنبري يقول: فلما أيس من الولد، تصدَّق بأموالٍ، كان يقال: إن قيمتها خمسة آلاف ألف درهم، على الأشراف والفقراء والموالي.

[١١] قال: وسمعت محمد بن المؤمل بن الحسن الماسرجسي، سمعت أبا عمرو الخفاف يقول: كان عمرو بن الليث الصفار - يعني السلطان - يقول لي: يا عم! متى علمت شيئاً لا يوافقك فاضرب رقبتني، إلى أن أرجع إلى هواك.

[٢٦] قلت: كذا فليكن السلطان مع الشيخ، وقد كان عمرو بن الليث صانعاً في الصفرة فتقلَّت به الأحوال إلى أن تملك خراسان، وتملك بعده أخوه يعقوب، فانظر في «تاريخ الإسلام» تسمع العجب من سيرتهما.

وكان الرئيس أبو عمرو عظيم القدر، سيِّداً مطاعاً ببلده، نال رئاسة الدين والدنيا، وكانوا يلقبونه بزين الأشراف.

وكانت وفاته سنة تسع وتسعين ومئتين، من أبناء الثمانين.

٥٨٨ البوشنجي (خ) (١)

[٢٣٦] الإمام، العلامة، الحافظ، ذو الفنون، شيخ الإسلام، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعيد. الفقيه المالكي، البوشنجي، شيخ أهل الحديث في عصره بنيسابور.

مولده في سنة أربع ومئتين.

[٤] وقال أبو زكريا العنبري: شهدت جنازة الحسين القباني، فصلَّى بنا عليه أبو عبد الله البوشنجي، فلما أرادوا الانصراف، قدَّمت دابة أبي عبد الله، وأخذ أبو عمرو الخفاف بلجامه، وأخذ إمام الأئمة بركابه، وأبو بكر الجارودي، وإبراهيم ابن أبي طالب يسويان عليه ثيابه، فلم يمنع واحداً منهم، ومضى.

(١) انظر السير: ١٣ / ٥٨١-٥٨٩.

[١] قال أبو عمرو بن نُجَيد: سمعت أبا عُثمان سعيد بن إسماعيل يقول: تقدمت لأصافح أبا عبد الله البوشنجي تبرُّكاً، فقبَضَ عني يده، ثم قال: يا أبا عُثمان! لست هناك.

[٢] الحاكم: سمعت الحسن بن أحمد بن موسى، سمعت أبا عبد الله البوشنجي يقول في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كان القرآن في إهابٍ ما مسته النار»، قال: معناه: أن مَنْ حَمَلَ القرآنَ وقرأه، لم تَمَسَّهُ النارُ.

[٣] محمد بن إبراهيم البوشنجي، حدثنا عبد الله بن يزيد الدمشقي، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: رأيت في المقسلاط صنماً من نحاس، إذا عطش، نَزَلَ، فَشَرِبَ. ثم قال البوشنجي: ربما تكلمت العلماء على سبيل تفقدهم مقدارَ أفهامِ حاضريهم، تأدياً لهم، وتنبيهاً على العلم، وامتحاناً لأوهامهم فهذا ابن جابر، وهو أحدُ علَماءِ الشام، وله كتب في العلم، يقول هذا، والمقسلاط: موضع بدمشق بسوق الدَّقِيق، يريد أن الصنم لا يَعطش، ولو عطش نَزَلَ فشرب، فينفي عنه النزول، والعَطَش.

[٤] قال أبو النضر الفقيه: سمعتُ البوشنجي يقول: من أراد العلم والفقه بغير أدب، فقد اقتحم أن يكذبَ على الله ورسوله.

توفي سنة إحدى وتسعين ومئتين، وصلى عليه ابنُ خزيمة.

الجزء الرابع عشر

٥٨٩ ثعلب^(١)

١١ العلامة المحدث، إمام النحو، أبو العباس، أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولا هم البغدادي صاحب الفصيح والتصانيف.

وُلِدَ سنة مئتين، وكان يقول: ابتدأت بالنظر وأنا ابنُ ثمانِي عشرة سنة، ولما بلغتَ خمساً وعشرين سنة، ما بقي عليّ مسألة للفراء، وسمعتُ من القواريري مئة ألف حديث.

قال الخطيب: ثقة، حجة، دينٌ صالح، مشهور بالحفظ.

وقيل: كان لا يتفصح في خطابه.

قال المبرّد: أعلم الكوفيين ثعلب. فذكر له الفراء، فقال: لا يعشُرُه.

١٢ وكان يُزري على نفسه، ولا يعدُّ نفسه.

[٣] قال ابنُ مجاهد: فرأيتُ النبي ﷺ في المنام فقال لي: اقريء أبا العباس السّلام، وقل له: إنك صاحبُ العلمِ المُستطيل.

وله كتاب: «اختلاف النحويين» وكتاب «القراءات» وكتاب «معاني القرآن». وأشياء.

وعُمِّرَ، وأصَمَّ، صدمته دابة، فوقع في حُفرة، ومات منها في جمادى الأولى، سنة إحدى وتسعين ومئتين.

٥٩٠ أبو خليفة^(٢)

الإمام العلامة، المحدث الأديب الأخباري، شيخُ الوقت، أبو خليفة، الفضل ابن الحُباب، الجَمَحِيُّ البصريُّ الأعمى.

(١) انظر السير: ٥/١٤-٧

(٢) انظر السير: ١١-٧/١٤

وُلِدَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَمِثْنَيْنِ ، وَعُنِيَ بِهَذَا الشَّانَ وَهُوَ مُرَاهِقٌ ، فَسَمِعَ فِي سَنَةِ عَشْرَيْنِ وَمِثْنَيْنِ ، وَلَقِيَ الْأَعْلَامَ ، وَكُتِبَ عِلْمًا جَمًّا .

وَكَانَ ثِقَةً صَادِقًا مَأْمُونًا ، أَدِيبًا فَصِيحًا مَفُوهًا ، رُحِلَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَفَاقِ ، وَعَاشَ مِئَةَ عَامٍ سَوَى أَشْهَرٍ .

[١] قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْمُحَامِلِيِّ : أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَلِيفَةَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : حَضَرْنَا يَوْمًا عِنْدَ خَلِيلِ أَمِيرِ الْبَصْرَةِ ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي خَلِيفَةَ كَلَامٌ . فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمَتَكَلِّمُ ؟ فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ : مَا مِثْلُكَ مِنْ جَهْلٍ مِثْلِي : أَنَا أَبُو خَلِيفَةَ الْفَضْلُ بْنُ الْحُبَابِ أَفْهَلُ يَخْفَى الْقَمَرُ ؟ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، وَقَضَى حَاجَتَهُ ، وَلَمَّا خَرَجَ ، سَأَلُوهُ ، فَقَالَ : مَا كَانَ إِلَّا خَيْرًا ، أَحْضَرَنِي مَادَّبَتُهُ ، فَأَبْطُ ، وَأَدَجْ ، وَأَفْرَخْ ، وَفُولَجْ لَوْدَجْ ، ثُمَّ أَتَانِي بِالشَّرَابِ ، فَقُلْتُ : مُعَاذَ اللَّهِ ، فَعَاهَدَنِي أَنْ أَتِيَ مَادَّبَتَهُ كُلَّ يَوْمٍ ، فَكَانَ إِنْسَانٌ يَأْتِي كُلَّ يَوْمٍ ، فَيَحْمِلُهُ إِلَى الْأَمِيرِ .

[٢] قَالَ الصُّوْلِيُّ : كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَى أَبِي خَلِيفَةَ كِتَابَ : « طَبَقَاتُ الشُّعْرَاءِ » وَغَيْرَ ذَلِكَ ، قَالَ : فَوَاعَدَنَا يَوْمًا وَقَالَ : لَا تَخْلِفُونِي فَإِنِّي أَتَّخِذُ لَكُمْ خَيْصَصَةً فَتَأْخُرُ لَشُغْلٍ عَرْضَ لِي ، ثُمَّ جِئْتُ وَالْهَاشِمِيُّونَ عِنْدَهُ ، فَلَمْ يَعْرِفْنِي الْغَلَامُ ، وَحَجَّجَنِي ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ : أبا خَلِيفَةَ تَجَفُّوْا مِنْ لَهْ أَدَبٍ وَتَوَثَّرِ الْعُرَّ مِنْ أَوْلَادِ عَبَّاسٍ وَأَنْتَ رَأْسُ الْوَرَى فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ وَفِي الْعُلُومِ ، وَمَا الْأَذْنَابُ كَالرَّاسِ مَا كَانَ قَدْرُ خَيْصَصٍ لَوْ أَذْنَتْ لَنَا فِيهِ فَيَخْتَلِطُ الْأَشْرَافُ بِالنَّاسِ فَلَمَّا قَرَأَهَا صَاحَ عَلَى الْغَلَامِ ، ثُمَّ دَخَلْتُ ، فَقَالَ : أَسَأْتَ إِلَيْنَا بَتَغْيِيكَ ، فَظَلَمْتَنَا فِي تَعْتَبِكَ ، وَإِنَّمَا عَقَدَ الْمَجْلِسَ بَكَ ، وَنَحْنُ فِيمَا فَاتَنَا بِتَأْخِيرِكَ كَمَا أَنْشَدَنِي التَّوْزِي لِمَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثُمَّ نَدِمَ فَتَزَوَّجَتْ رَجُلًا ، فَمَاتَ حِينَ دَخَلَ بِهَا ، فَتَزَوَّجَهَا الْأَوَّلُ فَقَالَ :

فَعَادَتْ لَنَا كَالشَّمْسِ بَعْدَ ظَلَامِهَا عَلَى خَيْرِ أَحْوَالٍ كَانَ لَمْ تُطَلَّقْ
ثُمَّ صَاحَ : يَا غَلَامُ ! أَعِدْ لَنَا مِثْلَ طَعَامِنَا ، فَأَقِمْنَا عِنْدَهُ يَوْمَنَا .

[٣] قَالَ أَبُو نَعِيمٍ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ الْحَسَنِ الْإِسْفَرَايِينِي ، ابْنُ أُخْتِ أَبِي عَوَانَةَ : سَمِعْتُ

أبي يقول لأبي علي النيسابوري الحافظ : دخلتُ أنا وأبو عَوانةَ البصرة، فقليل : إن أبا خليفة قد هُجِر، ويُدعى عليه أنه قال : القرآن مخلوق . فقال لي أبو عَوانة : يا بُني ! لا بدَّ أن ندخلَ عليه . قال : فقال له أبو عَوانة : ما تقولُ في القرآن؟ فاحمرَّ وجهه وسكت . ثم قال : القرآن كلام الله غيرُ مخلوق، ومن قال : مخلوق، فهو كافر، وأنا تائب إلى الله من كل ذنب إلا الكذب، فإنِّي لم أكذب قطّ، أستغفرُ الله . قال : فقام أبو علي إلى أبي، فقبلَ رأسه . ثم قال أبي : قام أبو عَوانة إلى أبي خليفة، فقبلَ كتِفَه .

توفي أبو خليفة سنة خمسٍ وثلاث مئة بالبصرة .

٥٩١ صالح بن محمد^(١)

[١] ابن عمرو . الإمامُ الحافظُ الكبير الحجة، محدِّثُ المشرق، أبو عليّ الأسدي البغدادي، الملقب جَزَرَة - بجيم وزاي - نزيلُ بُخَارَى .

مولده سنة خمس ومئتين ببغداد . وكان ثقة حافظاً غازياً .

[٢] وقال خلف بن محمد الحَيَّام : حدثنا سهل بن شاذويه : أنَّه سمع الأميرَ خالدَ بن أحمدَ يسأل أبا عليّ : لم لُقِّبتَ جَزَرَة؟ قال : قدِمَ علينا عمرُ بنُ زرارة، فحدَّثهم بحديث عن عبد الله بن بسر : أنَّه كان له خَرَزَة للمريض، فجئتُ وقد تقدَّم هذا الحديث، فرأيتُ في كتاب بعضهم وصحتُ بالشيخ : يا أبا حفص ! يا أبا حفص ! كيف حديث عبد الله بن بسر : أنه كانت له جَزَرَة يداوي بها المرضى، فصاح المحدثون المُجَّان، فبقيَ عليّ حتَّى السَّاعة .

قلتُ : قد كان صالح صاحبَ دُعابة، ولا يغضب إذا واجهه أحدٌ بهذا اللَّقب .

[٣] بكر بن محمد الصيرفي : سمعتُ صالح بن محمدٍ قال : كنتُ أسأيرُ الجمَلَ الشاعرَ بمصر، فاستقبلنا جمل عليه جَزَر، فقال : ما هذا يا أبا عليّ؟ قلتُ : أنا عليك .

(١) انظر السير : ٢٣/١٤ - ٣٣

[١] وعن جعفر الطُّسْتِي: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا مُسْلِمَ الْكَجِّي يَقُولُ، وَذَكَرَ عِنْدَهُ صَالِحُ جَزْرَةَ فَقَالَ: مَا أَهْوَنَهُ عَلَيْكُمْ، أَلَا تَقُولُونَ: سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ!

[٢] وقال ابن أبي حاتم: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ لِأَبِي زُرْعَةَ: حَفِظَ اللَّهُ أَخَانَا صَالِحَ بْنِ مُحَمَّدٍ، لَا يَزَالُ يُضْحِكُنَا شَاهِدًا وَغَائِبًا، كَتَبَ إِلَيَّ يَذْكُرُ أَنَّهُ مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الذُّهَلِيُّ، وَجَلَسَ لِلتَّحْدِيثِ شَيْخٌ يُعْرَفُ بِمُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدٍ مُحَمِّشٍ فَحَدَّثَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ الْبَعِيرُ؟».

[٣] وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةَ رِفْقَةً فِيهَا خُرْسٌ»^(١) فَأَحْسَنَ اللَّهُ عِزَاءَكُمْ فِي الْمَاضِي، وَأَعْظَمَ أَجْرَكُمْ فِي الْبَاقِي.

[٤] وَرَوَى عَنْ صَالِحِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: الْأَحْوَلُ فِي الْبَيْتِ مَبَارَكٌ، يَرَى الشَّيْءَ شَيْئِينَ.

[٥] قَالَ بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّرِفِيُّ: سَمِعْتُ صَالِحًا يَقُولُ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبَانَ يَمْتَحِنُ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ، وَكَانَ غَالِيًا فِي التَّشْيِيعِ، فَقَالَ لِي: مَنْ حَفَرَ بَثْرَ زَمْزَمٍ؟ قُلْتُ: مُعَاوِيَةُ، قَالَ: فَمَنْ نَقَلَ تَرَابَهَا؟ قُلْتُ: عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، فَصَاحَ فِيَّ وَقَامَ.

[٦] وَقَالَ أَبُو النَّضْرِ الْفَقِيه: كُنَّا نَسْمَعُ مِنْ صَالِحِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَهُوَ عَلِيلٌ فَبَدَتْ عَوْرَتُهُ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ بَعْضُنَا بِأَنْ يَتَغَطَّى، فَقَالَ: رَأَيْتُهُ؟ لَا تَرْمَدُ أَبَدًا.

[٧] قَالَ أَبُو أَحْمَدَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ: سَمِعْتُ صَالِحَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ: كَانَ هِشَامُ بْنُ عُمَارٍ يَأْخُذُ عَلَى الْحَدِيثِ، وَلَا يَحْدُثُ مَا لَمْ يَأْخُذْ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا فَقَالَ: يَا أَبَا عَلِيٍّ! حَدِّثْنِي. فَقُلْتُ: حَدَّثْنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ، حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنْسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: عَلَّمُ مَجَانًا كَمَا عَلَّمْتَ مَجَانًا، فَقَالَ: تُعَرِّضُ بِي؟ فَقُلْتُ: لَا، بَلْ قَصَدْتُكَ.

[٨] بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّرِفِيُّ، سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ صَالِحَ بْنَ مُحَمَّدٍ قَالَ: دَخَلْتُ مِصْرَ فَإِذَا حَلَقَةٌ ضَخْمَةٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: صَاحِبُ نَحْوٍ. فَقَرِبتُ مِنْهُ، فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ: مَا كَانَ بَصَادٍ، جَازَ بِالسَّيْنِ. فَدَخَلْتُ بَيْنَ النَّاسِ وَقُلْتُ: صَلَامٌ عَلَيْكُمْ يَا أَبَا

(١) هذه اللفظة محرفة عن «جَرْس» وهو ما يعلق في رقبة الدواب.

سَالِح ، سَلِّتُمْ بَعْدَ؟ فَقَالَ لِي : يَا رَقِيع ! أَيَّ كَلَامٍ هَذَا؟ قُلْتَ : هَذَا مِنْ قَوْلِكَ الْآنَ ،
قَالَ : أَظُنُّكَ مِنْ عِيَّارِي بَغْدَاد . قُلْتَ : هُوَ مَا تَرَى .
وَكَانَتْ وَفَاةٌ صَالِحَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتَسْعِينَ وَمِئَتَيْنِ ، وَلَهُ تِسْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً .

٥٩٢ محمد بن نصر^(١)

[١] ابْنُ الْحَجَّاجِ الْمَرْوَزِيُّ الْإِمَامُ ، شَيْخُ الْإِسْلَام ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظ .
مَوْلَدُهُ بِبَغْدَادَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَمِئَتَيْنِ ، وَمَنْشَوُهُ بَنِيْسَابُور . وَمَسْكَنُهُ سَمَرْقَنْدَ ، كَانَ
أَبُوهُ مَرْوَزِيًّا ، وَلَمْ يَرْفَعْ لَنَا فِي نَسَبِهِ .

ذَكَرَهُ الْحَاكِمُ فَقَالَ : إِمَامٌ عَصَرَهُ بِلَا مُدَافَعَةٍ فِي الْحَدِيثِ .
[٢] قُلْتُ : يُقَالُ : إِنَّهُ كَانَ أَعْلَمُ الْأَئِمَّةِ بِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ
ابْنُ إِسْحَاقَ الصَّبْغِي ، وَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَنْظُرُ إِلَى تَمَكُّنِ أَبِي عَلِيٍّ الثَّقَفِيِّ فِي عَقْلِهِ؟
فَقَالَ : ذَاكَ عَقْلُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ . قِيلَ : وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ : إِنَّ
مَالِكًا كَانَ مِنْ أَعْقَلِ أَهْلِ زَمَانِهِ وَكَانَ يُقَالُ : صَارَ إِلَيْهِ عَقْلُ الَّذِينَ جَالَسَهُمْ مِنْ
التَّابِعِينَ ، فَجَالَسَهُ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى النِّيسَابُورِي ، فَأَخَذَ مِنْ عَقْلِهِ وَسَمَتَهُ ، ثُمَّ جَالَسَ
يَحْيَى بْنُ يَحْيَى مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ سَنِينَ ، حَتَّى أَخَذَ مِنْ سَمَتِهِ وَعَقْلِهِ ، فَلَمْ يَرِ بَعْدَ
يَحْيَى مِنْ فَقْهَاءِ خِرَاسَانَ أَعْقَلُ مِنْ ابْنِ نَصْرِ ، ثُمَّ إِنَّ أَبَا عَلِيٍّ الثَّقَفِيَّ جَالَسَهُ أَرْبَعَ
سَنِينَ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَهُ أَعْقَلُ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ .

[٣] وَمِنْ كَلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ قَالَ : لَمَّا كَانَتْ الْمَعَاصِي بَعْضُهَا كُفْرًا وَبَعْضُهَا لَيْسَ
بِكُفْرٍ ، فَرَّقَ تَعَالَى بَيْنَهَا ، فَجَعَلَهَا ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ : فَنَوْعٌ مِنْهَا كُفْرٌ ، وَنَوْعٌ مِنْهَا فُسُوقٌ ،
وَنَوْعٌ مِنْهَا عَصِيَانٌ ، لَيْسَ بِكُفْرٍ وَلَا فُسُوقٍ . وَأَخْبَرَ أَنَّهُ كَرَّهَهَا كُلَّهَا إِلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَمَّا
كَانَتِ الطَّاعَاتُ كُلُّهَا دَاخِلَةً فِي الْإِيمَانِ ، وَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ خَارِجٌ عَنْهُ ، لَمْ يَفَرِّقْ
بَيْنَهَا ، فَمَا قَالَ حُبِّ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ وَالْفَرَائِضَ وَسَائِرَ الطَّاعَاتِ ، بَلْ أَجْمَلَ ذَلِكَ
فَقَالَ : ﴿ حُبِّ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ ﴾ [الْحَجَرَاتُ ٧] فَدَخَلَ فِيهِ جَمِيعُ الطَّاعَاتِ ، لِأَنَّهُ قَدْ

(١) انظر السير : ٤٠ - ٣٣ / ١٤

حب إليهم الصلاة والزكاة، وسائر الطاعات حُبٌ تَدِينُ، ويكرهون المعاصي كراهيةً تَدِينُ، ومنه قوله عليه السلام: «من سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ، وساءتْهُ سَيِّئَتُهُ، فهو مُؤْمِنٌ».

[١] وقال أبو بكر الصَّبْغِي: أدركت إمامين لم أَرِزِقِ السَّمَاعَ منهما: أبو حاتم الرَّازِي، ومحمد بن نصر المَرْوَزِي، فأما ابن نصر، فما رأيت أحسن صلاةً منه، لقد بلغني أن زُبُوراً قعد على جَبْهَتِهِ فسال الدَّمُ على وجهه، ولم يتحرك.

[٢] وقال محمد بن يعقوب بن الأخرم: ما رأيت أحسن صلاةً من محمد بن نصر، كان الذباب يقع على أُذُنِهِ، فيسيل الدَّمُ، ولا يَذُبُّه عن نفسه، ولقد كنّا نتعجب من حُسْنِ صَلَاتِهِ وخشوعه وهَيِّئِهِ للصَّلاة، كان يضع ذَقْنَهُ على صدره فيتنصبُ كأنه خشبةٌ منصوبة. قال: وكان من أحسن الناس خلقاً، كأنما فُقيءَ في وجهه حُبُّ الرُّمَّانِ، وعلى خَدَيْهِ كالوَرْدِ، ولحِيَّتُهُ بيضاء.

[٣] عثمان بن جعفر اللِّبَان، حدثني محمد بن نصر قال: خرجتُ من مِصرَ ومعي جاريةٌ، فركبت البحر أريدُ مَكَّةَ، ففرقتُ، فذهب مِنِّي ألفا جزء، وصرت إلى جزيرة أنا وجاريتي، فما رأينا فيها أحداً، وأخذني العطشُ فلم أَقْدِرْ على الماء، فوضعتُ رأسي على فِخْذِ جاريتي مُستسلماً للموت، فإذا رجلٌ قد جاءني ومعه كُوز، فقال: لي: هاه. فشربتُ وسَقَيْتُهَا، ثم مضى، فما أدري مِن أين جاء؟ ولا مِن أين راح؟ [٤] وَرَوَيْ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لم يكن لي حسنُ رأي في الشَّافِعِي، فَبَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ، أَغْفِيْتُ، فَرَأَيْتُ الرَّسُولَ ﷺ، فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَكْتُبُ رَأْيَ الشَّافِعِي؟ فَطَاطَأَ رَأْسَهُ شِبْهَ الْغَضْبَانِ وَقَالَ: تقول رأي؟ ليس هو بالرأي، هورْدُ على من خالف سُنَّتِي. فخرجتُ في أثر هذه الرُّوْيَا إلى مِصرَ، فكَتَبْتُ كُتُبَ الشَّافِعِي.

[٥] قال الوزير أبو الفضل محمد بن عبيد الله البَلْعَمِي: سمعتُ الأمير إسماعيل بن أحمد يقول: كُنْتُ بِسَمَرْقَنْدَ، فَجَلَسْتُ يَوْماً لِلْمِظَالِمِ، وَجَلَسَ أَخِي إِسْحَاقُ إِلَى جَنْبِي، إِذْ دَخَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ، فَقَمْتُ لَهُ إِجْلَالاً لِلْعِلْمِ، فَلَمَّا خَرَجَ عَاتَبَنِي أَخِي وَقَالَ: أَنْتَ وَالْيَ خُرْسَانُ تَقُومُ لِرَجُلٍ مِنَ الرِّعِيَّةِ؟ هَذَا ذَهَابُ السِّيَاسَةِ،

قال: فَبِتُّ تلك الليلة وأنا متقسِّمُ القلب، فرأيتُ النَّبي ﷺ في المنام، كأني واقف مع أخي إسحاق، إذ أقبل النبي ﷺ فأخذ بعَضْدي فقال لي: ثَبْتَ ملكُك وملكُ بنيك بإجلالك محمد بن نصر. ثم التفتَ إلى إسحاق، فقال: ذهب ملكُ إسحاق، وملك بنيهِ باستخفافه بمحمد بن نصر.

ومات بعد أيام قلائل من موت صالح بن محمد جزرة وذلك سنة أربع وتسعين ومئتين.

[١] قال الحافظ أبو عبد الله بن مَنْدَةَ في مسألة الإيمان: صَرَّحَ محمد بن نصر في كتاب «الإيمان» بأن الإيمان مخلوق، وأنَّ الإقرار، والشهادة وقراءة القرآن بلفظه مخلوق. ثم قال: وَهَجَرَهُ على ذلك علماء وَفْتِهِ وخالفه أئمةُ خراسان والعراق.

[٢] قُلْتُ: الخوضُ في ذلك لا يجوز، وكذلك لا يجوز أن يُقال: الإيمان، والإقرار، والقراءة، والتلفُّظُ بالقرآن غيرُ مخلوق، فإن الله خلق العباد وأعمالهم، والإيمان: فتول وعمل، والقراءة والتلفُّظ: من كسب القارئ، والمقروء الملفوظ: هو كلامُ الله ووحْيُهُ وتَنْزِيلُهُ، وهو غير مخلوق وكذلك كلمة الإيمان، وهي قول «لا إله إلاَّ الله، محمدٌ رسول الله» داخلة في القرآن، وما كان من القرآن فليس بمخلوق، والتكلُّمُ بها من فعلنا وأفعالنا مخلوقة، ولو أنا كُلُّما أخطأ إمامٌ في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفوراً له، قُمنَّا عليه، وبدَّعناه، وهجرناه، لما سَلِمَ معنا لا ابنُ نصر، ولا ابنُ مَنْدَةَ، ولا من هو أكبرُ منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحمُ الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة.

[٣] وقال أبو محمد بن حَزَم في بعض تواليفه: أَعْلَمُ النَّاسِ من كان أَجْمَعَهُمُ لِلسُّنَنِ، وَأَضْبَطَهُمُ لَهَا، وَأَذْكَرَهُمُ لِمَعَانِيهَا، وَأَدْرَاهُمْ بِصَحَّتِهَا وبما أَجْمَعَ النَّاسُ عليه ممَّا اختلفوا فيه.

وقال: وما نَعْلَمُ هذه الصُّفَةَ - بعد الصحابة - أَتَمُّ منها في محمد بن نصر المروزي، فلو قال قائل: ليسَ لرسول الله ﷺ حديثٌ ولا لأصحابه إلا وهو عند محمد بن نصر، لما أبعد عن الصِّدْق.

قلت: هذه السَّعة والإحاطة ما ادَّعاهما ابنُ حَزْمٍ لابنِ نصرٍ إلا بعدَ إمعانِ النظرِ في جماعةِ تصانيفِ لابنِ نصرٍ، ويمكن ادَّعاء ذلك لمثل أحمدَ بنِ حنبلٍ ونُظرائه، والله أعلم.

٥٩٣ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ بِاللَّهِ^(١)

[١] محمد بن المتوكل، جعفر، ابن المعتصم محمد، بن الرشيد هارون، بن المهدي، الأمير أبو العباس الهاشمي العباسي البغدادي الأديب صاحب النظم الرائق.

مولده في سنة تسع وأربعين ومئتين. وفي سنة ست وتسعين، أنفت الكبار من خلافة المقتدر، وهو حدث، فهاجوا وتوَّبوا على المقتدر وقتلوا وزيره، ونصبوا ابن المعتز في الخلافة، فقال: على شرط أن لا يقتل بسبي رجل مسلم. وكان حول المقتدر خواصه، فلبسوا السلاح وحملوا على أولئك، ففرق عن ابن المعتز جمعه، وخاف فاخفى، ثم قبض عليه، وقتل سرّاً في ربيع الآخر سنة ست، سلّموه إلى مؤنس الخادم فخنقه، ولفّه في بساط، وبعث به إلى أهله. وله نثر بديع منه:

[٢] من تجاوزَ الكفاف لم يُغْنِه الإكثار.

[٣] كلُّما عظم قدر المناس، عظمت الفجيرةُ به.

[٤] ربّما أوردَ الطمع ولم يُصدر.

[٥] من ارتحلَ الحرص، أنضاه الطلب.

[٦] الحظُّ يأتي من لا يأتيه.

[٧] أشقى الناس أقربهم من السلطان، كما أن أقرب الأشياء من النار أسرعها احتراقاً.

[٨] من شارك السلطان في عزِّ الدنيا، شاركه في ذلِّ الآخرة.

(١) انظر السير: ٤٤/١٤-٤٤.

٥٩٤ الشَّيعِي (١)

[١] الدَّاعِي الْخَبِيثُ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الصُّنْعَانِي، مِنْ دَهَاءِ الرِّجَالِ الْخَبِيرِينَ بِالْجَدَلِ، وَالْحِيلِ وَإِغْوَاءِ بَنِي آدَمَ. قَامَ بِالدَّعْوَةِ الْعُبَيْدِيَّةِ، وَحِجَّ، وَصَحَبَ قَوْمًا مِنْ كُتَامَةِ (٢)، وَرَبَطَهُمْ وَتَأَلَّهْ وَتَزَهَّدَ وَشَوَّقَ إِلَى إِمَامِ الْوَقْتِ، فَاسْتَجَابَ لَهُ خَلْقٌ مِنَ الْبَرْبَرِ، وَعَسْكَرٌ وَحَارِبٌ أَمِيرُ الْمَغْرِبِ ابْنُ الْأَغْلَبِ، وَهَزَمَهُ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَإِلَى أَنْ جَاءَ عُبَيْدُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ، فَتَسَلَّمَ الْمَلِكُ، وَلَمْ يَجْعَلْ لِهَذَا الدَّاعِي وَلَا لِأَخِيهِ أَبِي الْعَبَّاسِ كَبِيرَ وَلَايَةٍ، فَغَضِبَا، وَأَفْسَدَا عَلَيْهِ الْقُلُوبَ وَحَارَبَاهُ، وَجَرَتْ أُمُورٌ إِلَى أَنْ ظَفَرَ بِهِمَا الْمَهْدِيُّ فَفَتَلَهُمَا فِي سَاعَةٍ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَتَسْعِينَ وَمِثْنِينَ.

٥٩٥ الرِّيُونْدِي (٣)

[٢] الْمُلْحَدُ، عَدُوُّ الدِّينِ، أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ إِسْحَاقَ الرِّيُونْدِي صَاحِبُ التَّصَانِيفِ فِي الْحَطِّ مِنَ الْمِلَّةِ، وَكَانَ يَلَازِمُ الرَّافِضَةَ وَالْمَلَا حِدَةَ، فَإِذَا عُوتِبَ قَالَ: إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ أَقْوَالَهُمْ.

ثُمَّ إِنَّهُ كَاشَفَ وَنَاطَرَ، وَأَبْرَزَ الشُّبُهَةَ وَالشُّكُوكَ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: كُنْتُ أَسْمَعُ عَنْهُ بِالْعِظَائِمِ، حَتَّى رَأَيْتُ لَهُ مَا لَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ.

قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: عَجَبِي كَيْفَ لَمْ يُقْتَلَ! وَقَدْ صَنَّفَ الدَّامَغَ يَدْمَغُ بِهِ الْقُرْآنَ، وَالزُّمُرْدَةَ يُزْرِئُ فِيهِ عَلَى النُّبُوتِ. وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: فِيهِ هَذِيانُ بَارِدٌ لَا يَتَعَلَّقُ بِشَبْهَةٍ! يَقُولُ فِيهِ: إِنْ كَلَامُ أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِي فِيهِ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ سُورَةِ الْكَوْثَرِ! وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَقَعُوا بِطَلَّاسِمٍ. وَأُلِّفَ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى يَحْتِجُّ لَهُمْ فِي إِبْطَالِ نُبُوَّةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ. وَقَدْ سَرَدَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ مِنْ بَلَايَاهُ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْرَاقٍ.

(١) انظر السير: ٥٨/١٤-٥٩

(٢) قبيلة من البربر ببلاد المغرب.

(٣) انظر السير: ٥٩/١٤-٦٢

قال ابن النَجَّار: أبو الحسين ابن الرُّواندي المتكلِّم من أهل مرو الرُّوذ، سَكَنَ بغداد، وكان معتزلياً، ثم تَزَنَّدَق، وقيل: كان أبوه يهودياً فأسلم هو، فكان بعضُ اليهود يقول للمسلمين: لا يُفْسِدُ هذا عليكم كتابكم، كما أفسَدَ أبوه علينا التَّوراة. قال البلخي: لم يكن في نظراء ابن الرُّواندي مثله في المعقول وكان أوَّل أمره حَسَنَ السَّيرة، كثيرُ الحياء، ثم انسلَخَ من ذلك لأسباب وكان علمُه فوقَ عقله. قال: وقد حُكي عن جماعة أنه تابَ عند موته.

وقال في بعض المعجزات: يقول المنجِّم كهذا.

وقال: في القرآن لحن.

وألَّفَ في قَدَمِ العالَم. ونفى الصَّانع.

وقال: يقولون: لا يأتي أحدٌ بمثل القرآن. فهذا إقليدس^(١) لا يأتي أحدٌ بمثله، وكذلك بَطْلَيْموس^(٢).

مات سنة ثمان وتسعين ومئتين.

وقيل: ما طال عمرُه، بل عاش ستاً وثلاثين سنة.

لَعَنَ الله الذِّكَاءَ بلا إيمان، ورضي الله عن البَلَادَةِ مع التَّقوى.

٥٩٦ أبو عثمان الحيري^(٣)

[١] الشيخ الإمام المحدث الواعظ القدوة، شيخ الإسلام، الأستاذ أبو عثمان،

سعيد بن اسماعيل بن سعيد النيسابوري الحيري الصوفي.

مولده سنة ثلاثين ومئتين بالرِّي.

قال الحاكم: قدم نيسابور لصُحبة الأستاذ أبي حفص النيسابوري ولم يختلف

مشايخنا أن أبا عثمان كان مجاب الدعوة، وكان مجمع العبادة والزَّهاد. ولم يزل

يسمع ويحلُّ العلماء ويعظمهم.

(١) مظهر الهندسة والمبرز فيها، وهو من الفلاسفة الرياضيين.

(٢) فلكي، رياضي شهير، وهو الذي أخرج علم الهندسة من القوة إلى الفعل.

(٣) انظر السير: ٦٦-٦٢/١٤

[١] ومن كلامه : سرورك بالدنيا أذهب سرورك بالله عن قلبك .

[٢] يقول : من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً ، نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة ، قال تعالى : ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ [النور ٥٤] .
قلت : وقال تعالى : ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ .

[٣] وعن أبي عثمان الحيري قال : لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه في المنع والعطاء ، وفي العز والذل .

[٤] الحاكم : سمعت محمد بن صالح بن هاني يقول : لما قُتل يحيى بن الذهلي ، منع الناس من حضور مجالس الحديث من جهة أحمد الخجستاني فلم يجسر أحد يحمل محبرة إلى أن ورد السريُّ بن خزيمة ، فقام الزاهد أبو عثمان الحيري ، وجمع المحدثين في مسجده ، وعلّق بيده محبرة وتقدمهم إلى أن جاء خان محمش ، فأخرج السريُّ وأجلس المستملي ، فحزنا مجلسه زيادةً على ألف محبرة ، فلما فرغ قاموا وقبلوا رأس أبي عثمان ونثر الناس عليهم الدراهم والسكر سنة ثلاث وسبعين ومئتين .

[٥] قلت : ذكر الحاكم أخبار أبي عثمان في خمس وعشرين ورقة وفي غضون ذلك من كلامه في التوكل واليقين والرضى ، قال الحاكم : وسمعت أبي يقول : لما قتل أحمد بن عبد الله الخجستاني - الذي استولى على البلاد - الإمام حيكان بن الذهلي ، أخذ في الظلم والعسف ، وأمر بحرية ركزت على رأس المربعة^(١) ، وجمع الأعيان ، وحلف : إن لم يصبوا الدراهم حتى يغيب رأس الحربة ، فقد أحلوا دماءهم ، فكانوا يقتسمون الغرامة بينهم ، فخصّ تاجر بثلاثين ألف درهم ، فلم يكن يقدر إلا على ثلاثة آلاف درهم فحملها إلى أبي عثمان وقال : قد حلف هذا كما بلغك ووالله لا أهتدي إلا إلى هذه .

(١) في «اللسان» والمربعة : خشبية قصيرة يرفع بها العدل . . وقال الأزهري : هي عصا تحمل بها الأثقال حتى توزع على ظهر الدواب .

قال: تأذن لي أن أفعلَ فيها ما ينفعُك؟ قال: نعم، ففرَّقها أبو عثمان، وقال للتاجر: امكثْ عندي، وما زال أبو عثمان يتردُّ بين السُّكَّةِ والمسجِدِ ليلتهُ حتى أصبح، وأذنَ المؤذن، ثم قال لخادمه: اذهب إلى السُّوق، وانظر ماذا تسمع، فذهب، ورجع فقال: لم أَر شيئاً، قال: اذهب مرةً أخرى، وهو في مناجاته يقول: وحَقُّكَ لا أقمتُ ما لم تُفَرِّجْ عن المكروبين، قال: فأتى خادمه الفرغانيُّ يقول: وكفى الله المؤمنين القتال، شقَّ بطنُ أحمدَ بن عبد الله، فأخذ أبو عثمان في الإقامة.

قلتُ: بمثل هذا يعظُمُ مشايخ الوقت.

قال أبو الحسين أحمد بن أبي عثمان: توفي أبي سنة ثمان وتسعين ومئتين، وصلى عليه الأمير أبو صالح.

٥٩٧ الجُنَيْدُ (١)

[١] ابن محمد بن الجُنَيْد النُّهاوندي، ثم البغدادِي القواريري. هو شيخُ الصوفية، وُلِدَ سنة نيفٍ وعشرين ومئتين، وتفقه على أبي ثور، وأتقن العلم، ثم أقبل على شأنه، وتألَّه وتعبَّد، ونطق بالحكمة وقُلَّ ما روى. قال ابن المُنادي، سمعَ الكثير، وشاهد الصَّالِحين، وأهل المعرفة ورُزق الذِّكاء وصوابَ الجواب، لم يُرَ في زمانه مثله في عِفَّةٍ وعُزوفٍ عن الدُّنيا. قيل لي: إنه قال مرةً: كنتُ أفتي في حلقة أبي ثور الكلبيِّ ولي عشرون سنة. عن الجُنَيْد قال: ما أخرج الله إلى الأرض علماً وجعل للخلق إليه سبيلاً، إلا وقد جعل لي فيه حظاً.

[٢] وقيل: إنه كان في سُوقه ووردهُ كلَّ يوم ثلاثُ مئة ركعة، وكذا كذا ألف تسبيحة. [٣] وعن أبي العباس بن سُرَيْج: أنه تكلم يوماً فعجبوا! فقال: بِبَرَكة مجالستي لأبي القاسم الجُنَيْد.

(١) انظر السير: ١٤/٦٦-٧٠.

[١] علي بن هارون وآخر قالوا : سمعنا الجنيد غير مرة يقول : عَلِمْنَا مضبوط بالكتاب والسنة مَنْ لم يحفظ الكتاب ، ويكتب الحديث ، ولم يتفقه لا يقتدى به .
قال الخَلدي : لم نَر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير الجنيد . كانت له حال خطيرة ، وعلم غزير ، إذا رأيت حاله رجحته على علمه ، وإذا تكلم رجحت علمه على حاله .

[٢] أبو سهل الصُّعلوكي : سمعتُ أبا محمد المرتعش يقول : قال الجنيد : كنت بين يدي السَّريِّ العبَّ وأنا ابنُ سبع سنين ، فتكلموا في الشكر ، فقال : يا غلام ما الشُّكر؟ قلت : أن لا يُعصى الله بِنِعَمِهِ ، فقال : أخشى أن يكونَ حظُّك من الله لسانك . قال الجنيد : فلا أزال أبكي على قوله .

[٣] قيل : كان نقشُ خاتم الجنيد : إن كنت تأملهُ فلا تأمنهُ .

وعنه : أعطى أهل بغداد الشُّطْحَ والعِبارَةَ ، وأهل خراسان القلب والسَّخاء ، وأهل البصرة الزهد والقناعة ، وأهل الشام الحِلْمَ والسَّلامَةَ ، وأهل الحجاز الصَّبْرَ والإِنابة .

[٤] قال أبو محمد الجَريري : سمعتُ الجنيد يقول : ما أخذنا التَّصوْفَ عن القال والقال ، بل عن الجُوع ، وتركِ الدُّنيا ، وقطعِ المألوفات .

[٥] قلتُ : هذا حَسَن ، ومُرَادُهُ : قطعُ أكثرِ المألوفات ، وتركُ فضولِ الدُّنيا وجوعُ بلا إفراط ، أمَّا مَنْ بالغ في الجوع كما يفعله الرُّهبان ، ورفضَ سائرِ الدُّنيا ، ومألوفاتِ النَّفس ، من الغدائِ ، والنومِ والأهل ، فقد عَرَّضَ نفسه لبلاء عريض ، وربما خولطَ في عقله ، وفاته بذلك كثير من الحنيفيَّة السَّمَّحَةِ ، وقد جعل الله لكل شيءٍ قدرًا ، والسَّعادة في متابعة السُّنَنِ فِرْنَ الأمور بالعدل ، وصُمِّ وأفطر ، ونَمَّ وقُمَّ ، والزَمِ النَّوْعَ في القوتِ وارضَ بما قسم الله لك ، واصمَّتْ إلَّا من خَيْر ، فرحمة الله على الجنيد وأين مثل الجنيد في علمه وحاله ؟

[١] وهو أحمد بن محمد الخراساني البغوي الزاهد، شيخ الطائفة بالعراق، وأحذقهم بلطائف الحقائق، وله عبارات دقيقة، يتعلق بها من انحرف من الصوفية، نسأل الله العفو.

صحَبَ السَّريِّ السَّقَطيِّ وغيره، وكان الجُنيد يُعظِّمه، لكنه في الآخر رَقَّ له وعذَرَه لَمَّا فَسَدَ دِمَاغُهُ.

[٢] وقال أبو نعيم: سمعتُ عمر البناء البغدادي بمكة يحكي محنة غلام خليل، قال: نسبوا الصوفية إلى الزندقة، فأمر الخليفة المعتمد في سنة أربع وستين ومئتين بالقبض عليهم، فأخذ في جملتهم النُّوري فادخلوا على الخليفة، فأمر بضرب أعناقهم، فبادر النُّوري إلى السَّيِّف ففيل له في ذلك، فقال: آثرت حياتهم على نفسي ساعة، فتوقف السَّيِّف عن قتله، ورفع أمره إلى الخليفة فردَّ الخليفة أمرهم إلى قاضي القضاة إسماعيل بن إسحاق، فسأل أبا الحسين النُّوري عن مسائل العبادات فأجاب، ثم قال: وبعد هذا، فلله عباد ينطقون بالله، ويأكلون بالله ويسمعون بالله، فبكى إسماعيل القاضي. وقال: إن كان هؤلاء القوم زنادقة، فليس في الأرض مُوحِّد، فأطلقوهم.

[٣] أبو نعيم، سمعتُ أبا الفرج الورثاني، سمعت عليَّ بن عبد الرحيم يقول: دخلت على النُّوري، فرأيتُ رجله متفختين، فسألته عن أمره فقال: طالبتني نفسي بأكل تمر، فدافعتها، فأبت عليَّ فاشتريته فلما أكلت، قلت: قومي فصلِّي، فأبت، فقلت: لله عليَّ إن قعدت على الأرض أربعين يوماً، فما قعدت - يعني إلا في صلاة.

[٤] وعن النُّوري قال: من رأيتَه يدَّعي مع الله حالة تُخرج عن الشرع فلا تُقرَّب منه. [٥] قال ابن جهضم: حدثني أبو بكر الجلاء قال: كان النُّوري إذا رأى منكراً غيره، ولو كان فيه تَلَفُّهُ، نزل يوماً، فرأى زورقاً فيه ثلاثون دَنًا، فقال للملاح: ما هذا؟

(١) انظر السير: ٧٠/١٤-٧٧.

قال: ما يلزمك؟ فألحَّ عليه، فقال: أنت والله صُوفيٌّ كثير الفضول، هذا خمر للمعتضد، قال: أعطني ذلك المِدرى فاغتاظ وقال لأجيريه: ناوله حتى أبصر ما يصنع، فأخذه، ونزل فكسرها كلها غير دَنٍّ، فأخذَ وأدخل إلى المعتضد، فقال: مَنْ أنتَ وبلك؟ قال: مُحْتَسِب، قال: وَمَنْ ولَّأك الحِسْبَةَ؟ قال: الذي ولَّأك الإمامة يا أمير المؤمنين! فأطرق: وقال: ما حَمَلَك على فعلك؟ قال: شفقة مِنِّي عليك! قال: كيف سَلِمَ هذا الدَّنُّ؟ فذكر أنه كان يكسر الدنان ونفسه مُخْلِصَةً خاشِعَةً، فلمَّا وصل إلى هذا الدَّنِّ أعجبته نفسه، فارتاب فيها، فتركه.

عن أبي أحمد المغازلي قال: ما رأيت أحداً أقطَّ أعبَدَ من النُّوري. قيل: ولا الجُنيد؟ قال: ولا الجُنيد.

[١] وقيل: إن الجُنيد مرض مرَّةً فعاده النُّوري، فوضع يدهُ عليه، فعُوفيَ لوقته. توفي النُّوريُّ قبل الجُنيد وذلك في سنة خمس وتسعين ومئتين، وقد شاخ رحمه الله. وموتَ الجُنيد في سنة ثمان وتسعين.

[٢] قال أبو بكر العطوي: كنتُ عند الجُنيد لما احتُضر، فختم القرآن ثم ابتدأ سورة البقرة، فتلا سبعين آيةً ومات.

[٣] قال الخلدِي: رأيته في النَّوم فقلت: ما فعلَ اللهُ بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركعاتُ كُنَّا نركعُها في الأسحار.

٥٩٩ علي بن أبي طاهر^(١)

[٤] الإمام الحافظ الأُوحد الثَّقَّة، أبو الحسن، علي بن أبي طاهر أحمد بن الصَّبَّاح القزويني.

[٥] وثقَّه الخليلي، وقال: سمعتُ الحسن بن أحمد بن صالح يحكي عن سليمان ابن يزيد: أن علي بن أبي طاهر لما رحل إلى الشام، وكتب الحديث جعل كتبه في

(١) انظر السير: ٨٧/١٤-٨٨.

صندوق، وقيرَه، وركبَ البحر، فاضطربت السفينة وماجت، فألقى الصندوق في البحر، ثم سكنت السفينة، فلما خرج منها أقام على الساحل ثلاثاً يدعو الله، ثم سجد في الليلة الثالثة، وقال: إن كان طلبي ذلك لوجهك وحب رسولك، فأغثني برّد ذلك، فرفع رأسه فإذا بالصندوق مُلقى عنده، فقدم، وأقام بُرهة، ثم قصدوه لسماع الحديث فامتنع منه. قال فرأيتُ النبي ﷺ، في منامي، ومعه عليّ رضي الله عنه، فقال النبي ﷺ: يا عليّ من عامل الله بما عاملك به على شط البحر؟! لا تمتنع من رواية أحاديثي. قال: فقلت: قد تُبتُ إلى الله، فدعالي وحثني على الرواية.

مات سنة نيفٍ وتسعين ومئتين، رحمه الله.

الطبقة السابعة عشرة

٦٠٠ النسائي^(١)

[١] الإمام الحافظ الثبُت، شيخ الإسلام، ناقد الحديث، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، صاحب السُنن.

وُلِدَ بَنَسَا فِي سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةٍ وَمِئَتَيْنِ، وَطَلَبَ الْعِلْمَ فِي صِغَرِهِ.

وَكَانَ مِنْ بَحُورِ الْعِلْمِ، مَعَ الْفَهْمِ، وَالْإِتْقَانِ، وَالْبَصَرِ، وَنَقَدَ الرِّجَالَ وَحَسَنَ التَّأْلِيفَ.

وَكَانَ شَيْخًا مَهِيْبًا، مَلِيحَ الْوَجْهِ، ظَاهِرَ الدَّمِّ، حَسَنَ الشَّيْبَةِ.

[٢] وَكَانَ نَضَرَ الْوَجْهَ مَعَ كِبَرِ السَّنِ، يُوْثِرُ لِبَاسَ الْبُرُودِ النَّوْبِيَّةِ وَالْخَضِرِ، وَيَكْثُرُ الْاسْتِمْتَاعُ، لَهُ أَرْبَعُ زَوَاجَاتٍ، فَكَانَ يَقْسِمُ لَهُنَّ، وَلَا يَخْلُو مَعَ ذَلِكَ مِنْ سُرِّيَّةٍ، وَكَانَ يُكْثِرُ أَكْلَ الدِّيُوكِ، تُشْتَرَى لَهُ وَتُسَمَّنُ وَتُخْصَى.

[٣] وَقَالَ الْوَزِيرُ ابْنُ حَنْزَابَةَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مُوسَى الْمَأْمُونِي - صَاحِبَ النَّسَائِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ قَوْمًا يَنْكُرُونَ عَلَى أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيِّ كِتَابَ: «الْخَصَائِصُ» لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتَرَكُوهُ تَصْنِيفَ فُضَائِلِ الشَّيْخَيْنِ، فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: دَخَلْتُ دِمَشْقَ وَالْمُنْحَرَفَ بِهَا عَنْ عَلِيٍّ كَثِيرًا، فَصَنَّفْتُ كِتَابَ «الْخَصَائِصُ» رَجَوْتُ أَنْ يَهْدِيَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى. ثُمَّ إِنَّهُ صَنَّفَ بَعْدَ ذَلِكَ فُضَائِلَ الصَّحَابَةِ، فَقِيلَ لَهُ وَأَنَا أَسْمَعُ: أَلَا تُخْرِجُ فُضَائِلَ مَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أُخْرِجُ حَدِيثَ «اللَّهُمَّ لَا تُشَبِّعْ بَطْنَهُ» فَسَكَتَ السَّائِلُ.

قُلْتُ: لَعَلَّ أَنْ يَقَالَ: هَذِهِ مَنَقِبَةٌ لِمَعَاوِيَةَ لِقَوْلِهِ ﷺ «اللَّهُمَّ مَنْ لَعَنْتَهُ أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً».

قَالَ الْحَاكِمُ: كَلَامُ النَّسَائِيِّ عَلَى فِقْهِ الْحَدِيثِ كَثِيرٌ، وَمِنْ نَظَرٍ فِي سُنَنِهِ تَحْيِيرٌ فِي

حُسْنِ كَلَامِهِ.

(١) انظر السير: ١٢٥/١٤ - ١٣٥.

[١] قال ابن الأثير في أول «جامع الأصول»، وكان شافعيًا، له مناسك على مذهب الشافعي، وكان ورعاً متحرياً، قيل: إنه أتى الحارث بن مسكين في زي أنكره، عليه قلنسوة وقباء، وكان الحارث خائفاً من أمور تتعلق بالسلطان. فخاف أن يكون عيناً عليه، فمنعه، فكان يجيء فيقعد خلف الباب ويسمع، ولذلك ما قال: حدثنا الحارث، وإنما يقول: قال الحارث بن مسكين قراءةً عليه وأنا أسمع. قال ابن الأثير: وسأل أميراً أبا عبد الرحمن عن سُنَّته: أصحيح كله؟ قال: لا. قال. فاكتب لنا منه الصحيح، فجرد المجتنب^(١).

قلت: هذا لم يصح، بل المجتنب اختيار ابن السنِّي. قال الحافظ ابن طاهر: سألتُ سعد بن علي الزَّنجاني عن رجل، فوثقه. فقلت: قد ضعفه النسائي، فقال: يا بُني! إن لأبي عبد الرحمن شرطاً في الرجال أشدَّ من شرط البخاري ومسلم.

قلت: صدق، فإنه لئن جماعة من رجال صحيح البخاري ومسلم. قال محمد بن المظفر الحافظ: سمعتُ مشايخنا بمصرَ يصفون اجتهادَ النسائي في العبادة بالليل والنهار، وأنه خرج إلى الفداء مع أمير مصرَ فوصفَ من شهامته وإقامته السُّنن الماثورة في فداء المسلمين، واحترازه عن مجالس السلطان الذي خرج معه، والانبساط في المأكَل، وأنه لم يزل ذلك دأبه إلى أن استشهد بدمشق من جهة الخوارج.

[٢] عن حمزة العقبى المصري وغيره، أن النسائي خرج من مصر في آخر عمره إلى دمشق، فسُئِلَ بها عن معاوية وما جاء في فضائله، فقال: لا يرضى رأساً برأسٍ حتى يُفْضَلَ؟ قال: فما زالوا يدفعون في حِصْنِهِ^(٢) حتى أُخرج من المسجد، ثم حُمِلَ إلى مكة فتوفي بها، كذا قال، وصوابه: إلى الرملة.

قال أبو سعيد ابن يونس في «تاريخه» كان أبو عبد الرحمن النسائي إماماً حافظاً

(١) كذا الأصل «المجتنب» بالتون، وهو في «جامع الأصول» المجتنب بالباء وكلاهما صحيح.

(٢) وهما جنباه، وفي «شذرات الذهب» خصيته.

ثبتاً، خرج من مصر في شهر ذي القعدة من سنة اثنتين وثلاث مئة وتوفي بفلسطين في يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من صفر سنة ثلاث.

[١]قلت: ولم يكن أحد في رأس الثلاث مئة أحفظ من النسائي، هو أحدق بالحديث وعلمه ورجاله من مسلم، ومن أبي داود، ومن أبي عيسى وهو جار في مضمار البخاري، وأبي زرعة إلا أن فيه قليل تشيع وانحراف عن خصوم الإمام علي، كعمارة وعمرو، والله يسامحه.

وقد صنّف مسند عليّ وكتاباً حافلاً في الكنى، وأما كتاب: «خصائص عليّ» فهو داخل في «سننه الكبير» وكذلك كتاب (عمل يوم ليلة) وهو مجلد، هو من جملة (السنن الكبير) في بعض النسخ، وله كتاب «التفسير» في مجلد، وكتاب «الضعفاء» وأشياء والذي وقع لنا من سننه هو الكتاب المجلّد منه، انتخاب أبي بكر بن السني.

٦٠١ صاحب خراسان^(١)

[٢]الأمير أبو إبراهيم، إسماعيل بن الملك أحمد بن أسد بن سامان بن نوح. كان ملكاً فاضلاً، عالماً، فارساً، شجاعاً، ميمون النقيّة، معظماً للعلماء، يُلقب بالأمير الماضي.

أخذ عنه ابن خزيمة وغيره.

[٣]قال ابن قانع: سمعت عيسى بن محمد الطهماني: سمعت الأمير إسماعيل يقول: جاءنا أبونا بمؤدّب، فعلمنا الرّفص. فَنِمْتُ، فرأيت النبي ﷺ، ومعه أبو بكر وعمر، رضي الله عنهما فقال لي: «لم تَسُبْ صاحبي؟» فوقفت، فقال لي بيده، فنفضها في وجهي فانتبهت فزعاً ارتعد من الحمى، فكنت على الفراش سبعة أشهر، وسقط شعري، فدخل أخي، فقال: أيش قصّتك؟ فأخبرته، فقال: اعتذر إلى رسول الله ﷺ، فاعتذرت وتبت، فما مرّ لي إلا جمعة حتى نبت شعري.

(١) انظر السير: ١٥٤/١٤-١٥٥.

قلتُ: كان هو وآباؤه ملوك بخارى وسَمَرْقَنْد، وله غزوات في التُّرك وهو الذي ظفر
بعمرو بن الليث وأسرهُ، فجاءهُ من المعتضدِ التَّقْلِيدُ بولاية خُراسان وما يليها،
وكانت سلطنتُهُ مدَّةَ سبعِ سنين.

توفيَّ ببخارى سنة خمس وتسعين ومِئتين، فتملَّك بعده، ابنُهُ أحمد.
ومات ابنه السلطان أبو نصر أحمد سنة إحدى وثلاثِ مئة، قتله مماليكهُ، ثم
ملَّكوا ولده نصرًا، فدام ثلاثين عاماً، فأحسن السيرة وعظمت هيئته.

٦٠٢ ابن مندة^(١)

[١] الإمام الكبيرُ الحافظُ المجوَّد، أبو عبد الله، محمدُ بنُ يحيى بن مندة، العبدي
مولاهم الأصبهاني.

وُلِدَ في حدود العشرين ومِئتين في حياة جدِّهم مندة.
وكان يَنَازِع الحافظَ أحمد بن الفُرات، ويذاكرُهُ، ويرادُّهُ وهو شاب.
ومات ابن مندة في رجب سنة إحدى وثلاثِ مئة.

[٢] محمد بن يحيى بن مندة، حدثنا أبو بكر بن أبي النضر، حدثنا أبو النضر، حدثنا
أبو عقيل الثقفي، حدثنا مجالد، حدثنا عون بن عبد الله بن عتبة، عن أبيه قال: «ما
مات النبي ﷺ حتى قرأ وكتب»^(٢).

[٣] قلتُ: لم يَرِدْ أَنَّهُ ﷺ، كتبَ شيئاً، إلَّا ما في «صحيح البخاري» من أَنَّهُ يوم
صُلح الحديبية كتب اسمَهُ «محمد بن عبدِ الله» واحتج بذلك القاضي أبو الوليد
الباجي، وقام عليه طائفة من فقهاء الأندلس بالإنكار، وبدَّعُوهُ حتى كَفَرَهُ بعضُهم،
والخطبُ يسير، فما خرج عن كونه أُمياً بكتابة اسمه الكريم، فجماعة من الملوك
ما عَلِمُوا من الكتابة سوى مجرَّدِ العَلامَةِ، وما عدَّهمُ النَّاسُ بذلك كاتِبِينَ، بل هم
أُميُّون فلا عِبرةَ بالنَّادر، وإنما الحُكْمُ للغالب، والله تعالى فَمِنْ حِكْمَتِهِ لم يُلهمُ نبيَّهُ

(١) انظر السير: ١٩٣-١٨٨/١٤.

(٢) اسناده ضعيف لضعف مجالد - وهو ابن سعيد الهمداني الكوفي، وأورده الحافظ في «الفتح» ٣٨٧-٣٨٦/٧ وقد تحرف فيه مجالد إلى مجاهد ونسبه لابن أبي شيبة، وضعفه.

تَعْلَمُ الْكِتَابَةَ، وَلَا قِرَاءَةَ الْكِتَابِ حَسْباً لِمَادَةِ الْمَبْطُلِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا رَتَابَ الْمُبْطُلُونَ﴾، [العنكبوت ٤٨].
ومع هذا فقد افترؤا وقالوا: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ﴾ [الفرقان ٥].

فانظر إلى قِحَةِ المعانِد، فمن الذي كان بِمَكَّةَ وَقَتَ المبعثِ يدري أخبارَ الرُّسُلِ والأُمَمِ الخالية؟ ما كان بِمَكَّةَ أَجْدُ بهذه الصفة أصلاً، ثم ما المانع من تعلُّمِ النَّبِيِّ ﷺ، كِتَابَةَ اسْمِهِ واسْمِ أَبِيهِ مع قَرُطِ ذِكَايِهِ وَقُوَّةِ فَهْمِهِ، ودوامِ مُجَالَسَتِهِ لِمَنْ يَكْتُبُ بَيْنَ يَدَيْهِ الْوَحْيِ وَالْكِتَابِ إِلَى ملوكِ الطُّوَائِفِ، ثم هذا خَاتَمُهُ فِي يَدِهِ ونَقْشُهُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فلا يَظُنُّ عَاقِلٌ أَنَّهُ - عليه السلام - ما تَعَقَّلَ ذَلِكَ، فهذا كُلُّهُ يَقْتَضِي أَنَّهُ عَرَفَ كِتَابَةَ اسْمِهِ واسْمِ أَبِيهِ، وقد أَخْبَرَ اللَّهُ بِأَنَّهُ - صلواتُ اللَّهِ عليه - ما كان يَدْرِي ما الْكِتَابُ؟ ثم عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ما لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، ثم الْكِتَابَةَ صِفَةً مَدْحٍ، قال تَعَالَى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق ٤-٥].

فَلَمَّا بَلَغَ الرِّسَالَةَ، ودخلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً، شاءَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ النَّادِرَةَ الَّتِي لَا يَخْرُجُ بِمِثْلِهَا عَنْ أَنْ يَكُونَ أُمِّيًّا ثُمَّ هُوَ الْقَائِلُ «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ»، فَصَدَّقَ إِخْبَارُهُ بِذَلِكَ، إِذَ الْحُكْمُ لِلْغَالِبِ، فَنفى عَنْهُ وعن أُمَّتِهِ الْكِتَابَةَ وَالْحِسَابَ لندور ذلك فيهم وَقِلَّتُهُ، وإلَّا فَقَدْ كانَ فِيهِمْ كِتَابُ الْوَحْيِ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَكانَ فِيهِمْ مَنْ يَحْسِبُ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ [الإسراء ١٢].

ومن عِلْمِهِمُ الْفَرَائِضُ وَهِيَ تَحْتَاجُ إِلَى حِسَابٍ وَعَوَّلٍ، وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَنفى عَنْ الْأُمَّةِ الْحِسَابَ، فَعَلَّمَنَا أَنَّ الْمَنْفِيَّ كَمَالُ عِلْمٍ ذَلِكَ وَدَقَائِقُهُ الَّتِي يَقُومُ بِهَا الْقِبْطُ وَالْأَوَائِلُ، فَإِنَّ ذَلِكَ ما لَمْ يَحْتَاجْ إِلَيْهِ دِينُ الْإِسْلَامِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، فَإِنَّ الْقِبْطَ عَمَّقُوا فِي الْحِسَابِ وَالْجَبْرِ، وَأَشْيَاءُ تُضَيِّعُ الزَّمَانَ. وَأَرَبَابُ الْهَيْئَةِ تَكَلَّمُوا فِي سِيرِ النُّجُومِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالْكَسُوفِ وَالْقِرَانِ^(١) بِأُمُورٍ طَوِيلَةٍ لَمْ يَأْتِ الشَّرْعُ بِهَا، فَلَمَّا ذَكَرَ

(١) يعني قران الكواكب.

الشهور ومعرفتها، بَيَّنَّ أَنَّ معرفَتَهَا ليست بالطَّرْق التي يفعلُهَا الْمُنجَّم وأصحابُ التقويم، وأن ذلك لا نِعْباً به في ديننا، ولا نحسُبُ الشهر بذلك أبداً ثم بَيَّنَّ أَنَّ الشهر بالرُّؤية فقط، فيكون تسعاً وعشرين، أو بتكملة ثلاثين فلا نحتاجُ مع الثلاثين إلى تكلف رؤية.

وأما الشُّعر: فنزَّهه الله تعالى عن الشُّعر، قال تعالى ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس ٦٩].

فما قال الشُّعر مع كَثْرَتِهِ وَجُودَتِهِ في قُرَيْشٍ وَجَرِيَانٍ قَرَائِحِهِمْ به، وقد يقعُ شيءٌ نادرٌ في كلامه - عليه السلام - موزوناً، فما صار بذلك شاعراً قط.
كقوله:

أنا النِّبِيُّ لَا كَذِبَ أنا ابنُ عبدِ الْمُطَّلِبِ

وقوله:

هل أنتِ إِلَّا إصْبَعٌ دَمِيتِ وفي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ
ومثُلُ هذا قد يقعُ في كُتُبِ الفقه والطُّب وغير ذلك ممَّا يقع اتفاقاً ولا يقصده المؤلف ولا يشعرُ به، أفيقولُ مسلمٌ قط: إِنَّ قَوْلَهُ تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ [سبا ١٣].

هو بيت؟! معاذ الله! وإنما صادف وزناً في الجملة، والله أعلم.

٦٠٣ ابنُ سُرَيْجٍ^(١)

[١] الإمام، شيخُ الإسلام، فقيهُ العِراقين^(٢)، أبو العباس، أحمدُ بنُ عمرَ بنِ سُرَيْجِ البغدادي، القاضي، صاحبُ المصنِّفات.

وُلِدَ سنة بضع وأربعين ومِئتين، وسمعَ في الحَدَاثَةِ. وتفقهَ بأبي القاسم عثمان ابن بشار الأنماطي الشافعي، صاحب المِزْنِي، وبه انتشر مذهب الشافعي، ببغداد، وتخرَّجَ به الأصحاب.

(١) انظر السير: ٢٠١/١٤ - ٢٠٤. (٢) يعني: البصرة والكوفة.

[١] وقال أبو عليّ بن خيران : سمعت أبا العباس بن سُرَيْج يقول : رأيتُ كأنّما مُطَرْنَا كَبْرِيتاً أَحْمَر، فمَلأتُ أَكمامي وَحِجْري ، فَعَبَّرَ لي : أنْ أرْزُقَ عِلْماً عَزِيزاً كَعِزَّةِ الكَبْرِيتِ الأَحْمَر.

[٢] وقال الحاكم : سمعتُ حَسَّانَ بنَ مُحَمَّدٍ يقول : كُنَّا في مَجْلِسِ ابنِ سُرَيْجِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِ مِئَةٍ ، فقام إِلَيْهِ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فَقَالَ : أَبْشِرْ أَيُّهَا الْقَاضِي . فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةٍ سَنَةٍ مِنْ يَجْدَدٍ - يَعْنِي لِلْأُمَّةِ أَمْرَ دِينِهَا ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْعَثُ عَلَى رَأْسِ الْمِئَةِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَيَبْعَثُ عَلَى رَأْسِ الْمِئَتَيْنِ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ الشَّافِعِي ، وَيَبْعَثُكَ عَلَى رَأْسِ الثَّلَاثِ مِئَةٍ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُول :

اثنان قد ذَهَبَا فَبُورِكَ فِيهِمَا عُمَرُ الْخَلِيفَةُ ثُمَّ حَلَفُ السُّؤْدِ
الشَّافِعِيُّ الأَلْمَعِيُّ مُحَمَّدٌ إِرْثُ النُّبُوةِ وَابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ
أَبْشِرْ أبا العباس إنك ثالث من بعدهم سَقِيًّا لِتُرْبَةِ أَحْمَدِ
قال : فصاح أبو العباس ، وبكى ، وقال : لقد نعي إليّ نفسي . قال حَسَّانُ
الفقيه : فمات القاضي أبو العباس تلك السَّنة .

[٣] قُلْتُ : وَقَدْ كَانَ عَلَى رَأْسِ الْأَرْبَعِ مِئَةِ الشَّيْخِ أَبُو حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِي وَعَلَى رَأْسِ الْخَمْسِ مِئَةِ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِي ، وَعَلَى رَأْسِ السِّتِّ مِئَةِ الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ ، وَعَلَى رَأْسِ السَّبْعِ مِئَةِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ .

وَإِنْ جَعَلْتَ مِنْ يُجَدِّدُ لَفْظاً يَصْدُقُ عَلَى جَمَاعَةٍ - وَهُوَ أَقْوَى - فَيَكُونُ عَلَى رَأْسِ الْمِئَةِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ خَلِيفَةُ الْوَقْتِ ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ ، وَأَبُو قِلَابَةَ ؛ وَطَائِفَةٌ ، وَعَلَى رَأْسِ الْمِئَتَيْنِ مَعَ الشَّافِعِيِّ ، يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، وَأَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ ، وَأَشْهَبُ الْفُقَهَاءِ ، وَغَدَّةٌ . وَعَلَى رَأْسِ الثَّلَاثِ مِئَةٍ مَعَ ابْنِ سُرَيْجٍ ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ ، وَالْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ ، وَطَائِفَةٌ .

٦٠٤ ابنُ الحَدَّاد^(١)

[١] الإمام، شيخُ المالكية، أبو عثمان، سعيدُ بن محمد بن صبيح بن الحداد المغربي، صاحبُ سُخُنُون، وهو أحد المجتهدين، وكان بحراً في الفروع، ورأساً في لسان العرب، بصيراً بالسنن.

[٢] وكان يذم التقليد ويقول: هو من نقص العقول، أو دناءة الهمم.

[٣] ويقول: ما للعالم وملائمة المضاجع.

[٤] وكان يقول: دليلُ الضبطِ الإقلال، ودليلُ التقصيرِ الإكثار. وكان من رؤوس السُّنة.

[٥] قال ابن حارث: له مقامات كريمة، ومواقف محمودة في الدفع عن الإسلام، والذب عن السُّنة، ناظر فيها أبا العباس المعجوقي أخا أبي عبد الله الشيعي الداعي إلى دولة عبيد الله، فتكلّم ابنُ الحداد ولم يَخَف سَطْوَةَ سُلْطَانِهِمْ، حتى قال له ولده أبو محمد: يا أبة! اتقِ الله في نفسك ولا تبالغ، قال: حَسْبِي مَنْ لَهُ غَضَبْتُ، وعن دينه ذُبْتُ.

وله مع شيخ المعتزلة الفراء مناظرات بالقيروان، رجع بها عدد من المبتدعة.

[٦] قال أبو بكر بن اللباد: بينا سعيد بن الحداد جالس أنه رسولُ عبيد الله - يعني المهدي - قال: فأتيته وأبو جعفر البغدادي واقف فتكلّمت بما حضرني، فقال: اجلس. فجلست، فإذا بكتابٍ لطيف، فقال لأبي جعفر: اعرض الكتاب على الشيخ. فإذا حديثٌ غدير خُم^(٢). قلتُ: وهو صحيح وقد رَوَّيْنَاهُ.

فقال عبيد الله: فما للناس لا يكونون عبيدنا؟ قلتُ: أعزَّ الله السيّد، لم يرد ولاية

(١) انظر السير: ٢٠٥/١٤ - ٢١٤.

(٢) أخرج الإمام أحمد في «مسنده» ٣٧٢/٢ عن سفيان، ثنا أبو عوانة، عن المغيرة عن أبي عبيد، عن ميمون قال: قال زيد بن أرقم - وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله ﷺ بواد يقال له: وادي خَم، فأمر بالصلاة، فصلاها بهجير، قال: فخطبنا وظلل لرسول الله ﷺ ثوب على شجرة سَمرة من الشمس، فقال: ألتستم تعلمون، أو لستم تشهدون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فأَنِّ علياً مولاه. اللهم عادٍ من عاداه ووالٍ من ولاة

وإسناده صحيح.

الرَّق، بل ولاية الدين، قال: هل من شاهد؟ قلت: قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران ٧٩]. فما لم يكن لنبي الله لم يكن لغيره. قال: انصرف لا ينالك الحر فتبعني البغدادي فقال: اكتم هذا المجلس.

[١] وقال موسى بن عبد الرحمن القطان: لو سمعتم سعيد بن الحداد في تلك المحافل - يعني مناظرته للشيعة - وقد اجتمع له جهارة الصوت وفخامة المنطق، وفصاحة اللسان وصواب المعاني، لتمنيتم أن لا يسكت.

[٢] وقيل: إنه سار لتلقي أبي عبد الله الشيعي، فقال له: أو لم يقل رسول الله ﷺ «وأقضاكم علي...» فساق له موسى تمامه وهو «وأعلمكم بالحلal والحرام معاذ، وأرافكم أبو بكر، وأشدكم في دين الله عمر» قال: كيف يكون أشدهم وقد هرب بالراية يوم خيبر؟ قال موسى: ما سمعنا بهذا. فقلت: إنما تحيز إلى فئة فليس بفار.

وقال في ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ [التوبة ٤٠] إنما نهاه النبي ﷺ عن حزنه لأنه كان مسخوطاً. قلت: لم يكن قوله إلا تبشيراً بأنه آمن على رسول الله وعلى نفسه فقال: أين نظير ما قلت؟ قلت: قوله لموسى وهارون: ﴿لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾ [طه ٤٦].

فلم يكن خوفهما من فرعون خوفاً بسخط الله. ثم قال: يا أهل البلدة: إنكم تبغضون علياً؟ قلت: على مبغضه لعنة الله. فقال: صلى الله عليه. قلت: نعم، ورفعت صوتي: صلى الله عليه وسلم، لأن الصلاة في خطاب العرب الرحمة والدعاء، قال: ألم يقل رسول الله ﷺ، «أنت مني بمنزلة هارون من موسى؟» قلت: نعم، إلا أنه قال: «إلا أنه لا نبي بعدي». وهارون كان حجة في حياة موسى، وعلي لم يكن حجة في حياة النبي، وهارون فكان شريكاً أفكان علي شريكاً للنبي ﷺ، في النبوة؟ وإنما أراد التقريب والوزارة والولاية. قال: أو ليس هو أفضل؟ قلت: أليس الحق متفقاً عليه؟ قال: نعم. قلت: قد ملكت

مدائن قبل مدينتنا، وهي أعظم مدينة، واستفاض عنك أنك لم تُكرِه أحداً على مذهبك، فاسلك بنا مسلك غيرنا ونهضنا.

وقيل: لم يُرَ أغزر دمةً من سعيد بن الحداد، وكان قد صَحِبَ النُّسَّاك، وكان مُقِلًّا حتى مات أخ له بصقْلِيَّة، فورث منه أربع مئة دينار فبنى منها داره بمئتي دينار. واكتسى بخمسين ديناراً، وكان كريماً حليماً.

[١] وكان يقول: القرب من السلطان في غير هذا الوقت حتف من الحُتوف فكيف اليوم؟

[٢] وقال: من طالت صُحبتهُ للدُّنيا وللنَّاس فقد ثَقُلَ ظُهره. خاب السَّالون عن الله، المتنعمون بالدُّنيا. من تحبب إلى العباد بالمعاصي بَغَضَهُ الله إليهم.

[٣] وقال: ما صدَّ عن الله مثل طلب المحامد، وطلب الرِّفعة.

مات أبو عثمان سنة اثنتين وثلاث مئة، وله ثلاث وثمانون سنة رحمه الله.

٦٠٥ ابن البردُّون^(١)

الإمام الشهيد المُفتي، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن البردُّون الضُّبِّي مولاهم الإفريقي المالكي، تلميذُ أبي عثمان بن الحداد.

[٤] وكان مناقضاً للعراقيين، فدارت عليه دوائر في أيام عبيد الله وضربَ بالسَّياط، ثم سَعَوْا به عند دخول الشيعة إلى القيروان، وكانت الشيعة تميل إلى العراقيين لموافقتهم لهم في مسألة التفضيل ورخصة مذهبهم، فَرَفَعُوا إلى أبي عبد الله الشُّيعي: أن ابن البردُّون وأبا بكر بن هُذيل يطعنان في دولتهم، ولا يفضِّلان علياً. فحبسهما، ثم أمرَ متولِّي القيروان أن يضرب ابن هُذيل خمسَ مئة سوط، ويضرب عنق ابن البردُّون فغلط المتولِّي فقتل ابن هُذيل، وضرب ابن البردُّون، ثم قتلَه من الغد.

[٥] وقيل لابن البردُّون لما جرد للقتل: أترجع عن مذهبك؟ قال: أعن الإسلام

(١) انظر السير: ٢١٧-٢١٥/١٤.

أرجع؟ ثم صُلِبًا في سنة تسع وتسعين ومِئتين. وأمر الشيعة الخبيث أن لا يُفتى بمذهب مالك، ولا يُفتى إلا بمذهب أهل البيت ويرون إسقاط طلاق البتة، فبقي من يتفقه لمالك إنما يتفقه خفية.

٦٠٦ ابن خيرون^(١)

[١] الإمام أبو جعفر، محمد بن خيرون المَعافِرِيُّ مولا هم القرطبي.
[٢] قال بعضهم: كنت جالساً عند ابن أبي خنزير فدخل شيخ ذو هيئة وخشوع، فبكى ابن أبي خنزير وقال: السلطان - يعني عبيد الله - وجهٌ إليَّ يأمرني بدوس هذا حتى يموت. ثم بطّحه، وقفز عليه السودان حتى مات، لجهاده وبغضه لعبيد الله وجنده.

[٣] وكان سعى به المروزي اللعين، ولمّا رأى ابن أبي خنزير كثرة أذاه للعلماء، تحيل وسعى به، حتى قتله عبيد الله سنة ثلاث مئة أو بعدها، فبما مآلقي الإسلام وأهله من عبيد الله المهدّي الزنديق.

٦٠٧ يوسف بن الحسين^(٢)

[٤] الرّازي، الإمام، العارف، شيخ الصّوفيّة، أبو يعقوب. أكثر التّرحال، وأخذ عن ذي النّون المصري، وأحمد بن حنبل، وأحمد بن أبي الحوّاري.
[٥] قال السّلمي: كان إمام وقته، لم يكن في المشايخ أحدٌ على طريقته في تذليل النفس وإسقاط الجاه.

[٦] قال أبو القاسم القشيري: كان نسيجٌ وخده في إسقاط التّصنّع. يقال: كتّب إلى الجنيد: لا أذافك الله طعم نفّسك، فإن دُقَّتْها لا تُفْلَح.
[٧] وقال: إذا رأيت المُريد يشتغل بالرّخص فاعلم أنّه لا يجيء منه شيء.

(١) انظر السير: ٢١٧/١٤.

(٢) انظر السير: ٢٤٨/١٤ - ٢٥١.

قال السلمي : كان مع علمه وتمام حاله - هَجْرُهُ أَهْلَ الرَّيِّ وتكلّموا فيه بالقبايح ، خصوصاً الزُّهَاد ، وأفسّوا أموراً ، حتى بلغني أَنَّ شيخاً رأى في النوم كأنَّ براءةً نزلت من السماء فيها مكتوب : هذه براءةُ ليوسفَ بن الحسين مما قيل فيه . فسكتوا .
[١] وعنه قال : بالأدب تتفهّم العلم ، وبالعلم يصحُّ لك العمل ، وبالعمل تنال الحكمة ، وبالحكمة تفهم الزُّهد ، وبالزُّهد تترك الدُّنيا ، وترغب في الآخرة ، وبذلك تنال رضى الله تعالى .
مات سنة أربع وثلاث مئة ، رحمه الله .

٦٠٨ ابنُ الجَلَاءِ (١)

[٢] القدوة العارف ، شيخُ الشَّام ، أبو عبد الله ابن الجَلَاءِ ، أحمد بنُ يحيى ، صحب والده ، وأبا تراب النُّخَشَبِيّ ، وذا النُّونِ المصري وحكى عنه .
أقام بالرملة وبدمشق ، وكان يُقال : الجُنيد ببغداد ، وابن الجَلَاءِ بالشَّام وأبو عثمان الحيري بنيسابور - يعني لا نظير لهم .

[٣] قال الدُّقِّي : ما رأيتُ شيخاً أَهْيَبَ من ابن الجَلَاءِ مع أَني لقيتُ ثلاث مئة شيخ ، فسمعتُهُ يقول : ما جلا أبي شيئاً قطّ ، ولكنه كان يَعِظُ ، فيقع كلامه في القلوب ، فسمي جَلَاءَ القلوب .

قال محمد بن علي بن الجُلندي : سئل ابن الجَلَاءِ عن المحبّة فسمعتهُ يقول : مالي وللمحبة ؟ أنا أريد أنتعلم التَّوْبَةَ .

[٤] قال أبو عمر الدَّمَشَقِيّ : سمعتُ ابن الجَلَاءِ يقول : قلتُ لأَبُو يَ : أَحَبُّ أن تهَبَانِي لله . قالَا : قد فَعَلْنَا . فغِبْتُ عنهم مدّة ، ثم جئتُ فدققت الباب فقال أبي : من ذَا ؟ قلت : وَلَدُكَ ، قال : قد كان لي وَلَدٌ وَهَبْنَاهُ لله ، وما فتح لي .

[٥] وعن ابن الجَلَاءِ قال : آلَةُ الْفَقِيرِ صِيَانَةُ فَقْرِهِ ، وَحِفْظُ سِرِّهِ ، وَأَدَاءُ فَرَضِهِ .
توفي في سنة ست وثلاث ومئة .

(١) انظر السير : ٢٥١/١٤ - ٢٥٢ .

٦٠٩ ابنُ عطاء^(١)

[١] الزَّاهِدُ العابدُ المِثَالُ، أَبُو العَبَّاسِ، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَهْلٍ بْنِ عَطَاءِ الأَدْمِيِّ البَغْدَادِيِّ.

[٢] كَانَ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَتْمَةٌ، وَفِي رَمَضَانَ تِسْعُونَ خَتْمَةً، وَبَقِيَ فِي خَتْمَةٍ مُفْرَدَةٍ بَضْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ يَتَفَهَّمُ وَيَتَدَبَّرُ.

[٣] وَقَالَ حُسَيْنُ بْنُ خَاقَانَ: كَانَ يَنَامُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ سَاعَتَيْنِ. مَاتَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِ مِائَةٍ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ.

[٤] قُلْتُ: لَكِنَّه رَاجٍ عَلَيْهِ حَالُ الحَلَّاجِ، وَصَحَّحَهُ، فَقَالَ السُّلَمِيُّ: أَمْتَحِنُ بِسَبَبِ الحَلَّاجِ، وَطَلَبَهُ حَامِدُ الْوَزِيرِ وَقَالَ: مَا الَّذِي تَقُولُ فِي الحَلَّاجِ؟ فَقَالَ: مَا لَكَ وَلِذَاكَ؟ عَلَيْكَ بِمَا نُدِبْتَ لَهُ مِنْ أَخْذِ الْأَمْوَالِ، وَسَفْكِ الدِّمَاءِ فَأَمَرَ بِهِ، فَفُكَّتْ أَسْنَانُهُ، فَصَاحَ: قَطَعَ اللَّهُ يَدَيْكَ وَرَجْلَيْكَ، وَمَاتَ بَعْدَ أَرْبَعَةِ عَشْرِ يَوْمًا، وَلَكِنْ أَجِيبْ دَعَاؤَهُ، فَقَطَّعْتُ أَرْبَعَةً حَامِدًا.

[٥] وَقِيلَ: إِنَّ ابْنَ عَطَاءٍ فَقَدَ عَقْلَهُ ثَمَانِيَةَ عَشْرِ عَامًا، ثُمَّ ثَابَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ. ثَبَّتَ اللَّهُ عَلَيْنَا عُقُولَنَا وَإِيمَانَنَا، فَمَنْ تَسَبَّبَ فِي زَوَالِ عَقْلِهِ بِجُوعٍ وَرِيَاضَةٍ صَعْبَةٍ، وَخَلْوَةٍ، فَقَدْ عَصَى وَأَثَمَ، وَضَاهَى مِنْ أَزَالِ عَقْلِهِ بَعْضَ يَوْمٍ بِسُكْرِ، فَمَا أَحْسَنَ التَّقْيُّدَ بِمُتَابَعَةِ السُّنَنِ وَالْعِلْمِ.

٦١٠ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ^(٢)

[٦] ابْنُ يَزِيدٍ، الْإِمَامُ الْعَلَمُ الْمُجْتَهِدُ، عَالِمُ الْعَصْرِ، أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيِّ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْبَدِيعَةِ، مِنْ أَهْلِ أَمَلِ طَبْرِسْتَانَ.

مَوْلَدُهُ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَطَلَبَ الْعِلْمَ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَكْثَرَ التَّرَحُّالِ، وَلَقِيَ نُبَلَاءَ الرِّجَالِ، وَكَانَ مِنْ أَفْرَادِ الدَّهْرِ عِلْمًا وَذِكَاءً وَكَثْرَةَ تَصَانِيفٍ، قُلُّ

(١) انظر السير: ٢٥٥/١٤ - ٢٥٦.

(٢) انظر السير: ٢٦٧/١٤ - ٢٨٢.

أن ترى العيون مثله .

واستقرّ في أواخر أمره ببغداد . وكان من كبار أئمة الاجتهاد .

قلت : كان ثقةً ، صادقاً ، حافظاً ، رأساً في التفسير ، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف ، علامةً في التاريخ وأيام الناس ، عارفاً بالقراءات وباللغة ، وغير ذلك .
[١] وقيل : إن المكتفي أراد أن يُحْبَسَ وفقاً لتجتمع عليه أقاويل العلماء ، فأحضر له ابن جرير ، فأملى عليهم كتاباً لذلك ، فأخرجت له جائزة ، فامتنع من قبولها ، فقيل له : لأبد من قضاء حاجة . قال : أسأل أمير المؤمنين أن يمنع السؤال يوم الجمعة ، ففعل ذلك .

[٢] محمد بن أحمد الصحّاف السجستاني ، سمعت أبا العباس البكري يقول : جمعت الرحلة بين ابن جرير ، وابن خزيمة ، ومحمد بن نصر المروزي ، ومحمد بن هارون الروياني بمصر ، فأرملوا ولم يبقَ عندهم ما يقوتهم ، وأضرّ بهم الجوع فاجتمعوا ليلةً في منزل كانوا يأوون إليه ، فاتفق رأيهم على أن يستهيموا ويضربوا القرعة ، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام . فخرجت القرعة على ابن خزيمة ، فقال لأصحابه أمهلوني حتى أصلي صلاة الخيرة . قال : فاندفع في الصلاة ، فإذا هم بالشموع وخصي من قبل والي مصر يدق الباب ، ففتحوا ، فقال : أيكم محمد بن نصر؟ فقيل : هو ذا ، فأخرج صرةً فيها خمسون ديناراً ، فدفعها إليه ، ثم قال : وأيكم محمد بن جرير؟ فأعطاه خمسين ديناراً ، وكذلك للروياني ، وابن خزيمة ، ثم قال : إن الأمير كان قائلاً^(١) بالأمس ، فرأى في المنام أن المحامد جياع قد طوّروا كشحهم ، فأنفذ إليكم هذه الصرر ، وأقسم عليكم : إذا نفذت فابعثوا إليّ أحدكم .

[٣] وكان ربما أهدى إليه بعض أصدقائه الشيء فيقبله ، ويكافئه أضعافاً لعظم مروءته .

(١) أي : نائماً في القائلة ، وهي نصف النهار . وفعله : قال يَقِيلُ .

[١] قال الخطيب: سمعتُ عليَّ بنَ عبيدِ الله اللُّغويَّ يحكي: أنَ محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كلِّ يومٍ منها أربعين ورقة.

قال الخطيب: وبلغني عن أبي حامد أحمد بن أبي طاهر الإسفراييني الفقيه أنه قال: لو سافر رجلٌ إلى الصين حتى يُحصَلَ تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيراً.

قال الحاكم: سمعتُ حُسَيْنَ بنَ عليٍّ يقول: أول ما سألتني ابنُ خزيمة فقال لي: كتبتَ عن محمد بن جرير الطُّبري؟ قلت: لا، قال: ولم؟ قلت: لأنَّه كان لا يَظهر، وكانتِ الحنابلة تمنع من الدُّخولِ عليه، قال: بشَّ ما فَعَلْتَ، ليتَكَ لم تكتب عن كلِّ مَنْ كتبتَ عنهم، وسمعتُ من أبي جعفر.

قال الحاكم: وسمعتُ أبا بكر بنَ بألويه يقول: قال لي أبو بكر بن خزيمة: بلغني أنك كتبتَ التفسيرَ عن محمد بن جرير؟ قلت: بلى كتبتَه عنه إملاءً، قال: كلَّه؟ قلتُ: نعم، قال في أيِّ سنة؟ قلت: من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين ومئتين. قال: فاستعاره مِنِّي أبو بكر، ثم رده بعد سِنين، ثم قال: لقد نظرتُ فيه من أوَّلِه إلى آخره وما أعلمُ على أديم الأرضِ أعلمَ من محمد بن جرير ولقد ظَلَمْتُهُ الحَنابِلَةُ.

[٢] كان ممن لا تأخذه في الله لومةُ لائمٍ مع عظيم ما يلحقه من الأذى والشناعات، من جاهل، وحاسد، ومُلحد، فأما أهل الدين والعلم، فغيرُ منكرينَ علمه، وزهده في الدُّنيا، ورفضه لها، وقناعته - رحمه الله - بما كان يردُّ عليه من حصَّةٍ من ضيعةٍ خلفها له أبوه بطبرستان يسيرة.

[٣] أبو القاسم بن عقيل الوراق: أنَ أبا جعفر الطُّبريَّ قال لأصحابه: هل تَنشَطون لتاريخ العالم من آدمَ إلى وَقَتِنَا؟ قالوا: كم قدْرُه؟ فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تَفنى الأعمارُ قبل تمامه! فقال: إنا لله! ماتت الهِمَمُ. فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة ولَمَّا أن أراد أن يُملِيَ التفسير قال لهم نحواً من ذلك، ثم أملاه على نحوٍ من قدر التاريخ.

[١] وقال مَخلد الباقِرَجِي : أنشدنا محمد بن جرير لنفسه :

إذا أعسرتُ لم يَعْلَمْ رَفِيقِي وأُستَغْنِي فيستغني صَدِيقِي
حَيَاتِي حَافِظٌ لِي مَاءٌ وَجْهِي وَرَفِيقِي فِي مُطَالِبَتِي رَفِيقِي
ولو أَنِي سَمَحْتُ بِمَاءِ وَجْهِي لَكُنْتُ إِلَى الْعُلَى سَهْلَ الطَّرِيقِ
[٢] وحضر وقت موته جماعةٌ منهم : أبو بكر بنُ كامل ، ف قيل له قبلَ خروج روحه :
يا أبا جعفر! أنت الحُجَّةُ فيما بيننا وبين الله فيما ندينُ به ، فهل من شيءٍ توصينا به
من أمرٍ ديننا ، وبيِّنْةٍ لنا نرجو بها السلامةَ في معادنا؟ فقال : الذي أدينُ الله به
وأوصيكم هو ما ثَبُتَ في كُتُبِي فاعملوا به وعليه ، وكلاماً هذا معناه ، وأكثر من التشهد
وذكر الله عز وجل ، ومسح يدهُ على وجهه ، وغَمَضَ بصره بيده وبسطها وقد فارقت
روحهُ الدنيا .

[٣] وكان مولدُهُ سنة أربعٍ وعشرين ومِئتين ، ورحل من آملَ لما تَرَ عَرَخَ وحَفِظَ القرآن ،
وسمَحَ له أبوه في أسفاره ، وكان طول حياته يمدُّه بالشيء بعد الشيء إلى البلدان ،
فبِقتات به ، ويقول فيما سمعته : أَبْطَأْتُ عَنِّي نَفَقَةُ وَالِدِي ، واضطرتُّ إلى أن فتقتُ
كُمِّي قَمِيصِي فَبِعْتُهُمَا .

[٤] وكان ابنُ جرير من رجال الكمال ، وشُنِعَ عليه بيسير تشييع ، وما رأينا إلا الخير ،
وبعضُهم ينقل عنه أنه كان يُجيز مسح الرُّجلين في الوضوء ولم نَرِ ذلك في كتبه .
[٥] ولأبي جعفر في تأليفه عبارة وبلاغة ، فمما قاله في كتاب : «الآداب النفيسة
والأخلاق الحميدة» : القولُ في البيان عن الحال الذي يجب على العبد مراعاةُ حاله
فيما يَصْدُرُ من عمله لله عن نفسه ، قال : (إنَّه لا حالةَ من أحوالِ المؤمن يَغْفُلُ عدوُّه
الموكل به عن دعائه إلى سبيله ، والقعود له رَصْداً بطرق ربه المستقيمة ، صادّاً له
عنها ، كما قال لربه - عز ذكره - إذ جعله من المُنْظَرين :

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَجِدُنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾

[الأعراف ١٦ ، ١٧] .

طمعاً منه في تصديق ظنه عليه إذ قال لرَبِّه ﴿لئنْ أَخْرَجْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
لَأَخْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء ٦٢].

فحق على كل ذي حجى أن يُجهد نفسه في تكذيب ظنه، وتخييبه منه أمله
وسعيه فيما أرغمه، ولا شيء من فعل العبد أبلغ في مكروهه من طاعته ربّه وعصيانه
أمره، ولا شيء أسرُّ إليه من عصيانه ربّه، وأتباعه أمره.
فكلام أبي جعفر من هذا النمط، وهو كثير مفيد.

[١] وقد حكى أبو علي التتوخي في «النشوار» له، عن عثمان بن محمد السلمي
قال: حدثني ابن منجو القائد قال: حدثني غلام لابن المزوق قال: اشترى مولاي
جارية، فزوجنيها، فأحببتها وأبغضتني حتى ضجرت، فقلت لها: أنت طالق ثلاثاً،
لا تخاطبيني بشيء إلا قلت لك مثله، فكم أحتملك؟ فقالت في الحال: أنت طالق
ثلاثاً. فأبليست، فدللت على محمد بن جرير فقال لي: أقم معها بعد أن تقول لها:
أنت طالق ثلاثاً إن طلقتك فاستحسن هذا الجواب. وذكره شيخ الحنابلة ابن
عقيل، وقال: وله جواب آخر: أن يقول كقولها سواء: أنت طالق ثلاثاً - بفتح التاء -
فلا يحث. وقال أبو الفرج بن الجوزي: وما كان يلزمه أن يقول لها ذاك على الفور،
فله التماسي إلى قبل الموت.

قلت: ولو قال: أنت طالق ثلاثاً، وقصد الاستفهام أو عني أنها طالق من وثاق،
أو عني الطلق لم يقع طلاق في باطن الأمر.

وله جواب آخر على قاعدة مراعاة سبب اليمين ونية الحالف، فما كان عليه أن
يقول لها ما قالته، إذ من المعلوم بقرينة الحال استثناء ذلك قطعاً، لأنه ما قصد إلا
أنها إذا قالت له ما يؤذيه أن يؤذيها بمثله ولو جاوبها بالطلاق لسرت هي، ولتأذى
هو، كما استثنى من عموم قوله تعالى ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل ٢٣] بقرينة
الحال أنها لم تؤت لحيّة ولا إحليلاً. ومن المعلوم استثناءه بالضرورة التي لم
يقصدها الحالف قط لو حلف: لا تقولي لي شيئاً إلا قلت لك مثله، أنها لو كفرت
وسبت الأنبياء فلم يجاوبها بمثل ذلك لأحسن.

وذهب إمام^(١) في زماننا إلى أن من حَلَفَ على حَضٍّ أو مَنَعَ بِالطَّلَاقِ أو العِتَاقِ ،
أو الحج ونحو ذلك فكفَّارته كَفَّارَةُ يَمِينٍ ، ولا طلاق عليه .

[١] أبو سعيد الدِّينَوْرِيُّ مُسْتَمْلِي ابن جرير ، أَخْبَرَنَا أبو جعفر محمد بن جرير الطَّبْرِيُّ
بعقيدته ، فمن ذلك : وحسبُ امرئٍ أن يَعْلَمَ أن ربَّه هو الذي على العرش استوى ،
فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر . وهذا «تفسير» هذا الإمام مشحونٌ في آيات
الصفاتِ بأقوال السَّلَفِ على الإثبات لها ، لا على النفي والتأويل ، وأنها لا تُشبه
صفات المخلوقين أبداً .

[٢] قال أحمد بن كامل : توفي ابن جرير سنة عشرٍ وثلاثِ مئةٍ ودُفِنَ في داره بَرَحْبَةِ
يَعْقُوبَ ، يعني ببغداد . وشيعه من لا يُحْصِيهِمْ إلا الله تعالى ، وصُلِّيَ على قبره عدَّة
شهور ليلاً ونهاراً ، إلى أن قال : ورثاه خلق من الأدباء وأهل الدين ، ومن ذلك قول
أبي سعيد الأعرابي :

[٣] حَدَّثَ مُفْطَعٌ وَخَطْبٌ جَلِيلٌ دَقَّ عَنْ مِثْلِهِ اصْطِبَارُ الصُّبُورِ
قَامَ نَاعِي الْعُلُومِ أَجْمَعِ لَمَّا قَامَ نَاعِي مُحَمَّدٍ بْنِ جَرِيرِ

٦١١ الحَلَّاجُ^(٢)

[٤] هو الحسين بن منصور بن مَحْمِي ، أبو عبدالله ، الفارسيُّ البِيضَاوِيُّ الصُّوفِيّ ،
والبيضاء : مدينة ببلاد فارس ، وكان جَدُّه مَحْمِيّ مَجُوسِيّاً .

وكان يصحح حاله أبو العباس بن عطاء ، ومحمد بن خفيف ، وإبراهيم أبو
القاسم النصر آبادي .

وتبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ والعلماء لِمَا سَتَرَى من سوء سيرته ومروقه ،
ومنهم من نسبته إلى الحُلُولِ ، ومنهم من نسبته إلى الزندقة وإلى الشَّعْبَدَةِ والزُّوَكَةِ ،

(١) هو شيخ الإسلام ابن تيمية ، وقد جاء في هامش الأصل ما نصه : «أخطأ هذا الإمام فيما ذهب إليه ، ويُدْعَى
بذلك ، وحُجِرَ عليه ، واعتقل غير مرة إلى أن مات ، وقد نقل الإجماع في المسألة - على خلاف قوله - جماعة من
الأئمة ، ورد عليه غير واحد من المحققين ، والله المستعان» .

(٢) انظر السير : ٣١٣/١٤ - ٣٥٤ .

وقد تستر به طائفة من ذوي الضلال والانحلال وانتحلوه وروّجوا به على الجهال،
نسأل الله العِصمة في الدين .

قال أبو نصر السّراج: صحب الحلاج عمرو بن عثمان، وسرق منه كتباً فيها
شيء من علم التصوف، فدعا عليه عمرو: اللهم اقطع يديه ورجليه .
قال ابن الوليد: كان المشايخ يستثقلون كلامه، وينالون منه لأنه كان يأخذ نفسه
بأشياء تخالف الشريعة، وطريقة الزهاد، وكان يدّعي المحبة لله، ويظهر منه ما
يخالف دعواه .

قلت: ولا ريب أن اتّباع الرسول ﷺ، علّم لمحبة الله لقوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ
كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران ٣١] .
قال السلمي: سمعت أبا عليّ الهمداني يقول: سألت إبراهيم بن شيان عن
الحلاج، فقال: من أحبّ أن ينظر إلى ثمرات الدعاوي الفاسدة فلينظر إلى الحلاج
وما صار إليه .

قال النديم: كان يعرف في الكيمياء، وكان مقدماً جسوراً على السلاطين،
مرتكباً للعظائم، يروم إقلاب الدُول، ويدعي عند أصحابه الإلهية، ويقول
بالحُلُول، ويظهر التشيع للملوك، ومذاهب الصُوفية للعامة، وفي تضاعيف ذلك
يدّعي أن الإلهية حلّت فيه، تعالى الله وتقدس عما يقول .

[١] قال التّنوخي: أخبرنا أبي قال: من مخاريق الحلاج: أنه كان إذا أراد سفراً ومعه
من يتنمّس عليه ويهوّسه، قدّم قبل ذلك من أصحابه الذين يكشف لهم الأمر، ثم
يمضي إلى الصحراء، فيدفن فيها كعكاً، وسُكراً وسويقاً، وفاكهةً يابسة، ويعلم
على مواضعها بحجر، فإذا خرج القوم وتعبوا قال أصحابه: نريد الساعة كذا وكذا .
فينفرد ويرى أنه يدعو، ثم يجيء إلى الموضع فيخرج الدّفين المطلوب منه، أخبرني
بذلك الجُم الغفير، وأخبروني قالوا: ربما خرج إلى بساتين البلد، فيقدّم من يدفن
الفالودج الحار في الرّقاق، والسّمك السّخن في الرّقاق، فإذا خرج طلب منه الرجل
- في الحال - الذي دفنه، فيخرجه هو .

وقال التنوخي: أخبرنا أبي: سمعت أحمد بن يوسف الأزرق: أن الحلاج لما قدم بغداد استغوى خلقاً من الناس والرؤساء، وكان طمعُهُ في الرافضة أقوى لدخوله في طريقهم، فراسل أبا سهل بن نوبخت يستغويه وكان أبو سهل فطناً، فقال لرسوله: هذه المعجزات التي يظهرها يمكن فيها الحيل، ولكنني رجل غزل، ولا لذة لي أكبر من النساء، وأنا مبتلى بالصِّلَع، فإن جعل لي شعراً وردّ لحيتي سوداء، آمنت بما يدعوني إليه وقلت: إنه باب الإمام، وإن شاء قلت: إنه الإمام، وإن شاء قلت: إنه النبي، وإن شاء قلت: إنه الله، فأيس الحلاج منه وكفّ.

وقال الفقيه أبو علي بن البناء: كان الحلاج قد ادّعى أنه إله وأنه يقول بحلول اللاهوت في الناسوت، فأحضره الوزير علي بن عيسى فلم يجده - إذ سألته - يُحسن القرآن والفقه ولا الحديث. فقال: تعلّمك الفرض والطهور أجدى عليك من رسائل لا تدري ما تقول فيها. كم تكتب - ويليكَ - إلى الناس: تبارك ذو النور الشعشعاني؟! ما أحوجك إلى أدب! وأمر به فصُلب في الجانب الشرقي، ثم في الغربي، ووجد في كتبه: إني مُغرق قوم نوح، ومُهْلِك عاد وشمود.

وكان يقول للواحد من أصحابه، أنت نوح، وآخر: أنت موسى، وآخر: أنت محمد.

وقال محمد بن يحيى الرازي: سمعتُ عمرو بن عثمان يلعنُ الحلاج ويقول: لو قَدَرْتُ عليه لقتلته بيدي. فقلت: أيش وَجَدَ الشيخُ عليه؟ قال: قرأتُ آية من كتاب الله فقال: يُمكنني أن أُؤلّف مثله.

وقال أبو يعقوب النعماني سمعتُ أبا بكر محمد بن داود الفقيه يقول: إن كان ما أنزل الله على نبيه حقاً، فما يقول الحلاج باطل. وكان شديداً عليه.

[١] أبو القاسم التنوخي: أخبرنا أبي: حدثني حسين بن عباس عمّن حضر مجلس حامد وجاؤوه بدفاتر الحلاج، فيها: إنَّ الإنسان إذا أراد الحجَّ فإنه يستغني عنه بأن يعمدَ إلى بيتٍ في داره، فيعمل فيه محراباً، ويغتسل ويُحرم ويقول كذا وكذا، ويُصلِّي كذا وكذا، ويطوفُ بذلك البيت، فإذا فرغ فقد سقط عنه الحج إلى

الكعبة، فأقرَّ به الحلاج وقال: هذا شيءٌ رويته كما سمعته، فتعلَّق بذلك عليه الوزير، واستفتى القاضيين: أبا جعفر أحمد بن البُهلول، وأبا عمر محمد بن يوسف، فقال أبو عمر: هذه زَنَدَقَةٌ يجبُ بها القتل. وقال أبو جعفر: لا يجبُ بهذا قتلٌ إلا أن يُقرَّ أنه يعتقدُه، لأنَّ النَّاسَ قد يروون الكفرَ ولا يعتقدونه، وإن أخبر أنه يعتقدُه استُتِيبَ منه، فإن تاب فلا شيء عليه، وإلا قُتل، فعمل الوزير على فتوى أبي عمر على ما شاع وذاع من أمره، وظهرَ من إلحاده وكُفْرِهِ فاستؤذِنَ المقتدر في قتله، وكان قد استغوى نصرًا القشُوريَّ من طريق الصَّلاح والدِّين، لا بما كان يدعو إليه، فخوَّفَ نصرُ السَّيدة أمَّ المقتدر من قتله وقال: لا آمن أن يلحقَ ابنك عقوبةُ هذا الصَّالح. فمنعت المقتدر من قتله، فلم يقبل، وأمر حامداً بقتله، فحُمِّمَ المقتدر يومه ذلك، فازداد نصرٌ وأمَّ المقتدر افتتاناً، وتشكَّك المقتدر، فأنفذ إلى حامد يمنعه من قتله، فأخر ذلك أياماً إلى أن عوفي المقتدر، فألح عليه حامد وقال: يا أمير المؤمنين! هذا إن بقي قلبُ الشريعة، وارتدَّ خلقٌ على يده، وأدَّى ذلك إلى زوال سلطانك، فدعني أقتله، وإن أصابك شيءٌ فاقتلني. فأذن له في قتله، فقتله من يومه، فلما قُتل قال أصحابه: ما قُتل وإنما قُتلَ بردُونُ كان لفلان الكاتب، نفق^(١) يومئذ وهو يعود إلينا بعد مُدَّة، فصارت هذه الجَهالةُ مقالة طائفة. قال: وكان أكثر مخاريق الحلاج أنه يُظهرها كالمعجزات، يستغوي بها ضَعْفَةَ النَّاسِ.

ثم قُطعت يده، ثم رُجله، ثم حُزَّ رأسه، وأحرقت جُثَّتُه، ونصب الرأس يومين ببغداد، ثم حُمِلَ إلى خراسان وطيف به. وأقبل أصحابه يعدون أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوماً.

قال السلمي: وحكي عنه أنه رُويَ واقفاً في الموقف، والنَّاسُ في الدُّعاء، وهو يقول: أنزَّهك عما قَرَفَكَ به عبادك، وأبرأ إليك مما وَحَّدَكَ به الموحِّدون.

قلت: هذا عينُ الزندقة، فإنَّه تبرأ مما وَحَّدَ الله به الموحِّدون الذين هم الصحابة والتَّابعون وسائرُ الأئمة، فهل وَحَّدوه تعالى إلا بكلمة الإخلاص التي قال رسول الله

(١) أي: مات.

ﷺ من قالها من قلبه، فقد حَرَّمَ مَالَهُ وَدَمَهُ». وهي : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فإذا برئ الصُّوفيُّ منها، فهو ملعون زنديق، وهو صوفي الزُّيِّ، والظاهر، مُتَسْتَرٍ بالنسب إلى العارفين، وفي الباطن فهو من صوفيَّة الفلاسفة أعداء الرُّسل كما كان جماعة في أيام النبي ﷺ منتسبون إلى صُحْبَتِهِ وإلى مِلَّتِهِ، وهم في الباطن من مَرَدَّةِ المنافقين، وقد لا يعرفهم نبي الله ﷺ، ولا يعلم بهم . قال الله تعالى : ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة ١٠١] .

[١] فإذا جاز على سيّد البشر أن لا يعلم ببعض المنافقين وهم معه في المدينة سنوات، فالأولى أن يخفى حال جماعة من المنافقين الفارغين عن دين الإسلام بعده عليه السلام على العلماء من أمته، فما ينبغي لك يا فقيه أن تُبادر إلى تكفير المسلم إلا ببرهان قطعي، كما لا يسوغ لك أن تعتقد العرفان والولاية فيمن قد تبرهن زُغْلُهُ، وانهتك باطنُهُ وَزَنَدَقَتُهُ، فلا هذا ولا هذا، بل العدل أن من رآه المسلمون صالحاً محسناً، فهو كذلك، لأنهم شهداء الله في أرضه، إذ الأمة لا تجتمع على ضلالة، وأن من رآه المسلمون فاجراً أو منافقاً أو مُبْطِلاً، فهو كذلك، وأن من كان طائفة من الأمة تُضِلُّهُ، وطائفة من الأمة تُثْنِي عليه وتبجِّلُهُ، وطائفة ثالثة تَقِفُ فيه وتتورّع من الحطِّ عليه، فهو ممّن ينبغي أن يُعرَض عنه، وأن يُفَوَّض أمرُهُ إلى الله، وأن يُسْتَغْفَرَ له في الجملة، لأن إسلامَهُ أصليٌّ بيقين، وضلاله مشكوك فيه، فبهذا تستريحُ ويصفو قلبُك من الغلِّ للمؤمنين .

ثم اعلَمْ أَنَّ أَهْلَ الْقِبْلَةِ كُلَّهُم، مُؤْمِنُهُمْ وَفَاسِقُهُمْ، وَسُنِّيَّهُمْ وَمُبْتَدِعُهُمْ سِوَى الصَّحَابَةِ - لَمْ يُجْمَعُوا عَلَى مُسْلِمٍ بِأَنَّهُ سَعِيدٌ نَاجٍ، وَلَمْ يُجْمَعُوا عَلَى مُسْلِمٍ بِأَنَّهُ شَقِيٌّ هَالِكٌ، فَهَذَا الصَّدِيقُ فَرَدَ الْأُمَّةَ، قَدْ عَلِمْتَ تَفَرُّقَهُمْ فِيهِ وَكَذَلِكَ عُمرُ، وَكَذَلِكَ عثمانُ، وَكَذَلِكَ عليٌّ، وَكَذَلِكَ ابنُ الزبيرِ، وَكَذَلِكَ الْحِجَّاجُ، وَكَذَلِكَ الْمَأْمُونُ، وَكَذَلِكَ بَشَرُ الْمَرِيَسِيِّ، وَكَذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَالشَّافِعِيُّ، وَالْبُخَارِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَهَلُمَّ جَرّاً مِنَ الْأَعْيَانِ فِي الْخَيْرِ وَالْشَّرِّ إِلَى يَوْمِكَ هَذَا، فَمَا مِنْ إِمَامٍ كَامِلٍ فِي الْخَيْرِ

إلا وثمَّ أناسٌ من جهلة المسلمين ومبتدعيهم يذُمونه ويحطُّون عليه، وما من رأس في البدعة والتجهم والرَّفْض إلا وله أناس ينتصرون له، ويذُبُّون عنه، ويدينون بقوله بهوىٍّ وجهلٍ، وإنما العبرة بقول جمهور الأمة الخالين من الهوى والجهل المتصفين بالورع والعلم، فتدبر - يا عبدالله - نَحْلَةَ الحَلَّاجِ الذي هو من رؤوس القرامطة ودعاة الزندقة، وأنصف وثورعٍ واتق ذلك، وحاسب نفسك، فإن تبرهن لك أنَّ شمائل هذا المرء شمائل عدوِّ للإسلام، محبٍ للرئاسة، حريص على الظهور بباطل وبحق، فتبرأ من نحلته، وإن تبرهن لك والعياذُ بالله، أنه كان - والحالة هذه - محققاً هادياً مهدياً فجدد إسلامك واستغث برَّبِّك أن يوفِّقَكَ للحقِّ وأن يثبتَ قلبَكَ على دينه فإنما الهدى نور يقذفه الله في قلب عبده المسلم، ولا قوة إلا بالله وإن شككت ولم تعرف حقيقته، وتبرأت مما رُمِيَ به، أرحت نفسك، ولم يسألك الله عنه أصلاً.

وقال أبو عمر بن حيوة: لما أخرج الحَلَّاجُ لِيُقْتَلَ، مضيتُ وزاحمتُ حتى رأيته، فقال لأصحابه: لا يَهُولُنَّكُمْ، فإني عائدٌ إليكم بعد ثلاثين يوماً.

فهذه حكاية صحيحة توضح لك أن الحَلَّاجَ مُمَخَّرَقٌ كَذَّابٌ، حتى عند قتله. وقال الصُّولي: قيل إنَّه كان في أول أمره يدعو إلى الرُّضى من آل محمد، وكان يُري الجاهل أشياء من شَعْبَدَتِهِ، فإذا وثق منه دعاه إلى أنه إله.

[١] وقال ابنُ باكيوه: سمعت ابنَ خفيف يُسأل: ما تعتقدُ في الحَلَّاجِ؟ قال: أعتقد أنه رجل من المسلمين فقط. ف قيل له: قد كفره المشايخ وأكثر المسلمين. فقال: إن كان الذي رأيته منه في الحبس لم يكن توحيداً، فليس في الدنيا توحيد.

قلت: هذا غلط من ابن خفيف، فإن الحَلَّاجَ عند قتله ما زال يوحِّدُ الله ويصيح: الله الله في دمي، فأنا على الإسلام. وتبرأ مما سوى الإسلام. والزناديقُ فيوحد الله علانية، ولكن الزندقة في سرِّه، والمنافقون فقد كانوا يوحِّدون ويصومون ويصلُّون علانية، والنفاق في قلوبهم، والحَلَّاجُ فما كان حماراً حتى يُظهر الزندقة بإزاء ابن خفيف وأمثاله، بل كان يبوِّحُ بذلك لمن استوثق من رباطه، ويمكن أن

يكون تزندق في وقت، ومَرَقَ وأدعى الإلهية، وعمل السحر والمخاريق الباطلة مدةً، ثمَّ لما نزل به البلاء ورأى الموت الأحمر أسلمَ ورجع إلى الحق، والله أعلم بسره، ولكن مقالته نبراً إلى الله منها، فإنَّها محضُ الكفر، نسأل الله العفو والعافية. كان مقتل الحلاج في سنة تسعٍ وثلاث مئة.

٦١٢ ابن خزيمة^(١)

[١] محمد بن إسحاق بن خزيمة. الحافظ الحجَّة الفقيه، شيخ الإسلام، إمام الأئمة، أبو بكر السُّلَمِيُّ النِّسابوريُّ الشافعي، صاحب التصانيف. وُلِدَ سنة ثلاثٍ وعشرين ومِئتين، وعُني في حديثه بالحديث والفقه حتى صار يُضرب به المثل في سعة العلم والاتقان.

[٢] قال أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري: حدثنا ابن خزيمة قال: كنت إذا أردت أن أصنَّفَ الشيء أدخل في الصلاة مُستخيراً حتى يُفْتَحَ لي، ثم ابتدئ التَّصنيف، ثم قال أبو عثمان: إن الله ليدفع البلاء عن أهل هذه المدينة لمكان أبي بكرٍ محمد بن إسحاق.

[٣] الحاكم: أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر، سمعت ابن خزيمة وسئل: من أين أُوتيت العلم؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شَرِبَ لَهُ» وإنِّي لما شربتُ سألت الله علماً نافعاً.

[٤] قال محمد بن سهل الطوسي: سمعت الربيع بن سليمان وقال لنا: هل تعرفون ابن خزيمة؟ قلنا: نعم. قال: استفدنا منه أكثر ممَّا استفاد منا.

[٥] قال محمد بن الفضل بن محمد: سمعت جدي يقول: استأذنت أبي في الخروج إلى قُتَيْبَةِ، فقال: اقرأ القرآن أولاً حتى أذنَ لك، فاستظهرت القرآن، فقال لي: امكث حتى تصلي بالخِتمَةِ، ففعلت، فلما عيَّدنا، أذن لي فخرجت إلى مرو، وسمعت بِمَرَوِ الرُّوذِ من محمد بن هشام صاحب هُشَيْمٍ، فنُعي إلينا قُتَيْبَةَ.

(١) انظر السير: ٣٦٥/١٤ - ٣٨٢.

[١] قال الحافظ أبو علي النيسابوري : لم أر أحداً مثل ابن خزيمة .

قلت : يقول مثل هذا وقد رأى النسائي .

[٢] قال أبو أحمد حُسينك : سمعت إمام الأئمة أبا بكر يحيى عن علي بن خُشرم ، عن ابن راهويه ، إنه قال : أحفظ سبعين ألف حديث ، فقلت لابن خزيمة : كم يحفظ الشيخ ؟ فضربني على رأسي وقال : ما أكثر فضولك ! ثم قال : يا بُني ! ما كتبت سوداء في بياض إلا وأنا أعرفه .

[٣] قال أبو علي الحافظ : كان ابن خزيمة يحفظ الفقهيات من حديثه كما يحفظ القاري السورة .

[٤] حكى أبو بشر القطان قال : رأى جار لابن خزيمة - من أهل العلم كأن لوحاً عليه صورة نبينا ﷺ وابن خزيمة يصقله . فقال المعبر : هذا رجلٌ يُحيي سنة رسول الله ﷺ .

[٥] وقال أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري : سمعت ابن خزيمة يقول : ليس لأحد مع رسول الله ﷺ قولٌ إذا صحَّ الخبر .

[٦] قال الحاكم : سمعت محمد بن صالح بن هاني ، سمعت ابن خزيمة يقول : من لم يُقر بأن الله على عرشه قد استوى فوق سبع سماواته فهو كافر حلال الدم ، وكان ماله فيثاً .

قلت : مَنْ أقرَّ بذلك تصديقاً لكتاب الله ، ولأحاديث رسول الله ﷺ ، وآمن به مفوضاً معناه إلى الله ورسوله ، ولم يخض في التأويل ولا عمق ، فهو المسلم المتبع ، ومن أنكر ذلك ، فلم يدر بثبوت ذلك في الكتاب والسنة فهو مقصّر ، والله يعفو عنه ، إذ لم يوجب الله على كل مسلم حفظ ما ورد في ذلك ومن أنكر ذلك بعد العلم ، وقفاً غير سبيل السلف الصالح ، وتمعقل على النص ، فأمره إلى الله ، نعوذ بالله من الضلال والهوى .

وكلام ابن خزيمة هذا - وإن كان حقاً - فهو فج ، لا تحتمله نفوس كثير من متأخري العلماء .

ولابن خزيمة عظمة في النفوس، وجلالة في القلوب لعلمه ودينه وأتباعه السنة.

[١] وكتابه في «التوحيد» مجلد كبير، وقد تأول في ذلك حديث الصورة (١).

[٢] فليعذر من تأول بعض الصفات، وأما السلف، فما خاضوا في التأويل، بل آمنوا وكفوا، وفوضوا علم ذلك إلى الله ورسوله، ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده - مع صحة إيمانه، وتوحيه - لأتباع الحق - أهدرناه، وبدعناه، لقل من يسلم من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بمنه وكرمه.

[٣] سئل عبدالرحمن بن أبي حاتم عن أبي بكر بن خزيمة فقال: ويحكم! هو يسأل عنا ولا نسأل عنه! هو إمام يقتدى به.

[٤] وعن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن المضارب قال: رأيت ابن خزيمة في النوم، فقلت: جزاك الله عن الإسلام خيراً، فقال: كذا قال لي جبريل في السماء.

وفاته في سنة إحدى عشرة وثلاث ومئة، عاش تسعاً وثمانين سنة.

٦١٣ السراج (٢)

[٥] محمد بن إسحاق بن إبراهيم، الإمام الحافظ الثقة شيخ الإسلام، محدث خراسان، النيسابوري، صاحب المسند الكبير على الأبواب والتاريخ وغير ذلك، وأخو إبراهيم المحدث وإسماعيل. مولده في سنة ست عشرة ومئتين.

وسكن بغداد مدة طويلة، وحديث بها، ثم رد إلى وطنه.

قال الخطيب: كان من الثقات الأثبات، غني بالحديث، وصنف كتباً كثيرة.

(١) حديث الصورة، أخرجه البخاري في «صحيحه» ٢/١١ أول الاستئذان، ومسلم (٢٨٤١) في الجنة: باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير. وأحمد: ٣١٥/٢، وابن خزيمة في «التوحيد» ٣٩-٤٠ من طريق معمر عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه، قال: اذهب، فسلم على أولئك - نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يحوينك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزاده: «ورحمة الله» فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن».

وراجع ما كتبه الحافظ ابن حجر عن عود الضمير في «صورته» في الفتوح: ١٣٣/٥، ٢٦٠/٦، ٢/١١-٣.

(٢) انظر السير: ٣٨٨/١٤-٣٩٨.

[١] قال أبو الوليد حسان بن مخدم: دخل أبو العباس السراج على أبي عمرو الخفاف فقال له: يا أبا العباس! من أين جمعت هذا المال؟ قال: بغية دهر أنا وأخوأي إبراهيم وإسماعيل، غاب أخي إبراهيم أربعين سنة، وغاب أخي إسماعيل أربعين سنة، وغبت أنا مقيماً ببغداد أربعين سنة، أكلنا الجشِب^(١)، ولبسنا الخشن، فاجتمع هذا المال، لكن أنت يا أبا عمرو! من أين جمعت هذا المال؟ وكان لأبي عمرو مال عظيم ثم قال متمثلاً:

أَتَذْكُرُ إِذْ لِحَافِكَ جِلْدُ شَاةٍ وَإِذْ نَعْلَاكَ مِنْ جِلْدِ الْبَعِيرِ
فَسَبْحَانَ الَّذِي أَعْطَاكَ مُلْكًا وَعَلَّمَكَ الْجُلُوسَ عَلَى السَّرِيرِ^(٢)
[٢] قال أبو العباس بن حمدان شيخ خوارزم: سمعتُ السراج يقول: رأيتُ في المنام كأنني أرقى في سلم طويل، فصعدتُ تسعاً وتسعين درجة فكل من أقصّها عليه يقول: تعيش تسعاً وتسعين سنة. قال ابن حمدان: فكان كذلك.

قلتُ: بل بلغ سبعمائة أو خمسمائة وتسعين سنة، فقد قال أبو إسحاق المزكي عنه: ولدت سنة ثمانين عشرة ومئتين، وختمتُ عن رسول الله ﷺ اثني عشر ألف ختمة، وضحيته عنه اثني عشر ألف أضحية.

قلتُ: دليله حديث شريك، عن أبي الحسناء، عن الحكم، عن حنّش قال: رأيتُ عليّاً رضي الله عنه يضحى بكبشين، فقلتُ له: ما هذا؟ قال: «أوصاني رسول الله ﷺ أن أضحيّ عنه»^(٣). زاد الترمذي: واحد عن النبي ﷺ، وواحد عن نفسه.

[٣] بلغنا أنه قيل لأبي العباس السراج، وهو يكتب في كهولته عن يحيى بن أبي طالب: إلى كم هذا؟ فقال: أما علمت أن صاحب الحديث لا يصبر؟! وقال أبو إسحاق المزكي: كان السراج مُجاب الدعوة.

(١) طعام جشِب ومجشوب، أي: غليظ خشن، وقيل: هو الذي لا آدم له.
(٢) البيتان مع سبعة أبيات أخر في «زهر الأدب» ٢٦٣/٣، في قصة جرت لمعن بن زائدة مع أعرابي.
(٣) أخرجه أبو داود (٢٧٩٠) والترمذي (١٤٩٥) كلاهما في الأضاحي: باب الأضحية عن الميت، وأحمد: ١٠٧/١ و ١٤٩ و ١٥٠. وشريك - هو ابن عبد الله النخعي - سيء الحفظ. وأبو الحسناء: مجهول. وحنّش - هو ابن المعتمر - مختلف فيه.

قال محمد بن أحمد الدُّقَّاق: رأيت السُّرَّاجَ يضحى كلَّ أسبوعٍ أو أسبوعين
أضحيةً عن رسول الله ﷺ، ثم يصيح بأصحاب الحديث فيأكلون.

[١] قال إسماعيل بن نُجَيْد: رأيت أبا العباس السُّرَّاجَ يركب حماره وعباس
المُستملي بين يديه، يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، يقول: يا عباس! غير
كذا، اكسر كذا.

[٢] قال أبو الوليد حسان بن محمَّد: سمعتُ أبا العباس السراج يقول: وا أسفني
على بغداد! فقيل له: ما حملك على فراقها؟ قال: أقام بها أخي إسماعيلُ خمسين
سنة، فلما توفي ورُفِعَتْ جنازتهُ سمعتُ رجلاً على باب الدُّربِ يقول لآخر: مَنْ هذا
الميت؟ قال: غريبٌ كان ها هنا. فقلت: إنا لله، بعد طول مقام أخي بها واشتهاره
بالعلم والتجارة يقال له: غريب كان هنا. فحملتني هذه الكلمة على الانصراف
إلى الوطن.

[٣] أحمد بن محمد الخفاف، حدثنا أبو العباس السُّرَّاجُ إملاءً قال: من لم يُقرَّ بأن
الله تعالى يَعَجَبُ، ويضحكُ، وينزل كل ليلة إلى السَّماء الدنيا، فيقول: «من
يسألني فأعطيه» فهو زنديقٌ كافر، يُستتابُ، فإن تاب وإلا ضُربت عنقه، ولا يُصلَّى
عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين.

قلت: لا يُكْفَرُ إلا إن علم أن الرسول ﷺ قاله فإن جحد بعد ذلك فهذا معاند
نسأل الله الهدى، وإن اعترف أن هذا حق، ولكن لا أخوض في معانيه، فقد
أحسن، وإن آمن وأوَّل ذلك كله، أو تأول بعضه، فهو طريقة معروفة.
وقد كان السُّرَّاجُ ذا ثروة وتجارة، وبرٍّ ومعروف، وله تعبُدٌ وتهجُدٌ إلا أنه كان منافراً
للفقهاء أصحاب الرأْي، والله يغفر له.

٦١٤ ابن الجصاص^(١)

[١] الصُّدر الرَّئيس، ذو الأموال، أبو عبدالله، الحسين بن عبدالله بن الجصاص، البغداديُّ الجوهريُّ التاجر الصُّقار.

[٢] وعنه قال: كنتُ يوماً في الدهليز، فخرجت قهرمانةً معها مئةُ حبةٍ جَوْهر، تساوي الحبةُ ألفَ دينار، فقالت: نريد أن تخرُطَ هذا الحبَّ حتى يَيسُغر، فأخذتهُ منها مُسرِعاً، وجمعتُ سائرَ نهاري من الحب بمئة ألف درهم، الواحدة بألف، وأتيتُ به القهرمانة، وقلتُ: قد خرُطنا هذا.

[٣] يعني: فربح فيه - في يوم - بضعةً وتسعين ألف دينار، ولما تزوَّج المعتضدُ بالله بقطر الندى بنت خُمارويه صاحب مصر، نفَّذها أبوها مع ابن الجصاص في جهاز عظيم وتُحفٍ وجواهر تتجاوز الوصف، فنصَحها ابن الجصاص وقال: هذا شيءٌ كثير، والأوقاتُ تتغيَّر، فلو أودَعْتَ من هذا؟ فقالت: نَعَمْ يا عَم. وأودعته نفائس ثمينة، فاتفق أنها أدخلت على المعتضد، وكُرِّمت عليه، وحملت منه، ثم ماتت في النَّفاس بَغْتَةً، وزادت أموال ابن الجصاص إلى الغاية، ونظرت إليه الأعيُن، فلما كان في سنة اثنتين وثلاث مئة قَبِضَ عليه المقتدر، وكَبِسَتْ دارُهُ، وأخذوا له من الذهب والجَواهر ما قُوِّم بأربعة آلاف ألف دينار.

[٤] ويحكى عنه بَلَّةٌ وتغفيل، مرَّ به صديقٌ فقال له: كيفَ أنت؟ فقال ابن الجصاص: الدُّنيا كُلُّها محمومة، وكان قد حُمَّ.

[٥] ونظرَ مرَّةً في المرأة، فقال لصاحبه: ترى لحيتي طالت؟ فقال: المرأة في يدك. قال: الشاهدُ يَرى ما لا يَرى الغائب.

[٦] ودخل يوماً على الوزير ابن الفُرات فقال: عندنا كلاب يحرموننا ننام. فقال الوزير: لعلَّهم جِراء؟ قال: بل كل واحد في قَدِّي وقَدِّكَ.

(١) انظر السير: ٤٦٩/١٤ - ٤٧٣.

[١] ودعا فقال: حسبي الله وأنبيأؤه وملائكته، اللهم، أعد من بركة دعائنا على أهل القصور في قصورهم، وعلى أهل الكنائس في كنائسهم.

[٢] وفرغ من الأكل فقال: الحمد لله الذي لا يُحلف بأعظم منه.

[٣] وكان مع الخاقاني في مركبٍ وبيده كرة كافور، فبصق في وجه الوزير وألقي الكافورة في دجلة، ثم أفاق واعتذر، وقال: إنما أردتُ أن أبصق في وجهك وألقيها في الماء فغلطتُ. فقال: كان كذلك يا جاهل.

[٤] قال التنوخي: حدثنا جعفر بن ورفاء الأمير قال: اجتزتُ بابين الجصاص وكان مصاهري، فرأيتُه على حوش داره حافياً حاسراً، يعدو كالمجنون، فلما رأني استحيى، فقلت: مالك؟ قال: يحقُّ لي، أخذوا مني أمراً عظيماً، فلمتُه وقلت: ما بقي يكفي، وإنما يقلقُ هذا القلقُ من يخافُ الحاجة، فاصبرِ حتى أُبينَ لك غناك. قال: هات. قلت: أليس دارك هذه بآلتها وفُرُشها لك؟ وعقارك بالكُرُخِ وضياعك؟ قال: بلى. فما زلتُ أحاسبُه حتى بلغَ قيمة سبع مئة ألف دينار، ثم قلت: واصدُقني عما سلم لك، فحسبناه، فإذا هو بثلاث مئة ألف دينار، قلت: فمن له ألف ألف دينار ببغداد؟! هذا وجاهك قائم. فلم تغتم؟ فسجد لله وحمده وبكى، وقال: أنقذني الله بك، ما عزاني أحدُ بأنفع من تعزيتك ما أكلتُ شيئاً منذ ثلاث، فأقيم عندي لنأكل ونتحدَّث، فأقيمت عنده يومين.

[٥] قال التنوخي: اجتمعتُ بأبي عليّ - ولد ابن الجصاص - فسألته عما يُحكى عن أبيه من أن الإمام قرأ (ولا الضالّين) فقال: إي لعمري بدلاً من آمين.

[٦] وأنه أراد أن يقبل رأس الوزير، فقال: إن فيه دهنًا. فقال: أقبله ولو كان فيه خرا، فقال: ما كانت فيه سلامة^(١) تخرجه إلى هذا، كان من أدهى الناس، ولكن كان يفعل بحضرة الوزير، وكان يحب أن يصور نفسه ببله ليأمنه الوزراء لكثرة خلوته بالخلفاء.

وتوفي ابن الجصاص سنة خمس عشرة وثلاث مئة، وقد أسن.

(١) أي: غفلة.

[١] الوزير الكبير، أبو الحسن، عليُّ بن أبي جعفر محمد بن موسى بن الحسن ابن الفُرات العاقوليُّ الكاتب.

قال الصُّولي: ابتاع جدُّهم ضياعاً بالعاقول، وانتقل إليها، فنُسبوا إلى العاقول. كان ابن الفُرات يتولَّى أمر الدَّواوين زمن المكتفي، فلما وُلِّيَ المقتدر ووَزَرَ له العبَّاس بن الحسن، بقي ابنُ الفُرات على ولايته، فجرت فتنة ابن المعتز، وقُتل العبَّاس الوزير، فوَزَرَ ابنُ الفُرات سنة ستٍّ وتسعين، وتمكَّن، فأحسن وعدل، وكان سمحاً مفضلاً محتشماً، رأساً في حساب الدِّيوان، له ثلاثة بنين، المحسَّن والفضل والحسين، ثم عُزل في دي الحجة سنة تسع وتسعين، ثم وزر في سنة أربع وثلاث مئة إثر عزل عليِّ بن عيسى، ثم عُزل بعد سبعة عشر شهراً بحامد بن العبَّاس، ثم وليها سنة ٣١١، وولي ولده المحسَّن الدواوين، فعَسَفَ وصادَرَ وعذَّب، وظلم أبوه أيضاً، واستأصل جماعة، فعُزل بعد سنة إلا أياماً، وقيل: إنَّه وصل المحدثين بعشرين ألف درهم.

وذكر جماعة أن صاحب خبر ابن الفُرات رفع إليه أن رجلاً من أرباب الحوائج اشترى خُبزاً وجُبناً فأكله في الدهليز، فأقلقَه هذا، وأمر بنصب مطبخ لمن يحضُر من أرباب الحوائج، فلم يزل ذلك طول أيامه.

قيل: كان ابنُ الفُرات يلتذُّ بقضاء حوائج الرعية، وما ردُّ أحدٍ قطُّ عن حاجة ردِّ آيس، بل يقول: تُعاودني. أو يقول: أعوضُك من هذا.

قال الصُّولي: لما قُبِضَ على ابن الفُرات، نظرنا فإذا هو يُجري على خمسة آلاف نفس، أقلُّ جاري أحدهم في الشهر خمسة دراهم ونصف قفيز دقيق وأعلام مئة دينار وعشرة أقرزة.

قال الصُّولي: لم أسمع قطُّ دعا أحدًا من كتَّابه بغير كُنيته. ومرض مرَّة فقال: ما غمي بعلتي بأشدَّ من غمي بتأخر الناس وفيهم المضطر.

وكان يمنع الناس من المشي بين يديه .

قال عليُّ بن هشام الكاتب : دخلتُ على ابن الفُرات في وزارته الثالثة وقد غلب ابنُه المحسَّن عليه في أكثر أموره ، فقليل له : هو ذا يسرف أبو أحمد المحسَّن في مكاره النَّاس بلا فائدة ، ويضرب مَنْ يُؤدِّي بغير ضرب . فقال : لو لم يفعل هذا بأعدائه ومَنْ أساء إليه لما كان من أولاد الأحرار ، ولكان ميتاً ، وقد أحسنتُ إلى النَّاس دفعتين فما شكروني والله لأسيئنَّ ، فما مضت إلا أيام يسيرة حتَّى قبض عليه .

قال الصُّولي : قبض المُقتدرُ على ابن الفُرات ، وهرب ابنُه ، فاشتدَّ السلطانُ وجميع الأولياء في طلبه ، إلى أن وُجد ، وقد حلقَ لحيته ، وتشبَّه بامرأة في خُفٍّ وإزار ، ثم طُوب هو وأبوه بالأموال ، وسُلِّما إلى الوزير عبيد الله بن محمد ، فعَلما أنَّهما لا يفلتان ، فما أذعنا بشيء ، ثم قَتَلهما نازوك ، وبعث برأسيهما إلى المقتدر في سَفَط ، وغرَّق جَسديهما .

ضربتُ عنقُ المحسَّن بعد أنواع العذاب سنة اثنتي عشرة وثلاث مئة ، وألقي رأسُه بين يدي أبيه ، فارتاع ، ثم قُتل ثُمَّ أُلقي الرَّأسان في الفرات ، وكان للوزير إحدى وسبعون سنة وشهور وللمحسن ثلاث وثلاثون سنة .

٦١٦ بُنَانُ الْحَمَّال^(١)

الإمامُ المحدثُ الزاهد ، شيخُ الإسلام ، أبو الحسن ، بُنَانُ بن محمد بن حمدان الواسطي ، نزيل مصر ، ومَنْ يُضرب بعبادته المَثَل .
صحب الجُنيد وغيره ، وقيل : إنه هو أستاذ الحسين النُّوري وهو رفيقه ومن أقرانه .

وكان كبيرَ القدر ، لا يقبل من الدولة شيئاً ، وله جَلالةٌ عجيبةٌ عند الخاصِّ والعام .
وقد اُفتُحَن في ذات الله ، فَصَبَرَ ، وارتفع شأنه ، فنقل أبو عبد الرحمن السُّلمي

(١) انظر السير : ٤٨٨/١٤ - ٤٩٠ .

[١] في «مجن الصوفية» أن بُناناً الحمّال قام إلى وزير خمارويه - صاحب مصر - وكان نصرانياً، فأنزله عن مركوبه وقال: لا تركب الخيل، وعير، كما هو مأخوذ عليكم في الذمّة، فأمر خمارويه بأن يؤخذ ويوضع بين يدي سبيع، فطرح، فبقي ليلة، ثم جاؤوا والسبيع يلحسه وهو مستقبل القبلة، فأطلقه خمارويه واعتذر إليه.

[٢] قال الزبير بن عبد الواحد: سمعت بُناناً يقول: الحرُّ عبد ما طمع، والعبد حرُّ ما قنع.

ومن كلام بُنان: متى يُفلح من يسره ما يضره؟!

[٣] وقال: رؤية الأسباب على الدوام قاطعة عن مشاهدة المسبب، والإعراض عن الأسباب جملةٌ يؤدي بصاحبه إلى ركوب الباطل.

[٤] يروى أنه كان لرجل على آخر دين مئة دينار، فطلب الرجل الوثيقة فلم يجدها، فجاء إلى بُنانٍ ليدعوله، فقال: أنا رجل قد كبرت، وأحب الحلواء، اذهب اشتري لي من عند دار فرج رطل حلواء حتى أدعوك، ففعل الرجل وجاء، فقال بُنان: افتح ورقة الحلواء، ففتح، فإذا هي الوثيقة، فقال: هي وثيقتي. قال: خذها، وأطعم الحلواء صبيّانك.

[٥] توفي بُنان سنة ست عشرة وثلاث مئة، وخرج في جنازته أكثر أهل مصر، وكان شيئاً عجيباً من ازدحام الخلائق.

٦١٧ ابنُ البهلُول^(١)

[٦] الإمام العلامة المتفّن القاضي الكبير، أبو جعفر، أحمد بن إسحاق بن بهلول، التنوخي الأنباري، الفقيه الحنفي.

وُلد سنة إحدى وثلاثين ومئتين.

وكان من رجال الكمال، إماماً ثقة، عظيم الخطر، واسع الأدب تامّ المروءة، بارعاً في العربية، ولي قضاء مدينة المنصور عشرين سنة وعُزل قبل موته بعام.

(١) انظر السير: ٤٩٧/١٤ - ٥٠٠.

وكان له مصنفٌ في نحو الكوفيين، وكان أديباً بليغاً مُفَوِّهاً شاعراً.

قال ابنُ الأنباري: ما رأيتُ صاحبَ طَيْلَسَانِ أنحى منه.

مات في سنة ثمان عشرة وثلاث مئة.

وكان أبوه من كبار الحفاظ، لقي ابنَ عُيَيْنَةَ وطبقته، وهم من بيت العلم والجلالة.

وقال طلحة بن محمد: كان عظيمَ القدر، واسعَ الأدب، تامَّ المروءة حسن الفصاحة والمعرفة بمذهب أهل العراق، ولكنه غلبَ عليه الأدب.

[١] قال القاضي أبو نصر يوسف بن عمر: كنتُ أحضرُ دارَ المقتدرِ مع أبي وهو يَنُوبُ عن والده أبي عمر القاضي، فكنتُ أرى أبا جعفر القاضي يأتيه أبي فيجلس عنده، فيتذاكران حتى يجتمعَ عليهما عدد من الخدم فسمعت أبا جعفر يقول: أحفظُ نفسي من شعري خمسة عشر ألف بيت وأحفظ للناس أضعاف ذلك.

[٢] وقال القاضي أبو طالب محمد بن القاضي أبي جعفر: كنتُ مع أبي في جنازة، وإلى جانبه أبو جعفر الطبري، فأخذ أبي يعظُ صاحبَ المُصيبةِ ويسلِّيه، فدخله الطبري في ذلك وذنبٌ معه، ثم اتسع الأمر بينهما، وخرجا إلى فنون أعجبت من حُضْرٍ، وتعالى النهار، فلما قمنا قال لي: يا بُني! من هذا الشيخ: قلتُ: هذا محمد بن جرير الطبري، فقال: إنَّا لله! ما أحسنتُ عِشْرَتِي، ألا قلتُ لي، فكنتُ أذاكره غيرَ تلك المذاكرة؟ هذا رجل مشهور بالحفظ والاتساع، فمضت مدة ثم حضرنا في حق رجل آخر، وجلسنا وجاء الطبري، فجلس إلى جانب أبي، وتجاريا، فكلُّما جاء إلى قصيدة ذكر الطبري بعضها ونُشِدُّها أبي، وكلما ذكر شيئاً من السَّيَرِ فكذلك، فربما تلعثم وأبي يمرُّ في جميعه، فما سكت إلى الظُّهر.

٦١٨ واعِظُ بَلَخِ^(١)

[٣] الإمام الكبير الزَّاهد، العلامة، شيخُ الإسلام، أبو عبد الله محمد بن الفضل بن

(١) انظر السير: ٥٢٣/١٤-٥٢٦.

العباس البلخي الواعظ، نزيل سمرقند وتلك الديار.

[١] قال السلمي: سمعت محمد بن علي الحيري يقول: سمعت أبا عثمان الحيري يقول: لو وجدت من نفسي قوة لرحلت إلى أخي محمد بن الفضل، فأستروح برؤيته.

[٢] قال أبو نعيم الحافظ: وسمعت محمد بن عبد الله الرازي بنسا أنه سمعه يقول ذهاب الإسلام من أربعة: لا يعملون بما يعلمون، ويعملون بما لا يعلمون، ولا يتعلمون ما لا يعلمون، ويمنعون الناس من العلم.

قلت: هذه نعوت رؤوس العرب والتürk، وخلق من جهلة العامة فلو عملوا بيسير ما عرفوا، لأفلحوا، ولو وقفوا عن العمل بالبدع لو فقهوا ولو فتشوا عن دينهم وسألوا أهل الذكر - لا أهل الحيل والمكر - لسعدوا بل يعرضون عن التعلم تيهًا وكسلًا، فواحدة من هذه الخلال مُردية، فكيف بها إذا اجتمعت؟! فما ظنك إذا انضم إليها كبر، وفجور، وإجرام وتجهُّم على الله! نسأل الله العافية.

[٣] قال السلمي في «محن الصوفية»: لما تكلم محمد بن الفضل ببلخ في فهم القرآن وأحوال الأئمة، أنكر عليه فقهاء بلخ، وقالوا: مُبتدع. وإنما ذاك بسبب اعتقاده مذهب أهل الحديث، فقال: لا أخرج حتى تُخرجوني وتطوفوا بي في الأسواق. ففعلوا به ذلك، فقال: نزع الله من قلوبكم محبته ومعرفة. فقليل: لم يخرج منها صوفي من أهلها. فأتى سمرقند، فبالغوا في إكرامه.

[٤] وقيل: إنه وعظ يوماً، فمات في المجلس أربعة أنفس.

مات سنة سبع عشرة وثلاث مئة.

٦١٩ الكتاني^(١)

[٥] القدوة العارف، شيخ الصوفية، أبو بكر، محمد بن علي بن جعفر البغدادي، الكتاني.

(١) انظر السير: ٥٣٣/١٤ - ٥٣٥.

- [١] ومن كلامه قال: من يدخل في هذه المفازة يحتاج إلى أربع: حال تحميه، وعلم يسوسه، وورع يحجزه، وذكر يؤنسه.
- [٢] وقال: التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في التصوف.
- [٣] وعنه قال: من حكم المرید أن يكون نومه غلبة، وأكله فاقة وكلامه ضرورة.
- قلت: نعم للصادق أن يقلل من الكلام والأكل والنوم والمخالطة وأن يكثر من الأوراد، والتواضع، وذكر الموت، وقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.
- [٤] يقال: ختم الكتاني في الطواف اثني عشر ألف ختمة، وكان من الأولياء.
- توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة.

٦٢٠ الدغولي^(١)

[٥] الإمام العلامة، الحافظ المجود، شيخ خراسان، أبو العباس، محمد بن عبدالرحمن بن محمد السرخسي الدغولي.

قال الحاكم في كتاب «مزي الأخبار»: كان أبو العباس أحد أئمة عصره بخراسان في اللغة، والفقه، والرواية.

[٦] الحاكم: سمعت الأستاذ أبا الوليد يقول: قيل لأبي العباس الدغولي: لم لا تقنت في صلاة الفجر؟ فقال: لراحة الجسد، وسنة أهل البلد، ومداواة الأهل والولد.

وقال أبو بكر أحمد بن علي بن الحسين الحافظ: خرجنا مع الإمام أبي بكر بن خزيمة إلى سمرقند لتهنئة الأمير الشهيد، والتعزية عن الأمير أبي إبراهيم الماضي، فلما انصرفنا، قلت لابن خزيمة: ما رأينا في سفرنا مثل أبي العباس الدغولي. فقال أبو بكر: ما رأيت أنا مثل أبي العباس.

قلت: ما أطلق ابن خزيمة هذا القول إلا عن أمر كبير من سعة علم أبي العباس

رحمه الله.

(١) انظر السير: ٥٥٧/١٤ - ٥٦٢.

[١] قال الحاكم: سمعت يحيى بن عمرو البُستي يقول: سمعت أبا العباس الدُّغولي يقول لأبي الحسين الحجاجي: أيش حال أبي علي الحافظ؟ وما الذي يصنّفه الآن؟ قال: هو ذا يردُّ على مسلم بن الحجاج. فأنشأ يقول:

يُقْضَى لِلْحُطَيْثَةِ أَلْفُ بَيْتٍ كَذَاكَ الْحَيُّ يَغْلِبُ كُلَّ مَيْتٍ
كَذَلِكَ دِعْبِلُ يَرْجُو سَفَاهاً وَحُمَقاً أَنْ يَنَالَ مَدَى الْكُمَيْتِ
إِذَا مَا الْحَيُّ نَاقَضَ حَشَوَ قَبْرِ فِذَالِكُمْ ابْنِ زَانِيَةِ بَزَيْتِ

[٢] قال ابن أبي ذهل: سمعت أبا العباس الدُّغولي يقول: أربع مجلدات لا تُفارقُنِي في السُّفر، والحَضَر، وإذا خرجتُ من البلد: كتاب المزني، وكتاب «العَيْن»، و«تاريخ البخاري»، وكتاب «كَلِيلَة وَدَمْنَة».

[٣] قال الحاكم: قال الدُّغولي: في العلماء جماعة فُقدوا فجأة فلم يُوجدوا، منهم: عبدالرحمن بن أبي ليلى، فُقد يوم الجماجم، ومنهم: مَعمر بن راشد، ولم تُعرف له تَرْبَةٌ قَطُّ، وبَدَلُ بْنُ الْمَحْبَرِّ افْتَقَدَ وَلَا يُدْرَى أَيْنَ ذَهَبَ، ثُمَّ سَمِيَ جَمَاعَةً مَاتُوا فَجَاءَ كَالشَّعْبِيِّ، وَحُمَيْدُ الطَّوِيلِ، وَالْأَوْزَاعِيُّ.

قال الحاكم: سألت محمد بن عبدالرحمن بن الدُّغولي عن وفاة جده فقال: في سنة خمسٍ وعشرين وثلاث مئة.

٦٢١ القاضي الخياط^(١)

[٤] الإمام المحدث الحافظ، القاضي الورع، أبو عبدالله، محمد بن علي المروزي، أحد السادات والأولياء.

[٥] عرف بالخياط لأنه كان يَخِيطُ عَلَى الْإِيْتَامِ وَالْمَسَاكِينِ حِسْبَةَ.

وُلِدَ سَنَةَ بَضْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِثْتَيْنِ.

[٦] وَلِيَ قِضَاءَ الْقِضَاءِ بَنِيْسَابُورِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثٍ مِئَةٍ، إِلَى أَنْ اسْتَعْفَى سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ، وَرَدَّ خَرِيْطَةَ الْحُكْمِ إِلَى الرَّئِيسِ أَبِي الْفَضْلِ الْبُلْعَمِيِّ، فَمَا شَرِبَ لِأَحَدٍ مَاءً، وَلَا ظَفَرَ لَهُ بَزْلَةٌ، وَكَانَ لَا يَدْعُ سَمَاعَ الْحَدِيثِ أَيَّامَ قِضَائِهِ، وَيَحْضُرُ مَجْلِسَ أَبِي

(١) انظر السير: ١٤/٥٦٤-٥٦٥.

العبّاس السّراج .

[١] وقال الحاكم : سمعتُ أبي يقول : كان القاضي محمد بن عليّ المروزي طول أيامه يسكنُ دار ابن حَمْدُون بحذاء دارنا ، وكنتُ أعرفُهُ يخيّط بالليل ، وإذا تفرَّغ بالنهار ، للأيتام والضعفاء ، ويعدها صدقة .

[٢] سمعتُ محمد بن عبدان خادمَ الجامع يقول : كان محمدُ بن عليّ الحاكم يجيء في كلِّ أسبوع ليلةً إلى الجامع ، فيتعبَّد إلى الصباح من حيث لا يعرف غيري ، فصادفته ليلةً يتلو : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة ٤٤] الآيات وكلِّما تلا آيةً منها ، ضربَ بيده على صدره ضربةً أسمع صوتها من شدَّته ، رحمه الله تعالى .

توفي بعد العشرين وثلاث مئة ، وله بضع وثمانون سنة .

٦٢٢ ابن أبي العزّاقِر^(١)

[٣] الزُّنْدِيقُ المَعْتَرُ ، أبو جعفر ، محمدُ بن عليّ ، السِّلْمَغَانِيُّ الرَّافِضِيّ .

قال بالتَّنَاسُخ ، وبحلول الإلهية فيه ، وأن الله يحلُّ في كلِّ شيء بقدر ما يحتمله ، وأنه خلق الشيء وضده ، فحل في آدم وفي إبليس ، وكلُّ منهما ضدٌّ للآخر . وقال : إِنَّ الضُّدَّ أَقْرَبُ إِلَى الشَّيْءِ مِنْ شِبْهِهِ ، وإنَّ الله يحلُّ في جسد من يأتي بالكرامات ليدلَّ على أنه هو ، وإن الإلهية اجتمعت في نُوح وإبليس وفي صالح وعافر النّاقة ، وفي إبراهيم ونمرود ، وعليّ وإبليس .

وقال : من احتاج الناس إليه ، فهو إله .

وسمى موسى ومحمداً الخائنين ، لأن هارون أرسل موسى ، وعليّاً أرسل محمداً ، فخاناهما ، وإن عليّاً أمهل محمداً ثلاث مئة سنة ثم تذهب شريعته .

[٤] ومن رأيه ترك الصّلاة والصّوم ، وإباحة كلِّ فرج ، وأنه لا بد للفاضل أن يَنِيكَ المفضول ليُولج فيه النُّور ، ومن امتنع مُسيخ في الدُّور الثاني ، فربط الجهلة وتخرق ،

(١) انظر السير : ٥٦٦/١٤ - ٥٦٩ .

وأصل طائفة، فأظهر أمره أبو القاسم الحسين بن روح - رأس الشيعة، الملقب بالباب - إلى صاحب الزمان، فطلب ابن أبي العزاقر، فاخفى، وتسحب إلى الموصل، فأقام هناك سنين ورجع، فظهر عنه ادعاء الربوبية، واتبعه الوزير حسين ابن الوزير القاسم بن عبيد الله بن وهب - وزير المقتدر - فيما قيل، وابنا بسطام وابراهيم بن أبي عون، فطلبوا، فتغيّبوا، فلما كان في شوال من سنة اثنتين وعشرين ظفر الوزير ابن مقلّة بهذا، فسجنه، وكبس داره، فوجد فيها رقاعاً وكتباً مما يدعى عليه، وفيها خطابه بما لا يخاطب به بشر فعرضت عليه فأقر أنها خطوطهم، وتنصل مما يُقال فيها، وتبرأ منهم فمدّ ابن عبدوس يده، فصفعه، وأما ابن أبي عون فمد يده إليه فارتعدت يده، ثم قبل لحيته ورأسه وقال: إلهي، ورازقي، وسيدي! فقال له الراضي بالله: قد زعمت أنك لا تدعي الإلهية، فما هذا؟ قال: وما عليّ من قول هذا؟ والله أعلم أنني ما قلتُ له: إنني إله قط.

فقال ابن عبدوس: إنه لم يدع إلهية، إنما ادعى أنه الباب إلى الإمام المنتظر. ثم إنهم أحضروا مراتٍ بمحضر الفقهاء والقضاة، ثم في آخر الأمر أفتى العلماء بإباحة دمه، فأحرق في ذي القعدة من السنة وضرب ابن أبي عون بالسياط، ثم ضربت عنقه وأحرق.

وله مصنفات أدبية، وكان من كبار الكتاب.

وقتل بسببه وزير المقتدر، الحسين، اتهم بالزندقة، وقتل أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن هلال بن أبي عون الأنباري الكاتب.

وقد كان أبو علي الحسين - ويقال: الجمال - وزراً للمقتدر في سنة تسع عشرة وثلاث مئة، ولقبوه عميد الدولة، وعزل بعد سبعة أشهر وسجن، وعقد له مجلس في كائنة السلمغاني، ونوظر، فظهرت رقاعه يخاطب السلمغاني فيها بالإلهية، وأنه يحبيه ويُميته، ويسأله أن يغفر له ذنوبه. فأخرجت تلك الرقاع، وشهد جماعة أنه خطه، فضربت عنقه وطيف برأسه في ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة، وعاش ثمانياً وسبعين سنة.

الجزء الخامس عشر

٦٢٣ - ابنُ الشَّرْقِيِّ (١)

[١] الإمامُ العلامةُ الثَّقَّةُ، حافظُ خُرَاسانَ، أبوحامد أحمد بن محمد بن الحسن النِّسَابُورِيُّ ابنُ الشَّرْقِيِّ، صاحبُ «الصَّحِيحِ» وتلميذُ مُسْلِمَ.

ذكره أبو عبد الله الحاكم فقال: هو واحدُ عَصْرِهِ حِفْظاً وإِتْقاناً ومعرفةً. قال الحاكم: سمعتُ الحسينَ التَّمِيمِيَّ، سمعتُ ابنَ خزيمةَ يقول - ونَظَرَ إلى أبي حامد ابنِ الشَّرْقِيِّ - فقال: حياةُ أبي حامد تحجُّزُ بين الناسِ، وبين الكذبِ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

قلت: يعني: أنه يعرفُ الصحيحَ وغيره منَ الموضوع. [٢] السُّلَمِيُّ: سألتُ الدَّارَقُطَنِيَّ عن أبي حامد ابنِ الشَّرْقِيِّ فقال: ثِقَّةٌ مأمونٌ إمامٌ. قلتُ: لِمَ تكلَّم فيه ابنُ عُقْدَةَ؟ فقال: سبحانَ الله ترى يؤثرُ فيه مثُلُ كلامِهِ، ولو كانَ بَدَلُ ابنِ عُقْدَةَ يحيى بنَ معينٍ. فقلتُ: وأبو عليٍّ؟ قال: وَمَنْ أبو عليٍّ حتَّى يُسمَعَ كلامُهُ فيه.

وقال الخليليُّ: هو إمامٌ وقته بلا مُدافعة. مات سنة خمسٍ وعشرين وثلاثِ مئة.

٦٢٤ - المُقْتَدِرُ (٢)

[٣] الخليفةُ المقتدر بالله، أبو الفضل جعفرُ بنُ المعتضد بالله أحمد بن أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله الهاشميُّ العبَّاسيُّ البَغْدَادِيُّ.

بُويعَ بعد أخيه المُكْتَفِي في سنة خمسٍ وتسعين ومئتين، وهو ابنُ ثلاثِ

(١) انظر السير: ٣٩-٣٧ / ١٥.

(٢) انظر السير: ٥٦-٤٣ / ١٥.

عشرة سنة. وما وَلِيَ أَحَدٌ قَبْلَهُ أَصْغَرَ مِنْهُ، وَاخْرَمَ نِظَامَ الْإِمَامَةِ فِي أَيَّامِهِ، وَصَغُرَ مَنَصِبُ الْخِلَافَةِ، وَقَدْ خُلِعَ فِي أَوَائِلِ دَوْلَتِهِ، وَبَايَعُوا ابْنَ الْمُعْتَزِّ، ثُمَّ لَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ. وَقُتِلَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ وَجَمَاعَةٌ، ثُمَّ إِنَّهُ خُلِعَ ثَانِيًا فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةَ، وَبَذَلَ خَطَّهُ بِعِزْلِ نَفْسِهِ، وَبَايَعُوا أَخَاهُ الْقَاهِرَ، ثُمَّ بَعْدَ ثَلَاثٍ، أُعِيدَ الْمُقْتَدِرُ، ثُمَّ فِي الْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ قُتِلَ.

وعاش ثمانياً وثلاثين سنةً.

[١] قال أبو علي التَّنُوخِي: كَانَ جَيِّدَ الْعَقْلِ، صَحِيحَ الرَّأْيِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مُؤَثَّرًا لِلشَّهَوَاتِ، لَقَدْ سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ عَيْسَى الْوَزِيرَ يَقُولُ: مَا هُوَ إِلَّا أَنْ يَتْرَكَ هَذَا الرَّجُلُ - يَعْنِي الْمُقْتَدِرَ - النَّبِيذَ خَمْسَةَ أَيَّامٍ فَكَانَ رُبَّمَا يَكُونُ فِي أَصَالَةِ الرَّأْيِ كَالْمَأْمُونِ وَالْمُعْتَصِدِ.

[٢] قُلْتُ: كَانَ مِنْهُومًا بِاللَّعِبِ، وَالْجَوَّارِي، لَا يَلْتَفِتُ إِلَى أَعْبَاءِ الْأُمُورِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ الدَّاخِلُ، وَوَهَنَ دَسْتُهُ.

[٣] وَوَصَلَتْ الْقِرَاطُ إِلَى الْكُوفَةِ، فَهَرَبَ أَهْلُهَا. وَدَخَلَتْ الدَّيْلَمُ فَاسْتَبَاحُوا الدَّيْنُورَ، وَوَصَلَ أَهْلُهَا، فَرَفَعُوا الْمَصَاحِفَ عَلَى الْقَصَبِ وَضَجُّوا يَوْمَ الْأَضْحَى مِنْ سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةَ، وَأَقْبَلَتْ جِيُوشُ الرُّومِ وَبَدَّعُوا وَأَسْرَوْا. وَتَمَّ بَغْدَادُ الْوَبَاءِ الْكَبِيرِ، وَالْقَحْطُ حَتَّى سَوَّدَ الشُّرَفَاءُ وَجُوهَهُمْ، وَصَاحُوا: الْجُوعُ الْجُوعُ.

[٤] وَكَانَ سَمْحًا مُتَلَفًا لِلْأَمْوَالِ، مَحَقَّ مَا لَا يُعَدُّ وَلَا يُحْصَى.

[٥] وَتَجَمَّعَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ مِنَ الْغَوْغَاءِ بِبَغْدَادِ عَشْرَةُ آلَافٍ، وَفَتَحُوا السَّجُونَ، وَقَاتَلُوا الْوَزِيرَ وَوَلَاةَ الْأُمُورِ، وَدَامَ الْقِتَالُ أَيَّامًا، وَقُتِلَ عِدَّةٌ، وَنُهِبَتْ أَمْوَالُ النَّاسِ، وَاخْتَلَّتْ أَحْوَالُ الْخِلَافَةِ جَدًّا، وَمُحِقَّتْ بَيُوتُ الْأَمْوَالِ. وَفِي سَنَةِ ٣١٦ دَخَلَ أَبُوطَاهِرُ الْقَرْمِطِيُّ الرَّحْبَةَ بِالسَّيْفِ، ثُمَّ قَصَدَ الرُّقَّةَ، وَبَدَّعَ، وَعَمِلَ الْعِظَائِمَ. وَفِي سَنَةِ ٣١٧ جَرَتْ خَبْطَةُ بَغْدَادَ وَاقْتَتَلَ الْجَيْشُ، وَتَمَّ مَا لَا يُوصَفُ.

وَأَمَّا الرُّومُ فَعَاثُوا فِي الثُّغُورِ، وَفَعَلُوا الْعِظَائِمَ، وَبَذَلَ لَهُمُ الْمُسْلِمُونَ الْإِثَاوَةَ.

قَالَ الصُّوْلِيُّ: كَانَ الْمُقْتَدِرُ يَفْرِقُ يَوْمَ عَرَفَةَ مِنَ الضُّحَايَا تِسْعِينَ أَلْفَ رَأْسٍ،

[٦] وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَتْلَفَ مِنَ الْمَالِ ثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ. عَثَرَ نَفْسَهُ بِيَدِهِ.

[١] الخَادِمُ الأكبر الملقَّب بالمظفَر المُعْتَصِدِي، أحد الخُدَام الذين بلغوا رُتَبَ الملوك، وكان خَادِمًا أبيضَ فَوْسًا شَجَاعًا سَائِسًا ذَاهِيَةً. نُدِبَ لحَرْبِ المَغَارِبَةِ العُبَيْدِيَّةِ، وولِيَ دِمَشقَ للمَقْتَدِر، ثم جَرَتْ لَهُ أُمُورٌ، وحَارِبَ المَقْتَدِر، فَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ المَقْتَدِرُ، فَسَقَطَ فِي يَدِ مُؤَنَسٍ، وَقَالَ: كُلْنَا نَقْتُلَ. وَكَانَ مَعْظَمُ جُنْدِ مُؤَنَسٍ يَوْمَئِذٍ الْبَرْبُرُ فَرَمَى وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِحَرْبَتِهِ الْخَلِيفَةَ، فَمَا أَخْطَاهُ، ثُمَّ نَصَبَ مُؤَنَسٌ فِي الْخِلَافَةِ الْقَاهِرَ بِاللَّهِ، فَلَمَّا تَمَكَّنَ الْقَاهِرُ، قَتَلَ مُؤَنَسًا وَغَيْرَهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ. وَبَقِيَ مُؤَنَسٌ سِتِينَ سَنَةً أَمِيرًا، وَعَاشَ تِسْعِينَ سَنَةً، وَخَلَّفَ أَمْوَالًا لَا تُحْصَى.

٦٢٦ - ابْنُ زِيَادِ النَّيْسَابُورِيِّ^(٢)

[٢] الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْعَلَامَةُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ، أَبُو بَكْرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ زِيَادِ، النَّيْسَابُورِيِّ، مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِثْمَانَ بْنِ عَفَّانِ الْأُمَوِيِّ، الْحَافِظُ الشَّافِعِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمُ: كَانَ إِمَامَ الشَّافِعِيِّينَ فِي عَصَرِهِ بِالْعِرَاقِ وَمِنْ أَحْفَظِ النَّاسِ لِلْفَقْهِيَّاتِ وَاخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ.

[٣] قَالَ أَبُو الْفَتْحِ يَوْسُفُ الْقَوَّاسُ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَ النَّيْسَابُورِيَّ يَقُولُ: تَعْرِفُ مِنْ أَقَامَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ يَنْمِ اللَّيْلُ، وَبِتَقَوْتُ كُلَّ يَوْمٍ بِخَمْسِ حَبَّاتٍ، وَيَصِلُنِي صَلَاةُ الْغَدَاةِ عَلَى طَهَارَةِ عِشَاءِ الْآخِرَةِ؟ ثُمَّ قَالَ: أَنَا هُوَ، وَهَذَا كُلُّهُ قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، أَبِي شٍ أَقُولُ لِمَنْ زَوَّجَنِي؟ ثُمَّ قَالَ: مَا أَرَادَ إِلَّا الْخَيْرَ.

(١) انظر السير: ٥٦-٥٧ / ١٥.

(٢) انظر السير: ٦٥-٦٦ / ١٥.

قلت: قد كان أبوبكر من الحُفَاطِ المجوِّدين .
 مات سنة أربعٍ وعشرين وثلاث مئة عن بضعٍ وثمانين سنة .
 قال الدَّارِقُطْنِي: كُنَّا نَتَذَكَّرُ فَسَأَلَهُمْ فَقِيهٌ: مَنْ رَوَى: «وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا
 طَهُورًا» فَقَامَ الْجَمَاعَةُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ زِيَادٍ فَسَأَلُوهُ، فَسَاقَ الْحَدِيثَ فِي الْحَالِ
 مِنْ حِفْظِهِ .

٦٢٧ - نِفْطَوِيَّةُ (١)

- [١] الإمام الحافظ النَّحْوِيُّ العَلَّامَةُ الْأَخْبَارِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ
 عَرَفَةَ، الْعَتَكِيُّ الْأَزْدِيُّ الْوَاسِطِيُّ، الْمَشْهُورُ بِنِفْطَوِيَّةِ صَاحِبُ التَّصَانِيفِ .
 ولد سنة أربعٍ وأربعين ومِثْنِينَ .
- [٢] وكان متضلِّعاً من العلوم، يُنْكَرُ الْإِشْتِقَاقَ وَيُحِيلُهُ . خَلَطَ نَحْوَ الْكُوفِيِّينَ بِنَحْوِ
 الْبَصَرِيِّينَ، وَصَارَ رَأْسًا فِي رَأْيِ أَهْلِ الظَّاهِرِ .
 وكان ذا سُنَّةٍ وَدِينٍ وَقُوَّةٍ وَمُرُوءَةٍ، وَحُسْنِ خُلُقٍ، وَكَيْسٍ وَلَهُ نَظْمٌ وَنَثْرٌ .
 مات سنة ثلاثٍ وعشرين وثلاث مئة .
- [٣] وكان مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ الْوَاسِطِيُّ الْمُتَكَلِّمُ يُؤْذِيهِ، وَهَجَاهُ، فَقَالَ:
 مِنْ سَرِّهِ أَنْ لَا يَرَى فَاسِقًا فَلْيَجْتَنِبْ مَنْ أَنْ يَرَى نِفْطَوِيَّةَ
 أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِنِصْفِ اسْمِهِ وَصَيَّرَ الْبَاقِيَ صُرَاخًا عَلَيْهِ
- وقال أيضاً: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَنَاهَى فِي الْجَهْلِ، فَلْيَعْرِفِ الْكَلَامَ عَلَى مَذْهَبِ
 النَّاشِيءِ، (٢) وَالْفِقْهَ عَلَى مَذْهَبِ دَاوُدَ، وَالنَّحْوَ عَلَى مَذْهَبِ سَيِّبَوِيَّةَ . ثُمَّ يَقُولُ:
 وَقَدْ جَمَعَ هَذِهِ الْمَذَاهِبَ نِفْطَوِيَّةَ، فَإِلَيْهِ الْمُنتَهَى .

(١) انظر السير: ٧٧-٧٥ / ١٥ .

(٢) هو عبد الله بن محمد، أبو العباس، المعروف بابن شرشير الناشيء . شاعر متكلم يعد في طبقة ابن الرومي
 والبحري أصله من الأنبار، وأقام ببغداد مدة طويلة، وخرج إلى مصر فسكنها، وتوفي بها سنة ٢٩٣ هـ .

٦٢٨ - أحمد بن بقي^(١)

[١] ابن مَخلَد، أبو عمر القُرطبي. كبيرُ علماء الأندلس، وقاضي قرطبة.
[٢] وقال ابنُ عبد البر: كان وقوراً حليماً كثيرَ التلاوة ليلاً ونهاراً، قويَّ المعرفة باختلاف العلماء، وَلِيَّ القَضَاء عشرة أعوامٍ ما ضَرَبَ فيها فيما قيل سوى واحدٍ مجمعٍ على فسقه، وكان يتوقَّف ويتثبت ويقول: الثاني أخلص، إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لما أشكل عليه أمرُ حديثِ حُوَيْصَة ومُحَيَّصَة^(٢) ودَى القَتيلِ مِنْ عنده.

وكان الناصرُ لدين الله يحترمه ويبجله. توفي على القضاء سنة أربع وعشرين وثلاثمائة.

قُلْتُ: وفي ذريته أئمةٌ وفضلاء، آخروهم أبو القاسم أحمد بن بقي.

٦٢٩ - الأشعري^(٣)

[٣] العلامة إمام المتكلمين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق ابن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أمير البصرة بلال بن أبي بردة

(١) انظر السير: ٨٤-٨٣ / ١٥.

(٢) أخرجه البخاري ٣١٧٣ في الجهاد، و (٦١٤٣) في الأدب، و (٦٨٩٨) في الديات: باب القسامة، و (٧١٩٢) في الأحكام، ومسلم (١٦٦٩) من حديث سهل بن أبي حثمة ورافع بن خديج أنهما قالاً: خرج عبدالله بن زيد، ومحيصة بن مسعود بن زيد حتى إذا كانا بخيبر تفرقا في بعض ما هنالك، ثم إذا محيصة يجد عبدالله بن سهل قتيلاً، فدفنه، ثم أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وحويصة بن مسعود وعبد الرحمن بن سهل، وكان أصغر القوم - فذهب عبد الرحمن ليتكلم قبل صاحبيه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَبُرَ الكُبرُ في السَّنِّ»، فصمت، فتكلم صاحبه وتكلم معي، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مقتل عبدالله بن سهل، فقال لهم: «أتحلفون خمسين يميناً فتستحقون صاحبكم أو قاتلكم»، قالوا: فكيف نحلف ولم نشهد، قال: «فتبرئكم يهود بخمسين يميناً». قالوا: وكيف نقبل إيمان قوم كفار، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى عقله.

(٣) انظر السير: ٩٠-٨٥ / ١٥.

ابن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي موسى عبدالله بن قيس بن
حَضَار، الأشْعَرِيُّ اليماني البصريُّ .
مولده سنة ستين ومئتين .

[١] وكان عجباً في الذكاء، وقوة الفهم، ولما برع في معرفة الاعتزال، كرهه وتبرأ
منه، وصعد للناس، فتأب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة،
ويهتك عوارهم .

[٢] قال الفقيه أبو بكر الصيرفي: كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم، حتى نشأ
الأشعري فحجرهم في أقماع السَّمِسم .

وعن ابن الباقلاني قال: أفضل أحوالي أن أفهم كلام الأشعري .
[٣] قلت: رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب
السلف في الصفات، وقال فيها: تمر كما جاءت، ثم قال: وبذلك أقول، وبه
أدين، ولا تؤول .

قلت: مات ببغداد سنة أربع وعشرين ثلاث مئة . حط عليه جماعة من
الحنابلة والعلماء . وكل أحد فيؤخذ من قوله ويترك، إلا من عصم الله تعالى
اللهم اهدنا، وارحمنا .

ولأبي الحسن ذكاء مفطر، وتبحر في العلم، وله أشياء حسنة وتصانيف جمّة
تقضي له بسعة العلم .

[٤] رأيت للأشعري كلمة أعجبتني وهي ثابتة رواها البيهقي، سمعت أبا حازم
العبدوي، سمعت زاهر بن أحمد السرخسي يقول: لما قرب حضور أجل أبي
الحسن الأشعري في داري ببغداد، دعاني فأتيته، فقال: اشهد علي أني لا
أكفر أحداً من أهل القبلة، لأن الكل يشيرون إلى معبود واحد، وإنما هذا كله
اختلاف العبارات .

[٥] قلت: وينحو هذا أدين، وكذا كان شيخنا ابن تيمية في أواخر أيامه، يقول
أنا لا أكفر أحداً من الأمة، ويقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يحافظ

على الوضوء إلا مؤمن» فمن لازم الصَّلواتِ بوضوءٍ فهو مُسلم .
 وقد أَلَفَ الأَهْوَازِيُّ^(١) جزءاً في مثالب ابنِ أبي بشر، فيه أكاذيب وجمَعَ
 أبو القاسم في مناقبه فوائد بعضها أيضاً غيرُ صحيحٍ ، وله المناظرة المشهورة مع
 الجُبَّائِي في قولهم: يجبُ على الله أن يفعل الأُصْلَحَ .
 وكان فيه دُعابةٌ ومزحٌ كثير .
 وألَّفَ كُتُباً كثيرةً، وكان يقنَعُ باليسير، وله بعضُ قِربةٍ من وَقَفِ جَدِّهم الأميرِ
 بلالِ بنِ أبي بُرْدَةَ .

٦٣٠ - البرِّهاريّ^(٢)

[١] شيخُ الحنابلة القدوة الإمام، أبو محمد الحسن بنُ علي بن خَلَفِ البرِّهاريّ^(٣)
 الفقيه .

كان قَوَّالاً بالحق، داعيةً إلى الأثر، لا يَخَافُ في الله لومةَ لائم .
 [٢] ومن عبارة الشيخ البرِّهاريّ قال: احذر صِغَارَ المُحَدَّثَاتِ مِنَ الأمور فإنَّ
 صِغَارَ البِدْعِ تعودُ كباراً، فالكلامُ في الرَّبِّ عَزَّ وجل مُحَدَّثٌ وبِدْعَةٌ وضلالة، فلا
 نتكلَّمُ فيه إلا بما وصفَ به نفسه، ولا نقولُ في صفاته: لِمَ؟ ولا كيف؟
 [٣] قال ابن بَطَّة: سَمِعْتُ البرِّهاريّ يقول: المجالسةُ للمناصحةِ فَتُحُ بابِ
 الفائدة، والمجالسةُ للمُنَازَرةِ غَلُقُ بابِ الفائدة .

[٤] قال أبو الحسين بنُ الفَرَاء: كان للبرِّهاريّ مجاهداتٌ ومقامات في الدِّين،
 وكان المخالفون يُغْلِظُونَ قلبَ السُّلطان عليه . ففي سنة إحدى وعشرين وثلاث
 مئة أرادوا حَبْسَه، فاختفى . وأخذَ كبارُ أصحابه، وحملوا إلى البَصْرة . فعاقب الله

(١) هو الحسن بن علي بن إبراهيم، أبو علي الأهوازي، مقرأ الشام في عصره، أصله من الأهواز، استوطن
 دمشق وتوفي بها سنة ٤٤٦ هـ .

(٢) انظر السير: ٩٠-٩٣ .

(٣) هذه النسبة إلى وبرِّهارة وهي الأدوية التي تجلب من الهند .

الوزير ابن مُقْلَة وأعاد الله البرّنهاريّ إلى حشمته، وزادت، وكثُر أصحابه. فبلغنا أنّه اجتازَ بالجانب الغربي، فعطس فشمتّه أصحابه، فارتفعت ضجّتهم حتى سمعها الخليفة، فأخبر بالحال، فاستهولها، ثم لم تزل المُبتدعة تُوحش قلب الرّاضي، حتى نودي في بغداد: لا يجتمع اثنان من أصحاب البرّنهاريّ، [١] فاخترق، وتوفي مستتراً في رجب سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة، فدفن بدار أُختِ توزون^(١) فقيل: إنّهُ لَمَّا كَفَّن، وعنده الخادم صلّى عليه وحده، فنظرتُ هي من الرّوشن،^(٢) فرأت البيت ملأً رجالاً في ثياب بيض، يُصلّون عليه، فخافت وطلبت الخادم، فحلف أنّ الباب لم يُفتح.

[٢] وقيل: إنّهُ تركَ ميراثَ أبيه تورعاً، وكان سبعين ألفاً.

[٣] عن ابن سمعون، أنّه سمع البرّنهاريّ يقول: رأيتُ بالشّام راهباً في صومعة حوله رهبانٌ يتمسّحون بالصّومعة، فقلتُ لحديثٍ منهم: بأيّ شيء أُعطي هذا؟ قال: سبحان الله متى رأيتَ الله يُعطي شيئاً على شيء؟ قلتُ: هذا يحتاج إلى إيضاح، فقد يُعطي الله عبده بلا شيء وقد يُعطيه على شيء، لكنّ الشيء الذي يُعطيه الله عبده، ثم يثيبه عليه هو منه أيضاً. قال تعالى: ﴿وقالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾^(٣)

وعاش سبعةً وسبعين سنةً، وكان في آخر عُمره قد تزوّج بجارية.

٦٣١ - القاهرُ بالله^(٤)

[٤] الخليفة أبو منصور محمد بن المُعتَضد بالله أحمد بن المُوفّق طلحة بن المتوكل.

(١) توزون، أحد القواد الاثراك، خلع عليه المتقي وجعله أمير الأمراء ودامت إمارته حتى وفاته سنة ٣٣٤هـ وهو الذي سَمَل المتقي بالله وخلعه، وبايع المستكفي.

(٢) الكوة.

(٣) الأعراف: ٤٣.

(٤) انظر السير: ١٥ / ٩٨-١٠٣.

اسْتُخْلِفَ سَنَةً عَشْرِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ وَقَدْ مَضَرَ أَخِيهِ الْمُقْتَدِرَ. فِيهِ شَرٌّ وَجَبَرُوتٌ وَطَيْشٌ.

[١] بايعوه بعد المقتدر، فصادر حاشية أخيه وعذبهم، وضرب أم المقتدر بيده، وهي عليلة. ثم ماتت مُعلَّقةً بجبلٍ، وعذب أم موسى القهرمانه، وبالغ في الإساءة، فنَفَرَتْ منه القلوب.

[٢] وَلَمْ يَكُنِ الْقَاهِرَ مَتَمَكِّناً مِنَ الْأُمُورِ، وَحَكَمَ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ بُلَيْقٍ الرَّافِضِي الَّذِي عَزَمَ عَلَى سَبِّ مُعَاوِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَى الْمَنَابِرِ فَارْتَجَّتِ الْعِرَاقُ، وَقُبِضَ عَلَى شَيْخِ الْحَنَابِلَةِ الْبَرْبَهَارِيِّ، ثُمَّ قَوِيَ الْقَاهِرُ وَنَهَبَ دُورَ مُخَالِفِيهِ، وَطَيْنَ عَلَى وَلَدِ أَخِيهِ الْمُكْتَفِيِّ بَيْنَ حَيْطَيْنِ وَضَرَبَ ابْنَ بُلَيْقٍ وَسَجَنَهُ، ثُمَّ أَمَرَ بِذَبْحِهِ، وَبَذَحَ أَبِيهِ، وَبَذَحَ بَعْدَهُمَا مُؤَنَساً الْكَبِيرَ وَثُمناً وَابْنَ زَيْرِكَ. وَبَذَلَ لِلْجُنْدِ الْعَطَاءَ وَعَظَّمَ شَأْنَهُ وَنَادَى بِتَحْرِيمِ الْغِنَاءِ، وَالْخَمْرِ، وَكَسْرِ الْمَلَاهِي، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَشْرَبُ الْمَطْبُوحَ وَالسَّلَافَ، وَيَسْكُرُ وَيَسْمَعُ الْقِينَاتِ. وَاسْتَوَزَرَ غَيْرَ وَاحِدٍ. وَقَتَلَ أَبَا السَّرَايَا بْنَ حَمْدَانَ وَاسْحَاقَ النُّوَيْخِيَّ أَلْقَاهُمَا فِي بَيْتٍ، وَطُمَّتْ لَكُونَهُمَا زَايِدُهُ فِي جَارِيَةٍ قَبْلَ الْخِلَافَةِ. وَبَقِيَ ابْنُ مُقَلَّةٍ فِي اخْتِفَائِهِ يُرَاسِلُ الْجُنْدَ وَيُسَبِّغُهُمْ عَلَى الْقَاهِرِ، وَيُخْرِجُ مُتَنَكِّراً فِي زِيٍّ عَجْمِيٍّ، وَفِي زِيٍّ شَحَّاذٍ، وَأَعْطَى مُنْجِماً ذَهَباً لِيَقُولَ لِلْقَوَادِ: عَلَيْكُمْ قَطْعٌ مِنَ الْقَاهِرِ. ثُمَّ خُلِعَ وَأَكْحَلَ بِمِسْمَارٍ لِسُوءِ سِيرَتِهِ وَسَفْكَهِ الدِّمَاءِ. وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سَنَةً وَنِصْفاً وَأَسْبُوعاً.

[٣] قَالَ الصُّوْلِيُّ: كَانَ أَهْوَجَ، سَفَاكاً لِلدِّمَاءِ، كَثِيرَ التَّلَوْنِ، قَبِيحَ السَّيْرِ، مَدْمَنَ الْخَمْرِ، وَلَوْ لَا جَوْدُهُ حَاجِبُهُ سَلَامَةً لِأَهْلِكَ الْحَرْثِ وَالنَّسْلِ، وَكَانَ قَدْ صَنَعَ حَرَبَةً يَحْمِلُهَا فَلَا يَطْرَحُهَا حَتَّى يَقْتُلَ إِنْسَاناً.

[٤] ثُمَّ أُخْرِجَ إِلَى دَارِ ابْنِ طَاهِرٍ، فَكَانَ تَارَةً يُحْبَسُ، وَتَارَةً يُهْمَلُ فَوْقَ يَوْمٍ بِالْجَامِعِ بَيْنَ الصُّفُوفِ، وَعَلَيْهِ جَبَّةٌ بَيْضَاءُ وَقَالَ: تَصَدَّقُوا عَلَيَّ، فَأَنَا مَنْ قَدْ عَرَفْتُمْ.

ثُمَّ مَاتَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ. وَلَهُ ثَلَاثُ وَخَمْسُونَ سَنَةً.

فصل

ولنذكر هنا جماعة من خلفاء الإسلام على التوالي إن شاء الله ليتأمل تراجمهم الفاضل مُتَّصِلَةً مجموعةً.

٦٣٢ - الرّاضي بالله^(١)

الخليفة أبو اسحاق محمد بن المُقْتَدِر بالله . الهاشميّ العبّاسيّ . وُلِدَ سنة سبعٍ وتسعين ومئتين . وأمه روميّة .

قال أبو بكر الخطيب: له فضائل منها: أنه آخر خليفة خطب يوم الجمعة، وآخر خليفة جالس الندماء، وآخر خليفة له شعر مدون، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش . وكانت جوائزه وأموره على ترتيب المتقدمين منهم، وكان سمحاً جواداً أديباً فصيحاً، مُحِبّاً للعلماء .

سمع من البَغَوِيِّ .

قال الصُّوليُّ: سئل الرّاضي أن يخطب يوم جُمعة، فارتقى منبر سامّراً، وحضرته، فشنف الأسماع وأبلغ، ثم صلى بنا .

توفي سنة تسعٍ وعشرين وثلاث مئة . وله اثنتان وثلاثون سنة، سوى أشهر . وبويع المتقي لله إبراهيم أخوه . وكانت الفتن والحروب متواترةً بالعراق في هذه السنين، وضعف شأن الخلافة . فلله الأمر .

٦٣٣ - المتقي لله^(٢)

الخليفة أبو اسحاق، إبراهيم بن المقتدر بن المعتضد، العبّاسيّ .

(١) انظر السير: ١٥ / ١٠٣-١٠٤ . (٢) انظر السير: ١٥ / ١٠٤-١١١ .

صَعِدَ عَلَى السَّرِيرِ، وَلَمْ يَغَيِّرْ شَيْئاً، وَلَا تَسَرَّى عَلَى جَارِيَتِهِ. وَكَانَ ذَا صَوْمٍ وَتَعَبُدٍ، وَلَمْ يَشْرَبْ نَبِيذاً، وَيَقُولُ: لَا أُرِيدُ نَدِيماً غَيْرَ الْمُصْحَفِ.

[١] أَقْبَلَ تَوَزُونُ مِنْ وَاسِطٍ فَخَلَعَ عَلَيْهِ الْمُتَّقِي، وَلَقَّبَهُ أَمِيرَ الْأُمَرَاءِ وَلَكِنْ مَا تَمَّ الْوَدَّ. فَعَادَ تَوَزُونُ إِلَى وَاسِطٍ وَصَادَرَ الْمُتَّقِي وَزِيرَهُ، وَبَعَثَ بِخَلْعٍ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ بُوَيْهِ، وَاسْتَوَزَرَ غَيْرَ وَاحِدٍ، وَيَعَزِّلُهُمْ، وَصَغَّرَ أَمْرَ الْوِزَارَةِ، وَوَهَّنتِ الْخِلَافَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ.

[٢] وَتَوَجَّهَ الْمُتَّقِي مِنَ الرَّقَّةِ إِلَى بَغْدَادَ، فَأَقَامَ بِهَيْتَ، وَحَلَفَ لَهُ تَوَزُونُ، فَلَمَّا التَّقَاهُ تَرَجَّلَ لَهُ وَقَبَّلَ الْأَرْضَ، وَمَشَى بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى مَخِيْمٍ ضَرَبَتْهُ لِلْمُتَّقِي، فَلَمَّا نَزَلَ قَبَضَ تَوَزُونُ عَلَيْهِ وَسَمَلَهُ، وَأَدْخَلَ بَغْدَادَ أَعْمَى، فَلِلَّهِ الْأَمْرُ، وَأَخَذَ مِنْهُ الْبُرْدَ وَالْقُضِيبَ وَالْخَاتَمَ، وَأَحْضَرَ عَبْدَ اللَّهِ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ بْنِ الْمُكْتَفِي فَبَايَعَهُ بِالْخِلَافَةِ.

[٣] خُلِعَ الْمُتَّقِي سَنَةً ثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ، وَلَمْ يُمَهَّلْ تَوَزُونُ وَلَا حَالٌ عَلَيْهِ الْحَوْلُ. تَوَفَّى الْمُتَّقِي فِي السَّجْنِ بَعْدَ كَحْلِهِ بِذَهْرِ ذَلِكَ سَنَةٍ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ.

٦٣٤ - الْمُسْتَكْفِي (١)

[٤] الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ، أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُكْتَفِي. بُويعَ وَقْتُ خَلْعِ الْمُتَّقِي لِلَّهِ. وَلَهُ يَوْمُئِذٍ إِحْدَى وَأَرْبَعُونَ سَنَةً. اشْتَدَّ بِالْعِرَاقِ الْقَحْطُ، وَمَاتَ النَّاسُ جَوْعاً، وَهَلَكَ مَلِكُ الْأُمَرَاءِ تَوَزُونُ فِي أَوَّلِ سَنَةِ أَرْبَعٍ، فَطَمَعَ فِي مَنْصِبِهِ ابْنُ شِيرَزَادَ، وَحَلَفَ الْعَسَاكِرَ، وَنَزَلَ بِظَاهِرِ بَغْدَادَ، وَبَعَثَ الْمُسْتَكْفِي إِلَيْهِ بِالْخَلْعِ وَالْإِقَامَاتِ، فَصَادَرَ التُّجَّارَ وَالْكِتَّابَ، وَسَلَّطَ جُنْدَهُ عَلَى الْعَوَامِ فَهَرَبَ النَّاسُ، وَانْقَطَعَ الْجَلْبُ، وَوَهَنَ أَمْنُ بَغْدَادَ.

[٥] ثُمَّ دَخَلَ عَلَى الْخَلِيفَةِ اثْنَانِ مِنَ الدَّيْلَمِ، فَطَلَبَا مِنْهُ الرِّزْقَ، فَمَدَّ يَدَهُ لِلتَّقْبِيلِ،

(١) انظر السير: ١١٣-١١١ / ١٥.

فجذاه من سرير الخلافة، وجراه بعمامته، ونهبت دأره وساقوا المُستَكْفِي ماشياً إلى منزلٍ مُعزِّ الدولة فَخَلَعَ المُستَكْفِي وَسَمَلَهُ، فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا. وَضَعَفَ دَسْتُ الْخِلَافَةِ جَدًّا، وَظَهَرَ الرَّفْضُ وَالْإِعْتَزَالُ بَيْنِي بُوَيْهَ، نَسَأَلَ اللَّهُ الْعَفْوَ.

وَكَانَ إِكْحَالُ الْمُسْتَكْفِي بَعْدَ أَنْ خَلَعَ نَفْسَهُ ذَلِيلًا مَقْهُورًا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ فَعَاشَ بَعْدَ الْعَزْلِ وَالْكَحْلِ أَرْبَعَةَ أَعْوَامٍ.

٦٣٥ - الْمُطِيعُ لِلَّهِ^(١)

[١] الْخَلِيفَةُ أَبُو الْقَاسِمِ الْفَضْلُ بْنُ الْمُقْتَدِرِ جَعْفَرِ بْنِ الْمُعْتَصِدِ. وَلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثَ مِئَةٍ.

وَبُويعَ بِحُكْمِ خَلَعَ الْمُسْتَكْفِي نَفْسَهُ سَنَةَ ٣٣٤ وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ.

[٢] وَكَانَ كَالْمَقْهُورِ مَعَ نَائِبِ الْعِرَاقِ ابْنِ بُوَيْهَ، قَرَّرَ لَهُ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ دِينَارٍ فَقَط. وَاشْتَدَّ الْغَلَاءُ الْمُفْرَطُ بِبَغْدَادَ، فَذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَنَّهُ اشْتَرَى لِمُعْزِّ الدَّوْلَةِ كُرًّا دَقِيقَ بَعْسَرِينَ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

[٣] وَكَانَ يُقَامُ مَاتَمُ عَاشُورَاءَ بِبَغْدَادَ، وَيَقَعُ فِتْنٌ كَبِيرٌ لَذَلِكَ.

[٤] وَفِي سَنَةِ سِتِينَ فُلِحَ الْمُطِيعُ، وَبَطَلَ نِصْفُهُ، وَتَمَلَّكَ بَنُو عُبَيْدٍ مِصْرَ وَالشَّامَ، وَأَذْنَوْا بِدِمَشْقَ «بَحِيٍّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ»، وَغَلَّتِ الْبِلَادُ بِالرَّفْضِ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَخَفِيتِ السُّنَّةُ قَلِيلًا، وَاسْتَبَاحَتِ الرُّومُ نَصِيبِينَ وَغَيْرَهَا، فَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَلَمَّا تَحَكَّمَ الْفَالَجُ فِي الْمَطِيعِ دَعَاهُ سُبُكْتِكِينَ الْحَاجِبُ إِلَى عَزْلِ نَفْسِهِ وَتَسْلِيمِ الْخِلَافَةِ إِلَى ابْنِهِ الطَّايِعِ ففعل ذلك سنة ثلاث وستين. وأثبتوا خلعه على أبي الحسن ابن أم شيان القاضي. ثم كان بعد يدعو الشيخ الفاضل. وفيها أقيمت الدعوة العبيدية بالحرمين للمعز. واستفحل البلاء باللصوص

(١) انظر السير: ١٥ / ١١٣١١٨.

ببغداد، وَرَكِبُوا الْخَيْلَ، وَأَخَذُوا الْخَفَارَةَ، وَتَلَقَّبُوا بِالْقَوَادِ ثُمَّ إِنَّ الْمَطِيعَ خَرَجَ وَوَلَدَهُ الْخَلِيفَةُ الطَّاعِ لَهِ إِلَى وَاسِطَ فَمَاتَ هُنَاكَ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةً أَرْبَعَ وَسِتِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ مِنْ عَزْلِهِ. وَعَمَرُهُ ثَلَاثُ وَسِتُونَ سَنَةً رَحِمَهُ اللَّهُ. فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ ثَلَاثِينَ سَنَةً سِوَى أَشْهُرٍ. وَفِي أَيَّامِهِ تَلَقَّبَ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ النَّاصِرُ الْمَرْوَانِيُّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَ: أَنَا أَحَقُّ بِهَذَا اللَّقَبِ مِنْ خَلِيفَةٍ مِنْ تَحْتِ يَدِ بَنِي بُؤْتَةَ. وَصَدَقَ النَّاصِرُ فَإِنَّهُ كَانَ بَطَلًا شَجَاعًا سَائِسًا مَهِيًّا لَهُ غَزَوَاتٌ مَشْهُودَةٌ. وَكَانَ خَلِيقًا لِلْخِلَافَةِ، وَلَكِنْ كَانَ أَعْظَمَ مِنْهُ بِكَثِيرٍ الْمَعْزُ الْعُبَيْدِيُّ الْإِسْمَاعِيلِيُّ النَّحْلَةُ، وَأَوْسَعَ مَمَالِكَ، حَكَمَ عَلَى الْحَرَمَيْنِ وَمِصْرَ وَالشَّامِ وَالْمَغْرِبِ.

٦٣٦ - الطَّاعِ لِلَّهِ (١)

[١] الْخَلِيفَةُ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ الْمَطِيعِ لِلَّهِ الْفَضْلُ بْنُ الْمُقْتَدِرِ. وَكَانَ الْحَلُّ وَالْعَقْدُ لِلْمَلِكِ عِزِّ الدَّوْلَةِ وَابْنِ عَمِّهِ عَضِدِ الدَّوْلَةِ.

قَالَ ابْنُ الْجَوَازِيِّ: لَمَّا اسْتُخْلِفَ رَكِبَ وَعَلِيهِ الْبُرْدَةُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ سُبُكَّتَيْنِ الْحَاجِبُ وَخَلَعَ مِنَ الْعَدِ عَلَى سُبُكَّتَيْنِ خَلَعَ السَّلْطَنَةَ، وَعَقَدَ لَهُ اللَّوَاءَ، وَلَقَّبَهُ نَصَرَ الدَّوْلَةِ. وَلَمَّا كَانَ عِيدُ الْأَضْحَى رَكِبَ الطَّاعِ إِلَى الْمُصَلَّى، وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ وَعِمَامَةٌ، فَخَطَبَ خُطْبَةً خَفِيفَةً بَعْدَ أَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَتَعَرَّضَ عِزُّ الدَّوْلَةِ لِإِفْطَاعِ سُبُكَّتَيْنِ، فَجَمَعَ سُبُكَّتَيْنِ الْأَتْرَاكَ فَالْتَقَوْا فَانْتَصَرَ سُبُكَّتَيْنِ، وَقَامَتْ مَعَهُ الْعَامَّةُ، وَكَتَبَ عِزُّ الدَّوْلَةِ يَسْتَنْجِدُ بِعَضِدِ الدَّوْلَةِ، فَتَوَانَى، وَصَارَ النَّاسُ حَزْبَيْنِ، فَكَانَتِ السُّنَّةُ وَالِدَيْلَمُ يُنَادُونَ بِشَعَارِ سُبُكَّتَيْنِ، وَالشَّيْعَةُ يُنَادُونَ بِشَعَارِ عِزِّ الدَّوْلَةِ وَوَقَعَ الْقِتَالُ، وَسُفِكَتِ الدِّمَاءُ، وَأُحْرِقَ الْكَرْخُ.

[٢] وَجَرَتْ وَقَعَةٌ بَيْنَ عِزِّ الدَّوْلَةِ، وَعَضِدِ الدَّوْلَةِ، أُسِرَ فِيهَا مَمْلُوكٌ أَمْرُدٌ لِعِزِّ الدَّوْلَةِ فَجُنَّ عَلَيْهِ، وَأَخَذَ فِي الْبُكَاءِ، وَتَرَكَ الْأَكْلَ وَتَذَلَّلَ فِي طَلْبِهِ، فَصَارَ ضُحْكَةً وَبَذَلَ

(١) انظر السير: ١٢٧-١١٨ / ١٥.

جَارِيَتَيْنِ عَوَّادَتَيْنِ فِي فِدَائِهِ .

[١] وَتَمَكَّنَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ ، وَلَقَّبَ أَيْضاً تَاجَ الْمِلَّةِ ، وَضُرِبَتْ لَهُ النُّوبَةُ فِي ثَلَاثَةِ أَوْقَاتٍ ، (١) وَعَلَا سُلْطَانُهُ عَلَواً لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ ، وَمَعَ ذَلِكَ الْإِرْتِقَاءَ فَكَانَ يَخْضَعُ لِلطَّائِعِ ، وَجَاءَهُ رَسُولُ الْعَزِيزِ صَاحِبِ مِصْرَ ، فَرَأْسُهُ بِتَوَدُّدٍ وَطَلَبَ مِنَ الطَّائِعِ أَنْ يَزِيدَ فِي أَلْقَابِهِ ، فَجَلَسَ لَهُ الطَّائِعُ وَحَوْلَهُ مِئَةٌ بِالسُّيُوفِ وَالزَّيْنَةِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْمُصْحَفُ الْعُثْمَانِيُّ ، وَعَلَى كَتِفِهِ الْبُرْدَةُ وَبِيَدِهِ الْقَضِيبُ ، وَهُوَ مُتَقَلِّدُ السَّيْفِ ، وَأُسْبِلَتِ السُّتَارَةُ وَدَخَلَ التُّرْكُ وَالْدَّيْلَمُ بِأَسْلَاحٍ ، ثُمَّ أُذِنَ لِعَضُدِ الدَّوْلَةِ وَرَفَعَتْ لَهُ السُّتَارَةُ ، فَقَبِلَ الْأَرْضَ قَالَ : فَارْتَاعَ زِيَادُ الْقَائِدِ ، وَقَالَ بِالْفَارِسِيَّةِ : أَهَذَا هُوَ اللَّهُ ، فَقِيلَ لَهُ : بَلْ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ . وَمَشَى عَضُدُ الدَّوْلَةِ ، وَقَبِلَ الْأَرْضَ مَرَّتَيْنِ سَبْعاً فَقَالَ الطَّائِعُ لَخَادِمِهِ : اسْتَدْنِهِ . فَصَعِدَ ، وَقَبِلَ الْأَرْضَ مَرَّتَيْنِ ، فَقَالَ : ادْنُ إِلَيَّ ، فَدَنَا حَتَّى قَبَلَ رِجْلَهُ ، فَثَنَى الطَّائِعُ يَدَهُ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَهُ فَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ بَعْدَ الْإِمْتِنَاعِ ، حَتَّى قَالَ : أَقْسَمْتُ لَتَجْلِسَنَّ ، ثُمَّ قَالَ : مَا كَانَ أَشَوْقُنَا إِلَيْكَ وَأَتَوْقْنَا إِلَى مُفَاوِضَتِكَ ، فَقَالَ : عُذْرِي مَعْلُومٌ . قَالَ : نَيْتُكَ مَوْثُوقٌ بِهَا ، فَأَوْماً بِرَأْسِهِ ، فَقَالَ : قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَفُوضَ إِلَيْكَ مَا وَكَّلَهُ اللَّهُ إِلَيَّ مِنْ أُمُورِ الرِّعَايَةِ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا سِوَى خَاصَّتِي وَأَسْبَابِي ، فَتَوَلَّى ذَلِكَ مُسْتَجِيراً بِاللَّهِ ، قَالَ : يُعِينِنِي اللَّهُ عَلَى طَاعَةِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَخِدْمَتِهِ ، وَأَرِيدُ كِبَارَ الْقَوَادِ أَنْ يَسْمَعُوا لِفُظِّكَ . قَالَ الطَّائِعُ : هَاتُوا الْحُسَيْنَ بْنَ مُوسَى ، وَابْنَ مَعْرُوفٍ ، وَابْنَ أُمِّ شَيْبَانَ فَقَدَّمُوا ، فَأَعَادَ الطَّائِعُ بِالتَّفْوِيضِ ، ثُمَّ أَلْبَسَ الْخِلْعَ وَالتَّاجَ ، فَأَوْماً لِيَقْبَلَ الْأَرْضَ فَلَمْ يُطِقْ . فَقَالَ الطَّائِعُ : حَسْبُكَ . وَعَقَدَ لَهُ لِيَوَاعِينَ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ : يُقْرَأُ كِتَابُهُ فَقُرِءَ . فَقَالَ الطَّائِعُ : خَارَ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ وَلِلْمُسْلِمِينَ ، أَمَرَكَ بِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ ، وَأَنْهَكَ عَمَّا نَهَاكَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ . أَنْهَضَ عَلَى اسْمِ اللَّهِ . ثُمَّ أَعْطَاهُ بِيَدِهِ سَيْفاً ثَانِياً غَيْرَ سَيْفِ الْخِلْعَةِ ، وَخَرَجَ مِنْ بَابِ الْخَاصَّةِ ، وَشَقَّ الْبَلَدَ .

(١) كَانَ مِنَ الْعَادَةِ أَنْ تَضْرِبَ الدِّبَادِبُ فِي أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ عَلَى بَابِ الْخَلِيفَةِ وَقَدْ أَحَبَّ مَعَزُ الدَّوْلَةِ أَنْ تَضْرِبَ لَهُ الدِّبَادِبُ أَيْضاً عَلَى بَابِهِ . . . وَسَالِ الْمَطِيحُ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ .

[١] وتَحَارَبَتِ الشَّيْعَةُ وَالسُّنَّةُ مَدَّةً، ثُمَّ وَثَبُوا عَلَى الطَّائِعِ لِلَّهِ فِي دَارِهِ فِي تَاسِعِ عَشْرِ شَعْبَانَ سَنَةِ ٣٨١ وَسَبَّيْهُ أَنْ شَيْخَ الشَّيْعَةِ ابْنَ الْمَعْلَمِ كَانَ مِنْ خَوَاصِّ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ فَحُبِسَ، فَجَاءَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ، وَقَدْ جَلَسَ الطَّائِعُ فِي الرَّوَّاقِ مُتَقَلِّدُ السَّيْفِ، فَقَبَّلَ الْأَرْضَ، وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ، فَتَقَدَّمَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْوَانِهِ، فَجَذَبُوا الطَّائِعَ بِحِمَائِلِ سَيْفِهِ، وَلَفُّوهُ فِي كِسَاءٍ وَأُصْعِدَ فِي سَفِينَتِهِ إِلَى دَارِ الْمَمْلَكَةِ. وَأَشْهَدَ عَلَى الطَّائِعِ بِخَلْعِ نَفْسِهِ، وَأَنَّهُ سَلَّمَ الْخِلَافَةَ إِلَى الْقَادِرِ بِاللَّهِ، وَشَهِدَ الْكِبَرَاءُ بِذَلِكَ، ثُمَّ طُلِبَ الْقَادِرُ، وَاسْتَحْثُّوهُ عَلَى الْقُدُومِ، وَاسْتَبِيحَتْ دَارُ الْخِلَافَةِ حَتَّى نَقِضَ خَشْبُهَا.

وَكَانَتْ دَوْلَتُهُ ثَمَانِيَةَ عَشْرَةِ سَنَةٍ. وَبَقِيَ بَعْدَ عَزْلِهِ أَعْوَاماً إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ فَصَلَّى عَلَيْهِ الْقَادِرُ وَكَبَّرَ خَمْساً. وَعَاشَ ثَلَاثاً وَسَبْعِينَ سَنَةً رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦٣٧ - الْقَادِرُ بِاللَّهِ (١)

[٢] الْخَلِيفَةُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْأَمِيرِ إِسْحَاقَ بْنِ الْمُقْتَدِرِ. وَكَانَ أَبْيَضَ كَثَّ اللَّحْيَةِ يَخْضِبُ، دِيناً عَالِماً مُتَعَبِّداً وَقَوِراً مِنْ جِلَّةِ الْخُلَفَاءِ وَأَمْثَلِهِمْ. عَدَّهُ ابْنُ الصَّلَاحِ فِي الشَّافِعِيَّةِ.

[٣] قَالَ الْخَطِيبُ: كَانَ مِنَ الدِّينِ، وَإِدَامَةِ التَّهَجُّدِ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَاتِ عَلَى صِفَةٍ اشْتَهَرَتْ عَنْهُ. وَصَنَّفَ كِتَاباً فِي الْأَصُولِ، ذَكَرَ فِيهِ فَضْلَ الصَّحَابَةِ، وَإِكْفَارَ مَنْ قَالَ: بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَكَانَ ذَلِكَ الْكِتَابُ يُقْرَأُ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ فِي حَلَقَةِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، وَيَحْضُرُهُ النَّاسُ مَدَّةَ خِلَافَتِهِ وَهِيَ إِحْدَى وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ.

قُلْتُ: قَامَ بِخِلَافَتِهِ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ. وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَمْدَانِيُّ، أَنَّ الْقَادِرَ كَانَ يَلْبَسُ زِيَّ الْعَامَّةِ وَيَقْصِدُ

(١) انظر السير: ١٥ / ١٣٨١٢٧.

الأماكن المباركة.

[١] وعَمِلَت الرّافضة عيد الغدير، فثارت السُّنة، وقووا، وخرقوا عَلم السُّلطان، وقُتِل جماعة، وصُلِبَ آخرون، فكفّوا.

وفي سنة ٣٨٣ استفحل البلاء بالعيّارين ببغداد، ولم يحجّ أحدٌ من العِراق. [٢] وكان الرّفْضُ علانيةً بدمشق في سنة أربع مئة. ولقد أخذ نائِبها تمصّولت البربري رجلاً في سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة فطيف به على حمار: هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر، ثم قُتِل.

وفي هذا الوقت انبثت دُعاةُ الحاكم في الأطراف، فأمر القادر بعمل محضِر يتضمّن القُدْح في نَسَب العبيديّة، وأنهم منسوبون إلى ديصان بن سعيد الخُرَمي، فشهِدوا جميعاً أن النّاجم بمصر منصور بن نزار الحاكم حَكَم الله عليه بالبوار، وأن جدّهم لما صار إلى الغرب تسمّى بالمهدي عبيد الله، وهو وسلفه أرجاس خوارج أدعياء، وأنّ هذا النّاجم وسلفه كفار زنادقة، ولمذهب الثنوية^(١) والمجوسية معتقدون، عطلّوا الحدود، وأباحوا الفروج، وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء ولعنوا السّلف، وأدعوا الربوبية.

واستتاب القادرُ فقهاء المُعتزلة، فتبرّؤا من الاعتزال والرّفْض وأخذت خطوطهم بذلك.

وامثل ابنُ سُبُكْتِكِين أمر القادر، فبث السُّنة بممالكه، وتهدّد بقتل الرّافضة والإسماعيلية والقرامطة، والمشبهة والجهمية والمُعتزلة ولعنوا على المنابر.

[٣] وافتتح ابنُ سُبُكْتِكِين عِدَّة مدائن بالهند، وورد كتابه، ففيه: صدر العبد من غَزَنَة في أوّل سنة عشر وأربع مئة، وانتدب لتنفيذ الأوامر فرتّب في غَزَنَة خمسة عشر ألف فارس، وأنهض ابنه في عشرين ألفاً وشحن بلخ وطخارستان باثني عشر ألف فارس، وعشرة آلاف راجل، وانتخب ثلاثين ألف فارس، وعشرة آلاف

(١) أصحاب الإثنين الأزليين... النور والظلمة. يزعمون بأنهما أزليان قديمان. انظر «الملل والنحل»:
٢٤٤/١.

راجل لصحبة راية الإسلام . وانضمَّ إليه الْمُطَوَّعَةُ ، فافتَحَ قِلاعاً وحُصُوناً وأسلم زهاءَ عشرين ألفاً ، وأدَّوا نحو ألف ألفٍ من الورق ، وثلاثين فيلاً . وعدَّةُ الهلكى خمسون ألفاً . ووافى العبدُ مدينةً لهم عاينَ فيها نحو ألفِ قَصْرٍ ، وألفَ بيتٍ للأصنام ، ومبْلَغُ ما على الصَّنَمِ ثمانية وتسعون ألف دينار ، وقَلَعَ أزيدَ من ألف صنمٍ ، ولهم صنمٌ معظَّمٌ يؤرخون مُدَّتَه بجهالتهم بثلاث مئة ألف سنة ، وحصلنا من العَنائِمِ عشرين ألف ألفِ درهم ، وأفرد الخُمسُ مِنَ الرِّقِيقِ فبلغ ثلاثة وخمسين ألفاً ، واستعَرَضْنَا ثلاث مئةٍ وستة وخمسين فيلاً .

وفي سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة ، مات القادرُ بالله وعاش سبعاَ وثمانين سنة سوى شهر وثمانية أيام ، وما عَمِلْتُ أحداً من خلفاء هذه الأُمَّة بلغ هذا السنَّ ، حتى ولا عثمان رضي الله عنه .

٦٣٨ - القائمُ بأمر الله (١)

[١] الخليفةُ أبو جعفر عبدُالله بنُ القادر بالله العباسيُّ البَغْدَادِيُّ .
وُلِدَ سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة ، وأُمُّه بدرُ الدجى الأرمنيَّةُ .
وكان مليحاً وسيماً أبيضَ بحمرة ، قويُّ النَّفسِ ، ديناً ورعاً متصدِّقاً . له يدٌ في الكتابة والأدب ، وفيه عدلٌ وسَمَاحَةٌ .
[٢] ولم يَزَلْ أمرُهُ مستقيماً إلى أن قُبِضَ عليه في سنة خمسين وأربع مئة ، لأن إرسالَ التُّركيِّ البَسَاسيريِّ ، عَظُمَ شأنُهُ لعدمِ نظيرٍ له . وتهيَّئَتْ أمراءُ العربِ والعجمِ ، ودُعِيَ له على المنابر . وظلم وخربَ القُرَى وانقهر معه القائمُ ، ثم تُحَدَّثُ بأنَّه يريدُ نهبَ دارِ الخلافةِ ، وعزَّلَ القائمَ . فكَاتَبَ القائمُ طُغْرُوكَ مَلِكَ الغَزِّ يَسْتَنْهضُهُ ، وكان بالرِّيِّ ثم أُحْرِقَتْ دارُ البَسَاسيريِّ ، وهَرَبَ ، وقدم طُغْرُوكُ في سنة ٤٤٧ وذهبَ البَسَاسيريُّ إلى الرُّحبة (٢) ومعه عسكرٌ ، فكَاتَبَ المُسْتَنْصِرَ

(١) انظر السير: ١٥ / ١٣٨-١٤١ .

(٢) تقع على الفرات بين الرقة وبغداد .

فأَمَدَهُ مِنْ مِصْرَ بِالْأَمْوَالِ، وَمَضَى طُغْرُلْبُكُ سَنَةً تَسَعُ إِلَى نَصِيبَيْنِ وَمَعَهُ أَخُوهُ يَنَالُ، فَكَاتَبَ الْبَسَاسِيرِيُّ يَنَالَ فَأَفْسَدَهُ، وَطَمَعَ بِمَنْصَبِ أَخِيهِ، فَسَارَ بِجَيْشٍ ضَخْمٍ إِلَى الرِّيِّ، فَسَارَ أَخُوهُ فِي أَثَرِهِ، وَتَفَرَّقَتِ الْكَلِمَةُ. وَالتَقَى الْأَخْوَانُ بِهَٰمَذَانَ. وَظَهَرَ يَنَالُ، وَاضْطَرَبَ أَمْرُ بَغْدَادَ، وَوَقَعَ النَّهْبُ، فَوَصَلَ الْبَسَاسِيرِيُّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ إِلَى الْأَنْبَارِ. وَبُطِّلَتِ الْجُمُعَةُ، ثُمَّ دَخَلَ هُوَ بَغْدَادَ فِي الرَّايَاتِ الْمِصْرِيَّةِ، وَضَرَبَ سُرَادِقَهُ عَلَى دِجْلِهِ، وَنَصَرَتِهِ الشَّيْعَةُ وَكَانَ قَدْ جَمَعَ الْعَيَّارِينَ وَالْفَلَاحِينَ، وَأَطْمَعَهُمْ فِي النَّهْبِ. وَعَظُمَ الْقَحْطُ، وَاقْتَتَلُوا فِي السُّفُنِ. ثُمَّ فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ دُعِيَ لِصَاحِبِ مِصْرَ بِجَامِعِ الْمَنْصُورِ، وَأَذْنُوا: بِحَيٍّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ. وَخَنَدَقَ الْخَلِيفَةُ حَوْلَ دَارِهِ، ثُمَّ نَهَضَ الْبَسَاسِيرِيُّ فِي أَهْلِ الْكَرْخِ وَغَيْرِهِمْ إِلَى حَرْبِ الْقَائِمِ، فَاقْتَتَلُوا يَوْمَيْنِ، وَكَثُرَتِ الْقَتْلَى، وَأُحْرِقَتِ الْأَسْوَاقُ وَدَخَلُوا الدَّارَ فَانْتَهَبُوهَا، وَتَذَمُّمَ الْقَائِمُ إِلَى الْأَمِيرِ قُرَيْشِ الْعُقَيْلِيِّ - وَكَانَ مِمَّنْ قَامَ مَعَ الْبَسَاسِيرِيِّ - فَأَذَمَّهُ، وَقَبَّلَ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَخَرَجَ الْقَائِمُ رَاكِبًا، بَيْنَ يَدَيْهِ الرَّايَةُ، وَالْأَتْرَاكُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأُنْزِلَ فِي خَيْمَةٍ ثُمَّ قَبَضَ الْبَسَاسِيرِيُّ عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ الْمُسْلِمَةِ، وَالْقَاضِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الدَّمَاعَانِي، وَجَمَاعَةٍ، فَصَلَبَ الْوَزِيرَ فَهَلَكَ.

[١] وَكَانَ الْقَائِمُ فِيهِ خَيْرٌ وَاهْتِمَامٌ بِالرَّعِيَّةِ، وَقَضَاءٌ لِلْحَوَائِجِ. وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمَّا بَقِيَ مُعْتَقَلًا عِنْدَ الْعَرَبِ كَتَبَ قِصَّةً، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ مُسْتَعْدِيًا مِمَّنْ ظَلَمَهُ وَهِيَ: إِلَى اللَّهِ الْعَظِيمِ مِنَ الْمَسْكِينِ عَبْدُهُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ الْعَالِمُ بِالسَّرَائِرِ، الْمُطَّلِعُ عَلَى الضَّمَائِرِ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ غَنِيٌّ بِعِلْمِكَ وَأُطْلَاعِكَ عَلَيَّ عَنْ إِعْلَامِي، هَذَا عَبْدُكَ قَدْ كَفَرَ نِعَمَكَ وَمَا شَكَرَهَا، أَطْغَاهُ حِلْمُكَ حَتَّى تَعْدَى عَلَيْنَا بَغْيًا. اللَّهُمَّ قُلْ النَّاصِرُ وَاعْتَرِ الظَّالِمُ، وَأَنْتَ الْمُطَّلِعُ الْحَاكِمُ، بِكَ نَعْتَزُّ عَلَيْهِ، وَإِلَيْكَ نَهْرُبُ مِنْ يَدَيْهِ، فَقَدْ حَاكَمَنَاهُ إِلَيْكَ، وَتَوَكَّلْنَا فِي إِنْصَافِنَا مِنْهُ عَلَيْكَ، وَرَفَعْنَا ظُلَامَتَنَا إِلَى حَرَمِكَ، وَوَثَقْنَا فِي كَشْفِهَا بِكَرَمِكَ، فَاحْكَمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ. وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ ظُغْرُلْبُكُ، فَإِنَّهُ ظَفَرَ بِأَخِيهِ وَقَتَلَهُ. ثُمَّ كَاتَبَ مَتَوَلِيَّ عَانَةَ فِي أَنْ يَرُدَّ الْقَائِمَ إِلَى مَقَرِّ عَزِهِ.

ثم جهز طُغْرُبُكَ عسكراً قاتلوا البساسيري فقتل وطيف برأسه فكانت الخطبة للمستنصر ببغداد سنة كاملة .
توفي القائم سنة سبع وستين وأربع مئة .

٦٣٩ - المَهْدِيُّ وَذُرِّيَّتُهُ^(١)

[١] عُيِّدَ الله أبو محمد، أوَّل من قام من الخلفاء الخوارج العبيدية الباطنية الذين قلبوا الإسلام، وأعلنوا بالرِّفض، وأبطنوا مذهب الإسماعيلية، وبثوا الدُّعاة، يستغنون الجبليَّة والجهلة.

وادَّعى هذا المدبر، أنَّه فاطميٌّ من ذُرِّيَّة جعفر الصادق .
وقيل: كان أبوه يهودياً .

[٢] والمحققون على أنه دَعيٌّ بحيث إنَّ المُعزَّ منهم لما سأله السيّد ابن طَبَّاطبَا عن نسبه، قال: غداً أُخْرِجُه لك، ثم أصبح وقد ألقى عَرَمَةً^(٢) من الذهب، ثم جَذَبَ نِصْفَ سَيْفِهِ من غِمْدِهِ، فقال: هذا نسبي، وأمرهم بنهب الذهب، وقال: هذا حَسْبِي .

وقد صنَّف ابنُ البَاقِلَانِي وغيره من الأئمة في هُنكَ مقالاتِ العبيديَّة وطلانِ نسبهم . فهذا نَسَبُهُمْ، وهذه نَحْلَتُهُمْ . وقد سُقْتُ في حوادث «تاريخنا» من أحوال هؤلاء وأخبارهم في تفاريق السنين عجائب .

فراى عبيدالله أنَّ ما يرومه من المُلْك، لا ينبغي أن يكونَ ظهوره بالعراق ولا بالشَّام، فَبَعَثَ أوَّلاً له داعيتين شيطانين داهيتين، وهما الأخوان أبو عبد الله الشَّيعي، وأخوه أبو العباس، فَظَهَرَ أَحَدُهُما باليمن والآخرُ بأفريقية، وأظهر كُلُّ منهما الزهد والتألُّه، وأدباً أولاد النَّاس، وشوَّقا إلى الامام المهدي .

(١) انظر السير: ١٥ / ١٤١-١٥١ .

(٢) العرمة: بالتحريك: مجتمَع رمل . . وقد استعمله هنا بمعنى كومة من الذهب .

[١] ولهم^(١) البَلَاغَاتُ السَّبْعَةُ: فالأَوَّلُ للعوام وهو الرِّفْض، ثم البلاغُ الثاني للخواص، ثم البلاغُ الثالثُ لمن تمكَّن، ثم الرَّابِعُ لمن استمرَّ سنتين، ثم الخامسُ لِمَنْ ثَبَتَ في المذهب ثلاث سنين، ثم السَّادِسُ لمن أقام أربعة أعوام، ثم الخِطَابُ بالبلاغ السَّابع وهو الناموسُ الأعظم.

قال محمد بن إسحاق النديم: قرأته^(٢) فرأيتُ فيه أمراً عظيماً مِنْ إباحةِ المَحْظُورَاتِ، والوَضْعِ من الشَّرَائِعِ وأصحابِها، وكان في أيام معزِّ الدَّوْلَةِ ظاهراً شائعاً، والدُّعَاةُ منبُثُونَ في النَّواحي، ثم تناقص.

قُلْتُ: ثم اسْتَحْكَمَ أمرُ أبي عَبْدِ اللَّهِ بالمغرب، وتَبِعَهُ خَلْقٌ من البربر، ثم لَحِقَ به أخوه، وعَظُمَ جَمْعُهُ، حتى حاربَ متولي المغرب وقَهَرَهُ، وجرت له أمورٌ طويلة في أزيد من عشرة أعوام.

فلَمَّا سَمِعَ عُبيدُ اللَّهِ بظهور داعيهِ، سارَ بولده في زِيِّ تُجَارٍ والعُيُونِ عليهما، فَدَخَلَ المغرب، فَظَفَرَ بهما أميرُ المغرب فسجنَهُما، ولم يقرأ له بشيء، ثم التقى هو وأبو عبد الله الشَّيْعِي، فانتَصَرَ أبو عبد الله، وتملَّك البلاد، وأخرج المهديَّ من السجن، وقَبَلَ يَدَهُ وقال لقَوَّاده: هذا إمامنا فبايَعَهُ المَلَأَ.

ووقع بَعْدُ بينه وبين داعيِّهِ لكونِهِ ما أنصَفَهُما، ولا جَعَلَ لهما كبيرَ مَنْصِبٍ، فَشَكَّكَ فِيهِ خواصَّهُما، وتَفَرَّقَتِ كَلِمَةُ الجُنُودِ، ووقع بينهم مصافٌّ. فانتصر عُبيد الله، وذَبَحَ الأخوين. ودانَتْ له الأُمَمُ وأنشأ مدينةَ المَهْدِيَّةِ، ولم يتوجَّه لحربه جيشٌ لِبُعْدِ الشُّقَّةِ وَلَوْ هُنَّ شَأْنِ الخِلافةِ بِإِمَارَةِ الْمُقْتَدِرِ. وَجَهَّزَ من المَغْرِبِ وَلَدَهُ لِيَأْخُذَ مِصْرَ فلم يَتَمَّ له ذلك.

[٢] قال أبو الحسن القَاسِي، صاحبُ المُلَخَّصِ: إِنَّ الذين قتلهم عُبيدُ اللَّهِ وبنوه أربعة آلافٍ في دارِ النَّحْرِ في العذابِ من عالمٍ وعابِدٍ ليرُدَّهُم عن التَّرضي عن الصَّحَابَةِ، فاخْتاروا الموت.

(١) أي للفاطميين.

(٢) أي: البلاغ السابع.

وفي أيام المهدي، عاثت القرامطة بالبحرين، وأخذوا الحجيج وقتلوا وسبوا، واستباحوا حرم الله، وقلعوا الحجر الأسود. وكان عبيد الله يكاتبهم، ويحرّضهم، قاتله الله.

وكان موته، سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة. وله اثنتان وستون سنة. وكانت دولته خمساً وعشرين سنة وأشهرًا.

[١] نقل القاضي عياض في ترجمة أبي محمد الكستراتي، أنه سئل عمّن أكرهه بنو عبيد على الدخول في دعوتهم أو يقتل؟ فقال: يختار القتل ولا يُعذر، ويَجِبُ الفِرار، لأنّ المُقام في موضعٍ يُطلب من أهله تعطيلُ الشرائع، لا يجوز. قال القاضي عياض: أجمع العلماء بالقيروان، أنّ حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة.

٦٤٠ - القائم^(١)

[٢] صاحبُ المغرب، أبو القاسم محمد بنُ المهديّ عبيد الله. مولده سنة ثمانٍ وسبعين ومِئتين. ودخلَ المغربَ مع أبيه، فبُيعَ هذا عند موت أبيه في سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة. وكان مهيباً شجاعاً، قليلَ الخير، فاسدَ العقيدة.

[٣] خرج عليه في سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة أبو يزيد مَخْلَدُ بن كَيْدَاد البربري. وجرت بينهما ملاحمٌ، وحصره مَخْلَدُ بالمهدية، وضيق عليه، واستولى على بلاده. ثم وسوس القائم، واختلط وزال عقله وكان شيطاناً مريداً يتزندق. [٤] ذَكَرَ القاضي عبد الجبار المتكلم، أنّ القائم أظهر سبّ الأنبياء وكان مُناديه يصيح: العنوا الغارَ وما حوى. وأبَادَ عِدَّةً من العلماء وكان يُرسل قرامطة

(١) انظر السير: ١٥٦-١٥٢ / ١٥.

البحرين، ويأمرهم بإحراق المساجد والمصاحف فتجمعت الإباضية^(١) والبربر على مَخلد، وأقبل، وكان ناسكاً قصير الدلق،^(٢) يركب حماراً، لكنهم خوارج، وقام معه خلق من السنة والصلحاء، وكاد أن يملك العالم، وركزت بنودهم عند جامع القيروان فيها: لا إله إلا الله، لا حكم إلا الله، ونذان أصفران فيهما: نصر من الله وفتح قريب. وبند لمخلد فيه: اللهم انصر وليك على من سب نبيك. وخطبهم أحمد بن أبي الوليد، فحضر على الجهاد، ثم ساروا، ونزلوا المهديّة. ولما التقوا وأيقن مَخلد بالنصر، تحركت نفسه الخارجيّة، وقال لأصحابه: انكشفوا عن أهل القيروان، حتى ينال منهم عدوهم، ففعلوا ذلك، فاستشهد خمسة وثمانون نفساً من العلماء والزهاد.

وخوارج المغرب إباضية منسوبون إلى عبد الله بن يحيى بن إياض الذي خرج في أيام مروان الحمار، وانتشر أتباعه بالمغرب. يقول: أفعالنا مخلوقة لنا. ويكفر بالكبائر، ويقول: ليس في القرآن خصوص، ومن خالفه حلّ دمه. وكان موت القائم، سنة أربع وثلاثين محصوراً بالمهديّة. لكن قام بعده ابنه المنصور.

[١] وقد أجمع علماء المغرب على محاربة آل عبيد لما شهروه من الكفر الصراح الذي لا حيلة فيه.

[٢] وعوتب بعض العلماء في الخروج مع أبي يزيد الخارجي، فقال: وكيف لا أخرج وقد سمعت الكفر بأذني؟ حضرت عقداً فيه جمع من سنة ومشاركة، وفيهم أبو قضاة الداعي، فجاء رئيس، فقال كبير منهم: إلى هنا يا سيدي ارتفع إلى جانب رسول الله يعني: أبا قضاة، فما نطق أحد.

ووجد بخط فقيه، قال: في رجب سنة ٣٣١ قام المكوكب يقدف الصحابة،

(١) من أكبر فرق الخوارج، وهم أصحاب عبد الله بن يحيى بن إياض الملقب: بطالب الحق، من أهل اليمن، خلع طاعة مروان بن محمد وبويع له بالخلافة، واستولى على صنعاء ومكة، قتل سنة ١٣٠ هـ.

(٢) الدلق: ثوب متسع الأكمام طويلها (صبح الأعشى) ٤/٢٤.

وَيَطْعُنُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعُلِّقَتْ رُؤُوسُ حَمِيرٍ وَكِبَاشٍ عَلَى الْحَوَانِيتِ، كُتِبَ عَلَيْهَا أَنَّهَا رُؤُوسُ صَحَابَةٍ.

[١] وَخَرَجَ أَبُو إِسْحَاقَ الْفَقِيهَ مَعَ أَبِي يَزِيدَ، وَقَالَ: هُمْ أَهْلُ الْقِبْلَةِ وَأَوْلُوكَ لَيْسُوا أَهْلَ قِبْلَةٍ. وَهُمْ بَنُو عَدُوِّ اللَّهِ، فَإِنْ ظَفَرْنَا بِهِمْ، لَمْ نَدْخُلْ تَحْتَ طَاعَةِ أَبِي يَزِيدَ، لِأَنَّهُ خَارِجِيٌّ.

[٢] قَالَ أَبُو مَيْسَرَةَ الضَّرِيرُ: أَدْخَلَنِي اللَّهُ فِي شَفَاعَةِ أَسْوَدَ رَمَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ بِحَجَرٍ.

[٣] وَقَالَ السَّبَّائِي: أَيُّ وَاللَّهِ نَجْدٌ فِي قَتْلِ الْمُبَدِّلِ لِلدِّينِ.

[٤] وَتَسَارَعَ الْفُقَهَاءُ وَالْعُبَادُ فِي أُهْبَةِ كَامِلَةِ بِالْطُّبُولِ وَالْبُنُودِ. وَخَطَبَهُمْ فِي الْجُمُعَةِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْوَلِيدِ، وَحَرَّضَهُمْ. وَقَالَ: جَاهِدُوا مِنْ كَفَرٍ بِاللَّهِ وَزَعَمَ أَنَّهُ رَبٌّ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَغَيْرِ أَحْكَامِ اللَّهِ، وَسَبَّ نَبِيَّهِ وَأَصْحَابَ نَبِيَّهِ. فَبَكَى النَّاسُ بِكَاءٍ شَدِيدًا. وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الْقِرْمَطِيُّ الْكَافِرَ الْمَعْرُوفَ بِابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، الْمَدَّعِي الرَّبُوبِيَّةَ، جَا حُدَّ لِنِعْمَتِكَ، كَافِرٌ بِرَبِّوَيْتِكَ. طَاعَنُ عَلَى رُسُلِكَ، مَكْذُوبٌ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ سَافِكٌ لِلدَّمَاءِ. فَالْعَنَهُ لَعْنًا وَبِيْلًا، وَاخْزِهِ خِزْيًا طَوِيلًا، وَاغْضَبْ عَلَيْهِ بِكَرَّةٍ وَأَصِيلًا. ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى بِهِمْ الْجُمُعَةَ.

[٥] وَرَكِبَ رَبِيعُ الْقَطَّانُ^(١) فَرَسَهُ مُلْبَسًا، وَفِي عُقْبِهِ الْمَصْحَفُ، وَحَوْلَهُ جَمْعٌ كَبِيرٌ، وَهُوَ يَتْلُو آيَاتِ جِهَادِ الْكُفْرَةِ. فَاسْتَشْهَدَ رَبِيعٌ فِي خُلُقٍ مِنَ النَّاسِ يَوْمَ الْمَصَافِّ فِي صَفَرٍ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ. وَكَانَ غَرَضُ هَؤُلَاءِ الْمَجُوسِ بَنِي عُبَيْدٍ أَخَذَهُ حَيًّا لِيُعَذِّبُوهُ. قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَاسِمِيُّ: اسْتَشْهَدَ مَعَهُ فَضْلَاءٌ، وَأُثْمَةٌ وَعُبَادٌ.

وَقَالَ بَعْضُ الشَّعْرَاءِ فِي بَنِي عُبَيْدٍ:

الْمَاكِرُ الْغَادِرُ الْغَاوِي لِشِيعَتِهِ شَرُّ الزَّنَادِقِ مِنْ صَحْبٍ وَتُبَاعِ
الْعَابِدِينَ إِذَا عَجَلًا يَخَاطِبُهُمْ بِسِحْرِ هَارُوتَ مِنْ كُفْرٍ وَإِذْعِ
لَوْ قِيلَ لِلرُّومِ أَنْتُمْ مِثْلُهُمْ لَبَكَّوْا أَوْ لِلْيَهُودِ لَسَدَّوْا صَمَخَ أَسْمَاعِ

(١) ربيع بن سليمان بن عطاء الله، القطان، كان لسان أفريقية في وقته في الزهد والرقائق. وكان جعل على نفسه أن لا يشبع من طعام ولا نوم حتى يقطع الله دولة بني عبيد. انظر ترجمته في «ترتيب المدارك» ٣٣٢-٣٣٣/٣.

[١] أبو الطاهر إسماعيل بن القائم بن المهدي، العبيدي الباطني.
[٢] ولي بعد أبيه، وحارب رأس الإباضية أبا يزيد مخلد بن كيداد الزاهد، والتقى الجمعان مرات، وظهر مخلد على أكثر المغرب، ولم يبق لبني عبيد سوى المهديّة.

[٣] فنهض المنصور، وأخفى موت أبيه، وصابر الإباضية حتى ترحلوا عنه، ونازلوا مدينة سوسة، فبرز المنصور من المهديّة، والتقوا فانكسر جيش مخلد على كثرتهم، وأسر هو في سنة ٣٣٦، فمات بعد الأسر بأربعة أيام من الجراح، فسلخ وحشي قطناً، وصلب.

وبنوا مدينة المنصورية مكان الوقعة، فنزلها المنصور.
وكان بطلاً شجاعاً، رابط الجأش، فصيحاً مفوهاً يرتجل الخطب وفيه إسلام في الجملة وعقل بخلاف أبيه الزنديق.

[٤] ومن محاسنه أنه ولي محمد بن أبي المنظور الأنصاري قضاء القيروان وكان من كبار أصحاب الحديث، قد لقي إسماعيل القاضي، والهارث بن أبي أسامة، فقال: بشرط أن لا آخذ رزقاً ولا أركب دابة، فولاه ليتألف الرعية، فأحضر إليه يهودي قد سب^(٢)، فبطحه، وضربه إلى أن مات تحت الضرب، خاف أن يحكم بقتله فتحل عليه الدولة.

[٥] وأتى يوماً بيته فوجد سلاف دابة السلطان تشفع في امرأة نائحة فاسقة ليطلقها من حبسه، فقال: مالك؟ قالت: قضيب^(٣) محبوبة المنصور، تطلب منك أن تطلقها، فقال: يا مئنة لولا شيء لضربتك لعنك الله، ولعن من أرسلك فولوت، وشقت ثيابها. ثم ذكرت أمرها للمنصور، فقال: ما أصنع به؟ ما أخذ

(١) انظر السير: ١٥ / ١٥٦-١٥٩.

(٢) أي: النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) جارية أخرى للسلطان: ليس عنده أعز منها.

مِنَّا صَلَةً، وَلَا نَقْدِرُ عَلَى عَزْلِهِ. نَحْنُ نَحِبُّ إِصْلَاحَ الْبَلَدِ.
وَخَرَجَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ إِلَى مَكَانٍ يَتَرَهُ فَأَصَابَهُ بَرْدٌ
وَرِيحٌ عَظِيمَةٌ، فَأَثَّرَ ذَلِكَ فِيهِ، وَمَرِضَ، وَمَاتَ عَدَدٌ كَثِيرٌ مِمَّنْ مَعَهُ. ثُمَّ مَاتَ مِنْ
السَّنَةِ. وَلَهُ تِسْعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً.

[١] وَقَدْ كَانَ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ جَهَّزَ جَيْشَهُ فِي الْبَحْرِ إِلَى صِقْلِيَّةَ، فَهَزَمُوا النَّصَارَى،
وَكَانَتْ مِلْحَمَةٌ عَظِيمَى، قُتِلَ فِيهَا مِنَ الْعَدُوِّ ثَلَاثُونَ أَلْفًا وَأَسِرَ مِنْهُمْ أَلْفٌ، وَغَنِمَ
الْجُنْدُ مَا لَا يَعْبرُ عَنْهُ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ افْتَتَحَ مَدِينَةَ جَنْوَةَ.

وَحَكَّمَ عَلَى مَمْلَكَةِ صِقْلِيَّةَ. وَافْتَتَحَ لَهُ نَائِبُهُ عَلَيْهَا فَتُوحَاتٍ، وَانْتَصَرَ عَلَى
الْعَدُوِّ وَفَرَحَ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ، وَتَوَطَّدَ سُلْطَانُهُ.
وَكَانَ الْمَنْصُورُ مُحِبًّا إِلَى الرَّعِيَّةِ مُقْتَصِرًا عَلَى إِيْظَارِ التَّشْيِيعِ. وَقَامَ بَعْدَهُ الْمُعْزُ
وَلَدُهُ.

٦٤٢ - الْمُعْزُ^(١)

[٢] هُوَ الْمُعْزُ لِدِينِ اللَّهِ أَبُو تَمِيمٍ مَعْدُ بْنُ الْمَنْصُورِ الْعُبَيْدِيُّ الْمَهْدَوِيُّ الْمَغْرِبِيُّ
الَّذِي بُنِيَتْ الْقَاهِرَةُ الْمُعْزِيَّةُ لَهُ.

وَلِيَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، وَسَارَ فِي نَوَاحِي إِفْرِيقِيَّةٍ يُمَهِّدُ مُلْكَهُ،
فَذَلَّلَ الْخَارِجِينَ عَلَيْهِ، وَاسْتَعْمَلَ مَمَالِيكَهُ عَلَى الْمَدَنِ وَاسْتَخْدَمَ الْجُنْدَ، وَأَنْفَقَ
الْأَمْوَالَ، وَجَهَّزَ مَمْلُوكَهُ جَوْهَرَ الْقَائِدِ فِي الْجِيُوشِ.

[٣] قَالَ الْبَقْفِطِيُّ: عَزَمَ الْمُعْزُ عَلَى بَعْثِ جَيْشِهِ إِلَى مِصْرَ، فَسَأَلَتْهُ أُمُّهُ أَنْ يُؤَخَّرَ
ذَلِكَ لِتَحْبِجِ خُفْيَةً فَأَجَابَهَا، وَحَجَّتْ، فَأَحْسَنَ بِقُدُومِهَا الْأَسْتَازَ كَافُورَ يَعْنِي:
صَاحِبَ مِصْرَ، فَحَضَرَ إِلَيْهَا وَخَدَمَهَا، وَحَمَلَ إِلَيْهَا تُحْفًا، وَبَعَثَ فِي خِدْمَتِهَا

(١) انظر السير: ١٥ / ١٥٩-١٦٧.

أجناداً، فلما رَجَعْتُ، مَنَعْتُ ابْنَهَا مِنْ قَصْدِ مِصْرَ، فلما مَاتَ كَافِرُ بَعَثَ المَعزُ جَيْشَهُ، فَأَخَذُوا مِصْرَ.

وكانت مِصْرُ فِي القَحْطِ، فَأَخَذَهَا جَوْهَرُ، وَأَخَذَ الشَّامَ والحِجَازَ وَنَفَذَ يُعْرِفُ مولاهُ بِانْتِظَامِ الأَمْرِ.

وَضَرَبَتِ السَّكَّةُ عَلَى الدِّينَارِ بِمِصْرَ (وهي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدُ رَسولُ اللهِ، عَلِيٌّ خَيْرُ الوَصِيِّينَ) وَالوَجْهَ الآخرَ اسْمَ المَعزُ والتَّارِيخَ وأَعْلَنَ الأَذَانَ بِحَيٍّ عَلَى خَيْرِ العَمَلِ، وَنُودِيَ: مَنْ مَاتَ عَنْ بِنْتٍ وَأَخٍ أَوْ أُخْتٍ فَالْمَالُ كُلُّهُ لِلْبِنْتِ. فهِذا رَأْيِي هؤُلاءِ.

[١] فَتَهَيَّأَ المَعزُ، وَسَارَ بِخِزَانَتِهِ وَتَوَابِيَتْ آبَائِهِ. وَكَانَ دُخُولُهُ إِلَى الإسْكَندَرِيَّةِ فِي سَعْبَانَ سَنَةٍ اثْنَتَيْنِ وَسَتِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ. وَتَلَقَّاهُ قَاضِي مِصْرَ الدُّهْلِيُّ وَأَعْيَانُهَا. فَأَكْرَمَهُمْ وَطَالَ حَدِيثُهُ مَعَهُمْ، وَعَرَفَهُمْ أَنَّ قَصْدَهُ الحَقَّ والجِهَادَ، وَأَنَّ يَخْتِمَ عُمَرَهُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَأَنَّ يُقِيمَ أَوَامِرَ جَدِّهِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَعَظَ وَذَكَرَ حَتَّى أَعْجَبَهُمْ، وَيَكِي بَعْضُهُمْ. ثُمَّ خَلَعَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ لِلْقَاضِي أَبِي الطَّاهِرِ الدُّهْلِيِّ: مَنْ رَأَيْتَ مِنَ الخُلَفَاءِ؟ فَقَالَ: وَاحِداً، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: مولانا، فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ.

ثُمَّ إِنَّهُ سَارَ حَتَّى خَيَّمَ بِالْحَبِيْزَةِ. فَأَخَذَ عَسْكَرُهُ فِي التَّعْدِيَةِ إِلَى الفُسْطَاطِ، ثُمَّ دَخَلَ القَاهِرَةَ، وَقَدْ بُنِيَ لَهُ بِهَا قَصْرُ الإِمَارَةِ، وَزُيِّنَتْ مِصْرُ، فَاسْتَوَى عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ، وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ.

وَكَانَ عَاقِلاً لَبِيّاً حَازِماً ذَا أَدَبٍ وَعِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ وَجَلَالَةٍ وَكِرَمٍ. يَرْجِعُ فِي الجُمْلَةِ إِلَى عَدْلٍ وَإِنْصَافٍ، وَلَوْلَا بِدْعَتُهُ وَرَفُضُهُ، لَكَانَ مِنْ خِيَارِ المُلُوكِ.

[٢] قُلْتُ: ظَهَرَ هَذَا الوَقْتُ الرِّفْضُ، وَأَبْدَى صَفْحَتَهُ، وَشَمَخَ بِأَنْفِهِ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ والحِجَازِ والغَرْبِ بِالدَّوْلَةِ العُبَيْدِيَّةِ، وَبِالعِرَاقِ والجَزِيرَةِ والعَجَمِ بَنِي بُوَيْهٍ، وَكَانَ الخَلِيفَةُ المَطِيعُ الضَّعِيفُ الدَّسِيسُ والرُّبِّيَّةُ مَعَ بَنِي بُوَيْهٍ. ثُمَّ ضَعُفَ بَدَنُهُ، وَأَصَابَهُ فَالْجُ، وَخَرَسَ فَعَزَلُوهُ، وَأَقَامُوا ابْنَهُ الطَّائِعَ لَهِ. وَلَهُ السَّكَّةُ والخُطْبَةُ، وَقَلِيلٌ

من الأمور، فكانت مملكة هذا المعز أعظم وأمكن.
وأعلن الأذان بالشام ومصر بحي على خير العمل. فله الأمر كله.
قيل: ما عرف عن المعز غير التشيع، وكان يطيل الصلاة.
وثارت عليه القرامطة، واستولوا على كثير من الشام، وساروا حتى أتوا مصر،
فحاربهم جوهر، وجرت أمور مهولة.
وصلى بالناس المعز يومي العيد صلاة طويلة بحيث أنه سبح في السجود
نحو ثلاثين، ثم خطبهم فأبلغ وأحبته الرعية.
وصنع شمسية لتعمل على الكعبة ثمانية أشبار في مثلها من حرير أحمر.
وفيها اثنا عشر هلالاً من ذهب، وفي الهلال ترنجة^(١) قد رصعت بجواهر
وياقوت وزمرد، لم يشاهد أحد مثلها.
مات المعز سنة خمس وستين وثلاث مئة بالقاهرة المعزية. وكان مولده
بالمهدية التي بناها جدُّهم. وعاش ستاً وأربعين سنة. وكانت دولته أربعاً
وعشرين سنة.

وقد جرى على دمشق وغيرها من عساكر المغاربة كل قبيح من القتل
والنهب. وفعلوا ما لا يفعله الفرنج. ولولا خوف الإطالة لسقت ما يبكي الأعين.

٦٤٣ - العزيز بالله^(٢)

[١] صاحب مصر أبو منصور نزار بن المعز العبيدي.
ولد سنة أربع وأربعين وثلاث مئة. قام بعد أبيه سنة خمس وستين.
[٢] قال أبو منصور الثعالبي في «التيمة»: سمعت الشيخ أبا الطيب يحيى أن
الأموي صاحب الأندلس كتب إليه نزار صاحب مصر كتاباً سبه فيه وهجاه،

(١) ثمرة كالليمون، ذهبية اللون، زكية الرائحة، ذات طعم حامض.

(٢) انظر السير: ١٥ / ١٦٧-١٧٣.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْأُمَوِيُّ: «أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّكَ عَرَفْتَنَا فَهَجَوْتَنَا وَلَوْ عَرَفْنَاكَ لِأَجْبِنَاكَ» فَاشْتَدَّ
 هَذَا عَلَى الْعَزِيزِ، وَأَفْحَمَهُ عَنِ الْجَوَابِ، يَشِيرُ أَنَّكَ دَعَيْي لَا نَعْرِفُ قَبِيلَتَكَ.
 [١٧] قَالَ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوَزِيِّ: كَانَ الْعَزِيزُ قَدْ وَلَّى عِيسَى بْنَ نَسْطُورَ النُّصْرَانِيَّ
 أَمْرَ مِصْرَ، وَاسْتَنَابَ مُنْشَأَ الْيَهُودِيِّ بِالشَّامِ. فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ: بِالَّذِي أَعَزَّ الْيَهُودَ
 وَالنُّصَارَى بِمُنْشَأِ وَابْنِ نَسْطُورِ، وَأَذَلَّ الْمُسْلِمِينَ بِكَ، إِلَّا مَا نَظَرْتُ فِي أَمْرِي.
 فَقَبِضَ عَلَى الْاِثْنَيْنِ. وَأَخَذَ مِنْ عِيسَى ثَلَاثَ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ.

[٢٠] قَالَ ابْنُ خُلِّكَانَ وَغَيْرُهُ: أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ لَا يُصَحِّحُونَ نَسَبَ الْمَهْدِيِّ عُبَيْدِ اللَّهِ
 جَدَّ خُلَفَاءِ مِصْرَ، حَتَّى إِنَّ الْعَزِيزَ فِي أَوَّلِ وِلَايَتِهِ صَعِدَ الْمِنْبَرَ يَوْمَ جُمُعَةٍ، فَوَجَدَ
 هُنَاكَ رُقْعَةً فِيهَا:

إِذَا سَمِعْنَا نَسَبًا مُنْكَرًا نَبْكِي عَلَى الْمِنْبَرِ وَالْجَامِعِ
 إِنْ كُنْتَ فِيمَا تَدْعِي صَادِقًا فَادْكُرْ أَبَا بَعْدَ الْأَبِ الرَّابِعِ
 وَإِنْ تُرَدُّ تَحْقِيقَ مَا قُلْتَهُ فَانْسُبْ لَنَا نَفْسَكَ كَالطَّائِعِ
 أَوْ لَا دَعِ الْأَنْسَابَ مَسْتَوْرَةً وَادْخُلْ بِنَا فِي النَّسَبِ الْوَاسِعِ
 فَإِنَّ أَنْسَابَ بَنِي هَاشِمٍ يَقْصُرُ عَنْهَا طَمَعُ الطَّامِعِ
 وَصَعِدَ مَرَّةً أُخْرَى، فَرَأَى وَرَقَةً فِيهَا:

بِالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ قَدْ رَضِينَا وَلَيْسَ بِالْكَفْرِ وَالْحِمَاةِ
 إِنْ كُنْتَ أُعْطِيتَ عِلْمَ غَيْبٍ فَقُلْ لَنَا كَاتِبَ الْبِطَاقَةِ
 ثُمَّ قَالَ ابْنُ خُلِّكَانَ: وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ ادَّعَوْا عِلْمَ الْمُغِيبَاتِ. وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ أَخْبَارٌ
 مشهورة.

وَفُتِحَتْ لِلْعَزِيزِ حَلَبٌ وَحِمَاةٌ وَحِمَصٌ. وَخَطَبَ أَبُو الذُّوَادِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ
 بِالْمَوْصِلِ لَهُ. وَرَقَمَ اسْمَهُ عَلَى الْأَعْلَامِ وَالسَّكَّةِ سَنَةَ ٣٨٣، وَخَطَبَ لَهُ أَيْضًا
 بِالْيَمَنِ وَبِالشَّامِ وَمِدَائِنِ الْمَغْرِبِ.

وَكَانَتْ دَوْلَةُ هَذَا الرَّافِضِيِّ أَعْظَمَ بِكَثِيرٍ مِنْ دَوْلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الطَّائِعِ بْنِ

المطيع العباسي.

وفي أيامه أظهر سب الصحابة جهاراً.

[١] وفي سنة ٣٦٦ حَجَّتْ جميلة بنتُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ، صَاحِبِ المَوْصِلِ فَمَمَّا كَانَ مَعَهَا أَرْبَعُ مِائَةٍ مَحْمِلٍ. فَكَانَتْ لَا يُدْرِي فِي أَيِّ مَحْمِلٍ هِيَ. وَأَعْتَقَتْ خَمْسَ مِائَةِ نَفْسٍ. وَنَثَرَتْ عَلَى الكَعْبَةِ عَشْرَةَ آلَافٍ مِثْقَالٍ. وَسَقَتْ جَمِيعَ الوَفْدِ سَوِيقَ السُّكَّرِ وَالتَّلْجِ كَذَا قَالَ الثَّعَالِي، وَخَلَعَتْ وَكَسَتْ خَمْسِينَ أَلْفًا وَلَقَدْ خَطَبَهَا السُّلْطَانُ عِضْدَ الدَّوْلَةِ. فَأَبَتْ فَحَنَقَ لَذَلِكَ، ثُمَّ تَمَكَّنَ مِنْهَا فَأَفْقَرَهَا وَعَذَّبَهَا، ثُمَّ أَلْزَمَهَا أَنْ تَعْقِدَ فِي الحَانَةِ لِتَحْصَلَ مِنَ الفَاحِشَةِ مَا تُؤَدِّي، فَمَرَّتْ مَعَ الأَعْوَانِ، فَقَذَفَتْ نَفْسَهَا فِي دِجْلَةٍ، فغَرِقَتْ، عفا الله عنها.

وفي سنة ستٍ وثمانين في رمضان ماتَ العزيز بِبِلَيسٍ فِي حِمَامٍ مِنَ القَوْلَجِ، وعمره اثنتان وأربعون سنة وأشهر. وقام ابنُه الحَاكِمُ الزُّنْدِيقُ.

٦٤٤ - الحَاكِمُ (١)

صَاحِبُ مِصْرَ الحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ، أَبُو عَلِيٍّ مَنصُورُ بْنُ العَزِيزِ نَزَارِ العُبَيْدِيِّ المِصْرِيِّ الرَّافِضِيِّ، بَلِ الإِسْمَاعِيلِيِّ الزُّنْدِيقِ المَدْعَى الرِّبَوِيَّةِ. مولده في سنة خمس وسبعين وثلاث مئة.

وأقاموه فِي المُلْكِ بَعْدَ أَبِيهِ، وَلَهُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً. فَحَكَمَ هُوَ قَالَ: ضَمَّنِي أَبِي وَقَبَّلَنِي وَهُوَ عُرْيَانٌ، وَقَالَ: امْضِ فَالْعَب. فَأَنَا فِي عَافِيَةٍ. قَالَ: ثُمَّ تُوفِّي، فَأَتَانِي بَرَجَوَانٌ، (٢) وَأَنَا عَلَى جُمُيْزَةٍ فِي الدَّارِ فَقَالَ: انْزِلْ وَنَحَكَ، اللَّهُ اللَّهُ فِينَا، فَنَزَلْتُ، فَوَضَعَ العِمَامَةَ بِالجَوْهَرِ عَلَى رَأْسِي، وَقَبَّلَ الأَرْضَ ثُمَّ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَخَرَجَ بِي إِلَى النَّاسِ، فَقَبَّلُوا الأَرْضَ، وَسَلَّمُوا عَلَيَّ

(١) انظر السير: ١٥ / ١٧٣-١٨٤.

(٢) هو أبو الفتح، برجوان، كان من خدام العزيز، ومديري دولته، نافذ الأمر، مطاعاً، نظر في أيام الحاكم في ديار مصر والحجاز والمغرب وذلك في سنة ٣٨٨ وقتل بأمر الحاكم سنة ٣٩٠.

بالخلافة.

[١] قلت: وكان شيطاناً مريداً جباراً عنيداً، كثير التلؤن، سفاكاً للدماء، خبيث النحلة، عظيم المكر جواداً ممدحاً، له شأن عجيب ونبأ غريب، كان فرعون زمانه، يَخْتَرَعُ كُلَّ وَاقْتٍ أَحْكَاماً يُلْزِمُ الرَّعِيَّةَ بِهَا. أَمَرَ بِسَبِّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَبِكِتَابَةِ ذَلِكَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ وَالشُّوَارِعِ. وَأَمَرَ عُمَّالَهُ بِالسَّبِّ، وَبِقَتْلِ الْكِلَابِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ. وَأَبْطَلَ الْفُقَّاعَ^(١) وَالْمُلُوخِيَا، وَحَرَّمَ السَّمَكَ الَّذِي لَا فُلُوسَ عَلَيْهِ،^(٢) وَوَقَعَ بِبَائِعِ لَشِيءٍ مِنْ ذَلِكَ فَقَتَلَهُمْ.

[٢] وَفِي سَنَةِ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ، حَرَّمَ بَيْعَ الرُّطْبِ، وَجَمَعَ مِنْهُ شَيْئاً عَظِيماً، فَأَحْرَقَهُ، وَمَنْعَ مَنْ بَيْعَ الْعِنَبِ، وَأَبَادَ الْكُرُومَ، وَأَمَرَ النَّصَارَى بِتَعْلِيقِ صَلِيبٍ فِي رِقَابِهِمْ زِنْتَهُ رَطْلٌ وَرَبْعٌ بِالْدَّمَشْقِيِّ. وَأَلْزَمَ الْيَهُودَ أَنْ يَعْلقُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ قُرْمِيَّةً فِي زِينَةِ الصَّلِيبِ إِشَارَةً إِلَى رَأْسِ الْعِجْلِ الَّذِي عَبْدُوهُ، وَأَنْ تَكُونَ عَمَائِهِمْ سُوداً، وَأَنْ يَدْخُلُوا الْحَمَّامَ بِالصَّلِيبِ وَبِالْقُرْمِيَّةِ. ثُمَّ أَفْرَدَ لَهُمْ حَمَامَاتٍ. وَأَمَرَ فِي الْعَامِ بِهَدْمِ كَنِيسَةِ قُمَامَةِ،^(٣) وَبِهَدْمِ كَنَائِسِ مِصْرَ، فَأَسْلَمَ عِدَّةٌ، ثُمَّ إِنَّهُ نَهَى عَنْ تَقْيِيلِ الْأَرْضِ، وَعَنْ الدُّعَاءِ لَهُ فِي الْخُطْبِ وَفِي الْكُتُبِ. وَجَعَلَ بَدْلَهُ السَّلَامَ عَلَيْهِ.

[٣] وَقِيلَ: إِنَّ ابْنَ بَادِيسَ أَمِيرَ الْمَغْرِبِ بَعَثَ يَنْقِمَ عَلَيْهِ أُمُوراً، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَمِيلَهُ، فَأَظْهَرَ التَّفَقُّهَ، وَحَمَلَ فِي كُمِّهِ الدَّفَاتِرَ، وَطَلَّبَ إِلَى عِنْدِهِ فُقِهَيْنِ، وَأَمْرَهُمَا بِتَدْرِيسِ فَقْهِ مَالِكٍ فِي الْجَامِعِ، ثُمَّ تَغَيَّرَ فَقَتَلَهُمَا صَبْرًا.

[٤] وَأَذِنَ لِلنَّصَارَى الَّذِينَ أَكْرَهُهُمْ فِي الْعُودِ إِلَى الْكُفْرِ.

[٥] وَمَنْعَ النِّسَاءَ مِنَ الْخُرُوجِ مِنَ الْبُيُوتِ، فَأَحْسَنَ، وَأَبْطَلَ عَمَلَ الْخِيفِافِ لَهُنَّ جُمْلَةً، وَمَا زِلْنَ مَمْنُوعَاتٍ مِنَ الْخُرُوجِ سَبْعَ سِنِينَ وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ.

[٦] ثُمَّ بَعْدَ مَدَّةٍ أَمَرَ بِإِنْشَاءِ مَا هَدَمَ مِنَ الْكَنَائِسِ، وَبِتَنْصُرِ مَنْ أَسْلَمَ.

[٧] وَقَدْ حُبِّبَ فِي الْآخِرِ إِلَى الْحَاكِمِ الْعَزْلَةَ، وَبَقِيَ يَرْكَبُ وَحْدَهُ فِي الْأَسْوَاقِ عَلَى

(١) شراب يتخذ من الشعير.

(٢) الفليس: القشرة على ظهر السمكة.

(٣) في بيت المقدس.

حمار، ويقيم الحِسْبَةَ بنفسه، وبين يديه عبدٌ ضخْمٌ فاجِرٌ فمن وَجَبَ عليه تأديبٌ، أمر العَبْدَ أن يولجَ فيه، والمفعول به يصيح .
وقيل : إنَّه أراد ادِّعاءَ الإلهية، وشرَعَ في ذلك، فكَلَّمه الكبراء وخوَّفوه من وثوبِ النَّاسِ ، فتوقَّف .

وفي الأربع مئة وبعدها كانت الأندلسُ تَغلي بالحروب والقتال على المُلْك .
[١] وأنشأ داراً كبيرةً ملاها قيوداً وأغلالاً، وجَعَلَ لها سبعةً أبوابٍ وسَمَّاها جهنَّم، فكان من سَخِطَ عليه، أَسَكَنه فيها .

ولما أَمَرَ بحريق مصر، واستباحها، بَعَثَ خادِمَه ليشاهدَ الحال فلما رَجَعَ، قال : كيف رأيت؟ قال : لو استباحها طاغيةُ الرُّوم ما زاد على ما رأيتُ، فَضَرَبَ عُنُقَه .

وفي سنة ثلاث وأربع مئة، أُخِذَ الوفدُ العراقيُّ، وغُورَت المياہ وَهَلَكَ بضعةُ عَشَرَ ألفَ مسلمٍ . ثم أُخِذَ من العرب ببعض الثَّار . وَقُتِلَ عِدَّةٌ .
وبعث المَلِكُ محمودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ كتاباً إلى الخليفة بأنَّه ورَدَ إليه من الحاكم كتابٌ يدعوه فيه إلى بيعته . وقد خرَّقَ الكِتَابَ، وبصَقَ عليه .

[٢] وفي سنة خمس ظَفِرَ الحاكمُ بنسائٍ على فسادٍ، ففرَّقَهم، وكانت الغاسِلةُ لا تخرجُ إلى امرأةٍ إلَّا مع عدلين . ومَرَّ القاضي مالِكُ بْنُ سعيد الفَارِقيُّ، فنادته صبيَّةٌ من رَوَزَنَةِ : أَقْسَمْتُ عليك بالحاكمِ أن تَقِفَ فَوْقَ فَبِكْتُ، وقالت : لي أخٌ يموتُ، فبالله إلَّا ما حَمَلْتَنِي إليه لأراه، فَرَقَّ وبعث معها عدلين، فأَتَت بيتاً، فدَخَلَتْ، والبيتُ لعاشِقَها، فجاء الزوجُ، فسأل الجيران، فحدَّثوه، فجاء إلى القاضي، وصاحَ، وقال : لا أخ لها، وما أفارقُك حتى تردَّها إليَّ، فحار القاضي وطلع بالرجل إلى الحاكم، ونادى العَفْوَ فأمره أن يَرْكَبَ مع الشَّاهِدَيْنِ فوجدوا المرأةَ والشَّابَّ في إِزار واحد على حُمار، فَحُمِلَا على هَيْئَتِهِمَا فسألها الحاكمُ فأحالتُ على الشَّابِّ، وقال : بل هجمت عليَّ، وزعمتُ أنَّها بلا زوجٍ، فَلُفَّتْ في باريَّةٍ، وأُحْرِقَتْ، وضُرِبَ الشَّابُّ أَلْفَ سَوَطٍ .

وولي دمشق للحاكم عدّة أمراء ما كان يدع النائب يستقر حتى يعزله.
 [١] وذكرنا في ترجمته، (١) أنه خرج من القصر فطاف ليلته، ثم أصبح فتوجه إلى شرقي حلوان معه ركايبان. فردّ أحدهما مع تسعة من العرب ثم أمر الآخر بالانصراف. فزعم أنه فارقه عند المقصبة. فكان آخر العهد به. وخرج الناس على رسمهم يلتمسون رجوعه، معهم الجنائب ففعلوا ذلك جمعة. ثم خرج في ثاني ذي القعدة مظفر صاحب المظلة ونسيم وعدة. فبلغوا دير القصير، وأمعنوا في الدخول في الجبل فبصروا بحماره الأشهب المسمى بقمر، وقد ضربت يده، فأثر فيهما الضرب وعليه سرجه ولجامه، فتبعوا أثر الحمار فإذا أثر راجل خلفه وراجل قدامه، فقصوا الأثر إلى بركة شرقي حلوان، فنزل رجل إليها فيجد فيهما ثيابه وهي سبع جباب، فوجدت مزررة، وفيها آثار السكاكين فما شكوا في قتله. (٢)

وتم اليوم طائفة من طعام الإسماعيلية الذين يحلفون بغية الحاكم، ما يعتقدون إلا أنه باق، وأنه سيظهر. نعوذ بالله من الجهل.
 وقد قتل الحاكم جماعة من الأمراء بلا ذنب، وذبح قاضيين له.
 وسيرة الحاكم، وعسفه تحتمل كراريس.

(١) يشير الذهبي هنا إلى كتابه «تاريخ الإسلام».

(٢) «وفيات الأعيان» : ٢٩٨-٢٨٧ / ٥.

وقد نقل المقرئ عن المسيحي رواية أخرى لمقتله. قال «وفي المحرم سنة خمس عشرة وأربع مئة قبض على رجل من بني حسين ثار بالصعيد الأعلى، فأقر بأنه قتل الحاكم بأمر الله في جملة أربعة أنفس تفرقوا في البلاد، وأظهر قطعة من جلدة رأس الحاكم وقطعة من الفوط التي كانت عليه، فقيل له: «لم قتلته؟» قال: «غيره لله وللإسلام» فقيل له: «كيف قتلته؟» فأخرج سكيناً ضرب بها فؤاده، فقتل نفسه، وقال «هكذا قتلته» فقطع رأسه، وأنفذ به إلى الحضرة مع ما وجد معه. هذا هو الصحيح في خبر قتل الحاكم، لا ما تحكيه المشاركة في كتبهم من أن أخته قتله، انظر «اتعاظ الحنفا» : ٣١٤.

٦٤٥ - الظَّاهِرُ^(١)

صاحبُ مِصْرَ الظَّاهِرُ لإعزازِ دينِ الله، أبو الحسن، عليُّ بنُ الحاكمِ منصور ابنِ العزيزِ نزارِ بنِ المُعِزِّ، العُبيدِيُّ المِصْرِيُّ. ولا أُسْتَحِلُّ أَنْ أَقُولَ العَلَوِيُّ الفاطِمِيُّ، لِمَا وَقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنَّهُ دَعِيٌّ.

بُويِعَ وهو صَبِيٌّ لِمَا قُتِلَ أَبُوهُ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ. وَكَانَتْ دَوْلَتُهُ عَلَى مِصْرَ وَالشَّامِ وَالْمَغْرِبِ. وَلَكِنْ طَمَعَ فِي أَطْرَافِ بِلَادِهِ طَوَائِفُ، فَتَغَلَّبَ حَسَّانُ بْنُ مَفْرَجِ الطَّائِي صَاحِبُ الرَّمْلَةِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الشَّامِ، وَضَعُفَتِ الْإِمَارَةُ الْعُبيدِيَّةُ قَلِيلًا.

وَمَاتَ الظَّاهِرُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ. وَلَمْ يَبْلُغْنِي كَبِيرُ شَيْءٍ مِنْ أَخْبَارِهِ. وَقَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْمُسْتَنْصِرُ. وَقِيلَ: كَانَ غَارِقًا فِي اللُّهُوِّ وَالْمُسْكِرِ وَالسَّرَّارِيِّ.

٦٤٦ - الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ^(٢)

[١] صَاحِبُ مِصْرَ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ، أَبُو تَمِيمٍ مَعَدُّ بْنُ الظَّاهِرِ، وَلِيَّ الْأَمْرِ بَعْدَ أَبِيهِ، وَلَهُ سَبْعُ سِنِينَ، فَامْتَدَّتْ أَيَّامُهُ سِتِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

وَفِي وَسْطِ دَوْلَتِهِ خُطِبَ لَهُ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَنَابِرِ الْعِرَاقِ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ. وَالتَّجَأَ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ الْخَلِيفَةُ إِلَى أَمِيرِ الْعَرَبِ فَأَجَارَهُ، ثُمَّ بَعْدَ عَامٍ عَادَ إِلَى خِلَافَتِهِ.

[٢] وَفِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ غَزَتِ الْغَزَّةَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ يَنَالَ السَّلْجُوقِيِّ وَقِيلَ: مَا كَانَ مَعَهُمْ، فَغَزَوْا إِلَى قَرِيبِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَغَنِمُوا وَسَبَّوْا أَزِيدَ مِنْ مِئَةِ أَلْفٍ، وَقِيلَ: جُرَّتْ

(١) انظر السير: ١٨٤-١٨٦.

(٢) انظر السير: ١٨٦-١٩٦.

المكاسب على عشرة آلاف عَجَلَة وكان فتحاً عظيماً.

وكان الرُّفْض أيضاً قوياً بالعراق.

[١] وفي سنة ٤٨ كان بالأندلس القَحْطُ ما سُمِعَ بمثله، ويُسمونه الجوع الكبير.

وكان بمصر القَحْطُ والفناء.

[٢] وكان غلاءً مُفْرِطاً ببغداد وفناءً، وأما بما وراء النهر فتجاوز الوصف.

وفي سنة إحدى وستين كانت حريقُ جامع دمشق، ودُثِرَتْ محاسنُه واحتُرقت الخُصُرَاءُ معه - وكانت دار الملك - من حربٍ وقعَ بين عسكر العراق، وعسكر مصر.

وفي سنة اثنتين وستين، قُطِعَتْ من مَكَّة الدعوةُ المستنصرية وخُطب للقائم بأمر الله، وتُرِكَ الأَذَانُ «بحي على خير العمل». وذلك لذلةِ المَصْرِيِّين بالقحط الأكبر وفنائهم. وأكَلْ بعضهم بعضاً. وتمزَّقوا في البلاد من الجوع، وتمَحَقَّتْ خزائنُ المُسْتَنْصِر، وافتقر، وتعثر.

[٣] وفي هذه النبوة نقل صاحبُ «المرآة»، أن امرأة خَرَجَتْ ويدها مُدٌّ لؤلؤ لتشتري به مُدَّ قمحٍ، فلم يلتفت إليها أحدٌ، فرمته فما كان له مَنْ يَلْتَقِطُهُ. فكاد الخرابُ أن يستولي على سائر الأقاليم، حتى لأبيع الكَلْبُ بستةِ دنانير والقط بثلاثةِ دنانير، حتى أُبيع الإردب بمئة دينار.

[٤] قال ابنُ الأثير: اشتدَّ الغلاءُ حتى حُكِيَ أن امرأةً أكلت رَغِيفاً بألف دينار، باعت عروضاً تساوي ألفَ دينار بثلاث مئة دينار، فاشتريت بها جُوالقَ^(١) قمح، فأنتهبَه الناسُ، فنَهَبَتْ هي منه فَحَصَلَ لها ما خَبِرَ رَغِيفاً.

[٥] وفي دولة المستنصر وقع القَحْطُ المذكور لاحتراق النِّيل الذي ما عُهِدَ مثله بمصر من زمن يوسف عليه السلام. ودام سنواتٍ بحيث أن والدَةَ المُسْتَنْصِر وبناته سافرن من مصر خوفاً من الجوع. وآل أمرُه إلى عدمِ كُلِّ الدَّوَابِّ ببلاد

(١) وعاء من صوف أو غيره، جمعه: جوالق - بفتح الجيم، وهو عند العامة (شوال).

مصر. بحيث بقي له فرس يركبها. واحتاج إلى دابة يركبها حامل الجتر^(١) يوم العيد وراه، فما وجدوا سوى بغلة ابن هبة كاتب السر فوقفت على باب القصر، فازدحم عليها الحراشفة^(٢) وذبحوها وأكلوها في الحال، فأخذهم الأعوان وشنقوا، فأصبحت عظامهم على الجذوع قد أكلوا تحت الليل.

مات المستنصر سنة سبع وثمانين وأربع مئة، وقد قارب السبعين وكان سب الصحابة فاشياً في أيامه، والسنة غريبة مكتومة، حتى إنهم منعوا الحافظ أبا إسحاق الجبال من رواية الحديث، وهددوه فامتنع، ثم قام بعد المستنصر ابنه أحمد.

٦٤٧ - المُستعلي بالله^(٣)

- [١] صاحب مصر أبو القاسم أحمد بن المستنصر العبيدي المصري. وفي أيامه وهت الدولة العبيدية، واختلت قواعدها، وانقطت الدعوة لهم من أكثر مدائن الشام، واستولى عليها الفرنج وغيرهم من الغز.
- [٢] فأخذت الفرنج أنطاكية من المسلمين في سنة إحدى وتسعين، وكان لها في يد المسلمين نحو عشرين سنة، وأخذوا بيت المقدس، واستباحوه وأخذوا أيضاً المعرة في سنة اثنتين وتسعين، ثم استولوا على مدائن وقلاع.
- [٣] وفي دولته كثرت الباطنية الملاحدة الذين هم الإسماعيلية. وأخذوا القفول،^(٤) وتملكوا قلعة أصبهان، وفتكوا بعدد كثير من الكبار والعلماء وشرعوا في شغل السكّين، وجرت لهم خطوب وعجائب.
- وفي سنة خمس وتسعين وأربع مئة مات المستعلي وأقاموا ولده الأمر بأحكام

(١) الجتر، بكسر الجيم. المظلة.

(٢) كالشطار والعيارين في بغداد.

(٣) انظر السير: ١٥ / ١٩٦-١٩٧.

(٤) جمع قافلة.

الله منصوراً. وله خمس سنين، وأزمت الملك إلى الأفضل أمير الجيوش.
ويقال: إنه سُمِّ وقُتِلَ سِراً.

٦٤٨ - الأَمْرُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ^(١)

[١] صاحبُ مِصرَ أبو علي منصورُ بنُ المُستعلي، العُبيديُّ الرَّافضيُّ الظُّلُمُ.

كانَ متظاهراً بالمَكْرِ واللَّهْوِ والجبروتِ.

وَلِيَّ وهو صغير، فلما كَبَرَ قَتَلَ الأَفْضَلَ أميرَ الجيوش، واصطفى أمواله،
وكانت تفوت الإحصاء، ويضربُ بها المثلَّ، فاستوزر بعده المأمونُ مُحَمَّدُ بن
مختار البَطائحي، فَعَسَفَ الرِّعْيَةَ، وتمرد، فاستأصله الأَمْرُ بعد أربع سنين، ثم
صَلَبَهُ، وقَتَلَ معه خمسةً من إخوته.

[٢] وفي دولته أخذت الفِرْنَج طَرابُلُسَ الشَّامِ وصَيْداً، ثم قصد الملك بردويل
الفِرْنَجِي ديارَ مصر، وأخذ الفَرَمَا وهي قرية من العريش، فأحرقَ جامعَها،
ومساجِدَها، وقتل وأسر، ثم رجع فهلك في سَبْخَةٍ بردويل فشَقُّوه ورموا حُشوته
وصَبَّروه، فَحَشُونَهُ تُرْجَمَ هناك إلى اليوم، ودفنوه بِقُمَامَةِ. وكان قد أخذ القدسَ
وعكاً والحصون.

وفي أيامه ظهر ابنُ تُوْمَرْتٍ بالمغرب وكثرت أتباعه، وعسكروا وقاتلوا، وملكوا
البلادَ.

[٣] وبقي الأَمْرُ في المُلْكِ تسعاً وعشرين سَنَةً وتسعة أشهر إلى أن خَرَجَ يوماً إلى
ظَاهِرِ القَاهِرَةِ، وعدى على الجسر إلى الجِيْزَةِ، فَمَكَّنَ له رجالٌ في السِّلَاحِ، ثم
نزلوا عليه بأسْيَافهم، وكان في طائفةٍ ليست بكثيرةٍ، فَرَدُّ إلى القصرِ مشخناً
بالجراح. وهَلَكَ من غير عَقِبٍ.

وكان العاشر من الخُلَفَاءِ الباطنية فبايعوا ابنَ عَمِّ له، وهو الحافظ لدين الله.

(١) انظر السيرة: ١٥ / ١٩٧-١٩٩.

وكان حسنَ الحظ، جيّدَ العقل والمعرفة، لكنّه خبيثُ المعتقد سفاكاً للدّماء،
متّمرداً جباراً فاحشاً فاسقاً، صادر الخلق. عاش خمساً وثلاثين سنة.
وانقَلَع سنة أربعٍ وعشرين وخمس مئة.

٦٤٩ - الحافظُ لدين الله^(١)

[١] صاحبُ مِصرَ أبو الميمون عبدالمجيد بنُ الأمير محمد بنِ المُستنصر بالله
معدّ، العبيديّ الإسماعيليّ المِصريّ.
بايعوه يومَ مِصرَ ابنَ عمّه الأميرَ ليدبّرَ المملكةَ إلى أن يُولدَ حملٌ للأمير إن
وُلد.

[٢] وغلبَ على الأمور أميرُ الجيوش أبو عليّ بنُ الأفضّل بنِ بدر الجمالي
فأخرجتِ الأمراءُ أبا عليّ، وقَدّموه عليهم، فأتى إلى القصر، وأمرَ ونهَى، وبقي
الحافظُ معه مُنفهراً، فقام أبو عليّ بالملكِ أتمَّ قيامَ وعدَل في الرّعية، وردَّ أموالاً
كثيرةً على المصادرين، ووقفَ عند مذهب الشيعة، وتمسكَ بالإثني عشر، وترك
ما تقوله الإسماعيلية، وأعرضَ عن الحافظِ وآلِ بيته، ودعا على منابرِ مصر
للمُنْتَظَر صاحبِ السُّردابِ على رُغمهم، وكتبَ اسمَه على السُّكّة، واستمرَّ على
ذلك، وقَلَعَت الدّولةُ إلى أن شدَّ عليه فارسٌ من الخاصّة، فقتله بظاهرِ القاهرةِ
في المحرمِ سنة ستٍ وعشرين وخمس مئة، وذلك بتدبيرِ الحافظِ، فبادرتِ
الأمراءُ إلى خدمةِ الحافظِ، وأخرجوه من الضيق والاعتقال، وجدّدوا بيعته واستقلَّ
بالمُلك.

وعندما ماتَ الأميرُ قبله، قال الجُهاال: هذا بيتٌ لا يموتُ إمامٌ منهم حتى
يخلّفَ ابناً ينصُّ على إمامته، فخلّفَ الأمرُ حملاً فكان بنتاً.
وكان الحافظُ كلما أقامَ وزيراً تمكّن، وحكَمَ عليه، فيتألّم ويتحيّلُ عليه،

(١) انظر السير: ١٥ / ١٩٩-٢٠٢.

وَيَعْمَلُ عَلَى هَلَاكِهِ. وَيَقِي الْحَافِظُ بِلَا وَزِيرٍ عَشْرَ سَنِينَ.
وَمَاتَ سَنَةً أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسَ مِئَةٍ، فَكَانَتْ دَوْلَتُهُ عَشْرِينَ سَنَةً سِوَى خَمْسَةِ
أَشْهُرٍ. وَعَاشَ سَبْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً. فَمَا بَلَغَ أَحَدٌ هَذَا السَّنَّ مِنَ الْعُبَيْدِيَّةِ، وَقَامَ
بَعْدَهُ وَلَدُهُ الظَّافِرُ.

٦٥٠- الظَّافِرُ بِاللَّهِ^(١)

[١] صَاحِبُ مِصْرَ الظَّافِرُ بِاللَّهِ أَبُو مَنْصُورٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْحَافِظِ لَدِينِ اللَّهِ.
وَلِيَ الْأَمْرَ بَعْدَ أَبِيهِ خَمْسَةَ أَعْوَامٍ. وَكَانَ شَابًّا جَمِيلًا وَسِيمًا لَعَابًا عَاكِفًا عَلَى
الْأَغَانِي وَالسَّرَارِي.

اسْتَوَزَرَ الْأَفْضَلَ سَلِيمَ بْنَ مِصَالٍ فَسَاسَ الْإِقْلِيمَ.
وَانْقَطَعَتْ دَعْوَتُهُ، وَدَعَا أَبَاهُ مِنْ سَائِرِ الشَّامِ وَالْمَغْرِبِ وَالْحَرَمَيْنِ وَبَقِيَ لَهُمْ
إِقْلِيمُ مِصْرَ.

ثُمَّ خَرَجَ عَلَى ابْنِ مِصَالٍ الْعَادِلُ ابْنُ السَّلَّارِ، وَحَارَبَهُ، وَظَفَرَ بِهِ وَاسْتَأْصَلَهُ
وَاسْتَبَدَّ بِالْأَمْرِ.

[٢] وَقَدِمَ مِنْ إِفْرِيقِيَّةِ عَبَّاسُ بْنُ أَبِي الْفَتْوحِ بْنِ الْمَلِكِ يَحْيَى بْنُ تَمِيمِ بْنِ الْمُعِزِّ
ابْنَ بَادِيَسَ مَعَ أُمِّهِ صَبِيًّا. فَتَزَوَّجَ الْعَادِلُ بِهَا قَبْلَ الْوِزَارَةِ فَتَزَوَّجَ عَبَّاسٌ، وَوُلِدَ لَهُ
نَصْرٌ، فَأَحَبَّهُ الْعَادِلُ، ثُمَّ جَهَّزَ أَبَاهُ لِلْغَزْوِ فَلَمَّا نَزَلَ بَيْلَبِيسَ، ذَاكَرَهُ ابْنُ مُنْقِذٍ،^(٢)
فَاتَّفَقَا عَلَى قَتْلِ الْعَادِلِ، وَأَنْ يَأْخُذَ عَبَّاسُ مَنْصِبَهُ. فَذَبَحَ نَصْرٌ الْعَادِلَ عَلَى فَرَّاشِهِ
فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ ٥٤٨ هـ، وَتَمَلَّكَ عَبَّاسٌ وَتَمَكَّنَ.

[٣] وَكَانَ ابْنُهُ نَصْرٌ مِنَ الْمِلَاحِ. فَمَالَ إِلَيْهِ الظَّافِرُ وَأَحَبَّهُ، فَاتَّفَقَ هُوَ وَأَبُوهُ عَبَّاسٌ

(١) انظر السير: ٢٠٥-٢٠٢ / ١٥.

(٢) أسامة بن منقذ الكتاني، أمير، من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر (قرب حماة) ومن العلماء الشجعان،
له تصانيف في الأدب والتاريخ. ومن أمتع كتبه «الاعتبار» نحا فيه منحى السيرة الذاتية. توفي سنة ٥٨٤ هـ
بدمشق.

على الفتك بالطَّافِر. (١) فدَعَاه نصرٌ إلى دارِهِم ليأتي متخفياً، فجاء إلى الدَّار التي هي اليوم المدرسة السيوفية. فشَدَّ نصرٌ عليه فقتله وطَمَرَه في الدار. وذلك في سنةٍ تسعٍ وأربعين وخمسة مئة. وعاش الطَّافِر اثنتين وعشرين سنةً. ثم رَكِب عَبَّاسٌ من الغد وأتى القصر. وقال: أين مولانا؟ فطلبوه ففقدوه. وخرج جبريلُ ويوسفُ أخوا الطَّافِر، فقال: أين مولانا؟ قالا: سَلْ ابنَكَ، فغضب. وقال: أنتما قتلتماه، وضرب رِقَابَهُما في الحال.

٦٥١ - الفائز بالله (٢)

[١] صاحبُ مِصرَ أبو القاسم عيسى بنُ الطَّافِرِ إسماعيلَ العبيديّ.
[٢] لما اغتال عَبَّاسُ الوزيرَ الطَّافِرَ، أظهر القلقَ، ولم يكن عِلْمُ أهلِ القصرِ بمقتله. فطلبوه في دور الحُرَمِ فما وجدوه. وفتشوا عليه وأيسوا منه. وقال عَبَّاسٌ لأخويه: أنتما الذين قتلتما خليفتنا فأصرَّا على الإنكار، فقتلَهُما نَفياً للثُّمَّةِ عنه. واستدعى في الحالِ عيسى هذا، وهو طفلٌ له خمسُ سنينَ، وقيل: بل ستانٍ فحمله على كَتِفِهِ، ووقف باكياً كثيراً، وأمر بأن تَدْخُلَ الأمراءُ، فدخلوا فقال: هذا وَلَدُ مولاكم، وقد قَتَلَ عَمَّاه مولاكم، فقتلتهما به كما ترونَ والواجبُ إخلاصُ النيةِ والطَّاعةِ لهذا الولد. فقالوا كلُّهم: سمعاً وطاعةً، وضجُّوا ضجَّةً قويةً بذلك. ففزعَ الطفلُ، وبال على كَتِفِ الملكِ عَبَّاس. ولَقَّبوه الفائزَ، وبعثوه إلى أمِّه، واختلَّ عَقْلُهُ من حينئذٍ وصارَ يتحرك ويُصرعُ، ودانت الممالكُ لِعَبَّاسٍ. وأما أهلُ القصرِ، فاطَّلَعُوا على باطنِ القِصَّةِ، وأقاموا المآتمَ على الثلاثة، وتحيلوا، وكتبوا طلائعَ بن رُزَيْك الأرمَنيِّ الرَّافِضيِّ (٣) والي المُنِيَّةِ، (٤) وكان ذا

(١) يذكر أسامة بن منقذ أن الطافير حمل نصرا على قتل أبيه، فاطلع والده على الأمر فلاتفه واستماله وقرر معه قتل الطافير، انظر الاعتبار: ٢٠-١٩.

(٢) انظر السير: ٢٠٧-٢٠٥ / ١٥.

(٣) لقب بالملك الصالح. كان شجاعا حازماً مدبراً، أصله من الشيعة الإمامية في العراق، مات غيلة سنة ٥٥٦ هـ.

(٤) منية بني خصيب، من أعمال صعيد مصر.

شَهَامَةٍ وَإِقْدَامٍ . فَسَالُوهُ الْغَوْثَ ، وَقَطَعُوا شُعُورَ النِّسَاءِ وَالْأَوْلَادِ ، وَسَيَّرُوهَا فِي طَيِّ
الْكِتَابِ وَسَخَّمُوهُ ، فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ أَطْلَعَ مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْجُنْدِ عَلَيْهِ ، وَبَكَوْا . وَلَبَسَ
الْحِدَادَ ، وَاسْتَمَالَ عَرَبَ الصَّعِيدِ ، وَجَمَعَ وَحْشَدَ ، وَكَاتَبَ أُمَرَاءَ الْقَاهِرَةِ ، وَهَيَّجَهُمْ
عَلَى طَلَبِ الثَّارِ فَأَجَابُوهُ . فَسَارَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَبَادَرَ إِلَى رِكَابِهِ جُمُهورُ الْجَيْشِ ،
وَبَقِيَ عَبَّاسٌ فِي عَسْكَرٍ قَلِيلٍ . فَخَارَتْ قَوَاهِ وَهَرَبَ هُوَ وَابْنُهُ نَصْرٌ وَمَمَالِكِيهِ وَالْأَمِيرُ
ابْنُ مَنْقُذٍ .

ثُمَّ قَصَدَ عَبَّاسُ الشَّامَ عَلَى نَاحِيَةِ أُيُلَّةَ فِي ربيعِ الأولِ ، فَمَا كَانَتْ أَيَّامُهُ بَعْدَ
قَتْلِ الظَّافِرِ إِلَّا يَسِيرَةً ، وَاسْتَوْلَى الصَّالِحُ طَلَائِعَ بَنِي رُزَيْكٍ عَلَى دِيَارِ مِصْرَ بِلَا
ضَرْبَةٍ وَلَا طَعْنَةٍ ، فَزَلَّ إِلَى دَارِ عَبَّاسٍ ، وَطَلَبَ الْخَادِمَ الصَّغِيرَ الَّذِي كَانَ مَعَ
الظَّافِرِ ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي دُفِنَ فِيهِ أَسْتَاذُهُ ، فَأَعْلَمَهُ فَقَلَعَ بِلَاطُهُ ، وَأَخْرَجَ
الظَّافِرَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْقَتْلَى . وَحُمِلُوا وَنَاحُوا عَلَيْهِمْ . وَتَكَفَّلَ طَلَائِعُ الْفَائِزِ ، وَدَبَّرَ
الدَّوْلَةَ .

وَجَهَّزَتْ أُخْتُ الظَّافِرِ رَسُولًا إِلَى الْفَرَنْجِ بِعَسْقَلَانَ ، وَبَذَلَتْ لَهُمْ مَالًا عَظِيمًا إِنْ
أَسْرَوْا لَهَا عَبَّاسًا وَابْنَهُ ، فَخَرَجُوا عَلَيْهِ ، فَالْتَقَاهُمْ ، فَقُتِلَ فِي الْوَقْعَةِ ، وَأُخِذَتْ
خَزَائِنُهُ ، وَأَسْرَوْا ابْنَهُ نَصْرًا ، وَبَعَثُوهُ إِلَيْهَا فِي قَفْصِ حَدِيدٍ ، فَلَمَّا وَصَلَ ، قَبِضَ
رَسُولُهُمُ الْمَالَ ، وَذَلِكَ فِي ربيعِ الأولِ سَنَةِ خَمْسِينَ ، فَقُطِعَتْ يَدُ نَصْرٍ ، وَضُرِبَ
بِالْمِقَارِعِ كَثِيرًا ، وَقُصَّ لَحْمُهُ ثُمَّ صُلِبَ فَمَاتَ ، فَبَقِيَ مَعْلَقًا شَهْرًا ، ثُمَّ أُحْرِقَ .
مَاتَ الْفَائِزُ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِئَةً ، وَلَهُ نَحْوُ مِنْ عَشْرِ سَنِينَ ،
وَبَايَعُوا الْعَاضِدَ .

٦٥٢ - الْعَاضِدُ (١)

صَاحِبَ مِصْرَ الْعَاضِدُ لَدَيْنِ اللَّهِ خَاتَمُ الدَّوْلَةِ الْعَبِيدِيَّةِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ
الْأَمِيرِ يُوسُفَ بْنِ الْحَافِظِ لَدَيْنِ اللَّهِ عَبْدِ الْمَجِيدِ ، الْعَبِيدِيُّ الْحَاكِمِيُّ الْمِصْرِيُّ

(١) انظر السير: ٢١٥-٢٠٧ .

الإسماعيليُّ المدَّعي هو وأجدَّاه، أنَّهم فاطميون.

مولده سنة ست وأربعين وخمسة مئة.

أقامه طلائعُ بن رزَّيك بعدَ الفائز، فكان من تحتِ حجره، لا حلَّ لديه ولا رِبط. وكان العاضدُ سبَّاباً خبيثاً متخلِّفاً.

قال القاضي شمسُ الدِّين بن خلِّكان: كان إذا رأى سُنيّاً استحلَّ دمه. وسار وزيره الملكُ الصالح طلائعُ سيرةً مذمومةً، واحتكر الغلات، وقتل عدَّةً أمراء، وأضعفَ أحوالَ الدَّولةِ بقتل ذوي الرأي والبأس، وصادر وعسف.

[١] وأخذ طلائعُ في قطع أخبار العسكر والأمراء، فتعاقدوا بموافقة العاضد لهم على قتله، فكمن له عدَّة في القصر، فجرحوه، فدخل مماليكه، فقتلوا أولئك، وحملوه، فما أمسى. وذلك سنة ست وخمسين.

وولي مكانه ولده الملكُ العادل رزَّيك. وكان مليح النظم، قويَّ الرِّفص، جواداً شجاعاً، يُناظر على الإمامة والقدر، وعمل قبل موته بثلاث ليالٍ:

[٢] نحن في غفلة ونومٍ ولم نر عيونَ يقظانةٍ لا تنام
قد رحلنا إلى الحمام سينا ليت شعري متى يكون الحمام؟

نعم، ووزر للعاضد الملك أبو شجاع شاور السعدي، وكان على نيابة الصَّعيد من جهة طلائع، فقوي، ونديم طلائع على توليته لفروسيته وشهامته، فأوصى طلائع وهو يموت إلى ابنه أن لا يهيج شاور.

ثم إن شاور حشد وجمع، واخترق البرية إلى أن خرج من عند تروجة، (١) وقصد القاهرة، فدخلها من غير مُمانعة، ثم فتك برزَّيك وتمكن.

[٣] ثم قدم دمشق جريدة إلى نور الدين مستنجداً به، فجَّهز معه شيركوه، بل بعده بسنة، فاسترد له الوزارة، وتمكن، ولم يجاز شيركوه بما يليق به، فأضمر له الشر، واستعان شاور بالفرنج، وتحصن منهم شيركوه ببليس، فحصره مدةً، حتى ملوا.

(١) قرية بالقرب من الإسكندرية.

واغتنم نور الدين خلّو الساحل منهم فَعَمِلَ المصافّ على حارم وأسّر ملوكاً
في سنة تسع وخمسين.

ورَجَعَ شِيرْكُوهُ بَعْدَ أُمُورٍ طَوِيلَةٍ الشَّرْحِ .

[١] ثم سِيرَ العاضِدُ يَسْتَنْجِدُ بِشِيرْكُوهِ عَلَى الْفِرْنَجِ ، فَسَارَ وَهَزَمَ الْفِرْنَجَ بَعْدَ أَنْ
كَادُوا يَأْخُذُونَ الْبِلَادَ ، وَهُمْ شَاوِرَ بَاغْتِيَالِ شِيرْكُوهِ وَكِبَارِ عَسْكَرِهِ فَتَاجَزَوْهُ وَقَتَلُوهُ فِي
رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ قَتَلَهُ جُرْدِيكُ النُّورِيِّ وَصَلَّاحُ الدِّينِ .

[٢] فَاسْتَوَزَرَ الْعَاضِدُ شِيرْكُوهُ ، فَلَمْ يُطَوِّلْ ، وَمَاتَ بِالْخَانُوقِ بَعْدَ شَهْرَيْنِ وَأَيَّامٍ ،
وَقَامَ بَعْدَهُ ابْنُ أَخِيهِ صَلَّاحُ الدِّينِ . وَكَانَ يُضْرَبُ بِشَجَاعَةِ أَسَدِ الدِّينِ شِيرْكُوهِ
الْمِثْلَ ، وَيَخَافُهُ الْفِرْنَجُ .

[٣] قُلْتُ : تَلَا شَى أَمْرُ الْعَاضِدِ مَعَ صَلَّاحِ الدِّينِ إِلَى أَنْ خَلَعَهُ ، وَخَطَبَ لِبْنِي
الْعَبَّاسِ ، وَاسْتَأْصَلَ شَافَةَ بَنِي عُبَيْدٍ وَمَحَقَ دَوْلَةَ الرِّفْضِ . وَكَانُوا أَرْبَعَةَ عَشَرَ
مَتْخَلِفًا لَا خَلِيفَةَ ، وَالْعَاضِدُ فِي اللُّغَةِ أَيْضًا الْقَاطِعُ ، فَكَانَ هَذَا عَاضِدًا لِلدَّوْلَةِ أَهْلَ
بَيْتِهِ .

[٤] قَالَ ابْنُ خَلَّكَانَ : أَخْبَرَنِي عَالَمٌ أَنَّ الْعَاضِدَ رَأَى فِي نَوْمِهِ كَأَنَّ عَقْرَبًا خَرَجَتْ
إِلَيْهِ مِنْ مَسْجِدٍ عُرِفَ بِهَا فَلَدَغَتْهُ ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ طَلَبَ مُعَبَّرًا ، فَقَالَ : يِنَالِكَ مَكْرُوهُ
مِنْ رَجُلٍ مَقِيمٍ بِالْمَسْجِدِ ، فَسَأَلَ عَنِ الْمَسْجِدِ ، وَقَالَ لِلْوَالِي عَنْهُ ، فَأَتَانِي بِفَقِيرٍ ،
فَسَأَلَهُ مِنْ أَيْنَ هُوَ ؟ وَفِيمَ قَدِمَ ، فَرَأَى مِنْهُ صِدْقًا وَدِينًا . فَقَالَ : ادْعُ لَنَا يَا شَيْخُ ،
وَخَلِّ سَبِيلَهُ ، وَرَجَعَ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَلَمَّا غَلَبَ صَلَّاحُ الدِّينِ عَلَى مِصْرَ ، عَزَمَ
عَلَى خَلْعِ الْعَاضِدِ ، فَقَالَ ابْنُ خَلَّكَانَ : اسْتَفْتَى الْفُقَهَاءَ ، فَأَفْتَوْا بِجَوَازِ خَلْعِهِ لِمَا
هُوَ مِنْ انْحِلَالِ الْعَقِيدَةِ وَالِاسْتِهْتَارِ ، فَكَانَ أَكْثَرُهُمْ مَبَالِغَةً فِي الْفُتْيَا ذَلِكَ ، وَهُوَ
الشَّيْخُ نَجْمُ الدِّينِ الْخُبُوشَانِيُّ ، فَإِنَّهُ عَدَّدَ مَسَاوِيءَ هَؤُلَاءِ ، وَسَلَبَ عَنْهُمْ الْإِيمَانَ .

[٥] قَالَ أَبُو شَامَةَ : كَانَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ بِإِفْرِيقِيَّةَ : الْمَهْدِيُّ ، وَالْقَائِمُ وَالْمَنْصُورُ ، وَأَحَدُ
عَشَرَ بِمِصْرَ آخَرُهُمُ الْعَاضِدُ ، ثُمَّ قَالَ : يَدْعُونَ الشَّرْفَ وَنَسَبْتُهُمْ إِلَى مَجُوسِيٍّ أَوْ
يَهُودِيٍّ ، حَتَّى اشْتَهَرَ لَهُمْ ذَلِكَ ، وَقِيلَ : الدَّوْلَةُ الْعُلُوبَةُ ، وَالدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ ، وَإِنَّمَا

هي الدولة اليهودية أو المجوسية المُلحِدة الباطنية.

قلت: وكانت دولتهم مئتي سنةً وثمانياً وستين سنة، وقد صنّف القاضي أبو بكر بن الباقلاني كتاب «كُشف أسرار الباطنية» فافتتحه ببُطلانِ انتسابهم إلى الإمام عليٍّ، وكذلك القاضي عبد الجبار المُعتزليُّ.

هَلَكَ العاضِدُ يومَ عاشوراءَ سنةَ سبعٍ وستينَ وخمسينَ مئةَ بَذَرَبِ مُفْرِطٍ وقيل مات غَمًّا لما سَمِعَ بقطعِ خُطْبَتِهِ وإقامةِ الدعوةِ للمستضيءِ.

وتسلّمَ صلاحُ الدينِ القصرَ بما حوى من النفائسِ، والأموالِ، وقَبَضَ أيضاً على أولادِ العاضِدِ وآلِهِ، فسجنَهُم في بيتٍ من القَصْرِ، وقَمَعَ غِلْمَانَهُم وأنصارَهُم، وعفى آثارَهُم.

قال العِمادُ الكاتبُ: وهُمُ الآنَ محصورونَ محسورونَ لم يظهروا وقد نقصوا وتقلّصوا، وانتقى صلاحُ الدينِ ما أَحَبَّ من الذُّخائرِ، وأطلقَ البيعَ بعدُ في ما بقي، فاستمرَّ البيعُ فيها مدّةَ عشرِ سنينَ.

[١] ومن كتابٍ من إنشاءِ القاضي الفاضلِ إلى بغداد: (وقد تَوَالَتِ الفُتُوحُ غرباً ويَمَنًا وشاماً. وصارت البلادُ بلِ الدنيا والشهر، بلِ والدهرُ حَرَمًا حراماً. وأضحى الدِّينُ واحداً بعد أن كان أدياناً، والخلافةُ إذا ذُكِرَ بها أهلُ الخلافِ لم يَخْرُوا عليها صُماً وعُمياناً، والبدعةُ خاشعةٌ، والجُمُعةُ جَامِعةٌ، والمذلةُ في شِيعِ الضلالِ، شائعةٌ. ذلك بأنَّهُم اتَّخذوا عبادَ الله مِنْ دُونِهِ أولياءَ، وسَمَّوا أعداءَ الله أَصْفِياءَ، وتَقَطَّعوا أمرَهُم بينهم شِيعاً، وفَرَّقوا أمرَ الأُمَّةِ وكان مجتمِعاً، وقُطِعَ دابرُهُم، ورَغِمَتْ أنُوفُهُم ومنابرُهُم، وحَقَّتْ عليهم الكلمةُ تشريداً وقتلاً، وتمتَ كلماتُ ربِّكَ صِدْقاً وَعَدلاً، وليس السيفُ عمن سواهم من الفِرَنجِ بصائمٍ، ولا الليلُ عن السيرِ إليهم بنائمٍ).

قلت: أعجِبني هؤُلاءِ المملوكُ العبيديَّةِ على التوالِي، ليتأمَّلَهُ الناظرُ مجتمِعاً. فلنرجعِ الآنَ إلى ترتيبِ الطَّباقِ في حُدُودِ العشرينَ وثلاثِ مئةٍ وما بعدها.

[١] الوزير الكبير، أبو علي محمد بن علي بن حسن بن مُقْلَةَ.

وُلِدَ بَعْدَ سَنَةِ سَبْعِينَ وَمِئَتِينَ.

قال الصُّولِيُّ: ما رأيتُ وزيراً منذ توفِّي القاسم بن عبيدالله (٢) أحسنَ حركةً، ولا أظرفَ إشارةً، ولا أملحَ خطأً، ولا أكثرَ حفظاً، ولا أسلطَ قلماً، ولا أقصدَ بلاغةً، ولا آخذَ بقلوب الخلفاء، من ابن مُقْلَةَ. وله عِلْمٌ بالإعراب، وحِفْظٌ لِلُّغَةِ، وتوقعاتٌ حَسَنَةٌ.

[٢] قال ابنُ النَّجَّار: أوَّلُ تصرُّفه كان مع محمد بن داود بن الجراح وعمره ست عشرة سنة وأُجْري له في كل شهرٍ ستَّةُ دنانير، ثمَّ انتقل إلى ابنِ الفُرات، فلما وزر ابنُ الفُرات أحسن إليه وجعله يُقدِّم القصصَ فكثُرَ ماله إلى أن قال: فلما استعفى ابنُ عيسى من الوزارة، أُشير على المقتدر بالله بآبِنِ مُقْلَةَ، فولَّاه في ربيعِ الأوَّل سنة ٣١٦، ثم عزل سنة ٣١٨ بعد سنتين وأربعة أشهر، ثم لما قُتِلَ المُقْتَدِر، وبويع القاهر، كان ابنُ مُقْلَةَ بشيراز منفيّاً، فأحضر القاهر وزيرَ المقتدر أبا القاسم عبيدالله بن محمد، وعرفه أنَّه قد استوزرَ أبا علي فاستخلفه له إلى أن يُقدِّم، فقدم أبو علي يوم النحر سنة عشرين فدام إلى أن استوحش من القاهر، فاستتر بعد تسعة أشهر، ثم إنَّه أفسدَ الجُندَ على القاهر، وجمع كلمتهم على خَلْعِهِ وقتلِهِ، فتمَّ ذلك لهم. وبُويعَ الراضي، فأمنَ أبا علي، فظهر، ووزر، ثم عُزل بعد عامين، واستتر، ثم كتب إلى الراضي بالله أن يستَحِجِبَ بُجْكَمَ عوض ابنِ رائق، وأن يعيده إلى الوزارة، وضمَّنَ له مالاً، وكتب إلى بُجْكَمَ، فأطمعه الراضي حتَّى حصل عنده، واستفتى الفقهاء فأفتوا بقطعِ يده. فقطع في شوال سنة ستٍ وعشرين وثلاث مئة. ثمَّ كان يَشِدُّ القلمَ على ساعِدِهِ، ويكتبُ

(١) انظر السير: ٢٢٤ / ١٥ - ٢٣٠.

(٢) توفي القاسم سنة ٢٩١ وكان وزيراً للمعتضد.

خطاً جيداً. وكتب أيضاً باليسرى.

[١] قال أبو الفضل بن المأمون: أنشدنا أبو علي بن مُقْلَةَ لِنَفْسِهِ:

إذا أتى الموت لميقاته فخلّ عن قول الأطباء
وإن مضى من أنت صبّ به فالصبر من فعل الألباء
ما مرّ شيء بيني آدم أمر من فقد الأحباء

[٢] وقيل: أنشأ داراً عظيمة، فقليل:

قل لابن مُقْلَةَ مهلاً لا تكن عجلاً واضبر فإنك في أضغاث أحلام
تبني بأنقاض دور الناس مجتهداً داراً تشهدم أيضاً بعد أيام
ما زلت تختار سعد المشتري لها فلم توقّ به من نحس بهرام
إن القران وبطليموس ما اجتمعا في حال نقض ولا في حال إبرام
أحرقت بعد ستة أشهر، وبقيت عبرة.

ومات سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة.

واختلف فيه هل هو صاحب الخط المنسوب أو أخوه الحسن؟ وكانا بديعي الكتابة، والظاهر أن الحسن هو صاحب الخط. وكان أول من نقل هذه الطريقة المولدة من القلم الكوفي.

٦٥٤ - المُرْتَعِشُ (١)

[٣] الزاهد الولي، أبو محمد، عبدالله بن محمد النيسابوري الحيري، وصحب أبا عثمان الحيري، والجنيّد، وسكن بغداد.

وكان يُقال عجائب بغداد في التصوف ثلاث: نكت أبي محمد المُرْتَعِش، وحكايات الخُلديّ، وإشارات الشُّبليّ.

[٤] وسئل بماذا ينال العبد المحبّة؟ قال: بموالاة أولياء الله ومُعَاداةِ أعداء الله.

(١) انظر السير: ١٥ / ٢٣٠-٢٣١.

[١] وقيل له: فلان يمشي على الماء، قال: عندي أن من مكّنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشي على الماء.

وسُئِلَ: أيُّ العملِ أفضلُ؟ قال: رؤيةُ فضلِ الله.

تُوفِّيَ - رحمه الله - سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة.

٦٥٥ - النَّهْرَجُورِيُّ^(١)

[٢] الأستاذ العارف أبو يعقوب إسحاق بن محمد، الصُّوفي النَّهْرَجُورِيُّ. صَحِبَ الجُنَيْدَ، وجاور مدّةً، ومات بمكة.

[٣] وعنه قال: الصَّدْقُ موافقةُ الحقِّ في السرِّ والعلانية، وحقيقةُ الصَّدْقِ القولُ بالحقِّ في مواطنِ الهلكة.

[٤] قال إبراهيم بن قاتك: سمعتُ أبا يعقوب، يقول: الدنيا بحرٌ، والآخرةُ ساجِلٌ. والمركبُ التقوى، والناسُ سَفَرٌ.

[٥] وعنه: أفضلُ الأحوالِ ما قارنَ العلمَ.

تُوفِّيَ النَّهْرَجُورِيُّ سنة ثلاثين وثلاث مئة.

٦٥٦ - الإِصْطَخَرِيُّ^(٢)

[٦] الإمامُ القُدَوَةُ العلّامة، شيخُ الإسلام، أبو سعيد، الحَسَنُ بنُ أحمدَ بنِ يزيد، الإِصْطَخَرِيُّ^(٣) الشّافِعِيُّ، فقيه العراق، ورفيقُ ابنِ سُرَيْجٍ.

وقال الخطيب: وَلِيَ قضاء قُمْرَ،^(٤) وولي حِسْبَةَ بغداد، فَأَحْرَقَ مكانَ

الملاهي.

(١) انظر السير: ١٥ / ٢٣٢-٢٣٣.

(٢) انظر السير: ١٥ / ٢٥٠-٢٥٢.

(٣) هذه النسبة إلى إصطخر، وهي من كور فارس.

(٤) مدينة قرب أصبهان.

قال: وكان ورعاً زاهداً متقللاً من الدنيا، له تصانيف مفيدة.
 واستفتاه القاهر في الصّابئين، فأفتاه بقتلهم لأنهم يعبدون الكواكب، فعزم
 الخليفة على ذلك، فجمعوا مالا جزيلاً وقدموه، ففتر عنهم.
 مات سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة، وله نيّف وثمانون سنة.

٦٥٧ - ابنُ شنبُوذ^(١)

[١] شيخُ المُقرئين، أبو الحسن، محمدُ بنُ أحمدَ بنِ أيّوبَ بنِ شنبُوذ، المُقرئ،
 أكثرُ التّرحالِ في الطّلب.

وكان إماماً صدوقاً أميناً متصوناً، كبيرَ القدر.

[٢] اعتمدَه أبو عمرو الدّاني، والكبار، وثوقاً بنقله وإتقانه لكنّه كان له رأيٌ في
 القراءة بالشّواذ التي تُخالف رَسَمَ الإمام، فنَقَمُوا عليه لذلك. وبالغوا وعزّروه.
 والمسألةُ مختلفٌ فيها في الجُملة. وما عارضوه أصلاً فيما أقرأ به ليعقوب،^(٢)
 ولا لأبي جعفر،^(٣) بل فيما خرج عن المصحف العثماني. وقد ذكّرتُ ذلك
 مطوَّلاً في طبقات القراء.

[٣] قال أبو شامة: كان الرّفقُ بابن شنبُوذ أولى، وكان اعتقاله وإغلاظ القول له
 كافياً. وليس كان بمصيب فيما ذهب إليه، لكن أخطأه في واقعة لا تسقط حقّه
 من حرمة أهل القرآن والعلم.

مات سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة، وهو في عشرِ الثمانين أو جاوزَهُ.

(١) انظر السير: ٢٦٤-٢٦٦.

(٢) يعقوب بن إسحاق، أحد القراء العشرة، توفي سنة ٢٠٥ هـ.

(٣) أبو جعفر المخزومي، يزيد بن القعقاع، أحد القراء العشرة تابعي مشهور كبير القدر توفي سنة ١٣٠.

[١] الإمام الحافظ اللُّغَوِيُّ ذُو الْفَنُونِ، أبوبكر محمد بنُ القاسمِ بنِ بشارِ بن الأنباري، المقرئ النُّحَوي.

ولد سنة اثنتين وسبعين ومئتين.

[٢] قال أبو علي الفَالِي: كان شيخنا أبوبكر يحفظ فيما قيل ثلاث مئة ألف بيت شاهد في القرآن.

قلت: هذا يحيى في أربعين مجلداً.

[٣] قال أبو علي التَّنُوخِيُّ: كان ابنُ الأنباري يملئ من حفظه، ما أُملي من دفتر قط.

[٤] وقال محمد بنُ جعفر التَّمِيمِيُّ: ما رأينا أحداً أحفظ من ابن الأنباري، ولا أغزر من علمه. وحدثني عنه أنه قال: أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً.

[٥] وقيل: إن من جملة محفوظه عشرين ومئة تفسير بأسانيدها.

قال أبوبكر الخطيب: كان ابنُ الأنباري صدوقاً ديناً من أهل السنة. صنف في علوم القرآن والغريب والمشكل والوقف والابتداء.

[٦] قال أبو الحسن العَرُوضِي: كنتُ أنا وابنُ الأنباري عند الرّاضي بالله، ففي يومٍ من الأيام سألتُه جاريةً عن تفسير شيءٍ من الرؤيا، فقال: أنا حاقن، ومضى. فلما كان من الغد، عاد، وقد صار مُعبِّراً للرؤيا، مضى من يومه فدرس كتاب الكِرْمَانِي في التعبير وجاء.

وقال حمزة بن محمد بن طاهر: كان ابنُ الأنباري زاهداً متواضعاً حكى الدَّارَقُطْنِيُّ أنه حضره، فصَحَّفَ في اسم، قال: فأعظمتُ أن يُحملَ عنه وهمٌ وهبته، فعرفتُ مستمليه. فلما حضرتُ الجمعة الأخرى، قال ابنُ الأنباري لمستمليه: عرِّف الجماعة أنا صحفنا الاسم الفلاني، وبهنا عليه ذلك الشاب على الصواب. مات سنة أربع وثلاث مئة.

(١) انظر السير: ٢٧٩-٢٧٤ / ١٥.

[١] الإمامُ المحدثُ الفقيهُ العلامةُ الرَّاهِدُ العابدُ، شيخُ خُرَاسَانَ، أبو عليّ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، الثَّقَفِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ الشَّافِعِيُّ الواعِظُ، من وَلَدِ الحَجَّاجِ.

مولده بِقَهْستان في سنة أربع وأربعين ومئتين.
قال الحاكم: شَهِدْتُ جَنَازَتَهُ، فلا أَذكرُ أَنِي رَأَيْتُ بَنِيْسَابُورَ مِثْلَ ذَلِكَ الجَمْعِ، وَحَضَرْتُ مَجْلِسَ وَعْظِهِ، وَأَنَا صَغِيرٌ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ: إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ الوَهَّابُ الوَهَّابُ.

[٢] قال شيخنا الصَّبْغِيُّ: شمائلُ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ، أَخَذَهَا مالِكُ الإِمَامِ عَنْهُمْ، وَأَخَذَهَا عَنْ مالِكٍ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ، وَأَخَذَهَا عَنْ يَحْيَى مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ المَرْوَزِيُّ، وَأَخَذَهَا عَنْ ابْنِ نَصْرِ أَبُو عَلِيٍّ الثَّقَفِيُّ.

قال الحاكم: وَسَمِعْتُ أَبَا العَبَّاسِ الزَّاهِدَ، يَقُولُ: كَانَ أَبُو عَلِيٍّ فِي عَصْرِهِ حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ.

[٣] قال أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ: لَقِيَ أَبُو عَلِيٍّ الثَّقَفِيُّ أَبَا حَفْصِ النَّيْسَابُورِيَّ، وَحَمْدُونَ الْقَصَّارَ، وَكَانَ إِمَاماً فِي أَكْثَرِ عُلُومِ الشَّرْعِ مَقْدِماً فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْهُ. عَطَّلَ أَكْثَرَ عُلُومِهِ، وَاشْتَغَلَ بِعِلْمِ الصُّوفِيَةِ وَقَعَدَ، وَتَكَلَّمَ عَلَيْهِمْ أَحْسَنَ كَلَامٍ فِي عِيُوبِ النَّفْسِ، وَأَفَاتِ الْأَفْعَالِ. وَمَعَ عِلْمِهِ وَكَمَالِهِ خَالَفَ الإِمَامَ ابْنَ خُزَيْمَةَ فِي مَسَائِلِ التَّوْفِيقِ وَالْخِذْلَانِ، وَمَسْأَلَةِ الْإِيمَانِ، وَمَسْأَلَةِ اللَّفْظِ، فَأَلْزَمَ الْبَيْتَ، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ إِلَى أَنْ مَاتَ وَأَصَابَهُ فِي ذَلِكَ مِحْنٌ.

[٤] ومن قوله: يَا مَنْ بَاعَ كُلَّ شَيْءٍ بِلا شَيْءٍ، وَاشْتَرَى لا شَيْءَ بِكُلِّ شَيْءٍ.
[٥] وقال: أَفٌّ مِنْ أَشْغَالِ الدُّنْيَا إِذَا أَقْبَلْتُ، وَأَفٌّ مِنْ حَسْرَاتِهَا إِذَا أُدْبِرْتُ. الْعَاقِلُ لَا يَرْكَنُ إِلَى شَيْءٍ، إِنْ أَقْبَلَ كَانَ شُغْلاً، وَإِنْ أُدْبِرَ كَانَ حَسْرَةً.

(١) انظر السير: ١٥ / ٢٨٠-٢٨٣.

[١١] وقال أبوبكر الرّازيُّ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: تَرَكُ الرِّياءَ للرِّياءِ أَقْبَحُ مِنَ الرِّياءِ.
وكان كثيراً ما يَتَكَلَّمُ فِي رُؤْيَا عَيْبِ الْأَفْعَالِ.
مات أبو عليّ سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثِ مئة.

الطبقة التاسعة عشرة

٦٦٠ - الوزير^(١)

[١] الإمام المحدث الصادق الوزير العادل، أبو الحسن، علي بن عيسى بن داود، البغدادي الكاتب.

وَزَرَ غير مرةً للمقتدر، وللقاهر، وكان عديم النظر في فنه. وُلِدَ سنة ثيف وأربعين ومئتين.

[٢] كان على الحقيقة غنياً شاكراً، ينطوي على دين متين وعلم وفضل، وكان صبوراً على المحن. والله به عناية، وهو القائل يُعْزِي وَلَدِي القاضي عمر بن أبي عمر القاضي في أبيهما: مُصِيبَةٌ قَدْ وَجَبَ أَجْرُهَا خَيْرٌ مِنْ نِعْمَةٍ لَا يُؤَدَّى شُكْرُهَا. وكان - رحمه الله - كثير الصدقات والصلوات، مجلسه موفور بالعلماء. صَنَفَ كِتَاباً في الدعاء، وكتاب «معاني القرآن» أعانه عليه ابن مجاهد المقرئ وآخر. وكان من بلغاء زمانه. وَزَرَ في سنة إحدى وثلاث مئة أربعة أعوام وعُزِلَ ثُمَّ وَزَرَ سنة خمس عشرة.

قال الصُّولي: لا أعلم أنه وَزَرَ لبني العباس مثله في عِفَّتِهِ وَزُهْدِهِ وَحِفْظِهِ للقرآن، وعِلْمِهِ بمعانيه، وكان يصومُ نهاره، ويقومُ ليله وما رأيتُ أعرفَ بالشُّعر منه، وكان يجلس للمظالم، ويُنصفُ النَّاسَ، ولم يَرَوْا أعفَ بطناً ولساناً وفرجاً منه، ولما عُزِلَ ثانياً، لم يقنع ابنُ الفُراتِ حتَّى أخرجَه عن بغداد، فجاور بمكة. [٣] وله في نكبتِه:

وَمَنْ يَكُ عَنِّي سَائِلاً لِشِمَاتِهِ لِمَا نَابَنِي أَوْ شَامِتاً غَيْرَ سَائِلٍ
فَقَدْ أَتْرَزْتُ مِنِّي الْخُطُوبُ ابْنَ حُرَّةٍ صَبُوراً عَلَى أَحْوَالِ تِلْكَ الزَّلَازِلِ
إِذَا سُرَّ لَمْ يَبْطُرْ وَلَيْسَ لِنَكْبَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِالْحَاشِعِ الْمُتَضَائِلِ

(١) انظر السير: ٣٠١-٢٩٨ / ١٥.

وقد أشار على المقتدر، فأفلح، فَوَقَفَ ما مَعْلُهُ في العام تسعون ألف دينار على الحرمين والثُّغُورِ، وأُفِرْدَ لهذه الوُفُوفِ ديواناً سَمَّاهُ ديوانَ البرِّ.

[١] قال المحدث أبو سهل القَطَّانُ: كُنْتُ مَعَهُ لَمَّا نُفِيَ بِمَكَّةَ فدخلنا في حرٍّ شديد وقد كِدْنَا نَتَلَفُ، فطاف يوماً، وجاء فرمى بنفسه، وقال: أَشْتَهِي على الله شربة ماءٍ مثلُوجٍ. قال: فَنَشَأْتُ بعد ساعةٍ سحابةً وَرَعَدَتْ وجاءَ بَرْدٌ كثيرٌ جمع منه الغِلْمَانُ جراراً. وكان الوزيرُ صائماً، فلَمَّا كان الإفطارُ جِئْتُه بِأَقْداحٍ من أصنافِ الأسوقة فأقبل يسقي المجاورين، ثم شربَ وحَمِدَ الله، وقال: ليتني تَمَنَّيْتُ المغفرةَ.

وكان الوزيرُ متواضعاً، قال: ما لَبِسْتُ ثوباً بأزِيدَ من سبعةِ دنائيرٍ.

قال أحمدُ بنُ كاملٍ القاضي: سَمِعْتُ عليَّ بنَ عيسى الوزيرِ، يقول: كَسَبْتُ سبع مئة ألف دينار. أخرجت منها في وجوه البرِّ ست مئة ألف وثمانين ألفاً. توفي في آخرِ أربعٍ وثلاثين وثلاث مئة. وله تسعون سنة.

٦٦١ - القِرْمِطِيُّ^(١)

عدُو الله مَلِكُ البحرين، أبو طاهر، سُلَيْمَانُ بنُ حَسَنِ، القِرْمِطِيُّ^(٢) الجَنَابِيُّ،^(٣) الأَعْرَابِيُّ الزنديقُ. الذي سار إلى مَكَّةَ في سبع مئة فارس فاستباح الحجاجَ كُلَّهُم في الحرم، وأقتلع الحجرَ الأسودَ، وردم زمزمَ بالقتلى، وصعد على عتبة الكعبة يصيح:

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلقَ وأُفْنِيهِم أنا
فقتل في سِكَكِ مَكَّةَ وما حولها زُهاءَ ثلاثين ألفاً، وسبى الذريةَ وأقام بالحرم ستة أيام.

(١) انظر السير: ٣٢٠-٣٢٥.

(٢) نسبة إلى حمدان قرمط، وهو أول من نشر مذهب القرامطة.

بَذَلَ السَّيْفَ فِي سَابِعِ ذِي الْحِجَّةِ، وَلَمْ يَعْرِفْ^(١) أَحَدٌ تِلْكَ السَّنَةَ، فَلِلَّهِ الْأَمْرِ. وَقَتَلَ أَمِيرَ مَكَّةَ ابْنَ مُحَارِبٍ، وَعَرَّى الْبَيْتَ، وَأَخَذَ بَابَهُ، وَرَجَعَ إِلَى بِلَادِ هَجَرَ.

وَقِيلَ: دَخَلَ قَرْمِطِيٌّ سَكَرَانَ عَلَى فَرَسٍ، فَصَفَرَ لَهُ، فَبَالَ عِنْدَ الْبَيْتِ وَضَرَبَ الْحَجَرَ بِدُبُوسِ هَشْمِهِ ثُمَّ اقْتَلَعَهُ وَبَقِيَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ عِنْدَهُمْ نَيْفًا وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَيُقَالُ: هَلَكَ تَحْتَهُ إِلَى هَجَرَ أَرْبَعُونَ جَمَلًا، فَلَمَّا أُعِيدَ كَانَ عَلَى قَعْوِدٍ ضَعِيفٍ، فَسَمِنَ.

وَكَانَ بُجْحَمُ التُّرْكِيُّ^(٢) دَفَعَ لَهُمْ فِيهِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَأَبَوْا وَقَالُوا: أَخَذْنَاهُ بِأَمْرٍ، وَمَا نَرُدُّهُ إِلَّا بِأَمْرٍ.

وَقِيلَ: إِنْ الَّذِي اقْتَلَعَهُ صَاحَ: يَا حَمِيرُ، أَنْتُمْ قُلْتُمْ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا فَأَيْنَ الْأَمْنُ؟ قَالَ رَجُلٌ: فَاسْتَسَلَّمْتُ، وَقُلْتُ: إِنْ اللَّهُ أَرَادَ: وَمَنْ دَخَلَهُ فَأَمْنُوهُ، فَلَوَّى فَرَسَهُ وَمَا كَلَّمَنِي.

[١] وَاتَّفَقَ أَنَّ أَبِي السَّاجِ الْأَمِيرَ نَزَلَ بِأَبِي سَعِيدِ الْجَنَابِيِّ^(٣) فَأَكْرَمَهُ، فَلَمَّا سَارَ لِحَرْبِهِ، بَعَثَ يَقُولُ: لَكَ عَلَيَّ حَقٌّ، وَأَنْتَ فِي خَمْسِ مِائَةٍ وَأَنَا فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا. فَانْصَرَفَ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ: كَمْ مَعَ صَاحِبِكَ؟ قَالَ: ثَلَاثُونَ أَلْفَ رَاكِبٍ، قَالَ: وَلَا ثَلَاثَةَ، ثُمَّ دَعَا بَعِيدَ أَسْوَدَ، فَقَالَ لَهُ: خَرِّقْ بَطْنَكَ بِهَذِهِ السُّكَيْنِ، فَبَدَّدَ مَصَارِيئَهُ. وَقَالَ لِآخَرٍ: اغْرُقْ فِي النَّهْرِ، فَفَعَلَ وَقَالَ لِآخَرٍ: اصْعَدْ عَلَى هَذَا الْحَائِطِ، وَانْزِلْ عَلَى مُخِّكَ، فَهَلَكَ. فَقَالَ لِلرَّسُولِ: إِنْ كَانَ مَعَهُ مِثْلُ هَؤُلَاءِ، وَإِلَّا فَمَا مَعَهُ أَحَدٌ. وَقِيلَ صَعَدَ قَرْمِطِيٌّ لِقَلْعِ الْمِيزَابِ، فَسَقَطَ، فَمَاتَ. وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةً سَبْعَ عَشْرَةَ، وَكَانَ أَمِيرَ الْعِرَاقَيْنِ مَنْصُورُ الدِّيْلَمِيِّ، وَجَافَتْ^(٤) مَكَّةَ بِالْقَتْلِ.

(١) لَمْ يَقِفْ أَحَدٌ عَلَى جَبَلِ عَرَفَةَ.

(٢) أَمِيرُ الْأَمْرَاءِ فِي بَغْدَادَ زَمَنِ الرَّاضِي بِاللَّهِ وَالْمُتَّقِي. كَانَ دَاهِيَةً شَجَاعًا، قَتَلَهُ الْأَكْرَادُ سَنَةَ ٣٢٩ هـ.

(٣) هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى جَنَابَةٍ، وَهِيَ بَلَدَةٌ مِنْ أَعْمَالِ فَارَسٍ مُتَّصِلَةٌ بِالْبَحْرَيْنِ عِنْدَ سِيرَافٍ، وَالْقَرَامِطَةُ مِنْهَا، فَنَسَبُوا إِلَيْهَا.

(٤) أَتَنَّتْ.

قال المراغي: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَرَّم، وَكَانَ رَسُولَ الْمُقْتَدِرِ إِلَى الْقِرْمَطِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُهُ بَعْدَ مَنَازِلَةٍ عَنْ اسْتِحْلَالِهِ بِمَا فَعَلَ بِمَكَّةَ فَأَخْضَرَ الْحَجَرَ فِي الدِّيْبَاجِ، فَلَمَّا أُبْرِزَ كَبُرْتُ، وَأَرَيْتُهُمْ مِنْ تَعْظِيمِهِ وَالتَّبَرُّكِ بِهِ عَلَى حَالَةٍ كَبِيرَةٍ، وَافْتَتَنَتِ الْقَرَامِطَةُ بِأَبِي طَاهِرٍ، وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ أَطْلَعَهُ وَحْدَهُ عَلَى كَنُوزِ دَفْنِهَا. فَلَمَّا تَمَلَّكَ، كَانَ يَقُولُ: هُنَا كَنْزُ فَيَحْفَرُونَ، فَإِذَا هُمْ بِالْمَالِ. فَيَفْتَنُونَ بِهِ وَقَالَ مَرَّةً: أَرِيدُ أَنْ أَحْفِرَ هُنَا عَيْنًا، قَالُوا: لَا تَتَّبِعْ، فَخَالَفَهُمْ، فَنَبَعَ الْمَاءَ، فَازْدَادَ ضَلَالُهُمْ بِهِ، وَقَالُوا: هُوَ إِلَهُ، وَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ الْمَسِيحُ، وَقِيلَ: نَبِيٌّ. وَقَدْ هَرَمَ جِيوشُ بَغْدَادَ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَعَتَا وَتَمَرَّدَ.

[١] قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ رِزَامِ الْكُوفِيِّ: حَكَى لِي ابْنُ حَمْدَانَ الطَّبِيبُ، قَالَ: أَقَمْتُ بِالْقَطِيفِ أَعَالِجَ مَرِيضًا، فَقَالَ لِي رَجُلٌ: إِنَّ اللَّهَ ظَهَرَ، فَخَرَجْتُ إِذَا النَّاسُ يُهْرَعُونَ إِلَى دَارِ أَبِي طَاهِرٍ، إِذَا هُوَ ابْنُ عَشْرِينَ سَنَةً، شَابٌّ مَلِيحٌ عَلَيْهِ عِمَامَةٌ صَفْرَاءُ، وَثَوْبٌ أَصْفَرٌ عَلَى فَرَسٍ أَشْهَبَ، وَإِخْوَتُهُ حَوْلَهُ فَصَاحَ: مَنْ عَرَفَنِي عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَنِي، فَأَنَا أَبُو طَاهِرٍ سَلِيمَانُ بْنُ أَبِي سَعِيدِ الْحَسَنِ، الْجَنَابِيُّ. اَعْلَمُوا أَنَا كُنَّا وَإِيَّاكُمْ حَمِيرًا، وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِهَذَا وَأَشَارَ إِلَى غَلَامٍ أَمْرَدَ، فَقَالَ: هَذَا رَبُّنَا وَإِلَهُنَا وَكُلُّنَا عِبَادُهُ. فَأَخَذَ النَّاسُ التَّرَابَ، فَوَضَعُوهُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ. ثُمَّ قَالَ أَبُو طَاهِرٍ: إِنَّ الدِّينَ قَدْ ظَهَرَ وَهُوَ دِينُ أَبِينَا آدَمَ، وَجَمِيعُ مَا أَوْصَلْتُ إِلَيْكُمْ الدُّعَاءُ بَاطِلٌ مِنْ ذِكْرِ مُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٍ، هَؤُلَاءِ دَجَالُونَ. وَهَذَا الْغَلَامُ هُوَ أَبُو الْفَضْلِ الْمَجُوسِي، شَرَعَ لَهُمُ اللَّوَاظَ، وَوُطِئَ الْأَخْتِ، وَأَمَرَ بِقَتْلِ مَنْ امْتَنَعَ. فَأَدْخَلْتُ عَلَيْهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ عِدَّةَ رُؤُوسٍ، فَسَجَدْتُ لَهُ، وَأَبُو طَاهِرٍ وَالْكِبْرَاءُ حَوْلَهُ قِيَامًا. فَقَالَ لِأَبِي طَاهِرٍ: الْمَلُوكُ لَمْ تَزَلْ تُعِدُّ الرُّؤُوسَ فِي خَزَائِنِهَا. فَسَلَوْهُ كَيْفَ بَقَاؤُهَا؟ فَسُئِلْتُ، فَقُلْتُ: إِلَهُنَا أَعْلَمَ، وَلَكِنِّي أَقُولُ: فَجُمْلَةُ الْإِنْسَانِ إِذَا مَاتَ يَحْتَاجُ كَذَا وَكَذَا صَبْرًا وَكَافُورًا. وَالرَّأْسُ جُزْءٌ فَيُعْطَى حِسَابُهُ. فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ. ثُمَّ قَالَ الطَّبِيبُ: مَا زِلْتُ أَسْمَعُهُمْ تِلْكَ الْأَيَّامَ يَلْعَنُونَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَمُحَمَّدًا وَعَلِيًّا. وَرَأَيْتُ مَصْحَفًا مُسَحَّ بِغَائِطٍ.

وقال أبو الفضل يوماً لكتابه: اكتب إلى الخليفة، فصلّ لهم على محمد، وكل من جراب النّورة،^(١) قال: والله، ماتنّسّطُ يدي لذلك. فافتضّ أبو الفضل أختاً لأبي طاهر الجنّابي، وذبح ولدها في حجرها ثم قتل زوجها، وهمّ بقتل أبي طاهر، فاتفق أبو طاهر مع كاتبه ابن سنبر، وآخر عليه فقالا: يا إلهنا، إن والدّة أبي طاهر قد ماتت فاحضر لتخشو جوفها ناراً، قال: وكان سنّه له، فأتى، فقال: ألا تجيبها؟ قال: لا. فإنّها ماتت كافرة، فعاوده، فارتاب وقال: لا تعجلاً عليّ، دعاني أخدم دوابكمما إلى أن يأتي أبي، قال ابن سنبر: ويلك هتكتنا، ونحن نرتّب هذه الدّعوة من ستين سنّة. فلوراك أبوك لقتلك. اقتله يا أبا طاهر، قال: أخاف أن يمسّخني، فضرب أخو أبي طاهر عنقه، ثم جمع ابن سنبر النّاس، وقال: إن هذا الغلام ورد بكذب سرقه من معدن حقّ، وإنّا وجدنا فوقه من ينكحه، وقد كنّا نسمع أنه لا بدّ للمؤمنين من فتنة يظهر بعدها حقّ، فأطفئوا بيوت النيران وارجعوا عن نكاح الأم، ودعوا اللواط، وعظّموا الأنبياء، فضجّوا وقالوا: كل وقت تقولون لنا قولاً. فاتفق أبو طاهر الدّهب حتى سكنوا. قال الطيب: فأخرج إليّ أبو طاهر الحجر، وقال: هذا كان يُعبد. قلت: كلاً، قال: بلى. قلت: أنت أعلم، وأخرجه في ثوب دقيقي^(١) ممسك.

ثم جرّت لأبي طاهر مع المسلمين حروب أوهنته. وقُتل جُنّده، وطلب الأمان على أن يرّد الحجر، وأن يأخذ عن كل حاج ديناراً ويخفّرهم. قلت: ثم هلك بالجُدري - لا رحمه الله - سنّة اثنتين وثلاث مئة بهجر كهلا. وقام بعده أبو القاسم سعيد.

(١) أي اعمل معهم بالتقية.

(١) نسبة إلى «ديق» وهي بلدة كانت بين الفرما وتيس، من أعمال مصر.

[١] أحمد بن محمد بن سعيد، أبو العباس الكوفي الحافظ العلامة أحد أعلام الحديث، ونادرة الرمان، وصاحب التصانيف على ضعف فيه وهو المعروف بالحافظ ابن عقدة.

وُلِدَ أبو العباس في سنة تسع ومئتين بالكوفة. وطلب الحديث سنة بضع وستين ومئتين. وكتب منه مالا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ عن خلق كثير بالكوفة وبغداد، ومكة.

وجَمَعَ التَّراجمَ والأبوابَ والمشیخة، وانتشر حديثه، وبعُدَ صيته وكتب عَمَّنْ دَبٌّ وَدَرَجٌ مِنَ الْكِبَارِ وَالصُّغَارِ وَالْمَجَاهِيلِ، وَجَمَعَ الْغَثَّ إِلَى السَّمِينِ، وَالْخَرَزَّ إِلَى الدُّرِّ الثَّمِينِ.

[٢] أبو الحسين أحمد بن محمد الواعظ، حدثنا أبو العباس بن عقدة إملاء سنة ثلاثين وثلاث مئة، حدثنا عبد الله بن الحسين بن الحسن بن الأشقر قال: سَمِعْتُ عَثَامَ بْنَ عَلِيٍّ الْعَامِرِيَّ قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ، وَهُوَ يَقُولُ: لَا يَجْتَمِعُ حُبُّ عَلِيٍّ وَعِثْمَانُ إِلَّا فِي قُلُوبِ نُبَلَاءِ الرِّجَالِ.

[٣] قُلْتُ: قَدْ رُمِيَ ابْنُ عُقْدَةَ بِالتَّشْيِيعِ، وَلَكِنْ رَوَيْتُهُ لِهَذَا وَنَحْوِهِ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ غُلُوهُ فِي تَشْيِيعِهِ، وَمَنْ بَلَغَ فِي الْحِفْظِ وَالْإِثَارِ مِثْلَ ابْنِ عُقْدَةَ ثُمَّ يَكُونُ فِي قَلْبِهِ غُلٌّ لِلْسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، فَهُوَ مُعَانِدٌ أَوْ زَنْدِيقٌ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[٤] محمد بن جعفر بن النجار، قال: حَكَى لَنَا أَبُو عَلِيٍّ النَّقَّارُ قَالَ: سَقَطَتْ مِنْ عُقْدَةَ دَنَانِيرُ، فَجَاءَ بِنَخَالٍ لِيَطْلُبَهَا، قَالَ عُقْدَةُ: فَوَجَدْتُهَا ثُمَّ فَكَّرْتُ فَقُلْتُ: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا غَيْرُ دَنَانِيرِكَ؟ فَقُلْتُ لِلنَّخَالِ: هِيَ فِي ذِمَّتِكَ، وَذَهَبْتُ وَتَرَكْتُهُ.

[٥] قَالَ: وَكَانَ يُؤَدِّبُ ابْنَ هِشَامِ الْخَزَّازِ، فَلَمَّا حَذَقَ الصَّبِيُّ وَتَعَلَّمَ وَجَّهَ إِلَيْهِ أَبُوهُ بِدَنَانِيرٍ صَالِحَةٍ، فَزَادَهَا فَظَنَّ ابْنُ هِشَامٍ أَنَّهَا اسْتَقْلَتْ فَأَضْعَفَهَا لَهُ، فَقَالَ: مَا رَدَدْتُهَا اسْتِقْلَالًا، وَلَكِنْ سَأَلَنِي الصَّبِيُّ أَنْ أَعْلَمَهُ الْقُرْآنَ، فَاخْتَلَطَ تَعْلِيمُ النَّحْوِ

بتعليم القرآن، ولا أَسْتَحِلَّ أن آخذ منه شيئاً، ولو دَفَعَ إلي الدنيا.
ثم قال ابن النُّجَّار: وكان عُقْدَةُ زَيْدِيًّا، وكان وَرِعاً نَاسِكاً، سَمِيَ عُقْدَةً لِأَجْلِ
تَعْقِيدِهِ فِي التَّصْرِيفِ، وكان وَرِاقاً جَيِّدَ الْخَطِّ، وكان ابْنُهُ أَحْفَظُ مَنْ كَانَ فِي
عَصْرِنَا لِلْحَدِيثِ.

[١١] قال أبو أحمد الحاكم: قال لي ابن عُقْدَةَ: دخل البرديجي الكوفة، فزعم أنه
أحفظ مني. فقلت: لا تطول نتقدم إلى دُكَّان ورَّاق، ونضع القَبَّان، ونزِن من
الکُتُب ما شئت، ثم يُلقي علينا فنذكره قال: فَبَقِيَ. (١)

[٢] علي بن عمر - وهو الدَّارِقُطْنِي - يقول: أَجْمَعَ أَهْلُ الْكُوفَةِ أَنَّهُ لَمْ يَرِ مِنْ زَمَنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ إِلَى زَمَنِ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ عُقْدَةَ أَحْفَظُ مِنْهُ.

قلت: يمكن أن يُقال: لم يوجد أَحْفَظُ مِنْهُ وإلى يومنا وإلى قيام السَّاعَةِ
بِالْكُوفَةِ، فأما أن يكونَ أَحَدُ نَظِيرٍ لَهُ فِي الْحِفْظِ، فَنَعَمْ فَقَدْ كَانَ بِهَا بَعْدَ ابْنِ
مَسْعُودٍ وَعَلِيٍّ، عَلْقَمَةُ، وَمَسْرُوقٌ، وَعَبِيدَةُ، ثُمَّ أُمَةُ حُفَاطُ كِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ،
وَمَنْصُورٌ، وَالْأَعْمَشُ، وَمِسْعَرٌ، وَالثَّوْرِيُّ، وَشَرِيكٌ، وَوَكَيْعٌ، وَأَبِي نُعَيْمٍ، وَأَبِي
بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَأَبِي كُرَيْبٍ، ثُمَّ هَؤُلَاءِ يَمْتَاوُونَ
عَلَيْهِ بِالْإِتِّفَاقِ وَالْعَدَالَةِ النَّامَةِ، وَلَكِنَّهُ أَوْسَعُ دَائِرَةً فِي الْحَدِيثِ مِنْهُمْ.

[٣] عبد الغني، سمعت أبا الحسن، يعني الدَّارِقُطْنِي، سمعتُ ابْنَ عُقْدَةَ يَقُولُ:
أَنَا أَجِيبُ فِي ثَلَاثِ مِثَّةٍ أَلْفِ حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِ أَهْلِ الْبَيْتِ خَاصَّةً.
قال أبو الحسن: وكان أبوه عُقْدَةُ أَنَحَى النَّاسَ.

الصُّوْرِي، قال لي عبد الغني: سمعتُ الدَّارِقُطْنِي يَقُولُ: ابْنُ عُقْدَةَ يَعْلَمُ مَا
عِنْدَ النَّاسِ، وَلَا يَعْلَمُ النَّاسُ مَا عِنْدَهُ.

[٤] قال الصُّوْرِي، وقال لي أَبُو سَعْدٍ الْمَالِينِيُّ: أَرَادَ ابْنُ عُقْدَةَ أَنْ يَنْتَقَلَ، فَاسْتَأْجَرَ
مَنْ يَحْمِلُ كُتُبَهُ، وَشَارَطَ الْحَمَّالِينَ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ دَانِقًا، قَالَ: فَوَزَنَ لَهُمْ
أَجُورُهُمْ مِثَّةَ دِرْهَمٍ، وَكَانَتْ كُتُبُهُ سِتِّ مِثَّةٍ حَمْلَةً.

(١) أي: بقي مندهشاً أو مبهوراً.

[١] قال الحاكم: قلت لأبي عليّ الحافظ: إن بعض الناس يقول في أبي العباس، قال: في ماذا؟ قلت: في تفرّده بهذه المقحمات عن هؤلاء المجهولين. فقال: لا تشتغل بمثل هذا، أبو العباس إمام حافظ محلّه محلّ من يُسأل عن التابعين وأتباعهم.

قال أبو أحمد بن عديّ: هو صاحب معرفة وحفظ وتقدّم في الصنعة، رأيت مشايخ بغداد يسيئون الثناء عليه، ثم إن ابن عديّ قوى أمره، ومشأه. مات ابن عقدة، سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة.

٦٦٣ - الإخشيد^(١)

صاحب مصر الملك، أبو بكر محمد بن طُغج بن جُفّ بن خاقان الفرغانيّ التركيّ. وليّ مصر سنة إحدى وعشرين،^(٢) ثمّ دمشق مُضافاً إلى مصر من قبل الرّاضي.

والإخشيد بالتركي ملك الملوك.

صار طُغج من كبار قوّاد خُمارويّه، ثم سار إلى بغداد فعظّموه فبدا منه كبر وتيه في حقّ الوزير، فسُجن هو وابنه هذا، فمات في السّجن ثم أطلق محمد، وجرت له أمور طويلة إلى أن تملك.

وكان بطلاً شجاعاً حازماً يقظاً مهيباً سعيداً في حروبه مكرماً لأجناده شديد الأيد^(٣) لا يكاد أن يجرّ أحد قوسه.

بلغ عدّة مماليكه ثمانية آلاف. وله جماعة أولاد تملّكوا بعده.

توفيّ بدمشق، سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة عن ست وستين سنة ثم نُقل، فُدفن ببيت المقدس غفر الله له.

(١) انظر السير: ٣٦٦-٣٦٥ / ١٥.

(٢) هذه ولايته الأولى، ودامت اثنتين وثلاثين يوماً. ولم يدخل مصر فيها، أما ولايته الثانية والتي دامت إلى أن مات.. فكانت سنة ٣٢٢هـ. (٣) القوة.

وقد حاربه ابنُ رائق فَهَزَمَهُ الإِخْشِيدُ، ثم سارَ أَخُو الإِخْشِيدِ، فالتقى ابنَ رائقٍ فَقُتِلَ. فنَدِمَ ابنُ رائقٍ، وبعثَ ابنَه مَزاحِمًا إلى الإِخْشِيدِ لِيَقْتُلَهُ بِأَخِيهِ، فَعَفَا، وخلعَ على مَزاحِمٍ، وردَّه إلى أبيه.

٦٦٤ - الشُّبْلِيُّ^(١)

[١] شيخُ الطائفةِ، أبو بكر الشُّبْلِيُّ^(٢) البَغْدَادِيُّ. قيل: اسمه دُلْفُ بْنُ جَحْدَرٍ. وكان أبوه من كبار حُجَّابِ الخلافة. وولِيَّ هو حِجَابَةُ أَبِي أَحْمَدَ المَوْفِقِ،^(٣) ثم لما عُزِلَ أبو أَحْمَدَ من ولاية، حَضَرَ الشُّبْلِيُّ مجلسَ بعضِ الصَّالِحِينَ، فتاب ثُمَّ صَحِبَ الجُنَيْدَ وَغَيْرَهُ، وصار مِنْ شأنه ما صار.

[٢] وكان فقيهاً عارِفاً بمذهب مالك، وكتبَ الحديثَ عن طائفةٍ. وقال الشُّعْرُ، وله ألفاظٌ وحِكمٌ وتمكُنَ، لكنَّه كان يحْصُلُ له جفافٌ دِماغٍ وسُكْرٌ. فيقول أشياء يُعْتَذِرُ عنه فيها.

وقيل: إِنَّ ابنَ مُجَاهِدٍ، قال له: أين في العلمِ إفسادٌ ما ينفع؟ قال: قوله: «فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ والأَعْنَاقِ». ^(٤) ولكن يا مَقْرِيءُ أين معك أن المحبَّ لا يُعَذِّبُ حَبِيْبَهُ؟ فسكتَ ابنُ مُجَاهِدٍ قال قوله: «نحنُ أبناءُ الله وأَحِبَّاءُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ؟» ^(٥).

وكان رحمه الله لَهْجاً بالشُّعْرِ الغَزَلِ والمحبَّةِ. وله ذوقٌ في ذلك وله مجاهداتٌ عجيبةٌ انحرف منها مزاجه.

قال السُّلَمِيُّ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الحَسَنِ، سَمِعْتُ الشُّبْلِيَّ، يقول: أَعْرِفُ من لَمْ يدخل في هذا الشَّانِ حَتَّى أَنْفَقَ جَمِيعَ مَلِكِهِ، وَغَرَّقَ سَبْعِينَ قِمْطَرًا

(١) انظر السير: ٣٦٧-٣٦٩.

(٢) هذه النسبة إلى قرية من قرى أشروسنة - بلدة عظيمة وراء سمرقند يقال لها: الشبلية.

(٣) ابن الخليفة المتوكل، وأخو الخليفة المعتمد.

(٤) ذلك لأنه كان من شأن الشبلية إذا لبس شيئاً خرق فيه موضعاً. وفي الاستشهاد بالآية نظر.

(٥) المائدة: ١٨.

بخطه، في دجلة التي ترون، وحَفِظَ «الموطأ»، وتلا بكذا وكذا قراءة يعني: نفسه.

وسُئِلَ: ما علامة العارف؟ قال: صدره مشروح، وقلبه مجروح، وجسمه مطروح.

توفي ببغداد سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة. عن نيّفِ وثمانين سنة.

٦٦٥ - الحُبلي^(١)

[١] الإمام الشهيد قاضي مدينة بَرْقَة، محمد بن الحُبلي. أتاه أمير بَرْقَة، فقال: غداً العيد، قال: حتى نرى الهلال ولا أفطر الناس، وأنقلد إثمهم، فقال: بهذا جاء كتاب المنصور - وكان هذا من رأي العبيدية يفطرون بالحساب، ولا يعتبرون رؤية - فلم يُر هلال، فأصبح الأمير بالطبول والبُناد وأهبة العيد. فقال القاضي: لا أخرج ولا أصلي، فأمر الأمير رجلاً خطب. وكتبَ بما جرى إلى المنصور فطلب القاضي إليه، فأحضر، فقال له: تنصّل، وأعفو عنك، فامتنع فأمر، فعُلّق في الشمس إلى أن مات، وكان يستغيث العطش، فلم يُسقَ ثم صلبوه على خشبة. فلعنة الله على الظالمين.

٦٦٦ - ابن دينار^(٢)

[٢] الإمام الفقيه المأمون الزاهد العابد، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن دينار، النيسابوري الحنفي.

عظمه الحاكم ونجّله، وقال: كان يصومُ النهار، ويقومُ الليل، ويصبرُ على الفقر. ما رأيتُ في مشايخ أصحاب الرأي أعبدَ منه.

(١) انظر السير: ١٥ / ٣٧٤.

(٢) انظر السير: ١٥ / ٣٨٢-٣٨٣.

وكان يحجُّ ويغزو، وكان عارفاً بالمذهب، سار ليحجَّ فتوفي غريباً ببغداد،
رحمه الله ورضي عنه.

وقال الخطيب: ثِقَّةٌ توفي سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاث مئة.
وكان قد رَغِبَ عن الفِتْوَى لاشتغاله بالعبادة مع صَبْرٍ على الفَقْرِ وكان يأْكُلُ
مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، ويتصدَّق، ويؤثِّر ويحجُّ في كلِّ عشرِ سنين ويغزو كلَّ ثلاث
سنين، وكان كثير الرواية.
قال مرَّةً: ابني يحبُّ الدُّنيا، والله يبغضُها، ولا أحبُّ مَنْ يحبُّ ما يبغضُه
الله.

٦٦٧ - القَرْمِيسِينِيُّ^(١)

[١] شيخُ الصُّوفية، أبو إسحاق، إبراهيمُ بنُ شَيْبَانَ، القَرْمِيسِينِيُّ^(٢) زاهدُ الجَبَلِ.
[٢] سئِلَ عبدُالله بنُ منازل الزَّاهدُ عنه، فقال: هو حُجَّةُ الله على الفُقَرَاءِ وأهلِ
المعاملات والآداب.

[٣] وعن إبراهيم، قال: مَنْ أراد أن يتعَطَّلَ ويتبَطَّلَ، فليلزمِ الرُّخصَ.
[٤] وقال: علِّمُ الفَنَاءَ والبقاء يدور على إخلاصِ الوَحْدَانِيَّةِ، وصحَّةِ العبوديَّةِ، وما
كان غير هذا فهو من المَغَالِطَةِ والزَّنْدَقَةِ.

[٥] قلتُ: صدقتَ والله، فإنَّ الفَنَاءَ والبقاء من تُرْهَاتِ الصُّوفِيَّةِ أطلقه بعضهم،
فَدَخَلَ من بابهِ كُلُّ إلْحَادِيٍّ وكُلُّ زنديقٍ، وقالوا: ما سوى الله باطلٌ فان، والله
تعالى هو الباقي، وهو هذه الكائنات، وما ثمَّ شيءٌ غيره.

ويقول شاعرهم:

وما أنت غيرَ الكون بل أنت عَيْنُهُ

ويقول الآخر:

(١) انظر السير: ٣٩٢-٣٩٤.

(٢) هذه النسبة إلى «قرميسين» وهي بلدة بجبال العراق، على ثلاثين فرسخاً من همدان عند دِينُور، على طريق
الحاج.

وما ثمَّ إلا الله ليس سواه.

فانظر إلى هذا المروق والضلال، بل كل ما سوى الله مُحدثٌ موجود.
قال الله تعالى:

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

وإنما أراد قدماء الصوفية بالفناء نسيان المخلوقات وتركها وفناء النفس عن التشاغل بما سوى الله، ولا يُسلم إليهم هذا أيضاً بل أمرنا الله ورسوله بالتشاغل بالمخلوقات ورؤيتها والإقبال عليها وتعظيم خالقها، قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾.

وقال:

﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

وقال عليه السلام: «حُبَّ إِلَيَّ النِّسَاءَ وَالطُّيْبَ».

وكان يحب عائشة، ويحب أباه، ويحب أسامه، ويحب سبطيه، ويحب الحلواء والعسل، ويحب جبل أحد، ويحب وطنه، ويحب الأنصار، إلى أشياء لا تحصى مما لا يغني المؤمن عنها قط.
توفي سنة سبعٍ وثلاثين وثلاث مائة.

٦٦٨ - أبو ميسرة^(١)

[١] فقيه المغرب، أبو ميسرة، أحمد بن نزار، القيرواني المالكي من العلماء العاملين.

[٢] وكان يختم كل ليلة في مسجده، فرأى ليلة نورا قد خرج من الحائط وقال: تملأ من وجهي، فأنا ربك، فبصق في وجهه، وقال: اذهب يا معلون. فظفيء النور.

[٣] وقع في ذهن المنصور أن أبا ميسرة لا يرى الخروج عليه، فأراد له ليوليه القضاء، فقال: كيف يلي القضاء رجل أعمى، يقول تحته، فما علم أحد بضرره

(١) انظر السير: ٣٩٥-٣٩٦.

إلا يومئذ، فقال: اللهم إنك تعلم أنني انقطعت إليك وأنا شاب، فلا تمكّنهم مني، فما جاءت العَصْرُ إلا وهو من أهل الآخرة. فوجه إليه المنصور بكفن وطيب.

توفي سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاث مئة وكان مجاب الدعوة رحمه الله.
[١] وقال لرجل: يا أخي فائدة الاجتماع الدعاء. فادع لي إذا ذكرتني، وأدعوك إذا ذكرتك فنكون كأننا التقينا وإن لم نلتق.

٦٦٩ - علي بن حمّشاذ^(١)

[٢] ابن سَخْتويه بن نصر، العَدْلُ الثَّقَةُ الحافظُ الإمامُ شيخُ نَيْسابور أبو الحسن النَيْسابوري، صاحبُ التّصانيف، وُلِدَ سنة ثمانٍ وخمسين ومِثْنين.
قال الحاكم: قرأ علينا بكرة الجمعة نصفَ جزء، ثم قمنا نتأهب للصلاة فلما صلينا، قعدت ساعة، فسمعت المنادي يصيح بجنائزته، فصحت وقلت: هذا كذب، وإذا هو قد دخل الحَمَامَ فمات فيه، وذلك سنة ثمانٍ وثلاثين.
[٣] وسمعتُ أبا بكر بن اسحاق يقول: صحبتُ عليّ بن حمّشاذ في الحضر والسفر، فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة.
[٤] قال: وسمعت عبد الله ولده يقول: ما أعلم أن أبي ترك قيام الليل.

٦٧٠ - عمادُ الدَّولة^(٢)

السُّلطان الكبير، عمادُ الدَّولة، أبو الحسن، عليّ بن بُويه بن فناخسروا الديلمي.

صاحبُ ممالكِ فارس، وأخو الملكين: معزّ الدَّولة أحمد، وركن الدَّولة

(١) انظر السير: ٤٠٠-٣٩٨ / ١٥.

(٢) انظر السير: ٤٠٣-٤٠٢ / ١٥.

الحسن، فكان عمادُ الدولة أوَّل مَنْ تملَّك البلاد بعد أن كان قائداً كبيراً من قوَّاد الدَّيْلَم.

وكان أبوهم بُويْه يصطاد السَّمَك، ثم آل بأولاده الأمرُ إلى مُلك البلاد ثم تملَّك من بعد العماد وَلَدُ أخيه عضدُ الدولة بن ركن الدولة. وكانت دولةُ العماد ست عشرة سنة، وعاش بضعا وخمسين سنة. توفي سنة ثمانٍ وثلاثين.

[١] ولما تملَّك شيراز، طالبه قوَّاده بالأموال، وثاروا عليه، فاغتمَّ لذلك، واستلقى، فرأى حَيَّةً في السَّقْف، ففزعَ ودعا الفَرَّاشين فنصبوا سُلماً، فوجدوا غُرْفَةً يُدخل إليها، فأمرهم بفتحها ففتحت، فوجدوا فيها صناديق فيها قدرُ خمسِ مئة ألفِ دينار، فانزلت، ففرح، وأنفق في الجيش. [٢] ثم إنه طلب خيَّاطاً ليفصِّل له، وكان أطروشاً، ففزعَ وجاوبه عما لم يُسأل عنه، وحلَّف أنه ليس عنده سوى اثني عشر صُندوقاً وديعةً فتعجَّب عمادُ الدولة، وأحضرت إليه، فإذا فيها أموال وثياب وديّاج فكان ذلك من سعادته المقبلة، ولا عَقِب له.

٦٧١ - ابنُ الأعرابي^(١)

[٣] أحمدُ بنُ محمد بن زياد، الإمامُ المحدثُ القدوةُ الحافظُ شيخُ الإسلام، أبوسعيد بنُ الأعرابي البَصْرِيّ الصُّوفي، نزيل مكة، وشيخ الحرم. وما هو بابنُ محمد بن زياد الأعرابي اللُّغوي، ذاك ماتَ قبل أن يولَد هذا بأعوامٍ عدَّة.

ولد سنة نيِّف وأربعين ومئتين، وكان كبيرَ الشَّان، بعيدَ الصَّيت، عالي الإسناد.

[٤] قال أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ: سمعت محمد بن الحسن الخشاب، سمعت

(١) انظر السير: ٤١٢-٤٠٧ / ١٥.

ابن الأعرابي يقول: المعرفة كلها الاعتراف بالجهل، والتصوف كله ترك الفضول، والزهد كله أخذ ما لا بد منه، والمعاملة كلها استعمال الأولى فالأولى، والرضى كله ترك الاعتراض، والعافية كلها سقوط التكلف بلا تكلف. وكان رحمه الله قد صحب الجنيد، وأبا أحمد القلانسي.

وعمل تاريخاً للبصرة لم أره. أما كتابه في (طبقات النساك) فنقلت منه. [١] قال: فإذا سمعت الرجل يسأل عن الجمع أو الفناء، أو يجيب فيهما، فاعلم أنه فارغ، ليس من أهل ذلك، إذ أهلها لا يسألون عنه لعلمهم أنه لا يدرك بالوصف.

[٢] قلت: إي والله، دققوا وعمقوا، وخاضوا في أسرار عظمة ما معهم على دعوهم فيها سوى ظن وخيال، ولا وجود لتلك الأحوال من الفناء والمحو والصحو والسكر إلا مجرد خطرات ووساوس، ما تفوه بعباراتهم صديق، ولا صاحب، ولا إمام من التابعين، فإن طالبتهم بدعائهم مقتوك، وقالوا: محجوب، وإن سلّمت لهم قيادك تخبط ما معك من الإيمان، وهبط بك الحال على الحيرة والمحال، ورمقت العباد بعين المقت، وأهل القرآن والحديث بعين البعد، وقلت: مساكين محجوبون. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

[٣] فإنما التصوف والتأله والسلوك والسير والمحبة ما جاء عن أصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، من الرضا عن الله، ولزوم تقوى الله، والجهاد في سبيل الله، والتأدب بأداب الشريعة من التلاوة بترتيل وتدبر، والقيام بخشية وخشوع، وصوم وقت، وإفطار وقت، وبذل المعروف، وكثرة الإيثار، وتعليم العوام، والتواضع للمؤمنين، والتعزز على الكافرين، ومع هذا فالله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

[٤] والعالم إذا عري من التصوف والتأله، فهو فارغ، كما أن الصوفي إذا عري من علم السنة، زل عن سواء السبيل.

[٥] وقد كان ابن الأعرابي من علماء الصوفية، فتراه لا يقبل شيئاً من اصطلاحات

الْقَوْمَ إِلَّا بِحُجَّةٍ.
تُوفِّي بِمَكَّةَ، سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ. وَلَهُ أَرْبَعُ وَتِسْعُونَ سَنَةً وَأَشْهُرَ.

٦٧٢ - خَيْثَمَةُ (١)

[١] الإمامُ الثِّقَةُ الْمُعَمَّرُ، مُحَدِّثُ الشَّامِ، أَبُو الْحَسَنِ، خَيْثَمَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ حَيْدَرَةَ، الْقُرَشِيُّ الشَّامِيُّ الْأَطْرَابُلُسِيُّ، مُصَنِّفُ «فَضَائِلِ الصُّحَابَةِ».

كَانَ رَحَالًا جَوَالًا صَاحِبَ حَدِيثٍ. وَلَدَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِثْنِينَ.

وَعُمِّرَ وَرُحِّلَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَفَاقِ، وَقَدِمَ إِلَى دِمَشْقَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ، فَحَدَّثَ بِهَا.

[٢] قَالَ ابْنُ أَبِي كَامِلٍ: سَمِعْتُ خَيْثَمَةَ بْنَ سُلَيْمَانَ يَقُولُ: رَكِبْتُ الْبَحْرَ وَقَصَدْتُ

جَبَلَةَ لِأَسْمَعَ مِنْ يَوْسَفَ بْنِ بَحْرٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ، فَلَقِينَا مَرْكَبٌ - يَعْنِي

لِلْعَدُوِّ - قَالَ: فَقَاتَلْنَاهُ، ثُمَّ سَلَّمُ مَرْكَبَنَا قَوْمٌ مِنْ مَقَدَّمِهِ، قَالَ: فَأَخَذُونِي، ثُمَّ

ضَرَبُونِي، وَكَتَبُوا أَسْمَاءَنَا، فَقَالُوا: مَا اسْمُكَ؟ قُلْتُ: خَيْثَمَةُ، فَقَالُوا: اكْتُبْ

حِمَارُ بْنُ حِمَارٍ. وَلَمَّا ضُرِبْتُ نِمْتُ، فَرَأَيْتُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَعَلَى بَابِهَا

جَمَاعَةٌ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: يَا شَقِي، أَيُّشٍ فَاتَكَ؟ فَقَالَتْ

أُخْرَى: أَيُّشٍ فَاتَهُ؟ قَالَتْ: لَوْ قُتِلَ لَكَانَ فِي الْجَنَّةِ مَعَ الْحُورِ، قَالَتْ لَهَا: لِأَنَّ

يَرْزُقُهُ اللَّهُ الشَّهَادَةَ فِي عِزٍّ مِنَ الْإِسْلَامِ وَذَلٌّ مِنَ الشُّرْكِ خَيْرٌ لَهُ. ثُمَّ انْتَبَهْتُ. قَالَ:

وَرَأَيْتُ كَأَنَّ مَنْ يَقُولُ لِي: اقْرَأْ لِي: اقْرَأْ بَرَاءَةَ فَقَرَأْتُ إِلَى ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ

أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ (التوبة: ٢) قَالَ: فَعَدَدْتُ مِنْ لَيْلَةِ الرُّؤْيَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَفَكَ اللَّهُ

أَسْرِي.

تُوفِّي سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ.

(١) انظر السير: ٤١٢-٤١٦.

٦٧٣ - الفَارَابِيُّ^(١)

شيخُ الفَلَسَفَةِ الحَكِيمِ، أَبُو نَضْرٍ، مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَرْخَانَ بْنِ أَوْزَلَنْجٍ، التُّرْكِيُّ الْفَارَابِيُّ الْمَنْطِقِيُّ، أَحَدُ الْأَذْكِيَاءِ.

له تصانيفٌ مشهورةٌ، من ابتغى الهدى منها، ضلَّ وحارَّ، منها تَخْرُجُ ابْنُ سِينَا، نسأل الله التوفيق.

وقد أحكم أَبُو نَضْرٍ العَرَبِيَّةَ بِالْعِرَاقِ، وَلَقِيَ مَتَّى بْنَ يُونُسَ^(٢) صَاحِبَ الْمَنْطِقِ، فَأَخَذَ عَنْهُ، وَسَارَ إِلَى حِرَّانَ، فَلَزِمَ بِهَا يُوْحَنَّا بْنَ جَبَلَانَ النَّصْرَانِيَّ، وَسَارَ إِلَى مِصْرَ، وَسَكَنَ دِمَشْقَ.

وكان يحبُّ الْوَحْدَةَ، وَيَصْنِفُ فِي الْمَوَاضِعِ النَّزْهَةِ، وَقَلَّ مَا يَبْيُضُّ مِنْهَا. وكان يَتَزَهَّدُ زُهْدَ الْفَلَّاسَةِ، وَلَا يَحْتَفِلُ بِمَلْبَسٍ وَلَا مَنْزِلٍ. أَجْرَى عَلَيْهِ ابْنُ حَمْدَانَ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ.

ويقال: إِنَّهُمْ سَأَلُوهُ أَنْتَ أَعْلَمُ أَوْ أَرِسْطُو؟ فَقَالَ: لَوْ أَدْرَكْتُهُ لَكُنْتُ أَكْبَرَ تَلَامِذَتِهِ.

ولأبي نَضْرٍ نَظْمٌ جَيِّدٌ، وَأَدْعِيَةٌ مَلِيحَةٌ عَلَى اصْطِلَاحِ الْحُكَمَاءِ. ذَكَرَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ أَبِي أَصْبِعَةَ، وَسَرَدَ أَسَامِي مَصْنُفَاتِهِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ. مِنْهَا مَقَالَةٌ فِي إِبْثَابِ الْكِيمِيَاءِ. وَسَائِرُ تَوَالِيفِهِ فِي الرِّيَاضِيِّ وَالْإِلَهِيِّ. وَبِدِمَشْقِ كَانَ مَوْتُهُ، سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِ مِائَةٍ عَنْ نَحْوِ مِنْ ثَمَانِينَ سَنَةً.

٦٧٤ - الْكَرْخِيُّ^(٣)

الشيخُ الإمامُ الزَّاهِدُ، مَقْشِي الْعِرَاقِ، شَيْخُ الْحَنْفِيَّةِ، أَبُو الْحَسَنِ، عُيَيْدُ اللَّهِ

(١) انظر السير: ٤١٦-٤١٨.

(٢) إليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره، وكان نصرانياً، توفي ببغداد سنة ٣٢٨هـ. انظر «طبقات الأطباء»:

٣١٧، واسمه فيه «متى بن يوان». (٣) انظر السير: ٤٢٦-٤٢٧.

ابن الحسين بن دلال، البغدادي الكرخي الفقيه. انتهت إليه رئاسة المذهب، وانتشرت تلامذته في البلاد، واشتهر اسمه وبعد صيته، وكان من العلماء العباد ذا تهجد وأزاد وتأله، وصبر على الفقر والحاجة، وزهد تام، ووقع في النفوس، ومن كبار تلامذته أبو بكر الرازي، وعاش ثمانين سنة.

[١] أبو القاسم بن علان الواسطي، لما أصاب أبا الحسن الكرخي الفالج في آخر عمره، حضرته، وحضر أصحابه: أبو بكر الدامغاني وأبو علي الشاشي، وأبو عبد الله البصري، فقالوا: هذا مريض يحتاج إلى نفقة وعلاج، والشيخ مقل ولا ينبغي أن نبذله للناس فكتبوا إلى سيف الدولة بن حمدان، فأحسن الشيخ بما هم فيه، فبكى وقال: اللهم لا تجعل رزقي إلا من حيث عودتي، فمات قبل أن يحمل إليه شيء. ثم جاء من سيف الدولة عشرة آلاف درهم، فتصدق بها عنه.

توفي رحمه الله في سنة أربعين وثلاث مئة. وكان رأساً في الاعتزال، الله يسامحه.

٦٧٥ - ابن الحداد^(١)

[٢] الإمام العلامة الثبت، شيخ الإسلام، عالم العصر، أبو بكر محمد بن أحمد ابن محمد، الكِناني المِصري الشافعي ابن الحداد. ولد سنة أربع وستين ومئتين.

لازم النسائي كثيراً، وتخرج به، وعول عليه، واكتفى به وقال: جعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى، وكان في العلم بحراً لا تكدره الدلاء، وله لسن وبلاغة وبصر بالحديث ورجاله، وعربية متقنة، وباع مديد في الفقه لا يجارى فيه، مع التأله والعبادة والتواقل وبعد الصيت، والعظمة في النفوس.

(١) انظر السير: ١٥ / ٤٤٥-٤٥١.

ذكره ابن زُؤلاق - وكان من أصحابه - فقال: كان تَقِيًّا متعبداً يحسن علوماً كثيرة: عِلْمَ الْقُرْآنِ وَعِلْمَ الْحَدِيثِ، وَالرِّجَالِ، وَالْكُنَى واختلافِ الْعُلَمَاءِ وَالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالشُّعْرِ، وَأَيَّامِ النَّاسِ، وَيَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَيَصُومُ يَوْماً وَيَفْطُرُ يَوْماً. كان من محاسن مَضَرٍ إِلَى أَنْ قَالَ: وَكَانَ طَوِيلَ اللِّسَانِ، حَسَنَ الثِّيَابِ وَالْمَرْكُوبِ، غَيْرَ مَطْعُونٍ عَلَيْهِ فِي لَفْظٍ وَلَا فِعْلٍ، وَكَانَ حَادِقاً بِالْقَضَاءِ.

[١] قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: سَمِعْتُ الدَّارِقُطَنِيَّ، سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ ابْنَ مُحَمَّدٍ النَّسَوِيَّ الْمَعْدَلِيَّ بِمَضَرَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَ بْنَ الْحَدَّادِ، يَقُولُ: أَخَذْتُ نَفْسِي بِمَا رَوَاهُ الرَّبِيعُ عَنِ الشَّافِعِيِّ، أَنَّهُ كَانَ يَخْتِمُ فِي رَمَضَانَ سِتِينَ خَتْمَةً، سَوَى مَا يَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ، فَأَكْثَرَ مَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ تِسْعاً وَخَمْسِينَ خَتْمَةً. وَأَتَيْتُ فِي غَيْرِ رَمَضَانَ بِثَلَاثِينَ خَتْمَةً.

قَالَ: وَمَاتَ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ الْمُقَطَّمِ عِنْدَ قَبْرِ والدته، وَحَضَرَ جَنَازَتَهُ الْمَلِكُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْإِخْشِيدِ، وَأَبُو الْمَسْكِ كَافُورٌ، وَالْأَعْيَانُ، وَكَانَ نَسِيجَ وَحْدِهِ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ وَاللُّغَةِ، وَالتَّوَسُّعِ فِي عِلْمِ الْفِقْهِ. وَكَانَتْ لَهُ حَلَقَةٌ مِنْ سَنِينَ كَثِيرَةٍ يَغْشَاهَا الْمُسْلِمُونَ وَكَانَ جَدّاً كُلَّهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ. فَمَا خَلَّفَ بِمَضَرَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ.

وَفِي ابْنِ الْحَدَّادِ، يَقُولُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَحْجَالِ:

الشَّافِعِيُّ تَفَقَّهًا وَالْأَصْمَعِيُّ تَفَنُّناً وَالتَّابِعِينَ تَزْهَداً

[٢] قَالَ ابْنُ زُؤَلَاقٍ: وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حَسَنٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الْحَدَّادِ يَقُولُ: كُنْتُ فِي مَجْلَسِ ابْنِ الْإِخْشِيدِ، يَعْنِي: مَلِكِ مَضَرَ، فَلَمَّا قُمْنَا أَمْسَكَنِي وَحْدِي، فَقَالَ: أَيُّمَا أَفْضَلَ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، أَوْ عَلِيٌّ؟ فَقُلْتُ: اثْنَيْنِ حِذَاءَ وَاحِدٍ، قَالَ: فَأَيُّمَا أَفْضَلَ أَبُو بَكْرٍ، أَوْ عَلِيٌّ؟ قُلْتُ: إِنْ كَانَ عِنْدَكَ فَعَلِيٌّ، وَإِنْ كَانَ بَرًّا (١)

فَأَبُو بَكْرٍ، فَضَحِكَ.

وَمَوْلَدُهُ يَوْمَ مَاتَ الْمُزْنِيُّ، تَوَفَّى سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ.

(١) بَرًّا: كَلِمَةُ مَوْلَدَةٍ بِمَعْنَى عِلَانِيَةٍ، وَمِنْهُ: «مَنْ أَصْلَحَ جَوَانِيهِ أَصْلَحَ اللَّهُ بَرَّانِيَهُ» أَيُّ: مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَانِيَتَهُ.

[١] محمد بن يعقوب بن يوسف، الإمام المحدث مُسْنِدُ الْعَصْرِ، رحلة الوقت، أبو العباس الأموي مولا هم، النُّسَنَانِيُّ الْمَعْقِلِيُّ النَّيسَابُورِيُّ الْأَصْمُ، وَلَدُ الْمُحَدِّثِ الْحَافِظِ أَبِي الْفَضْلِ الْوَرَّاقِ، وقد ارتحل بابنه أبي العباس إلى الآفاق، وَسَمِعَهُ الْكُتُبَ الْكِبَارَ.

وَحَدَّثَ «بِكِتَابِ الْأَمِّ» لِلشَّافِعِيِّ عَنِ الرَّبِيعِ، وَطَالَ عُمُرُهُ وَبَعْدَ صَيَّتِهِ، وَتَرَاحَمَ عَلَيْهِ الطُّلُبَةُ. وَجَمِيعُ مَا حَدَّثَ بِهِ إِنَّمَا رَوَاهُ مِنْ لَفْظِهِ فَإِنَّ الصَّمَمَ لِحَقِّهِ وَهُوَ شَابُّ لَهُ بَضْعَ وَعِشْرُونَ سَنَةً، بَعْدَ رَجُوعِهِ مِنَ الرَّحْلَةِ ثُمَّ تَزَايَدَ بِهِ، وَاسْتَحْكَمَ بِحَيْثُ إِنَّهُ لَا يَسْمَعُ نَهْيَ الْحِمَارِ. وَقَدْ حَدَّثَ فِي الْإِسْلَامِ سِتًّا وَسَبْعِينَ سَنَةً.

قَالَ الْحَاكِمُ: كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُقَالَ لَهُ: الْأَصْمُ، فَكَانَ إِمَامَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ الصَّبْغِيِّ، يَقُولُ: الْمَعْقِلِيُّ، قَالَ: وَكَانَ مُحَدِّثَ عَصْرِهِ، وَلَمْ يَخْتَلَفْ أَحَدٌ فِي صِدْقِهِ وَصِحَّةِ سَمَاعَاتِهِ، وَضَبَطَ أَبِيهِ يَعْقُوبَ الْوَرَّاقَ لَهَا، وَكَانَ يَرْجِعُ إِلَى حُسْنِ مَذْهَبٍ وَتَدْيِينٍ. وَبَلَغَنِي أَنَّهُ أَذِنَ سَبْعِينَ سَنَةً فِي مَسْجِدِهِ. قَالَ: وَكَانَ حَسَنَ الْخُلُقِ، سَخِيًّا النَّفْسِ، وَرَبَّمَا كَانَ يَحْتَاجُ إِلَى الشَّيْءِ لِمَعَاشِهِ فَيُورِقُ، وَيَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ، وَهَذَا الَّذِي يُعَابُ بِهِ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ عَلَى الْحَدِيثِ، إِنَّمَا كَانَ يَعْيْبُهُ بِهِ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ ذَلِكَ أَشَدَّ الْكَرَاهَةِ وَلَا يَنَاقِشُ أَحَدًا فِيهِ، إِنَّمَا كَانَ وَرَأْفَةً وَابْنَهُ يَطْلُبَانِ النَّاسَ بِذَلِكَ، فَيَكْرَهُهُ هُوَ ذَلِكَ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى مَخَالَفَتِهِمَا. سَمِعَ مِنْهُ: الْأَبَاءُ وَالْأَبْنَاءُ وَالْأَحْفَادُ، وَكَفَاهُ شَرَفًا أَنْ يُحَدِّثَ طَوِيلَ تِلْكَ السَّنِينَ، وَلَا يَجِدُ أَحَدًا فِيهِ مَغْمَزًا بِحُجَّةٍ، وَمَا رَأَيْنَا الرَّحْلَةَ فِي بِلَادٍ مِنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ أَكْثَرَ مِنْهَا إِلَيْهِ، فَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَجَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ طَرَازِ^(٢) وَإِسْبِيحَابٍ عَلَى بَابِهِ، وَكَذَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ فَارَسَ. سَمِعْتُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ يَقُولُ: وَلِدْتُ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ.

(١) انظر السير: ٤٥٢-٤٦٠.

(٢) بلد قريب من إسبجباب، من ثغور الترك. في أقصى بلاد الشاش مما يلي تركستان.

[١] أبو عبد الله الحاكم: حَضَرْتُ أبا العَبَّاسِ يوماً في مسجده، فخرج ليؤذِّن لصلاة العصر، فوقف موضع المِثْدَنَةِ، ثُمَّ قال بصوت عالٍ: أَخْبَرَنَا الرُّبَيْعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، أَخْبَرَنَا الشَّافِعِيُّ، ثُمَّ ضَحِكَ، وَضَحِكَ النَّاسُ، ثُمَّ أَذَّنَ.

[٢] قال الحاكم: سَمِعْتُ الْأَصَمَّ، وَقَدْ خَرَجَ وَنَحْنُ فِي مَسْجِدِهِ، وَقَدْ امْتَلَأَتِ السُّكَّةُ مِنَ النَّاسِ سَنَةَ إِרْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ. وَكَانَ يَمْلِي عَشِيَّةَ كُلِّ اثْنَيْنِ مِنْ أَصُولِهِ. فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى كَثَرَةِ النَّاسِ وَالْغُرَبَاءِ وَقَدْ قَامُوا يَحْمِلُونَهُ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ مِنْ بَابِ دَارِهِ إِلَى مَسْجِدِهِ، وَبَكَى طَوِيلًا، ثُمَّ قَالَ: كَأَنِّي بِهَذِهِ السُّكَّةِ لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ، فَإِنِّي لَا أَسْمَعُ وَقَدْ ضَعُفَ الْبَصَرُ، وَحَانَ الرَّحِيلُ، فَمَا كَانَ إِلَّا بَعْدَ شَهْرٍ أَوْ أَقَلٍّ مِنْهُ حَتَّى كُفِّ بَصَرُهُ، وَانْقَطَعَتِ الرَّحْلَةُ، وَانصَرَفَ الْغُرَبَاءُ، فَرَجَعَ أَمْرُهُ إِلَى أَنَّهُ كَانَ يُنَاوِلُ قَلَمًا فَيَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ الرَّوَايَةَ، فَيَقُولُ حَدَّثَنَا الرُّبَيْعُ، وَكَانَ يَحْفَظُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ حَدِيثًا، وَسَبْعَ حِكَايَاتٍ، فَيُرْوِيهَا. وَصَارَ بِأَسْوَأَ حَالٍ حَتَّى تَوَفَّى. تَوَفَّى أَبُو الْعَبَّاسِ، سَنَةَ سِتِّ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ.

٦٧٧ - الْقَطَّانُ^(١)

[٣] الإمامُ الْحَافِظُ الْقُدْوَةُ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ، أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلَمَةَ، الْقَزْوِينِيُّ الْقَطَّانُ عَالِمٌ قَزْوِين. مَوْلَدُهُ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَمِئَتَيْنِ. وَجَمَعَ وَصَنَّفَ، وَتَفَنَّنَ فِي الْعُلُومِ، وَثَابَرَ عَلَى الْقُرْبِ.

قال أَبُو يَعْلَى الْخَلِيلِيُّ: أَبُو الْحَسَنِ الْقَطَّانُ، شَيْخٌ عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْعُلُومِ وَالتَّفْسِيرِ وَالْفِقْهِ وَالنُّحُوِّ وَاللُّغَةِ.

[٤] سَمِعْتُ جَمَاعَةً مِنْ شَيْوخِ قَزْوِينِ، يَقُولُونَ: لَمْ يَرِ أَبُو الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ مِثْلَ نَفْسِهِ فِي الْفَضْلِ وَالزُّهْدِ. أَدَامَ الصِّيَامَ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَكَانَ يُفْطِرُ عَلَى الْخُبْزِ وَالْمِلْحِ، وَفَضَائِلُهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُعَدَّ.

(١) انظر السير: ١٥ / ٤٦٣-٤٦٦.

[١] وقال ابنُ فارسٍ في بعضِ أماليه: سمعتُ أبا الحسنِ القَطَّانَ بعدما علَّتْ سِنُّهُ، يقول: كنتُ حينَ رَحَلْتُ أَحْفَظُ مِثَّةَ أَلْفِ حَدِيثٍ، وأنا اليومَ لا أقومُ على حِفْظِ مِثَّةِ حَدِيثٍ.

[٢] وسمعتُهُ يقول: أصِبتُ ببصري، وأظُنُّ أني عُوقِبْتُ بكثرةِ كلامي أيامَ الرُّحْلة.

[٣] قلت: صَدَقَ اللهُ، فقد كانوا مع حُسْنِ الْقَصْدِ، وَصِحَّةِ النِّيَّةِ - غَالِباً - يخافونَ من الكلامِ، وإظهارِ المَعْرِفَةِ وَالْفَضِيلَةِ، واليومَ يكثرُونَ الكلامَ مع نَقْصِ الْعِلْمِ، وسوءِ الْقَصْدِ. ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ يَفْضَحُهُمْ وَيُلَوِّحُ جَهْلَهُمْ وهَوَاهُمْ واضطرابَهُمْ فيما عَلموه. فنسألُ اللهَ التوفيقَ والإخلاصَ.

توفيَ هذا الإمامُ في سنةِ خمسٍ وأربعين وثلاث مئة.

٦٧٨ - الصَّبْغِي^(١)

[٤] الإمامُ العَلَّامَةُ المِفْتَاحُ المَحْدَثُ، شيخُ الإسلامِ، أبو بكر أحمدُ بنُ إِسْحاقَ ابنِ أيوبَ، النِّسَابُورِيُّ الشَّافِعِيُّ المعروف بالصَّبْغِيِّ.

مُولَدُهُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِثْنِينَ.

[٥] قَالَ الْحَاكِمُ: بَقِيَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ يَفْتِي بَنِي سَابُورٍ نِيْفًا وَخَمْسِينَ سَنَةً وَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِ فِي فِتَاوِيهِ مَسْأَلَةٌ وَهَمَ فِيهَا.

سَمِعْتُ أَبَا الْفَضْلِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، يَقُولُ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ إِسْحَاقَ يَخْلُفُ إِمَامَ الْأَئِمَّةِ ابْنَ خُزَيْمَةَ فِي الْفَتَوَى بَضْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ فِي الْجَامِعِ وَغَيْرِهِ.

[٦] ثُمَّ قَالَ الْحَاكِمُ: سَمِعْتُ الشَّيْخَ أَبَا بَكْرٍ، يَقُولُ: رَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنِّي فِي دَارٍ فِيهَا عُمَرُ، وَقَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ يَسْأَلُونَهُ الْمَسَائِلَ فَأَشَارَ إِلَيَّ: أَنْ أُجِيبَهُمْ، فَمَا زِلْتُ أَسْأَلُ وَأُجِيبُ وَهُوَ يَقُولُ لِي: أَصَبْتَ امْضِ، أَصَبْتَ امْضِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا النِّجَاءُ مِنَ الدُّنْيَا أَوْ الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ فَقَالَ لِي بِأَصْبَعِهِ: الدُّعَاءُ،

(١) انظر السير: ٤٨٣/١٥ - ٤٨٨.

فأعدت عليه السؤال فجمع نفسه كأنه ساجدٌ لخضوعه. ثم قال: الدعاء.

[١] قال الحاكم: سمعتُ محمدَ بنَ حَمْدون، يقول: صَحِبْتُ أَبَا بَكْرٍ بنَ إِسْحَاقَ سَنِينَ، فما رأيته قطُّ تَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ لَا فِي سَفَرٍ وَلَا حَضَرٍ.

[٢] رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ غَيْرَ مَرَّةٍ عَقِيبَ الْأَذَانِ يَدْعُو وَيَبْكِي، وَرُبَّمَا كَانَ يَضْرِبُ بِرَأْسِهِ الْحَائِطَ، حَتَّى خَشِيتُ يَوْمًا أَنْ يَذْمَى رَأْسُهُ، وَمَا رَأَيْتُ فِي جَمَاعَةِ مَشَايِخِنَا أَحْسَنَ صَلَاةً مِنْهُ، وَكَانَ لَا يَدْعُ أَحَدًا يَغْتَابُ فِي مَجْلِسِهِ.

[٣] قال الحاكم: وَسَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ بنَ إِسْحَاقَ يَقُولُ: خَرَجْنَا مِنْ مَجْلِسِ إِبْرَاهِيمَ الْحَرَبِيِّ، وَمَعَنَا رَجُلٌ كَثِيرُ الْمُجَوْنِ، فَرَأَى أَمْرًا، فَتَقَدَّمَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ، وَصَافِحْهُ، وَقَبِّلْ عَيْنَيْهِ وَخَدَّهُ، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنَا الدَّبْرِيُّ بِصَنْعَاءَ بِإِسْنَادِهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ» فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا تَسْتَحْيِي تَلَوُّهُ وَتَكْذِيبُ فِي الْحَدِيثِ؟ - يَعْنِي: أَنَّهُ رَكَّبَ إِسْنَادًا لِلْمَتْنِ.

تَوَفَّى الصُّبْغِيُّ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ.

الطبقة العشرون

٦٧٩ - أبو النضر الطوسي^(١)

[١] الإمام الحافظ الفقيه العلامة القدوة شيخ الإسلام محمد بن محمد بن يوسف، الطوسي الشافعي، شيخ المذهب بخراسان. وُلِدَ في حدود الخمسين ومئتين.

[٢] قال الحاكم: رَحَلَتْ إليه إلى طوس مَرَّتَيْنِ، وسألته متى تَتَفَرَّغُ للتَّصْنِيفِ مع هذه الفتاوى الكثيرة؟ فقال: جَزَأْتُ اللَّيْلَ أَثْلَاثًا: فثُلُثُ أَصْنَفُ، وَثُلُثُ أُنَامُ، وَثُلُثُ أَقْرَأُ الْقُرْآنَ.

[٣] قال: وكان إماماً عابداً، بارِعَ الأدب، ما رأيت في مشايخي أحسن صلاة منه، وكان يصومُ الدَّهْرَ ويقومُ ويتصدقُ بما فَضَّلَ من قُوته وكان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر.

[٤] سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ مَنْصُورِ الْحَافِظِ، يَقُولُ: أَبُو النَّضْرِ يُفْتِي النَّاسَ مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً أَوْ نَحْوَهَا، مَا أَخِذَ عَلَيْهِ فِي فِتْوَى قَطُّ.

ثم قال الحاكم: دَخَلْتُ طُوسَ، وَأَبُو أَحْمَدَ الْحَافِظُ عَلَى قَضَائِهَا فَقَالَ لِي: مَا رَأَيْتُ قَطُّ فِي بَلَدٍ مِنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ مِثْلَ أَبِي النَّضْرِ، رَحِمَهُ اللَّهُ. مات سنة أربع وأربعين وثلاث مئة. قلت: جاوزَ السَّبعين.

٦٨٠ - أبو الوليد الفقيه^(٢)

[٥] الإمام الأَوَّحِدُ الْمُفْتِي، شَيْخُ خُرَاسَانَ أَبُو الْوَلِيدِ حَسَّانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ، النَّيْسَابُورِيُّ الشَّافِعِيُّ الْعَابِدُ. وَلَدَ بَعْدَ السَّبْعِينَ وَمِئَتَيْنِ.

(١) انظر السير: ٤٩٠-٤٩٢.

(٢) انظر السير: ٤٩٦-٤٩٢ / ١٥.

[١] ومن أغرب ما أتى به أنه قال: من كرّر الفاتحة مرتين بطلت صلاته، وهذا خلاف نص الإمام.

[٢] وقال: الحجة أن تفتّر الحاجم والمخجوم، والتزم أنه هو المذهب لصحة الأحاديث فيه. وهذا فيه نظر، لأن الإمام^(١) ما ضعف الأحاديث، بل ادّعى نسخها.

[٣] قال الحاكم: سمعت الأستاذ أبا الوليد، يقول: قال لي أبي: أي شيء تجمع؟ قلت: أخرج على كتاب البخاري، فقال: عليك بكتاب مسلم، فإنه أكثر بركة، فإن البخاري كان ينسب إلى اللفظ.

[٤] قال محمد بن الذهبي: ومسلم أيضاً نسب إلى اللفظ، ألا تراه كيف قام من مجلس الذهلي على رأس الملا لما قال: ألا من كان يقول بقول محمد بن إسماعيل، فلا يقرئنا؟ فهذه مسألة مشكّلة، وقد كان أحمد بن حنبل وغيره لا يرون الخوض في هذه المسألة، مع أن البخاري - رحمه الله - ما صرح بذلك، ولا قال: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، بل قال: أفعالنا مخلوقة، والمقروء الملفوظ هو كلام الله تعالى، وليس بمخلوق، فالسكوت عن توسّع العبارات أسلم للإنسان. ولقد كان أبو الوليد هذا من أركان الدين.

قال الحاكم: أرانا أبو الوليد نقش خاتمه «الله ثقة حسان بن محمد»، وقال: أرانا عبد الملك بن محمد بن عديّ نقش خاتمه «الله ثقة عبد الملك بن محمد» وقال: أرانا الربيع نقش خاتمه «الله ثقة الربيع بن سليمان»، وقال: كان نقش خاتم الشافعي: «الله ثقة محمد بن إدريس».

مات أبو الوليد، سنة تسع وأربعين وثلاث مئة عن اثنين وسبعين سنة^(٢).

٦٨١ - أبو وهب

[٥] زاهد الأندلس، جمع ابن بشكوال أخباره في جزء مفرد.

(١) أي الشافعي رحمه الله.

(٢) انظر السير: ٥٠٨٥٠٦ / ١٥.

[١] قال أبو جعفر بن عَوْن الله: سمعته يقول: لا عائق الأَبكار في جنات النعيم والنَّاسُ غداً في الحِسَابِ إلا مَنْ عانق الدُّلَّ، وضاجع الصَّبْرَ، وخرج منها كما دخل فيها. ما رُزِقَ امرؤ مثلَ عافية، ولا تصدَّق بمثل مَوْعظة، ولا سأل مثل مَغْفرة.

[٢] وعن خالد بن سعيد، قال: قيل: إِنَّ أبا وهبٍ عَبَّاسِيٌّ، وكان لا يَنْتَسِبُ، وكان صَاحِبَ عُرْلَةٍ، باع ماعونه قبل موته. فقيل: ما هذا؟ قال: أريد سفراً، فمات بعد أيامٍ يسيرة.

[٣] وعن ابن حَفْصُون، قال: قلت لأبي وَهْب: تعلم أني كبير الدَّار فاسكن معي، وأخدمك وأشاركك في الحُلُو والمُرِّ، قال: لا أفعل، إني طَلَقْتُ الدُّنْيَا بِالْأَمْسِ، أفأراجعها اليوم؟ فالمطلَّق إنما يطلق المرأة بعد سوء خُلُقِها، وَقَلَّةِ خيرها، وليس في العقل الرجوعُ الى مكروهه، وفي الحديث «لا يُلْدَغُ مؤمِنٌ مِنْ جُحْرِ مرتين».

[٤] وقال فقير: فقد قُلْتُ ليلةً لأبي وَهْب: قُمْ بنا لزيارة فلان، قال: وأين العِلْم؟ وليَّ الأمر له طاعة، وقد منع من المشي ليلاً.

[٥] قال يونس بن مغيث: طرأ أبو وَهْب إلى قُرْطُبَةَ، وكان جليلاً في الخير والزُّهْد، يقال: إنه من ولد العَبَّاسِ، وكان يقصِّده الزُّهَّاد ويألفونه، وإذا جاءه مَنْ ينكر مِنْ النَّاسِ تَبَّاله وتولَّه، وإذا قيل له: مِنْ أين أنت؟ قال: ابنُ آدم ولا يزيد. وأخبرني مَنْ صَحَبَهُ، أَنَّهُ يُقْضِي منه جليسه إلى عِلْمٍ وحِلْمٍ ويقتين في الفقه والحديث. وقيل: كان ربما جَلَبَ من النَّبات ما يقوته.

توفي سنة أربعٍ وأربعين وثلاث مئة. وقبره يُزار.

٦٨٢ - أبو عُمَرَ الزَّاهِدُ ^(١)

الإمامُ الأَوَّحدُ العَلَّامةُ اللُّغَوِيُّ المَحَدِّثُ، أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي

(١) انظر السير: ٥١٣-٥٠٨ / ١٥.

هاشم، البغدادي الزاهد، المعروف بـ غلام ثعلب.

ولد سنة إحدى وستين ومئتين.

لازم ثعلباً في العربية، فأكثر عنه إلى الغاية، وهو في عداد الشيوخ في الحديث لا الحفاظ، وإنما ذكرته لسعة حفظه للسان العرب وصدقته وعلو إسناده.

[١] قال أبو الحسن ابن المرزبان: كان أبو محمد بن ماسي من دار كعب يُنفذ إلى أبي عمر غلام ثعلب وقتاً بعد وقت كفايته ما يُنفق على نفسه فقطع ذلك عنه مدة لعذر، ثم أنفذ إليه جملة ما كان في رسمه، وكتب إليه يعتذر، فردّه، وأمر أن يُكتب على ظهر رُفْعته: أكرمتنا فملكنا ثم أعرضت عنا، فأرحمتنا.

[٢] قلت: هو كما قال أبو عمر، لكنه لم يُجمل في الرد، فإن كان قد ملكه بإحسانه القديم، فالتملك بحاله، وجبر التأخير بمجيئه جملة وباعتذاره، ولو أنه قال: وتركنا فأعتقنا، لكان أليق.

[٣] قال: وأخبرني عباس بن عمر، سمعت أبا عمر الزاهد، يقول: ترك قضاء حقوق الإخوان مدلة، وفي قضاء حقوقهم رُفْعَة.

[٤] قال الخطيب: سمعت غير واحد يحكي عن أبي عمر أن الأشراف والكتاب كانوا يحضرون عنده ليسمعوا منه كتب ثعلب، وغيرها. وله جزء قد جمع فيه فضائل معاوية، فكان لا يترك واحداً منهم يقرأ عليه شيئاً حتى يبتدىء بقراءة ذلك الجزء.

وكان جماعة من أهل الأدب لا يوثقون أبا عمر في علم اللغة حتى قال لي عبيد الله بن أبي الفتح، يقال: إن أبا عمر كان لو طار طائر لقال: حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي، ثم يذكر شيئاً في معنى ذلك.

[٥] فأما الحديث فرأيت جميع شيوخنا يوثقونه فيه، وحدثنا علي بن أبي علي، عن أبيه، قال: ومن الرواة الذين لم يُرَقَطْ أحفظ منهم أبو عمر غلام ثعلب، أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة لغة فيما بلغني، وجميع كتبه إنما أملاها بغير

تصنيف، وَلِسَعَةِ حِفْظِهِ أَتُهُمْ. وَكَانَ يُسْأَلُ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي يُقَدَّرُ أَنَّ السَّائِلَ وَضَعَهُ، فَيَجِيبُ عَنْهُ، ثُمَّ يَسْأَلُهُ غَيْرُهُ بَعْدَ سَنَةٍ، فَيَجِيبُ بِجَوَابِهِ.

[١] قَالَ الْخَطِيبُ: حَكَى لِي رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ عَمَّنْ حَدَّثَهُ، أَنَّ أَبَا عَمْرٍو الزَّاهِدَ، كَانَ يُؤَدِّبُ وَلَدَ أَبِي عَمْرٍو مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسَفَ الْقَاضِي، فَأَمْلَى يَوْمًا عَلَى الْغُلَامِ ثَلَاثِينَ مَسْأَلَةً فِي اللُّغَةِ، وَخَتَمَهَا بِيَتَيْنِ. قَالَ: فَحَضَرَ ابْنُ دُرَيْدٍ، وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ، وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ مِقْسَمٍ عِنْدَ الْقَاضِي، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْمَسَائِلَ فَمَا عَرَفُوا مِنْهَا شَيْئًا، وَأَنْكَرُوا الشَّعْرَ. فَقَالَ لَهُمُ الْقَاضِي: مَا تَقُولُونَ فِيهَا؟ فَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: أَنَا مُشْغُولٌ بِتَصْنِيفِ «مُشْكَلِ الْقُرْآنِ». وَقَالَ ابْنُ مِقْسَمٍ: وَذَكَرَ اشْتِغَالَهُ بِالْقِرَاءَاتِ، وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: هِيَ مِنْ وَضْعِ أَبِي عَمْرٍو، وَلَا أَصِلُ لَشَيْءٍ مِنْهَا فِي اللُّغَةِ، فَلَبَّغَ أَبَا عَمْرٍو، فَسَأَلَ مِنَ الْقَاضِي إِحْضَارَ دَوَاوِينَ جَمَاعَةٍ عَيْنَهُمْ لَهُ فَفَتَحَ خَزَائِنَهُ، وَأَخْرَجَ تِلْكَ الدَّوَاوِينَ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو عَمْرٍو يَعْمِدُ إِلَى كُلِّ مَسْأَلَةٍ، وَيُخْرِجُ لَهَا شَاهِدًا، وَيَعْرِضُهُ عَلَى الْقَاضِي حَتَّى تَمَّهَا، ثُمَّ قَالَ: وَالْبَيْتَانِ أَنْشَدْنَاهُمَا نَعْلَبُ بِحَضْرَةِ الْقَاضِي، وَكَتَبَهُمَا الْقَاضِي عَلَى ظَهْرِ الْكِتَابِ الْفُلَانِي، فَأَحْضَرَ الْقَاضِي الْكِتَابَ، فَوَجَدَهُمَا، وَانْتَهَى الْخَبَرُ إِلَى ابْنِ دُرَيْدٍ، فَمَا ذَكَرَ أَبَا عَمْرٍو الزَّاهِدَ بِلَفْظَةٍ حَتَّى مَاتَ.

[٢] ثُمَّ قَالَ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ: وَقَدْ رَأَيْتُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِمَّا اسْتَنَكَرَ عَلَى أَبِي عَمْرٍو، وَأَتَهُمْ فِيهَا مَدُونَةٌ فِي كُتُبِ أَئِمَّةِ الْعِلْمِ، وَخَاصَّةً فِي «غَرِيبِ الْمُصَنَّفِ» لِأَبِي عُبَيْدٍ.

[٣] وَلِلْيَشْكُرِيِّ فِي أَبِي عَمْرٍو قَصِيدَةٌ مِنْهَا:
فَلَوْ أَنَّنِي أَقْسَمْتُ مَا كُنْتُ كَاذِبًا بَأَنَّ لَمَ يَرِ الرَّأْوُونَ جَبْرًا يُعَادِلُهُ
إِذَا قُلْتُ شَارَفْنَا أَوْ أَخْرَعِ عِلْمَهُ تَفْجَرُ حَتَّى قُلْتُ هَذَا أَوْائِلُهُ
مَاتَ أَبُو عَمْرٍو، سَنَةً خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ.

٦٨٣ - أَبُو سَهْلٍ الْقَطَّانُ^(١)

[١] الإمام المحدث الثقة، مُسْنِدُ الْعِرَاقِ، أَبُو سَهْلٍ، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، الْقَطَّانُ الْبَغْدَادِيُّ.

قال الخطيب: كان صدوقاً أديباً شاعراً، راويةً للأدب عن ثعلب والمبرد، وكان يميل إلى التشيع.

[٢] قال أبو عبد الله بن بشر القطان: ما رأيت أحسن انتزاعاً لِمَا أراد من آي القرآن من أبي سهل بن زياد، وكان جارناً، وكان يُديم صلاة الليل، والتلاوة، فلكثرة درسه، صار القرآن كأنه بين عينيه.

[٣] قال الخطيب: وكان في أبي سهل مُزَاحٌ ودُعاة، سمعتُ البرقاني يقول: كرهوه لمزاح فيه، وهو صدوق.

وقال محمد بن الصوري: سمعتُ علي بن نصر بمصر يقول: كُنَّا يوماً بين يدي أبي سهل بن زياد، فأخذ شخصٌ سكيناً كانت بين يديه، فجعل ينظرُ فيها، فقال: مالك ولها؟ أتريدُ أن تسرقها كما سرقَها أنا؟ هذه سكين البغوي سرقها منه.

توفي أبو سهل، سنة خمسين وثلاث مئة. وكان مولده في سنة تسع وخمسين ومئتين.

٦٨٤ - ابْنُ كَامِلٍ^(٢)

[٤] الشَّيْخُ الإمام العلامة الحافظ القاضي، أبوبكر أحمد بن كامل بن خلف، الْبَغْدَادِيُّ، تلميذُ محمد بن جرير الطبري.

ولد سنة ستين ومئتين.

(١) انظر السير: ٥٢٢-٥٢١/١٥.

(٢) انظر السير: ٥٤٦-٥٤٤/١٥.

قال أبو الحسن بن رِزْقَوِيَه: لم تَرَ عَيْنَايَ مِثْلَه.
 قال الخطيب: كان من العُلَمَاءِ بِالْأَحْكَامِ، وعلومِ الْقُرْآنِ وَالنَّحْوِ وَالشُّعْرِ
 وَالتَّوَارِيخِ. وله في ذلك مَصْنُفَاتٌ، وَلِيَّ قَضَاءِ الْكُوفَةِ.
 [١] وقال الدَّارَقُطْنِي: كان مُتَسَاهِلًا، رُبَّمَا حَدَّثَ مِنْ حِفْظِهِ بِمَا لَيْسَ فِي كِتَابِهِ،
 وَأَهْلَكَهُ الْعُجْبُ، كان يَخْتَارُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يُقَلِّدُ أَحَدًا.
 تَوَفِّيَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ. وله تِسْعُونَ سَنَةً..
 [٢] وقال الدَّارَقُطْنِي أَيْضًا: كان لَا يَعُدُّ لِأَحَدٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَرِثَةً، أَمَلَى كِتَابًا فِي
 السُّنَنِ، وَتَكَلَّمَ عَلَى الْأَخْبَارِ.
 [٣] قال ابْنُ الدَّهْبِيِّ: كان مِنْ بَحُورِ الْعِلْمِ فَأَخْمَلَهُ الْعُجْبُ.

٦٨٥ - صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ^(١)

[٤] الْمَلِكُ الْمَلْقُبُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ، أَبُو الْمُطَرِّفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
 ابْنُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ مُحَمَّدِ بْنِ
 صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَاحِبِهَا الْحَكَمِ بْنِ صَاحِبِهَا هِشَامِ بْنِ الْأَمِيرِ
 الدَّاحِلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُرْوَانَ،
 الْمُرَوَّانِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ.
 [٥] بَانِي مَدِينَةِ الزُّهْرَاءِ، وَالَّذِي دَامَتْ دَوْلَتُهُ خَمْسِينَ سَنَةً، وَصَاحِبُ الْفُتُوحَاتِ
 الْكَثِيرَةِ، وَالْغَزَوَاتِ الْمَشْهُورَةِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَلَقَّبَ بِالْقَابِ الْخِلَافَةِ، وَذَلِكَ لَمَّا
 بَلَغَهُ قَتْلُ الْمُقْتَدِرِ، وَوَهْنُ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، فَقَالَ: أَنَا أَوْلَى بِالْإِسْمِ وَالنُّعْتِ.
 [٦] قُتِلَ أَبُو هَذَا شَابًّا وَلِهَذَا عَشْرُونَ يَوْمًا، فَكَفَلَهُ جَدُّهُ، فَلَمَّا مَاتَ جَدُّهُ، بَوِيَعَ هَذَا
 سَنَةَ ثَلَاثَ مِئَةٍ مَعَ وَجُودِ الْأَكْبَابِ مِنْ أَعِمَامِهِ وَأَعِمَامِ أَبِيهِ فَوَلِّيَ وَعَمَرَهُ اثْنَتَانِ
 وَعَشْرُونَ سَنَةً، فَضَبَطَ الْمَمَالِكَ، وَخَافَتِ الْأَعْدَاءُ، وَعَمِلَ الزُّهْرَاءُ عَلَى بَرِيدِ^(٢)

(١) انظر السير: ١٥ / ٥٦٢-٥٦٤.

(٢) البريد: اثنا عشر ميلاً.

من قُرْطُبَة، فشيدها وزخرفها، وأنفق عليها قناطير من الذهب، وكان لا يملُّ من الغزو، فيه سؤددٌ وحزم وإقدام، وسجايا حميدة.

وقد توفي الناصر قبل تتمة زخرفة مدينة الزُّهراء، فأتمها ابنه المستنصر، وبها جامعٌ عديم المثل وكذا منارته.

[١] افتتح سبعين حصناً من أعظم الحصون، وقد مدَّحته الشعراء.

قلت: توفي سنة خمسين وثلاث مئة وله اثنتان وسبعون عاماً رحمه الله.

[٢] وقد كنتُ ذكرتُ ترجمته مع جدِّهم، فأعدتُها بزوائد وفوائد، وإذا كان الرأسُ عالي الهمة في الجهاد، احتملت له هناتٌ، وحسابه على الله أما إذا أمارت الجهاد، وظلم العباد، وللخزائن أباد، فإنَّ ربَّك لبالمرصاد.

٦٨٦ - ابن الأخرم^(١)

[٣] مقررٍ دمشقي، العلامة أبو الحسن، محمد بن النضر بن مرٍّ، الربيعي الدمشقي ابن الأخرم، تلميذ هارون الأخفش الدمشقي.

كانت له حلقة عظيمة بجامع دمشق يقرؤون عليه من بعد الفجر إلى الظهر.

وقال علي بن داود الداراني: قدِم ابن الأخرم بغداداً، فأمر ابن مجاهد تلامذته أن يختلفوا إلى ابن الأخرم.

وقال الشنُّبُذِيُّ: قرأتُ عليه، فما رأيتُ أحسن معرفةً منه بالقرآن ولا أحفظاً، وكان يحفظ تفسيراً كثيراً ومعاني، حدَّثني أنَّ الأخفش حفظه.

[٤] قال محمد بن علي السلمي: قمتُ ليلةً سحراً لأخذ النبوة على ابن الأخرم، فوجدتُ قد سبقني ثلاثون قارئاً، وقال: لم تدركني النبوة إلى العصر.

توفي ابن الأخرم في سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة. وعاش إحدى وثمانين سنة.

(١) انظر السير: ١٥ / ٥٦٤-٥٦٦.

العلامة المفسر، شيخُ القُرَاء، أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد الموصلي
ثم البغداديُّ النَّقَّاش. ولد سنة ست وستين ومئتين. وهو مؤلف «شفاء الصدور»
في التفسير.

وكان واسع الرحلة، قديم اللقاء، وهو وفي القراءات أقوى منه في الروايات،
ولو تثبت في النقل لصار شيخ الإسلام.

قال أبو عمرو الداني: هو مقبول الشهادة، حدثنا فارس، سمعتُ عبد الله بن
الحسين، سمعتُ ابن شنبوذ، يقول: خرجتُ من دمشق، فإذا بقافلة فيها
النَّقَّاش، وبيده رَغيف، فقال لي: ما فعل الأخفش؟ قلتُ: توفي، قال: ثم
انصرف النَّقَّاش، وقال: قرأتُ على الأخفش.

وقال طلحة بن محمد الشاهد: كان النَّقَّاش يكذب في الحديث والغالب
عليه القصص.

وقال أبو بكر البرقاني: كلُّ حديث النَّقَّاش منكر.

وقال الحافظ هبة الله اللاكائي: تفسير النَّقَّاش إشفَى الصدور لا شفاء
الصدور. (٢)

روى أبو بكر عن أبي غالب، عن جده معاوية بن عمرو، عن زائدة عن ليث،
عن مُجاهد، عن ابن عمر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله لا
يقبلُ دعاء حبيبٍ على حبيبه».

قال الدارقطني: فرجع عنه حين قلتُ له: هو موضوع.

وقال الدارقطني: قال النَّقَّاش: كسرى أبو شروان. جعلها كنية، وكان يدعو:
لا رجعت يدُ قصدتك صفراء من عطائك. وإنما هي صفراء.

(١) انظر السير: ١٥ / ٥٧٦-٥٧٣.

(٢) الإشفَى: المثقب يخز به، يستعمله الإسكاف.

قال الخطيب: سَمِعْتُ ابْنَ الْفَضْلِ الْقَطَّانَ يَقُولُ: حَضَرْتُ النَّقَّاشَ وَهُوَ يَجُودُ
بِنَفْسِهِ فِي ثَلَاثِ شَوَّالِ سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ
﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصفات: ٦١] يُرَدِّدُهَا ثَلَاثًا. ثُمَّ خَرَجَتْ
نَفْسُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

[١] محمد بن أحمد بن إبراهيم، القاضي أبو أحمد الأصبهاني الحافظ المعروف بالعَسَّال، صاحب المصنفات.

قال الحاكم: كان أحد أئمة الحديث.

وقال أبو سعيد النقَّاش: أخبرنا أبو أحمد العَسَّال، ولم نَر مثله في الإِثقان والحفظ..

قلت: وقد رأى النقَّاش الحاكمين، والذَّارِقُطَنِي، وأبا بكر الجعَّابي، وأبا إسحاق ابن حمزة، وأخذ عنهم، وهو مع ذلك يقول هذا القول.

[٢] وقيل: إنه كان لا يُغلق بابَه عن أحد، وكان إذا توجَّه على الخصم يمينُ لا يُحلفه ما أمكنه، بل يغرم عنه ما لم يبلغ مئة دينار، فإذا بلغ المئة أو جاوزها، كان يتثبت ويدافع ويُمهل إلى المجلس الثاني، ويُحذَّر المدَّعى عليه ونال اليمين، ويخوِّفه يوم الدين، ويذكره الوقوف بين يدي ربِّ العالمين، ثم يُحلفه على كُره.

[٣] يُحكى أنه ما كان يجلسُ لإملاء الحديث، ولا يَمْسُ جزءاً إلا على طهارة، وأنه كان مرَّةً مع صهره، فدخل مسجداً، وشرع في الصلاة فختم القرآن في ركعة.

[٤] قال أبو غالب: وسمعت جدِّي يقول: سمعتُ والدي أبا إسحاق إبراهيم بن القاضي أبي أحمد العَسَّال يقول: لما مات القاضي وجلسَ بنوه للتَّعزية، فدخل رجلان في لباس سواد، وأخذَا يولولان ويقولان: وإسلاماه، فسُئلا عن حالهما، فقالا: إنا وردنا من أغمات من المغرب، لنا سنة ونصف في الطريق في الرِّحلة إلى هذا الإمام لنسمعَ منه فوافق ورودنا وفاته.

تُوفِّي القاضي أبو أحمد سنة تسعٍ وأربعين وثلاث مئة.

وكان مولده سنة تسعٍ وستين ومئتين.

٦٨٩ دَعْلَج (١)

[١] دَعْلَج بنُ أحمد بن دَعْلَج المَحْدَث، الحَجَّة الفقيه الإمام، أبو محمد السَّجِسْتَانِي، ثُمَّ البَغْدَادِي التَّاجِرُ، ذو الأموال العظيمة.

وُلد سنة تسع وخمسين ومئتين أو قبلها بقليل وسمع بعد الثَّمانين مالا يُوصف كثرةً بالحرمين، والعراق، وخراسان، والنواحي حال جولانه في التجارة.

[٢] قال الخطيب: كان دَعْلَج من ذوي اليَسَار، له وقوفٌ على أهل الحديث.

قال الخطيب: حكى لي أبو العلاء الواسطي، أن دَعْلَجاً سُئِلَ عن مفارقتِه مَكَّةَ، فقال: خرجتُ ليلةً من المسجد، فتقدَّم ثلاثة من الأعراب، فقالوا: أخُ لك من خراسان قتل أخانا، فنحن نقتلك به، فقلت: اتقوا الله، فإن خراسانَ ليست بمدينةٍ واحدة، ولم أزل بهم إلى أن اجتمع النَّاسُ وخَلُّوا عني. فهذا كان سببَ انتقالي إلى بغداد. وكان يقول: ليس في الدنيا مثلُ داري، وذلك لأنه ليس في الدنيا مثل بغداد، ولا ببغداد مثلُ محلَّة القطيعة، ولا في القطيعة مثلُ درب أبي خلف، وليس في الدَّرب مثلُ داري.

[٣] ونقل أبو بكر الخطيب حكايةً مقتضاها أن رجلاً صَلَّى الجمعة فرأى رجلاً متنسكاً لم يصل، فكلمه، فقال: استرْ عَلَيَّ، لدَعْلَج عَلَيَّ خمسة آلاف، فلما رأيته أحدثت، فبلغ ذلك دَعْلَجاً، فطلبه إلى منزله، وحلَّه من المال، ووَصَّله بمثلها لكونه رَوْعَه.

[٤] أحمد بن الحسين الواعظ، قال: أودَعَ أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشمي عشرة آلاف دينار ليتيم، فضاقت يده فأنفقها وكَبِرَ الصبي، وأُذِنَ له في قبض ماله، قال ابنُ أبي موسى: فضاقت عليَّ الأرض، وتحيرتُ، فبكرتُ على بغلتي، وقصدتُ الكَرخ فانتهت بي البغلة إلى درب السلولي ووقفت بي على باب مسجد دَعْلَج،

فدخلتُ فصليتُ خلفه الفجر، فلما انفتل رَحْبُ بي، وقُمنا فدخلنا داره، فقُدِّمتُ لنا هريسة، فأكلتُ وقصرتُ، فقال: أراك منقَبِضاً، فأخبرته، فقال: كُلْ فَإِنَّ حاجتكُ تُقضى، فلماً فرغنا، استدعى بالذهب والميزان، فوزن لي عشرة آلاف دينار وقمتُ أَطِيرُ فَرَحاً، ثم سلمتُ المالَ إلى الصَّبِيِّ بحضرة قاضي القضاة، وعظم الشاء عليّ، فلما عدتُ إلى منزلي استدعاني أمير من أولاد الخليفة فقال: قد رغبتُ في معاملتك وتضمينك أملاكِي، فضَممتُها فربحتُ في سنتي ربحاً عظيماً، وكسبتُ في ثلاث سنين ثلاثين ألف دينار، وحملتُ لدعلاج المال، فقال: سبحان الله، والله ما نويت أخذها، حلَّ بها الصَّبِيان، فقلتُ: أيُّها الشيخ، أيش أصلُ هذا المال حتى تهَبَ لي عشرة آلاف دينار؟ فقال: نشأتُ، وحفظتُ القرآن، وطلبتُ الحديث، وكنتُ أَتَبَزِرُ، فوافاني تاجر من البحر فقال: أنتَ دَعَلَجٌ؟ قلتُ: نعم. قال: قد رغبتُ في تسليم مالي إليك مضاربةً، فسَلِّمَ إليَّ برنامجات بألف درهم، وقال لي: ابسُطْ يدك فيه ولا تعلم مكاناً ينفقُ فيه المتاع إلا حملته إليه، ولم يزل يتردد إليَّ سنَّةً بعد سنة يحمل إليَّ مثل هذا والبضاعة تنمى. ثم قال: أنا كثير الأسفار في البحر، فإن هلكَتُ فهذا المالُ لك على أن تصدِّقَ منه، وتبني المساجد، فأنا أفعل مثل هذا، وقد ثَمَّرَ الله تعالى المالَ في يدي، فاكْتُمَ عليّ ما عِشْتُ.

قال الحاكم: كان السلطان لا يتعرض لِتَرْكِه، ثم لم يصبر عن أموال دَعَلَجٍ، وقيل: لم يكن في الدنيا أيسرُ منه من التجار، وتركوا أوقافه، رحمه الله.

ماتَ سنة إحدى وخمسين وثلاث ومئة.

٦٩٠ التَّجِيبِي (١)

[١] العلامة، شيخُ المالِكِيه بِقَرْطَبَة، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن مَسْرَة

(١) انظر السير: ٧٩/١٦ - ٨٠

التجبيي، مولا هم الكتاني الطليطي، نزيل قرطبة، فقيه قدوة، ورع، صالح، له حانوت في الكتان، أقرأ الفقه.

[١] قال ابن عفيف: كان من أهل العلم، والفهم، والعقل والدين المتين، والزهد، والبعد من السلطان، لا تأخذه في الله لومة لائم.

[٢] وقال ابن الفرصي: كان أبو إبراهيم حافظاً للفقه، صدرأ في الفتيا وقوراً، مهيباً، لم يكن له بالحديث كبير علم، وله كتاب «معالم الطهارة» وكان الحكم أمير المؤمنين معظماً له. وكان صلياً قليل الهيبة للملوك، اغتاب الحكم رجلاً، فسكت أبو إبراهيم ونكس برأسه فأقصر الحكم وفهم، وقد راوده على أن يأتيه بولده أحمد وهو صبي، فقال: لا يصلح الآن لذلك.

توفي أبو إبراهيم سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة.

٦٩١ الجعابي^(١)

[٣] الحافظ البارع العلامة، قاضي الموصل، أبو بكر محمد بن عمر بن محمد التميمي البغدادي الجعابي.

مولده سنة أربع وثمانين ومئتين.

[٤] قال ابن الفضل القطان: سمعت ابن الجعابي يقول: دخلت الرقة، وكان لي ثم قمطران^(٢) كتب فجاء غلامي مغموماً وقد ضاعت الكتب، فقلت: يا بني لا تغتم، فإن فيها مئتي ألف حديث لا يشك علي حديث منها لا إسناده ولا متنه.

ونقل الخطيب عن أشياخه أن ابن الجعابي كان يشرب في مجلس ابن العميد.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: سألت الدارقطني عن ابن الجعابي فقال: خلط، وذكر مذهبه في التشيع، وكذا نقل أبو عبد الله الحاكم، عن الدارقطني قال:

(١) انظر السير: ١٦/٨٨-٩٢

(٢) تشية قمطر: ما يصان فيه الكتب.

وحدَّثني ثقةٌ أنه خَلَى ابنَ الجِعَابي نائماً وكتبَ على رجله، قال: فكنتُ أراه ثلاثة أيامٍ لم يمسَّه الماء.

قال الخطيب: سمعتُ ابنَ رزقويه يقول: كان ابنُ الجِعَابي يمتلئُ مجلسه، وتمتلئُ السُّكَّةُ التي يُملي فيها والطريق، ويحضرُ الدارقطني، وابنُ المظفر ويُملي من حفظه.

قال الأزهري: كانت سَكِينَةُ نائحةً الرافضة تنوحُ في جنازته، مات سنة خمس وخمسين وثلاث مئة.

٦٩٢ ابنُ حِبَّان^(١)

[١] الإمامُ العلامة، الحافظُ المجوّد، شيخُ خُرَاسان، أبو حاتمٍ محمدُ بنُ حِبَّان بنِ أحمدَ بنِ حِبَّان، التِّيمِيُّ الدَّارِمِيُّ البُسْتِيُّ، صاحبُ الكتبِ المشهورة. وُلد سنة بضعٍ وسبعينَ ومِئتين.

[٢] قال ابنُ حِبَّان في أثناء كتاب «الأنواع»: لعلنا قد كَتَبْنَا عن أَكْثَرِ من ألفي شيخ. قلت: كذا فلتكنِ الهمم، هذا مع ما كانَ عليه من الفقه والعربية، والفضائل الباهرة، وكثرة التّصانيف.

[٣] عبد الصمد بن محمد بن محمد، سمعتُ أبي يقول: أنكروا على أبي حاتم بن حبان قوله: النبوة: «العلم والعمل» فحكموا عليه بالزندقة، هُجر، وكتب فيه إلى الخليفة، فكتبَ بقتله.

قلت: هذه حكاية غريبة، وابنُ حِبَّان فَمِنَ كبارِ الأئمة، ولسنا ندَّعي فيه العصمة من الخطأ، لكن هذه الكلمة التي أطلقها، قد يطلقها المسلم، ويطلقها الزنديق الفيلسوف، فإطلاق المسلم لها لا ينبغي، لكن يُعْتَذَرُ عنه، فنقول: لم يرد حصرَ المبتدأ في الخبر ونظير ذلك قوله عليه السّلاة والسلام «الحجُّ عرفة» ومعلوم أن

(١) انظر السير: ٩٢/١٦-١٠٤

الحاج لا يصير بمجرد الوقوف بعرفة حاجاً، بل بقي عليه فروض وواجبات وإنما ذكر مهم الحج . وكذا هذا ذكر مهم النبوة، إذ من أكمل صفات النبي كمال العلم والعمل . فلا يكون أحد نبياً إلا بوجودهما، وليس كل من برز فيهما نبياً، لأن النبوة موهبة من الحق تعالى، لا حيلة للعبد في اكتسابها، بل بها يتولد العلم اللدني والعمل الصالح .

وأما الفيلسوف فيقول: النبوة مكتسبة يُنتجها العلم والعمل فهذا كفر، ولا يريدُه أبو حاتم أصلاً، وحاشاه، وإن كان في تقاسيمه من الأقوال، والتأويلات البعيدة، والأحاديث المنكرة عجائب وقد اعترف أن «صحيحه» لا يقدر على الكشف منه إلا من حفظه، كمن عنده مصحف لا يقدر على موضع آية يريدُها منه إلا من يحفظه .
[١] وقال أبو إسماعيل الأنصاري: سمعت يحيى بن عمار الواعظ وقد سأله عن ابن حبان، فقال: نحن أخرجناه من سجستان، كان له علم كثير، ولم يكن له كبير دين، قدم علينا، فأنكر الحدَّ لله، فأخرجناه .

قلت: إنكاركم عليه بدعة أيضاً، والخوض في ذلك ممَّا لم يأذن به الله، ولا أتى نصُّ بإثبات ذلك ولا بنفيه، و«من حُسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه» وتعالى الله أن يُحدَّ أو يُوصف إلا بما وصف به نفسه، أو علَّمه رسله بالمعنى الذي أراد بلا مثل ولا كيف ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١] .

توفي ابن حبان بسجستان بمدينة بُست في سنة أربع وخمسين وثلاث مئة وهو في عشر الثمانين .

٦٩٣ ابن الداعي^(١)

[٢] الكبير، الرئيس المعظم الشريف، أبو عبدالله، محمد بن الحسن بن القاسم

(١) انظر السير: ١١٤/١٦ - ١١٦

العلويّ الديلميّ المولد.

وُلد سنة أربعٍ وثلاث مئةٍ وحجَّ في سنة بضعٍ وثلاثين.

[١] برع في الرأي على الإمام أبي الحسن الكرّخي، وأخذ علم الكلام عن حسين ابن علي البصري، وأفتى ودرّس، وولّي نقابة الطالبين في دولة بني بويه، فعدل وحُمد، وكان معزُّ الدولة يُبالغ في تعظيمه، وتقبيل يده، لعبادته وهيبته، وكان فيه تشيُّع بلا غلو.

[٢] قال أبو علي التّوخيّ: حدثنا أبو الحسن بن الأزرق، قال: كنت بحضرة الإمام أبي عبدالله بن الدّاعي، فسأله أبو الحسن المعتزليّ عما يقوله في طلحة والزبير، فقال: أعتقد أنهما من أهل الجنّة، قال: ما الحجة؟ قال: قد رويت توبتهما، والذي هو عُمدتي أنّ الله بشرهما بالجنّة، قال: فما تنكر على من زعم أنه عليه السلام قال: إنهما من أهل الجنة ومقالته: فلو ماتا لكانا في الجنة، فلما أحدثا زال ذلك، قال: هذا لا يلزم، وذلك أن نقل المسلمين أن بشارَةَ النبيّ ﷺ سبقت لهما فوجب أن تكون موافاتهما القيامة على عمل يوجب لهما الجنة وإلّا لم يكن ذلك بشارَةً، فدعا له المعتزليّ واستحسن ذلك، ثم قال: ومحال أن يُعتقد هذا فيهما، ولا يُعتقد مثله في أبي بكر وعمر، إذ البشارةُ للعشرة.

[٣] قال أبو علي التّوخيّ: رأيتُ في مجلس أبي عبدالله، وقد جاءه رجلٌ بفتوى فيمن حلف فطلّق امرأته ثلاثاً معاً، فقال له: تريد أن أفتيك بما عندي وعند أهل البيت أو بما يحكيه غيرنا عن أهل البيت؟ فقال: أريد الجميع، قال: أمّا عندي وعندهم فقد بانّت، ولا تحلّ لك حتّى تنكح زوجاً غيرك.

قلت: كان يمتنع من التّرحّم على معاوية رضي الله عنه، ولا يَشْتِمُ الصحابة.

[١] هو الإمام الحافظ، الثقة، الرَّحَالِ الْجَوَال، محدِّث الإسلام علمُ المعمرين، أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة.

مولده بمدينة عكا في سنة ستين ومئتين، وكانت أمه عكاوية. وأول سماعه في سنة ثلاث وسبعين، وارتحل به أبوه وحرص عليه فإنه كان صاحب حديث، من أصحاب دُحيم، فأول ارتحاله كان في سنة خمس وسبعين، فبقي في الارتحال ولقي الرجال ستة عشر عاماً. وكتب عمَّن أقبل وأدبر، وبرع في هذا الشأن، وجمع وصنَّف وعمر دهرًا طويلاً، وازدحم عليه المحدثون، ورحلوا إليه من الأقطار.

استوطن أصبهان، وأقام بها نحواً من ستين سنة ينشر العلم ويؤلفه، وإنما وصل إلى العراق بعد فراغه من مصر والشام والحجاز واليمن، وإلا فلو قصد العراق أولاً لأدرك إسناده عظيمًا.

[٢] ومن تواليفه «المعجم الصغير» في مجلد عن كل شيخ حديث، و«المعجم الكبير» وهو معجم أسماء الصحابة وتراجمهم وما رَوَّه، لكن ليس فيه مُسند أبي هريرة، ولا استوعب حديث الصحابة المكثرين، في ثمان مجلدات، و«المعجم الأوسط» على مشايخه المُكثرين، وغرائب ما عنده عن كل واحد، يكون خمس مجلدات. وكان الطبراني - فيما بلغنا - يقول عن «الأوسط»: هذا الكتاب رُوحِي.

[٣] قال ابن منده: وبلغني أن الطبراني كان حَسَنَ المشاهدة طَيِّبَ المحاضرة، قرأ عليه يوماً أبو طاهر بن لُوقا حديث: كان يغسل حصى جِماره (٢) فصَحَّفه، وقال: حُصى جِماره، فقال: ما أراد بذلك يا أبا طاهر قال: التواضع، وكان هذا كالمغفل،

(١) انظر السير: ١١٩/١٦ - ١٣٠

(٢) في «مصنف ابن أبي شيبة» ٢٧/٤: حدثنا وكيع عن زعة عن ابن طاووس، عن أبيه أنه كان يغسل حصى الجمار.

قال له الطبراني يوماً: أنت ولدي، قال: وإياك يا أبا القاسم، يعني: وأنت.

[١] قال أبو الحسين أحمد بن فارس اللُّغوي: سمعت الأستاذ ابن العميد يقول: ما كنت أظنُّ أن في الدنيا حلاوةً أَلَذَّ من الرئاسة والوزارة التي أنا فيها، حتى شاهدت مذاكرة أبي القاسم الطُّبراني وأبي بكر الجعابي بحضرتي، فكان الطُّبراني يغلب أبا بكر بكثرة حفظه، وكان أبو بكر يغلب بفطنته وذكائه حتى ارتفعت أصواتُهُما، ولا يكاد أحدهُما يغلب صاحبه، فقال الجعابي: عندي حديث ليس في الدنيا إلا عندي فقال: هات، فقال: حدثنا أبو خليفة الجُمحي، حدثنا سليمان بن أيوب وَحَدَّثَ بحديث، فقال الطُّبراني: أخبرنا سليمان بن أيوب ومنى سمعه أبو خليفة، فاسمع مني حتى يعلو فيه إسنادُك، فخرجل الجعابي، فوددت لو أن الوزارة لم تكن وكنْتُ أنا الطبراني، وفرحت كفرحه، أو كما قال.

قيل: ذهبت عيناهُ في آخر أيامه، فكان يقول: الزنادقةُ سحرتني. فقال له يوماً حسن العطار - تلميذه - يمتحن بصره: كم عددُ الجذوعِ التي في السَّقْف؟ فقال: لا أرى، لكن نقشُ خاتمي سليمان بن أحمد.

قلت: هذا قاله على سبيل الدُّعابة.

وقد عاش الطُّبراني مئة عام وعشرة أشهر.

قال أبو نعيم الحافظ: توفي الطُّبراني سنة ستين وثلاث مئة بأصبهان.

٦٩٥ ابنُ هاني^(١)

[٢] شاعرُ العصر أبو الحسن، محمد بنُ هاني الأزديُّ المهلبِي الأندلسيُّ يُقال: إنَّه من ذريةِ المهلب وكان أبوه شاعراً أيضاً، ويكنى محمدُ أبا القاسم أيضاً.

مولده بإشبيلية وكان ذا حظوة عند صاحب إشبيلية، ونظَّمهُ بديعُ في الدُّرَّة،

(١) انظر السير: ١٣١/١٦ - ١٣٢

وكان حافظاً لأشعار العرب وأيامها، لكنّه فاسقٌ خَمِيرٌ يُتَهَمُ بدين الفلاسفة، فهرب
لَمَّا هُمُوا به إلى العُدوة فأتصل بالمعزّ العبيدي، فأنعم عليه، وشرب عند قوم،
فخفق في سنة اثنتين وستين وثلاث مئة، وهو في عشر الخمسين.
وديوانه كبير وفيه مدائح تُفضي به إلى الكفر^(١) وهو من نظراء المتنبي.

٦٩٦ ابنُ العميد^(٢)

[١] الوزير الكبير، أبو الفضل، محمد بن الحسين بن محمد الكاتب وزير الملك
ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي.
كان عجباً في الترسل والإنشاء والبلاغة، يُضربُ به المثل، ويقال له: الجاحظ
الثاني. وقيل: بدئت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بابن العميد.
وقد مدحه المتنبي، فأجازه بثلاثة آلاف دينار.
وكان مع سعة فنونه لا يدري ما الشرع، وكان متفلسفاً، متهماً بمذهب الأوائل.
وكان إذا تكلم فقيه بحضرته شقَّ عليه ويسكت، ثم يأخذ في شيء آخر.
وكان ابنُ عباد يصحبه ويلزمه، ومن ثمَّ لُقِّبَ الصَّاحِبُ.
مات سنة ستين وثلاث مئة فوزر بعده ابنه أبو الفتح عليّ وعمره اثنتان وعشرون
سنة، وكان ذكياً، غزير الأدب، تياهاً، ولُقِّبَ ذا الكفايتين، وله نظمٌ رائع، ثم عُدِّبَ
وقُتِلَ في سنة ست وستين وثلاث مئة، بعد أن سَمَلَ عضدُ الدولة عينه الواحدة وقطع
أنفه، وله نظم جيد.

(١) من ذلك قوله -قبّحه الله في- مدح المعز:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

ومثل هذا كثير في ديوانه، وانظر «حسن المحاضرة» ٥٩٩/١.

(٢) انظر السير: ١٦/١٣٧-١٣٨.

٦٩٧ ابن نُجَيْد^(١)

[١] الشيخ الإمام القدوة المحدث الرباني، شيخ نيسابور، أبو عمرو إسماعيل بن نُجَيْد بن الحافظ أحمد بن يوسف بن خالد السلمي النيسابوري الصوفي كبير الطائفة، ومُسْنِدُ خراسان.

مولده في سنة اثنتين وسبعين ومئتين.

[٢] ومن محاسنه أن شيخه الزاهد أبا عثمان الحيري طلب في مجلسه مالا لبعض الثغور، فتألم وبكى على رؤوس الناس فجاءه ابن نُجَيْد بألفي درهم، فدعا له، ثم إنه نوه به، وقال: قد رجوت لأبي عمرو بما فعل، فإنه قد ناب عن الجماعة، وحمل كذا وكذا، فقام ابن نُجَيْد، وقال: لكن إنما حملت من مال أمي وهي كارهة، فينبغي أن تردّه لترضى، فأمر أبو عثمان بالكيس فردّ إليه، فلما جنّ الليل جاء بالكيس، والتمس من الشيخ ستر ذلك، فبكى، وكان بعد ذلك يقول: أنا أخشى من همة أبي عمرو.

[٣] قال أبو عبد الرحمن السلمي: جدّي له طريقةٌ ينفرد بها من صون الحال وتلبسه، سمعته يقول: كلُّ حالٍ لا يكون عن نتيجة علمٍ وإن جُلّ، فإن ضرره على صاحبه أكبر من نفعه.

[٤] وسمعته يقول: لا يصفو لأحدٍ قدمٌ في العبوديّة حتى تكون أفعاله عنده كلها رياء، وأحواله كلها عنده دعاوى.

توفي ابن نُجَيْد سنة خمسٍ وستين وثلاث مئة عن ثلاثٍ وتسعين سنة.

(١) انظر السير: ١٤٦/١٦-١٤٨

[١] الإمام القدوة الشهيد، أبو بكر، محمد بن أحمد بن سهل الرَّملي، ويُعرف بابن النَّابلسي.

[٢] قال أبو ذرُّ الحافظ: سَجَنهُ بنو عُبيد، وصلُّوه على السنَّة، سمعتُ الدارقطني يذكره، ويكي، ويقول: كان يقول، وهو يُسلِّخ ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء ٥٨].

قال أبو الفرج بنُ الجوزي: أقام جَوهر القائد لأبي تميم صاحب مصرَ أبا بكر النَّابلسي، وكان ينزل الأكواخ فقال له: بَلَّغْنَا أَنَّكَ قُلْتَ: إذا كان مع الرجل عشرةُ أسهم، وجب أن يرميَ في الرُّوم سَهْمًا، وفينا تسعة، قال: ما قُلْتُ هذا، بل قُلْتُ: إذا كان معه عشرةُ أسهم، وجب أن يرميكم بتسعة وأن يرميَ العاشر فيكم أيضاً، فإنكم غيرتم المِلَّة، وَقَتَلْتُمُ الصَّالِحِينَ وَادَّعَيْتُمُ نَوْرَ الْإِلَهِيَّةِ، فشهره ثم ضربه، ثم أمر يهودياً فسلَّخه وَخَشِيَ تَبْنًا، وصلَّب.

قال معمر بنُ أحمد بن زياد الصُّوفي: أخبرني الثقة، أن أبا بكر سُلِّخ من مفرق رأسه حتَّى بلغ الوجه، فكان يذكر الله ويصبر حتَّى بلغ الصدر فرحمه السِّلَاح، فوكزه بالسَّكِين موضع قلبه فقضى عليه، وأخبرني الثقة أنه كان إماماً في الحديث والفقه، صائمَ الدَّهْرِ، كبيرَ الصُّلَّةِ عندَ العَامَّةِ والخاصَّةِ، ولما سُلِّخ كان يُسمع من جسده قراءةَ القرآن.

[٣] قُلْتُ: لا يُوصَف ما قلب هؤلاء العُبَيْدِيَّةُ الدِّينَ ظَهراً لِبَطْنٍ واستولوا على المغرب، ثمَّ على مصرَ والشام، وسبوا الصحابة.

[٤] حكى ابنُ السَّعْصَاعِ المصري، أنه رأى في النوم أبا بكر بن النَّابلسي بعدما صُلِّب وهو في أحسنِ هيئة، فقال: ما فعل الله بك؟ فقال:

(١) انظر السير: ١٤٨/١٦-١٥٠.

حباني مالكي بدوام عزٍّ ووَاعَدَنِي بِقُرْبِ الانتصارِ
وقرَّني وأدناني إليه وقال: انعم بعيشٍ في جِواري

٦٩٩ النِّعمان^(١)

العلامة المارق، قاضي الدولة العبيديَّة، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور المَغْرِبِي.

كان مالكيًّا، فارتد إلى مذهب الباطنية، وصنَّف لهم أُسَّ الدعوة، ونبذ الدين وراء ظهره، وألَّف في المناقب والمثالب، وردَّ على أئمة الدِّين، وانسلَخ من الإسلام، فسُحِقاً له ويُعدَّأ.

ونافق الدولة لا بل وافقهم وكان ملازماً للمعزَّ أبي تميم منشيء القاهرة. وله يدٌ طولى في فنون العلوم والفقه والاختلاف، ونَفَس طويل في البحث، فكان علمُه وبالا عليه.

وصنَّف في الردِّ على أبي حنيفة في الفقه، وعلى مالك والشافعي، وانتصر لفقه أهل البيت، وله كتاب في اختلاف العلماء، وكتبه كبار مطوِّلة. وكان وافر الحشمة، عظيم الحرمة، في أولاده قضاءً وكُبراء وانتقل إلى غير رضوان الله، بالقاهرة سنة ثلاثٍ وستين وثلاث مئة.

٧٠٠ مُنْذِرُ بن سَعِيد البَلُّوطِي^(٢)

[١] أبو الحَكَم الأندلسي، قاضي الجماعة بقرطبة، يُنسَب إلى قبيلة يقال لها: كُرْزَنَة، وهو من موضع قريب من قرطبة، يقال له: فحَص البَلُّوط.

[٢] كَانَ فقيهاً محققاً، وخطيباً بليغاً مُفَوِّهاً، له اليوم المشهور الذي ملأ فيه الأذان،

(١) انظر السير: ١٦/١٥٠-١٥١

(٢) انظر السير: ١٦/١٧٣-١٧٨

وبهر العقول، وذلك أن المستنصر بالله كان مشغولاً بأبي عليّ القالي، يؤهله لكلّ مهم، فلما ورد رسولُ الرُّومِ أمره أن يقومَ خطيباً على العادة الجارية، فلما شاهد أبو عليّ الجمعَ العظيمَ جبنَ فلم تحمله رجلاه، ولا ساعده لسانه، وفطن له منذر بن سعيد، فوثب في الحال، وقام مقامه وارتجل خطبةً بديعة، فأبهرت الخلق وأنشد في آخرها لنفسه:

هذا المقال الذي ما عابه فندُّ لكنَّ صاحبه أذى به البلدُ
لو كنتُ فيهم غريباً كنتُ مطرفاً لكنني منهم فاغتالني النكدُ
لولا الخلافةُ أبقي الله بهجتها ما كنتُ أبقي بأرضٍ ما بها أحدُ
فاستحسنوا ذلك.

[١] قال ابنُ بشكوال في بعض كتبه: منذر بن سعيد خطيب بليغ مصقّع^(١) لم يكن بالأندلس أخطبُ منه، مع العلم البارِع، والمعرفة الكاملة واليقين في العلوم، والدين والورع، وكثرة الصيام والتَّهجد، والصّدع بالحق، كان لا تأخذه في الله لومةُ لائم وقد استسقى غير مرة، فسقي.

[٢] قال أبو محمد بن حزم: أخبرني حَكَمُ بنُ منذر بن سعيد أخبرني أبي أنه حجَّ راجلاً مع قومٍ رجالة، فانقطعوا وأعوزهم الماء في الحجاز وتأهوا، قال: فأوينا إلى غارٍ ننتظر الموت، فوضعت رأسي مُلصقاً بالجبل، فإذا حجرٌ كان في قباليته، فعالجته، فنزعته فانبعث الماء، فشربنا وتزوّدنا.

[٣] قال الحسن بن محمد: قحط الناس في بعض السنين آخر مدّة الناصر، فأمر القاضي منذر بن سعيد بالبروز إلى الاستسقاء بالناس، فصام أياماً وتأهب، واجتمع الخلق في مصلى الرّيض وصعد الناصر في أعلى قصره ليشاهد الجمع، فأبطأ منذر ثم خرج راجلاً متخشعاً، وقام ليخطب فلما رأى الحال بكى ونشج وافتتح خطبته

(١) الخطيب المصقّع: البليغ الماهر في خطبته، وهو «مفعل» من الصقّع ومعناه رفع الصوت ومتابعته، ومفعل: من أبنية المبالغة «لسان العرب» مادة: صقع.

بأن قال: سلامٌ عليكم، ثم سكت شبه الحسير، ولم يكن من عادته، فنظر الناس بعضهم إلى بعض لا يدرون ما عراه، ثم اندفع فقال: سلام عليكم، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام ٥٤] استغفروا ربكم وتوبوا إليه، وتقربوا بالأعمال الصالحة لديه، فَضَجَّ النَّاسُ بالبكاء، وجأزوا بالدُّعاء والتضرُّع وخطب فأبلغ، فلم يَنْقُضِ الْقَوْمُ حَتَّى نَزَلَ غَيْثٌ عَظِيمٌ.

[١] واستسقى مرةً، فقال يهتف بالخلق: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ [فاطر ١٥، ١٦] فهَيَّجَ الْخَلْقَ عَلَى الْبَكَاءِ.

[٢] قال: وسمعتُ مَنْ يَذْكُرُ أَنَّ رَسُولَ النَّاصِرِ جَاءَهُ لِلْإِسْتِسْقَاءِ، فقال للرَّسُولِ: ها أنا سائر، فليت شعري ما الذي يصنعه الخليفةُ في يومنا هذا؟ فقال: ما رأيته قطُّ أخشعَ منه في يومه هذا، إنه منفرد بنفسه، لا بسُ أخشن الثياب، مفترش التراب، قد علا نحيبه واعتراه بذنوبه، يقول: رب هذه ناصيتي بيدك، أترك تعذب الرعية، وأنت أحكم الحاكمين وأعدلهم، أن يفوتك مني شيء، فتَهْلُلَ منذرُ بن سعيد، وقال: يا غلام احمل المِمْطَرةَ معك، إذا خَشَعَ جَبَّارُ الْأَرْضِ رَحِمَ جَبَّارُ السَّمَاءِ.

[٣] قال ابنُ عَفيفٍ: من أخباره المحفوظة: أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمَلَ فِي بَعْضِ سَطُوحِ الزُّهْرَاءِ قَبَّةً بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَجَلَسَ فِيهَا، ودخل الأعيان، فجاء منذرُ بن سعيد، فقال له الخليفة كما قال لمن قبله: هل رأيت أو سمعت أن أحداً من الخلفاء قبلي فعلَ مثلَ هذا؟ فأقبلت دموعُ القاضي تتحدَّر، ثم قال: والله ما ظننت يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنْكَ هَذَا الْمَبْلَغَ أَنَّ أَنْزَلَكَ مَنَازِلَ الْكُفَّارِ، قال: لِمَ؟ فقال: قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ لَا أَنَّ يَكُونُ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ﴾ إلى قوله ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف ٣٣-٣٥] فنكس الناصرُ رأسه طويلاً، ثم قال: جزاك الله عناً خيراً وعن المسلمين، الذي قُلْتَ هو الحق، وأمر بِنَقْضِ سَقْفِ الْقَبَةِ.

[٤] وخطب يوماً فأعجبه نفسه، فقال: حَتَّى مَتَى أَعْظُ وَلَا أُنْعِظُ وَأُزَجِرُ وَلَا أُزْدَجِرُ،

أدُلَّ على الطريق المُسْتَدِلِّينَ وأبقى مُقيماً مع الحائرين، كلاً إنَّ هذا لهو البلاء
 الممين، اللهمَّ فرِّغْني لما خلقتني له، ولا تشغلني بما تكفَّلْتَ لي به.
 [١] وقد استغرق مرَّةً في خطبته بجامع الزهراء فأدخل فيها ﴿أَتَبْنُون بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً
 تَعْبَثُونَ، وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ، وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء
 ١٢٨-١٣٠] فتخيَّرَ الناصرُ لخطابة الزهراء أحمدَ بنَ مطرف إذا حضر الناصر.
 توفي منذر في سنة خمسٍ وخمسين وثلاث مئة.

٧٠١ حمزةُ بنُ محمد^(١)

[٢] ابنُ عليٍّ، الإمامُ الحافظُ القدوة، محدِّثُ الديارِ المصريَّة، أبو القاسم الكِنانيُّ
 المصريُّ.

وُلِدَ سنة خمسٍ وسبعين ومئتين.
 وجمع وصنَّف، وكان متقناً مجوداً، ذا تَأَلُّهِ وتعبدٍ.
 كلُّ شيءٍ له في سنة خمس: وُلِدَ سنة خمس وسبعين، وأول سماعه في سنة
 خمس وتسعين ورحلَ إلى العراق سنة خمسٍ وثلاث مئة.
 [٣] عبدُ الله بن محمد بن أسد، سمعتُ حمزةَ الكِنانيَّ يقول: خرَّجت حديثاً واحداً
 عن النبي ﷺ من نحوِ مئتي طريق، فداخَلَنِي لذلك من الفرح غيرُ قليل، وأُعجبت
 بذلك، فرأيتُ يحيى بن مَعِين في المنام، فقلت: يا أبا زكريا، خرَّجت حديثاً من
 مئتي طريق، فسكَّت عني ساعة، ثم قال: أخشى أن تدخلَ هذه تحتَ ﴿أَلْهَاكُمْ
 التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر ١].

[٤] قال أبو عبدِ الله بنُ مَنذَةَ: سمعتُ حمزةَ بن محمد الحافظ يقول: كنت أكتبُ
 الحديث، فلا أكتبُ (وسلم) بعدَ صَلَّى اللهُ عليه فرأيتُ النبي ﷺ في المنام، فقال

(١) انظر السير: ١٧٩/١٦-١٨١

لي : أما تَخْتِمُ الصَّلَاةَ عَلَيَّ في كتابك؟!

[١] عَلِيّ بن عمر الحَرَّانِي ، سمعتُ حمزة بن محمد الحافظ ، وجاءه غريب ، فقال :
إن عسكر أبي تميمٍ - يعني المغاربة - قد وَصَلُوا إلى الإسكندرية فقال : اللهم لا
تُحِينِي حَتَّى تُرِنِّي الراياتِ الصفر ، فمات حمزة ودَخَلَ عسكرُهُم بعد موته بثلاثة
أيام .

[٢] قُلْتُ : هؤلاء عسكرُ المعز العبّيدي الاسماعيليَّة ، تملَّكوا مصر في هذا الوقت ،
وبنوا في الحال مدينةَ القاهرة المُعَرَّية ، فأما تواترُ السُّنة ، وأظهروا الرفض ، ودامت
دولَّتُهُم أَزِيدَ من مئتي عام ، حتى أبادَهُم السلطان صلاح الدين ، ونسبَهُم إلى علي
رضي الله عنه غيرُ صحيح .

مات حمزة في سنة سبع وخمسين وثلاث مئة .

٧٠٢ المغفلي^(١)

[٣] الإمامُ العالم ، القدوةُ الحافظ ، ذو الفنون ، أبو محمد أحمدُ بنُ عبدِ الله بن
محمد بن عبد الله بن بشر بن مغفَّل بن حَسَّان بن صاحبِ رسولِ الله ﷺ عبدِ الله
ابنِ مغفَّل المُزَنِي المغفلي الهروي ، الملقبُ بالباز الأبيض .
وُلِدَ بعدَ السَّبعين ومئتين .

وجمع وصنَّف ، وتقدَّم في معرفة الحديث والعُلوم .

[٤] قال الحاكم : كان إمامَ أهلِ خُرَاسان بلا مُدافعة ، وقد حجَّ بالنَّاس وخطب
بمكة ، وقُدِّمَ إليه المقام وهو قاعدٌ في جوف الكعبة ولقد سمعتهم بمكة يذكرون أنَّ
هذه الولاية لم تكن قطُّ لغيره ، ومن عَظَمَتِهِ أن كان فوقَ الوزراء ، وأنهم كانوا
يصدرُونَ عن رأيه . وجاوزَ مرَّةً بمكة ، وكنتُ ببخارى أستملي له ، فذكر أنَّه حصل
وَجَدُ وشيءٌ من غشي بسببِ إملاء حكاية وأبيات ، وتوفي بعد جمعة فسمعت ابنه

(١) انظر السير : ١٦ / ١٨١ - ١٨٤

[١] بشراً يقول: آخر كلمة تكلم بها أن قبض على لحيته ورفع يده اليمنى إلى السماء، وقال: ارحم شية شيخ جاءك بتوفيقك على الفطرة. توفي سنة ست وخمسين وثلاث مئة.

[٢] قال الحاكم: وسمعت أبا الفضل السليمانى - وكان صالحاً - يقول: رأيت أبا محمد المزنّى في المنام بعد وفاته بليّتين، وهو يتبختر في مشيته ويقول بصوت عال: ﴿وما عند الله خير وأبقى﴾ [القصص ٦٠].

[٣] قال الحاكم: ورد كتاب من مصر بأن يحجّ أبو محمد المغفليّ بالناس، ويخطب بعرفة ومنى، فصلّى بعرفة وأتمّ الصلاة، فعجّ الناس، فصعد المنبر، فقال: أيّها الناس، أنا مقيم وأنتم على سفر، فلذلك أتممت.

٧٠٣. سَيْفُ الدَّوْلَةِ (١)

[٤] أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن حمدان، صاحب حلب، مقصد الوفود، وكعبة الجود، وفارس الإسلام، وحامل لواء الجهاد. كان أديباً مليح النظم، فيه تشيّع.

[٥] ويقال: ما اجتمع بباب ملك من الشعراء ما اجتمع ببابه. وكان يقول: عطاء الشعراء من فرائض الأمراء.

وقد جمع له من المدائح مجلّدان.

[٦] يقال: تمّ له من الروم أربعون وقعة، أكثرها ينصّره الله عليهم.

[٧] وقيل: إنّه في عيد نفذ إلى الناس ضحايا لا تعدّ كثرة، فبعث إلى اثني عشر ألف إنسان، فكان أكثر ما يبعث إلى الكثير منهم مئة رأس.

[٨] وتوفيت أخته، فخلفت له خمس مئة ألف دينار، فافتك بجميعها أسرى.

[٩] مولده في سنة احدى وثلاث مئة. وله غزو ما اتفق لملك غيره وكان يضرب

(١) انظر السير: ١٨٧/١٦ - ١٨٩

بشجاعته المثل، وله وقع في النفوس، فالله يرحمه.

[١] مات بالفالاج، وقيل: بعسر البول، سنة ست وخمسين. وكان قد جمع من الغبار الذي يقع عليه وقت المصافات قدر الكف، وأوصى أن يوضع على خده. وكانت دولته نيّفاً وعشرين سنة.

٧٠٤ مُعزُّ الدَّولة^(١)

[٢] السُّلطان، أبو الحسين، أحمدُ بنُ بُوَيه بن فُناخسرو الدَّيلمِّي الفارسي، قد ساقَ نسبهُ ابنُ خَلْكان إلى كِسرى بهرام جُور. فالله أعلم.

[٣] كان أبوه سَمَّاكاً، وهذا ربّما احتطّب، تملّك العراق نيّفاً وعشرين سنة، وكان الخليفةً مقهوراً معه، وماتَ مَبْطُوناً فعهد إلى ابنه عَزَّ الدَّولة بِخِتْيَار، وكان يتشيع، فقل: تاب في مرضه، وترضى عن الصحابة، وتصدّق، وأعتق، وأراق الخمور ونَدِم على ما ظَلَم، وردَّ المَوارِث إلى ذوي الأرحام وكان يقال له: الأقطع. طارت يساره في حرب، وطارت بعضُ اليمنى، وسقط بين القتلى ثم نجا، وتملّك بغداد بلا كلفة ودانت له الأمم، وكان في الابتداء تبعاً لأخيه الملك عماد الدَّولة.

مات سنة ست وخمسين وثلاث مئة، وله ثلاث وخمسون سنة.

وقد أنشأ داراً غرم عليها أربعين ألف ألف درهم فبقيت إلى بعد الأربع مئة ونقضت، فاشتروا جرداً ما في سُقوفها من الذهب بثمانية آلاف دينار.

٧٠٥ كافُور^(٢)

[٤] صاحبُ مصر، الخادم الأستاذ، أبو المسك، كافُورُ الإخشيديّ الأسود.

تقدم عند مولاه الإخشيذ، وسادَ لرأيه وحزمه وشجاعته فصيره من كبار قوَّاده، ثم

(١) انظر السير: ١٨٩/١٦ - ١٩٠

(٢) انظر السير: ١٩٠/١٦ - ١٩٣

حارب سيف الدولة، ثم صار أتابك أنوجور ابن أستاذه وتمكن.

مات الملك أنوجور شاباً في سنة تسع وأربعين وثلاث مئة فأقام كافور أخاه علياً في السلطنة، فبقي ست سنين، وأزمت الأمور إلى كافور، وبعده تسلطن وركب الأسود بالخلعة السوداء الخليفية فأشار عليه الكبار بنصب ابن لعلبي صورة في اسم الملك، فاعتل بصغره، وما التفت على أحد، وأظهر أن التقليد والأهبة جاءت من المطيع، وذلك سنة خمس وخمسين، ولم ينتطح فيها عتزان.

وكان مهيباً، سائساً، حليماً، جواداً، وقوراً، لا يشبه عقله عقول الخدام وفيه

[١] يقول المتنبي:

قَوَّاصِدُ كَافُورٍ تَوَارِكُ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِيَا
فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانٌ عَيْنَ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضاً خَلْفَهَا وَمَاقِيَا
فَأَقَامَ عِنْدَهُ أَرْبَعَ سَنِينَ، وَنَالَ مَالٍ جَزِيلٍ، ثُمَّ هَجَاهُ لَأَمَةً وَكُفَّرَ لِنِعْمَتِهِ وَهَرَبَ عَلَى
الْبَرِّيَّةِ يَقُولُ:

[٢] مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرُمَةً أَقْوَامُهُ الْبَيْضُ أَمْ أَبَاؤُهُ الصَّيْدُ

وَذَاكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبَيْضَ عَاجِزَةً عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخِصْيَةُ السُّودُ

وَدُعِيَ لِكَافُورٍ عَلَى مَنَابِرِ الشَّامِ وَمِصْرَ وَالْحَرَمِينَ وَالثُّغُورِ.

وكان ملازماً لمصالح الرعية.

وكان يتعبد ويتهجّد، ويمرّع وجهه، ويقول: اللهم لا تسلط علي مخلوقاً.

وكان يقرأ عنده السير والدول.

وله ندماء وجوار مغنيات، ومن المماليك الوف مؤلفة، وكان فطناً، يقظاً، ذكياً،

يُهادي المعز إلى الغرب، ويُداري ويخضع للمطيع، ويخدع هؤلاء وهؤلاء.

وله نظر في الفقه والنحو.

توفي سنة سبع وخمسين وثلاث مئة، ومات في عشر السبعين.

وقيل: مشتراه على الإخشيد ثمانية عشر ديناراً.

وللمتنبّي يهجو ويهجو ابن حنّابة الوزير:

وَمَاذَا بِمَصْرَ مِنْ الْمُضْحِكَاتِ وَلَكِنَّهُ ضَحِكُ كَالْبُكَ
بِهَا نَبِطِيٍّ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ يُدْرَسُ أَنْسَابَ أَهْلِ الْفَلَا
وَأَسْوَدُ مِشْفَرُهُ نَصْفُهُ يُقَالُ لَهُ أَنْتَ بَذْرُ الدُّجَا
وَشَعْرٌ مَدَحْتُ بِهِ الْكَرْكَدْنَ بَيْنَ الْقَرِيضِ وَبَيْنَ الرُّفَا
فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَدْحًا لَهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ هَجْوَ الْوَرَى

[١] وقد كان في كافور حلمٌ زائد، وكفٌ عن الدماء، وجودة تدبير.

٧٠٦ الْمُتَنَّبِيُّ (١)

[١] شاعرُ الزمان، أبو الطَّيِّب، أحمدُ بنُ حسين بن حسن الجُعْفِيُّ الكوفيُّ الأديب، الشهير بالمتنبي.

وُلد سنة ثلاثٍ وثلاث مئة، وأقام بالبادية، يَقتَسِبُ اللُّغَةَ والأخبار، وكان من أذكِياء عصره.

بلغ الذروة في النظم، وأربى على المُتقدمين، وسار ديوانه في الآفاق، ومدح سيف الدولة ملك الشام، والخدام كافوراً صاحب مصر، وعَضَدَ الدَّولَةَ ملك فارس والعراق.

وكان يركب الخيلَ بِزِيِّ العرب، وله شارةٌ وغلمان وهَيْئَةٌ.

وكان أبوه سَقَاءً بالكوفة، يعرف بَعْدان.

[٢] قيل: إِنَّهُ جلسَ عند كُتَيْبٍ، فطولَ المطالعة في كتاب الأصمعي فقال صاحبه: يا هذا أتريد أن تحفظه؟ فقال: فَإِنْ كنت قد حفظته؟ قال: أَهْبُهُ لك، قال: فأخذ يقرؤه حتى فرغه وكان ثلاثين ورقة.

قال التَّنُوخِيُّ: خرج المتنبي إلى بني كَلْب، وأقام فيهم وزعم أنه علوي، ثم تنبأ، فافتضح وخُجِسَ دهرًا، وأشرف على القتل ثم تاب.

وقد نال بالشعر مالاً جليلاً، يُقال: وصل إليه من ابن العميد ثلاثون ألف دينار. وناله من عَضَدِ الدولة مثلها.

أخذ عند النُعمانية (٢)، فقاتل، فقتل هو وولده محسَّد وفاته في رمضان سنة أربع وخمسين وثلاث مئة.

وكان يُبَخِّلُ وقد طَوَّلَتْ أمره في «تاريخ الإسلام».

(١) انظر السير: ١٦/١٩٩-٢٠١

(٢) النُعمانية: بليدة بين واسط وبغداد في نصف الطريق إلى ضفة دجلة، معدودة من أعمال الزاب الأعلى، وأهلها شيعة غالبية كلهم. «معجم البلدان» ٥/٢٩٤.

وهو القائل :

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ
وله هكذا عدة أبياتٍ فائقةٍ، يُضْرَبُ بها المثل .
وكان معجباً بنفسه، كثير البأ والتَّيه، فمُتَ لذلك .

٧٠٧ صَاحِبُ الْأَغَانِي^(١)

[١] [العلامة الأخباري، أبو الفرج، عليُّ بنُ الحسين بن محمدٍ القرشيُّ الأمويُّ
الأصبهانيُّ الكاتب، مصنّف كتاب «الأغاني» من وَلَدِ مروان الحِمَار .
كان بحراً في نقل الأدب، وكان بصيراً بالأنسابِ وأيام العرب، جيّد الشعر
والعجب أنّه أمويٌّ شيعيٌّ .

قال ابن أبي الفوارس : خلط قبل موته .

قلت : لا بأس به .

وكان وَسِخاً زَرِيّاً، وكانوا يَتَّقُونَ هجاءه .

[٢] وله حكاية مع الجهنيِّ المُحتسب : كان يُجازف، فقال مرة :

بالبلد الفلاني ننعُ يطول حتى يُعمل منه سلالم . فبدر أبو الفرج وقال : عجائبُ
الدُّنيا ألوان، والقدرة صالحة، فعندنا ما هو أعجبُ من هذا، زوجُ حمامٍ، يبيضُ
بَيَضَتَيْنِ، فنأخذُهُما، ونضعُ بدلَهُما سنجتين^(٢) نحاساً، فتفقس عن طست
ومسينه، فتضاحكوا وخجل الجهني .

مات سنة ستٍّ وخمسين وثلاث مئة، وله اثنتان وسبعون سنة .

(١) انظر السير : ٢٠١/١٦ - ٢٠٣ .

(٢) ما يوزن به .

٧٠٨ الذُّهْلِيُّ (١)

[١] الإمام العالم المسند المحدث، قاضي القضاة، أبو الطاهر محمد بن أحمد ابن عبد الله الذُّهْلِيُّ البغدادي المالكي، قاضي الديار المصرية.

وُلد سنة تسع وسبعين ومئتين، وسمع وهو ابن تسع سنين. وكان ثقة في الحديث.

قال عبد الغني: وقد قرأ القرآن وهو ابن ثمان سنين، وكان مفوهاً، حسن البديهة، شاعراً، علامة، حاضر الحجة، عارفاً بأيام الناس، غزير المحفوظ، لا يَمْلُهُ جليسه من حسن حديثه، وكان سمحاً كريماً، ولي قضاء مصر سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة وأقام على قضائها ثمانين عشرة سنة.

[٢] قال عبد الغني: وسمعت الوزير أبا الفرج يعقوب بن يوسف يقول: قال لي الأستاذ كافور: اجتمع بالقاضي أبي الطاهر، فسلم عليه وقل له: إنه بلغني أنك تنبسط مع جلسائك، وهذا الانبساط يُقلُّ هيبة الحكم، فأعلمته بذلك، فقال: قل للأستاذ: لستُ ذا مالٍ أفيضُ به على جلسائي، فلا أقل من خلقي، فأخبرت الأستاذ، فقال: لا تعاوذه.

[٣] قال الحافظ عبد الغني: لما تلقى أبو الطاهر المعزُّ أبا تميم بالإسكندرية سأل المعز، فقال: يا قاضي، كم رأيت من خليفة؟ قال: واحد: قال: من هو؟ قال: أنت، والباقون ملوك، فأعجبه ذلك، ثم قال له: أحججت؟ قال: نعم، قال: وسلّمت على الشيخين؟ قال: شغلني عنهما النبي ﷺ كما شغلني أمير المؤمنين عن وليِّ عهده، فازداد به المعزُّ إعجاباً، وتخلص من وليِّ العهد إذ لم يسلم عليه بحضرة المعز فأجازه المعزُّ يومئذٍ بعشرة آلاف درهم.

(١) انظر السير: ٢٠٤/١٦ - ٢١٠

ولم يزل أمره مستقيماً إلى أن لحقته علة عطلت شقّه في سنة ٣٦٦هـ فقلد العزيز
صاحب مصر القضاء حينئذ عليّ بن النعمان .
مات سنة سبع وستين وثلاث مئة .

[١] الملقب بأمير المؤمنين، المستنصر بالله، أبو العاص، الحكم بن الناصر لدين الله عبدالرحمن بن محمد الأموي المرواني صاحب الأندلس وابن ملوكها.

وكانت دولته ست عشرة سنة، وعاش ثلاثاً وستين سنة.

[٢] وكان جيد السيرة، وافر الفضيلة، مكرماً للوافدين عليه، ذا غرام بالمطالعة وتحصيل الكتب النفيسة الكثيرة حقها وباطلها بحيث إنها قاربت نحواً من مئتي ألف سفر، وكان ينطوي على دين وخير.

[٣] وكان باذلاً للذهب في استجلاب الكتب، ويعطي من يتجر فيها ما شاء حتى ضاقت بها خزائنه، لا لذة له في غير ذلك.

[٤] وكان عالماً أخبارياً، وقوراً، نسيح وحده.

[٥] وكان الحكم موثقاً في نقله، قل أن تجد له كتاباً إلا وله فيه نظر وفائدة، ويكتب اسم مؤلفه ونسبه ومولده، ويغرب ويفيد.

[٦] ومن محاسنه أنه شدد في الخمر في ممالكه، وأبطله بالكلية وأعدمه.

[٧] وكان يتأدب مع العلماء والعباد، التمس من زاهد الأندلس أبي بكر يحيى بن مجاهد الفزاري أن يأتي إليه، فامتنع، فمر في موكبه بيحيى وسلم عليه، فرد عليه ودعا له، وأقبل على تلاوته ومر بحلقة شيخ القراء أبي الحسن الأنطاكي، فجلس ومنعهم من القيام له، فما تحرك أحد.

مات بقصر قرطبة سنة ست وستين وثلاث مئة.

ويُؤيع ابنه هشام وله تسع سنين أو أكثر ولقب بالمؤيد بالله، فكان ذلك سبباً لتلاشي دولة المروانية، ولكن سدّد أمر المملكة الحاجب الملقب بالمنصور أبي عامر محمد بن عبدالله بن أبي عامر القحطاني، وإليه كان العقد والحل، فساس أتم سياسة.

٧١٠ الصُّغْلُوكِي (١)

[١] الإمام العلامة ذو الفنون أبو سهل، محمد بن سليمان بن محمد العجلي الصُّغْلُوكِي النِّسَابُورِي، الفقيه، الشافعي، المتكلم، النحوي المفسر، اللغوي، الصوفي، شيخ خراسان.

أفتى ودرّس بنيسابور نيّفاً وثلاثين سنة.

[٢] قال أبو القاسم القشيري: سمعت أبا بكر بن فورك يقول: سئل الأستاذ أبو سهل عن جواز رؤية الله بالعقل، فقال: الدليل عليه شوق المؤمنين إلى لقائه، والشوق إرادة مفرطة، والإرادة لا تتعلق بمُحال.

[٣] وقال السلمي: سمعت أبا سهل يقول: ما عقدت على شيء قط، وما كان لي قفل ولا مفتاح ولا صررت على فضة ولا ذهب قط.

[٤] عمرو بن مسرور، أنشدنا أبو سهل الحنفي لنفسه:

أَنَا مُ عَلَى سَهْوٍ وَتَبْكِي الْحَمَائِمُ وَلَيْسَ لَهَا جُرْمٌ وَمَنِي الْجَرَائِمُ
كَذَبْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ عَاقِلًا لَمَا سَبَقْتَنِي بِالْبُكَاءِ الْحَمَائِمُ
توفي أبو سهل سنة تسع وستين وثلاث مئة.

٧١١ يحيى بن مُجاهد (٢)

[٥] ابن عوانة، أبو بكر الفزاربي الأندلسي الإلبيري الزاهد.

[٦] ذكر ابن بشكوال في غير «الصلة» فقال: زاهد عصره، وناسك مضره، الذي به يتبركون، وإلى دعائه يفزعون.

كان منقطع القرين، مجاب الدعوة، جربت دعوته في أشياء ظهرت، حج وعُني بالقراءات والتفسير، وله حظ من الفقه، لكن غلبت عليه العبادة.

(١) انظر السير: ٢٣٥/١٦ - ٢٣٩.

(٢) انظر السير: ٢٤٤/١٦ - ٢٤٦.

[١] وذكره عمرُ بنُ عَفيْف، فقال: كان من أهل العلم والزُّهد والتَّقشُّف والعبادة، وجميل المذهب، لم تر عيني مثله في الزُّهد والعبادة، يلبس الصوف، ويمشي حافياً مرة، ويتعل مرة فحدثني محمد بن أبي عثمان، عن أبيه أن الحكم المستنصر بالله أحب أن يجتمع بيحيى بن مجاهد الزاهد، فلم يقدر عليه، ووجه إليه من يتلطف به ويستعطفه، فقال: مالي إليه حاجة وإنما يدخل على السلطان الوزراء، وأهل الهيئة، وأيش يعمل بأصحاب الأطمار الرثة، فوجه إليه الحكم جبة صوف وغفارة وقميصاً من وسط الثياب ودنانير، فلما نظر إليها قال: مالي ولهذه؟ ردوها على صاحبها، ولئن لم يتركوني سافرت، فيئس من لقائه وتركه، وكان يجلس إلى مؤدب بالجامع يأنس به.

توفي ابن مجاهد سنة ست وستين وثلاث مئة وهو ابن سبعين سنة أو نحوها.

٧١٢ عَضْدُ الدَّوْلَةِ (١)

[٢] السلطان، عضد الدولة، أبو شجاع، فَنَاحُسْرُو، صاحب العراق وفارس، ابن السلطان ركن الدولة حسن بن بُويه الدَّيْلَمي.

تملك بفارس بعد عمه عماد الدولة ثم كثرت بلاده واتسعت ممالكه وسار إليه المتنبّي ومدحه، وأخذ صلاته.

قصد عضد الدولة العراق، والتقى ابن عمه عز الدولة وقتله وتملك، ودانت له الأمم.

وكان بطلاً شجاعاً مهيباً، نحويّاً، أديباً، عالماً، جباراً عسوفاً، شديد الوطأة.

[٣] وكان يقول الشعر، فقال أبياتاً كُفْريّةً:

ليس شربُ الرّاح إلّا في المَطَرِ وغناء من جوارٍ في السَّحَرِ
مِرْزات الكأس من مَطْلَعِها ساقيات الرّاح من فَاقِ البَشَرِ

(١) انظر السير: ٢٤٩/١٦ - ٢٥٢

عضد الدولة وابن رُكنها ملك الأملاك غلاب القدر
[١] نقل أنه لما احتضر ما انطلق لسانه إلا بقوله تعالى : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهٖ ، هَلَكَ
عَنِّي سُلْطَانِيهِ ﴾ [الحاقة ٢٨- ٢٩] ومات بعلة الصرع ، وكان شيعياً جلدأ أظهر
بالنجف قبراً زعم أنه قبر الإمام عليّ ، وبنى عليه المشهد ، وأقام شعار الرضا ،
وماتم عاشوراء ، والاعتزال .

تملك العراق خمسة أعوام ونصفاً ، وما تلقى خليفة ملكاً من قدومه قبله .
مات سنة اثنتين وسبعين وثلاث مئة ببغداد وعُمل في تابوت ، ونقل فدفن بمشهد
النجف ، وعاش ثمانياً وأربعين سنة وقام بعده ابنه صمصام الدولة وحلفوا له ، وقلده
الطائع .

[٢] قال عبدالله بن الوليد : سمعت أبا محمد بن أبي زيد يسأل ابن سبيدي لما جاء
من الشرق : أحضرت مجالس الكلام ؟ قال : مرتين ولم أعد ، فأول مجلس جمعوا
الفرق من السنة والمبتدعة واليهود والنصارى والمجوس والذهبية وكل فرقة رئيس
يتكلم وينصر مذهبه ، فإذا جاء رئيس قام الكل له فيقول واحد : تناظروا ولا يحتج
أحد بكتابه ، ولا بنبئه ، فإننا لا نصدق بذلك ولا نقرُّ به ، بل هاتوا العقل والقياس ،
فلما سمعتُ هذا لم أعد ، ثم قيل لي : ها هنا مجلس آخر للكلام ، فذهبت
فوجدتهم على مثل سيرة أصحابهم سواء ، فجعل ابن أبي زيد يتعجب وقال :
ذهبت العلماء وذهبت حرمة الدين .

[٣] قلت : فنحمد الله على العافية ، فلقد جرى على الإسلام في المئة الرابعة بلاء
شديد بالدولة العبيدية بالمغرب ، وبالدولة البويهية بالمشرق ، وبالأعراب القرامطة ،
فالأمر لله تعالى .

٧١٣ النَّصْرَابَادِي^(١)

[١] الإمام المحدث، القدوة الواعظ، شيخ الصوفية، أبو القاسم إبراهيم بن محمد ابن أحمد الخراساني النصرابادي النيسابوري الزاهد، ونصراباذ: محلة من نيسابور.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: كان شيخ الصوفية بنيسابور له لسان الإشارة مقروناً بالكتاب والسنة، وكان يرجع إلى فنون منها حفظ الحديث وفهمه وعلم التاريخ وعلوم المعاملات والإشارة.

[٢] ومع عظم محلّه كم من مرة قد ضرب وأهين، وكم حُبس، فقليل له: إنك تقول: الروح غير مخلوقة، فقال: لا أقول ذا، ولا أقول إنها مخلوقة بل أقول: الروح من أمر ربي، فجهّدوا به، فقال: ما أقول إلا ما قال الله.

قلت: هذه هفوة، بل لا ريب في خلقها، ولم يكن سؤال اليهود لنبينا ﷺ عن خلقها ولا قدمها، إنما سألوا عن ماهيتها وكيفيتها، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر ٦٢] فهو مُبدع الأشياء وموجد كل فصيح وأعجم، ذاته وحياته وروحه وجسده، وهو الذي خلق الموت والحياة والنفوس، سبحانه.

[٣] ثم قال السلمي: وقيل له: إنك ذهبت إلى النّاووس وطُفّت به وقلّت: هذا طوافي فتَنَقَّصت بهذا الكعبة!! قال: لا ولكنهما مخلوقان، لكن بها فضل ليس هنا، وهذا كمن يُكرم كلباً، لأنه خلّق الله، فعوتب في ذلك سنين.

قلت: هذه ورطة أخرى. أفتكون قبلة الإسلام، كقبر يطاق به، فقد لعن رسول الله ﷺ من اتخذ قبراً مسجداً.

قال السلمي: سمعت جدي يقول: منذ عرفت النصرابادي ما عرفت له جاهلية. وقال الحاكم: هو لسان أهل الحقائق في عصره، وصاحب الأحوال

(١) انظر السير: ٢٦٧-٢٦٣/١٦

الصحيحة . وكان يَعِظُ وَيُذَكِّرُ، وجاور في سنة خمسٍ وستين، وتعبَّدَ حتَّى دُفِنَ بمكة، سنة سَبْعٍ وستين وثلاث مئة، ودُفِنَ عند الفضيل، وبيعت كتبه، فكشفت تلك الكتب عن أحوالٍ، والله أعلم .

[١] وسمعتَه يقول : إن كان بعد الصديقين موحدٌ فهو الحلاج . قلتُ : وهذه ورطة أخرى، بل قُتل الحلاج بسيفِ الشرع على الزُّندقة وقد جمعتُ بلاياه في جزئين، وقد كان النُّصرَ اباضي صحب الشبلي ومشى على حذوه، فواغوثاه بالله .

ومن كلامه : نهايات الأولياء بدايات الأنبياء . [٢] وقال : أصلُ التَّصَوُّفِ ملازمةُ الكتاب والسنة، وتركُ الأهواءِ والبدع ، ورؤيةُ أَعْذارِ الخلق، والمداومة على الأوراد، وتركُ الرُّخصِ .

٧١٤ القفال الشاشي (١)

[٣] الإمامُ العلامة، الفقيهُ الأصوليُّ اللُّغويُّ، عالمُ خراسان أبو بكر محمد بن عليِّ ابن إسماعيل الشاشي الشافعيُّ القفال الكبير، إمامٌ وقته بما وراء النهر، وصاحبُ التصانيف .

أرخ وفاته الحاكم في سنة خمس وستين وثلاث مئة بالشاش . [٤] قال أبو الحسن الصَّفَّار : سمعتُ أبا سَهْلٍ الصُّعْلُوكي، وسئل عن تفسير أبي بكر القفال، فقال : قدسَهُ من وجه، ودنسَهُ من وجهٍ أي : دنسَهُ من جهة نصَّره للاعتزال . قلتُ : الكمالُ عزيزٌ، وإنما يمدحُ العالم بكثرة ماله من الفضائل، فلا تُدفن المحاسنُ لورطة، ولعلَّه رجع عنها . وقد يُغفر له باستفراغه الوُسْعَ في طلب الحقِّ، ولا قوة إلا بالله .

(١) انظر السير : ٢٨٣/١٦ - ٢٨٥

[١] قال أبو بكر البیهقي في «شعب الإيمان» أنشدنا أبو نصر بن قتادة، أنشدنا أبو بكر القفال:

أَوْسَعُ رَحْلِي عَلَى مَنْ نَزَلَ وَزَادِي مُبَاحٌ عَلَى مَنْ أَكَلَ
نُقَدِّمُ حَاضِرَ مَا عِنْدَنَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ خُبَزٍ وَخَلٍّ
فَأَمَّا الْكَرِيمُ فَيَرْضَى بِهِ وَأَمَّا اللَّئِيمُ فَمَنْ لَمْ أُبَلِّ

انتهى الجزء الثاني
والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات

● ● ●

ويليه الجزء الثالث وأوله :
الطبقة الحادية والعشرون
أبو عثمان المَعْرُوبِي